الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية



الحركات الدينية في اوروبا الوسيطة ودورها في صنع احداث الحروب الصليبية

السعي وراء الفترة الالفية السعيدة

تأليف وتحقيق وترجمة

الاستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق

الجزء الرابع

١٩٩٥ - ١٤١٦هـ

الحركات الدينية في اوربا الوسيطة ودورها في صنع أحـــداث الحروب الصليبية

(السعي وراء الفترة الألفية السعـيدة)

دمشق ١٤١٣ / ١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

هذا هو الكتاب الرابع في موسوعتنا ،وهو اول الأعمال المترجمة ،ترجمته عن الانكليزية ،وعنوان الكتاب الأصلي« السعي وراء الفترة الالفية السعيدة »ومؤلفه هو الاستاذ نورمان كوهن ،الذي ولد في لندن عام ١٩١٥ ،وشهر كاستاذ جامعي متخصص حيث درس في أكسفوررد ثم في مختلف جامعات انكلترا وسكوتلندا وايرلاندا ،وعندما أعاد طباعة كتابه هذا للمرة الثالثة عام ١٩٦٩ كان استاذا زميلا في جامعة سسكس في انكلترا ،وله عدة مؤلفات ، كان من اشهرها كتابنا الذي نقدمه الآن وكتاب أخر عن التآمر اليهودي العالمي حسبما ورد في كتاب« بروتوكولات حكماء صهيون » ٠

لقد عدلت بعض الشيء عنوان الكتاب الأصلي ومنحته عنوانا جديدا يتماشى مع القارىء العربي ،استخرجته من محتويات الكتاب ، وكما سلف بي واشرت من قبل إن هذا الكتاب يأتي كمتمم مفيد جدا لمحتويات كتاب المدخل بأجزائه ، وفوائد هذا الكتاب تتخطى موضوع الحروب الصليبية لتفيد الباحث في تاريخ الاسلام بشكل عام ،واكثر من هذا إنها تفيد في فهم مايعرف الآن باسم الحركات الأصولية في مسيحية القارة الاوربية ،هذه الحركات التي اسهمت بشكل فعال في تدمير النظام الماركسي في الاتحاد السوفييتي وفي أوربا الشرقية ،ولها تاثيرها النافذ على مختلف جوانب الحياة في الغرب الأوربي والشرق وفي الولايات المتحدة ،وهذه مسائل يحتاج القارىء العربي الى التبصر بها والتمعن ٠

لقد بذلت كل جهد ممكن في المحافظة على روح الكتاب اثناء تأليفه وذللت معظم العقبات التي تعلقت باستخدام الاصطلاحات بالعربية ،وفقط سميت الذين كانوا يضربون انفسهم بالسياط وغيرها من الوسائل» باللطامين » على اساس ان اللطم في ايامنا لايعتمد فقط على الاكف بل هناك السياط وحتى السلاسل المعدنية ووسائل اخرى ،و باستثناء التحرج امام هذا الاصطلاح ارى ان ماتبقى لالبس به البته ،والله الموفق الى السداد •

من الله تعالى أرجو العون والتوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

دمشق ٢٠ شعبان ١٤١٣ ، ١٢ شباط ١٩٩٣

تنويـــــــه

أعيد اخراج الصور بإذن من المتحـف البـريطاني والمكتبـة الملكية البلجيكية ومعهـــد كورثـــولد للفنون والســـيدة ج ٠ ب٠ سومز

وابدي امتناني للأسستاذ المتوفى غ٠ ر٠ أوســت ولمطبعـة جامعة كمبردج للسماح لي بـالاقتباس مــن تــرجمه جــون بروميارد في

« الأدب والوعظ في انكلترا العصور الوسطى »

تمهيد لهذه الطبعة

لقد اتاح لي نشر الطبعة الثالثة من السعي وراء الفترة الالفية السعيدة الفرصة للقيام بمراجعة شاملة ،وقد مضى نحو ربع قرن تقريبا منذ أن بدات العمل في هذا الكتاب وثلاثة عشر عاما منذ ان انتهيت منه وسيكون تعليقا متواضعا على التقدم العلمي او على مرونتي العقلية او كليهما القول بأني لم أجد شيئا فيه الآن يتطلب التعديل او التوضيح ،ففي الواقع إني وجدت الكثير ،إن في الطبعة الجديدة ثلاثة عشر فصلا بدلا من إثني عشر ومقدمة وخاتمة مختلفتان وقد تم تغيير فصلين بصورة جوهرية مع عدد لايحصى من التغييرات التي جرت في مواضع مختلفة من الكتاب ، وقد يحب بعض القراء أن يعرف بتعابير عامة حجم ذلك ،إن التغييرات يمكن تلخيصها كما يلي

في المقام الأول إن نتائج البحوث الجديدة قد أخذت في الحسبان •

وما زال كتاب « السعي وراء الفترة الألفية السعيدة «الكتاب الوحيد في موضوعه أعني حول تقاليد الألفيين الثوريين والفوضوية الصوفية كما تطورت في أوربا الغربية بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر • ولكن كانت هناك اسهامات جديدة كثيرة تتراوح بين المواد القصيرة والكتب الطويلة حول الظواهر الفردية ،وحلقات تلك القصة ،وبشكل خاص صورة تلك الديانة الغامضة ،أعني الروح الحرة ،التي ملأ فراغها جهود الأستاذ رومانا غارنيري Romana Guarnieri من روما ،وقد تضمنت هذه الجهود الكبيرة تعريف وتحقيق كتاب« مرآة الأرواح البسيطة «لمرغريت بوريت Marguerite porete ،وهو نص أساسي للروح الحره يتمم بشكل يثير الاعجاب نصوص رانتر Ranter المتأخرة عنها كثيرا ويشكل ملحقا للكتاب الحالي •

وقد انتج الأستاذ غارنديري أيضا طريقه التفهم والمعالجة الأقرب التي لم يحدث مثلها حتى الآن لتشكل تاريخا كاملا للديانة في ايطاليا كما في شمال ووسط أوروبا ومعرفتنا بالثابوريث البكارتي Pakarti والاداميت Adamites في بوهيميا قد تعمقت بصورة مماثلة ليس فقط بسبب التدفق المستمر للدراسات الماركسية التي انبثقت من تشيكوسلوفاكيا ،بل أيضا بالسلسلة المؤثرة والمنورة من المواد التي أضافها العالم الامريكي الأستاذ هوارد كمنسكي Houard Kaminsky ودمجت الاضافات الكبيرة للمعرفة الى جانب كثير من المعارف الصغيرة في الفصول ذات العلاقة من هذا الكتاب •

وحيث ان السعي وراء الفترة الألفية السعيدة لم يقصد به أبدا أن يكون تاريخا عاما للانشقاق الديني او الهرطقة في العصور الوسطى ،فإن معظم البحوث الجديدة في هذا المجال – وهي كثيرة – تترك المجادلة فيها دون مساس ،ومع ذلك فهي تجربة مثيرة للتفكير ان يقرأ مثل هذا المجال الواسع من الكتب الموثوقة مثل« الانشقاق والاصلاح في العصور الوسطى » الذي وضعه الأستاذ جفري روسل Jeffrey russell « والهرطقة في اواخر العصور الوسطى »الذي وضعه الأستاذ غوردون ليف Gordonleff و« الاصلاح الجذري » الذي وضعه الأستاذ جورج وليمز وما من واحد من هذه الكتب لايتراكب مع السعي وراء الفترة الألفية السعيدة في أكثر من فصلين ،ولكنها فيما بينها تقدم تاريخا فخما للانشقاق يمتد من القرن الثامن الى السادس عشر ، وبالنظر اليها في هذا المحيط الأوسع فإن الطوائف والحركات الموصوفة في هذا المجلد تبدو بوضوح أكثر كحركات استثنائية وبالغة التطرف في تاريخ الانشقاق الديني ،وهي تشكل الجناح المفرط في فوضويته ، وتوضح هذه المقدمة غرابتها في حين أن الفصل الجديد(٢) يظهر كيف انها تتواءم مع الصورة الأكبر •

وكان التركيب الاجتماعي لهذه الطوائف والحركات والمحيط

الاجتماعي الذي عملت فيه قد جرى تبيانه بشكل واف في الطبعة الأولى ،وثبت أنه لاضرورة لاجراء اي تغيير في هذا المجال •
وربما يتسنى للمؤرخين الاقتصاديين بالبحث المفصل في الحالات الفردية ان يسلطوا ضوءا اكثر ،ولكن لايتوقع بالتأكيد شيء من التبادل الجاري للتعميم العقائدي بين المؤرخين الماركسيين وغير الماركسيين للهرطقة •

فلا شيء مثلا يمكن أن يكون أكثر عقما من المناقشة بين مؤرخين معينين في غرب وشرق المانيا حول ما إذا كانت الهرطقة يمكن أولا يمكن أن تفسر على انها احتجاج من المحرومين من المزايا ، لأن المتقدمين على مايبدو كانوا عاجزين عن تخيل كيف يمكن ان يأتي الانشقاق من الطبقات التي تتمتع بالمزايا ، وأفضل وقاية من مثل هذا الافراط في التبسيط هو بعض المعرفة بعلم اجتماع الدين ، وبهذه التقوية لايحتمل أن يتخيل المرء أن كل هرطقة العصور الوسطى كانت من نوع واحد تعكس النوع نفسه من عدم الرضى وتروق للقطاعات نفسها من المجتمع •

وإلى المدى الذي يتعلق بالثوريين الالفيين فإن أهمية مضمونها الاجتماعي يظهر في فصل بعد أخر في هذا الكتاب ،ولكني ايضا حاولت تلخيصها بأوجز ما يمكن في الخاتمة ، والخاتمة في الواقع هي الجزء من الكتاب الذي جذب أغلب الاهتمام بين المجموع ، وخاصة أن كثرة التعليق الايجابي والسلبي قد اثارها الايحاء بأن القصة الواردة في هذا الكتاب قد يكون لها بعض العلاقة بالهيجان الثوري في فرنسا ، وقد نوقشت هذه الحجه مطولا ليس فقط في النظرة العامة والمواد ،بل ايضا وبشكل اكثر افادة في المناقشات العفوية في الجامعات البريطانية وفي القارتين الأوربية والأمريكية ، حيث أني مازلت مقتنعا بأن الحجة صالحة ، فإني اعتقد انها تطلبت توضيحا اكثر ايجازا وإيضاحا ، وقد حاولت ذلك في الخاتمة الجديدة •

وأخيرا إن المصادر والمراجع القديمة التي كانت تاريخية محضة قد

روجعت لتشمل الاعمال التاريخية التي ظهرت منذ تمت كتابة النسخة الأصلية من الكتاب ،وهي معلمة بعلامة نجمية ،ولكن السعي وراء الفترة الألفية السعيدة هو ملك للدراسة المقارنة للفترة الألفية بالدرجة نفسها على الأقل التي لدراسة تاريخ العصور الوسطى ، وفي ذلك المجال ايضا إن تقدما كبيرا جدا قد حدث في السنوات الأخيرة وقد اردفت ثبت المراجع والمصادر بنخبة من أسماء الكتب الجديدة والآراء ،معظمها يتعلق بمعتقدات الجنس البشري وعاداته وبالنواحي الاجتماعية ، وكثير من هذه في ذاتها ، تحوي مصادر اكثر تمكن القارىء المهتم من الاستكشاف الى مدى أبعد في هذا الحقل الصعب ، وذي الأهمية الحيوية مع ذلك •

جامعة سسكس ن • ك

شباط ١٩٦٩

تقديم

مجال هذا الكتاب

لقد كان المعنى الأصلي « للألفية » ضيقا ودقيقا ، وكان للمسيحية دائما إيمان بالأخرويات (البعث والحساب)بمعنى المذهب المتعلق (بالأزمنة الأخيرة) أو (الأيام الأخيرة)أو (الحالة الأخيرة للعالم) وكانت الألفية المسيحية ببساطة أمرا يختلف عن الايمان المسيحي بالأخرويات وهي تشير الى الاعتقاد الذي يحمله بعض المسيحيين حول سلطة سفر رؤيا يوحنا(٢٠ - ٤_٦) أنه بعد المجيء الثاني للمسيح سيقيم مملكه مسيحية على الأرض وسيحكمها لمدة الف عام قبل الحساب ، وطبقا لسفر رؤيا يوحنا سيكون مواطنوا هذه المملكة من شهداء المسيحية الذين سيبعثون لهذه الغاية قبل ألف سنة من البعث العام للموتى ، ولكن المسيحيين القدماء فسروا بالفعل هذا الجزء من النبوءة بمعنى متحرر أكثر منه حرفي ،ساووا فيه بين الشهداء والمؤمنين الذين يعانون _ بمعنى انفسهم - وتوقعوا المجيء الثاني في حياتهم ، وفي السنوات الأخيرة أصبح شائعا بين علماء أعراف وعادات ومعتقدات الانسان ،وعلماء الاجتماع وإلى حد ما بين المؤرخين أيضا استعمال الألفية بمعنى أكثر تحررا ، واصبحت الكلمة في الواقع ببساطة عنوانا موائما لنمط معين من الخلاص وهذه هي الطريقة التي ستستعمل بها في هذا الكتاب ٠

وتصور طوائف او حركات الألفية دائما الخلاص بـ :

أ _ جماعي : بمعنى انه يستمتع به المؤمنون بشكل جماعي ٠

ب _ أرضي : بمعنى انه سيتحقق على هذه الأرض وليس في أي سماء عالمية أخرى ٠

ج _ وشيك : بمعنى انه سيأتي سريعا وفجأة ٠

د ـ جملة : بمعنى أنه يحول كلية الحياة على الأرض حتى أن الشريعة الجديدة لن تكون مجرد تحسين للحاضربل الكمال نفسه •
هـ ـ معجزا : بمعنى أنه سينجز بعوامل خارقة للطبيعة أو بمساعدتها •

وحتى ضمن هذه الحدود هناك بالطبع مجال لتنوع غير محدود (ص ١٤) وهناك طرائق ممكنة لاحصر لها لتخيل الفترة الألفية والطريق إليها • واختلفت الطوائف والحركات الألفية في المواقف من العدوانية الأكثر عنفا الى الأخف سلمية ، ومن الروحانية الأكثر رقة الى المادية الدنيوية الراسخة ، وقد اختلفت أيضا بدرجة كبيرة في التركيب الاجتماعي والوظيفة الاجتماعية •

وكان هناك بالتأكيد تنوع كبير بين الطوائف الألفية والحركات في اوربا العصور الوسطى ففي أحد الأطراف كان هناك ما يدعى « الروحانيون الفرنسيسكان » الذين ازدهروا في القرن الثالث عشر ، وقد جاء هؤلاء النساك الزاهدون الأقوياء بشكل رئيس من خليط من العائلات النبيلة والمشتغلة بالتجارة التي شكلت الطبقة المهيمنة في المدن الايطالية ، وكان العديد منهما يتخلى عن ثرواته ليصبح أفقر من أي شحاذ ، وفي تخيلاتهم كانت الفترة الألفية تعني عصرا للروح حيث يتوطد الجنس البشري كله في الصلاة ،والتأمل الصوفي والفقر الارادي •

وفي الطرف الأخر كانت الطوائف الألفية المختلفة والحركات التي تطورت بين الفقراء الذين لاأصل لهم في المدن والريف ، وكان فقر هؤلاء الناس اي شيء إلا أن نقول تطوعيا ، وكان نصيبهم عدم الأمن الشديد القاسي ، وكانت الفيتهم عنيفة فوضوية ، وفي بعض الأحيان ثورية فعلا.

ويعالج هذا الكتاب الالفية التي ازدهرت بين الفقراء الذين بلا جذور في اوربا الغربية فيما بين القرن الحادي عشر والقرن السادس عشر ، والظروف التي شجعت عليها ، ولكن إذا كان هذا هو

الموضوع الرئيس فهو ليس الوحيد ، لأن الفقراء لم يوجدوا عقائدهم الألفية الخاصة وإنما تلقوها ممن كانوا أنبياء أو مخلصين ،وهؤلاء الناس كان العديد منهم أعضاء سالفين في الكهنوت الأدنى ، وبدورهم أخذوا أفكارهم من أكثر المصادر تنوعا ، وكانت بعض التخيلات الألفية موروثة من اليهود والمسيحيين الأوائل ، والأخرى من راعي دير رهبان القرن الثاني عشر يواكيم أوف فيور Joaachim of Fior وكان بعضها ثانية متصلا بالبدع الباطنية الموروثة المعروفة بأخوة الروح الحرة ، وسيفحص هذا الكتاب كلا من كيفية نشوء الهياكل الأساسية لهذه المعتقدات الألفية المختلفة وكيف تبدلت خلال انتقالها الى الفقراء •

إن شعور القوة في عالم الألفيين وعالم القلق الاجتماعي إذن لم يتصادف بل تراكب ، وكثيرا ما حدث أن قطاعات معينة من الفقراء كانت في قبضة بعض « أنبياء »الألفية ، وعليه فان الرغبة العادية لدى الفقراء لتحسين الأحوال المادية لمعيشتهم أصبحت متمازجة مع متخيلات عالم تعاد ولادته في البراءة ، من خلال رؤيا لمذبحة ملحمة أخيرة ، وكانت الخيالات الشديدة تنسب وتربط بصور مختلفة باليهود أو الأغنياء الذين يبادون ، وبعدها سيقيم القديسون ـ أعني الفقراء ذوي العلاقة ـ مملكتهم ، وهي عالم بلا معاناة أو خطيئة(ص ١٥)•

وبفعل الالهام بمثل هذه التخيلات يختلف كثير من الناس الفقراء الذين يوظفون في المشروعات تماما عن الثائرين المعتادين من الفلاحين والحرفيين بأهدافهم المحلية المحدودة ، وستحاول خاتمة هذا الكتاب توضيح خصائص هذه الحركات الألفية لفقراء العصور الوسطى ، وسوف توحي أيضا بأنها في نواح معينة كانت نواة منذرة ببعض الحركات الثورية الكبيرة في القرن الحالي •

ولاتوجد دراسة أخرى شاملة لهذه الحركات التي تميزت بها القرون الوسطى ، هذا ولقيت الطوائف الدينية الأكثر تزمتا التي ظهرت واختفت عبر العصور الوسطى في الواقع اهتماما كبيرا ،

ولكن اهتماما اقل قد أعطي لقصة كيف انه حدث مـرات ومـرات في حالات سوء التوجيه الجماهيري والقلق أن المعتقدات التقليدية حول عصر ذهبي منتظر او مملكة للخلاص كانت تخدم كوسائل للطموحات الاجتماعية والخصـومات ، ومـع عدم وجـود نقص في الدراسـات الرائعة التي تعالج حلقات فـردية أو نواح ، بقيت القصـة ككل غير محكية ويهدف الكتاب الحالي عند هذا الحد الى ملء الفراغ •

ولفتح هذا المجال الذي لم يكتشف بدرجة كبيرة لزم تمشيط مئات عديدة مـن المصـادر الأصـلية في اللاتينية واليونانية والفـرنسية القديمة ، فرنسية القرن السادس عشر والمانية العصـور الوسـطى والقرن السادس عشر العـالية والدنيا منهـا واسـتغرق البحـث والكتابة إجمالا نحو عشر سنوات ، وبسبب ذلك فإنها بـدت طـويلة بدرجة كافية لأن اقرر على مضض أن أحد مـن التحـري في شـمال ووسط أوربا لا لأن عالم البحر المتوسط في العصور الوسـطى ليس لديه مشاهد باهرة بصورة مماثلة أو مساوية لتقـديمها ، ولكن لانه بدا لي ان البحث الاكثر شمولا جغرافيا أقل اهمية مما ينبغي بـذله من جهد ودقة يمكن أن اقوم بها بالنسبة للمنطقة المغطاة •

وقد توفرت المادة الخام من المصادر المعاصرة الكثيرة التنوع :
حوليات ،تقـارير ،تحقيق لمحققين ،وإدانات أطلقهـا البـابوات والأسـاقفة والمجـامع والأجهـزة الدينية ، والنشرات الهجـومية ، والرسائل وحتى الأشعار الغنائية ، ومعظم هذه المواد كان يصدرها رجال الدين الذين كانوا معادين للمعتقدات والحركات التـي تـولوا وصفها ، ولم يكن سهلا دائما معـرفة الاضـافات والتحـريف غير المقصود أو التشويه المقصود ، ولكن لحسن الحظ ان الجانب الآخر ايضا انتج نصوصا أدبية رئيسه ، نجـا كثير منهـا مـن الجهـود المتلرقة للسلطات المدنية والكنسية لتدميرها ، وعليه كان من الممكن مراجعة المصادر الاكليركية ليس فقط بمقابلتها ببعضها بعضا ، بل بمقابلتها ايضا مع البيانات المكتوبة لعدد ذي شأن من متنبيء الفترة الألفية(ص ١٦) والبيان المقدم هنا هو حصيلة عملية طويلة لجمع

ومقارنة وتقويم وإعادة تقدير حشد كبير من الأدلة ، وإذا كان بشكل رئيس بيانا غير متردد ، بسبب أن كل الشكوك الكبيرة تقريبا ، والأسئلة التي أثيرت أثناء سير العمل قد أجابت نفسها بنفسها قبل النهاية ، فإن الشكوك التي مازالت باقية قد اشير اليها بالطبع •

السعي وراء الفترة الألفية السعيدة

الفصل الأول

تقاليد نبوءة سفر الرؤيا

سفر الرؤيا اليهودي والمسيحي القديم :

لقد تجمعت المواد الخام المختلفة التي خرج منها الايمان الثوري بالأخرويات (ص ١٩) تدريجيا خلال أواخر العصور الوسطى وهي تتألف من مجموعة متنوعة من النبوءات الموروثة من العالم القديم ، وفي الأصل كانت كل هذه النبوءات من اختراع المجموعات الدينية اليهودية في البداية ، والمسيحية فيما بعد لتواسي نفسها وتدعمها عندما كانت تواجه بالتهديد أو بحقيقة الاضطهاد وإنه من الطبيعي بدرجة كافية أن أقدم هذه التنبوءات لابد قد انتجت من قبل اليهود،وما ميز اليهود بشكل قاطع عن الشعوب الأخرى من العالم القديم كان موقفهم من التاريخ ، وبشكل خاص تجاه دورهم فيه ، وكان اليهود ـ باستثناء الفرس إلى حد ما ـ وحدهم من قام بالجمع بين الايمان الراسخ باله واحد وبين الاعتقاد الذي لايقبل المساومة ولايهتز أنهم هم انفسهم كانوا الشعب المختار من قبل الرب الواحد ، وكانوا على الأقل منذ الخروج من مصر مقتنعين بأن إرادة يهوا مركزة على بني اسرائيل ، وأن بني إسرائيل وحدهم مكلفون بتحقيق هذه الارادة ، وكانوا على الاقل منذ أيام الأنبياء مقتنعين بان يهوا لم يكن مجرد إله وطني قوي بل الرب الواحد القادر للتاريخ ، والذي يتحكم بمصائركل الأمم ، وصحيح أن الاستنتاجات التي استمدها اليهود من معتقداتهم قد اختلفت بدرجة كبيرة كان هناك العديد ، مثل« أشعيا الثاني »، ممن شعروا بأن

الانتخاب الالهي فرض مسؤولية اخلاقية خاصة عليهم هي الالتـزام باظهار العدل والرحمة في تعـاملهم مـع كل الناس، وفي نظـرهم إن المهمـة الالهية المعينة لبني اسرائيل كانت تنوير غير اليهـود مـن الشعوب، وهكذا يحمل خلاص الرب الى أطـراف الأرض، ولكن الى جانب هذا التفسير الاخلاقي وجد تفسير آخر ، أصبح أكثر جاذبية، حيث خضع الحماس القديم الوطنية لصدمة وضغط الهزائم المتكررة والنفي والتشتيت ، وبشكل دقيق لأنهم كانوا متأكدين تماما من أنهم الشعب المختار، فإن اليهود مالوا الى الاستجابة للخطر والاضطهاد، والصعوبات بخيالات الانتصار الشامل والرخاء غير المحـدود الذي سيمنحه يهوا بقدرته الكلية لشـعبه المختـار عند اكتمـال الزمـان (ص ٢٠)

ويوجد في كتب النبوءات فقـرات ــ يعـود بعضـها الى القـرن الثامن ــ تتنبأ بأنه من خلال كارثة كونيه هائلة ، ستشرق فلسطين وستكون شيئا لايقـل عن عدن جـديدة ، جنة مسـتردة ،وبسـبب إهمالهم ليهوا إن الشعب المختار يجب ان يعاقب في الواقع بالمجاعة والطاعون ،والحرب والأسر ، وفي الواقع يجب ان يخضعوا لحساب دقيق وشديد لدرجة أنه سيحدث عزلا فظيعا عن الماضي المذنب ، ولابد ان يكون يوما بالفعل ليهوا ، هو يوم الغضب عندما تـظلم الشـمس والقمر والنجوم ، وتنطوي السموات معا وتهتز الأرض وقتها يجـب ان يكون هناك حساب فعلي عندما يصبح الكفار ــ هـم الذين عند بني اسرائيل لم يؤمنوا بالله ، وأيضا أعداء بني اسرائيل من الأمـم الوثنية ــ خاضعين للحساب ، وينبذوا إذا لم يدمروا كلية ولكن هذه ليست النهاية ، إن « البقية الناجية » من بني اسرائيل ستنجو مـن هذا العقاب ، ومن خلال هذه البقية سيتحقق الحلم الألهي ، وعندما يعود تجديد الأمة بهذا الشـكل وتنصـلح سـيتوقف يهـوا عن الانتقام ،ويصبح المنجي ، وستجتمع البقية الصالحة ــ معـا كمـا كان يعتقد مؤخرا ، مع الصالحين من الأموات الذين بعثوا الآن مرة أخرى في فلسطين ، وسيسكن يهوا بينهم كقاض وحاكم ، وسيحكم من قدس أعيد بناؤها ، وستصبح صهيون العاصمة الروحية للعـالم

إليها تسعى كل الأمم وسيكون عالم عدل ، يحتمي فيه الفقراء ، وعالم سلام وانسجام حيث تصبح الحيوانات الخطرة البرية اليفة وغير مؤذية • وسيسطع القمر كالشمس وسيزداد ضوء الشمس سبعة أضعاف ، وستصبح الصحاري والأراضي البور خصبة وجميلة ، وسيكون هناك وفرة في الماء والعلف للمواشي وللقطعان ، وسيكون للانسان هناك وفرة في القمح والنبيذ والسمك والفاكهة وستتكاثر القطعان بدرجة كبيرة ، وبالتحرر من المرض والحزن من كل نوع ، ومن عدم التكافؤ ، والعيش وفق قانون يهوا المكتوب الآن في قلوبهم ، سيعيش الشعب المختار في فرح وسرور •

وفي سفر الرؤيا الذي كان موجها الى المراتب الدنيا من السكان اليهود في صورة من الدعاية الوطنية إن النبرة أكثر بساطة واكثر تبجحا ، وهذا بالفعل مدهش في سفر الرؤيا القديم « الرؤيا »أو « الحلم » الذي يشغل الفصل السابع من كتاب دانيال الذي تم تاليفه في نحو عام ١٨٥ق • م في لحظة حرجة غريبة في التاريخ اليهودي ، ولأكثر من ثلاثة قرون منذ نهاية النفي البابلي تمتع يهود فلسطين بمعيار عادل من السلام والأمان في البداية تحت حكم الفرس وفيما بعد تحت البطالسة(ص ٢١)ولكن الحال تغير عندما انتقلت فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد الى ايدي الأسرة الحاكمة السلوقية السورية ـ اليونانية ، وكان اليهود انفسهم منقسمين بشكل مرير حيث أنه في حين تبنت الطبقات العليا بحماس الأخلاق والعادات اليونانية ، تعلق الشعب العادي بعزم أكبر بمعتقدات أبائهم ، وعندما بلغ تدخل الملك السلوقي انطيوخوس الرابع ابفانس ، نيابة عن الطرف الموالي لليونان الى حد منع كل الشعائر الدينية ، كان رد الفعل هو الثورة المكابية ، وفي الرؤيا في كتاب دانيال الذي تم تاليفه في أوج الثورة ، رمزت أربعة وحوش الى القوى العالمية الأربع المتوالية : البابليون ،الميديون(بدون تاريخ)، الفرس واليونان والأخيرة منها ستكون مخالفة لسائر كل الممالك ، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها وعندما دالت هذه

الامبراطورية بدورها ، فإن اسرائيل مشخصا بشكل « ابن الانسان »:

« جاء مع سحب السماوات ، وجاء الى الايام القديمة ۰۰۰۰
وهناك أعطي السيادة والتألق ومملكة تجعل كل الشعوب ۰
والأمم واللغات تخدمه ، إن سيادته ، سيادة دائمة لن تزول ۰
وعظمة المملكة تحت كل السماء أعطيت لشعب القديسيين الأعلين ۰۰۰۰ »

ويذهب هذا الى مدى ابعد مما ذهب اليه أي من الأنبياء فلأول مرة تخيلت مملكة المستقبل البهية وهي لاتضم ببساطة فلسطين بل العالم كله ۰

وهنا يمكن للمرء بالفعل أن يعرف نموذج ما سيحدث ، وهو سيبقى الخيال الرئيس للايمان الثوري بالاخرويات : يقع العالم تحت هيمنة قوة طاغية شريرة ذات تدمير غير محدود ـ وهي قوة علاوة على ذلك تتخيل على أنها ببساطة بشرية بل شياطنية ، وطغيان هذه القوة سيصبح عنيفا أكثر فأكثر ، وستصبح معاناة ضحاياها غير محتملة أكثر فأكثر ـ حتى تدق الساعة فجأة وعندها يكون قديسو الرب قادرين على النهوض لازالتها وعندها سيرث القديسون أنفسهم ، والناس المقدسون الذين كانوا حتى اليوم يتأوهون تحت نعال الظالمين سيرثون بدورهم السيادة على الأرض كلها وسيكون هذا أوج التاريخ ، ومملكة القديسيين لن تفوق فقط في بهائها كل الممالك القديمة بل لن يكون لها تال ، إنه بفضل هذا الخيال الجامح الذي مارسه سفر الرؤيا اليهودي والايمان بالاخرويات من خلال مشتقاته ، كان تأثير التخيل على غير القانعين والمخفقين في العصور التالية ـ واستمر هذا الفعل زمنا طويلا بعد أن نسي اليهود أنفسهم وجوده نفسه ۰

ومنذ أن تم ضم فلسطين من قبل بومبي في ٦٣ ق ۰ م حتى حرب ٦٦ ـ ٧٢ م(ص ٢٢) صاحب صراعات اليهود ضد

سادتهم الجدد ، الرومان وأثارها تـدفق مـن المقـاتلين الرؤويين ، وبدقة شغلت هذه الدعاية الموجهـة للشـعب العـادي دورا كبيرا في التخيلات المتعلقة بالمخلص الأخروي اي المسيح ، وهذا الخيال كان بالطبع قديما بالفعل ،إذ كان المخلص بالنسبة للأنبياء هو الذي عليه أن يحكم الشعب المختار في نهاية الزمـان ، وكان عادة هـو يهـوا نفسه ، وفي الديانة الشعبية من جهة اخرى يبدو ان المسيح المنتـظر قد شـغل دورا كبيرا منذ أن دخلت الأمـة في مـرحلة انحـدارها السياسي، وكان في الاصل يتخيل في صورة ملك حكيم بشكل خاص ، وعادل وقوي من نسل داود ، يقوم بـاستعادة الثـروات الوطنية • واصبح المسيح اكثر تفوقا على طبيعة البشر كلما اصـبحت الحـالة السياسية أكثر يأسا •

وفي رؤيا دانيال يبدو ابن الانسان الذي يظهر راكبا من السحاب انه يشخص بني اسرائيل ككل ، ولكن هنا بـالفعل ربمـا يكون قـد صور في صورة فرد فوق البشر ، وفي اسـفار الرؤيا لبـاروخ وعزرا التي تعود بـالاساس للقـرن الأول الميلادي ،الكائن فـوق البشري محقق بشكل لايقبل الجدل كرجل ، وملك محـارب مـوهوب بقـوى معجزة فريدة •

وفي عزرا يظهر المسيح كسبع يهوا ، الذي عندما يزأر فإن الآخـر واسوأ الوحوش - وهو الآن النسر الروماني - يتفجـر ملتهبـا ويستهلك ، ومرة اخرى ان ابن الانسان الذي يبيد أولا العـديد مـن الوثنيين بالنار والعواصف التي تخرج مع نفسه سـيجمع القبـائل العشرة التائهة من الأراضي الغريبة ويقيم في فلسـطين مملكة يمـكن فيها لاسرائيل الموحدة من جديد أن تزدهر في بهاء وسلام•

وطبقا لباروخ لابد ان يأتي زمان صعوبات رهيبة وظلم ،وهو زمـان الامبراطورية الأخيرة وهي الأسوأ أي الرومان ، وعندما يصل الشر الى أعظم وتيرة يأتي العدل ،ويظهر المسيح المنتظر ، وهو محـارب قوي سيهزم وسيطرد ويدمر جيوش الأعداء ، وسيأخذ قائد الرومان اسـيرا ويحضره مقيدا بـالسلاسل الى جبـل صـهيون حيث

يعدمه ،وسيقيم مملكة سوف تدوم حتى نهاية العالم ، وكل الأمم التي حكمت اسرائيل ستقع تحت السيف ، وبعض أعضاء الأمم الباقية ستخضع للشعب المختار ، وسيبدأ عصر النعيم الذي لايعرف الألم والمرض والموت في غير الأوان ، والعنف والنزاع والحاجة والجوع ، وفيه تعطي الأرض ثمارها بعشرات الالوف من الأضعاف ، لكن هل ستدوم هذه الجنة الأرضية الى الأبد أم لبضع قرون فقط الى حين استبدالها بمملكة عالمية أخرى ؟

لقد اختلفت الآراء حول هذا الأمر ، ولكن السؤال كان على أي حال مسألة أكاديمية ،وبشكل مؤقت أو أبدي إن مثل هذه المملكة كانت تستحق القتال من أجلها ، وأسفار الرؤيا هذه قد رسخت أنه بحلول مملكة القديسيين سيظهر المسيح المنتظر نفسه بصورة لاتقهر في الحرب ٠(ص ٢٣)٠

وكما تحت حكم الملوك الوكلاء ، أصبح الصراع مع روما مريرا أكثر فأكثر وأصبحت التخيلات المسانحية لدى كثير من اليهود شاغلا مستحوذا ، وطبقا ليوسف كانت بشكل رئيس اعتقادا في الحلول الوشيك لملك مسيحي ، ودفع هذا باليهود الى حرب انتحارية انتهت بالاستيلاء على القدس وتخريب المعبد في ٧٠ م ، وحتى سيمون بر ـ كوخبا الذي قاد الصراع الكبير من أجل الاستقلال الوطني في ١٣١م كان مايزال يحيى كمخلص منتظر ، ولكن القمع الدموي لهذه الثورة والقضاء على الوطنية السياسية وضع نهاية لكل من العقيدة الرؤوية ولرغبة اليهود في القتال ، ومع أنه في القرون التالية قام عدد من المسيحيين المزيفيين بين الجماعات المذشقة فإن ماقدموه كان مجرد إعادة ترتيب للبيت الوطني وليست إقامة امبراطورية عالمية رؤوية ، وعلاوة على ذلك فإنهم نادرا ما كانوا وراء ثورات مسلحة ، ولم يحدث هذا مطلقا بين اليهود الأوربيون ، ولم يعد اليهود بل المسيحيون هم الذين شرعوا يتوسعون في تقاليد نبوءات حلم دانيال ، وهم الذين استمروا على التعلق بها والاستلهام منها ٠

وباتت أفكار المسيح الذي عانى ،ومات والمملكة التي كانت روحية صرفة ، هذه الأفكار التي أصبحت فيما بعد تعد قلب العقيدة المسيحية ، أبعد من أن تكون مقبولة من قبل كل المسيحيين الأوائل ، ومنذ نلك الحين فإن المشكلة كما صيغت من قبل يوهانس وايس Johannes Weiss والبرت شويتزر Albert Shweitzer منذ نحو ستين سنة : كان الخبراء يتجادلون حول مدى تأثير تعاليم المسيح الخاصة بالرؤية اليهودية ، وإذا كانت هذه المسألة واقعة بعيدا خارج مجال الدراسة الحالية ، فإن بعض الأقوال التي تعزوها الاناجيل للمسيح تقع ضمنها بشكل واضح ،إن النبوءة التي احتفل بها والتي سجلها متى بالتأكيد ذات دلالة كبيرة وتبقى هامة سواء نطق بها المسيح حقا ، أو اعتقد انه فعل ذلك :« لأن ابن الانسان سيأتي في بهاء أبيه مع ملائكته ثم يكافىء كل انسان حسب اعماله ، وحقا أقول لكم سيكون هناك بعض التوقف هنا للذين لن يتذوقوا الموت حتى يروا ابن الانسان يأتي في مملكته »٠

وليس مدهشا أن عددا كبيرا من المسيحيين الأوائل فسروا هذه الأشياء بتعابير الايمان الرؤي بالأخرويات الذي كانوا بالفعل يألفونه ، ومثلهم مثل عدد كبير جدا من أجيال اليهود قبلهم رأوا التاريخ مقسما الى عصرين :أحدهما سالف والثاني لاحق للحلول المنتصر للمسيح ٠

حتى انهم كثيرا ما اشاروا الى العصر الثاني« بالأيام الأخيرة » او « العالم الآتي » وهذا لايعني أنهم كانوا يتوقعون نهاية سريعة مفاجئة وعنيفة لكل شيء بل على العكس فإنه لوقت طويل ٠ كانت اعداد من المسيحيين مقتنعين ليس فقط بأن المسيح سيعود بسرعة بقوة وعظمة بل ايضا انه عندما يعود فإن ذلك سيكون لاقامة المملكة المسيحية على الأرض(ص ٢٤) وكانوا يتوقعون بثقة مملكة تدوم ، سواء لالف من السنين أو لفترة غير محددة ، ومثل اليهود ، عانى المسيحيون من الاضطهاد واستجابوا له باثبات نشاط وقوة اكثر ، للعالم ولانفسهم ، وايمانهم بأن عصر المسيح

المنتظر وشيك ، حيث تصحح أخطاؤهم ويباد اعداؤهم ، وليست مدهشة الطريقة التي تخيلوا بها التحول العظيم الذي كان ايضا يدين بالكثير الى اسفار الرؤيا اليهودية ، التي كان لبعضها في الواقع انتشارا أوسع بين المسيحيين أكثر منه بين اليهود ،وفي السفر المعروف باسم« رؤيا يوحنا » تمتزج العناصر اليهودية والمسيحية في نبوءة أخروية ذات قوة شعرية كبيرة ، وهنا كما في كتاب دانيال ترمز عشرة وحوش رهيبة ذات قرون الى القوة العالمية الأخيرة وهي الآن الدولة الرومانية المضطهدة ، في حين ان وحشا أخر يرمز الى الكهنوت الروماني الاقليمي الذي طالب بتشريف الهي للامبراطور :

« ووقفت فوق رمل البحر ورايت وحشا طالعا من البحر وله عشرة قرون ٠ ٠ ٠ واعطي أن يصنع حربا مع القديسيين ويغلبهم ، واعطي سلطانا على كل قبيلة ولسان وامة ، فسيسجد له جميع الساكنين على الأرض ، الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة ٠ ٠ ٠ ٠ثم رايت وحشا أخر طالعا من الأرض ٠ ٠ ٠ ويصنع أيات عظيمة ٠ ٠ ٠ ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التي أعطي أن يصنعها ٠ ٠ ٠ ٠(ص ٢٥)٠

ثم رايت السماء مفتوحة ، وإذا فرس ، والجالس عليه يدعي امينا وصادقا ، وبالعدل يحكم ويحارب ٠ ٠ ٠ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزا ابيض ونقيا ، ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم٠ ٠ ٠ ٠

ورايت الوحش وملوك الأرض واجنادهم مجتمعين ليصنعوا حربا مع الجالس على الفرس ومع جنده ، فقبض على الوحش والنبي الكذاب مع الصانع قدامه الآيات التي بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش ، والذين سجدوا لصورته وطرح الأثنان حيين الى بحيرة النار المتقدة بالكبريت ، والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس ٠ ٠ ٠ وجميع الطيور شبعت من لحومهم ٠ ٠ ٠

ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع، ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ٠ ٠ ٠ فعاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة ٠ ٠ ٠ ٠ «وعند نهـايتها ـ الفتـرة الألفية بـالمعنى التـام للكلمة ـ تتبع هناك البعث العام للأموات والحساب الأخير عندمـا يكون الذين لم يوجدوا مكتوبين في كتاب الحياة قد طـرحوا في بحيرة النار ، وتهبط القدس الجديدة من السـماء لتـكون بيتـا وسـكنا للقديسين الى الأبد :

« ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة ، لان السماء الأولى والأرض الأولى مضتا ، والبحر لايوجد فيمـا بعـد ، وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجـديدة نازلة مـن السـماء مـن عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها ، وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا هـو ذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا ، والله نفسه يكون معهم إلها لهم وسيمسح الله كل دمعة من عيونهـم والموت لايكون فيما بعد ، ولايكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت ، وقال الجالس على العـرش : هـا أنا أصنع كل شيء جديدا ٠ ٠ وذهب بي بالروح الى جبـل عظيم عال وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السـماء مـن عند الله ، لها مجد الله ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بلوري »٠

وبذا كيف يمكن للناس اخذ هذه النبوءة بحرفيتها ، وبأي إشـارة محمومة ينتظرون تحقيقهـا في الحـركة المعـروفة بـالمونتانية ، وفي ١٤٦ م حدث في فريجيا أن رجلا مونتانيا أعلن نفسـه أنه تجسـيد للروح القدس « روح الحقيقة » وكان طبقا للكتاب الرابع من العهـد الجديد سيبشر بأشياء آتية ويبوح بهـا ، وجمـع حـوله عددا مـن المنجذبين وأغلبهم مأخوذ بالتجارب الرؤوية التي كانوا يعتقدون بثقة بأنها ذات منشأ رباني والتي أعطوها حتى اسم « العهـد الثـالث » وكان موضوع استنارتهم الروحية المجيء الوشـيك للمملكة : فقـد كانت القدس الجديدة على وشـك النزول مـن السـماء الى الأرض الفريجيانية حيث تصبح مسكنا للقديسين ، واسـتدعى المونتـانيون

طبقا لذلك كل المسيحيين الى فريجيا لينتظروا هناك المجيء الثاني بالصيام والصلاة والتوبة المريرة ٠

وكانت حركة متقشفة عنيفة ، متعطشة للمعاناة وحتى للشهادة ، لانه أو لم يكن الشهداء فوق الجميع هم الذين سيبقون في الجسد وسيكونون المسموح لهم بالعيش في الفترة الألفية السعيدة ؟ ولم يكن أي شيء موحيا بانتشار المونتانية بقدر هذا الاضطهاد نفسه ، ومنذ عام ١٧٧م وما يليه عندما اضطهد المسيحيون مرة أخرى في اقاليم كثيرة من الامبراطورية توقفت المونتانية فجأة عن أن تكون مجرد حركة محلية وامتدت طولا وعرضا ليس فقط عبر آسيا الصغرى بل الى افريقيا ، وروما وحتى الى بلاد الغال ، ومع أن المونتانيين لم يعودوا يتطلعون الى فريجيا ، فإن ثقتهم بالظهور الوشيك للقدس الجديدة لم يهتز ، وكان هذا صحيحا حتى عند تيرتوليان Tertullian أشهر علماء اللاهوت في الغرب في ذلك الوقت ، عندما انضم الى الحركة في السنوات الأولى من القرن الثالث حيث نجد تيرتوليان (ص ٢٦) يكتب عن معجزة عجيبة في فلسطين شوهدت مدينة مسورة في السماء في الصباح الباكر من كل يوم لمدة اربعين يوما وكانت تبهت مختفية مع تقدم النهار ، وكانت هذه علامة أكيدة على أن القدس السماوية على وشك النزول وكانت هذه هي الرؤيا نفسها التي كما سنرى تلهب وتمتن مقاومة حشود الشعوب الصليبية وهي تكدح نحو القدس بعد ذلك بنحو تسعة قرون ٠

وفي توقع المجيء الثاني من يوم لآخر واسبوع لآخر كان المونتانيون يتبعون خطوات العديد من ، وربما أغلب المسيحيين الأوائل ، وحتى« كتاب الوحي » كان يتوقع حدوثها« قريبا » وبحلول منتصف القرن الثاني كان هذا الموقف قد أصبح نوعا ما غير عادي فقد كانت الرسالة الثانية لبطرس التي كتبت في نحو ١٥٠م مترددة :

فمن الرأفة قد يتمهل المسيح« حتى يعود الجميع الى التوبة » وفي

الوقت نفسه بدأت عملية بها حرمت اسفار الرؤيا المسيحية من النفوذ الذي كانت حتى الآن تتمتع به بشكل قانوني ، الى حد انه لم ينج سوى كتاب الرؤيا وذلك فقط بسبب انه نسب خطأ الى القديس يوحنا ومع ذلك إنه وإن اعتقدت أعداد متزايدة من المسيحيين بأن الفترة الألفية بعيدة وليست حدثا وشيكا فإن العديد كانوا وما يزالون قانعين انها ستأتي عند أكتمال الزمان.

ورسخ جوستين الشهيد Justin الذي لم يكن بالتأكيد مونتانيا هذه النقطة بوضوح كاف في حوار مع اليهودي تريفو Trypho ، وجعل هناك محاوره اليهودي يسأل : هل انتم معشر المسيحيين تتمسكون حقا بأن هذا المكان« القدس » سيبنى مرة أخرى وهل تعتقدون حقا أن شعبكم سيجتمع هنا في بهجة تحت حكم المسيح مع البطاركة والأنبياء ؟

و اجابه جوستين إنه في حين أن هذا ليس موقف جميع المسيحيين الحقيقيين ، فهم لايحملون هذه القناعة ، إنه هو وعدد كبير غيره متحدون في الايمان الواثق بأن القديسين سيعيشون حقا الف عام في قدس معادة البناء مزينة وموسعة ، وسواء اكانت نائية أم وشيكة ، إن مملكة القديسين يمكن بلا شك تصورها بطرق كثيرة مختلفة تتراوح من الاكثر مادية الى الاكثر روحانية ، ولكن بالتأكيد كانت تخيلات العديد حتى بين المتعلمين على اعلى مستوى من المسيحيين مادية بدرجة كافية ويقدم عينة قديمة من هذه التخيلات« الأب الرسولي » بابياس Papias ، الذي يحتمل أنه ولد في نحو ٦٠ م ، والذي ربما يكون قد جلس عند قدمي القديس يوحنا وكان هذا الفريجيني رجل علم ، أوقف نفسه على حفظ الروايات الأولى عن دعوة المسيح ، ومع أن النبوءة الألفية التي يعزوها الى المسيح منحولة وغير منطقية - فإن نظائر لها موجودة في مختلف اسفار الرؤيا اليهودية مثل باروخ - ومن الاهمية بقدر كبير تبيان معدل ما توقعه بعض المتعلمين من المسيحيين المخلصين من فترة ما بعد

الحواريين ، وفوق ذلك ما اعتقدوه أن المسيح نفسه قد توقعه :(ص ٢٧)

« ستأتي الأيام وفيها ستظهر الكروم ولكل منها عشرة آلاف غصن وعلى كل غصن ، عشرة آلاف فرع ، وعلى كل فرع حقيقي عشرة الاف عنق على كل منها عشرة الاف عنقود ، وفي كل عنقود عشرة الاف عنبة وكل عنبة تعطي خمس وعشرون « ميتريتا » من النبيذ ،وعندما يمسك احد القديسين بعنقود، سيصيح عنقودا أخر انا عنقود افضل خذني واحمد الرب من خلالي ، ومثل ذلك(قال الرب)إن حبة من القمح ستحمل عشرة الاف سنبلة ، وكل سنبلة بها عشرة الاف حبة ، وكل حبة تعطي عشرة أرطال من أنقى الدقيق ، نظيف وصاف ، والتفاح والبذور والعشب ستعطي بنسب مماثلة ، وكل الحيوانات ستتغذى فقط على ما ستأخذه من الأرض وستكون مسالمة وودودة لبعضها وخاضعة تماما للانسان.إن هذه الامور قابلة للتصديق الآن من المؤمنين ، وسأل يهوذا لكونه كافرا خائنا :كيف يمكن لمثل هذا النمو أن يتم من قبل الرب ؟ ولكن الرب اجاب سيرى هذا الذين سيصلون الى هذه الأزمنة ».

وحمل ارنيوس Iranueus الذي كان أيضا من اهالي اسيا الصغرى هذه النبوءات معه عندما جاء ليستوطن في بلاد الغال في نحو نهاية القرن الثاني.

وكأسقف لمدينة ليون وعالم لاهوت بارز يحتمل أن يكون قد فعل اكثر من أي إنسان آخر لترسيخ التصور الالفي في الغرب ، وتشكل الفصول الختامية لرسالته الكبيرة« ضد الهرطقة » مقتطفات أدبية مختارة شاملة حول المسيحية المنتظرة والنبوءات الألفية التي انتخبت من العهدين القديم والجديد« وتتضمن ايضا فقرة من بابياس »، وفي راي ارنيوس إنه جزء لازم من الارثوذكسية أن هذه الأشياء ستأتي في الواقع للمرء بهذه الأرض من اجل منفعة كل من الموتى الصالحين الذين سيبعثون ، والصالحين من الأحياء ، ويظهر

السـبب الذي يعـطيه لاقتناعه ان الجـزء الذي تشـغله التخيلات المعوضة ليس أصغر مما كان عليه في أيام رؤيا دانيال :

« حيث أنه حق انه في هذه الخليقة التي كدحـوا فيهـا وابتلوا أو امتحنوا بكل طريقة بالمعاناة، انهـم يجـب أن يلقـوا الجـزاء عن معاناتهم ، وإنه في هذه الخليقة التي قتلوا فيها من اجل محبـة الرب يجب أن يحيوا مرة أخرى ، وإنه في هذه الخليقة التي تحملوا فيهـا العبودية يجب أيضا أن يحكموا، ولأن الله غني في كل شيء وكل شيء له ، إنه من الموائم بناء عليه ان تستعاد الخليقة نفسها الى حـالتها البدائية ، وأن تـكون دون تـأهيل تحـت سـيادة الصالحين • • • • ».

وكان النمط لايزال هو نفسه في القـرن الرابـع عندمـا بـدأ لاكتانيتوس البليغ Lactontius في كسب المتحـولين الى المسـيحية ، فلم يتردد في تقوية جذب الفترة الألفية السعيدة بما يتعلق بـالانتقام الدموي من الفاسدين(ص ٢٨):

« لكن الرجل المجنون (المسـيح الدجـال) سـيقود وهـو يغلي بغضب حقود جيشا ويحاصر الجبـل الذي لجـأ إليه الصـالحون ، وعندما يرون أنهم قد حوصروا سيصيحون بصوت مرتفع طالبا لمعونة الرب وسيسمعهم الرب وسيرسل لهم محررا ، ثـم تنفتـح السـماء بعاصفة ويهبط المسيح بقوة عظيمة يتقـدمه سـطوع ناري وحشـد لاحصر له من الملائكة ، وكل هذه الجموع الكثيرة غير المؤمنة بـالرب ستباد وستتدفق سيول من الدم• • • وعندها يحل السلام ويقمـع كل شر ، سـيقوم الملك الصـالح المنتصر بحسـاب عظيم على أرض الاحياء والأموات وسوف يحيل كل الوثنيين من الناس للسخرة تحت إمرة الصالحين الذين هم أحياء ، وسيرفع الصالحين من الأمـوات الى الحياة الأبدية، وهو نفسه سيحكم معهم على الأرض وسيؤسس المدينة المقدسة ، ومملكة الصالحين هذه سـتدوم الف عام، وخـلال هذا الوقت ستكون النجوم أكثر سطوعا ، وسيزداد سطوع الشمس

ولن يتناقص أو ينمحق القمر ، وسينزل مطر البـركة مـن عند الرب صباحا ومساء، وستحمل الأرض كل الثمار دون جهد من الانسـان والعسل بوفرة سـيقطر مـن الصـخور وسـتنفجر ينابيع الحليب والنبيذ ، وستدع وحوش الغابات توحشها وتصبح اليفة ٠ ٠ ٠ولن يعيش أي حيوان مفترس بعد ذلك على سـفك الدمـاء فسـيمد الله الجميع بطعام وافر غير أثم »

وعلى صفحات الكومودیانوس Commodis nus بلور شاعر لاتيني من الطبقة الدنيا(ربما)في القرن الخامس التخيلات المعتادة للنصر والانتقام في حث على حمل السلاح والقتال مفاجيء ، فكان أول نذير للالفية الصليبية التي قدر لها أن تتفجر في اوروبا في أواخر العصور الوسطى ، حيث طبقا للكومودیانوس عندما يعود المسـيح سـيكون على رأس جيش ليس من الملائكة ، بل من نسـل الأسـباط العشرة التائهة من بني اسرائيل الذين بقوا في أماكن خفية غير معروفة لبقية العـالم ، وعرض« هؤلاء الناس الأخيرون المقـدسون » كمجتمـع فاضل وحيد لايعـرف شـيئا عن الكراهية والخـداع أو الشـهوة ، ويحمل كراهيته لسفك الدماء الى حد النباتية ، إنه ايضـا مجتمـع مؤيد من الرب لأن لديه مناعة تامة ضد التعب ، والمرض والموت قبل الأوان ، والآن يسرع هذا الحشد لتحرير القدس« الأم الأسـيرة » « وهم سيحضرون مع ملك السـماء ٠٠٠٠ وسـتبتهج كل الخليقـة لرؤية الشعب السماوي ، فتسطح الجبال نفسها أمامهم وسـتتفجر الينابيع على طول طريقهم ، وسـتنحني السـحب لحمـايتهم مـن الشمس، ولكن هؤلاء القـديسين سـيكونون محـاربين ضـاريين، لايقاومون في الحرب ، غاضبون كالأسـود يخـربون الأراضي التـي يعبرونها ويهـزمون الأمـم ويدمـرون المدن ، وبإذن الرب يغنمـون الذهب والفضة وينشدون التراتيل للأفضال التي تغمرهم ، ويهـرب المسيح الدجال في خوف الى الأجزاء الشـمالية(ص ٢٩) ويعـود على رأس جيش من الأتباع الذين من الواضـح أنهـم أولئك الناس الخرافيين المخيفيين الذين يعرفون بشكل جمـاعي بـاسم يأجـوج ومأجوج ، والذين يقال إن الاسكندر الأكبـر قـد سـجنهم في أقصى

الشمال ، غير أن المسيح الدجال سيهزم على يد ملائكة الرب وسيطرح في الجحيم •

وسيحول قادته ليصبحوا عبيدا للناس المقدسين ، وهم الناجون القلائل من الحساب الأخير ، وبالنسبة للناس المقدسين انفسهم ، فإنهم سيعيشون الى الأبد في القدس المقدسة خالدين لايهزمون ويتزوجون وينجبون ولايصابون بالمطر أو البرد في حين أن كل ما هو لهم أرض مجددة الشباب الى الأبد تصب ثمارها »•

التقاليد الرؤوية في اوربا العصور الوسطى

راى القرن الثالث المحاولة الأولى لتكذيب الالفية ، عندما بدا أوريجن Origen ، ربما الأكثر نفوذا بين كل علماء اللاهوت في الكنيسة القديمة بتصوير المملكة كحدث يمكن أن يقع لافي المكان ولا في الزمان بل فقط في نفوس المؤمنين ، وبشكل جماعي استبدل أوريجن إيمان الالفيين بالاخرويات بإيمان اخروي بالروح الفردية ، والذي حرك روحه المتعمقة في الخيال الهلنستي ، كان مظهر الرقي الروحي الذي بدأ في هذا العالم ليستمر في العالم الآخر ، ولهذا الموضوع شرع علماء اللاهوت من الآن فصاعدا يعطون اهتماما متزايدا ، وبات مثل هذا التحول في الاهتمام في الواقع موائما بشكل مثير للاعجاب لما اصبح الان كنيسة منظمة تتمتع بسلام غير منقطع تقريبا ، وموقف معترف به في العالم ، وعندما بلغت المسيحية في القرن الرابع موقعا ساميا في عالم البحر المتوسط ، واصبحت الديانة الرسمية للامبراطورية ، أصبح الرفض الكنسي للالفية مؤكدا ، واصبحت الكنيسة الكاثوليكية الان مؤسسة قوية مزدهرة ، تعمل وفق روتين راسخ تماما ، ولم يكن لدى الرجال المسؤولين عن إدارتها رغبة في رؤية المسيحيين يتعلقون باحلام عتيقة وغير موائمة

عن جنة ارضية جديدة ، وفي وقت مبكر من القـرن الخـامس قـدم القديس أوغسطين المذهب الذي تطلبته الظروف الجديدة .

وطبقا لما جاء في كتاب « مـدينة الرب » كان ينبغـي فهـم سـفر الرؤيا كرمز روحي ، وبالنسبة للالفية التي بدأت مع مولد المسـيحية وفهمت تماما في الكنيسـة ، اصـبحت هـذه على الفـور عقيدة ارثـوذكسية ، والآن إن الحقيقـة المؤكدة هـي ان ارنيوس البـارز والمحترم قد يكون عدّ مثل هذا الاعتقـاد جـزءا لازمـا مـن الارثوذكسية ، شعر انه لايمكن التغاضي عنه وبذلت جهود مصـممة لطمس الفصول الالفية من بحثه ضد الهرطقة ، وبمفعول جيد ، حتى انها قد اكتشفت فقط في عام ١٥٧٥ في مخطوط حدث أن المنقحين قد غفلوا عنه . (ص ٣٠)

ومع ذلك ينبغـي ان لايقلل مـن اهمية التقـاليد الرؤوية مـع أن المذهب الرسمي لم يعد فيه مكان لها ، فلقد بقيت في العالم السـفلى المظلم للديانة الشعبية الشائعة ، وبفضل التقـاليد أصـبحت فـكرة القديسين من ذوي المستوى الأعلى منتشرة على نطاق واسع بالقوة نفسها في بعض الدوائر المسيحية كما كانت دائما بين اليهود ، مـع انه منذ أن أدعت المسيحية بـأنها دين عالمي لم تعـد تفسر بـالمعنى الوطني ، وفي المسيحية الرؤوية بقيت تخيلات الانتخـاب الالهـي ، واحييت ، واصبحت الاساس في الادب الذي دشن بسفر الرؤيا الذي شجع المسيحيين على أن يروا أنفسـهم كشـعب مختـار مـن الرب ــ واختير كلاهما من اجـل إعداد الطـريق لاجـل ولوراثـة الالفيين ، وكان لهذه الفكرة جانبية كبيرة حتى أن أي إدانة رسمية لم تكن لتمنع ظهورها مرات ومرات في عقول المحرومين من المزايا ، والمسحوقين ، وذوي التوجيه السيء وغير المتوازنين ، وقد اظهـرت الكنيسة المؤسساتية في الواقع مهارة بالغة في التحكم في ، وفي توجيه الطاقات الانفعالية للمؤمنين وبشـكل خـاص في تـوجيه الآمـال والمخاوف بعيدا عن هذه الحياة نحو الحياة الاخرى ، ولكن مـع أن جهودها كانت ناجحة بشكل طبيعي .

إنها لم تكن كذلك بصورة دائمة ، وبشكل خاص في أوقات عدم الثقة العامة أو القلق حيث يكون الشعب دائما عرضة للتحول إلى سفر الرؤيا والحواشي التي لاحصر لها عليه ، وإلى جانب ذلك ظهر تدريجيا موضوع آخر له تأثير مساو للكتابات الرؤوية التي اصبحت تعرف الآن باسم وسطاء الوحي « السبلينيون » في العصور الوسطى .

وتضمنت الرؤى اليهودية الهلنستية بعض الكتب التي ادعت مثل الكتب السبلينية الشهيرة المحفوظة في روما ، أنها تسجل اقوال نبيات ملهمات ، وفي الواقع إن هذه « الهواتف » المكتوبة بتفاعيل سداسية يونانية ، كانت انتاجا أدبيا يرمي إلى تحويل الوثنيين إلى اليهودية ، والتي كانت في الواقع تتمتع برواج عظيم بينهم ، وعند الاهتداء إلى الدين الجديد بدأ المسيحيون بدورهم في اقرار نبوءات سبلينية وهنا استمدوا الكثير واعتمدوا على السبلين اليهودي ، وما برح هذا الادب النبوئي الجديد يعرف مخلصا أخرويا واحدا هو المسيح المحارب كما ظهر في سفر الرؤيا ، ولكن منذ الاسكندر الأكبر كان العالم اليوناني ـ الروماني قد تعود على تأليه ملوكه او تعظيمهم حتى العبادة ، وكان هناك ملوك هلنستيون ممن حملوا لقب « المخلص » واباطرة رومان ممن منحوا القاب تشريف الهية في حياتهم وعليه لم يكن من المدهش أنه حالما وحدت المسيحية قواتها مع الامبراطورية ، بات على السبلين المسيحي ان يحيي الامبراطور قسطنين على أنه الملك المسيحي المنتظر (ص ٣١) وبعد موت قسطنطين استمر السبلين في ربط اهمية اخروية بشخص الامبراطور الروماني وبفضلهم ازدوجت تخيلات المسيحيين لاكثر من الف سنة حول صورة المسيح المحارب وتضاعفت باخر هو امبراطور الايام الاخيرة .

وكان اقدم سبلين معروف لاوروبا العصور الوسطى هي التبوريتنا التي تعود بصورتها المسيحية الى اواسط القرن الرابع من ٣٤٠ ـ ٣٥٠ م ، ووقتها كانت الامبراطورية مقسمة بين

الابنين الباقيين لقسطنطين :كونستانس الاول الذي حكم في الغــرب وكونستانتيوس الثاني الذي حكم في الشرق ، وكان الجدل الاريوسي في اوجه ، وبينما كان كونستانس مؤيدا قويا مخلصا للعقيدة وحاميا لاثناســيوس – كان كونســتانتيوس ميالا للاسس الســياسية اكثر منه للاسس الدينية – ومؤيدا للطــرف الاريوسي ، وفي ٣٥٠ م قتل كونستانس الذي ثبت انه حاكم فاسد شرير على أيدي قــواته ، واصبح كونستانتيوس الحــاكم الوحيد للامبــراطورية ، ويعــكس السبلين التبور تيني ردود فعل الكاثوليك تجاه هــذه العقبــة ، فهــو يتحدث عن « زمان الاحزان » ، عندما تقع روما في الاسر ويضــطهد الطغاة الفقــراء والابــرياء ويحمــون المذنبين ، ولكن يأتــي حينئذ إمبراطور يوناني يدعى كونستانس يوحد النصفين الغربي والشرقي من الامبراطورية تحت حكمه .

وبحضور مسيطر حكم كونستانس الطويل ، ذا الجسم المتناسب والوجه المتــلألىء الجميل ١١٢ (او ١٢٠) ســنة ، وكان عصره عصر وفرة : زيت ، نبيذ ، قمح ، مواد متــوفرة ورخيصــة ، وهــو ايضا عصر سيرى النصر النهائي للمسيحية ، فالامبراطور ســيدمر تدميرا تاما مدن الوثنيين ، وسيدمر معابد الالهــة المزيفــة ، وهــو سيستدعي الوثنيين انفســهم للتعميد المســيحي ، والوثنيون الذين سيرفضون التحول يجب أن يموتوا بــالسيف ، وفي نهــاية الحــكم الطويل سيتحول اليهود ايضا ، وعندما يحــدث ذلك ، يضيء الضريح المقدس في بهاء وسيتحلل الاثنى عشر شعب لياجوج ومــاجوج مــن قيودهم ، وهم بكثرة رمال البحر ، ولكن الامبراطور يحشد جيشــه ويبيدهم ، وما أن تنتهي مهمته سيرحل الامبــراطور الى القــدس ، ليضع هناك التاج الامبــراطوري والاردية على الجلجلة ، ومــن ثــم يسلم العــالم النصراني لعناية الرب ، وبلغ العصر الذهبــي ومعــه الامبراطورية الرومانية النهاية ، ولكن قبل نهاية كل شيء يبقى وقت قصير للابتلاء ، حيث يظهر الآن المسيح الدجال ويحكم في المعبــد في القدس ، ويخدع العــديد بمعجــزاته ويضــطهد الذين لايســـتطيع خداعهم ، ومن اجل المختار سيقصر الرب هــذه الايام ، وســيرسل

الملاك الكبير ميكائيل ليدمر الدجال ، وفي النهاية سينفتح السبيل امام المجيء الثاني ليحل . (ص . ٣٢).

ويلوح شخص امبراطور الايام الأخيرة الذي قدم للمرة الاولى من قبل التبورتينا انه أكبر منه في السبلين المعروف باسم « المنهج الكاذب » والنبوءة التي كانت متذكرة ، كعمل لأسقف القرن الرابع الشهيد ميثاديوس أسقف البتراء كانت في الحقيقة قد صنفت في حوالي نهاية القرن السابع ، وكان هدفها الاساسي ايجاد تعزية للمسيحيين السوريين في وضعهم الصعب غير المألوف كأقلية تحت الحكم الاسلامي ، وهو يبدأ بمسح لتاريخ العالم من جنة عدن الى الاسكندر، ثم يمر في مجلد واحد بزمن المؤلف نفسه ، وتحت مظهر التنبؤ بأشياء ستحدث يصف كيف أن الاسماعيليين الذين هزمهم جدعون مرة ودفع بهم للعودة الى صحاريهم عادوا وعاشوا في الاراضي من مصر الى اثيوبيا ، ومن الفرات الى الهند ، والمسيحيون سيعاقبون على خطاياهم باخضاعهم بعض الوقت من قبل هذه القبائل البدوية التي ترمز بالطبع الى الجيوش الاسلامية الفاتحة ويقتل الاسماعيليون الكهنة المسيحيين ، وينتهكون حرمة الأماكن المقدسة ، وبالقوة أو الخداع يغررون بالعديد من المسيحيين ويحرفونهم عن العقيدة الصحيحة، ويأخذون من المسيحيين قطعة من الأرض بعد قطعة ويتفاخرون بأن المسيحيين قد سقطوا في أيديهم الى الأبد •

ولكن ــ وهنا تغامر النبوءة حقا للمرة الأولى في توقعات المستقبل ما أن تصبح الحالة سيئة أكثر مما كانت، حتى نجد امبراطورا قويا اعتقد الناس أنه مات منذ زمن طويل ينفض عنه النعاس ، وينهض في غضب ، ويهزم الاسماعيليين، ويدمر تماما اراضيهم بالنار والسيف ويضع عليهم نيرا أكثر قمعا بمائة مرة من الذي وضعوه على المسيحيين ، ويغضب أيضا من المسيحيين الذين تنكروا لربهم، ثم يتبع ذلك فترة من السلام والبهجة تتحد خلالها الامبراطورية في ظل حاكمها العظيم وتزدهر كما لم تفعل من قبل •

ولكن حشود يأجوج ومأجوج عندئذ تنطلق وتحدث خرابا شـاملا ورعبا حتى يرسل الرب قائدأمن جيش السماء يدمرهم في ومضة ثـم يرحل الامبراطور الى القدس لينتظر هناك المسيح الدجـال وعندمـا يحدث هذا الحدث المروع يضع الأمبراطور تـاجه فـوق الصـليب في الجلجلة ويحلق الصليب الى السماء، ويموت الامبراطور ويبدأ حكم المسيح الدجال ، ولكن قبل مضي وقت طويل يعود الصليب للظهور في السماوات كعلامة على ابن الانسان ، ثم يأتي المسـيح نفسـه على السحب في قوة وبهاء ، ليقتل الدجال بـالزفير مـن فمـه وليقـوم بالحساب الأخير •

و قد انتهت الحالات السياسية التي اثارت هذه النبوءات وفقدت من الذاكرة وقائعها ، و مع ذلك احتفظت النبوءات بـكل فتنتهـا ، و خلال فترة العصور الوسطى استمر الايحاء بالأخرويات السبلينية الى جانب الايمان الأخروي المستمد من سفر الرؤيا ، معدلا إياهـا أو معـدلا بفعلهـا ، و لكن بشـكل عام كان يتجـاوزها الى الشعبية(ص ٣٣)

ومع أن السلبينيين كانوا غير قانونيين (شرعيين) وغير أصوليين فإنه كان لهم نفوذ كبير – في الواقـع بـاستثناء الكتـاب المقـدس وكتابات آباء الكنيسة – ربمـا كانت كتـاباتهم الأكثـر تـأثيرا في العصور الوسـطى في أوربـا و كثيرا مـا كانوا يملون البيانات على الشخصيات المهيمنة في الكنيسة والرهبان والراهبات مثل القـديس برنارد والقديس هيلدغارد اللذان كانت أراؤهما مقـدرة حتـى مـن البابوات والأباطرة الى حد اعتبارها ملهمة من الرب ، و علاوة على ذلك اثبتوا أنهم قابلين للتكيف بلا حدود ، وكثيرا ما كانت كتاباتهم تحرر ويعاد تفسيرها لمواءمة الأحوال و لتكتسب جـاذبية بـالنسبة لشواغل اللحظة ، و كانت تقدم في كل وقت لأشباع رغبـات المتلهفين من البشر الى نبوءة لا تقبل الجدل عن المستقبل ، و بـالفعل عندمـا وضعت النصوص الوحيدة المعروفة في الغرب بـاللاتينية وأصـبحت بناء على ذلك في متناول رجال الأكليروس فقط فإن بعض المعرفة عن

فحواها قد تسربت حتى إلى ادنى المراتب من العامة ، و منذ القــرن الرابع عشر و ما بعده بدات التــراجم في الظهــور بــاللغات الأوربية المختلفة ، و عندما اخترعت الطبــاعة كانت هــذه التــراجم بين أول الكتب التي طبعت ، و في وقت قريب من نهــاية العصــور الوســطى عندما كانت المخاوف والآمال التــي شــكلت في البــداية نبــوءات السبليذيين لمدة تقارب الف سنة ماضية أو اكثر من الماضي ما برحت هذه الكتب تقرأ و تدرس في كل مكان.

و تتحدث تقاليد يوحنا(★) عن محارب مخلص ينتظر أن يظهر في الأيام الأخيرة ، و تتحدث تقــاليد السبليذيين عن اثنين ، و لكن كليهما يتفقان انه في تلك الأزمان ســيظهر عدو رئيس للرب ، هــو شخصية غير عادية للمسيح للدجال ، و كانت هذه شخصية أسهمت فيها معظم التقاليد المختلفة ، و أصبحت رمزا قويا بقــدر مــا هــو معقد ، و هنا مرة أخرى كان تأثير رؤيا دانيال حــاسما ، وعندمــا تكلمت هذه النبوءة عن « ملك سوف يرفع نفسه ويعظمها فــوق كل إله »

«ويتكلم بكلمات عظيمة ضد الله كانت تشــير سرا الى الملك الظــالم انتيوخيوس ابيفانس الذي كان في الواقـــــع مصـــــابا بجنون العظمة ، ولكن أصل النبوءة سرعان مانسي حتى بينمــا كان ســفر دانيــال مــا يزال معتبرا من الكتب المقــدسة التــي تتنبــأ بــأمور مستقبلية ، وبانفصاله عن محيطــه التــاريخي أحيلت الشــخصية الطاغية المعادية للرب في الأيام الأخيرة الى الرصــيد الشــائع مــن المعرفة الرؤوية اليهودية والمسيحية فيما بعد

وفي كتابات القديس بولس الى التســالو نيكيين وفي ســفر الرؤيا تظهر هذه الشخصية على أنها المسيح الدجال « الذي يعارض ويرفع نفسه فوق كل ما يدعي رب ، أو مايعبد ، وهكذا فانه كاله يجلس في

★ ـ اي التي تستند الى سفر الرؤيا الذي يعزى الى يوحنا

معبد الرب مظهرا نفسه انه الرب ... وبالآيات والأعاجيب الكاذبة التي سيقوم بها النبي الكاذب من خلال قوى الشيطان سيخدع العالم ، وعلى السطح سيبدو فاضلا تماما وخيرا ، ومع أن شره عام فانه سيتمتع بخبث شديد وسيمكنه ذلك من اقامة حكم طاغ بالغ القوة : وقد أمكن له شن حرب على القديسين والتغلب عليهم وسيعطى القوة على كل العشائر وكل الألسن والأمم » (ص ٣٤)

وهذه الشخصية التي اعطيت الآن اسم المسيح الدجال يمكن بناء على ذلك اعتبارها كائنا بشريا ، امبراطورا او اميرا أو اسقفا يكون في آن واحد مغو وقاس ، اضافة الى كونه خادما واداة للشيطان ، ولكن المسيح الدجال لم يعتقد أبدا بأنه مجرد رجل مهما كان شريرا ، وتسربت توقعات الفرس (المزديين) بهزيمة الشيطان الكبير اهرمان في أخر الأيام المحبوكة مع الاسطورة البابلية حول معركة بين الاله الرسمي وتنين الفوضى ، الى الرؤوية اليهودية ، واثرت بعمق في تخيلات طاغية أخر الزمان ، وبالفعل في نبوءة دانيال ، فان انتيوخرس لايظهر فقط كملك ذي ملامح عنيفة بل ايضا كمخلوق ذي قرون تتعاظم وتطول حتى بالنسبة لجيش السماء ، وحتى تطرح بعض حشود السماء ، والنجوم على الأرض وتطأهم ، وتختم عليهم ، وفي سفر الرؤيا ان الدور التقليدي للمسيح الدجال مقسم بين الوحش الأول ـ التنين العظيم الأحمر الذي يظهر في السماوات ، أو ينهض من البحر وهو بسبعة رؤوس وعشرة قرون ـ والوحش الثاني ـ الدابة الهائلة ذات القرون التي تتكلم كتنين ، والتي تخرج من هدة لاقاع لها بداخل الأرض

وهنا ظهرت شخصية المسيح الدجال في شخصية الدابة ذات القرون التي تسكن في أعماق الأرض « الأفعى القديمة الشيطان نفسه » وخلال جميع القرون استمر الدجال في شغل خيال الناس والهابه واحتفظ بنوعيته الشيطانية ، وخلال العصور الوسطى كان لايصور فقط بصورة طاغية متوج بل ايضا كشيطان أو تنين يطير في

الهواء يحيط به شياطين اصغر ،و يحاول ان يطير عاليا ليثبت انه اله وهو يقذف به نحو موته من قبل الله (الصورة ١) وفي وسط القرن الثاني عشر راه القديس هيلدغارد اوف بنجن في رؤيا في صورة وحش ذي راس رهيبة لدابة سوداء كالفحم وعينين ملتهبتين واذني جحش ومعدة متشعبة ذات اشراك حديدية .

وفي الواقع كان المسيح يشبه شيطان ، تجسيد ضخم عملاق لقوة فوضوية مدمرة ، ولتقدير كيف كان الشعور بمدى عدم محدودية القوة لديه ، وكم هي خارقة للقدرة البشرية ، وكم هي مرعبة ان على المرء ان ينظرفقط في صورة ملكيورلورك للشيطان ـ المسيح الدجال (هو هنا شبيه بالبابا) (الصورة ٢) ويعود تاريخ هذه الصورة الى وسط القرن السادس عشر والانفعال الذي تعبر عنه هو مزيج من الرعب والكراهية والازدراء ، وكانت تزعج الأوروبيين منذ قرون عديدة خلت (ص ٣٥)

وقد اثرت النبوءات السبلينية ونبوءات يوحنا في المواقف السياسية ، وبالنسبة لشعوب العصور الوسطى ، فالدراما المذهلة للأيام الأخيرة لم تكن خيالا حول مستقبل بعيد غير محدود ، بل كانت نبوءة مؤكدة تقريبا وفي اي لحظة معينة تعطي احساسا بكونها وشيكة التحقيق ، وتظهر حوليات العصور الوسطى لتاريخ الأحداث بوضوح كاف كيف ان احكاما سياسية خاصة كانت تتلون بهذه التوقعات ، وحتى في العهود الأكثر بعدا عن الوفاء بالغرض حاولت الحوليات ان تدرك ان الانسجام بين المسيحيين ، وان الانتصار على الكفار وان تلك الوفرة التي لانظير لها والازدهار ستكون من علامات العصر الذهبي ، ومع كل ملك جديد تقريبا حاولت رعاياه ان ترى فيه اخر امبراطور عليه أن يترأس العهد الذهبي ،بينما كانت الحوليات تضفي عليه النعوت المسيحية التقليدية « ملك عادل » او ربما داود ، وعندما كانت تجربة كل زمان تاتي بالتحرر الذي لامفر منه من الوهم ، كان الناس يكتفون بمجرد أن التحقيق البهي قد تأجل الى العهد التالي ، واذا استطاعوا اعتبروا الملك الحاكم

كبشير عليه مهمه جعل الطريق ممهـدا مـن اجـل الامبـراطور الاخير ، ولم يكن هناك ابـدا اي نقص في الملوك لتـوسم بـدرجات مختلفة من الاخلاص او الملاحظات الساخرة حول هذه الآمال الملحة

وفي الغرب كانت الاسر الحاكمة في كل من فرنسا والمانيا تستثمر النبوءات السبلينية لدعم ادعاءاتها بالاهمية ، كما فعـل الابـاطرة البيزنطيون قبلهم في الشرق

وكان قدوم المسيح الدجال منتظرا حتى بتـوتر كبير ، وعاش جيل بعد جيل في توقع مستمر للشيطان المدمـر لكل شيء الذي كان حـكمه مقدرا له ان يكون اضطرابا غير قـانوني ، عصر متـروك للسرقـة والسلب والاغتصاب والتعذيب والمذابح ولكن من المقـدر له ان يكون ايضا مقدمه لتحقيق المجيء الثاني لملكة القديسين المترقب بشـوق عظيم ، فقد كان الناس دائما في ترقب للعلامات التي طبقا للتقـاليد النبوئية مقدرة ان تكون مبشرة ومصاحبة للزمـن الاخير للمتـاعب

وحيث ان العلامات تشمل حكاما سيئين وحـربا اهلية وتشـتتا وجفافا ومجاعة ووباء ومذنباتا ووفياتا فجائية لأشـخاص بـارزين وزيادة في الخطايا العامة لم يكن هناك ابدا اي صعوبة في ايجـادها

والغزو او التهديد بالغزو من قبل الهون والمجر والمغول والمشارقة او الترك كان دائما يحـرك ذكريات تلك الحشـود حـول المسـيح الدجال ، وشعوب يأجوج ، وفوق كل شي كان أي حـاكم يمـكن ان يعتبر طاغية مرشحا لأخذ سمات المسيح الدجال ، وكانت الحوليات العادية تعطيه اللقب التقليدى « ملك ظالم » وعندما يموت مثل هذا الملك تاركا النبوءات دون تحقيق فانه سينخفض مـن مجـرد « ملك عادل » الى مرتبة « عابر » ثم يستأنف الانتظار (ص ٣٦).

وهنا ايضا كانت فكرة اسلمت نفسها بصـورة مثيرة للاعجـاب الاستثمار السياسي وكثيرا ماحدث أن اعلن أحد البابوات في وقـار خصمه ـ امبراطورا عنيفا او ربما عدوا لبابا ـ ليكون هـو المسـيح الدجال نفسه واذا ذاك فان اللقب نفسه يلقى عليه.

ولكن اذا كانت الخيلات التقليدية حـــول الأيام الأخيرة تـــؤثر باستمرار على الطريقة التي كان ينظر بها الى الأحداث السياسية والشخصيات واللغة التي كانت تدار بها الصراعات السياسية ، انه فقط في بعض حالات اجتماعية ، كانت تعمل كأساطير اجتمــاعية ديناميكية وفي الوقت المناسب سنتفحص ماهي هذه الحالات ، ولكن من الضروري اولا القاء نظرة على تقاليد الانشقاق الديني الذي كان موجودا دائما في أوروبا العصور الوســطى والذي كان مـــن الممــكن احيانا ان ينتج مدعين لأدوار المسيح المخلص ، او نصف مثل هـــذه الأدوار .

الفصل الثاني

تقاليد الانشقاق الديني

قيم الحياة الرسولية :

كانت تقاليد النبوءة الرؤوية واحـدة فقـط مـن بين عدة شروط مسبقة للحركات التي يهتم بها هذا الكتـاب (ص ٣٧) والأخـرى كانت تقـاليد الانشـقاق الديني الذي دام خـلال العصـور الوسـطى ، وليس لأن هـذه الحـركات كانت تعبيرا نمـوذجيا عن الانشقا ق الديني ، بل على العكس ففي كثير من النواحـي كانت في جوهرها واهدافها وسـلوكها و(كمـا سـنرى) في تـركيبها الاجتماعي معا غير نمـوذجية ، ومـع ذلك ان هـذا الجيشـان الخاص يمكن فهمه تماما فقط في اطار عدم الرضى الديني الواسـع الانتشار ، وقد شغلت الكنيسة بالطبع دورا ضخما في ايجـاد المدنية والمحافظة عليها في القرون الوسطى وتخلل نفوذها افكار ومشـاعر كل انواع وحالات الرجال والنساء ــ ومع ذلك كانت تجد صـعوبة في ارضاء الطموحات الدينية التي رعتها بصورة كاملة ، لقد كان لهـا صفوة دينية من الرهبان والراهبـات ، الذين كانت حياتهـم ــ على الأقل من الناحية النظريةـوأحيانا كثيرة في التطبيق ايضا ــ مكرسة كلية لخدمة الرب ، فلقد خـدم الرهبـان والراهبـات المجتمـع ككل بصـلواتهم ، وكثيرا مـاكانوا يعنون ايضـا بـالمرضى والمحتاجين ، ولكن لم تكن مهمتهم بشكل عام اسعاف الاحتياجـات الروحية للعامة ، لقد كانت هذه مسـؤولية الكهنوت المدني ، وكانت مسؤولية كثيرا ماكانوا سيئي الأعداد لتأديتها

فإذا مال الرهبان والراهبـات للابتعـاد كثيرا عن العـالم فـان

الكهنوت المدني من الأساقفة الى قسيس الابرشيات كانوا يميلون الى الاستغراق فيه ، والغنى والطموح السياسي بين أعلى مستويات الاكليروس والتسري او الانحلال الجنسي بين الأكليروس الأدنى ، كل هذه كانت الأشياء التي كان يشكو منها الناس العاديون ، وكان هناك ايضا جوع كبير للتبشير بالانجيل ، لقد كان الناس يتوقون لسماع الوعظ بالانجيل بشكل بسيط ومباشر حتى يتمكنوا من ربط ماسمعوه بخبرتهم الشخصية .

والمعايير التي كان يحكم بها على الكنيسة كانت هي تلك التي وضعتها الكنيسة نفسها بين يدي شعوب اوروبا ، كمثل لأنها كانت معايير الكنيسة البدائية كما صورت في الأناجيل ، وفي اعمال الرسل (ص ٣٨) الى حد ماكانت هذه المعايير مدخرة في طريقة الحياة الرهبانية التي كانت تقتدي بحياة الرسل ، وكما تقول قاعدة القديس بندكت « هل هم حقا رهبان يعيشون من كد ايديهم ، مثل ابائهم والرسل » وعندما بدأ في القرنين العاشر والحادي عشر ديرا كلوني وهيرسو حركتهما الاصلاحية الكبيرة ، كان الهدف جعل حياة الرهبنة أقرب الى خط حياة المجتمع المسيحي الأول كما وصف في أعمال الرسل « وكل من أمنوا كانوا معا ، وكان كل شيء مشتركا ... ولم يقل اي منهم ان شيئا البتة مما يملكه خاص به ....» بل كل ذلك الذي يحتويه الدير بين جدرانه كان فقط ذا اهمية محدودة لسواد الناس ، وكان هناك دائما بعض الناس العاديين ممن يلاحظون بمرارة الهوة التي تفصل بين البساطة والفقر لدى المسيحيين الأوائل وبين النظام الكهنوتي الغني المنظم في كنيسة زمانهم ، وكان هؤلاء الناس يريدون ان يروا في اوساطهم ، رجالا يمكنهم ان يثقوا في قدسيتهم يعيشون ويعظون كالرسل الأصليين .

وكان الرجال المستعدون لأداء هذا الدور موجودين ، حتى لو كان هذا يعني الوقوف ضد الكنيسة ، وفي عيون الكنيسة كان كهنتها المرسمون في حينه كما ينبغي هم فقط المخولون بالوعظ ، وعامة الناس الذين يتجراون على هذا العمل كانوا يقعون تحت طائلة

الحرمان من الكنيسة ، ومع ذلك فلا يكاد هناك على مايبدو زمن في اوروبا القرون الوسطى لم يوجد فيه وعاظ من العامة يهيمون في الأرض مقلدين للرسل ، وكان مثل هؤلاء الناس معروفين بالفعل في بلاد الغال في القرن السادس ، واستمر ظهورهم من وقت لآخر حتى الفترة من ١١٠٠ وماتلاها وقد أصبحوا فجأة اكثر عددا وأكثر اهمية ويمكن ملاحظة التغيير كناتج ثانوي لواحد من الجهود العظيمة لاصلاح الكنيسة من الداخل كالذي ينقطع بين فترة واخرى ، ويميز تاريخ مسيحية القرون الوسطى ، وفي هذه الحالة ان التحريض وراء الاصلاح كان يأتي من البابوية نفسها ، وفي العصور الوسطى كانت الكنيسة بما فيها الأديرة قد سقطت في شرك الاعتماد على الملوك الدنيويين والنبلاء الذين تحكموا في التعيينات الكنسية الأكليركية على كل المستويات .

ولكن اثناء القرن الحادي عشر ادى توالي البابوات الأقوياء الى ترسيخ استقلال ذاتية الادارة الكنسية ، وشمل هذا تأكيدا جديدا على المنزلة الخاصة ، وعلى هيبة الأكليروس كنخبة روحية تقف بوضوح بعيدا عن العامة وفوقها.وبذل غريغوري السابع الكبير جهودا شاقة لكبح السيمونية او شراء الوظائف الأكليركية وفرض التبتل الاكليركي (في وقت كان فيه كثير من الكهنة متزوجين او يعيشون مع محظيات)(ص ٣٩) .

وفي جهودهم لتنفيذ هذه السياسة البابوية لم يتردد دعاة الاصلاح في الهاب مشاعر العامة ضدالاكليركيين المعادين للاصلاح ، ومضى بعضهم حتى لأبعد من ذلك بتسمية الأساقفة السيمونيين بخدم الشيطان ، واقتراح عدم صلاحية الترسيم الذي يقوم به مثل هؤلاء الاساقفة ومنعت المجامع الابرشية تكرارا ، الكهنة المتزوجين المتسرين من تلاوة القداس ، وهكذا فعل غريغوري السابع نفسه ، ولم يجادل المصلحون الأرثوذكس بالطبع في ان الأسرار المقدسة التي يديرها الكهنة غير المؤهلين غير صالحة ، ولكن ليس من المدهش ان مثل هذه الأفكار كان عليها ان تبدأ في الانتشار بين

العامة وقد قوت حركة الاصلاح الكبيرة نفسها الحماس الديني لدى عامة الرجـال والنسـاء وكان التلهـف على المقـدسين ذوي الحياة الرسولية اقوى من اي وقت ، وبحلول نهاية القـرن الحـادي عشر بدأت الطاقات الدينية التي اوقظت مجـددا تهـرب مـن السـيطرة الأكليركية وتتحول ضد الكنيسة .

وكان الشعور على نطاق واسـع ان الأختيار للكاهـن الحقيقـي لايقع في واقع الترسيم بل في اخلاصه لطريقة الحياة الرسولية ومـن حينه فصاعدا بات على الوعاظ الهائمون غير المخولين توقع اتبـاع لم يسبق لهم ان عهدوهم من قبل .

وانه لأمر مفيد الوقوف لوهلة قصيرة للاطلال على واعظ نموذجي اشتهر في فرنسا في مطلع القرن الثاني عشر وكان راهبا سالفا يدعى هنري ، ترك ديرة وهام على الطرق ، وفي اربعـاء الرمـاد اول ايام الصيام الكبير في ١١١٦ وصل الى ليمانس وقد تصرف وفق الطرق التالية : كان قد تقدمه إثنان من التلاميذ ، كما كان المسـيح في دنوه الأخير من القدس ، وحمل هذان الرسولان صليبا كما لو ان رئيسهم كان اسقفا ، واخذ الأسقف الحقيقي هيلد بـرت اوف لافـردين كل ذلك على المحمل الحسن بـل انه حتـى اعطـى هنري الاذن بإلقـاء مواعظ تتعلق بالصوم الكبير في المدينة ولكنه بصفاقه انطلق بعد ذلك في طريقه متجها في رحلة طويلة الى رومـا ، وحـالما أدار الأسـقف ظهره ، بدأ هنري ـ كان شابا ملتحيا يلبس فقط قميصا من الشـعر محظيا بمـوهبة صـوتية قـوية ـ في الوعظ ضـد الأكليروس المحلي ، ووجد مستمعين متقبلين ، وكان شعب ليمـانس مسـتعدا جدا للتحول ضد اكليروسه لأن هؤلاء كانوا جمـاعة فـاسدة تعيش حياة رخية ، وعلاوة على ذلك كان اسـاقفة ليمـانس نشـطاء في السياسة المحلية ، وفي قضية غير شعبية ، اعاروا فيهـا تـأييدهم للكونتات الذين كان المواطنون يناضلون لتحرير انفسهم من حكمهم المطلق ، ولم يكن مدهشا تماما انه بعد فترة قصيرة من وعظ هنري

كانت الجماهير من العامة تضرب الكهنة في الشوارع وتـدحرجهم في الطين .

ولاحاجة للمرء لتصديق اتهامات الترخيص الجنسي والفساد الذي الصقته الحوليات الاكليركية بهنري ، لأنها كانت كليشيهات تلصـق بانتظام ضد المنشقين الدينيين ، وعلى العكس يبـدو ان هنري كان واعظا ينادي بـالتزمت الجنسي فقـد حض النسـاء على التخلي عن ملابسهن الثمينة وحليهـن (ص ٤٠) للمحـارق التـي اشـتعلت خصيصا لهذه الغاية ، واصلح البغايا بتـزويجهن لاتبـاعه ، ولكن حول حماسة المعادي للاكليروس ليس هناك من شك .

وفي سنوات تالية حيث كان نشيطا في ايطاليا ومقاطعة بـروفانس الفرنسية ، رفض سلطة الكنيسة كلية ، وانكر ان الكهنة المرسمين لديهم سلطة تقديس الجماهير وخبز القـربان ومنح الغفـران ، أو رئاسة مراسم الزواج،وكان التعمد كما بشر يجب ان يجـري فقـط كعـلامة خـارجية على العقيدة وان ابنية الكنيسـة وكل الزخـارف والحلي المتعلقة بالديانة الرسمية عديمة الجدوى ، ويمكن للانسـان ان يصلي في اي مكان كما يمكنه ان يصلي في كنيسـة ، والكنيسـة الحقيقية تتكون من الذين يتبعـون اسـلوب حياة الرسـل في الفقـر والبساطة ، وان محبة الجار هي جـوهر الدين الحقيقـي،واعتبـر هنري نفسه كانه مفوض من الرب مباشرة بإيصال هـذه الرسـالة والتبشير بها .

وكتب لهنري ان يكون له خلفاء عدة ، وخلال العصور الوسـطى كان طلب الاصلاح الديني ملحا والمثـل التـي تقـف وراء هـذا الطلب ، وان اختلفت في التفاصيل من زمن لآخر ومن مـكان لآخـر بقيت متماثلة في جوهرها ، وعلى مدى اربعة قرون من الوالد نسيان الى الفرنسسيكان الروحانيين الى الأنابابتست (القائلين بتجـديد العماد) يجد المرء رجالا يهيمون في الأرض يعيشون في فقر وبساطة في محاولة لتقليد الرسل ويعظون بالانجيل من أجل التوجيه الروحي

والارشاد،وباعتراف الجميع ان هـذه المثـل لم تـكن محصـورة في المنشقين او (كما كانوا يسمون) المهرطقين وبالفعل كان في زمـن هنري رهبان آخرون مثل روبرت اوف اربريسل والقديس نوربرت اوف اكزانتن اللذان خرجا الى العالم كوعاظ هائمين بإذن تام مـن البابا ، وفي القرن الثـالث عشر عندمـا وجـدت المنظمـات الفرنسنسكانيية والدومنيكانية ، فانهم تكيفوا بوعي تام مـع حياة الرسل .

وفي الواقع انه لولا المحـاولات المختلفـة لتحقيق مثـل الكنيسـة البدائية ضمن اطار الكنيسة ذات المؤسسات لكانت حركة الانشقاق بالتأكيد اكبر مما كانت عليه بكثير ، ومع ذلك ان هذه الحـركات لم تكن ابدا ناجحة تماما ، فمرات ومرات كان الرهبان الواعظـون او الرهبان الأخوة يرتدون الى ماوراء اسوار اديرتهـم او يتخلون عن متابعة قدسيتهم امام قدسية النفوذ السياسي .

ومرات ومرات كانت اوامـر الاصـلاح المكرس اصـلا للفقـر الرسولي تنتهي بحيازة ثروات عظيمة ، وعندمـا كان هـذا يحـدث كانت بعض أجزاء من العامة تشعر بالفراغ الروحـي ، وكان بعض المنشقين او الوعاظ المهرقطين يتقدمون لملئ هذا الفراغ .

وبشكل طبيعي كان هؤلاء الوعاظ يقدمون انفسـهم كمـرشدين روحيين ، ولكنهـم كانوا يدعون احيانا بـانهم اكثـر بـكثير انبياء ملهمين الهيا او مخلصين منتظرين بـل وحتـى الهـة متجسـدين (ص ٤١) وهذه الظاهرة مـوجودة في الصـميم مـن الدراسـة الجارية ، وقد حان الوقت للتفكير بامعان وتفصيل في بعض الظواهر المبكرة منها .

بعض المخلصين المبكرين :

أشتهر مؤرخ القرن السادس للفرنجة القديس غريغوري اسـقف

تور بالدقة التي جمع فيها المعلومات حول الأحداث المعاصرة له ، وفي مدينة تور التي تقع على الطريق الرئيس بين الشمال والجنوب في فرنسا . كان له مركز تسمع رائع ، والكتب الست الأخيرة حول التاريخ الفرنجي ، المكتوبة في صورة يوميات تسجل كل حدث كما وقع ، وهي ذات قيمة تاريخية عظيمة ، وتحت عام ٥٩١ يتحدث غريغوري عن رجل حر واعظ ادعى انه المسيح :

رجل من بورج مضى الى الغابات حيث وجد نفسه فجأة محاطا بسرب من الذباب ، وكان من نتيجة ذلك ان فقد عقله لمدة عامين ، و فيما بعد شق طريقه الى اقليم أرل حيث أصبح ناسكا واكتسى بجلود الحيوانات ، وكرس نفسه كلية للصلاة ، وعندما خرج من هذا التدريب على الزهد ادعى انه يملك مواهب خارقة للطبيعة في المعالجة والتنبؤ،وأدى به التجوال الى منطقة جيفودون في السيفين حيث ادعى انه المسيح وكانت معه امرأة دعاها مريم كرفيقة له ، واندفع الناس اليه أفواجا مع مرضاهم الذين كانوا يبراون بلمسة منه، وتكهن ايضا بأحداث مستقبلية ، متنبئا بالمرض والمحن لمعظم الذين زاروه ولكن بالخلاص للقلة .

واظهر الرجل قوى هائلة الى درجة عزاها غريغوري الى مساعدة الشيطان ، وكانت بالتأكيد قوى غير عادية بدرجة كافية لتضمن له اتباعا عديدين ، وكما هو الحال دائما في تقديرات العصور الوسطى ان على المرء ان يعتبر رقم ٣٠٠٠ مبالغة مفرطة ، كما لم يكن هؤلاء الاتباع مشكلين فقط من جمهور الأميين وغير المثقفين ، بل شمل ذلك ايضا بعض الكهنة ، واحضروا له ذهبا وفضة وملابس ، ولكن « المسيح » وزع كل هذه الأشياء على الفقراء ، وعندما كانت الهدايا تقدم اليه كان يسجد هو ورفيقته ويقدمان الصلوات ، لكنه ينهض على قدميه بعد ذلك و يأمر الحشد بعبادته ، ثم نظم أتباعه فيما بعد في فرقة مسلحة ، قادها في أنحاء الريف ليكمن ويسلب المسافرين الذين كان يلقاهم على الطريق،ولكن هنا ايضا لم يكن طموحه ان يصبح غنيا وانما ان يعبد ، وقد وزع

كل الغنائم على من لايملكون شيئا بما فيهم ، كما يمكن للمرء ان يفترض ، اتباعه.ومن جانب آخر عندما كانت الفرقة تحل بمدينة كان السكان بما فيهم من الاساقفة يهددون بالموت اذا لم يعبدوه(ص ٤٢) .

وكان في لابوي ان لقي هذا المسيح قدره المشؤوم .

فعندما وصل الى تلك المدينة الأسقفية الهامة عسكر « جيشه » كما يسميه غريغوري - في الكنائس القديمة المجاورة كما لو كان على وشك ان يشن حربا ضد الأسقف ، او ريليوس ثم أرسل الرسل مقدما ليعلنوا مقدمه ، حيث كانوا يقدمون انفسهم للأسقف عراة تماما ، وهم يقفزون ويتشقلبون

وأرسل الأسقف بدوره فريقا من رجاله لمقابلة المسيح على الطريق ، وقام قائد الفريق وهو يتظاهر بالانحناء فأمسك بالرجل حول ركبتيه ، وبعد ذلك اعتقل بسرعة وقطع اربا ، وعلق غريغوري على ذلك قائلا :« وهكذا اسقط ومات هذا المسيح الذي يمكن حقا ان يسمى مسيحا دجالا » واعتقلت ايضا رفيقته ماري وعذبت حتى كشفت عن كل الأجهزة الشيطانية التي اعطته قوته ، اما بالنسبة للاتباع فقد تشتتوا ، ولكنهم بقوا تحت حرمان زعيمهم،واستمر الذين آمنوا به على ذلك حتى يومهم الأخير ، وكانوا يتمسكون بانه المسيح حقا وان المراة ماري ايضا كانت كائنا إلهيا .

وفي تجربة غريغوري لم تكن هذه القضية على اي حال فريدة ، وقد ظهرت شخصيات كثيرة مماثلة في أجزاء أخرى من البلاد ، واجتذبت هي ايضا اتباعا مخلصين ، خاصة بين النساء و اعتبرهم الناس قديسين أحياء ، وقد التقى غريغوري نفسه بالعديد من أمثالهم ، و حاول بالنصيحة و الموعظة أن يردهم عن طريق الخطأ مع انه هو نفسه راى هذه الأحداث كعلامات كثيرة على قرب النهاية ، و كان الطاعون و المجاعة في كل اتجاه،لهذا كان من المؤكد توقع الأنبياء المزيفين أيضا ،حيث كما فكر ، أن المسيح هو نفسه

قال :« ....سيكون هناك مجاعات وطاعون وهزات أرضية في أماكن عديدة....ثم إذا قال لك أي إنسان انظر ، هنا مسيح أو هناك ، لا تصدق . حيث سيظهر مسيحون مزيفون ، وانبياء مزيفون وسيظهرون علامات عظيمة وعجائب الى درجة انه إذا كان ممكنا ، إنهم سيخدعون المنتخب من السماء بالذات ، وهذه الأشياء هي التي تؤذن بمجيء الأيام الأخيرة »

وبعد ذلك بقرن ونصف القرن بينما القديس بونيفيس يعمل كممثل بابوي ويعمل على اصلاح الكنيسة الفرنجية ، صادف شخصية مشابهة جدا تدعى الدبيرت وكان هذا الرجل قد جاء كغريب الى المنطقة المحيطة بسواسون حيث منعه الأسقف المحلي من الوعظ في الكنائس ، مع انه كان مرسما ، وكان الديبرت من أصل متواضع ، وكان المستمعون له أيضا مكونين من الجماهير الريفية البسيطة ، ومثل مسيح القرن السادس المجهول الاسم طبق الفقر الرسولي ، وادعى هو أيضا القيام بمعالجات معجزة . وكبداية قام بمجرد نصب صلبان في الريف ، وكان يعظ الى جانبها في الهواء الطلق ، ولكن سرعان ما بنى له اتباعه ما يوفر له (ض ٤٣) راحة مناسبة ليقوم بالوعظ فيه وكان ذلك في البداية كنائس صغيرة ثم كنائس كبيرة .

ولم يكن الدبيرت قانعا بأن يكون مجرد مصلح ، وادعى انه قديس حي ، وقال إن الناس يجب أن يصلوا له مشركين إياه مع القديسين لانه يملك الجداره والمزايا غير العادية التي يمكن أن تكون في خدمة انصاره ، ولأنه اعتبر نفسه مكافئا للقديسين والرسل فقد رفض أن يكرس كنائسه لأي منهم،وبدلا من ذلك فقد كرسها لنفسه ، ولكن في الواقع مضى الدبيرت إلى ابعد بكثير من ذلك ، لقد خرج بالادعاء على الأقل ببعض الخصائص المميزة للمسيح ، وهكذا اعلن انه مليء بالنعمة الالهية بينما كان في رحم أمه و حظي بعطف الرب الخاص ، و كان بالفعل كائنا مقدسا عندما ولد ، و قبل ولادته حلمت امه ان عجلا قد خرج من جانبها الأيمن ، ولا مفر من أن يفكر

المرء في بشاره الملاك جبريل لمريم بحملها بالمسيح ، ويسوع كحمل الرب ، لا سيما وأن يسوع كان على المستوى الشعبي يعتقد بأنه قد ولد من خلال الجانب الأيمن للعذراء .

وقد الف الدبيرت صلاة أرسلها بونيفيس الى روما من أجل الدرس وهي تظهر كيف كان واثقا من وجود علاقة خاصة بالرب ، لقد وعد الرب على ما يبدو بإعطائه كل ما يرغب،وتنتهي الصلاة بالتماس المعونة من ثمانية من الملائكة . ومن مصدر اخر نعرف أن الدبيرت تمتع بخدمات ملاك كان يحضر له من أطراف الأرض الآثار المعجزة ، وبفضلها كان يمكنه أن يحصل على مايريد لنفسه ولأتباعه ، وكان أيضا يملك رسالة من المسيح ، استعملها كأساس لتعاليمه الخاصة ــ وهذه ظاهرة سنقابلها مرات أخرى في فصول تالية .

وكان زخم تأثير الدبيرت بالتأكيد عظيما ، فقد هجر الناس كهنتهم وأساقفتهم وتدفقت جموعهم الكبيرة ليستمعوا اليه ، وكانت سيطرته مطلقة على اتباعه المباشرين الذين كانوا يشملون كثيرا من النساء ، وكانوا مقتنعين بانه يعرف كل خطاياهم دون أن يعترفوا بها،وأدخروا تعاويذ على أنها تفعل المعجزات ، من قلامات الأظافر وجزازات الشعر التي كان يوزعها بينهم ، وانتشر نفوذه بعيدا جدا خارج الوطن ، ولقد اعتبره بونيفيس تهديدا خطيرا للكنيسة ، حتى أنه طلب معونة البابا (لاعادة الفرنجة والغاليين الى الطريق الصحيح) الذي جعلهم الدبيرت يهجرونه .

وفي الواقع إن سلسلة كاملة من المجامع كانت مهتمه بنشاطاته ، وفي سنة ٧٤٤ عقد بونيفيس مجلسا في سواسون بموافقة من البابا زكريا وبالدعم الفعال من الملكين الفرنجيين بيبن وشارلمان تقرر تجريد الدبيرت واعتقاله وسجنه وإحراق الصلبان التي اقامها ، ولكن الدبيرت هرب واستمر في وعظه (ص ٤٤) لذلك عقد مجمع اخر في السنة التالية تراسه بونيفيس والملك شارلمان ، وفي

هذه المرة لم يعلن فقط عن خلع الدبيرت من الكهنوت بل حرمانه ايضا من الكنيسة ، ومع ذلك فقد تدبر امر الاستمرار في الوعظ ، إلى مدى أدى إلى انه بعد بضع شهور عقد مجمع اخر ، هذه المرة في روما ، ضم أربعة وعشرين إسقفا وترأسه البابا زكريا نفسه ، ولم يكن أمام المجمع الروماني فقط بيان كامل من بونيفيس بل ايضا سيرة حياة الدبيرت التي اقرها هذا المسيح رسميا ، وصلاة الفها بنفسه ، وقد اقنعت هذه الوثائق المجمع أن الرجل كان مجنونا ، ونتيجة لذلك عومل برفق ولين ، ليعطى فرصة ليعترف علنا بالخطأ ، ويتفادى الحرمان ، وكان بونيفيس يريد حرمانه وسجنه فورا ، وكان محقا بكل تأكيد في اعتقاده انه طالما بقي الدبيرت حرا ، فإنه سيستمر بالوعظ بمذهبه الشاذ ، ومن ثم اكتساب الاتباع والأنصار ، وفي ٧٤٦ روت سفارة من الملك بيبن للبابا زكريا أن الواعظ الشاذ كان ما زال نشيطا ، وعلى أي حال يبدو انه توفي بعد ذلك بفترةقصيرة .

وبعد أربعة قرون ، وعندما اصبح الوعاظ الهائمون الذين يعيشون حياة الرسل تهديدا خطيرا للكنيسة المؤسساتيه ، كان هناك « مسيحا » نشيطا في بريتاني ، والرواية الأكمل التي نملكها عن هذا الرجل قدمها وليم نيوبرغ الذي كتب بعد نصف قرن،ويميل المرء بطبيعته إلى أن يقلل من شأن مثل هذه المصادر المتاخرة ، ولكن وليم واحد من اكثر الناس الذين يمكن الاعتماد عليهم في التأريخ للعصور الوسطى وترتيب الأحداث زمنيا .

وكما في هذا المثال تكرر معظم معلوماته بإخلاص مصادر معاصرة للاحداث ، ويبدو من المحتمل أن التفاصيل الباقية تاتي من بعض مصادر أخرى أقدم فقدت الآن.

ويدعو وليم نيوبرغ « مسيح » بريتون إيدو دي ستيلا ، وقد أخذ معظم المؤرخين المحدثين بهذا الاسم ، أو مكافئه الفرنسي ييدو دي لا توال،ويشير المؤرخون الذين عاصروا الأحداث على أي حال الى

الرجل (على نحو متبادل باسماء مستعارة) هي ايس ، ايون ، يون ، وايبون ،ولا يعرفون شيئا عن دي ستيلا ، وهناك عدم يقين حول منزلته وحالته ، وانفرد وليم في قوله انه لم يكن راهبا أو كاهنا مرسما بل من عامة الناس التقط شذرات من اللغة اللاتينية بصورة سطحية .

و مع ذلك ادعى التفوق الكهنوتي المميز ، و في حوالي ١١٤٥ بدأ يعظ في الهواء الطلق ، و يمكن للمرء أن يفترض انه كالواعظين الهائمين الآخرين قد أثار الخيال بتمجيده لأسلوب الحياة الرسولية ، وقد قام ايضا ببعض انواع من حفلات القداس لصالح اتباعه ، وكان بالتأكيد رجلا ذا شخصية جاذبة ، و كان الذين لهم تعامل معه مأخوذين كما أخبرنا كالذباب في شباك العنكبوت » (ص ٤٥) وفي النهاية نظم اتباعه في كنيسة جديدة ذات اساقفة ورؤساء اساقفة،وبالنسبة لنفسه كان مقتنعا أن اسمه هو الذي كان يشار اليه في العبارة التي كانت تردد في أخر الصلوات :

« الخلاص من خلال يسوع المسيح ربنا».

وهي في الحقيقة لا تعني « باسم يسوع نفسه المسيح ربنا » بل عنت « من خلال ايون يسوع المسيح ربنا » وعليه لم يكن يتردد في تسمية نفسه بابن الله وقد تبع ايون جمهور عظيم من عامة أشقياء الناس ، وكان بعض هؤلاء الناس بالتأكيد مدفوعين باليأس المطلق ،و تعلق احدى الحوليات الاصلية على مغامرات ايون بأنه في ذلك الزمان كانت المجاعات مثيرة للثورة والهياج ، حتى أن المحسنين كانوا يعجزون عن إعالة الحشود الجائعة من الفقراء ، بينما كان حتى أولئك الذين يتمتعون بشكل طبيعي بفيض من السلع ينزلون الى درجة استجداء الطعام ، ومن المعروف أن شتاء ١١٤٤ كان رهيبا واعقبه عامان من الشح والمجاعة ، وتركت اعداد كبيرة من فقراء الناس أراضيها التي لم تعد قادرة على اعالتها ، وهاجرت حتى الى ما وراء البحار ، وقد الحق الشماليون

القدماء الخراب الشامل ببريتاني قبل ذلك بنحو قــرنين ، وكانت في القرن الثاني عشر ما زالت تشبه الأرض المستعمرة ، التي يسكنها بشكل متناثر فلاحون مبعثـرون وكثير منهـــا مغــــطى بغــــابات كثيفة ، وفي تلك الغابات اتخذ ايون قاعدته .

وعندما كان احد الرجال يقرر أن يكون واعظا هائما سـواء أكان اصوليا أم منشقا ، فإنه كثيرا ما كان يبـدا بـالدخول الى إحـدى الغابات ويعيش كناسك لبعض الوقـت ، وخـلال تلك الفتـرة مـن التدريب على الزهد كان يحرز قوة روحية من أجـل مهمتـه ، وقـد يحرز أيضا سمعته كرجل قديس ويجتذب أتباعه الأول ، وهكذا بدأ بلدوين الزائف حياته في ١٢٢٤ ، ولا بد أن ايون قـد اتبـع النهـج نفسه ، وماهو مؤكد أنه ما أن كان ينتـظم تـابعوه ، حتـى كانوا يرهبون سكان الغابات في بريتاني ، فلقد كانوا حشودا عنيفـة غير مستقرة تبتهـج بـالاغارة وتـدمير الكنائس والأديرة وصـوامع النساك ، كلما مرت بها ، وهلك العديد بالسيف ، ومات المزيد مـن الجوع ، وتعطي الحوليات المعاصرة هذا القدر من الصور ويضـيف وليم نيوبـرغ أن اتبـاع ايون أنفسـهم كانوا يعيشـون في رفاهية ، يلبسون الملابس الفـاخرة ، ولا يقـومون بـأي عمـل يدوي ، ودائما في حالة من « الحبور التام » وكان يعتقـد حتـى أن الشياطين كانت تمدهم بالولائم الفاخرة ، وأن كل من شاطرهم فيها فقد ادراكه واصبح واحدا من الجماعة الى الأبد ، ومن كل ذلك يمكن للمرء أن يستنتج انه مثل الحشود المشـابهة في قـرون تـاليه عاش اتباع ايون الى حد كبير على السلب (ص ٤٦) وامتـد نفـوذ ايون بعيدا وراء حدود اتباعه المباشرين ، وفي الواقع إنه أصـبح خـطرا حتى أنه في النهاية أرسـل رئيس أسـاقفة روون فـرقة مسـلحة ضده ، وفي ١١٤٨ اعتقل ـ ويذكر أن الاعتقال ربط بـواحدة مـن شارات الأعاجيب المألوفـة مـن الأحـداث الكبيرة - كالظهـور المفاجيء لأحد المذنبات ـ وقد احضر امام احد المجامع التي عقـدت في كاتدرائية ريمز من قبل البابا يوجينيس وكانت له ملاحظة جـديدة عملها حول اسمه وهي صيغة :

eum qui Venturces et jcedicare aset mortus et seculum perigmen

وايضا اشير اليه « هو الذي كان حقا يجب أن يأتـي ليحـاسب الأحياء والأموات والعالم بـالنار » وطبقـا لما أورده وليم نيوبـرغ أوضح ايون أيضا أن العصا المتشعبة التي كان يحملها كانت تنظـم حكم العالم : وعندما كانت العصا تشير الى الاعلى كان ثلثي العـالم يتبع الرب والثلث له وعندما كانت تشير الى اسفل تنعكس النسبة .

وقد أحال المجمع ايون الى سجن رئيس اساقفة روون ، وسجن في برج في روون وكان يزود بالماء وقليل من الطعام ، ومـات الرجـل التعس بعد فترة قصيرة ، ويروي وليم نيوبرغ أيضا اخبار مصـير حوارييه الرئيسين الذين اسروا مع رئيسهم ، لقد رفضوا بصمود أن يتنكروا له ، و حملوا بفخر الألقاب التي خلعها عليهم ، وحكم عليهم بالموت حرقا على اساس انهم مهرطقين غير نادمين وقد صمدوا دون أن يهتزوا حتى النهاية ، وهـدد أحـدهم بـدمار المنفـذين للعقوبات ، وبينما كان يقتاد الى الوتد كان يصـيح بـاستمرار (يا أرض انشقي) ! ويعلق وليم قـائلا « إن قـوة الخـطأ قـد تملكت القلب »

وعلى ما يبدو ما من مؤرخ محدث انكر ابدا أن المسيح المجهول في القرن السادس أو الدبيرت في القرن الثامن أو ايون في القرن الحادي عشر قد تصرفوا فعلا كما قـال معـاصروهم إنهـم قـد تصرفوا ، والصورة في كل حالة هي نفسها الى حد كبير.

لقد بدأ هؤلاء الرجال جميعا كواعظين مستقلين مكرسين لطريقة الرسل في الحياة ، ولكنهم انتهوا بالمضي الى ابعد بكثير ، وقـام كل من الثلاثة بادعاء انه المسيح ، ووجد الثلاثة جميعـا اتبـاعا كثـر نظموهم في كنائس كرست لعبادة انفسهم ، وفي حالتين من الثـلاثة كان بعض الأتباع منظمين ايضا في فرق مسلحة ، ليس فقط بهـدف

حماية المسيح الجديد بل أيضا لفرض ديانته بـالقوة ، وكان كل ذلك مقبولا من المؤرخين على أنه دقيق وصـحيح بـدرجة كبيرة ، ولكن حول حالة شخصية أخرى مشابهة جدا هي تانشيلم اوف انتـوير ب هناك اتفاق عام أقل .

إن هناك بعض الأسس للاعتقاد أن تانشيلم كان راهبا في وقـت ما ، وعلى أي حال إنه بالتأكيد قد أحرز معرفة بـالقراءة والكتـابة كما كان طبيعيا حكرا للاكليروس ، وكان ايضـا معـروفا ببـلاغته (ص ٤٧) وفي وقت ما حوالي سنة ١١١٠ وجد ضرورة للهرب من ابرشية او ترخت الى مقاطعة فـلاندرز حيث كسـب عطـف الكونت روبرت الثاني الذي أوفده في مهمة دبلومـاسية الى المقـر المقـدس للبابا ، وكان الكونت مهتما باضعاف سلطة الامبـراطور الالماني في البلاد المنخفضة ، والمهمة التي كلف بها تانشيلم كانت حـث البـابا على تقسيم ابرشية او ترخت التي كانت موالية للامبـراطور ، وأن يلحق قسما منها بأبرشية تحت سلطة الكونت ، وسـافر تـانشيلم بصحبة كاهن يدعى ايفـر وشر الى رومـا ، ولكن رئيس اسـاقفة كولونيا اقنع البابا باسكال الثاني برفض المشروع .

وهكذا أخفقت محاولة تانشيلم الدبلوماسية وعلاوة على ذلك فقد توفي راعيه الكونت روبرت في ١١١١ ، وكانت تلك نقطة تحـول حيث اندفع تانشيلم بسرعة في اتجاه جديد ، فمن ١١١٢ وما بعدها كان يعمل بنشاط كواعظ متجول ، ولكن لم يعد ذلك في فـلاندرز بـل في جزر زيلاند ، وفي برابانت ، وفي أسقفية أوتـرخت وفـوق كل ذلك في انتويرب التي اصبحت مقرا لقيادته .

وما حدث بعدئذ هو أمر جدلي بسبب طبيعة المصادر الرئيسـة ، وهذه تتألف من رسالة من جماعة من رجـال كنيسـة أوتـرخت إلى رئيس اسـاقفة كولن ، يحتمـل أن تـكون كتبـت بين ١١١٢ و ١١١٤ طلبوا فيها مـن رئيس الأسـاقفة الذي قبض بالفعل على تانشيلم وايفروشر أن يبقيهما في السجن ، كما طـالبوا

بحياة الخصم الأرثوذكسي لتانشيلم القديس نوربرت أوف اكسسنتن،
ولكن إذا كانت لكاتبي الوثائق جميعا مصلحة في تشويه سمعة تانشيلم فهذا لايعني أن كل شيء ذكروه بالضرورة غير صحيح ، وفي الواقع إن الكثير منه مألوف جدا ، وبالتالي مقنع ، وبشكل خاص إن مجمع اوترخت يستحق اخذه بجدية لأنه كان يصف احداثا يفترض انها كانت جارية في تلك اللحظة وبموافقة أسقف مجاور كان بالتأكيد قادرا على التأكد من المعلومات .

وطبقا للمجمع بدأ تانشيلم الوعظ في الحقول والأماكن المكشوفة وهو متزي بزي راهب ، وقد قيل لنا إن بلاغته كانت غير عادية وأن العديد استمعوا إليه كما لو كانوا يستمعون إلى ملاك للرب ، لقد بدا كرجل مقدس وشكا مجمع اوترخت أنه كسيده الشيطان ، كان له مظهر ملاك للنور ، ومثل كثير من الوعاظ الجوالين بدأ بإدانة الاكليروس غير الجدير - مثل كاهن انتويرب ، وكان الوحيد في المدينة في ذلك الوقت ، الذي يعيش مع محظيه علنا - ثم وسع هجومه ليشمل الكنيسة ككل ، ولم يبشر بمجرد ان الأسرار المقدسة كانت باطلة ، إذا ادارتها أيد غير جديرة ، بل أيضا إن الأمور كما كانت ، والأوامر المقدسة قد فقدت كل معنى ، والمقدسات لم تكن أفضل من المدنسات ، والكنائس ليست أفضل من المواخير(ص ٤٨) وثبتت فعالية هذه الدعاية حتى أن الناس توقفوا عن المشاركة في القربان المقدس والذهاب إلى الكنيسة ، وبشكل عام كما لاحظ المجمع بأسى أن الامور بلغت حدا أنه كلما ازدرى المرء الكنيسة كلما اعتبر اكثر قدسية ، وفي الوقت نفسه استثمر تانشيلم الظلام المادي ، كما شكا المجمع ، وحض الجماهير بسهولة على حبس عشور الكنيسة عن الكهنة ، وأن هذا ماكان يريده الناس ، لقد كانت العشور ممقوتة من فلاحي العصور الوسطى ، الذين كانوا مستائين بمرارة من اضطرارهم لتسليم عشر إنتاجهم من القمح والاعشاب التي تنتجها بساتينهم ومراعيهم واوزهم ، وكان الاستياء قد بلغ مداه حيث كان الكاهن الذي يتلقى العشور لايحظى بالاحترام .

وإلى هذا الحد تذكرنا افكار تـانشيلم بـأحد الرهبـان واسـمه هنري ، الذي كان نشيطا في الوقت نفسه بالذات ، علاوة على ذلك ، عمل كلا الرجلين في المحيط الاجتماعي نفسه ، وهو قيام كومـونات وعندما وصـل هنري إلى لامـانس كان البـورجوازيون مـايزالون غاضـبين على أسـقفهم لتـأييده للكونت ، الذي كانوا يناضـلون للتخلص من حكمه المطلق ، والمنطقة التي تابع فيهـا تـانشيلم قـد اكتسحتها أيضا حركات العصيان المسلح في الكومـونات لسـنوات عديدة ، وبدءا من ١٠٧٤ بـدات مـدينة بعـد الأخـرى في وادي الراين : اوترخت ، برابانت ، فلاندرز وشمال فرنسا تخلص نفسها بقدر الامكان من هيمنة السادة الاقطاعيين ، الكنسيين أو المدنيين .

وكانت هذه الحركات اقدم الثورات الاجتماعية التي تميز تـاريخ المدن في العصور الوسـطى ، وكانت منظمـة على الأغلب مـن قبـل التجار تأييدا لمصـالحهم الخـاصة ، وأراد التجـار التخلص مـن القوانين التي صيغت في الأصل للسكان مـن الفـلاحين التـابعين . والتي يمكنها أن تعوق فقط ، النشاط التجاري ، لقد ارادوا التهرب من الديون والضرائب التي كانت يوما ثمنا للحماية ، ولكن بدا أنهـا مجرد ضرائب استبدادية تـؤخذ اغتصـابا بعـد أن أصـبح الآن البورجوازيون قادرين على الدفـاع عن انفسـهم . لقـد ارادوا أن يحكموا مدنهم بأنفسهم ووفق القوانين التي اعترفت بمتطلباتهم من الاقتصاد الجديد ، وفي كثير من الحالات كانت هذه الأهداف تتحقـق سلميا ، ولكن عندما كان يتبين أن السيد الاقطاعي متصـلب ، كان التجار ينظمون جميع رجال المدينة في جمعية متمردة وكان كل عضو فيها يلزم بقسم مقدس .

وحدثت حـركات العصـيان بشـكل رئيسي في المدن الخـاصة بالكنائس ، وخـلافا للأمير المدني كان الأسـقف حـاكما حقيقيا في مدينته ، وكان بالطبع معنيا بالابقاء على سـلطته على الرعايا الذين يعيش بينهم ، علاوة على ذلك كان موقف الكنيسـة تجـاه الأمـور الاقتصادية محافظا بدرجة عميقة ، وفي التجارة لم تكن ترى لزمـان

طويل شيئا سوى الربـا ، وفي التجـار لا شيء سـوى المبتـدعين الخطرين(ص ٤٩) الذين يجب أن تحبط مخططاتهم بحزم ، وكان البورجوازيون من جانبهم إذا صمموا على كسر سلطة الاسقف قادرين أيضا على قتله وإشعال النار في كاتدرائيته ، وطرد أي من اتباعه بالقوة يمكن أن يحاول الانتقام له ، ومع أن أهـدافهم في كل ذلك كانت تبقى عادة محدودة بدرجة كبيرة ومادية تمـاما ، فإنه كان من المتوقع أن تترافق بعض هذه الثورات باحتجاج عنيف ضد الكهنة غير ذوي الجدارة ، وعندما كانت الطبقات الدنيا في المجتمعات المدنية تشترك في مثل هذه الاحتجاجات فإنها كانت في الواقع تميل بـدرجة كافية إلى الصخب .

هكذا كان المحيط الاجتماعي في حركتي كل من هنري وتانشيلم ، ولكن إذا لم نستبعد نهائيا كل المصادر المعاصرة لابـد أن تـانشيلم مضى إلى حد ابعد من هنري ، وطبقا لمجمع أوترخت ، شكل تانشيلم اتباعه في جماعة مخلصة إخلاصا أعمى ، اعتبرت نفسها الكنيسـة الصحيحة الوحيدة التي حكمها كملك مسيحي ، وفي طـريقه لالقـاء المواعظ كان يسير محاطا بمرافقين ، ولم يكن يسـبقه صـليب بـل سيفه وعلمه المحمـولين كإشـارة ملكية ، وفي الواقـع كان يعلن أنه يملك الروح القدس بالمعنى نفسه وبالدرجة نفسها كالمسيح ، وبـأنه كالمسيح كان ربـا ، وفي إحـدى المناسـبات أحضر له تمثـال لمريم العذراء ، وفي حضور حشد كبير خطب نفسـه لهـا بـوقار ، وكانت صناديق النفائس توضع على كلا جانبي التمثال لتلقى فيهـا هـدايا الزواج المقدمة من الأتباع من الذكور والاناث على التـوالي ، وقـال وقتها تانشيلم : « والآن سأرى أي جنس يحمل حبا أكثر تجـاهي وتجاه عروسي » وسجل الأكليروس الذي شهد ذلك بفزع كيف اندفع الناس لتقديم هداياهم وكيف القى النساء بأقراطهن وعقودهن .

وكان الاكليروس قانعين بأن باعث تانشيلم في هذه المناسبة كان الشره ، ولكن ربما كان في الواقع مثل مسيح القـرن السـادس ، أو معاصرة هنري الراهب مهتمـا بإبعـاد الأغنياء عن طـرق الزهـو

الدنيوية ، ويمكن للمـــرء أيضـــا أن يحـــنف قصص الانغمــــاس في الشهوات الجنسية لان هذه كانت دائما تحكى عن المهرطقين من أي نوع ، ومن جانب آخر لايبدو أن هناك سببا للشك في ان تانشيلم حقا قد نصب نفسه ككاهن إلهي . ويصف مجمع أوترخت كيف ان واحدا من اتباع تانشيلم وهو حداد يدعي مانسس شكل جمعية إخـــاء مـــن إثني عشر رجلا في محاولة لمحاكاة الحواريين مع إمرأة تمثل مـــريم العذراء ، وهذه ليست من نوع القصة التي يخترعها الناس ، لاسيما وانها ليست امتيازا لرئيس الاساقفة المجاور ، ومـــرة اخـــرى ذكر مجمع أوترخت وكاتب سيرة القديس نوربرت أن تانشيلم وزع مـــاء حمامه بين أتباعه . وشربها بعضهم كبديل عن القربان المقدس ، في حين ادخرها آخرون كأثر مقدس .(ص ٥٠)

وهذا يذكر المرء بالدبيرت الذي كان يوزع قلامة اظفاره وجزازات شعره على اتباعه وبالنسبة لاي ممن يألفـــون المكتشـــفات المتعلقـــة بأصل الانسان فيما يتعلق بالمانا أو القوة الكامنة أو الطـــرق التـــي يمكن بها نقلها عبر وسائط مادية ، فإن مثل هذه الاجراءات يمـــكن فهمها فوراءوتضيف سيرة القديس نوربرت تفاصيل أخرى ، فهـــي تذكر كيف نظم تانشيلم حـــرسا مســـلحا كان يقيم معـــه عادة ولائم فاخرة ، وتقول ايضا إنه كان من غير المأمون لاي أحد حتى الأمراء العظام للأراضي المجاورة الاقتراب من تـــانشيلم ، إلا كتـــابع ، وأن الذين فعلوا ذلك كانوا عادة يقتلون على أيدي الحـــرس ، حتـــى إن الحاكم الأول لسيغبرت في غمبلوكس قال إن تانشيلم واتباعه نفـــذوا مذابح كثيرة وكل هذه أدلة مشكوك فيها ، فقد كتـــب كاتـــب ســـيرة القديس نوربوت كما هو محتمل بعد (١١٥٥) ، ومع انه ربما كان يستقي معلوماته من سيرة أقدم فقدت الآن ، وهو ربما يكون أيضـــا قد تأثر بقصة « مسيح » القرن الســـادس لغـــريغوري أوف تـــور ، وبـــالنسبة للحـــاكم الأول ليغبـــرت في غمبلوكس فإنه كتـــــب بعد ١١٥٥ ومصدر معلوماته غامض ، ولكن حتى لو أسقطت هـــذه الاضافات الأخيرة الى القصة فانه يبقى من الواضح ان تانشليم قد مارس بأي وسيلة هيمنة حقيقية على منطقة واسعة.

وقد اقر رجال مجمع اوترخت بحرية بعجزهم ، واصروا على ان تانشيلم كان لزمان طويل خـطرا على كنيســة اوتـرخت واذا اطلق وسمح له بـاستئناف عمله فـانهم لن يســتطيعوا مقـاومته ، وان الابرشية ستضيع لغير صالح الكنيسة دون امل في استردادها ، وحتى بعد موته (يعتقد ان احد الكهنة قتله حوالي ١١١٥) استمرت هيمنة تانشيلم طويلا على مدينة انتويرب وتأسس مجمع من رجـال الدين خصيصا لهذه الغاية ، لكنه كان غير قادر على معادلة نفوذه ، بل إنه على العكس خضع له ، وعند هذه النقطة اسـتدعى نوربـرت أوف اكسانتن ، وهو نبيل عظيم كان قد تخلى عن وظيفة متـألقة في البلاط الامبراطوري ليهيم في العالم في فقر رسولي ، وقـد اشـتهر نوربرت كصانع معجزات يعالج المرضى والمجانين ومؤنس للحيوانات المتـوحشة ، وبسـبب ذلك كان قـادرا ـ مـع ان ذلك كان بصعوبة ـ على أن يجتنب عامة الناس بعيدا عن ولائهم لتانشيلم وان يستعيد أنتويرب للكنيسة •

ووجـد الوعاظ المتجـولون ذوو الحياة المقدسة « والرسولية » مستمعين في كل طبقات المجتمع ليس فقـط عندما كانوا اصوليين مثل روبرت أوف أربريسل • Arbrissel او نوربرت أوف الكسانتن ولكن حتى عندما كانوا مهرطقين بوضوح مثل كاترز في لانغر يدوك •

وكانوا كثيرا ما يتمتعون بدعم النبلاء الكبار والبرجوازيين الذين كانوا يعيشون في رخاء ، ولكن يبدو ان نوعية الواعظ الذي يدعي انه كائن الهي او نصف الهي (ص ٥١) او قديس حـي او مسـيح او تجسيد للروح القدس كانت تجذب بشكل خاص الطبقات الاولى مـن المجتمع ، وحقيقي انه حتى هنا ان ما يجده المرء هـو ميل فقـط ، وليس قاعدة ثابتة فقد كان بعض الاتباع « لمسيح » القرن السادس قادرين على ان يجلبوا له الذهب والفضة او بعض المؤمنات بتانشيلم كن يقدمن له الأطواق والأقراط ، ومن جانب اخر إنه مـن الصـعب تصور أن اعضاء الفرقة المسلحة التي اعدهـا « المسـيح » لتـكمن

المسافرين وتسـلبهم حتـى يسـتطيع أن يوزع المنهـوبات على الفقراء ،لم يكونوا هم أنفسهم من الفقراء ، ولقـد وجـد تـانشيلم اتباعه الأوائل بين سكان والشرين والجـزر الأخـرى الواقعـة عند مصبي المويز والشلدات ، وهؤلاء فقط يمكن أن يكونوا مـن الناس الفقراء الصيادين والفلاحين ، وحتى فيمـا بعـد في انتـويرب كان حلفاءه الأقربين كذلك ، حتى انهم تركوا أنفسهم لحـداد كي يقـوم بتنظيمهم ، وبالنسبة لايون فإنه أيضـا كان له أتبـاع عديذون مـن الناس البسطاء في الغابات الوحشية والنائية في بريتاني .

وجملة القول يبدو تماما انه من الواضح بـدرجة كافية ان هؤلاء الذين ادعى كل منهم انه المسيح قد استمدوا الكتلة الداعمة من ادنى الطبقات الاجتماعية ومنذ اكثر من نصف قرن لفـت عالم الاجتمـاع الديني ماكس ويبر• Max Weber . الانظار الى الميول الرااقدة تحت مثل هذه الظواهر بقوله :

إن نوعا مخلصا مـن الأديان يمـكن ان ينشـأ في الطبقـات الاجتماعية ذات المزايا (الموسرة)وسحر النبي ..هو عادة مـرتبط بحد ادنى معين من الثقـافة العقلية ... ولكنه بشـكل منتـظم يغير خصائصها .. عندما ينفذ الى الطبقات الاقل ثراء .. ويمكن للمرء أن يحدد سمة واحدة على الأقل تصحب عادة هذا التحول وتكون احدى النتائج للتكيف الذي لا مفر منه مع حاجات الجماهير،وهذا هو مظهر المخلص الشخصي سـواء كان الهيا مقـدسا او مـزيجا بشريا الهيا، والعلاقة الدينية بهذا المخلص كعنصر لازم ومسبق للخلاص،وكلمـا هبط المرء سلم الطبقات الاجتماعية كلما كانت الطرق التي يتم بهـا التعبير عن الحاجة الى مخلص أكثر نزوعا إلى التطرف....

والميول التي يشير اليها ويبر قـد تمـت مـلاحظتها في كثير مـن الاراضي المستعمرة او التي كانت مستعمرة خـلال القـرن الحـالي، وكمثال واحد من مئات يمكن للمرء ان يفكر في مسيحي الزولو الذين درسهم د . بنت ساندكلر Dr Benyt Sundlkler وتماما كشخصيات القـرون الوسـطى سـمى هؤلاء أنفسـهم

مسيحيين واستمدوا افكارهم الاساسية وتصورهم من الكتب المقدسة ولكنهم ايضا نسبوا لانفسهم اعظم ما يمكن ادعاؤه وكان ذلك مقبولا بحماس من قبل اتباعهم ، وكتب د . ساندكلر :« معظم انبياء الزولو يعتبرون في نظر اتباعهم كائنات من انصاف الآلهة، ويصبح النبي المسيح الأسود وبسبب ذلك يحرز نفوذه الهائل على اتباعه »(ص ٥٢) وحياة واعمال اشعيا شمب (١٨٧٠ - ١٩٣٥)مدللة مبرهنة، وهو أكثر الذين ادعوا انهم المسيح من الزولو شهرة،لقد كان شمب واعظا من العامة ذا بلاغة عظيمة وشخصية جذابة بنى كنيسة خاصة به في مقابل الكنائس التبشيرية التي كان يرعاها البيض،وفي البداية ادعى فقط انه نبي ولم يقر امام سلطات البيض ابدا باكثر من ذلك ولكنه افشى سرا لاتباعه في النهاية « أنه الموعود » والخليفة الحقيقي الذي حل مكان يسوع ، و ما فعله يسوع في أيامه للبيض وخلاصهم يفعله هو الان من أجل الزولو وخلاصهم،وادعى ان الرب قد دعاه حينما كان مايزال في رحم امه .

وتنبأ أنه بعد برهة وجيزة سيقف عند بوابة القدس السماوية وعندها سينفي البيض واولئك السود الذين تبعوا الكنائس التبشيرية وسيسمح لاتباعه فقط .

وكل هذا يذكر بشكل مدهش تماما بمسيحي القرون الوسطى في أوروبة ويستحق التأمل في الظروف التي ازدهر فيها شمب وانبياء الزولو المشابهين،ويشير ساندكلر الى أن مثل هذا المسيح يشبه و يختلف عن حاكم الزولو في الأيام التي كانوا فيها ما يزالون أمة غير مستقلة ، و كان المسيح و الحاكم كلاهما يريان كائنات الهية،ولكن بينما كان الحاكم يجمع قوى الزولو كان المسيح دائما يدعى بانه الناطق بلسان المحتقرين .

وبشكل نموذجي كان المتنبئين من هذا النوع يميلون للازدهار ليس بين الفقراء والمضطهدين في حد ذاتهم بل بين الفقراء والمضطهدين الذين انهارت طريقتهم التقليدية في المعيشة والذين

فقدوا ايمانهم بقيمتهم التقليدية ، والان خلال العصور الوسطى خبرت نواح معينة من اوروبا الغربية تماما مثل هذه الازمات من الارتباك الجماهيري ، وكانت هذه بشكل خاص هي الحالة منذ نهاية القرن الحادي عشر ومابعده ، فمنذ ذلك الوقت وماتلاه يمكن للمرء ان يميز بوضوح تام في التيار العظيم للانشقاق الديني تيارا واحدا يمكن بشكل دقيق تسميته الانشقاق الديني للفقراء ، ومنذ ذلك الوقت ومايليه يمكن للمرء ان يتكلم دون اهلية عمن ادعى انه المسيح بين الفقراء وحركات الفقراء الذين بهذه الأنواع من المسيح .

إنه بمثل هذه الشخصيات و مثل هذه الحركات سيهتم الجزء الاعظم من هذا الكتاب ولكن في البداية من الضروري ان نبحث بايجاز في من هم هؤلاء الفقراء،وما الذي ميزهم عن فقراء القرون الاقدم،ولأي ضغوط جديدة كانوا يستجيبون وماهي الاحتياجات الجديدة التي كانوا يحاولون التعبير عنها .

الفصل الثالث

مسيحيات الفقراء المضللين

الزخم المؤثر للتغيير الاجتماعي السريع:

حدثت الحركات الثورية للفقــراء التــي راســها مســيحيون أو قديسون احياء(ص ٥٣) واســتمدت الهــــامها مـــن نبـــوءات السبلينيين : أو يوحنا ، فيما يتعلق بالايام الأخيرة ، حدثت بتكرار متزايد منذ نهاية القرن الحادي عشر وما بعده ، وهي لم تحدث على اي حال في كل الفتــرات أو كل المناطــق ، وحتــى الآن فيمــا يتعلق بأوروبا الشمالية ، إنه فقط في وادي الراين يمكن للمرء أن يتحــرى تقاليد يبدو انها غير متحللة للألفية الثورية التي استمرت حتى القرن السادس عشر ، وفي بعض المناطق فيما يعرف الآن ببلجيكا وشــمال فرنسا يمكن تتبع مثل هذه التقاليد منذ نهاية القــرن الحــادي عشر حتى أواسط القرن الرابع عشر، وفي بعض المناطق من جنوب ووسط المانيا منذ أواسط القرن الثالث عشر وحتى مرحلة الاصلاح ، التــي بعدها يمكن ملاحظة بدايات تقاليدها في هولندا ووستفاليا

وعلى حواف هيجان اكبر بكثير ، حدث هياج الفــى حــول لندن واخر في بوهيميا ومــع اســتثناء واحــد أو اثنين صــغيرين ان كل الحركات التي تعنى بها الدراسة الراهنة قامت ضمن هذه الحــدود الدقيقة نوعا ما ، مما يدفع المرء إلى الســؤال لماذا تــوجب أن يكون الأمر كذلك ، ومهما كان محفوفا بــالمخاطر تتبــع ســبب ظــاهرة اجتماعية في مجتمع هي نفســها لا يمــكن مــلاحظتها فيه بشــكل مباشر ، إن حادثة الألفية الثورية هنا واضحة جدا ومحدودة ســواء في مداها أو في زمانها على انها بلا اهمية ، إن نظرة مأخوذة من عل

توحي بأن الحالات الاجتماعية التي حدثت فيها انفجارات ثورية الفية كانت في الواقع موحدة بشكل ملحوظ ، وهذا الانطباع يتأكد عندما يقوم المرء بفحص انفجارات خاصة بالتفصيل . والمناطق التي أخذت فيها النبوءات القديمة حول الأيام الأخيرة معان ثورية جديدة ، وقوة ثورية جديدة ، وكانت المناطق المكتظة بالسكان بدرجة خطيرة و المنهمكة في عملية تغيير اقتصادي و اجتماعي سريعة ، و مثل هذه الظروف كان لابد أن توجد الآن في منطقة واحدة ، والآن في اخرى لأنه في تلك النواحي كان التطور في أوروبا العصور الوسطى اي شيء إلا أن يكون موحدا(ص ٥٤) وأينما حدثت كانت الحياة تختلف بدرجة كبيرة عن الحياة الزراعية المستقرة التي كانت المعيار على مدى الألف سنة امتداد العصور الوسطى ، ومفيد معرفة نوع هذه الفروق بدقة ، وبالتأكيد لم تكن الحياة التقليدية على الأرض سهلة ، فعلى الرغم من التحسن في التقنيات الزراعية إنها لم تكن بالدرجة التي تبقي الفلاحين في حالة وفرة حتى في الظروف المواتية ، وبالنسبة لمعظم الفلاحين إن الحياة لا بد أنها كانت دائما كفاحا شاقا ، ففي كل قرية كان هناك أعداد من الفلاحين تعيش قرب أو في مستوى ابقاء الرق ، وكان الفائض الزراعي صغيرا جدا ، وكانت المعلومات والاتصالات غير ثابتة حتى أن المحصول السيء كثيرا ما كان يعني مجاعة كبيرة جدا ، ولأجيال كانت أطراف المناطق الكبيرة في شمال ووسط أوروبا تخرب من قبل الغزاة الشماليين القدامى والمجريين ، ولقرون على أطراف مناطق أوسع بكثير كانت تحدث الاضطرابا ت بسبب الحروب الخاصة للبارونات الاقطاعيين ، علاوة على ذلك كانت كتلة الفلاحين تعيش بصورة طبيعية في حالة اعتماد دائم ومضجر على سادتهم الكنسيين أو المدنيين،وكان العديد من الفلاحين أرقاء حملوا عبوديتهم في دمائهم ونقلوها من جيل الى جيل ، عبيد مملوكون بالمولد لارث سيد ، وكان الشعور أن تلك حالة متدنية فريدة . ولكن وجدت ايضا حالات اخرى ، اذا كانت اقل اذلالا فانها كانت مثل ذلك تقريبا صعبة التحمل بدرجة العبودية نفسها ، وخلال القرون الطويلة من الاعمال الحربية المتكررة الحدوث باستمرار ، عندما لاتوجد حكومة مركزية فعالة ، كان معظم

مالكي الأراضي الصغار يجدون لتسليم أراضيهم للسيد المحلي الذي كان مع زمرته من الخدم المزودين بـالخيول ، الوحيد الذي في مـوقع تقديم الحماية ، وكان ابناء هؤلاء الناس أيضا يعتمدون على سيد ، ومع أن اعتمادهم كان ينظم بعقد إرثي دائم فإنه لم يكن بـالضرورة اقل إرهاقا من العبودية ، وفي عصر كانت فيه اكثر الضمانات فعالية للاستقلال الشخصي تقـوم على ملكية الأرض والقـدرة على حمـل السلاح ، كان الفلاحون في وضع غير موات ، حيث أن النبلاء فقـط هم الذين كانوا قادرين على تأمين السلاح ، وكانت معـظم الأراضي في المناطق الزراعية مملوكة إما للنبلاء أو للكنيسة.

وكانت الأرض – اللازمة للمعيشـة – يجـب أن تسـتأجر ، ويجب كسب الحماية لها ، وهذا كان يعني أن معظم الفـلاحين كان عليهم أن يزودوا سادتهم بقدر كبير من خدمات العمل ، والواجبـات المنتظمة وبغرامات خاصة وأتاوات.

وباعتراف الجميع كانت ظروف حياة الفلاح ، مختلفـة ومتنوعة كثيرا ونسبة القيد والحرية بين السكان من الفـلاحين كانت تختلف بدرجة كبيرة من قرن لقرن ومن منطقة لأخرى ، ومـرة أخـرى بين هاتين الزمرتين ، كان يوجد تنوع غير محدود في الأوضـاع الشرعية والقضائية وفي الرخاء ، حتى بين سكان القرية الواحدة كان يوجـد عدم مساواة كبيرة(ص ٥٥) ولكن عندما ألحقت كل إضافة بهـذه التعقيدات يبقى صحيحا أن الفقر والصعوبات وغالبا عدم الاستقلال القسري كانوا كافـين بحد ذاتهم لتوليد الألفية الطبيعية ، وكان لدى العبيد لهفة إلى الهروب ، وكانت هناك جهود متـكررة مـن جـانب المجتمعات الفلاحية لانتزاع الحقوق وثورات متقطعة ، وكانت مثـل هذه الأشياء مألوفة بدرجة كبيرة كافية في حياة كثير مـن الضـياع والمزارع ، ولكن لم يكن كثيرا ممكنا تحريض الفلاحين المسـتوطنين لتـوظيفهم في السـعي وراء الألفية ، وإذا فعلوا فإن ذلك كان إمـا بسبب انهم تورطوا في حركة كبيرة نشأت في طبقة مختلفة تماما ، أو

أن طريقتهم التقليدية في الحياة أصبحت مستحيلة أو - وهـو مـا كان الحالة الأكثر شيوعا - لاجتماع هذين السببين.

ومن الممـكن رؤية لماذا على الرغم مـن كل الفقـر والصـعوبات وانعدام الاسـتقلال ، كان المجتمـع الزراعي للعصـور الوسـطى الأولى - وفي العصور الوسـطى المتـأخرة أيضـا في كثير مـن المناطق - نسبيا غير مرتبط بنضال المحـرومين مـن المزايا مـن المؤمنين بالأخرويات ، وإلى مدى يصعب المبـالغة فيه ، كانت حياة الفلاحين تستمر وتتشكل بالعادة والروتين الكوموني ، وفي السهول الشمالية الواسعة كان الفلاحون عادة يتجمعـون معـا في القـرى ، وكان سكان القرى يتبعون نهجا زراعيا تـطور بشـكل جمـاعي في القرية ، وكانت رقـع الأرض متجـاورة ومتشـابكة في الحقـول المكشوفة ، وفي الفلاحة والبذر والحصاد لا بد أنهم كثيرا مـا كانوا يعملون كفـريق ، وكان لكل فـلاح الحـق في اسـتعمال « الأرض المشاعة » إلى مدى مفروض ، وكانت الماشـية تـرعى هناك معـا ، والعلاقات الاجتماعية ضمن القرية كانت تنظمها المعايير التـي مـع أنها كانت تختلف من قرية لأخرى كان لها دائمـا قـدسية التقـاليد وكانت دائما تعتبر غير قابلة للانتهـاك ،و كان هـذا صـحيحا ليس فقط في العلاقات بين القرى نفسـها بـل أيضـا بين كل قـروي وسيده .... وخلال الصراعات الطويلة بين المصالح المتضاربة طورت كل ضيعة قوانينها الخاصة التي ما أن كانت تترسخ بـالاستعمال حتى فرضت الحقوق والالتزامات لكل فـرد ، ولهـذه العـادات كان السيد نفسه في الضيع يخضع لهـا ، وكان الفـلاحون عادة يقـظين لضمان أنه كان بالفعل يلتـزم بهـا ، وكان مـن الممـكن أن يكون الفلاحون مصممين جـدا في الدفـاع عن حقـوقهم التقليدية وحتـى زيادتها في المناسبات ، وكان بامكانهم التصميم ، لأن السكان كانوا متناثرين والعمل مطلوب بكثرة ، وقد أعطـاهم هـذا ميزة كانت الى حد ما توازن التـركيز في ملكية الأراضي والقـرى المسـلحة في أيدي سادتهم (ص ٥٦) وكنتيجـة لم يكن نظـام الوحـدات الادارية في التنظيم الريفي بأي شكل نظاما للاستثمار غير المنضـبط العمـل .

فإذا كانت العادة تلزم الفلاحين بتقديم الواجبات و الخدمات فإنهــا ايضا كانت تثبت المقادير ، وبالنسبة لمعظم الفلاحين كانت توفر على الأقل الأمن الأساسي الذي كان ينبــع مــن الاســتئجار المضــمون والموروث لقطعة الأرض .

وكان وضع الفلاح في المجتمع الزراعي القديم مدعما كثيرا أيضا بحقيقة انه - كالنبيل تماما - كان يمضي حياته مرتبطا بــإحكام بمجموعة من الأقرباء - وكانت الأسرة الكبيرة التي ينتمي إليهــا الفلاح تتألف من اقارب الدم من طرف الذكر أو الأنثــى وزوجــاتهم وازواجهم وكانوا كلهم مــرتبطون معــا بــروابطهم مــع رئيس المجمــوعة - الأب (أو اذا انعــدم الأم) - الفــرع الرئيسي في العائلة ، وكثيرا ما كانت مجموعة النسب هذه يعترف بهــا رســميا كمستأجر للملكية الفلاحية ، التي بقيت راسخة فيها منوطة بها طالما بقيت المجموعة ، ومثل هذه العائلة كانت تشــترك في القــدر نفســه والنار والرغيف ، والعمل في الحقول غير المجزأة نفسها ، وتتــأصل في قطعة الأرض نفسها أجيالا ، وكانت تعتبر وحدة اجتماعية شديدة التماسك ، حتى وان كانت هــي نفســها أحيانا تتمــزق بــالشجار الداخلي المرير.

وليس هناك شك في أن الفلاح الفرد قد ربح الكثير من انتمائه لمثل هذه المجموعة . وأيا كانت حــاجته و حتــى لو لم يعــد يعيش مــع العائلة ، فإنه كان يستطيع دائما أن يطلب العون من اقــربائه ، وأن يطمئن إلى انه سيناله . فإذا كانت روابط الدم مقيدة فهــي ايضــا تدعم كل فرد.

وكانت الشبكة الاجتماعية التي كان الفلاح يولد فيها قوية جدا ، وكانت تعتبر مضمونة حتــى انهــا كانت تحــول دون اي انحــراف جذري ، وطالما ان الشبكة بقيت سليمة كان الفلاحون يتمتعون ليس فقط بأمن مادي مؤكد بل ايضا - وهو اكثر علاقة - بشعور مؤكد بالأمان ، وهو ضمان أساسي لم يتمكن الفقر المســتمر و لا الخــطر المحيق من حين لآخر مــن تــدميره ، وعلاوة على ذلك إن مثــل تلك

الصعوبات نفسها كانت مضمونة كجزء من حالة من الشوؤن التـي بدأ أنها تسود منذ الأبد ، وكانت الآفاق الاجتمـاعية والاقتصـادية ضيقة بقدر ضيق الآفاق الجغرافية نفسها ، ولم يكن الاتصـال مـع العالم الواسع وراء حدود الضيعة ضـعيفا فحسـب بـل إن مجـرد التفكير في أي تحول أساسي في المجتمع نادرا ما كان متصـورا ، وفي اقتصاد كان بدائيا بشـكل مـوحد ، حيث لم يكن أحـد شـديد الثراء ، لم يكن هناك شيء يثير احتياجات جديدة ، وبالتأكيد لا شيء مما يمكن أن يثير الانسان لتضخيم تخيلاته عن الثروة والقوة،وبـدأ وضع الأمور هذا يتغير عندما ـ منذ القرن الحادي عشر أصـبحت منطقة أخرى في حالة من السلام تكفي لكي يتزايد السكان و تتـطور التجارة ، ووقعت المناطق الأولى التـي حـدث فيهـا ذلك جـزئيا في الأراضي الفرنسية وجزئيا في الأراضي الألمانية،وفي القـرون الحـادي عشر والثاني عشر والثالث عشر وفي منطقة تمتد تقريبا من السـوم الى الراين وتتركز على الامارة العظيمة التي كان كونتات فـلاندرز يحكمونها بحزم وكفـاءة فـريدين ، وازداد السـكان بسرعة ، وفي القرن الحادي عشر كان شمال شرق فـرنسا ،والبـلاد المنخفضـة ووادي الراين بالفعل مناطق تحمل من السكان فوق ما يمكن للنظـام الزراعي التقليدي أن يتحمل ، وبدأ كثير من الفلاحين في استصلاح أراض أخذوا يستخلصونها مـن البحـر والسـبخات والغـابات أو الهجـرة في اتجـاه الشرق للاشـتراك في عملية الاسـتعمار الألماني للأراضي التي كانت حتـى ذلك الحين يسـكنها السـلاف ، وبهؤلاء الرواد سارت الأمور بشكل عام سيرا حسـنا بـدرجة كافية ، ولكن الكثيرون بقوا بلا أملاك وكانت ملكياتهـم أصـغر مـن أن تـكفي لاعالتهم ، وكان على هؤلاء أن يتـدبروا أمـرهم بقـدر مـا يستطيعون ، ومضى بعض هؤلاء السكان الفائضين ليشكلوا طبقـة العمال الكادحين الريفيين (البروليتاريا) في حين تـدفق بعضـهم على المراكز التجارية والصناعية وأفرزوا بروليتاريا مدنية .

واعطى الفايكنغ الذين جلبوا الخراب الى كثير من أجزاء اوروبا، أعطوا الزخم المؤثـر الأول لتـطوير الصـناعة في وحـول

بلاد فلاندرز، التي كانت في تلك الوقت تمتد من أراس الى غنت، واصبحت صناعة النسيج التي قد استمرت هناك منذ زمن الرومان صناعة كبيرة ، عندما بدأ استيراد الصوف الإنكليزي في القرن العاشر - وبثرواتهم الكبيرة وجذورهم الحرفية التي امتدت عميقا في روسيا ، قدم الفايكنغ سوقا رائعة للأقمشة ذات النوعية العالية ، وذلك تماما في الوقت الذي كانت فيه حكومة فعالة تحقق السلام الكافي والاستقرار للأرض لتجعل التطور الصناعي ممكنا ، وخلال القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر نمت صناعة عظيمة للملابس وانتشرت حتى أن مايدعي الآن بلجيكا وشمال شرق فرنسا اصبحت تقريبا الجزء الأكثر تصنيعا عاليا في القارة التي كانت تهيمن عليها الزراعة ، وبهذا التركيز للصناعة ، اصبح وادي الراين محكم الترابط ، وفي القرن الثاني عشر كان التجار الفلمنك يمارسون التجارة على طول الراين ، وبحلول القرن الثالث عشر كان تجار وادي الراين أنفسهم يسيطرون على التجارة الدولية لشمال أوروبا ، وكانت الأقمشة الفلمنكية تمر بأيديهم في طريقهم الى الأسواق الجديدة في وسط وجنوب المانيا وفي المشرق المتوسطي ، وفي كولون نقطة التقاء كثير من طرق التجارة نمت صناعة النسيج المزدهرة والنحاس .

وحققت المراكز الصناعية الجديدة جذبا قويا للفلاحين ، وفي المقام الأول بلا شك بالنسبة لفائض السكان وايضا بالنسبة للذين كانوا يرغبون في الهرب من القيود واغتصاب الحقوق الذي أرهقهم في الضياع ، ولأولئك الذين كانوا قلقين ومتلهفين للتغيير (ص ٥٨) وايضا للذين تصادف أن كان لديهم حب للمغامرة والخيال ، لأن الحياة في تلك المراكز قدمت بالتأكيد للناس العاديين الفرص والتعويض ، وبشكل لم يسبق لهم أن عرفوه أبدا على الأرض،وكانت الصناعة مركزة في المدن ، وكان أي عبد تستقبله المدينة يطرح حالة العبودية ويصبح حرا ، علاوة على ذلك كان أسهل بكثير هناك ، لا سيما في المراحل الأولى من التوسع الاقتصادي ، بالنسبة للرجل الفقير أن يحسن وضعه أكثر مما كان

في الضيعة ، وكان المهاجر الفقير المعدم ذو الميل الى الصناعة ربما ينتهي بأن يصبح تاجرا غنيا ، وحتى بين الحرفيين تطور الذين انتجوا من أجل السوق المحلي في الجمعيات الحرفية والاتحادات التي حققت كثيرا من الاعمال التي حققها مجتمع القرية وجمعيات النسب للفلاحين ، وفعلت ذلك بأرباح أكبر بكثير ، ومع توسع الآفاق الاجتماعية والاقتصادية توقفت الشدائد والفقر والتبعية عن الظهور كمصير لا مفر منه للناس العاديين .

ومع ذلك كان هناك العديد ممن اكتفوا بمجرد تغيير متطلباتهم بمتطلبات جديدة دون أن يكونوا قادرين على تحقيقها ، وفيهم كان من اثار لديهم مشهد الثروة التي لم يكونوا يحلمون بها في قرون سالفة شعورا بالمرارة والاحباط. وفي المناطق المكتظة بالسكان ، المتمدنة نسبيا والمصنعة ، كان هناك اناس عديدون يعيشون على هامش المجتمع ، وفي حالة من عدم الأمان مزمنة ، ولم تكن صناعتهم أبدا حتى في أفضل الأزمان قادرة على امتصاص كل الفائض من السكان ، وتزاحم المتسولون في كل موقع سوق ، وكانوا يتجولون في جماعات في شوارع المدن وعلى الطرقات بين مدينة واخرى ، وأصبح العديد منهم مرتزقة ، ولكن في تلك الأيام التي كانت فيها الحملات قصيرة ، كانت جيوش المرتزقة تسرح باستمرار ، واصبحت كلمة برابانسون تعني عصابات الغزو والسلب للجنود غير المستخدمين من الذين يبحثون عن الحظ والذين كانوا دائما يأتون من برابانت والأراضي المجاورة ليخربوا اقاليم كاملة في فرنسا . وحتى بين الحرفيين المستخدمين كان العديد منهم يجد نفسه أكثر عجزا عن الدفاع عن النفس من فلاحي الضياع .

وصحيح بالطبع أن صناعة العصور الوسطى لا يمكن أن تقارن سواء في درجة العقلانية والموضوعية أو التوازن المحض مع المشاريع الكبيرة التي قدر لها أن تغير البنية الاجتماعية لأوروبا في القرن التاسع عشر، انها لم تكن تتكون ببساطة من ورش صغيرة كان المعلم » نفسه فيها رجلا ذا وسائل متواضعة وبلا طموح

كبير ، ويمارس مراقبة ابــوية خيرة على نحــو ثــلاثة أوأربعــة مساعدين،ويشكل مع الصبية المتدربين على الحــرفة جمــاعة عائلية تقريبا ، فهذه الصورة المألوفة صالحة فقط للصــناعات التــي كانت تنتج للسوق المحلي ، أما الصــناعات التــي كانت تنتــج الســلع للتصدير ، فكانت على العكس لها قاعدتها الاقتصادية في الصــورة البدائية للراسمالية غير المنضبطة وبشكل بارز في صناعات الأقمشة الكبيرة ، كان التجــار الراســماليون هــم الذين يقــدمون المواد الخام ، والذين يملكون المنتجات المنجــزة ، والتــي كانت تبــاع في السوق الدولية ، وكان موقف العمال حتــى المهــرة ، والنســاجين والقصارين متقلقلا مع أنه كان لديهــم جمعيات،ولكن هــذه لم تــكن قادرة على حمايتهم كما كانت بالنسبة للحرفيين الذين كانوا يعملون في السوق المحلي ، وكان هؤلاء الرجــال يعــرفون أنه في أي لحــظة يمكن لحرب أو هبوط في الأسعار تعويق التجارة ، وعندهــا فإنهــم ايضا سيلقي بهم في الحشد اليائس من العاطلين عن العمــل ، وذلك في حين كان العديد من العمال غير المهرة الذين يحصلون على أجــور بائسة وليس لديهم اي وسائل أوجمعيات منظمة بشكل كامل تحــت رحمة السوق.

وإضافة الى الفقر الذي يماثل في حجمــه فقــر أي فــلاح ، كان العمال المتجولين والمؤقتين يعانون من الارتباك ،وهو أمــر كان يندر ان يحدث مثله في نظام الضيعة ، فلم يكن هناك مجموعة من العادات يمكن أن يســتثيروها في دفــاعهم و لم يكن هناك نقص في العمــالة يضيف وزنا الى إدعاءاتهم ، وفوق كل شيء إنهم لم يكونوا مدعومين بشبكة من العلاقات الاجتماعية ، يمكن مقــارنتها بتلك التــي كانت تدعم الفلاح ، ومع انه بالمعايير الحديثة تبدو أكبــر مــدن العصــور الوسطى صغيرة ، ولا يمكن أن يكون هناك شــك انه في مجمــوعات المدن كتلك التي كانت توجد على سبيل المثــال في فــلاندرز ، والتــي ضمت كل مدينة منها سكانا تراوح عددهم مــا بين عشرين الف الى خمسين الفا كان الأسوأ حظا يمكن أن ينحدر بطريقة غير ممــكنة في قرية ربما كانت تضم خمســين أو ربمــا مــائتي نســمة وإذا كانت

جماعات النسب في الطبقات العليا من سكان المدن مـاتزال هـامة ، فإنها في الطبقات الأولى قد تضاءلت حتى درجة التفـاهة ، و بـدأت الهجرات من المناطق الريفية المكتظة بالسكان الى المراكز الصناعية بالتمزق و انتهت بتمزيق العائلات الفلاحية الكبيرة ، و بين السكان الصناعيين من جانب اخر كان لدى جماعات النسب مـن أي حجـم ملموس بالكاد الفرصة للتشكل جـزئيا بسـبب معـدلات الوفـاة المرتفعة ، حتى أن السكان يجب الى حد كبير ان يتجددوا من جديد كل جيل ، وجزئيا لأن العائلات الفقيرة كانت عاجزة عن الحصـول على أكثر من فرصة صغيرة في مجال العيش في أي مكان.

وكان العمال المتجولون والعمال غير المهرة ، والفلاحون من غير المالكين او الذين يملكون أرضـا أصـغر مـن أن تعيلهـم والشـحاذون ، والمشردون والعـاطلون أولئك المهـددون بالبطالة ، والعديد من الذين لسبب أولآخـر لم يكن بإمـكانهم بلوغ مكانة مضمونة ، ومعترف بها ، لقد كان مثل هؤلاء الناس يعيشون في حالة من الاحباط المزمن والقلق ، ويشكلون أكثر العناصر تهورا وعدم استقرار في مجتمـع القـرون الوسـطى ، وكل حـدث يثير الاضطراب والفزع والاثارة.

وكل نوع مـن الثـورة أو التمـرد أو دعوة الى حملة أو فتـرة انقطاع في الحكم أو خلو للعرش او الوباء ، أو المجـاعة أو أي شيء يمزق روتين الحياة الاجتماعية ، كان يؤثر على هؤلاء الناس بحـدة غريبة ، ويحدث ردود فعل ذات عنف غريب ، والطريقة الوحيدة التي كانوا يحاولون فيها التعامل مـع مـأزقهم المشـترك كانت تشـكيل مجموعة من المخلصين تحت زعامة واحـد يدعي أنه المسـيح وحيث كان يوجد فائض في السكان يعيش على هامش المجتمع ، توفر دوما الميل قويا لاتخاذ زعيم رجـلا نصـف ديني ، أو ربمـا راهـب مرتد ، كان يفرض نفسه ، لا ببساطة كرجل مقـدس ، بـل كنبـي ومخلص أو حتى كإله حي ،وعلى قـوة الالهـامات أو الوحـي الذي يدعي بسببه أصلا الهيا ، كان هذا الزعيم المبعوث يقـرر لأتبـاعه

مهمة جماعية ذات ابعاد كبيرة وأهمية تهز العالم ، وكان الاقتناع بضرورة هذه البعثة ، وبكون المبعوث مكلفا من الرب بتنفيذ مهمة استثنائية يزود المشوشين والمحبطين بأمل جديد وقدرات جديدة على الاحتمال ، ولم يعطهم ببساطة مكانا في العالم . بل مكانا فريدا لامعا،وكانت الاخوانيات من هذا النوع تشعر انها نفسها صفوة وضعت سرمديا بعيدا عن وفوق العناصر الفانية العادية ، وتشارك في المزايا الاعجازية لزعيمها ، وتشارك أيضا في قدراته العجائبية ، وعلاوة على ذلك كانت البعثة التي اجتذبت بصورة اشد هذه الحشود من بين اكثر طبقات السكان عوزا ـ كانت بشكل طبيعي وكاف ـ بعثة ترمي لأن تتاوج بتحول كامل للمجتمع . وفي التخيلات الأخروية التي ورثوها من الماضي السحيق والعالم الذي للمسيحية الأولى ، وجد هؤلاء الناس اسطورة اجتماعية مكيفة بشكل اكثر اكتمالا مع متطلباتهم،وقدر لهذه العملية التي بعد حدوثها الأول ، في المنطقة بين السوم والراين ، أن تحدث في قرون متأخرة في جنوب ووسط المانيا ، وحتى ابعد ، في هولندا ووستفاليا .

وفي كل حالة كانت تحدث في ظروف متماثلة عندما كان السكان يتزايدون ويتحولون الى الصناعة كانت الروابط الاجتماعية التقليدية تضعف او تتحطم والفجوة بين الأغنياء والفقراء تتحول الى هوة ، ثم في كل هذه المناطق بدورها كان الشعور الجماعي بالعجز والقلق والحسد يفرغ نفسه في الحاح مسعور ليضرب غير الاتقياء ـ وبذلك تتشكل من المعاناة النازلة والمعاناة المحتملة ، تلك المملكة النهائية ، حيث يتجمع القديسون حول الملاذ العظيم ، وفي شخص مسيحهم ، حيث يتمتعون بالراحة وبالثروة والأمن والقوة الى الأبد.

الفقراء في الحملات الصليبيية الأولى :

شهد نصف القرن الذي ظهر فيه تانشيلم اوف انتويرب و ايون أوف بريتاني (ص ٦١) شهد ايضا الانفجارات الأولى لما يمكن ان

يدعوه المرء دون تحفظ مسيحانية الفقراء . وقد هيأت الحملتان الصليبيتان الأولى في ١٠٩٦ والثانية في ١١٤٦ الظروف العامة لذلك .

عندما استدعى البابا أوربان الثاني فرسان العالم المسيحي للاشتراك في الحملة الصليبية أطلق بين الحشود الآمال والكراهية التي كانت تعبر عن نفسها بطرق غريبة تماما عن أهداف السياسة البابوية ، وكان الهدف الرئيسي لمناشدة أوربان الشهيرة في كليرمونت في ١٠٩٥ تزويد بيزنطة بالتعزيزات التي احتاجت اليها من أجل طرد الأتراك السلاجقة من آسيا الصغرى ، لأنه كان يأمل ان تعترف الكنيسة الشرقية بالمقابل بسيادة روما ، حتى تستعاد الوحدة النصرانية ، وفي المقام الثاني كان معنيا بأن يشير الى نبل موطنه فرنسا خاصة ، وأن يوجد مخرجا بديلا للطاقات الحربية التي كانت ماتزال تجلب الخراب باستمرار للأرض ، وكانت اللحظة مناسبة لأن مجتمع كليرمونت كان معنيا بدرجة كبيرة بهدنة الرب ، ذلك الجهاز الساذج الذي حاولت الكنيسة على مدى نصف قرن ان تحد به من الأعمال الحربية الاقطاعية ، واضافة الى الأكليروس كان عددا كبيرا من النبلاء الاقل شأنا قد جاء كليرمونت وقدم أوربان للذين سيشتركون في الحروب الصليبية مكافآت مؤثرة، فالفارس الذي يأخذ الصليب بمقصد ورع سيكسب الغفران من العقاب عن خطاياه العارضة جميعها ، واذا مات في المعركة سينال المغفرة عن كل خطاياه وستكون هناك جوائز مادية اضافة الى الجوائز الروحية ، ولم يكن الاكتظاظ بالسكان قاصرا على الفلاحين ، وأحد الأسباب للحروب الدائمة بين النبلاء كان النقص الحقيقي في الأرض،وكثيرا ما كان الأبناء الأصغر بلا ارث بالمرة ، ولم يكن لديهم خيار سوى البحث عن الحظ ، وطبقا لاحدى الروايات كان أوربان نفسه قد قارن بين الفقر والعوز الفعلي لكثير من النبلاء ، والرخاء الذي سيتمتعون به عندما سيستولون على الاقطاعات الجميلة الجديدة في الأراضي الجنوبية ، وسواء فعل ذلك أم لم يفعل ، كان هذا بالتأكيد اعتبار له وزنه الراجح لدى الكثير من

الصليبيين ، ومع ذلك من الواضح انه كان يجري بالفعل بين الاساقفة والكهنة النبلاء ، الذين سمعوا مناشدة واغراء أوربان في كليرمونت شيء ما لم يكن ببساطة توقعا لكسب فردي سواء أكان ماديا أم روحيا ، وبينما كان المجلس يستمع كانت تكتسحه انفعالات القوة الغامرة ، وصاح الالوف في صوت واحد ديوس لافولت ـ « إنها إرادة الرب » وهم محتشدون حول البابا راكعين بين يديه يلتمسون الأذن بالاشتراك في الحرب المقدسة ، وخر أحد الكرادلة على ركبتيه وتلا « الكونفتيوز » (صلاة الاعتراف) باسم الجمع كله ، وبينما كانوا يرددونها وراءه انفجر الكثير بالبكاء واصيب العديد برعشة تشنجية ، ولبرهة وجيزة هيمن على الاجتماع ، الذي سادت فيه الارستقراطية ، جومن الحماس الجماعي ، ومثل ذلك أصبح طبيعيا في الحالات الطارئة التي حدثت فيما بعد للناس العاديين .

ذلك أن مناشدة كليرمونت كانت البداية فقط لهياج تلقفه على الفور عدد كبير من الوعاظ ، واستمر التبشير بالحملة الصليبية بين النبلاء من قبل أوربان نفسه الذي أمضى شهورا عدة يسافر في انحاء فرنسا لهذه الغاية ، وبوساطة الأساقفة الذين عادوا من كليرمونت الى أبرشياتهم ، وقد تم الوعظ بها أيضا للناس العاديين بوساطة عدد من المتنبئين ، وهم أناس مع أنهم كانوا غير مزودين بأي سلطة رسمية كانت لديهم الهيبة التي كانت تحيط دائما بالزاهدين من صانعي المعجزات ، وأشهر هؤلاء كان بطرس الناسك ، وولد بطرس قرب أمينز وأمضى حياة زاهدة صارمة ، في البداية كراهب ثم كناسك ، وكان يسير حافي القدمين ، ولم يمس اللحم أو النبيذ قط ، وكان رجلا ضئيلا نحيلا ذا لحية طويلة رمادية ، له حضور أسر ، وبلاغة عظيمة ، حتى انه نقلا عن واحد كان يعرفه ، كانت كل كلمة أو فعل منه تبدو نصف الهية ، وقد مارس على الجماهير ابهارا وسحرا لايقاوم ، وكان الناس يحتشدون ويتدافعون حوله ويجهدون لانتزاع شعرة واحدة من الأتان التي كان يركبها ليدخروها كتذكار اثري مقدس ، وقد تكاثرت الاساطير حول قصة

حياته ، وقبل أن يتكلم البابا قيل كان بطرس في القدس ، وفي كنيسة القيامة حيث الضريح المقدس ظهر له المسيح وأعطاه رسالة مفوضا إياه باستدعاء الحملة الصليبية ، ويبدو أن بطرس قد أسهم في الأسطورة بحمل الرسالة السماوية معه أينما وعظ ، وكان نجاحه كداعية ضخما ، وبينما كان يمر في شمال فرنسا قفز جيش من الصليبيين الى الوجود ، وأسرع الناس الى بيع ممتلكاتهم لشراء الأسلحة وعدة السفر ، ثم بعدما لم يعد لديهم أي وسيلة للمعيشة بدأوا يرحلون ، وفي آذار ١٠٩٦ م قبل أن تصبح الحملة الصليبية الرسمية للبارونات جاهزة بأربعة شهور عبر بطرس من الأراضي الفرنسية الى الألمانية عل رأس الجماعة التي الهمها ، وفي الوقت نفسه كانت جماعات أخرى تتشكل حول قادة آخرين في شمال فرنسا ، وفلاندرز وعلى طول الراين.

وكان لابد للجيش الذي تصوره البابا ان يتألف من الفرسان وتوابعهم ، وكلهم مدربون على الأعمال الحربية ومجهزون بشكل كامل ، وأعد معظم النبلاء الذين استجابوا لدعوات البابا أنفسهم في الواقع باعتدال وبطريقة واقعية من أجل الحملة ومن جانب آخر ضمت الحشود التي استحضرت بمواعظ المتنبئين أناسا كان نقص مؤهلاتهم العسكرية يعادله فقط عنفهم واندفاعهم ، ولم يكن لديهم في الواقع سبب للتأخر بل الأسباب للتعجل ، وكان معظمهم فقراء جاءوا من المناطق المكتظة ، حيث كان قدر الفقراء انعدام الأمن الدائم علاوة على ذلك كانت الحياة في العقد« ١٠٨٥-١٠٩٥ » أقسى بكثير حتى من المعتاد ، وبشكل دقيق في شمال شرق فرنسا وألمانيا الغربية حيث كانت هناك سلسلة غير منقطعة تقريبا من الفيضانات والجفاف والمجاعات ، ومنذ ١٠٨٩ كان السكان يعيشون ايضا في رعب مستمر بصورة بغيضة ، وبشكل استثنائي بسبب الوباء الذي يمكن ان يضرب فجأة وبلا سبب ظاهر في المدينة أو القرية وبسبب الموت المكرب لغالبية السكان وكان رد فعل الجماهير على هذه الكوارث كالمعتاد . تجمع الناس جماعات تائبة متعبدة حول الناسكين والرجال المقدسين الآخرين ، والمباشرة بطلب الخلاص

الجماعي ، وقد أعطى الظهور المفاجى للمتنبـئين ، الذين يبشرون بالحملة الصليبية تلك الحشود المبتلاة الفـرصة لتـكوين جمـاعات خلاصية على مجال اوسع بكثير والهـروب في الوقـت نفسـه مـن الاراضي التي أصـبحت الحياة فيهـا لاتحتمـل ، وأسرع الرجـال والنساء على السواء بالانضمام الى الحركة الجـديدة ، وكثيرا مـا كانت عائلات بكاملها تتحرك معا مـع الأطفـال والمنقـولات المنزلية محملة على عربات ، ومع تزايد الحشد كانوا يتضخمون بـكل أنواع المغامرات الغريبة ، من الرهبان المرتدين الى النسـاء المتنكرات في مظهر الرجال مع العديد من اللصوص وقطاع الطرق.

وكانت الحملة الصليبية بالنسبة لتلك الحشود تعني شيئا مختلفا عما كانت تعنيه بالنسبة للبـابا ، ولم يكن العـامة كمـا دعاهـم المؤرخون المعاصرون لهم مهتمين بدرجة كبيرة بمسـاعدة مسـيحي بيزنطـة ، ولكنهـم كانوا عاطفيا مهتمين بـالوصول الى القـدس واحتلالها وسكناها ، فالمدينة التي كانت اقدس مدينة في العالم لدى المسيحيين ، كانت في أيدي المسلمين منذ نحو اربعة قرون ونصـف القرن ، مع أن امكانية استردادها كانت على مـايبدو تشـغل دورا صغيرا في خطة أوربان الأصلية ، ان هذا التـوقع هـو الذي سـمم جماهير الفقراء ، لقد كانت الحملة الصليبية في عيونهم حجا قتـاليا مسلحا ، بل أعظم واكثر أنواع الحج تصعيدا ، ولقرون كان الحـج الى الضريح المقدس يعتبر صورة تكفيرية فعـالة فـريدة ، وخـلال القرن الحادي عشر كان مثل هذا الحـج ينفـذ جمـاعيا : فلم يعـد التائبون يميلون الى السفر فرادى أو في جماعات صغيرة بل في فرق منظمة في تسلسل هرمي ولهـا قـائد ، وأحيانا وبشـكل ملحـوظ في ١٠٣٣ و ١٠٦٤ كان الحج الجماعي يشمل الوفا عدة مـن الناس وفي ١٠٣٣ على الأقـل كان أول الذاهبين هـم الفقـراء (ص ٦٤) وكان بينهم بعض من ذهبوا بقصد البقـاء في القـدس حتى وفاتهم ،وفي الحملة الصليبية ايضا لم يكن لدى الفقراء وكثير منهم فكرة العودة مطلقا الى بيوتهم،لقد أرادوا ان يسترجعوا القدس من غير المسيحيين للاستيطان فيهـا وليحـولوها الى مـدينة

مسيحية ، وكل من شارك في الحملة الصليبية كان يرتدي صليبا مخيطا على ردائه الخارجي ، فكان اول شارة يضعها جيش في الفترة مابعد الأزمنة الكلاسيكية ، والخطوة الأولى في اتجاه اللباس العسكري الموحد الحديث ، اما بالنسبة للفرسان فان هذا الصليب كان رمزا للانتصار المسيحي في حملة عسكرية قصيرة الأمد،وفكر الفقراء بالحري بعبارة « احمل الصليب واتبعني » وبالنسبة لهم كانت الحملة الصليبية فوق كل شيء تشبها جماعيا بالمسيح ، وتضحية جماهيرية ستكافأ بتمجيد جماعي في القدس .

وقد استحوذت القدس على خيالهم لانها لم تكن مجرد مدينة ارضية بل بالأحرى رمزا لأمل كبير : ولقد كانت كذلك منذ بدات المثل المسيحية للعبرانيين تأخذ شكلا في القرن الثامن ق.م ، ومن خلال فم اشعيا حرض الرب اليهود العبرانيين :

« ابتهجوا انتم بالقدس وافرحوا بها ... وستنهلون .

وتشبعون من صدور المواشي فيها بما تحلبونه وستسرون
بوفرة بهائها ... انظروا ، سأنشر السلام عليها ...
كالنهر .... ثم تنهلون ..... وستحملون على جوانبها
وستتأرجحون على ركبتها ، مثل الذي تريحه امه ، هكذا سأريحكم وستستريحون في القدس »

وفي نبوءات فترة مابعد النفي وفي أشعار الرؤيا تم تصور المملكة المسيحية على انها تتمركز في قدس مستقبلية تبنى بفخامة عظيمة ، واخذت هذه التخيلات اليهودية جميعها لتعزيز الاهمية العظيمة المثيرة للعاطفة التي تملكها القدس في أي حال ، بالنسبة لمسيحي العصور الوسطى ،وعندما الف احد الرهبان بعد الحدث بجيل المناشدة التي تخيل أن اوربان قام بها في كليرمونت جعل البابا يتكلم عن المدينة المقدسة لاعلى انها ببساطة المكان المعد للشهرة الدائمة بمجيء المسيح والامه ، وصعوده إلى السماء بل ايضا « كسرة للعالم » و « الأرض المثمرة التي تعلو فوق الأراضي الاخرى ، مثل

جنة أخرى للمباهج » و « الأرض الملكية الواقعة في مركز العالم » وهي الآن أسيرة تطلب العون ، وتتوق إلى التحرير ، وعلاوة على ذلك وحتى بالنسبة لعلماء اللاهوت كانت القدس ايضا « شخصية » او رمزا لمدينة سماوية « مثل حجر ثمين جدا » قدر له كما جاء في سفر الرؤيا ان يحل محلها في آخر الزمان ، فلا عجب ان ـ كما لاحظ المعاصرون ـ تكونت في عقول الناس البسطاء فكرة أن القدس الأرضية قد أصبحت مشوشة ومختلطة بفكرة القدس السماوية ، حتى أصبحت المدينة الفلسطينية(ص ٦٥)نفسها تبدو عالما معجزا يزخر بالنعم المادية والروحية كليهما ، ولاعجب أنه عندما سلكت جماهير الفقراء طريق الحج الطويل صرخ الأطفال عند كل مدينة وقلعة « أهذه هي القدس ؟» و ذلك بينما كان يرى عاليا في السماء مدينة خفية غامضة تهرع إليها الحشود .

وفي حين انه في شمال فرنسا ، وفلاندرز ووادي الراين شكل الفقراء انفسهم في فرق ذاتية الادارة فإنهم في المناطق الأخرى المتمدنة بدرجة عالية والمكتظة بالسكان مثل بروفانس تدفقوا على جيش الكونت ، ريموند أوف طولوز،وكنتيجة فقد تطور في ذلك الجيش شعور بالبهجة كبير بالدرجة نفسها التي سادت في الجماعات التي اتبعت المتنبئين ، وبشكل متماثل في الشمال والجنوب اعتبر الفقراء الذين انضموا للحملة الصليبية أنفسهم صفوة الصليبين ، وشعبا اختاره الله ، في حين ان البارونات لم يختاروا ، وعند اللحظة الحرجة في حصار انطاكية حمل القديس أندروز انباء سارة تفيد أن الحربة المقدسة كانت مدفونة في إحدى الكنائس في المدينة ، ويعود الفضل في ظهورها إلى فلاح بروفانسي فقير ، وعندما تردد الفلاح مدركا لوضعه الدوني في نقله الأخبار إلى القادة النبلاء ، اكد له القديس : « إن الرب قد اختاركم (فقراء الناس) من بين كل الناس ، كما تجمع سنابل القمح من وسط حقل من الشوفان ، لأنه بالجدارة وبنعمة الفضيلة فإنكم ستتخطون كل من كانوا قبلكم وكل من يأتي بعدكم بقدر مايتفوق الذهب على الفضة » ويقترب ريموند أوف أغويلرز الذي يحكي القصة ، اكثر

من عيره من المؤرخين في مشاطرة وجهة نظر الفقراء ، ويبدو طبيعيا بالنسبة له أنه عندما كان يقتل بعض الفقراء كان لابـد مـن ظهـور صلبان معجزة على لوح الكتف ، وعندمـا يتحـدث عن العـالة مـن الدهماء فإنه كان يفعل ذلك وهـو يشـعر دائمـا بخشـية أكيدة باعتبارهم مختارين من الرب .

ويأتي الشعور بالأهمية لدى الفقراء بشـكل واضـح أكثـر مـن القصص الغريبة التي تمتزج فيها الأسطورة بالحقيقة ، التي تحكي عن الناس الذين كانوا يدعون « طفور Tafurs » و هلك قسم كبير ـ يحتمل أن يكون القسم الأكبر ـ من الحملة الشـعبية الصليبية أثناء رحلتها عبر اوروبا ، ولكن مايكفي نجـا ليشـكل في سورية وفلسطين جيشـا مـن المشردين ـ الذي يبـدو أن الكلمـة الغامضة « طفور » تعنيه ، ولقد كان « الطفور » عصـابة ضـارية حافية الأقدام شعثاء تلبس ثيابا مهلهلة من الخيش تكسوها القذارة والقروح ، تعيش على جذور النباتات والأعشاب واحيانا ايضا على جثث الأعداء المشـوية ، وكانت تخـرب تمـاما اي بلد تمـر فيه ، ولفقرهم إلى درجة عدم القدرة على امتلاك سـيوف أو رمـاح كانوا يستخدمون الهراوات المثقلة بالرصاص ، والعصي المدببة والسكاكين والبلط ، والمجارف والمعازق والعرادات ، وعندما كانوا يهاجمون في المعـركة كانوا يصرون بـأسنانهم كمـا لو انهـم كانوا(ص ٦٦) يقصدون اكل اعدائهم أحياء إلى جـانب اكلهـم أمـواتا ، ومـع أن المسلمين واجهوا البارونات الصـليبيين بـلا وجـل ، فإنهـم كانوا يرهبون الطفور وكانوا يسمونهم « غير فـرنجة » « بـل شـياطين حية » .

وكان مؤرخو المسيحية انفسهم ـ مـن الأكليروس او الفـرسان الذين كان اهتمامهم الرئيسي ينصب على افعال الأمراء ـ في الوقت الذي كانوا يقرون فيه بفعالية الطفور في المعـركة ، كانوا بـوضوح ينظرون إليهم بريبة وارتباك ، ومع ذلك عندما يعود المرء إلى الملحمة

العامية المكتوبة من وجهة نظر الفقراء يجد أن الطفور قد صوروا كأناس مقدسين « وأنهم أجدر من الفرسان بكثير » .

وعرض الطفور ولهم ملك يقال إنه كان فارسا نورمانديا تخلى عن حصانه وسلاحه ودرعه ، ليلبس الخيش ويحمل المنجل . وعلى الأقل في البداية كان زاهدا ، وكان الفقر بالنسبة له هو كل القيمة الصوفية التي كانت لدى القديس فرانسيس وحوارييه ، ومن حين لآخر كان ملك الطفور يفتش عن رجاله ، فإذا وجد مالا مع أحد منهم كان يطرده من الجماعة ، ويرسله لشراء السلاح والالتحاق بالجيش المحترف الذي يقوده البارونات ، في حين كان الذين يتنسكون ويتخلون عن كل ممتلكاتهم عن إيمان راسخ يقبلون في عضوية « الجماعة » أو الدوائر الداخلية للاتباع ، وكان الطفور يعتقدون أنه بسبب فقرهم فقط هم أنفسهم قد قدر لهم أن يدخلوا المدينة المقدسة « إن الأفقر سيأخذونها : وهذه علامة تظهر بوضوح إن الرب لايهتم بالوقحين الذين لاإيمان لهم » ، بيد أنه وإن استحق الفقراء الجدارة بفقرهم ، لقد كانوا ملأى بالجشع وحب المال ، والغنائم التي كان يستولى عليها من غير المسيحيين ،لم يكونوا يشعرون بأنها تقلص مطالبهم من العطف الالهي ، بل الأحرى أن تثبت حقيقة هذا العطف ، وبعد مناوشات ومصادمات ناجحة خارج انطاكية . كان الفقراء البروفانسيين « يعدون فوق ظهور خيولهم بين الخيام ليظهروا لرفاقهم أن فقرهم قد انتهى ، وارتدى آخرون رداءين أو ثلاثة من الحرير ، وحمدوا الرب المانح للنصر والمعطي للهدايا ، ومع قيادة ملك الطفور للهجوم الأخير على القدس كان يصيح « اين الفقراء الذين يريدون المال ؟ ليأتوا معي ! .... فاليوم بعون الرب سأربح مايكفي لتحميل بغال كثيرة ! » وفيما بعد عندما كان المسلمون يحملون كنوزهم عند اسوار المدينة المستسلمة في محاولة لاغراء المسيحيين بالارتداد إلى العراء يظهر أن الطفور كانوا عاجزين عن كبح انفسهم حيث أخذ ملكهم يصيح « هل نحن في سجن ؟ إنهم يحضرون الكنوز ونحن لانجرؤ على أخذها ! .... ماذا يهمني إذا مت ؟ طالما كنت افعل ما أريد ، ؟ وفيما هو - يدعو

القديس لازاروس ـ لازاروس الحكايات والأمثال الذي اتخـذ منه فقراء العصور الوسطى راعيهم المقدس ـ قاد جماعته خارج المدينة إلى الكارثة ،وفي كل مدينة كان يستولى عليها ، نهب الطفور كل شيء وضعوا أيديهم عليه ، واغتصبوا المسلمات وقاموا بمذابح بـلا قيود ولاتمييز ، ولم يكن لدى القادة الرسـميين سـلطة عليهـم إطـلاقا (ص ٦٧) وعندما احتج أمير انطـاكية على أكل الطفـور لحـوم البشر ، لم يكن أمام الأمراء سوى الاقرار معتذرين « إننا جميعـا معا لانستطيع كبح جماح ملك الطفور » ، وكان البارونات يبـدون في الواقع خائفين نوعا ما من الطفور ، وكانوا يحـرصون على حسـن التسلح كلما اقتربوا منهم ، وهذا بلا ريبة كان حقيقة الأمـر ، ولكن في القصص التي تروى من وجهة نظر الفقراء لم يكن الأمراء الكبـار ينظرون إلى ملك الطفور بقلق شديد ، بقدر ماكانوا بذلة ، بل حتـى باحترام ، وإننا نجد ملك الطفور يحـث البـارونات المتمـردين على مهاجمة القدس قائلا : « سادتي ماالذي نفعله ؟ إننا نؤخر هجـومنا على هذه المدينة وعلى هذا العرق الشرير أكثـر ممـا ينبغـي ، إننا نتصرف كحجاج مزيفين ، لو بقي الأمر لي وللفقراء وحـدهم ، فإن الوثنيين سيجدوننا أسوأ جيران لهم على الاطلاق » ! وتأثر الأمراء حتى أنهم طلبوا منه قيادة الهجوم الأول ، وعندمـا غطتـه الجـراح حمل من ميدان المعركة ، وتجمعوا حوله قلقين ، ولكنهم أظهروا ملك الطفور على انه أكثر من مجرد أقوى المحاربين ، فكثيرا مـا ظهـر مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمتنبئين ، و في احدى الروايات كان بـطرس الناسك – و في أخرى أسقف خيالي – هـو الذي حمـل الحـربة المقدسة وهو الشعار الذي اتخـذه الفقـراء ، وهـو نفسـه امتلك بوضوح صفة خارقة للطبيعـة وضعـته فـوق كل الأمـراء ، وعندما – كما في القصة المكتوبة للفقراء – أصبح غودفـري أوف بوليون ملكا على القـدس اختـار البـارونات ملك الطفـور باعتباره « الأعلى مقاما » ليقوم بالتتويج ، وقد قام بـذلك بـاعطاء غودفري غصنا من الأشواك كذكرى لتاج الشوك ، وقـام غودفـري بقبول البيعة واداء القسم باعتبار القدس اقطاعية من ملك الطفـور والرب وحده .

ولشعورهم انهم تحملوا ما يكفي تعجلوا العـودة الى زوجـاتهم وحقولهم ، ولكن ملك الطفور مـا كان ليرى القـدس مهجـورة ، لذا ارتهن نفسه للبقاء مـع جيش الفقـراء ،لحمـاية الملك الجـديد و مملكته ، وفي هذه الأحداث الخيالية الصرفـة أصـبح الملك الشـحاذ رمزا للآمال الضخمة المفرطة التـي حملت الدهمـاء والفقـراء على مصاعب لا توصف نحو المدينة المقدسة.

وكان تحقيق هذا الأمـل يتـطلب التضـحية البشرية على نطـاق واسع ، ليس فقط بالنفس من قبل الصليبيين بل أيضـا بـذبح غير المسيحيين ، مع ان البابا والأمراء ربما كانوا قـد اعتـزموا القيام بحملة بأهداف محدودة ، فإن الحملة في الواقع باتت ترمي باستمرار لأن تصبح كما ارادهـا العـامة : حـربا لابـادة « ابناء العاهرات » «عرق قاين » كما كان ملك الطفور يدعو المسلمين ، ولم يكن مجهولا بالنسبة للصليبيين انهم كانوا يمسكون بفلاحي منطقـة ما ويقدمون لهم خيارا بين التنصر فورا أو القتل(ص ٦٨) « وقـد حققوا ما جعل الفرنجة يعودون و قد ملأهم الحبور » و قـد أعقـب سقوط القدس مذبحة عظيمة بـاستثناء الحـاكم وحـرسه ، الذين تدبروا أمر شراء حياتهم واصطحبوا إلى خارج المدينة ، وقتـل كل المسلمين رجالا ونساء وأطفالا : « وخاضت الخيول في الدماء حتى الركب لا بل حتى اللجام بداخل المسجد الأقصى وحـوله ، لقـد كان حكما عادلا وعجيبا من الرب ان يتلقى المكان نفسه دماء أولئك الذين طالما حمل تجديفم الى الرب » و بـالنسبة ليهـود القـدس عندمـا التجأوا إلى معبدهم أحرق المبنى وأحرق الجميع أحياء.

وسار الصليبيون وهم يبكون من الفرح وينشدون اناشيد الحمـد في مواكب الى كنيسة الضريح المقدس « أيهـا اليوم الجـديد ، يوم جديد وابتهاج ، فرح جديد ودائم ... اليوم الذي سيشتهر في القرون القادمة حول معاناتنا ومصاعبنا الى حبور وبهجة ، ذاك يوم تـأكيد المسيحية والقضاء على المسلمين والتجديد لايماننا »«ولكن حفنة من المسلمين ظلوا أحياء : لقد التجـأوا الى سـطح المسـجد الأقصى ،

ووعد الصليبي الشهير تا نكرد بالابقاء على حياتهم في مقـابل فـدية كبيرة ، واعطاهم علمه كجواز للمرور في أمان ،ولكن تانكرد أمـكنه فقط أن يرقب في عجز غاضب الجنود العاديين وهم يتسلقون جـدار المسجد ليقطعوا راس كل رجل وامرأة سوى الذين القـوا بـأنفسهم الى حتفهم من فوق السقف »•

واذا أخذ المرء هذه الأحداث بعين الاعتبار يبـدو طبيعيا بـدرجة كافية أن أول مذبحة كبيرة لليهود الأوروبيين لا بد أنها حدثت ايضا خلال الحملة الأولى ،ولم يكن للجيش الصليبي الرسمي الذي تـألف من البارونات واتباعهم يد في هذه المذبحة التي نفذت كلية بـوساطة الجماعات التي تشكلت في ركاب المتنبئين ، وأوضح أحـد المؤرخين أنه« مع قيام الحروب الصليبية تـرسخ السـلام على كل الجـوانب وهوجم اليهود على الفور في المدن التي يعيشون فيها » ويقال انه في البداية الأولى للهياج الصليبي منحت الجمـاعات اليهـودية في روين والمدن الفرنسية الأخرى حق الخيار بين التحـول الى المسـيحية أو الذبح ، غير أن المدن الأسقفية على طول الراين قـد شـهدت أعنف الهجمات ، وهنا كما على طول جميع الطرق التجارية في غرب أوروبا كان التجار اليهود قد اسـتقروا منذ قـرون وبسـبب نفعهـم الاقتصادي ، تمتعوا دائما بالعطف الخاص من رؤوساء الأساقفة ، ولكن مع نهاية القرن الحادي عشر ، أدى التوتر في كل هذه المدن بين أهلها وسـادتهم مـن الأكليروس إلى قيام اضـطرابات اجتمـاعية عامة ، وكان جوا ثبت انه مناسـب للمتنبـئين العـائدين للحـروب الصليبية كما ثبت انه مناسب ايضـا لتـانشيلم بعـد ذلك بـوقت قصير(ص ٦٩).

وفي بداية ايار ١٠٩٦ خطط الصليبيون المعسكرون خارج سبيير لمهاجمة اليهود في معابدهم يوم السـبت ،واخفقـوا في صـنع هـذا وكانوا فقط قادرين على قتل حفنة من اليهـود في الشـوارع ، وأوى الأسقف البقية في قصره وعاقب بعض القتلة ، و في ورمز كان اليهود اقل حظا ، وهنا ايضا لجأوا الى طلب حماية الأسقف والبرجوازيين

الموسرين ، ولكن أحدا لم يكن قادرا على حمايتهم عندما وصل رجال من الحملة الصليبية الشعبية وقادوا أهل المدينة في هجوم على حـي اليهود ، ونهب المعبد كما نهبـت البيوت وقتـل كل شاغليها ممـن رفضوا التعميد من البالغين ، اما بالنسبة للأطفال فقد قتل بعضـهم واخذ بعضهم الآخر لتعميدهم وترتيبهم كمسيحيين ، والتجـأ بعض اليهود الى قصر الأسقف،وعندما هوجم هذا أيضا عرض الاسـقف عليهم التعميد وانقاذ أرواحهـم ، ولكن الجمـاعة كلهـا فضـلت الانتحار ، وكمجموع يقال أن نحوا من ثمانمائة من اليهود هلكوا في ورمز .

وفي مينز حيث عاشت أكبر جماعة من اليهـود في المانيا ، اخـذت الأحداث الى حد كبير المجرى نفسه فهناك أيضا تمت حماية اليهـود وفي البداية من قبل رئيس الأساقفة والمقدم المدني الاكبـر ، وأكبـر البرجوازيين ثراء ، ولكن في النهاية أجبرهم الصليبيون بتأكيد مـن أهل المدينة الأشد فقـرا على الاختيار بين التعميد والموت ، وهـرب رئيس الأساقفة وكل هيئته خوفا على حياتهم ، وهلك اكثر مـن الف يهودي ويهودية سواء بالانتحار أو على أيدي الصليبيين ، و من مدن الراين تحركت فرقة من الصليبيين الى تريير والقى رئيس الأساقفة موعظة طلب فيها الأبقاء على اليهود ، ولكن بالنتيجة كان عليه هـو نفسه أن يهرب من الكنيسة ، وهنا أيضا مع أن بعض اليهـود قبلوا التعميد ، فإن الغالبية العظمى هلكت ، و تحرك الصليبيون الى متـز حيث قتلوا المزيد من اليهود ، وعادوا في منتصف حزيران الى كولون و لجأت جماعات اليهود الى الاختباءفي القـرى المجـاورة و لكنهـم اكتشفوا من الصليبيين وذبحوا بالمئات ، وفي هذه الأثناء شقت فرق أخرى من الصليبيين طـرقها في اتجـاه الشرق ، وفـرضت التعميد بالقوة على جماعات رجنسبرغ و براغ ، و بشكل اجمالي يقـدر عدد اليهود الذين هلكوا في شهري ايار وحزيران ١٠٩٦م ما بين أربعـة آلاف الى ثمانية آلاف .

و كانت هذه بداية تقاليد ، ففي سنة ١١٤٦ حين كان التحضـير

للحملة الصليبيية الثانية يجري من قبل الملك لويس السـابع ونبـلاء فرنسا ، كان السكان في نورماندي وبيكاردي يقتلون اليهود ، واثناء ذلك شق راهب مرتد يدعى رودلف طريقه من هينوت الى الراين حيث دعا الحشود الى الانضمام الى حملة صليبية شعبية والشروع بقتل اليهود ، وكما في زمان الحملة الصليبيية الأولى كان الناس العاديين مدفوعين الى اليأس بفعل المجاعة ، وككل متنبيء ناجح(ص ٧٠) كان يعتقد أن رودلف يقوم بمعجزات، وانه مؤيد بالوحي السماوي ، واندفعت الجموع الجائعة اليه افواجا ، وكانت المدن الأسـقفية مـا تزال تعيش في صراعاتها الداخلية المريرة - كولون ، متز ، و رمز سبيير وأيضا هذه المرة ستراسبورغ عندما مر فيها الصليبيون وورز برغ وقد ثبت أن هذه هي الأرض الأكثـر خصـوبة للهياج المعـادي لليهود .

و منها انتشرت الحركة الى مدن كثيرة اخرى في المانيا وفرنسا ، ولجأ اليهود الى طلب الحماية كما فعلوا قبل ذلك بنصف قـرن مـن الأساقفة والبورجوازيين الأثـرياء ، و عمـل هؤلاء مـا بـوسعهم للمساعدة ، و لكن الدهماء لم يكونوا ليرتـدعوا بسـهولة ، وفي كثير من المدن كان السكان على شفا عصيان علني مسلح وبدا أن كارثـة شاملة أخرى اصبحت وشيكة النزول باليهود ، وعند هـذه النقـطة تدخل القديس برنارد وبكل ثقل هيبته اصر على ان المذبحة يجـب أن تتوقف.

وحتى القديس برنارد بكل سمعته الرائعة كرجل مقدس وصـانع للعجائب كان بالكاد قادرا على لجم الغضب الشعبي فعندمـا واجـه رودلف في مينز ، وكراع لدير الرهبـان طلب منه العـودة الى ديره ، كان العوام قد أوشكوا على حمل السلاح لحماية المتنبيء ، وبعد ذلك كانت مذابح اليهود ستبقى سمة طبيعية للحملات الصليبيية الشعبية تميزها عن حملات الفرسان الصليبيين ، و من الواضح بدرجة كافية لماذا كان الدهماء الفقراء ينهبون اليهود بكل حرية وهم يقتلونهم كما فعلوا بالنسبة للمسلمين ، مـع أن النهـب لم يكن هـدفهم الرئيس

بالتأكيد ، إن حولية يهودية عبرية هي التي تسجل كيف أنه خلال الحملة الصليبية الثانية ناشد الصليبيون اليهود : « تعالوا الينا حتى نصبح شعبا واحدا ».

ويبدو انه ليس هناك شك في ان اليهود كان بامكانهم دائما انقاذ الأرواح والممتلكات بقبول التعميد ، و من جانب اخر قيل إن كل من قتل يهوديا رفض التعميد غفرت ذنوبه ·

وكان هناك اولئك الذين شعروا انه غير مثاب ابدا أن تقلع بحملة صليبية حتى تقتل واحدا من هذا القبيل ، وبعض تعليقات الصليبيين انفسهم حول هذا قد حفظت ،من ذلك :« لقد شرعنا في السير في طريق طويل لمحاربة أعداء الرب في الشرق ، ونحن نشاهد أمام أم اعيننااسوا أعدائه ، اليهود ، إنه يجب التعامل مع هؤلاء واولا » ومرة أخرى :« إنكم ابناء سلالة أولئك الذين قتلوا ربنا وصلبوه» وعلاوة على ذلك الرب نفسه قال :«سيأتي فجر اليوم عندما يقدم ابنائي ويثأروا لدمي»

«إننا اولاده وانها مهمتنا أن ننفذ ثأره منكم ، لأنكم أظهرتم عنادكم وكنتم مجدفين عليه ..... لقد تخلى (الرب) عنكم وحول إشعاعه الينا وجعلنا خاصته»

و هنا تتكلم بشكل جلي القناعة التي حاولت أن توجه الحملة الصليبية الأولى نحو القضاء على الاسلام .

الفصل الرابع

القديسيون ضد حشود المسيح الدجال

المخلصون في الأيام الأخيرة

مع ندرة المدونات حول تلك الفترة (ص ٧١) إنهـا كافية لبيان انه في الحملة الصليبية الشعبية ، كان الجيشـان الغيبـي فعـالا ، وبالنسبة للدهماء إنهم راوا انفسهم فعالين في الانجـاز الكبير الذي كان في اتجاهه يعمل كل شيء منذ بداية الزمان ، وعلى كل الجـوانب كانوا يشـاهدون « الآيات » التـي تميز بـداية الأيام الأخيرة ، ويسمعون كيف أن « البـوق الأخير سـيعلن مجـيء الحـكم الصالح » وفوق كل شيء يبدو انهم كانوا مأخوذين بنبوءة الامبراطور العظيم الذي سيرحل في الأيام الأخيرة الى القدس ، ويبدو أنهم قـد فعلوا كل ماأمكنهم لاقناع انفسهم بـأنهم يقـادون مـن قبـل الملك الخفي .

وفي الأصـل في النبـوءات الاغريقية التـي كانت منتشرة في الشرق ، كان الامبراطور الأخير امبـراطورا رومـانيا يحـكم مـن القسطنطينية ، ولكن عندما تـرجم في القـرن الثـامن « المنهـج الكاذب » الى اللاتينية ، في باريس ، بـدات الدعوة الى تفسـيرات جديدة . وكان المتوقع انه عندمـا يحتـل امبـراطور الأيام الأخيرة مكانه في التخيلات الغيبية في الغرب ، فـانه سـيتوقف عن أن يكون بيزنطيا ، ومن وجهة النظـر الأوروبية الغـربية ، كان امبـراطور القسطنطينية شخصية بعيدة مبهمة ، ومن جانب اخـر كان الغـرب قادرا على اقناع نفسه أنه بحصول شارلمان على اللقب الامبراطوري فإنه سيشهد بعثا للامبراطورية الرومانية .

وبدا أن الفجوة التي تركها خلع آخر الاباطرة في الغرب ، بعد ان بقيت شاغرة أكثر من ثلاثة قرون قد تم ملؤها بـاعظم مـا يمـكن ، عندما توج في كنيسة القديس بطرس في روما يوم عيد ميلاد المسـيح من عام ٨٠٠ شارل ملك الفـرنجة وملك اللومبـارد ، امبـراطورا للرومان ، ومنذ ذلك الحين كان بـالامكان تصـور امبـراطور الأيام الأخيرة كملك غربي ، وبقـي كذلك مـع ان شـارلمان لم يتـرك امبراطورية أرضية وراءه ، وفي كل من الجـزء المتعلق بـالمقاطعات التي كانت تابعة لشـارلمان ، والتـي اصـبحت فـرنسا ، وفي (ص ٧٢) تلك التـي أصـبحت المانيا ، اسـتمر الناس يحلمـون بامبراطور عظيم سيقوم في وسـطهم وسـتتحقق بـه نبـوءات السبلنيين ..

ونحو نهاية القرن الحادي عشر ، وبينمـا كانت فـكرة الحـرب الصليبية قائمة ، احرزت هذه التخيلات جيشـانا جـديدا والحـاحا وقبل الحملة الصليبية الأولى ببضع سنوات نجد أن بنزو أسقف البا يتنبأ بأن الملك الألماني الحاكم والامبراطور الروماني هنري الرابـع سيغزو بيزنطة ، ويهزم الكفار ويزحف نحو القدس . وإنه سـيلتقي المسيح الدجال هناك وسيهزمه ، وبعـد ذلك سـيحكم امبـراطورية عالمية حتى نهاية العالم ، وصدور هذه الكلمات عن أسقف ذي عقلية سياسية كان نصيرا متحمسا للامبـراطور في صراعه مـع البـابوية ربما يجعلها لاتؤخذ بمعناها الظاهري ، ولكن عندما تجمع الدهماء بعد ذلك بوقت قصير من اجل الحملة الصليبية في جـو مـن الاثـارة المحمومة ، عادت النبوءات السبلينية القديمة للظهور وقد اكتسـبت ديناميكية مـذهلة ، وعقـب راعي دير متعلم بإزدراء قـائلا :« إنه بفضل نشاط الأنبياء المزيفين كان هؤلاء الناس مشبعين بحـكايات حول قيام شارلمان من الموت بهدف قيادة الحملة الصليبية » .

وفي الواقع ان حشدا عظيما من التراث الشعبي كان يتجمع حول الشخصية الهائلة لأول الكارولنجيين لقد أصبح شارلمان يرى فـوق كل بطل نبيل كنصير للمسيح والمدافـع الذي لايتعـب عن النصرانية

ضد القوة المسلحة للاسلام ، وفي النصف الثاني من القرن الحـــادي عشر اصبح الاعتقاد شاملا تقريبا انه قد قاد مرة حملة صـــليبية الى القدس واجبر الكفار هناك على الهــرب ، وأعاد المســيحيين الذين طردوا الى وضعهم السالف ، وتــروي اكثــر مــن حــولية كيف ان الصـــليبيين في ١٠٩٦ رحلوا على الطـريق الذي كان يفتــــرض ان شارلمان قد بناه بهذه المناسبة ، وعلاوة على ذلك كان الاعتقاد ايضا على نطاق واسع ان شارلمان لم يمت بالمرة ، وانما كان نائما فقـط سواء في مدفنه في أخن او بداخل أحد الجبال ، حتى تـــأتي الســـاعة كي يعود الى عالم الرجال ، وعلى هذا كان مــن الســـهولة بـــدرجة كافية بالنسبة للوعاظ الشعبيين التجنيد للحملة الصليبية ، والجمع بين هذه القصص ونبوءات السبلنيين ، وأن يقودوا الشعب العادي ليرى في شارلمان ذلك الامبــراطور العــظيم الذي كان عليه ان ينفض عنه النعاس ، ويقضي على قوة الاســـلام ، ويقيم عصر النعيم الذي كان مقدرا له أن يتقدم على النهاية : هل أصبح شـــارلمان المبعــوث حيا ايضا ، في ايدي المتنبئين ، ملكا شحاذا وراعيا للفقراء ، يمكن مقارنته بملك الطفور الذي مــع انه كان معــدما ، كان اعلى الناس منزلة ، وحصل على القدس نفســها كهــدية ؟ اننا لانعــرف ولكن الفقراء بالتأكيد كانوا قادرين على تحويل الامبراطور النائم "للنهـــج الكاذب" حسب رغباتهم الخاصة الى مخلص لايقضي فقط على الكفار بل يسعف (ص ٧٣) ايضا ويرفع الطبقـــة الدنيا ، وقـــد فعلوا ذلك كثيرا بدرجة كافية في القرون التالية ولعلهم نفذوا ذلك بالفعل في زمن الحرب الصليبية الأولى .

وقد شعر الدهماء ان الامبراطور الأخير لابد منه لتحقيق أمـــالهم العميقة حتى انهم لم يروا فيه مجرد شبح شارلمان القائم بل ايضـــا احيانا أحد الرجال الأحياء ، والقادة الفعليين للصـــليبيين ، وكانت صورة المخلص العملاقة تنعكس مسلطة على غودفري أوف بـــوليون دوق اللورين الأدنى وعلى ذلك السياسي العنيد ، ريمـــوند صـــنجيل كونت طولوز ، وربما ايضا على ذلك الفارس النورماندي الذي يقال انه قد اصبح ملك الطفور ، وفوق كل شي يبدو جليا أن الرجـــل الذي

اوحى بالمذبحة الكبيرة لليهود في المدن الواقعة على طول الراين ، أي اميكو أو امريش كونت ليتنجن قد فرض نفسه على أتباعه كامبراطور الأيام الأخيرة ولقد كان بارونا اقطاعيا سيء السمعة لضراوته ، ولكنه ادعى بأنه قد دعي لحمل الصليب في الرؤى والالهام الالهي ، وفي احد الأيام جاءه رسول من المسيح ووضع على لحمه علامة ـ لاشك أنها العلامة التقليدية للاختيار الالهي أي الصليب ووضعها على أو بين لوحي الكتف ، وهي التي كان يعتقد ان شارلمان كان يحملها،وان الامبراطور الأخير أيضا سيحملها، وادعى اميكو ان هذه العلامة كانت رمزا مؤشرا على أن المسيح نفسه سيقوده الى النصر ، وفي الوقت المناسب سيضع تاجا على راسه ، وان هذا التتويج سيحدث في ذلك القسم من جنوب ايطاليا الذي كان يحكمه الامبراطور البيزنطي ولم يكن هذا كله يعني سوى ان هذا السيد الألماني الصغير كان ينتحل الدور الذي حاول أسقف بنزو عبثا ان يضفيه على الامبراطور هنري ـ ولهذا قرر أنه سيكون الامبراطور الغيبي الذي سيقوم بتوحيد الامبراطوريتين الغربية والشرقية ، ثم يشق طريقه الى القدس ؟ وفي الحقيقة كانت حملات اميكو مخزية بدرجة كافية ، وجماعته من الدهماء الألمان والفرنسيين والفلمنك واللورين لم تصل ابدا الى أسيا الصغرى وإنما هزمت وشتتت من قبل الهنغار ، وعاد هو نفسه الى وطنه بمفرده ، ومع ذلك فان هالة القوة الخارقة كانت تلصق باميكو ، وبعد مقتله في ١١١٧ بسنوات افترض أنه يتابع نوعا من الوجود في جبل قرب ورمز رؤي منه يظهر من وقت لآخر وسط فرقة مسلحة ، وهذه اسطورة توحي بقوة بأن الخيال الشعبي قد أصر على تحويله الى بطل نائم لابد ان يعود يوما ما .

اما بالنسبة للحملة الصليبية الثانية لم يكن هناك شك حول من كان المرشح المناسب لدور الامبراطور الأخير ، ففي حين لم يشترك اي ملك في الحملة الصليبية الأولى ،إنه بعد نصف قرن عندما ناشد البابا يوجينيوس لتقديم المساعدة لمملكة القدس التي كانت تتوسل بشدة ، استجاب لويس السابع ملك فرنسا بحماس وفي يوم عيد

ميلاد المسيح في سنة ١١٤٥ أخذ الملك على نفسه عهد الصـليبيين في الكنيسة الملكية في سانت دنيس بين مشاهد الحماس الشعبي الكبير (ص ٧٤) ومنذ انقضاء القرن كانت هناك نسخ جديدة منتشرة من التيبورتينا التي تنبىء بملك مقبل لفـرنسا سـيحكم كلا مـن الامبـراطوريتين الغـربية والشرقية وبيزنطـة والذي في النهـاية كامبراطور للأيام الأخيرة سـيضع تـاجه ورداءه في الجلجلة،ومـن الطبيعي بدرجة كافية انه عندما انتاب الحماس الصليبي مرة أخرى سكان أوروبا الغربية انطبقت النبوءة على لويس ، وفي الوقت نفسه بينما كان المتنبىء رودلف يدعو لمذبحة اليهود ، جاءء هـاتف غيبـي ايضا على لسان متنبىء اخر وجرت دراسته بلهفـة ، وكل مـاكان واضحا حول هـذا الهـاتف هـو أنه وعد لويس بمـدن القسطنطينية ، وبابل وامبراطورية في أسيا الصغرى ، واضاف أنه عندما بلغ هذا القدر فان الحرف « ل » سيتحول الى « ك » وهذه الايماءات تكفي لتدل على برنامج اخروي كامل ، ان لويس سيصبح امبراطور الشرق ، يحكم بيزنطة ثم يستولي على « بـابل » التـي كانت في نبوءات السبلنيين تصور على انها العاصمة الرمزية للكفار ومأوى الشياطين ومسقط راس المسيح الدجال – فهي نوع مـن النظير الشيطاني لمدينة القـدس ، وفي النهـاية يصـبح الملك الذي سيكون اسمه « ك » (كما في التبورتينا) – وبكلمات سيكون ذلك كونستانس الجديد أو المبعوث المقـدر له ان يكون امبـراطور الأيام الأخيرة .

وكان تأثير هذا الهاتف كبيرا جدا ، ويبـدو فقـط مـن دراسـة السبلنيين ان القديس برنارد كان قد أقنع بـالتغلب على معـارضته الأولى للوعظ بالحملة الصليبية ، وانه لولا تلك التعاليم ربما لم تكن هناك حرب صـليبية ، علاوة على ذلك كان الهـاتف قـد درس لا في فرنسا فقط بل في المانيا ايضا حيث كان الملك كونراد الثالث مجـرد معارض صليبي وليس منافسـا بـالمرة للويس ، ومـع ذلك لم يكن لويس نفسه على كل حماسه الصليبي على الاطـلاق ميالا لأن يكون هناك ضغط آخـروي عليه ، ولكونه ملكا حقيقيا وليس هـاويا كان

على أي حال مشتركا طـوعا أو كرهـا في المؤامـرات السـياسية والصراعات التي لازمت هذه الحملة الصليبية من البـداية ، وكانت النتيجة انه بينمـا كان ملكا فـرنسا والمانيا يشـقان طـريقهما الى الحصار الهزلي لدمشق تـرك الدهمـاء يرهقـون بـالمذابح والمجاعة ، ومرتبكين بلا قيادة ليتابعوا وحدهم السراب المهلك لمملكة القديسين •

الحشود الشيطانية:

رأى الدهمـاء الذين شـاركوا في الحملة الصـليبية الشـعبية ضحاياهم وقادتهم بتعابير الايمان بالأخرويات التي استمدوا منهـا أساطيرهم وخرافاتهم الاجتماعية (ص ٧٥) وطبقا لتقاليد يوحنا والسبلنديين كليهما ، قبل ان يبزغ فجر الألفية على الكفرأن ينتـزع ويزال ، بمعنى ان مثل العالم المسيحي المقدس هي بـالطبع بعمـر المسيحية نفسها ، ومع ذلك بقيت المسيحية عادة كما كانت في أصلها ديانة تبشيرية ، كانت تصر على أن إزالة الكفار يجب ان تنجز مـن خلال تحويلهم للديانة المسيحية ، والجموع المسيحية التي بـدأت في التشكل في القرنين الحادي عشر والثاني عشر من جانب أخر لم تـر سببا بالمرة في ان لاتحقق هذه الازالة بصـورة مسـاوية عن طـريق الابادة لمن لايدخلون في المسـيحية ، وعبـر نشـيد رولاند الملحمـة الشهيرة التي كانت التجسيد الأدبـي الأعظـم تـأثيرا لروح الحملة الصليبية الأولى وفيها تم التعبير عن الموقف الجديد بوضوح تام .

لقد استولى الامبراطور على سرقسطة ،و أرسل الفا من الفرنجة لتفيش المدينة بشكل شامل :المساجد و الكنس اليهودية ،و حـطموا الأوثان و التماثيل بمطارق حدادية و بلط ،و مـن ثـم لم يعـد هناك مكان للتعاويذ و الشعوذة . فالملك يؤمن بالرب ،و يرغب في خدمته ،و أساقفته يباركون الماء و الوثني يؤتى به الى بيت العمـودية ، فـاذا قاوم أي واحد منهم شارلمان ، أمر الملك بشنقه أو حرقه حتى الموت او ذبحه بالسيف » وفي عيون دهمـاء الصـليبية كان ضرب أوايذاء

المسلمين واليهــود أو قتلهــم أول عمــل في تلك المعــركة الأخيرة ــ حسبما كانت بالفعل في تخيلات المؤمنين بــالأخرويات لدى اليهــود والمسيحيين الأوائل ــ التي تتأوج بقتل أمير الشر نفسه ، وكان فوق تلك الحشود اليائسة ، وهي تتحرك للقيام بــالمذبحة ، يلوح شــبح المسيح الدجال ، ويسقط الظل العملاق المرعب حتى عبر صــفحات الحوليات : ان المسيح الدجال قد ولد بالفعل ، وفي اي لحــظة ربمــا يقيم المسيح الدجال عرشه في معبــد القــدس ، وحتــى بين رجــال الاكليروس الكبار كان هناك بعض من كان يقول مثل هــذا ، وعلى الرغم من قلة قيمة هذه التخيلات في حسابات البابا أوربــان .كانت الحوليات تنسبها حتى اليه في محاولة لوصف الجو الذي انطلقت فيه الحملة الصليبية الأولى :« انها إرادة الرب » هكذا جعــل أوربــان يتفوه في كليرمونت ، وانه من خــلال جهــود الصــليبيين ســتزدهر المسيحية مرة أخرى في القدس ، في هذا الزمان الأخير ، حتــى انه عندما يبدأ المسيح الدجال حــكمه هناك ــ كمــا يجــب ان يفعــل قريبا ــ سيجد عددا كافيا من المسيحيين للقتال .

ومع تخصيص الكفار بأدوارهم في دراما الأخــرويات ، حــولهم الخيال الشــعبي الى شــــياطين ، وفي الأيام الســـوداء للقــــرن التاسع ، عندما كانت النصرانية مهددة حقا بالتقدم المنتصر للاسلام قــرر بعض رجــال الأكليروس (ص ٧٦) بحـــزن ان محمـــدا (ص) لابـــد كان « نذيرا » بمجــــيء المســـيح الدجــــال الشرقي ، ورأوا في المسلمين عموما كهنة للمسيح الدجــال ، والآن وقد شنت النصرانية هجومها المضاد ضد الاسلام الذي كان بــالفعل في تقهقر ، صورت الملاحم الشعبية المسلمين كمخلوقات غريبــة ذات مجموعتين من القرون (أمامية وخلفية) واعتبرتهم شياطين لاحق لها في الحياة .

ولكن اذا كان العربي (وخليفتــه التــركي) قــد بقيا في الخيال الشعبي بصفة شيطانية معينة ، فان اليهودي كان صــورة مــرعبة اكثر وكان اليهود والعرب يعتبرون بشكل عام متقاربين جدا ، ان لم

يكونوا متماثلين ، ولكن حيث ان اليهود يعيشون مبعثرين في أوروبا المسيحية فانهم أصبحوا يشغلون القسم الاكبر حجما في الايمان الشعبي بالشياطين ، علاوة على انهم كان يشغلونه منذ فترة اطول بكثير ، مع نتائج امتدت عبر الأجيال ، والتي تضمنت مذابح الملايين من اليهود الأوروبيين في منتصف القرن العشرين،ومع الزمن بدأوا يتخذون خصائص شيطانية مميزة وأصبح اليهود ابعد من ان يكونوا قادمين جدد الى اوروبا الغربية،وفي اعقاب الصراع المفجع ضد روما وتدمير اليهود في فلسطيين حملت الهجرات وعمليات النفي الكبيرة اعدادا كبيرة من اليهود الى فرنسا ووادي الراين ، ومع انهم لم يحرزوا في تلك الأراضي بروزا ثقافيا او نفوذا سياسيا كما كان لهم في اسبانيا التي ساد فيها الاسلام فان نصيبهم في أوائل العصور الوسطى لم يكن بأي حال صعبا ، ومن الفترة الكارولنجية ومابعدها كان هناك تجار يهود يسافرون جيئة وذهابا بين اوروبا والشرق الأدنى بالبضائع النفيسة ، مثل التوابل والبخور والعاج المحفور ، وكان هناك ايضا حرفيون يهود كثيرون ، وليس هناك دليل يوحي بأن اليهود كان ينظر اليهم في تلك القرون الأولى بكراهية اوخوف خاص من قبل جيرانهم المسيحيين بل العكس كانت العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الهيود والمسيحيين منسجمة ، والصداقات الشخصية والمشاركة التجارية لم تكن غير شائعة ، ومن الناحية الثقافية قطع اليهود شوطا بعيدا في تكييف انفسهم مع البلاد المختلفة التي سكنوها ، وبقوا يهودا ، لقد رفضوا أن يذوبوا في السكان الذين عاشوا بينهم ، وكان ذلك حاسما من أجل مصير ابنائهم من بعدهم .

ورفض الذوبان هذا الذي تكرر في الأجيال الكثيرة جدا من اليهود منذ بدأ التشتت في القرن السادس قبل الميلاد ، هو في ذاته ظاهرة غريبة جدا ، اللهم الا باستثناء الغجر الى حد ما ، ويبدو أنه ليس هناك شعب تشتت بعيدا وعلى اتساع كبير ، وليس له وطن ولا وطنية ولا ارض خاصة به ولا حتى اي تجانس عرقي كبير بقي حتى الآن ككيان ثقافي غير محدود ، ويحتمل أن حل هذا اللغز الاجتماعي

يوجد في الديانة اليهودية التي لم تعلم فقط اتباعها ـ مثل المسيحية والاسلام ـ أن يعتبروا أنفسهم كشعب مختار من (ص ٧٧) قبل رب كلي القدرة ، بل علمتهم أيضا أن يهتموا بالمحن المشتركة الساحقة ـ الهزيمة والاذلال والتشتت ـ كرموز فيها دليل على عطف الهي وكضمانات لمستقبل جماعي مبارك ، وكان الذي جعل اليهود يبقون يهودا ، كما يبدو هو اقتناعهم التام بأن التشتت كان مجرد تكفير مبدئي عن الخطيئة المشتركة ، وتحضير لمجيء المسيح ، والعودة الى أرض مقدسة مجددة ، ومع أنه بعد الانهيار النهائي للدولة اليهودية ، كانوا عادة يعتقدون أن هذا الاكتمال يعود الى مستقبل بعيد بغير حدود ، علاوة على أنهم بهدف ضمان بقاء الدين اليهودي احكمت صياغة مجموعة من الطقوس منعت بشكل فعال اليهود من الاختلاط بالناس الآخرين ، فالزواج المتبادل مع غير اليهود كان محظورا ، والأكل مع غير اليهود جعل في غاية الصعوبة حتى قراءة كتاب غير يهودي كان إثما .

وربما كانت هذه الظروف كافية لشرح لماذا بقيت اليهودية كل هذه القرون من الشتات كطائفة معترف بها بوضوح ، مرتبطة بشعور قوي من التماسك بعيدا نوعا ما ومتحفظة في موقفها من الغرباء ومتعلقة بيقظة وحذر بالمحرمات التي صممت لهدف تأكيد وتخليد عزلتها ، ومن جانب آخر إن هذه الوقاية الذاتية والميل الانعزالي لا يمكن أن يفسرا بشكل كاف بالكراهية الغريبة في شدتها والمتواصلة التي كانت في المسيحية وفي المسيحية فقط موجهة ضد اليهودية ، اكثر منها تجاه اي مجموعة اخرى خارجة عنها ، وما يفسر ذلك هذه الصورة الخيالية تماما لليهودي التي استحوذت فجأة على خيال الحشود الجديدة في زمن الحملة الصليبية الأولى .

وقد مهدت التعاليم الكاثوليكية الرسمية الطريق ، فقد مالت الكنيسة دائما الى اعتبار المعبد اليهودي نفوذا خطيرا وحتى منافسا محتملا ولم تتوقف ابدا عن متابعة الهجوم العنيف ضد اليهودية ، وعلى مدى أجيال تعود العامة من المؤمنين بالمسيحية ان

يسمعوا الادانة المريرة لليهود من منبر الوعظ كمنحرفين فاسدين عنيدين وناكرين للجميل لأنهم رفضوا القبول بألوهية المسيح ، وايضا كحملة ذنب رهيب موروث لقتل المسيح ، علاوة على أن التقاليد المتعلقة بالايمان بالآخرويات قد ربطت طويلا بين اليهود والمسيح الدجال نفسه ، وبالفعل كان علماء اللاهوت في القرنين الثاني والثالث يتنبأون بأن المسيح الدجال سيكون يهوديا من سبط دان ، وقد أصبحت هذه الفكرة مألوفة حتى أنها في العصور الوسطى كانت مقبولة حتى من قبل اختصاصي الفلاسفة اللاهوتية مثل القديس توماس الأكويني ، وكان يعتقد أن المسيح الدجال سيولد في بابل ، وسيترعرع في فلسطين وسيحب اليهود أكثر من كل الشعوب ، و سيعيد بناء المعبد لهم و سيجمعهم من شتاتهم معا (ص ٧٨)و سيكون اليهود من جانبهم أكثر اتباع المسيح الدجال اخلاصا وسيقبلونه كمسيح قدر له أن يستعيد الامة ، ولئن تطلع بعض اللاهوتيين الى تحول عام لليهود الى المسيحية تمسك آخرون بأن عماهم سيبقى حتى النهاية ، وأنهم عند الحساب الأخير سيرسلون مع المسيح الدجال نفسه ليعانوا من عذاب الجحيم الى الأبد ، وفي خلاصة المعتقد التقليدي بالمسيح الدجال التي انتجها أدسو مونتييه ــ أن ــ دير في القرن العاشر ، والتي بقيت الأصل الذي يستشهد به خلال العصور الوسطى نجد أن المسيح الدجال وإن بقي يهوديا من سبط دان قد أصبح خارقا للطبيعة وشريرا ، وسيكون من نسل عاهرة وحقيرا لا قيمة له على أنه في لحظة الحمل به يدخل الشيطان رحم العاهرة كروح وبذلك يضمن أن الطفل سيكون تجسيدا حقيقيا للشر ، وفيما بعد ينفذ تعليمه في فلسطين من قبل سحرة ومشعوذين ، سيلقنونه الفن الأسود وكل الشرور .

وعندما تبنت حشود أواخر العصور الوسطى كل النبوءات المتعلقة بالآخرويات كانت كل هذه التخيلات تعامل بجدية مميتة وتفصل في أساطير غريبة عجيبة وحيث أن الشخصية البشرية للمسيح الدجال كانت تميل للاندماج في الشخصية الشيطانية

لابليس ، كان هناك ميل لاظهار اليهود كشياطين يخدمون إبليس ، وفي الدراما والصور كانوا يظهرون كثيرا كشياطين بلحى وقرون ماعز ، في حين حاولت السلطات في الحياة الحقيقية والدينية والمدنية على السواء أن تجعلهم يضعون قرونا على قبعاتهم ، ومثل الشياطين الاخرى كانوا يتخيلون ويصورون مرتبطين ارتباطا وثيقا بمخلوقات ترمز للشهوة والقذارة : وحوش ذات قرون ، خنازير ، ضفادع ، ديدان ، أفاعي وعقارب ، وبشكل معكوس كان الشيطان نفسه عادة يعطي ملامح يهودية ، وكان يشار اليه على أنه « أبواليهود » . وكان الاهالي مقتنعين بأن اليهود في معبدهم يعبدون الشيطان في صورة هر أو ضفدع – ويلتمسون عونه في القيام بالسحر الأسود ، ومثل معلمهم المفترض كان الاعتقاد بأنهم شياطين التخريب الذين هدفهم الوحيد هو تخريب المسيحية والمسيحيين أو كما اسموهم في التمثيلية الأعاجيبية الفرنسية : « شياطين الجحيم وأعداء الجنس البشري »

وإذا بدا أن قوة اليهود أكبر مما كانت أبدا ، فإن فعلهم للشر الذي يفوق المدى ، وشعوذتهم الاكثر اذى كانت مجرد علامة اخرى أن النهاية قد باتت حقا وشيكة ، وكان يعتقد انه في التحضير للصراع الأخير سيكون لليهود مباريات غريبة هم فيها كجنود للمسيح الدجال ، سيمارسون الطعن ، وحتى الأسباط العشرة الضائعة من بني اسرائيل الذين رآهم كومونديلس بمثابة الجيش – المنتظر للمسيح أصبحوا يشبهون بمجموعات المسيح الدجال اي شعوب يأجوج ومأجوج التي وصفها(ص ٧٩) النهج الكاذب على أنها تعيش على اللحم البشري والجثث والأجنة التي يمزقون من أجلها أرحام أمهاتهم ، وعلى العقارب ، والافاعي وعلى كل الزواحف الأكثر إثارة للتقزز ، وكتبت المسرحيات الدرامية التي تظهر كيف أن شياطين اليهود ستعاون المسيح الدجال على غزو العالم حتى عشية المجيء الثاني وبداية الألفية السعيدة ، فوقتها سيباد المسيح الدجال واليهود معا بين ابتهاج المسيحيين ، واثناء أداء مثل هذه الأعمال الفنية كانت القوة المسلحة لازمة لحماية حي

اليهود من غضب الجماهير ،قد يصر البابوات والمجامع على أنه مع أن اليهود يجب عزلهم واهانتهم حتى يوم تحولهم الى المسيحية ، يجب بالتأكيد عدم قتلهم ، غير أن مثل هذه الرقة كان لها تأثير محدود على الجماهير الهائجة التي اكتسحتها أمال ومخاوف الأخرويات ، وأقلعت بسبب ما تعلمته على الانغماس في الصراع الهائل للأيام الأخيرة .

وغالبا ما عزيت كراهية اليهود الى دورهم كمقرض للأموال ، وإنه لمفيد حقا معرفة كم كانت العلاقة بالتأكيد ضعيفة فعلا ، ذلك أن تخيلات اليهودي الشيطاني موجودة قبل حقيقة إقراض المال اليهودي ، التي ساهمت في الواقع في افرازها ، وكما حدث في عصر الحروب الصليبية أخذ عدم التسامح الديني يشتد اكثر فأكثر ، ولذا تدهورت الحالة الاقتصادية لليهود بسرعة ، وفي مجمع اللاتران في ١٢١٥ تقرر أن اليهود يجب أن يحرموا من كل الوظائف المدنية والعسكرية ، ومن تملك الأراضي ، وقد دمجت هذه القرارات في القانون الكنسي ، وكتجار أيضا كان اليهود في ظروف معوقة اكبر ، لأنه لم يعد بإمكانهم السفر دون المخاطرة بتعرضهم للقتل ، الى جانب أن المسيحيين أنفسهم بدأوا يتحولون الى التجارة وبذوا بسرعة اليهود الذين حرموا من العصبة الهنسياتية ، والذين لم يكن يمكنهم بالطبع منافسة المدن الايطالية والفلمنكية ، وبالنسبة لليهود الأكثر غنى كان اقراض المال المجال الوحيد للنشاط الاقتصادي ، الذي بقي مفتوحا وكمقرضين للمال أمكنهم البقاء في بيوتهم ، بدون القيام برحلات خطرة ، وبإبقاء ثرواتهم في حالة سيولة كما أمكنهم في حالة الطوارىء الهرب دون فقدها كلها ،وعلاوة على ذلك مع الاقتصاد المتوسع بسرعة في غرب أوروبا كان هناك طلب مستمر وملح للتسليف وإقراض المال بالفائدة ـ الذي وسم بالربا الفاحش ـ وحرم على المسيحية بموجب القانون الكنسي وشجع اليهود الذين لم يكونوا بالطبع خاضعين للحظر ، وحتى أجبروا من قبل السلطات على الاقراض مقابل ضمانات ، وامتدحوا لتوليهم هذا العمل الضروري .

وكان إقراض المال اليهودي على أي حال ذا اهمية مؤقتة في الحياة الاقتصادية للعصور الوسطى ، ومع تطور الراسمالية تجاهل المسيحيون انفسهم بتصميم اكبر(ص ٨٠) الحظر الكنسي على اقراض الأموال .

وبالفعل مع حلول منتصف القرن الثاني عشر كان راسماليو البلاد المنخفضة يقدمون قروضا كبيرة بالفائدة ، كما أصبح الايطاليون خبراء مصرفيين ، ومع هؤلاء الرجال عجز اليهود عن المنافسة ، وفرضت المدن واللوردات المحليون والملوك ضرائب ثقيلة على اليهود عندهم ، وكثيرا ما كان الاسهام اليهودي في الخزانة الملكية ومواردها المالية عشرة اضعاف ما سوغته أعدادهم ، ومرة اخرى وجد اليهود انفسهم في ظروف غير مواتية بلا أمل ، ومع أن مقرضي الأموال بشكل فردي كانوا قادرين من حين لآخر لا سيما في البلدان المختلفة على تجميع ثروات كبيرة ، فإن الضرائب الكيفية كانت تنزل بهم الى الفقر مرة اخرى ، ولم يكن اليهود الأغنياء كثيرين ابدا : كان معظمهم ممن يسمى الآن أدنى الطبقة الوسطى ، وكان العديد منهم فقراء بكل معنى الكلمة ، وفي نهاية العصور الوسطى كان هناك قلة من الثروات اليهودية في شمال اوروبا للاسهام في التطور الهائل الذي تلا اكتشاف العالم الجديد .

وبتجريدهم من الثروات الكبيرة ، عاد بعض اليهود الى الاقراض على نطاق ضيق والأقراض لقاء رهن ، وهنا بالتأكيد كانت اسس الكراهية الشعبية وما كان مرة ثقافة يهودية مزدهرة تحول في ذلك الوقت الى مجتمع خائف محاصر في أعمال حربية دائمة مع المجتمع الأكبر المحيط به . ويمكن اعتباره مؤكدا أن مقرضي الأموال اليهود كانوا يستجيبون لعدم الأمان والاضطهاد باستخدام قسوتهم ، ولكن قبل أن يحدث ذلك بالفعل بزمان طويل أصبحت كراهية اليهود مستوطنة لدى الجماهير الأوروبية ، وحتى فيما بعد عندما شرعت الحشود في قتل اليهود فإنها لم تقصر نفسها على مقرضي الأموال القليلين نسبيا بل قتلت كل يهودي أمكنها أن تضع

يدها عليه ، ومن جانب احر كان أي يهودي يقرض الأموال يمـكنه أن ينجو من المذبحة بالخضوع للتعميد ، لأنه كان يعتقـد أن التعميد يزيل طبيعته الشيطانية بشكل مؤكد . ولم يكن اليهود على أي حــال هم الوحيدون الذين يقتلون ، وكما سنرى في الفصـول المتـأخرة إن حشود الفقراء التي كانت تستلهم الايمان بـالأخرويات سرعان مـا تحولت الى الأكليروس ايضا ، وهنا ايضا كان القتل ينفذ اعتقـادا بأن الضحايا كانوا عملاء للمسيح الدجال وابليس ، وكانت ابادتهم شرطا لازما للألفية السعيدة ، وإذا كان معظم الناس قد اعتقدوا أن المسيح الدجال لابد أن يولد يهوديا ، فإن هناك العديد ممن اعتقـدوا انه سيكون ابنا لأسقف وراهبة ، علاوة على ذلك أن مارتن لوثـر لم يكن (كما يفترض) اول من ألح على فكرة أن المسيح الدجال الذي سيقيم عرشه في المعبد لا يمكن أن يكون غير بابا روما ، وأن كنيسة روما بناء عليه هي كنيسة الشيطان .

فبين ذوي الأفكار المشبعة بالأخرويات في العصور الوسطى كانت الفكرة بالفعل عادية مألوفة وحتى بطلا مناصرا للكنيسة كالقـديس برنارد قد أصبح يعتقد في توقعاته الشديدة للدرامـا الأخيرة أن عددا كبيرا من رجال اللاهوت يتبعون حشود المسيح الدجال ، وفي أقوال المتنبيء الذي أحرق كمهرطق في باريس في ١٢٠٩ فكرة مماثلة تبـدو كجزء متمم من عقيدة اسـتمدت بـوضوح مـن تقـاليد يوحنا والسبلينيين ، وكان هذا الرجل صائغا وتحول الى كاهن ، تنبأ بأنه خلال خمس سنوات ستهلك المجاعة الناس ، وسيذبح الملوك الواحد الآخر بالسيف وستنشق الأرض وتبتلع سـكان المدن ، وفي النهـاية ستسقط النار على الذين هم أتباع للمسيح الدجـال مـن أسـاقفة الكنيسة ومطارنتها ، وأصر على أن البابا كان المسيح الدجال نظرا للسلطة التي يملكها ، وأن بابل سفر الرؤيا كانت في الواقع رومـا ، وبعد ذلك التطهير العظيم ستخضع الأرض كلها بكل ممـالكها للملك المقبل لفرنسا لويس الثامن ــ كان مايزال الابن البـكر للملك في ذلك الوقت ــ وهو ملك يؤمن بالأخرويات وتستحوذ عليه المعرفة وسلطة

الكتب المقدسة وسيحكم إلى الأبد تحت الشريعة والارادة الالهية لروح القدس .

واي حركة الفية كانت في الواقع مجبرة تقريبا بموجب الحالة التي وجدت نفسها فيها على ان تنظر إلى رجال اللاهوت على انهم اخوانية شيطانية ، وكانت جماعة من غير رجال اللاهوت برئاسة قائد يدعي أنه مسيح منتظر ، ومقنعه انها مكلفة من الرب بمهمة كبيرة هي تمهيد الطريق للالفية ، ملتزمة بأن تجد في الكنيسة المؤسساتية في افضل الأحوال خصما عنيدا ، وفي أسواها مضطهدا قاسيا .

ولكن او لم يكن في طبيعة المسيح الدجال أن يفعل اي شيء في إمكانه ليعوق بالخدعة والعنف التحقق الالهي المقدر ؟ واي الوسائل يمكن أن يجدها افضل من أن يتنكر تحت العباءة والتاج البابوي ، وأن ينشر السلطة الكبيرة والنفوذ الكنسي ضد القديسيين ؟ فإذا كان الأمر كذلك فما هي الطريقة الأخرى التي يمكن بها رؤية الكنيسة المعادية للمسيح سوى كونها عاهرة بابل ، « المراة السكرى بدم القديسين » أم المقت « التي ارتكب معها ملوك الأرض الزنا والفسوق ، واسكر سكان الأرض بنبيذ فسقها » ؟ وماهي الطريقة الأخرى التي يمكن بها رؤية رجال لاهوت هذه الكنيسة غير الوحش متعدد الرؤوس الذي يخدم المسيح الدجال ويحمل العاهرة على ظهره وهي تتلفظ بالتجديف وتحارب القديسين ؟ إن رجال اللاهوت كوحش سفر الرؤيا : هل هناك صورة اكثر اقناعا للالفيين المتحمسين الذين كانت حياة رجال اللاهوت في اعينهم لاشيء سوى البهيمية ، والحياة الحيوانية وهو وجود اعطي كليا للدنيا والجسد .

هل كانت كنيسة العصور الوسطى حقا غارقة في مثل هذه المادية الشديدة(ص ٨٢) أم أن الاعتقاد بهذا المعنى العام الذي مايزال منتشرا حتى اليوم تبسيط مبالغ فيه يمكن مقارنته بذلك الذي قرن

يهودية العصور الوسطى بالربا الفاحش للعصور الوسطى ؟

إنه بالتأكيد لايمكن نفـي أن الكنيسـة التـي فعلت الكثير جـدا لتشكيل مجتمع العصور الوسطى كانت ايضا إلى حد كبير جزءا من هذا المجتمع ، وبالفعل قبـل سـقوط الامبـراطورية الغـربية كان الاباطرة بمنحهم الكنيسة ثروات المعابد الوثنية قد جعلوا منها اعظم مالك للأرض في العالم ، وهذا الغنى الذي مكن الكنيسة أن تنجو من الهجرات الكبيرة والغزوات سالمة نسبيا ، كان يتزايد قرنا بعد قرن بوصايا الارث والتقدمات من الأمراء والاغنياء ، وبمـوجب قـانون الكنيسة كانت ممتلكات الكنيسة غير قابلة للتحـويل ، وهـكذا على الرغم من السلب من قبل اصحاب السلطان من المدنيين انتهت بـأن اصبحت هائلة ومنظمة لها مثل هـذا الموقـف الجيد ولديهـا طبعـا توظيفات مغرية يمكن تقـديمها،وكانت العـائلات النبيلة في العـادة تحصل بنفوذها أو حتى بالشراء على مراتب كنسية مريحة لابنائهـا الأصـغر ، وكثير مـن الأسـاقفة ورعاة الأديرة الذين عينوا بهـذه الطريقة كانوا ببساطة سياسيين ، أو من رجال الحـاشية الملكية او أمراء في زي كهنوتي ، وقد حول رعاة الأديرة اديرتهم إلى مؤسسات فاخرة في حين بنى الأساقفة قصورا محاطة بخنادق وابراج وعاشوا فيها وفق النمط الفاخر نفسه الذي عاش فيه السـادة الاقـطاعيون العظام الآخـرون ، ولم يكن بـلا سـبب أن الناس العـاديين كانوا يشكون من رجال اللاهوت ومن « أنهم لايعتنون بنا مـطلقا ، إنهـم يعيشون حياة فاضحة ، إنهم يدوسون على رؤوسـنا .... إن الناس العاديين يصنعون كل شيء ويقدمون كل شيء ، ولكنهم لايسـتطيعون العيش دون أن يتعذبوا إلى الأبد وان يدفعوا إلى الخراب مـن قبـل رجال اللاهوت .... إن رجال اللاهوت ذئاب ثائرة .... » .

علاوة على أنه على الأقل من القرن الثالث عشر وما بعـده كانت البابوية نفسها بشكل واضح وبـلا جـدال دنيوية ، وكان البـابوات يميلون لأن يكونوا في المقام الاول رجال دولة ورجال إدارة ، واعظـم متداول للمال ، ومكن إحياء التجارة البابوية من تطوير نظام مـالي

على معايير أوروبية تشغل من قبل بيرقراطية معقدة عالية التدريب ، ومع ذلك فإن البابوية قد تدان بقوة « بالربا الفاحش » حسبما دعت الرأسمالية الجديدة ، واحتياجاتها المالية الخاصة قد اضطرتها إلى الاستفادة من كل وسائل جمع الأموال وزيادتها وقبل الملوك الدنيويين استخدام البابوات خدمات المصرفيين ، وبتلك الوسائل تمكنت البابوية من خوض معارك سياسية صرفة بوسائل سياسية صرفة بل وحتى شراء الحلفاء وشن الحروب ، وكانت أيضا قادرة مثل الملكية الكبيرة على المحافظة على بلاط لايبارى في الفخامة ، يمكن فيه للكيد والتآمر والانغماس في الملذات أحيانا أن يزدهر كما الترف في اي بلاط آخر ، وفي المراتب العليا من الهرم اللاهوتي كان هناك في الواقع ميل للتقارب مع الطريقة الطبيعية للحياة في الطبقة العليا من مجتمع المدنيين .

وعندما تكلم المؤمنون بالالفية في أواخر العصور الوسطى عن دنيوية الكنيسة(ص ٨٣) كانوا بالتأكيد يتكلمون عن شيء كان موجودا ، ولكن ما ليس أقل أهمية إن الدنيوية هي كل ما كان يمكنهم رؤيته في الكنيسة ، وما لم يروه هو أنه مهما كان عمق التورط في المجتمع الدنيوي ، كانت الكنيسة ما تزال تمثل طريقة اكثر شفقة وانسانية وزهدا بالحياة ــ وليس فقط بتعاليمها بل ايضا حتى في اكثر فتراتها دنيوية ، بتطبيقاتها وممارستها ، وفي عصر لايعرف شيئا عن الخدمات الاجتماعية ، كان الرهبان وأعضاء الجمعيات الدينية فيما بعد يهتمون بالفقراء والمرضى كجزء من روتين لاجدال فيه ، ودون تفكير في جزاء أر ضي ، وفي قارة مرهقة بالحروب الاقطاعية عمل الأساقفة كل ما في وسعهم ، للتبشير بهدنة الرب ، وسلام الرب: للحد من المعاناة والتخريب ، وفي كل الأوقات كانت أعداد كبيرة من رجال اللاهوت تعيش حياة قاسية متزمتة ، والعديد حتى من الاساقفة الكبار كانوا يتجهون الى الورع ، واذا كان رجال اللاهوت ينزلون باستمرار الى الدعة والراحة والانحلال ــ كما تميل دوما أي مجموعة كبيرة من الكائنات . فانه لم ينقصهم أبدا بعض ممن توفرت فيه الارادة والقوة لطلب التوقف ومحاولة الاصلاح على

الأقل ،وتأسيس المراتب الرهابانية الجديدة في القرنيين الحادي عشر والثاني عشر ، وتجديدات القديس فرانس والقديس دومنيك في القرن الثالث عشر ، والحركة المجلسية للقرن الخامس عشر ، وحتى الحركة « الانجيلية » التي كانت تنتشر في عشية يوم الاصلاح نفسه هي فقط بعض الأمثلة على كثير من قدرات كنيسة العصور الوسطى على مواجهة النقص والعيوب الخاصة بها.

وبالحكم بمعايير المسيحية اللاتينية للعصور الوسطى ، التي كانت مقبولة من حيث المبدأ من الجميع على حد سواء ، كان سجل الكنيسة في الواقع بعيدا عن أن يكون كلي السواد ، ولكنه بدا أسود كليا بالنسبة للألفيين الذين كانوا في الوقت نفسه خائفين ومفتونين لقرب حدوث المجيء الثاني ، وطبقوا هذه المعايير بتصلب ورفض كامل لأي تسامح ، وبحثت الحشود التي استلهمت الأخرويات عن زعماء يمكنهم أن يعتبروهم كائنات روحية صرفة ، بعيدة عن كل الاهتمامات المادية والحسابات متحررة من المتطلبات والرغبات الجسدية ، ومثل هؤلاء الزعماء يمكن أن ينظر إليهم كقديسين صانعين للمعجزات ، بل حتى كآلهة حية ، ولكن بهذه المعايير كانت الادانة التامة الشيء الوحيد الممكن تجاه رجال اللاهوت لكونهم بشرا يزخرون بالضعف البشري ، وكان بسبب التوقعات المغالى فيها أن حركات الجماعات المؤمنة بالأخرويات لم تتمكن ـ كما تمكنت الكنيسة نفسها وفعلت ـ من أن تدين ببساطة مفاسد معينة ، وأن تنتقد بعض أفراد رجال اللاهوت بعينهم ، ولكن كان عليها أن ترى كل رجال اللاهوت في كل أفعالهم كمليشيا للمسيح الدجال ، مرتبطة بطبيعتها بالكد من أجل الخراب المادي والروحي للنصرانية ، وبالكفاح بضراوة أكثر لأن النهاية قد باتت الآن قريبة ، وفي نقوش لورك (صورة ٢) يتقيأ كاردينال شيطاني أسقفا يقول « ابتعدو بأنفسكم ، أيها الرب والبشر : الشيطان وأنا سادة » وفي رسم ديورر(ص ٨٤) للفصل السادس من سفر الرؤيا (صورة ٣) ليس فقط بابا وأسقف بل أيضا كهنة عاديين ورهبان يظهرون بين أولئك الذين في يوم العقاب الالهي سيصرخون بلا

جدوى فوق الجبال والصخور لتسقط عليهم وتخفيهم عن وجه المسيح المنتقم ، وعلى الرغم من تاريخها إن ما تعبر عنه هاتان الصورتان الرؤيتان مازال هو الشجب المرعب نفسه من الكنيسة ، للمسيح الدجال عندما يعبر عنه من قبل الطوائف الألفية للقرنين الثاني والثالث عشر .

التخيلات والقلق والخرافات الاجتماعية :

لوحظ من قبل المحللين النفسيين انه في نظر عالم مسيحية القرون الوسطى الحياة تميل الى أن ترى ككفاح مميت يشنه الأباء الطيبون والأطفال الطيبون ضد الآباء السيئين والأطفال السيئين. وبالتأكيد إن هذا النمط يبرز بصورة خامية صارخة في تخيلات الايمان الشعبي بالأخرويات والحركات الشعبية التي الهمتها.

وامتزجت شخصية قائد المؤمنين بالأخرويات ـ امبراطور الأيام الأخيرة أو المسيح العائد ـ بالصور الخيالية للأب الطيب والابن الطيب لأنه من جانب ملك القائد ـ مثل فرعون والعديد من الملوك المتألهين الأخر ـ كل نعوت الأب المثالي : انه حكيم تام ، وعادل بشكل كامل يحمي الضعيف ولكن من جانب هو الابن أيضا الذي مهمته تغيير العالم ، إنه المسييح الذي سيقيم سماء جديدة وارضا جديدة والذي يمكنه أن يقول عن نفسه : « خذو حذركم انا أجعل كل شي جديدا ! » وكأب وابن ان هذه الشخصية جبارة هائلة فوق البشر ، كلية القدرة ، وهو قد حظي بوفرة من القوى الخارقة للطبيعة حتى أنه تخيل متدفقا كالضوء : هذا الاشعاع الذي يرمز تقليديا للروح الداخلية ، التي لاتحيط فقط بالمسيح القائم بل تنسب ايضا الى الامبراطور المقبل كونستانس علاوة على ذلك كونها مليئة بالروح الالهية ان الزعيم لدى المؤمنين بالأخرويات يملك قوى فريدة صانعة للمعجزات ، وستكون جيوشه بلا خلاف منتصرة مبتهجة بالنصر ، وحضوره يجعل الأرض تعطي محاصيل هائلة ، وسيكون حكمه عصر انسجام تام كالسالف ، ولن يعرف عالم الفساد . »

وبالطبع كانت هذه الصورة خيالية صرفة ، بمعنى أنها لاتحمل اي علاقة بالطبيعة الحقيقية وقدرة اي بشر وجد اصلا او يمكن ان يوجد ، وكانت مع ذلك صورة يمكن أن تنعكس على شخص حي ، وكان هناك دائما رجال كانوا أكثر من راغبين بقول مثل هذا الانعكاس (ص ٨٥) لقد كانوا في الحقيقة يرغبون بصورة انفعالية ان يروا معصومين صانعين للمعجزات ومخلصين ، وفي الأساس كان مثل هؤلاء الرجال يأتون من المراتب الأدنى من أهل الفكر ويضمون عددا كبيرا من رجال الكهنوت الصغار ، وكهنة تركوا ابرشياتهم ، ورهبان هربوا من اديرتهم وكتاب في التنظيمات الدنيا ، وكانوا يضمون ايضا بعض العلمانيين الذين خلافا لسواد المؤمنين من الناس كاونوا يلمون بالقراءة والكتابة من الحرفيين بشكل رئيسي ولكن أيضا بعض الموظفين الاداريين وحتى احيانا احد النبلاء الذي تكون طموحاته أرفع من منزلته ، وسر السطوة والهيمنة التي كانوا يمارسونها لم تكمن ابدا في مولدهم ولا الى اي مدى بعيد في تعليمهم بل دائما في شخصياتهم ، وتلح الروايات المعاصرة عن مسحاء (ج مسيح) الفقراء هؤلاء عادة على بلاغتهم ، وعلى الهيبة والجلال ، وعلى الشخصية الأسرة ، وفوق كل شي يحصل المرء على انطباع انه حتى لو أن بعض هؤلاء الرجال كانوا دجالين شاعرين بالاثم ، فان كثيرا منهم راوا أنفسهم كالهة متجسدة حقا او على الأقل أوعية للالوهية ، وكان يعتقدون حقا انه من خلال مجيئهم كل شي سيتجدد ، وسينقل هذا الايمان الكلي نفسه بسهولة الى العامة الذين كانت اعمق رغباتهم وتطلعاتهم بشكل دقيق نحو مخلص اخروي .

وراى الذين ربطوا انفسهم بمثل المخلص فيها (انفسهم) أناسا مقدسين ــ ومقدسين فقط بسبب خضوعهم غير المشروط للمخلص وإيمانهم التام بالبعثة الاخروية كما حددها بنفسه ، لقد كانوا اطفاله الطيبين ، وكمكافاة كانوا يقاسمونه قوته الخارقة ، ولم يكن فقط أن القائد يذشر قوته لمنفعتهم ، بل أنهم انفسهم طالما انهم يرتبطون به يشاركون في تلك القوة ، وبذلك

اصبحوا اكثر من بشر ، قديسين ، لايأثمون ، لايسـقطون لقـد كانوا الجيوش اللامعـة « الذين يلبسـون الكتـان الأبيض النظيف » وكان انتظارهم النهائي مقـررا منذ الأزل ، وفي الوقـت نفسه إن كل صنيع من أعمالهم مع انه قد يكون سرقة او اغتصاب او مذبحة لم يكن فقط بلا اثم بل ايضا عملا مقـدسا ، ولكن في مقـابل جيوش القديسين ، ونادرا اقل قوة منها تظهر حشود الآباء والأبناء الشيطانية والاثنان المتقاتلان كل منهما سالب الآخر ويعرفان معـا بنمط رمزي غريب ، وكما في مسيح المؤمنين بالأخرويات ، كذلك في العدو الأخروي اي المسيح الدجال ، صـور الابـن والأب متـداخلة وهنا بالطبع ان الصور هي لـلابن الشرير فقط « وكابن للهلاك » ان المسيح الدجال هو بكل شكل نظير شيطاني لابن الرب ، ومـولده هو الذي يبشر بالأيام الأخيرة ، وانتظر الناس بتوتر أنباء الولادة الغامضة المشؤومة في بابل ، وبهذه العـلاقة مـع الرب الأب يظهـر المسيح الدجال كطفل ثائر رافض ، مهتم بانفعال بـاحباط مقـاصد ابيه (ص ٨٦) ويجـرؤ حتـى على اغتصـاب مـكان ابيه وتقليد سلطته ، وفي علاقته بالكائنات البشرية ، من جانب أخر ، والمسيح الدجـال هـو أب لايكاد يتميز عن إبليس نفسـه : أب حـام لنوعه الشيطاني ، ولكن بـالنسبة للقـديسين هـو أب شرير سـفاح مخادع ، يخفي مقاصد الشر بكلمات حلوة ، طاغية ماكر عندمـا يقاوم يصبح مزعجا قاسيا وقاتلا ، ومثل القـائد المسـيحي ، إن المسيح الدجال مليء بالقوى الخـارقة للطبيعة التي تمكنه مـن صـنع المعجزات ، ولكن هذه القوى تأتي من الشـيطان وتـظهر في الفنون السوداء التي يستثمرها لتدمير القديسين ، حيث أن قوته ليست في قوة الروح فـانه لايصـدر عنه اي اشـعاع ، وعلى العـكس إنه كالشيطان من مخلوقات الظلام ، انه الوحش الذي يصعدها خارجا من الهوة التي لاقاع لها ، انه مخلوق غريب مرتبط بالأرض تخـرج من قمة ضفادع قذرة وعقـارب ورمـوز أخـرى مـألوفة للطين والقذارة .

وكل شي عكس على الشخصية المتخيلة للمسـيح الدجـال عكس

ايضا على « جماعات الحواشي » التي كانت تعتبر انهــا تخــدمه ، وحتى من قبل علماء اللاهوت الاصوليين نظر الاصوليون الى اليهود على أنهــم أطفـــال أشرار يذكرون بعناد الدعوات ويتحــــدون و يســتهينون بجــلال الرب ، أي الجميع ، و في نظـــر الطـــائفيين المتعصبين الذين رأوا في البابا المسيح الدجال ، كان لابد ايضا من ان يظهر رجال اللاهوت كسلالة خائنة ثائرة ضد أبيها الحقيقي ، و لكن اليهود و رجال اللاهوت يمــكن ان يروا ايضــا بــكل ســـهولة كشخصيات ـ أبوية ، وهذا واضح بــدرجة كافية في حـــالة رجـــال اللاهوت ، الذين يدعون ، فعلا « بالأباتي » مــن قبــل المؤمنين وإذا كانت المسألة أقل وضوحا في حالة اليهــود ، انهــا مــع ذلك حقيقة ، وحتى اليوم ان اليهــودي ـ الرجــل الذي يتعلق بــالعهد القديم ويرفض الجــديد ، واحــد الناس الذين ولد فيهــم المســـيح ـ يتخيل من قبل كثير من المسيحيين على أنه « يهودي نمــوذجي قديم » شخصية بائسة في ملابس قديمة بالية .

ويندمج بالتخيلات الاخــروية ، اليهــود ورجــال اللاهــوت على السواء حيث عدوا شخصيات أبوية من نوع مــرعب جــدا ، انه ذلك المخلوق الغريب ذو الغضب المدمر والقوة الاحليلية ، الذي يصــوره ملكيورلورخ وهو يرتــدي قلنســـوة البـــابا المثلثية ، ويحمـــل المفاتيح ، وصليب البابا ، وقد رؤى من قبل الالفيين في كل « رجل لاهوت مزيف » وبالنسبة لليهود ان الاعتقــاد بــانهم قتلوا أطفـــال مسيحيين كان واسع الانتشار جدا ومازال عالقا بثبات الى حــد ان كل احتجاجات البابوات والأساقفة ـ وكان هنالك الكثير منها ـ لم تستطع ابدا أن تنتزعها ، وإذا فحص احــد صــورة اليهــود وهــم يعذبون ويخصون صبيا بريئا بلا حول (الصورة ٤) فانه يقــدر بحق مقدار الخوف والكراهية الذين يمكن بهما النظر الى شــخصية الأب السيء المتخيلة ، وبقية الذخيرة من الاتهامات التي وجهت ضــد اليهود في أوروبا العصور الوســطى بــالجلد بــالسياط ، والطعــن وسحق الحشود،لهــا الاهمية نفســها والدلالة ، وإذا كانت مســألة الوحشية المرتكبة ضد الحشود هي من وجهة نظر اليهود بــلا معنى

(ص ٨٧) انها من وجهة نظر مسيحي القرون الوسطى تكرار لتعذيب المسيح وقتله ، وهذا ايضا تم تصور الأب الشرير (اليهودي) وهو يهاجم الابن الطيب ، وهذا التفسير تولد من القصص الكثيرة حول كيف انه من وسط الكعكة المشوهة ، ظهر المسيح كطفل يقطر دما ويصرخ .

ونسبت لهذه الشياطين ذات الشكل البشري واليهود و « الاكليروس المزيف » ،كل صفة من صفات الوحش الآتي من جهنم ، ليس فقط وحشيته بل ضخامته ، وحيوانيته و سواده و عدم نظافته ، و كان اليهود و الاكليروس معا يشكلون الحشد الأسود البغيض للعدو الذي وقف في مقابل الجيش الأبيض للقديسين ، « أبناء الله هذا نحن - الديدان السامة هذا أنتم » ، كما وضعها رجال من العصور الوسطى ، و عرف القديسيون أن مهمتهم كانت محو الحشد الأسود البغيض من على وجه الأرض ، لأن ارضا تطهرت هكذا ستكون هي فقط صالحة لحمل القدس الجديد ، المملكة المشرقة للقديسين .

وكانت حضارة أواخر القرون الوسطى دائما ميالة لشيطنة الحشود الناشزة ، ولكن في أوقات الارتباك الحاد والانحراف كان هذا الميل ملحوظا بشكل خاص ، ولم تعط المصاعب والاكتئاب في حد ذاتها تلك النتائج ، وكان الفقر والحروب والمجاعات المحلية الى حد كبير جزءا من الحياة الطبيعية حتى أنها كانت تؤخذ بشكل مؤكد ويمكن بناء عليه ان تواجه الى حد كبير بطريقة وقوة وواقعية ولكن عندما تقوم حالة لم تكن خطرة فقط بل خارجة كلية عن المجرى الطبيعي للتجارب المألوفة ، أي عندما يواجه الناس بمخاطر مخيفة لأنها غير مألوفة ، في مثل هذه الأوقات يحدث الهرب الجماعي الى عالم التخيلات الشيطانية ويتم بسهولة ، واذا كان التهديد غامرا بدرجة كافية، فان الارتباك ينتشر انتشارا واسعا وحادا بدرجة كافية ، ويمكن ان يقع وهم كبير من النوع المتفجر ، وهكذا عندما وصل الموت الأسود الى أوروبا الغربية في

١٣٤٨ ، استنتج على الفور أن بعض طبقات الناس ربما قد ادخلت الى موارد المياه سما مستخلصا من العناكب والضفادع والسحالي ـ وكلها رموز للأرض والقذارة والشيطان ـ أو ربما من زاحفة خرافية تشبه الضب ، ومع استمرار الوباء أصبح الناس في حيرة ويأس أكثر فأكثر ، وتأرجح الشك بين هناك وهناك وهو يومض على التوالي على المنبوذين ، والفقراء ، والاكليروس ، قبل أن يأتي في النهاية ليستقر على اليهود الذين كانوا قد أبيدوا تقريبا.

ولكن لم تكن كل الطبقات في المجتمع معرضة بالتساوي لتجارب أرضية مربكة ، وكما رأينا بين الجماهير في مناطق الحياة المستقرة المكتظة بالسكان كان هناك دائما العديد الذين عاشوا في حالة انعدام الأمن المزمنة التي لامفر منها (ص٨٨) وقد أزعجهم ليس فقط عجزهم الاقتصادي وضعفهم بل نقص العلاقات الاجتماعية التقليدية التي عليها كان الفلاحون حتى في أسوأ الأوقات قادرين على الاعتماد بصورة طبيعية .

لقد كان هؤلاء هم الناس الذين كثيرا ما أصيبوا بالكوارث ، والأقل قدرة على التغلب عليها ، وكان هؤلاء هم الناس الذين عندما كانوا يواجهون بمشكلات غامرة ويعذبهم القلق غير المحتمل مالوا نحو البحث عن قادة مسحاء ، وتخيلوا أنفسهم قديسين محاربين ، وأمكن بسهولة مزج التخيلات الناتجة مع الامان بالأخرويات المستمدة من رؤيا يوحنا و السبليندين وبهذه الصورة اصبحت اسطورة إجتماعية مترابطة ، ولم تكن الخرافة بالطبع الحشود التي لاحول لها من التغلب على مأزقها ، وكثيرا ماحثتهم على مناهج من العمل ثبت انها انتحارية بمعنى الكلمة غير انها استطاعت أن تختزن قلقهم في وضع حرج ، وجعلتهم يشعرون بأنهم مهمين بدرجة هائلة واقوياء بدرجة عظيمة ، وأعطاها ذلك تأملات لاتقاوم .

وعلى ذلك تصرفت الجماهير بطاقة ضارية وتخيلات

مشتركة ، ومع انها كانت مضللة إنها سببت لهـم راحـة انفعـالية شديدة الى حد أنه أمكنهم ان يعيشوا فقـط مـن خـلالها ، وكانوا بشكل كامل راغبين في القتل والموت من أجلهـا ، وهـذه الظـاهرة كانت قابلة للتكرار عدة مرات ، في اجزاء مختلفـة في غرب ووسـط اوروبا بين القرن الثاني والقرن السادس عشر .

الفصل الخامس

في أعقاب السيل الجارف للحروب الصليبية

بلدوين الزائف واستاذ هنغاريا :

استمر مشروع المغامرة الصليبية (ص ٨٩) العمـلاقة طـويلا ليقدم خلفية وارضية للحركات المسـائحية الشـعبية وفي الحمـلات الصليبية الرسمية تكتلت السياسة العلمانية بدرجة أكبر ، وبـالفعل في الحملة الثالثة التي أخذت طريقها في ١١٨٩ ، وجدت الاهتمامات السـياسية للدول العلمـانية ـ الامبـراطورية وفـرنسا وانكلترا ـ تعبيرا مفتوحا ، وانتهت الحملة الصليبية الرابعـة ، في السنوات الافتتاحية. للقرن الثالث عشر ، كحـرب علمـانية صرفـة شنت لأغراض سياسية محضة ، فهي حملة امتـزج فيهـا الطمـوح التجاري للبندقية بالطموحات الأرضية لأمراء فرنسا والمانية لتؤدي إلى الاستيلاء على القسـطنطينية ، وغزو وتقسـيم الأمبـراطورية الشرقية ، وفي مثل هذه الحملة لم يعد هناك مجال للدهماء ، فهـم لم يكونوا مرغوب فيهم وهـم لم يكونوا مهتمين ، ولكنهـم لم يهجـروا المثل القديمة للتحرر والدفاع عن المدينة المقدسة ، ولا الآمال المتعلقة بالأخرويات ، بل على العكس ، الآن وقد استسلم البارونات تمـاما للدنيويات ، كان الفقراء اكثر اقتناعا من قبل بأنهم ، وأنهم وحدهم كانوا الأدوات الحقيقيةللارادة الالهية ، والقيمين الحقيقيين على المهمة الأخروية .

وفي ١١٩٨ يبدو انه قد ظهر للمرة الأولى متنبيء دعا الفقراء إلى حملة صليبية تكون لهم ، ولهم وحـدهم ، وكان اسـمه فـولك أوف نويلي .

وكان زاهدا نمونجيا ، صانع معجزات وكانت سمعته الشعبية الكبيرة مدينة بالكثير لقدرته المفترضة على شفاء العميان والخرسان ، وماتصوره يبدو أنه كان لايقل عن جيش مستقل يكون ملفتا بشدة للأنظار بفقره كما قيل كان جيش ملك الطفور ، وهلكت الحشود التي انطلقت متحركة مع فولك في بؤس على شواطىء إسبانيا ولكن في خلال بضع سنوات أعقبتها حملات الأطفال الصليبية ، ففي ١٢١٢ خرجت جيوش الأطفال لاستعادة المدينة المقدسة ، وتكونت من جيش من فرنسا ، وآخر أكبر بكثير من وادي الراين وترأس كل منهما شاب اعتقد في نفسه أنه قد اختير من قبل الرب ، وكان ينظر إليه من قبل اتباعه على أنه قديس صانع معجزات ، ولم يكن (ص ٩٠) لهذه الالوف من الأطفال أن تكبح لا بالاستعطاف ولا بالقوة ، وكان إيمانهم عميقا لدرجة أنهم كانوا قانعين بأن البحر المتوسط سوف يجف أمامهم كما فعل البحر الأحمر أمام الاسرائيليين القدماء ، وانتهت هذه الحملات الصليبية ايضا بشكل مفجع ، مع كل الأطفال تقريبا إما غرقى في البحر أو جائعين حتى الموت أو بيعوا كعبيد في افريقيا ، ومع ذلك فإن هذه الهجرة الكبيرة دشنت تقليدا ، فلأكثر من قرن كانت حملات صليبية مستقلة من الفقراء تتابع الوقوع من وقت لآخر مع نتائج تعد مفجعة لهم وحدهم ، وفي هذه الأثناء قامت في فلاندرز وهنيوت الحملة الصليبية الرابعة ، وبشكل غير مباشر وبعد فاصل جيل ، على حركة استجابت بقوة إلى الآمال المسائحية الخلاصية للجماهير ، مع أن أصلها رسا في مؤامرة سياسية ، وعندما استولى الصليبيون على القسطنطينية في ١٢٠٤ نصبوا بلدوين التاسع كونت فلاندرز إمبراطورا للقسطنطينية وسيدا أعلى لكل الأمراء من الغرب الذين كانوا الآن يكسبون اقطاعات لأنفسهم من أراضي الامبراطورية الشرقية ، وكانت دولة بلدوين على أي حال ضعيفة جدا ، وخلال سنة أسر الأمبراطور من قبل البلغار وأعدم ، وفي الوطن اصبحت ابنة بلدوين جوانا كونتية ، ولكن بما انها لم تتمكن بفعالية من معارضة السياسي القوي المصمم فيليب اوغسطس الفرنسي فإن أراضيها في فلاندرز وهينوت وقعت تحت السيادة الفرنسية ، ولم

تكن هذه السيادة موضع ترحيب ، وعند موت فيليب في ١٢٢٣ كان نقص القيادة فقط هو الذي حال دون قيام ثورة ، وعند هذه النقطة عاد الخيال القديم للامبراطور النائم إلى الظهور في صورة متكيفة مع العصر ، وبفضل تاريخه الاستثنائي أصبح بلدوين في الخيال الشعبي شخصية ذات أبعاد خارقة للبشر ، مخلوقا خرافيا نصف شيطان ونصف ملاك وتدريجيا تطورت أسطورة كاملة ، وقد اشيع في الخارج أن الكونت كان بعد كل شيء ليس بميت ، ولكنه وقد اثم بدرجة كبيرة ، كان مايزال يكفر ويقدم التوبة التي فرضها عليه البابا ، ولسنوات عدة كان يعيش في غموض كشحاذ هائم وناسك ، ولكن تكفيره أن أن يستكمل وسيعود قريبا في تألق ليحرر أرضه وشعبه ، وفي عام ١٢٢٤ مر غريب عبر البلاد حول تورناي يوزع الهبات ويعلن أن بلدوين على وشك أن يعود ، وبعد بضعة شهور ظهر بين تورناي وفالنسين ناسك شحاذ في مظهر متنبىء نموذجي ذي قامة مهيبة ، وشعر طويل ولحية منسدلة ، وقد تم تعقبه إلى غابة قريبة حيث تبين انه يعيش في كوخ مصنوع من الاغصان ، وبدات الاشاعة على الفور في الانتشار على انه لم يكن سوى الكونت المفقود ، ولم يحسم أبدا ما إذا كان الناسك هو الذي أوحى بهذا الدور لنفسه أم انه ببساطة قد قبله عندما اقترح عليه (ص ٩١)وما هو مؤكد انه وقد أصر على أن يمضي عاما آخر في الغابة لاستكمال كفارته ، استفاد من الوقت لتأمين مستشاريه وتنظيم بلاط سري ، وكان النبلاء يزورونه ، واعتقد ابن اخ بلدوين بأنه عرف عمه حقا فيه ، وادعى قادة المقاومة الفلمنكية لفرنسا على الأقل بأنهم قد عرفوه حتى يمكنهم تبنيه كرجلهم ، وبتقويته بهذا الدعم أعلن الناسك انه كان بلدوين حقا ، وانه عاد إلى الوطن من الشرق بعد معاناة مروعة ، وتدفقت حشود كبيرة من فالنسين لرؤيته ، وفي نيسان ١٢٢٥ أعادته إلى المدينة على ظهر حصان وقد ارتدى رداءا قرمزيا ، بين مشاهد الابتهاج العارم .

وبقبوله من قبل معظم النبلاء والمدن في فلاندرز وهينوت ، ادعى الناسك قوى مهيمنة ، ولكن عندما دعته الكونتية جوانا للحضور إلى

بلاطها للاعتراف والمناداة به رفض الذهاب ، وبدلا من ذلك بدأ يعد العدة لترسيخ مركزه بالقوة ، وفي حين أن جوانا من جانبها ، وقد استقبلت صليبيين ممن عرفوا والدها شجبت الناسك على أنه دجال ، كانت المدن في مزاج مضطرب ليس فقط لأنهم وجدوا الفرصة لتوسيع حرياتهم بالتخلص من سيادة ملك فرنسا، بل لأنهم في الواقع اعتقدوا أن سيدهم الحقيقي قد عاد إليهم ، وقد هبوا الآن بالسلاح وخلعوا جوانا التي نجت بصعوبة من الوقوع بالأسر ، وتفجرت الحرب الأهلية وكان الناسك على رأس قوة كبيرة ، عاثت فسادا في هينوت من اقصاها لاقصاها وسلبت ودمرت كل مراكز المقاومة ، وأشعلت النار في الكنائس وهي محتشدة بالناس ، ولم تكن هذه حربا عادية ولكن (كما وصفها مؤرخ محدث) حربا دينية لاستعراض القوة ، حربا صليبية ضد الكونتية جوانا ، التي اصبحت الآن مكروهة لالمجرد كونها حليفا لفرنسا ، بل على أنها غير متمسكة بالواجب ، وابنة عاصية متمردة ، ولم يكن قائد الحملة الصليبية قائدا عاديا بل أميرا مقدسا ، كائنا مبجلا حتى أن الناس كانوا يقبلون الندب التي كانت شاهدا على عذاب عظيم طويل ، ويقاتلون من أجل شعرة من رأسه أو قصاصة من ثيابه كما كانوا يشربون ماء استحمامه ، كما شرب ماء استحمام تانشيلم في جيل سالف .

وتوج الناسك في أيار ، وربما كان ذلك في فالنسين ، ككونت للفلاندرز وهينوت وامبراطورا للقسطنطينية وسالونيك ، في احتفال اجتمعت فيه أبهة المراسيم الغربية والشرقية واوجد الملك الجديد على الفور الفرسان ، ووزع الاقطاعيات والرتب الكنسية والهبات وخرج في زيارة رسمية إلى مدنه ، وهو يرتدي الثياب الأرجوانية الخاصة بالسلطة ، محمولا على محفة ، أو ممتطيا حصانا أصيلا ، ومحاطا بأعلام مقاطعاته في الشرق والغرب ويتقدمه الصليب الذي كان يتقدم تقليديا خلفاء قسطنطين ، (ص ١٢) وكان مايزال باللحية الطويلة نفسها لناسك مقدس ، ويحمل الصولجان الأبيض صولجان الخير بدلا من صولجان السلطة المعدني ، ولابد انه بدا

حقا كامبراطور مسيحي ، جاء اخيرا لتحقيق نبوءات السبليذيين .

وكان الحماس الشعبي غامرا ، وجاءت مواكب شعبية طويلة من ابناء المدن والفلاحين من كل حدب وصوب يتقدمها رعاة الأديرة والرهبان لاستقباله ، وقدمت له مدن مثل ليل وغنت وبرغس ليس مفاتيحها فقط ، بل المال ايضا ، وهي تحمد الرب على العودة المعجزة التي بدت كميلاد جديد ، وكان الناس يركعون على ركبهم عندما يمر بهم ، وكما قال مراقب معاصر معلقا بطريقة ذات معنى : « لو أن الله نزل إلى الأرض ، لما استقبل أفضل من ذلك » ، ومع ذلك فإن الحماس لم يكن بالقدر نفسه بين كل الطبقات ، وفي حين كان الأغنياء يميلون للنظر بريبة إلى الملك الجديد ، كان الفقراء مقتنعين تماما أنه كان حقا بلدوين الذي ظهر بينهم ، ومع أن المؤرخين المحدثين مالوا إلى تجاهل الواقعة ، فإن المصادر الأصلية تظهر بوضوح كاف أن الفقراء المدنيين ولاسيما العمال في صناعة النسيج الكبيرة هم الذين تبنوا الرجل كمسيح لهم ، وطبقا للمراقب نفسه : « كان فقراء الناس من النساجين والقصاصين من خلصائه ، والأفضل حالا ، والأغنياء كانت حصتهم قليلة في كل مكان وقال الفقراء إنهم سيحصلون على الذهب والفضة .... وسموه الامبراطور » .

ويبدو التعليق هاما عندما يدرك المرء أنه في تلك السنة نفسها « ١٢٢٥ » كانت فلاندرز وهنيوت في ألم مبرح من مجاعة مروعة ، لم يشاهد مثلها منذ أجيال .

ومن الناحية السياسية أصبح الناسك قوة سياسية يحسب حسابها لأنه لم يوطد فقط سلطته في الوطن بل كان يكسب الاعتراف في الخارج ، وارسل الأمراء من الجوار السفراء إلى بلاطه وعرض عليه هنري الثالث ملك انكلترا معاهدة تحالف ، موجهة بالطبع ضد فرنسا .

وأجاب الملك الفرنسي لويس الثامن على كل ذلك بالتوصل إلى

معاهدة تحالف مع الكونتية جوانا ، والمح في الوقت نفسه بأنه هو نفسه قد يعترف بادعاءات الحاكم الجديد إذا زاره الأخير شخصيا ، وقبل الناسك الدعوة وسلك طريقه في حالة فخمة إلى البلاط الفرنسي في بيرون وتحول هذا إلى خطأ مميت ، ففي الحادثة مع لويس أثبت الناسك عجزه عن تذكر الأشياء التي كان بلدوين الحقيقي يعرفها بالتأكيد ، وسرعان ما عرف أنه برتداندوف راي من بيرغاندي ، وهو قد اشترك في الحملة الصليبية الرابعة كشاعر ومغني في حاشية سيده ، وأصبح في مرحلة تالية من حياته سيء السمعة كمشعوذ دجال وكمقلد للشخصيات أو منتحلها (ص ٩٣) وبتعرية الدجال فقد أعصابه وهرب في إحدى الليالي من البلاط ، بينما تشتت حاشيته التي كانت تضم مائة فارس كانوا حتى ذلك اليوم الموالين المخلصين له وذلك بعد تحررهم كليا من الوهم ، وكان مايزال بإمكانه النجاة بحياته لأن لويس منحه مهلة ثلاثة أيام لمغادرة الأراضي الفرنسية ، ولكنه بدلا من أن يستفيد من هذه الضمانة سلك طريقة إلى مقر قيادة في فالنسيين ، وأدى وصوله إلى وقوع اضطرابات في المدينة ، وحاول المواطنون الأغنياء اعتقاله ولكن الغضب الشعبي منعهم من ذلك . وبدلا من ذلك تم احتجار عدد من الأغنياء أنفسهم لقاء فدية ، في حين هرب الباقي من المدينة وتخلص الشعب من الادارة القديمة وأعلنوا عن تشكيل لجنة ثورية بين مشاهد الابتهاج المحموم ، وأسكنوا مسيحيهم في حصن المدينة وبداوا بتقوية أسوار المدينة ، وكانت فالنسيين في الواقع على وشك أن تحاصر من قبل الفرنسيين ، وعندها فقد بلدوين الزائف مرة أخرى أعصابه فهرب وأخذ معه قدرا كبيرا من المال ، وعندما عرف قبض عليه وجرى عرضه بطريقة مخزية عبر المدن التي شهدت انتصاره ، وفي تشرين أول أعدم في مقر السوق في ليل بعد نحو سبعة شهور من إعلان نفسه كونتا وامبراطورا .

ووصف برتراند أوف راي نفسه قبل إعدامه بشيطان فقير ضلله النصح بالشر من الفرسان والبورجوازيين . ولكن شيئا لم يكن بإمكانه كسر القبضة التي أحكمها على الخيال الشعبي ، وكان على

المدن أن تطلب العفو من ملك فرنسا ، ولكن قلبيا بقي الناس العاديون مخلصين لسيدهم المفقود ، ومع أن الكونتية جوانا حكمت الأراضي التابعة لها بحكمة وشجاعة فإنها لأجيال عديدة بقيت تلعن كقاتلة لابيها ، في حين أن شخصية بدوين ، الأمبراطور اللاتيني للشرق الذي ظهر لبضع أسابيع بين حشود الفلمنك كمسيح لهم ، قد أخذ مكانه بمثابة كونت أميكو أوف ليننغن وقد اتخذ مكانه بين الملوك النائمين الذين سيعودون يوما معا ومرة أخرى بكلمات المراقب المعاصر:« في فالنسيين كان الناس ينتظرونه كما انتظر البريطانيون الملك أرثر»وربما يضيف المرء كما انتظر عامة الناس طويلا في كل مكان ، كونستانس المبعوث من جديد ، ومع أن سلسلة الأحداث كانت قصيرة فإنها قد دشنت عهدا من الاضطراب الاجتماعي كان له أن يستمر قرنا ونصف القرن .

وفي فرنسا تركزت التوقعات المسائحية على أسرة كابيه التي أصبحت خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر تتمتع بهيبة شبه دينية ذات شدة غريبة في زمن الحملة الصليبية الثانية كان لويس السابع بالفعل يعتبر من قبل العديد بمثابة امبراطور للأيام الأخيرة ومع بداية القرن الثالث عشر كان الناس العاديون منسجمين مع الملك والمدافعين الرسميين عن قضية ادعاء للسلطة المطلقة للملكية الفرنسية وتقدمها على كل الملكيات الأخرى (ص ٩٤) فملك فرنسا مكرس من قبل القديس ا مبول ومعمد وقد حضرت عمادش حمامة من السماء ، وبشكل خاص كشاف من المرض ، وفيليب ا وغطسطس الذي صيغ لقبه على سميه

اغسطس ذي اللقب الامبراطوري رأى نفسه شا رلمانا ثانيا ، معينا من قبل الرب ليكون رائدا لكل النصرانية اللاتينية ، وفي يوم معركة بومثين في ١٢١٤ ، التي بتحطيمها لتحالف انكلترا والمانيا وفلاندرز مضى بعيدا في اتجاه كسب تلك القيادة له ، وادعى فيليب في الواقع دورالملك الكاهن ، ومثل شارلمان في نشيد رولاند ، بارك جيشه كحشد يقاتل من أجل العقيدة الصحيحة .

و في تلك السنوات ذاتها كان هناك متعصبون في باريس راوا في الابن البكر لملك فرنسا ، الذي أصبح فيما بعد الملك لويس الثامن مسيحا سيحكم الى الأبد تحت شريعـة الروح القـدس عالما موحدا متطهرا ، وفي حالة اذا ماميز لويس الثامن نفسه بدهائه وتصميمه بدلا من اي مواهب روحية ، فان خليفتـه كان في الواقـع قـديسا دنيويا ، فقد وضع لويس التاسع او القـديس لويس معيارا جـديدا للملوك في النصرانية ، فإضـافة الى زهـده الصـارم واهتمـامه الحقيقي الذي امتد الى اكثر رعاياه تـواضعا ، وكسـب له مهـابة استثنائية ، ان المرء ليتسـاءل اي أحـداث خـارقة كانت متـوقعة منه ، عندما خرجت هـذه الشـخصية المشعة في الحملة الصـليبية السابعة ؟ وبالتاكيد عندما هزم في المنصـورة في ١٢٥٠ ووقـع في الأسر ، الذي استمر أربع سنوات كانت هـذه ضربـة مـروعة لكل النصرانية وكأن التحرر من الوهم كبيرا لدرجة أن العديد من فرنسا بدأوا في توبيخ الأكليروس ، قائلين : بعـد كل شي بـدا أن محمـد (ص) اقوى من المسيح .

واستجابة لهذه الكارثة برزت للوجود اول الحـركات الفـوضوية المعروفة باسم صليبية الرعاة،وفي عيد فصح ١٢٥١ بدأ ثلاث رجـال بالوعظ بالحملة الصليبية في بيكاردي وخـلال بضـعة أيام امتـدت دعوتهم الى برابانت وفلاندرز ، وهينوت أي الأراضي الواقعة وراء حدودالملكة الفرنسية ، وكانت الحشود متعطشة للمسيح بـالدرجة نفسها كما كانت في أيام برتر اند أوف راي قبـل ذلك بجيل ، وكان أحد هؤلاء الرجال راهبا مرتدا يدعى يعقـوب يقـال انه جـاء مـن هنغاريا ، وكان يعرف باسم « اسـتاذ هنغـاريا » وكان زاهـدا نحيلا شاحبا ملتحيا في نحو الستين مـن العمـر ، له تـأثير قـوي وقادرا على الكلام بـطلاقة كبيرة بـاللغة الفـرنسية ، والالمانية واللاتينية ، وادعى يعقوب ان مريم العـذراء قـد ظهـرت له وهـي محاطة بجيش من الملائكة وأعطته رسالة ، كان يحملها دائما في يده مثلما قيل عن بطرس الناسك انه كان يحمل وثيقة ممـاثلة ، ونقـلا عن يعقوب كانت هذه الرسالة (ص ٩٥) تدعو كل الرعاة لمساعدة

الملك لويس على تحرير الضريح المقدس ، وادعى ان الرب كان غير مسرور بالزهو والتباهي لدى الفرسان الفرنسيين ، وانه اختار الهمل من العامة لتولي عملهم ، فالرعاة اعلنت الأنباء السارة بولادة المسيح للمرة الأولى ، ومن خلال الرعاة عرف ان الرب على وشك اظهار قوته وبهائه .

وهجر رعاة الغنم والأبقار من الشباب والصبية والفتيان على السواء قطعانهم ، ودون استئذان من أهاليهم وتجمعوا تحت الاعلام الغربية التي رسمت عليها الزيارة المعجزة للعذراء ، وقبل مضي زمن طويل انضم اليهم اللصوص ، و العاهرات والخارجون على القانون والرهبان المرتدون ، والقتلة وقدمت هذه العناصر القادة ، ولبس كثير من هؤلاء القادمين الجدد ايضا زي الرعاة واصبحوا جميعا يعرفون باسم الرعاة وسرعان ماكان هناك جيش -مع أن التقدير المعاصر بنحو ستين الفا يجب الا يؤخذ بجدية - لابد انه كان بالتأكيد يعد ببعض الألوف.

وكان مقسما الى خمسين سرية ، كانت تزحف منفصلة وهي مسلحة بالمذاري ، والبلط والخناجر والفؤوس المرفوعة عاليا ، عندما يدخلون المدن والقرى من أجل ارهاب السلطات ، وعندما كانوا يقعون في عجز من المؤن ، كانوا يأخذون مايحتاجون اليه بالقوة ، ولكن الكثير منها كان يقدم طواعية حيث - كما يظهر من كثير من الروايات المختلفة - كان الناس يبجلون الرعاة كرجال مقدسين .

وسرعان ما أصبح الرعاة يتصرفون بالضبط مثل الجماعات التي تبعت تانشيلم ، ويود دي توال ، وأخذ على يعقوب بالوعظ ضد رجال اللاهوت ، وهو محاط بحرس مسلح وبدأ يهاجم الرهبان النين يعيشون على الصدقات كمنافقين ومتشردين ، والرهبان البندكيتيين للأرض والتملك والبريموذستراتينيين على انهم مفـــــروون

وشرهون ، والقوانين النظامية على أنهـا تصـف دنيونة وتقـطع الصيام وكانت هجماته على مجلس الكرادلة لاتعرف الحدود ، وعلم اتباعه النظـر الى الأسرار المقـدسة بـازدراء ، وأن يروا في اجتماعاتهم الخاصة التجسيد الوحيد للحقيقة ، ولنفسـه ادعى انه لايمكن فقط ان يرى الرؤى بـل ان بـامكانه ايضـا شـفاء المرضى ، وكان الناس يحضرون له مرضاهم ليمسـهم ، وأعلن أن الطعام والنبيذ الذي يوضع أمام إتباعه لاينقص ابدا ، بل بـالأحرى يزداد بينما يؤكل ويشرب ووعد بأنه عندما يصـل الصـليبيون الى البحر فان الماء سيرتد أمامهم وأنهـم سـيسيرون مـن غير بلل الى الأرض المقدسة ، وبشأن قوة قدراته المعجزة ادعى لنفسه الحـق في منح الغفران من كل انواع الذنوب ، واذا رغب رجـل وامـراة مـن اتباعه في الزواج فانه كان يقوم بالمراسم ، واذا رغبا في الانفصـال فانه كان يطلقهم بالسهولة نفسها ويقال انه قد زوج احد عشر رجلا لامراة واحدة ، ممـا يدلل على أنه رأى نفسـه كمسـيح حـي يتطلب « حواريين » «ومريم عذراء » (ص ٩٦)وكل مـن يغـامر بمعارضته كان يبطش به من قبل الحراس ، واعتبر قتل كاهن أمرا يستحق الثناء بشكل خاص ، ونقلا عن قول يعقوب : يمكن أن يكفر عنه بشربة نبيذ ، ولم يكن مـدهشا ان نظـر رجـال اللاهـوت الى انتشار الحركة برعب وقد ذهـب جيش يعقـوب اولا الى اميذز حيث استقبل استقبالا حماسيا ، ووضع البورجوازيون طعامهم وشرابهم تحت تصرف الصليبيين ، ودعوهم بأقدس الرجال ، وأعطى يعقوب انطباعا صالحا حتى انهم رجوه ان يتفضـل بـأخذ مـايشاء مـن ممتلكاتهم ، وركع بعضهم أمامه (كما لو كان جسد المسيح) .

وبعد اميذز انشطر الجيش الى مجمـوعتين سـارت الأولى الى روان حيث تمكنت من تشتيت مجمع كان ينعقد هناك برئاسة رئيس الأساقفة ، وتقدمت الأخرى الى باريس وهناك فتن يعقـوب الملكة الأم بلانش حتى انها حملته بـالهدايا وتـركت له الحـرية ليفعـل مايشاء ، وكا ن يعقوب في ذلك الحين يرتدي زي اسـقف ويعـظ في الكنائس ويرش الماء المقدس وعقب طقوس غريبة خاصة به ، وخلال

ذلك كان الرعاة يبدأون في المدينة بمهاجمة رجــال اللاهــوت وقتلوا العديد منهم بالسيف واغرقوا العــديد في الســين واوشــك طــلاب الجامعة ــ الذين كانوا بالطبع من رجــال اللاهــوت وان كانوا مــن المراتب الصغيرة ــ أن يذبحوا لو لم يغلق الجسر في الوقت المناسب.

وعندما ترك الرعاة باريس تحركوا في عدد من الفرق ، كل منهــا تحت قيادة « أستاذ » كان يبا رك الحشود وهم يمرون خلال المدن والقرى ، وفي تور هاجم الصليبيون رجال اللاهوت ايضا ولاسيما رهبان الدومينكان والفرنسيسكان الذين ســحبوهم وجلدوهــم في الشوارع ، ونهبت كنيسة الدومنيكان ، وهوجم دير الفرنسيسكان واقتحم وأظهر الازدراء القديم للأسرار المقدسة التي تناولتها الايدي غير الجديرة نفسها : لقد أمسكت الحشود بخبز القــربان المقــدس وبين الاهانات القوا به الى الشــوارع ، وكان كل مــايجري يلقــي القبول والتــأييد مــــن الناس ، وفي أورليانز وقعــت مشــاهد مماثلة ، وهنا أمر الأسقف بإغلاق البوابات في وجه الحشد القــادم

ولكن البورجوازيون تعمدوا عدم أطاعته وسمحوا للرعاة بــدخول المدينة ووعظ يعقوب الحشود وتم شج راس احد العلماء من مدرسة الكاتدرائية كان قد تجرأ على معارضته ببلطة طرحته أرضا ، وهرع الرعاة الى المنازل التي اختبأ فيها الرهبان فعصفوا بها ، وحــرقوا الكثير منها الى الأرض ، وبطشوا بكثير من البورجوازيين رجــال اللاهوت بما فيهم اساتذة الجامعة او اغرقوهم في اللوار .

واكره باقي رجال اللاهوت على الخروج مــن المدينة ، وعندمــا غادر الرعاة المدينة كان الأسقف ساخطا محنقا من الاستقبال الذي اضفي عليهم ، ووضع أورليانز تحت الحــرمان ، وفي الواقــع كان راي المعــاصرين أن الرعاة كانوا مــدينين الى حــد بعيد بهيبتهــم لعاداتهم في قتل ونهب الكهنة ، وعندما كان أحد رجــال اللاهــوت يحتج او يقاوم لم يكن يلقى دعما من الناس ، ومن المفهوم ان بعض رجال اللاهوت وهم يرقبون نشــاطات الرعاة كانوا يشــعرون بــان الكنيسة لم تكن ابدا عرضة لخطر أكبر من ذلك ، وفي بورغ بدأ قدر

الرعاة يتغير ، وهنا ايضـا عصى البـرجوازيون رئيس اسـاقفتهم وسمحوا للحشود بقدر ما اتسعت لهـم المدينة ، وعسـكر الباقي خارجها ووعظ يعقوب هذه المرة ضد اليهود وارسل رجـاله لتـدمير الكتابات المقدسة ، ونهب الصـليبيون المنازل ايضـا في كل أنحـاء المدينة ، واخذوا الذهب والفضة اينمـا وجـدوهما واغتصـبوا كل امرأة امكنهم ان يضعوا ايديهـم عليهـا ، واذا كانوا لم يضـايقوا رجال اللاهوت فان ذلك كان لانهم اختبـأوا ، ولكن في ذلك الوقـت كانت الملكة الأم قد أدركت نوع هذه الحركة واعتبـرت خـارجا على القانون كل من شارك فيها ، وعندما بلغت هذه الأنبـاء بـورغ فـر العديد من الرعاة واخيرا وبـينمـا كان يعقـوب يرعد ويبـرق ضـد انحلال رجال اللاهوت ويدعو أهل المدينة للانقـلاب ضـدهم تجـرأ واحد من بين الحشود على معارضته ، واندفع يعقوب نحو الرجـل بسيف وقتله ، ولكن هذا كان كثيرا بالنسبة للأهـالي الذين حملوا بدورهم السلاح وطاردوا الزوارالجامحين الى خارج المدينة .

وجاء الآن دور الرعاة في معاناة العنف ولوحق يعقوب مـن قبـل الخيالة البرجوازيين ومزق اربا ، واسر العديد من اتباعه من قبـل ا لرجال الرسميين الملكيين في بـورغ وشـنقوا ، وشـقت الفـرق الناجية طريقها الى مرسيليا والى ايغ مـورت حيث كانوا يأملون في ركوب السفن الى الأرض المقدسة ، ولكن كلتا المدينتين تلقت تحذيرا من بورغ واعتقل الرعاة وشنقوا ووصلت فـرقة أخيرة الى بـوردو ولكن لتلتقي هناك مع قوات انكليزية تحت قيادة حـاكم غاسـكوني سيمون دي مونتفورت حيث تشتت ، وأثناء محاولة قائدها الصعود الى إحدى السفن المبحرة نحو الشرق عرف من قبل بعض البحـارة واغرق وفر احد معاونيه الى انكلتـرا ، وعندمـا نزل في شـورهام جمع أتباعا من بضع مئات من الفلاحين والرعاة ، وعندما بلغت هذه الأحداث الملك هنري الثامن كا ن متذبها بدرجة كافية لاصـدار تعليمات لقمع الحـركة الى قـادة الشرطـة في كل انحـاء المملكة ، وسرعان ماتحللت الحركة كلها ، وحتى الحواري في شورهام مـزق اربا من قبل أتباعه ، وكانت الشـائعات قـد حملت كل شئ الى كل

جهة ، فقيل ان الحركة كانت مؤامرة من السلطان الذي قيل أنه دفع ليعقوب ليجلب له المسيحيين من الرجال والشبان كعبيد ، وقيل ان يعقوب والقادة الآخرين كانوا من المسلمين الذين كسبوا هيمنة على المسيحيين بوسائل السحر الأسود (ص ٩٨).

ولكن كان هناك ايضا أنه في الوقت الذي تم فيه قمع حركة الرعاة ، كانت قد توسعت فقط في الجزء الأول من برنامجها ، فقد قال الناس قصد قادة الرعاة أن يذبحوا أولا الكهنة والرهبان ، ثم الفرسان والنبلاء ، وعندما تسقط كل السلطات تنتشر تعاليمهم في كل أرجاء العالم.

صليبية الفقراء الأخيرة

لم تصبح الحركات المسائحية للجماهير أكثر استقلالا فقط بل أصبحت أكثر صراحة في عدائها للأغنياء وذوي المزايا ، وفي هذا عكست تغييرا حقيقيا في الاحساس الشعبي ، ولم تكن الخصومة بين الاغنياء والفقراء شيئا جديدا ، وحتى تحت نظام الوحدات الريفية الاقليمية كان بامكان الفلاحين الانقلاب ضد سادتهم اذا كان حكمهم مستبدا أو نزويا او متعارضا مع عادات الضيعة ، ولم تكن الثورات المحلية غير معروفة بأي حال ، ومع ذلك كان فقط عندما تمزق نظام الوحدات الريفية بسبب تطور الاقتصاد التجاري والصناعي ان الطبقات العليا من العامة أصبحت هدفا لتيار ثابت من النقد الدال على الاستياء .

وكان كثير من العداء موجها ضد التجار الرأسماليين في المدن ، وكثيرا ماكان هؤلاء اغنياء جدا ، فأربعون رأسماليا ربما كانوا يملكون نصف الثروة في مدينة اضافة الى معظم الأراضي التي بنيت عليها ، وصحيح انه في المراحل الأولى في نمو المدينة قدم مثل هؤلاء الناس خدمات عامة عظيمة وفي بعض المدن ـ البندقية مثلا ـ استمروا على ذلك خلال العصور الوسطى ، ولكن في مدن كثيرة في

البلاد المنخفضة ووادي الراين أصبحوا بسرعة يشكلون قلة حاكمة انانية كانت تهتم فقط بحماية مصالحها الخاصة ، و كسلطة بلدية وحيدة كان هؤلاء الراسماليون قادرين الى حد بعيد على تحديد الأجور وساعات العمل في الصناعة بما في ذلك الصناعات التي يحصلون منها على ارباحهم ، وفوق كل شي لم تكن هناك رابطة تقليدية اجتماعية تقدسها العادة المغرقة في القدم ، لتوحيد الرأسماليين الكبار حتى مع الحرفيين الرئيسيين أو معلمي الحرف الذين عملوا لديهم بصورة دائمة تقريبا ، اذا تجاوزنا عن ذكر العمال العاديين والعاطلين ، ولم يكن هناك مفر من انه في المناطق المتمدنة بدرجة عالية ، حيث عاشت الاقلية الغنية في تقارب وثيق مع السكان ، وحيث وجد عمال غير مستقرين يبالغ في الاستغناء عنهم واحيانا يرهقون بالعمل وهم دائما في فقر يائس ، من ان يشهد هؤلاء تنامي الكراهية الطبقية ذات العنف البالغ .

وكانت النبالة القديمة مكروهة مثلما تمت كراهية الارستقراطيين الرومان الذين كانوا يرتبطون معهم في الواقع بالزواج ، (ص٩٩) .

والعمل التقليدي للنبلاء كحماة للفلاحين غير المسلحين اصبح يرى اقل ضرورة مع توقف الغزوات الكبيرة ومع تقييد الأعمال الحربية الخاصة بشكل تدريجي بوساطة السلطة الملكية ، علاوة على ذلك تحلل نظام الوحدات الريفية في المناطق التالية الاستقرار بسرعة ، والمعايير المعيشية التي كانت تبدو مناسبة حتى بالنسبة لمالكي الأراضي الكبار في القرون الأولى بدت اقل وفاء بالحاجة الآن ، وكانوا يريدون عادة العيش في المدن ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك بوساطة الدخل الآتي من الخدمات والقروض النوعية التي كثيرا ما كانت ثابتة منذ قرون قديمة ، وكان عليهم بدلا من ذلك الحصول على المال ويمكنهم فقط الحصول عليه بالسماح لعبيدهم اولا بشراء حرياتهم ، وثم دفع ايجار نقدي لممتلكاتهم ، وكان الفلاحون كثيرا ما يستفيدون ماديا بقدر كبير ، من التغيير ، لكن موقفهم كان

يتحدد بالاحرى بتلقف رابطة ، مع أنهم كثيرا ماكانوا يجدونها عبثا وظلما الا انها مع ذلك كانت تنطوي على صفة ابوية معينة ولكن مع اختفاء القنانة كانت المصالح المادية تميل لأن تصبح المعيار الوحيد الذي ينظم معاملات مالك الأرض مع فلاحيه ، وكان هناك عدد كبير من الأفراد من جلب عليهم انهيار نظام الوحدات الريفية كوارث تامة ، وعندما ــ كما حدث كثيرا ــ اصبح مربحا لمالكي الأراضي خفض عدد مستأجريهم كانوا يطردونهم بأي ذريعة يجدونها ، واصبح العديد من الفلاحين الذين كانوا عاجزين عن احكام قبضتهم على الأرض من البروليتاريا الريفيين ، وفي الوقت نفسه افلس عدد كبير من مالكي الأرض في محاولتهم الاحتفاظ بمستويات من المعيشة تفوق امكانيتهم فغرقوا في صفوف المطرودين.

وفي هذا العالم الجديد عندما ازدهر الرخاء الذي لم يحلم به جنبا الى جنب ليس فقط مع الفقر الكبير بل ايضا مع عدم الأمن الكبير غير المعتاد ، كانت احتياجات الفقراء عالية ومتوالية ، وهي محفوظة في وثائق من انواع مختلفة من ذلك في الأمثال التي الفها الفقراء انفسهم : « الرجل الفقير يعمل دائما ، يقلق ويعمل ويبكي ولايضحك من قلبه ابدا ، في حين يضحك الرجل الغني ويغني ...»

وفي العاب الخوارق التي ربما كانت الوسيلة الرئيسية للتعبير الشعبي عن النفس : « ... يجب ان يكون لكل انسان من الممتلكات بقدر مالغيره ، ليس لدينا شي ندعوه ملكنا الخاص . ان السادة الكبار لديهم كل الممتلكات والناس الفقراء ليس لديهم شيء سوى المعاناة والمحن والحظ العاثر ..»

وايضا في المقطوعات الهجائية المؤثرة التي تقرأ على نطاق واسع : «الحكام ورؤساء الكنائس والشمامشة ورؤساء المدن يعيش الكل تقريبا على السرقة .... الكل يعيش على حساب الفقراء هم جميعا يريدون ان يسلبوهم وهم ينتفون شعرهم (ص ١٠٠) وهم احياء.القوي يسرق الضعيف...» او

ايضا :« اريد ان اخنق النبلاء ورجال اللاهوت ان اخنق كل واحد منهم....يصنع الرجال الصالحون خبز الحنطة لكنهم لن يمضغوه ابدا كلا ان كل مايحصلون عليه هو نخالة القمح ، ومن النبيذ الجيد لايحصلون على شيءسوى التفل ، ومن القماش الجيد لاشي سوى النفاية ، ان كل شيءطيب ، وجيد يذهب الى النبلاء والكهنة ورجال اللاهوت... »

وفي المناسبات كان هذا الاستياء والغيظ الكئيب الكامن يعطى مكانه لمساواة قتالية وفي وقت يعود في قدمة الى ١١٨٠ تحرك نجار في وسط فرنسا ــ وكالمعتاد برؤيا للعذراء ــ ليؤسس جمعية الاخاء التي ستطهر الأرض من وباء جيش المرتزقة المخل الذي تحول الى جماعة منظمة.وفي البداية كان « صليبيو السلام » كما دعوا انفسهم ، جمعية ورعة ، يمكن مقارنتها بجمعيات بناة الكنيسة تضم اناسا من كل الطبقات ، وكانوا مجازين من الاساقفة ، تعهدوا بعدم الشرب أو المغامرة أو السباب . ولكن في الوقت الذي تغلبوا فيه على الفرق المنظمة ، تحول الكابوتياتي الذين سموا كذلك بسبب لباسهم الموحد ذو القلنسوة البيضاء الى حركة ثورية من فقراء الناس أعلنت المساواة بين الناس جميعا ، واصرت على أن الكل على حد سواء مخولين بالحرية التي ورثوها عن أدم وحواء ، وفي النهاية أصبح الكابوتياتي عنيفين وبدأوا بقتل النبلاء حتى تم قمعهم بالقوة المسلحة .

ومع أن الراهب الذي وصف هذه الأحداث ربما يكون قد صرخ من الرعب ومن الجنون المسعور للكابوتياتي ، كان المنادون بالمساواة من قبل هؤلاء دوما سريعين بالاستشهاد بتعاليم الكنيسة نفسها في دفاعهم ، لأنه مهما كانت ممارساتهم دنيوية ، لم تتوقف الكنيسة عن تمجيد الفقر كواحد من القيم العالية واحدى الوسائل الرئيسية لبلوغ القداسة . وبالنسبة للرجال المقدسين المحترفين ، كان يفترض أن فقر الرهبان إلزامي مثل العفة والطاعة وقبل القديس فرانسيس بقرن أمكن لباحث ديني مثل القديس

نوربرت أن يختار أن يهيم في العالم في أسمال بالية ، وبالتأكيد إن مثل هذا التمجيد للفقر يجب أن يتضمن إدانة للغنى ؟ وقد أنكر علماء اللاهوت بالطبع قانونية هذا الاستنتاج وأعاد القديس توماس تأكيد العقيدة التي وضعها الآباء : « عين الناس من قبل الله لأحوال مختلفة في الحياة ، وإن الرجل الغني ، مع أنه يتوجب عليه في الواقع أن يعطي الصدقات بسخاء ، يتوجب عليه أيضا أن يحتفظ بما يكفي ليمكن نفسه وعائلته من العيش بطريقة تتواءم ووضعهم » ولكن هذا لم يمنع الحشود الفقيرة من النظر الى الاغنياء على انهم يستحقون اللعن ومقيتون الى أقصى حد ، أو لم يقل المسيح نفسه للرجل الغني الشاب : « بع ما تملك ووزعه على الفقراء ، ولسوف يكون لك كنز في السماء.... لأنه أسهل على الجمل أن يدخل في سم الخياط من أن يدخل رجل غني في مملكة الرب »؟

الم يتحدث عن دايز الرجل « الذي كان يلبس القرمز والكتان الناعم ويزداد ترفا كل يوم والذي للسبب نفسه طرح في نار جهنم ، في حين يرقد الشحاذ لا زاريس في هدوء في صدر الأب ابراهيم »؟

وحالما أسقط الرجل العلماني الغني دوره الأبوي أصبح موضوعا للاسقاطات نفسها مثل رجال اللاهوت واليهودي ، أي أنه أصبح يرى كأب شرير وابن شرير واكتسب في الوقت نفسه صفة شيطانية ، وهناك مواعظ تصور الأغنياء على أنهم أبناء غير مطيعين للمسيح ، ابناء قساة القلب سيتلقى لا مبالاتهم بمعاناة أبيهم بالتأكيد عقابا اليما ، وفي النحت الروماني الدقيق الذي يزين مدخل كنيسة ـ الرهبان للقديس بيير في مواساتك ، مثلا ، صور الرجل الثري كأب مهمل شرير ، وهنا صورت قصة دايفز ولازاريس كلها بانفعال شديد ، ومن « مشهد المأدبة حيث نبذ لازاريس من قبل البطرك الشرير دايفز نزولا الى النقطة التي يبتهج فيها لازاريس بعناية ابراهيم الأبوية في حين وزن دايفز بكيس ماله ، وعذب من قبل الشياطين(صورة رقم ٥) ولكن المعنى العاطفي العميق الذي

كان لهذه القصة بالنسبة للحشود انتقل بحيوية أكثر بالصور التي في الزاوية اليمنى السفلى ، فهذه الصور ترمز الى الانفعالات الرئيسة لدى دايفز ، أفاريتيا (الجشع) ولوكسوريا (المتعة) ، وتلهفه للكسب للمسرات الدنيوية ، واللغة الرمزية هي لغة الايمان بالشياطين في العصور الوسطى ، ويرمز الى التمزق للكسب بشيطان ذكر ، في حين رمز لحب المتعة بالمرأة والثعابين ـ صورة اصلية كانت تجسيدا بصريا للرغبة الجسدية والشيطان الأرضي ـ ممن اقام في الواقع في ذلك العالم المظلم حيث أقام إبليس ووحش سفر الرؤيا والأفاعي المرافقة لهما ، والعقارب والضفادع .

علاوة على ذلك ففي حواش وشروح لا حصر لها على سفر الرؤ يا صور افاريتيا ولوكسوريا كرموز لخدم المسيح الدجال ، وهكذا نجد بالفعل من وجهة نظر الارثوذكس ، أن دايفز كما صور في مويساك ، هو واحد فقط أبعد عن اليهودي الشيطاني ورجال اللاهوت الشيطاني ، ولكن إذا أمكن للكنيسة في محاولاتها ضمان تحالف الحشود الجديدة أن تتحدث بلغة كهذه ، فما الذي كانته لغة أولئك المهرطقين الذي نشروا تعاليمهم بين النساجين في ورشهم واكواخهم ، أولئك الكهنة المرتدون الذين وجدهم القديس برنارد وقد أثاروا رعبه جالسين وهم ملتحين ، وغير حليقين بجوار الأنوال الى جانب النساجين من الذكور والاناث ؟ فالى هؤلاء الناس كان دايفز ينتمي ، أي ببساطة الى جيش المسيح الدجال . وفي أذهان المتعصبين من المؤمنين بسفر الرؤيا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كان الغني من العلمانيين يمر بالفعل في حالة من التحول ستحوله مع مرور الزمان (ص ١٠٢)الى راسمالي في دعاية القرن العشرين :« إنه الكائن الشيطاني حقا في تخريبه ، وقسوته ، وشهوانيته القوية ، وقدرته على الخداع وفوق كل شيء قوته الكلية تقريبا .

إنه في هذا الاطار يمكن رؤية أخر الحملات الصليبية الشعبية كتجارب اولية لنمط من انماط الألفية التي كانت جديدة على أوربا

العصور الوسطى ، والتـي كانت تـرمي ولو بشـكل مشـوش الى القضاء على الاقوياء ، ورفع الفقراء ، ومع الربع الأول من القـرن الرابع عشر كان الحماس الصليبي اقوى من أي وقـت في احتـكاره للفقراء ، لقد وصلت مملكة القـد س الى نهـايتها واخليت سـورية واستبدلت البابوية الهـالة الصـوفية لرومـا بـأمن افنيون وكانت السلطة السـياسية في كل بلد تنتقـل الى البيروقـراطيين متصـلبي الرؤوس ـ وكانتالجماهير غير المستقرة بين السوم والراين فقـط ما تزال تضطرم بـالتخيلات الأخـروية التـي كانوا ينقلونهـا الآن ممزوجة بوحشية مريرة ، ولم يكن مطلوبا سوى القليل جدا لاقـلاع هؤلاء الناس في محاولة غير واقعية بـالمرة لتحـويل تخيلاتهـم الى حقائق ، ففي ١٣٠٩ أرسـل البـابا كليمنت الخـامس حملة مـن الفرسان الاسبتارية لغزو رودس لتكون حصـنا ضـد التـرك ورأت السنة نفسها مجاعة بالغة الخطورة في بيكاردي والأراضي المنخفضة وعلى طول القسم الأدنى من الراين ، وكان الطـرفان معـا كافيين تماما لاثارة حملة صليبية شعبية أخرى في المنطقة نفسـها ، ومـرة أخرى ظهرت الأرتال المسلحة ، تتـألف مـن الحـرفيين الفقـراء البائسين ، والعمال مع مزيج اضافي من النبلاء الذين بددوا ثرواتهم و(المرء يتذكر العديد من مالكي الأراضي المفلسين) لقـد كان الناس يتسولون وينهبون في طريقهم عبر البلاد ، ويقتلون اليهـود ولكنهـم كانوا أيضا يعصفون بالحصون التي آوى فيها النبلاء هـذه الموارد القيمة للدخل ، وفي النهـاية هـاجموا حصـن دوق أوف بـرابانت وهومعارض صارم لكل الثورات الشعبية وكان قـد هـزم قبـل ذلك بثلاث سنوات فقط جيشا من العصـاة المتمـردين مـن صـانعي الثياب ، ويقال انه دفن قادته أحياء ، وقاد الدوق على الفور جيشا ضد الصليبيين وطردهم بخسائر كبيرة ولكن خلال بضـع سـنوات كانت حشود أخرى تتجمع مرة أخرى.

وكان هذا بـالفعل زمـن الأسى الكبير والشـعور غير السـوي بالأهمية ، وبينما أدى التدني الشامل في انتاج المحـاصيل في ١٣١٥ بالفقراء الى أكل لحوم البشر ، كانت مواكب طـويلة مـن التـائبين

العراة تبكي لله طالبة الرحمة ، ورفرفت الآمـال الألفية عاليا ، وفي وسط المجاعة انتشرت نبوءة تبشر بأن الذين طردهم الجوع ، مـن الفقراء سيقومون في تلك السنة ذاتها بثورة مسـلحة ضـد الأغنياء والأقوياء ويدمرون الكنيسة ، ويطيحون بالملكية الكبيرة ، وبعد كثير من سفك الدماء سيبزغ فجر عصر جديد يتوحد فيه كل الناس تحـت صليب واحد ماجد مرتفع، وليس مدهشا أن اقتـرح في ١٣٢٠ فيليب الخامس ملك فرنسا بفتـور حملة (ص ١٠٣)اخـرى أيضـا الى الأراضي المقدسة ، وقد أخذت الفكرة على الفور من قبـل الحشـود البائسة ، مع انها كانت غير عملية بالمرة ونبـذت حـالا مـن قبـل البابا ، وهذه المرة كان راهب مرتد وكاهن مجـردهما اللذان بـدءا بالوعظ بالحملة الصليبية في شمال فـرنسا،و بتـأثير جيد حتـى أن حركة كبيرة قفزت « بشكل مفاجيء و بدون توقع كدوامة» و لكن هنا ايضا يبدو أن دورا كبيرا قد نفذ من قبل متنبيء أدعى أنه عين مـن قبل الرب كمخلص ، واستمد مؤرخون يهود مـن مصـدر اسـباني مفقود قصة صبي راع أعلن أن حمامة قد ظهرت له ، وتحـولت الى صـورة العـذراء ، وامـرته أن يدعو الى حملة صـليبية ، ووعدت بالنصر لها ، ويذكر هؤلاء المؤرخون ايضا أن قائدا أدعى انه موسوم بعلامة الاختيار الالهي. وهي الصليب بين لوحي الكتف.

وكمـا في ١٢٥١ كان أول المسـتجيبين هـم رعاة الأغنام والخنازير ، وكان بعضهم مـجرد أطفـال وهـكذا اصـبحت هـذه الحركة أيضا تعرف بحملة الصليبيين الرعاة ، ولكن مـرة اخـرى. بينما كانت الأرتال تمر عبر المدن انضمت اليها عناصر اخـرى مـن المتسولين ذكورا واناثـا. والخـارجين على القـانون وقـطاع الطرق ، واصبح الجيش الناتج بسرعة مشاغبا عنيفا ، وقبـل مضي زمن طويل اعتقل عدد كبير من الرعاة وسـجنوا ، ولكن البقية كانوا مدعومين جماهيريا وبحماس ، وكانوا يعصفون بالسجن ويحررون رفاقهم ، وعندما وصلوا الى بـاريس ارهبـت هـذه الحشـود المدينة ، واقتحموا القصور ، وانقضوا على الكنائس ، وفي النهاية وبفعل شائعة أن قوات مسلحة قد أستدعيت للعمل ضدهم ، شـكلوا

انفسهم في وضع قتالي في حقول القديس جرمان دي بريه ، وعندما لم يتحقق وجود قوة لمعارضتهم تركوا العاصمة وساروا جنوبا حتى دخلوا الأراضي الانكليزية في الجنوب الغربي وكان اليهود قد طردوا من المملكة الفرنسية في ١٣٠٦ ، ولكنهم كانوا ما يزالون موجودين هنا ، وبينما كان الرعاة يزحفون كانوا يقتلون اليهود وينهبون ممتلكاتهم وارسل الملك الفرنسي أوامره بحماية اليهود ، ولكن الشعب اقتناعا منه أن المذبحة عمل مقدس ، فعل كل شيء لمساعدة الصليبيين وعندما اعتقل الحاكم والرسميون المدنيون في طولوز عددا كبيرا من الرعاة عصف أهل المدينة بالسجن ، واعقب ذلك مذبحة كبيرة لليهود وفي البي اقفل الحكام البوابات ، ولكن الصليبيين اقتحموها وهم يصيحون بأنهم جاءوا لقتل اليهود ، وحيتهم الجماهير بحماس وحشي ، وفي مدن أخرى انضم أصحاب السلطة انفسهم الى اهالي المدن والى الصليبيين في بوردو ، وفي كل انحاء جنوب غرب فرنسا من بوردو في الغرب الى البي في الشرق ، قتل كل يهودي تقريبا (ص ١٠٤) .

وتدريجيا بدا الرعاة يحولون اهتمامهم الى رجال اللاهوت ، وكرعاة للرب بدوا في مهاجمة الكهنة على انهم« رعاة زائفون سرقوا قطعانهم » وقيل انهم كانوا يخططون لمصادرة كل الممتلكات الخاصة برجال اللاهوت غير الرهباني او العائدة للاديرة ، وحاول ضابط ملكي ، وكيل الأمير في كاركاسون ، أن يشكل قوة لمقاومتهم ، ولكنه وجد صعوبة كبيرة في ذلك ، إذ رفض الناس العاديون في كل مكان تقديم المساعدة ، وفي مقر إقامة البابا في أفنيون كان هناك استنفار كبير ، حيث أن الأديرة البابوية كانت تتوقع أن يحمل الصليبيون على المدينة وخشوا من النتائج ، وفي النهاية حرم البابا جون الثاني والعشرين الرعاة ودعا وكيل امير بوكير ليباشر القتال ضدهم ، وثبتت فعالية هذه الأجراءات ، ومنع الناس تحت طائلة الموت ، أن يقدموا الطعام لمن يريد ان يكون صليبيا ، وقتل العديد في المعركة في نقاط مختلفة بين طولوزونربونة ، او أسروا وعلقوا في الأشجار بالعشرين والثلاثين ، واستمرت

عمليات الملاحقة والاعدام نحو ثلاثة شهور ، وتمـزق الناجـون الى جماعات صغيرة وعبروا البيرينيه لقتل مزيد من اليهود الأمـر الذي فعلوه الى أن قاد ابن ملك أراغون قوة ضدهم وشتتهم ، وأكثر مـن اي حملة صليبية سالفة كان الشعور أن هذه الحملة استمرت تهـدد البنية القـائمة للمجتمـع ، فلقـد نشر الرعاة في ١٣٢٠ الرعب في قلوب الأغنياء جميعا مع المتمتعين بالمزايا.

وبعد هذه النقطة يصبح من الصـعب بـدرجة متـزايدة تعقـب العملية ، وفي تلك المنطقة الشمالية بين السـوم والراين فيمـا يتعلق بالأسطورة الاجتماعية التـي كانت بصـورة أو بـأخرى تثير خيال الجماهير لأكثر من قرنين إن الحرب بين الكبير والصغير التـي ندر ان توقفت في البلاد المنخفضة منذ ايام برتراندراي ، أصـبحت الآن اكثر عنفا وقسوة ، ففي ١٣٢٥ رفض فلاحو السواحل في فلاندرز بدعم من عمال النسيج في بـروغ دفـع العشـور والمكوس ، وحملوا السلاح ضد ملاك الأراضي من رجال الأكليروس والعـامة ، وكانت النتيجة حربا اهلية ضارية دامت حتى ١٣٢٨ ، عندما تـدخل ملك فرنسا وهزم الثوار في مونت كاسل.ومن ١٣٢٠ الى ١٣٨٠ ثـار النسـاجون في المراكز الكبيرة الثـلاثة لصـناعة القمـاش : غنت ، وبروغ ، وبيرس مرات ومرات في عمليات تمرد دموية انتهت بقمع دموي ، واخيرا في ١٣٧٩ استولى النسـاجون في غنت على السلطة ومن مدينتهم نجحوا في الهيمنة على كل فلاندرز وفي الاطاحة بحكم الكونت الفرنسي ، وخـلال هـاتين السـنتين نفسـها (١٣٨١ ـ ١٣٨٢) كان الشمال الفرنسي الباريسي : مدن بيكاردي ونورماندي ، وكل مأوى قديم للرعاة ـ يشهد سلسلة من الثـورات الشعبية التي اثارتها الضرائب الباهظة ، وكان الهدف الأول لهؤلاء الناس دائما مـكاتب ضـامني*الضرائب* (ص ١٠٥) حيث دمـروا الملفات ، ونهبوا الخزائن وقتلوا ضامني الضرائب ، وكانت المرحلة التالية ، حي اليهود ، حيث قتلوا ايضا ونهبوا كل ما يملكونه ، وفي روان مضوا الى حد انتخاب ملك لهم عرضـوه في احتفـال بفـرحة النصر ، وبأوامره لم يقتلوا فقط جامعي الضرائب بل ايضـا بعض

الاهالي من ذوي اليسار ، وفي باريس وروان على حد سواء كان العصاة يستلهمون مثال غنت و« ولتعش غنت » كان شعارهم ، وفي كلتا المدينتين سحقت الثورتان من قبل الملك وجيشه من النبلاء عند عودتهم من انتصاراتهم على النساجين الفلمنكيين ولكن الفقراء من المدينة والريف توحدوا في فرق خربت الأراضي.

و على الأغلب كان لهذه الحركات أهداف محدودة و عملية و الذي كانت تريده هذه الثورات هو المزيد من المال ومن الاستقلال ، الم يكن هناك بعد بعض بقايا التيارات السفلية من الحماس الالفي يسري خلالها ؟ وهذا لا يمكن اثباته مع انه جدير بالملاحظة أن هنري بيرين الذي كان بشكل رئيس مؤهلا للحكم ، اعتقد ذلك ، وماهو مؤكد هو أنه في قمة الحرب الطبقيةوفي يبرس في ١٣٧٧ مثلا ـ لم يشنق عمال النسيج فقط كثوار بل انهم حكموا من قبل محاكم التفتيش واحرقوا كمهرطقين ، ومن جانب اخر ، كان بعض رجال اللاهوت المنشقين يعظون بالفية من نوع ثوري ومساواتي بشكل ملحوظ ، وكان واحد من هؤلاء الرجال فرنسيسكاني يدعى جون روكوتياد الذي أمضى السنوات العشرين الأخيرة من حياته في سجون اكليروسية وتحت تهديد مستمر بالحرق بسبب افكاره ، ترك كتاباته التنبوئية ذات الأهمية الكبيرة ، وفي ١٣٥٦ ، عام الهزيمة الفاجعة في بواتيه عندما كانت سرايا حرة تنهب مناطق الريف حيث كان هذا الانفجار الكبير للغضب الفلاحي ، كان الجاكويري قريبا وقد أخرج كتيب « حول هذه المحن »

وهذا الكتاب المشهور ، الذي ترجم الى الانكليزية ، والكتالانية ، والتشيكية يظهر بوضوح شديد كيف أن التقاليد القديمة للايمان بالاخرويات قد تكيفت الآن لتصبح أداة نقل للتطرف.

وقد ميز أسر الملك في بواتيه كما اكد روكوتيلاد ـ بداية زمن مفجع لفرنسا ، عندما انهارت المملكة بهزيمتها في الحرب ، وكان في

الحقيقية زمـــن المتـــاعب للنصرانية كلهـــا ، إذ أنه بين ١٣٦٠ ـ ١٣٦٥ ارتفعـت ارادة الطبقـات الدنيا في مـــواجهة العليا ، وفي تلك السنوات أتيح للعدالة الشعبية النهوض ومـن ثـم تمزيق الطغاة والنبلاءوتقطيعهم بسيف صقل حده مرتان.

وجرد كثير من الأمراء والنبلاء وأصحاب السـلطة مـن هيبتهـم وخيلاء ثـــرائهم ، وكان هناك محـــن لا تصـــدق بين النبـــلاء والعظماء ، ونهب كبار القوم وهـم الذين كانوا بسـلبهم يفـرضون المعاناة على الناس ، وكان الانسان الذي يمـكنه أن يجـد خـادما مخلصا أو رفيقا في تلك الأيام يعتبر نفسه محظوظا حقا ، ثم ستبيد الفيضانات والأوبئة القسم الأعظم من البشرية وستمحو الخـاطئين المعنين ، وستمهد الطريق لتجديد الأرض وسيظهر مسـيح دجـال غربي في روما ، في حين سيذشر آخـر شرقـي تعـاليمه الزائفـة في القدس ، وسيجد الأخير اتباعه بين اليهـود ، الذين سـيضطهدون المسيحيين ، ويدمرون الكنائس والمذابح ، وسينهب العرب والتتار ايطاليا واسبانيا وهنغاريا وبولونيا واجزاء من المانيا ، وسـيجتمع الحكام والشـعوب وقـد اغضـبهم التـرف والغنى والخيلاء لدى الاكليروس . ليجردوا الكنيسة مـن ممتلكاتهـا ، وسـيكون الفقـر والذبح عقوبة الاكليروس لاسيما الفرنسيسكان ، ولكن فيمـا بعـد سترتفع الكنيسة ، ولاسيما الفرنسيسكان وقد طهرتها المعـاناة ، والعيش في الفقر المطلق كالمسيح والرسـل كمـا يعتقـد ، الى حياة جديدة وتبسط نفوذها على العـالم ، وفي ١٣٦٧ سـينتهي زمـن المتاعب ، وسيصبح مصلح عظيم بابا ، وفي الوقت نفسـه سـينتخب ملك فرنسا خـلافـا لكل عادة امبـراطورا رومـانيا والبـابا والملك والامبراطور بعملها معا سيطردان العـرب والتتـار مـــن اوربـــا وسيحولان كل المسـلمين ، واليهـود ، والتتـار الى المسـيحية ، وسيعيدان الاغريق المنشقين الى كنيسـة رومـا ، وسـيمحوان كل هرطقة من على وجه الارض وسيصبح ملك فرنسا فـاتحـا وحـاكم العالم كله في الغرب والشرق والجنوب ، وستكون مملكته هي الاكثر جدارة بالفخر اكثر من كل ما عرفه العالم ، لانها ستضم كل الممالك

التي ظهرت في اسيا وافريقيا واوربا على الاطلاق ، ومع ذلك ان حفيد شارلمان هذا الدائم الانتصار ، سيكون ،، « الزوج الاشد فقرا ، للكنيسة المسكونية » والملك الاقدس منذ بداية الزمان ، ومع ان كلا من البابا والامبراطور يجب ان يموتا خلال عقد من الزمان إن حكم السلام الذي سيقيمانه سيبقى الف عام ، حتى النهاية .

واستمررت نبوءات « شارلمان الثاني » ، الذي سيصبح الامبراطور وفاتح العالم ،والذي سيقوم بالرحلة الاخيرة الى الضريح المقدس ، في الظهور في فرنسا خلال القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ، ولكن تلك النبوءات الاخيرة كان لها النوعية نفسها من الدعاية السياسية التي انتجت لخدمة غايات الاسر الحاكمة ، ولاشيء من نوعية الاساطير الثورية ، وتحول مركز الاثارة في الايمان با لاخرويات في الواقع بعيدا عن فرنسا ، والاراضي المنخفضة ، وكلما ازداد الصراع ضد الغزاة الانكليز ياسا كلما ازداد اخلاص الشعب الفرنسي وصار اكثر تركيزا على الملك الفعلي ، كرمز للارادة الوطنية للنجاة والاستقلال الى ان تمكنت القديسة جان فقط من شغل المكان الذي احتله يوما ما المتنبىء الالفي وفرنسا التي ظهرت من الجهود العظيمة (ص ١٠٧) لاعادة البناء التي تلت حرب المائة عام ، كانت ملكية مركزية الى نقطة الحكم المطلقة ، يتحكم فيها جيش ملكي ، وخدمة مدنية ، وعلاوة على ذلك ارض فقدت فيها المدن كل ذرة من الاستقلال الاداري ، وفي مثل هذه الحالة كان هناك منفذ صغير للحركات الشعبية من اي نوع ، ولكن فوق كل شيء لم يعد تركز فائض السكان الذي وجد لزمان طويل في المنطقة بين السوم والراين موجودا ، ولم تعد بيكاردي ، وفلاندرز أوهنيوت وبرابانت تشكل المناطق الاكثر كثافة سكانية وتصنيعا في شمال اوربا ، وبنهاية القرن الرابع عشر قلص عدد من العوامل ـ حرب الطبقات ، الحرب العالمية ، الهجرة ، العجز في الصوف الانكليزي ، المنافسة المتزايدة من المدن الايطالية ـ صناعة النسيج الى حد الخراب وهبط تعداد السكان بحدة .

وكانت حـالة المانيا مختلفـة ، فهناك كانت السـلطة الملكية في انحدار منذ بداية القرن الثالث عشر ، وكانت الامة تتحلل الى خليط مشوش من الامارات التافهة ، وفي الوقت نفسه مع توسع الصـناعة والتجارة وتزايد السكان ، اصبحت المانيا مسرحا لسلسلة جديدة من الحركات المسائحية

الفصل السادس

الامبراطور فردريك كمسيح منتظر

نبوءة يواكيم وفردريك الثاني

في غضون القرن الثالث عشر ظهر نوع اخر من الايمان بالأخرويات (ص ١٠٨) إلى جانب الأمور الأخروية الأخرى المستمدة من سفر الرؤيا والسبليذيين اصحاب الهواتف من السماء ، معهم في البداية ، ولكن سرعان ما اختلطت كلها ،و كان مخترع النظام التنبوئي الجديد ، الذي قدر له ان يكون في اوربا الاكثر نفوذا حتى ظهور الماركسية ، هو يواكيم فيور (١١٤٥ ـ ١٢٠٢) وبعد سنوات عديدة امضاها في احتضان واطالة للتفكير في الكتابات المقدسة ، تلقى هذا الناسك الذي كان راعي دير كالابريان ، في وقت مابين ١١٩٠ و ١١٩٥ ،الهاما بدا انه يكشف فيه معنى خفيا ذا قيمة تنبؤية فريدة .

وكانت فكرة ان تضم الكتابات المقدسة معنى خفيا بعيدة عن ان تكون جديدة ، فلقد كانت طرق التفسير دائما تعطي مجالا واسعا للتأويلات المجازية ، وما كان جديدا هو فكرة ان هذه الطرق لايمكن تطبيقها ببساطة على الاغراض الخلقية والعقائدية فحسب بل كوسيلة لفهم تطور التاريخ والتنبؤ به ، وكان يواكيم مقتنعا انه قد وجد مفتاحا ، اذا ما طبقه على احداث وشخصيات العهدين القديم والجديد ، بشكل خاص على سفر الرؤيا مكنه من ان يلاحظ في التاريخ نمطا ومعنى ، وان يتنبأ بمراحله المستقبلية بالتفصيل ، لانه في تأويله للكتابات المقدسة طور تفسيرا للتاريخ على انه ارتقاء مر خلال ثلاث مراحل متتابعة راس كل منها احد اشخاص الثالوث

الاقـــدس ، وكان العصر الاول عصر الاب او القـــانون ، والعصر الثاني كان عصر الابـن او الانجيل والبشـارة ، وسـيكون العصر الثالث عصر الروح ، وسيكون هذا لسـلفيه مثـل ضـوء النهـار العريض مقارن مع ضوء النجوم والقمر ، وكأوج الصـيف مقـارنا بالشتاء والربيع ، فاذا كان الاول عصر خوف وعبـودية ، والثـاني عصر ايمان وخضوع نبوي فان العصر الثالث سـيكون عصر حـب وسرور وحرية ، عندما تـكشف معـرفة الرب مبـاشرة في قلوب كل الناس وسيكون عصر الروح هو السـبت او وقـت الراحـة للجنس البشري ، ثم يصبح العالم(ص ١٠٩)ديرا كبيرا واحدا سيكون كل الناس فيه رهبانا متاملين منتشين في تواجد صـوفي ، ومتحـدين في التغني بمدح الرب ، وهذه الترجمة الجديدة لملكة القديسين ستبقى حتى الحساب الاخير ، ولم يكن يواكيم غير اصـولي عن وعي ، ولم يكن لديه رغبة في هدم الكنيسة ، وكان بتشجيع ما لايقـل عن ثـلاثة بابوات قد كتب الالهـام الذي وهـب له ، ومـع ذلك كان في فـكره تلميحات محتملة الخطورة على بنية الديانة الارثوذكسية في العصور الوسطى ، وفكرته عن العصر الثالث لم يكن بالامكان توفيقها حقيقة مع الفكرة الاوغسطينية ، بان مملكة الرب قد تحققت وبقدر ما امكن تحقيقه على الاطلاق على هذه الارض في اللحظة التي ظهـرت فيهـا الكنيسة ، وانه لن يكون هناك ابدا اي الفية سوى هـذه ، وايا كان مقدار وعي يواكيم بتعاليم الكنيسة . وادعاءاتها واهتماماتها ، إنه في الواقع قد اقترح نمطا جديدا للالفية ، لابل كان اكثر مـن ذلك كان نمطا ستحكم الاجيال التالية صنعته اولا كنمط مضاد للكهـانة ثـم فيما بعد بمعنى علماني صريح .

ويمكن على المدى البعيد تعقب التاثير غير المباشر لتأملات يواكيم الى ايامنا الراهنة ، وبشـكل اكثـر وضـوحا في « فلسـفات معينة للتاريخ ، لاتوافق الكنيسة عليها بصوررة مؤكدة ، ومع ان تصورات يواكيم قد تكون مرعبة ، وقد تـكون ايضـا تصـورات خيالية مـن الصعب تصور وقوعها ، لامجال للخطا انها حول العصـور الثـلاثة عادت للظهور على سبيل المثال في نظريات التطور التـاريخي التـي

فسرها فلاسفة مذهب المثالية الألمان : لسنغ ، وشلنغ وفيخت ، والى حد ما هيغل ، وفي فكرة اوغست كومت عن التاريخ انه ارتقاء من الدين عبر ماوراء الطبيعة الى المرحلة العلمية ، ومرة اخرى في الماركسية الجدلية حول المراحل الثلاثة :الشيوعية البدائية ، ومجتمع الطبقة ، والشيوعية النهائية التي ستصبح عالم الحرية الذي ستضمحل فيه الدولة ، وليس اقل صحة ـ حتى لو كان اكثر تناقضا ـ ان عبارة « الرايخ الثالث » التي ابتكرت للمرة لاولى في ١٩٢٣ من قبل خبير القانون الدولي مولرفان دين بروك وتم تبنيها فيما بعد كاسم « للنظام الجديد » الذي كان يفترض فيه ان يستمر الف سنة لم يكن له سوى دلالة عاطفية صغيرة ، اذا كان تخيل شريعة ثالثة اكثر تألقا لم يدخل على مر القرون في الاصل المشترك للاساطير الاجتماعية الاوربية .

وما اثر في شعوب القرن الثالث عشر فوق كل شيء كان رواية يواكيم عن كيف ومتى كان على العالم ان يمر بالتحولات النهائية ، وفي فكرة يواكيم عن التاريخ ان كل عصر ينبغي ان تتقدمه فترة حضانة ، وحضانة العصر الاول ، استمرت من أدم الى ابراهيم ، وحضانة الثاني من حجي الى المسيح ، وبالنسبة للعصر الثالث فان حضانته قد بدات مع القديس بندكت وقاربت نهايتها في الوقت الذي الف فيه يواكيم اعماله ، وطبقا للقديس متى هناك اثنان واربعين جيلا بين(ص ١١٠)ابراهيم والمسيح ، وكما كان العهد القديم نموذجا للاحداث التالية كلها فان الفترة بين مولد المسيح وتحقيق العصر الثالث يجب ان تستمر ايضا اثنان واربعين جيلا ، وباعتبار ان الجيل ثلاثين عاما فان يواكيم كان قادرا على وضع اوج التاريخ البشري بين السنوات ١٢٠٠ ـ ١٢٦٠ ،وفي هذه الاثناء على اي حال ان الطريق يجب ان يقوم ، وان هذا يجب ان يتحقق من مثل نظام جديد من الرهبان الذين سيعطون بالبشارة الجديدة في كل انحاء العالم ، ومن بينهم سيخرج اثني عشر بطريركا سيقومون بتحويل اليهود الى المسيحية،وا ستاذ واحد اعلى سيقود كل الجنس البشري بعيدا عن حب الاشياء الارضية الى حب الاشياء الروحية ،

وخلال السنوات الثلاثة والنصف التي تتقدم مباشرة تحقيق حكم الشريعة الالهية (العصر الثالث) سيكون حكم المسيح الدجال ، سيكون ملكا دنيويا يعاقب الكنيسة الدنيوية الفاسدة حتى انها في صورتها الحالية ستخرب تماما ، وبعد القضاء على هذا الدجال سياتي عصر الروح في صورته الكاملة .

كيف كان هذا المذهب متفجرا عندما انتحل من قبل الجناح الصارم لرتبة الفرنسيسكان وتصور يواكيم لرتبة رهبانية غير دنيوية بالمرة قد اصبحت قريبة جدا من التحقيق في الجمعية الدينية التي في بضع سنوات من موت المتنبيء ، بدأت تتشكل حول جمعية اسيس Assisi فيما بعد عندما تطورت الجمعية الى تنظيم كهنوي كبير توجب حدوث تنازلات استجابة لمطالب حقائق كل يوم ، وتغلغل التنظيم في الجامعات وبحث عن النفوذ ومارسه واحرز صفات مميزة ، ولكن كثيرا من الفرنسيسكان رفضوا هذه التجديدات وتعلقوا بالمفهوم القديم عن الفقر المطلق ، وشكل هؤلاء الرجال ـ الفرنسيسكان الروحانيون ـ حزب اقلية ،في البداية ضمن التنظيم وفيما بعد خارجه ، وبحلول منتصف القرن اخرجوا الى النور نبوءات يواكيم (التي اجتذبت قليلا من الانتباه حتى الآن) وكانوا ايضا يلفقون نبوءات نسبوها بدون نجاح الى يواكيم ، وكان لها تاثير يفوق كتابات يواكيم ، وشهرة اوسع ، وفي تلك الكتابات كيف الروحانيون الاخرويات اليواكيمية بطريقة جعلتهم هم انفسهم يعتبرون الرهبنة الجديدة الرهبنة التي حلت محل كنيسة روما ، والتي عليها ان تقود البشرية الى امجاد عصر الروح ، ويكمن تعقب النبوءات اليواكمية الكاذبة في جنوب اوربا وراء مجال الدراسة الراهنة ، ويحتاج الامر الى مجلد اخر لوصف كيف انه على حواشي الحزب الروحي ، ما تزال الجمعيات المتطرفة تنبثق ، حتى انه حول شخصيات مثل فراد ولسينو ، و رينزو ازدهرت الفيه بالثورة نفسها و بالروح القتالية مثل أي من تلك التي (ص ١١١)وجدت في الشمال و لكن مع انها الفت في ايطاليا اثرت نبوءات اليواكمية – الكاذبة في التطورات في المانيا ايضا ،

وبفضلها ، اصبح الى حد كبير دور عقوبة الكنيسة في الأيام الأخيرة معينا في الخيال الشعبي للامبراطور فردريك الثاني .

وبالفعل كان فردريك في بداية حياته في السلطة وقبل ان يبدأ اليواكميون بزمان طويل في شغل انفسهم به ، هدفا لتوقعات اخروية ، وكل ما توقعه الفرنسيون من الكابتيان ، توقعه الالمان منه ، وما ان توفي فردريك الأول (بربروسا) في الحملة الصليبية الثالثة في ١١٩٠ حتى بدات تظهر في المانيا نبوءات تتحدث عن فردريك مقبل سيتم كامبراطور للايام الاخيرة العمل غير المكتمل ، وهو مخلص اخروي سيمهد الطريق ، بتحرير الضريح المقدس ، للمجيء الثاني والالفية ، وعندما منح التاج الامبراطوري بعد ذلك بثلاثين عاما لفريدريك الثاني الذي كان حفيدا لبربروسا كانت هذه النبوءات تطبق بثقة عليه ، وهكذا ربطت للمرة الاولى صورة امبراطور الايام الاخيرة بالحاكم الفعلي للمجموعة الارضية ، المتمركزة في المانيا ، ولكنها تضم ايضا بير غنديا ، ومعظم ايطاليا ، التي اصبحت تعرف في الغرب باسم الامبراطورية الرومانية(وفيما بعد باسم الامبراطورية الرومانية المقدسة) .

ولقد كان الكثير في حياة فردويك وشخصيته مما يرعى ويشجع نمو الاسطورة المسائحية ، لقد كان الشخصية الاكثر تألقا ، والتي كان ذكاؤها وتقلبها وفسقها وقسوتها مجتمعة تبهر معاصريها ، وعلاوة على ذلك كان في الحقيقة قد خرج في حملة صليبية في ١٢٢٩ وكان قادرا حتى على استعادة القدس وعلى ان يتوج نفسه ملكا على المدينة ، وفوق ذلك تورط مرارا في صراعات ذات مرارة استثنائية مع البابوية ، وقد عولجت النصرانية حسب وجهة نظر الامبراطور ، الذي حرم مرات عديدة كمهر طق وحانث بالقسم ومجدف ، وقد هدد بالمقابل بان يجرد الكنيسة من تلك الثروة التي اعلن انها مصادر مفادها ، وكل ذلك ساعد على جعله موائما لدور من سيعاقب رجال اللاهوت في الايام الاخيرة ، وتتنبأ الحواشي اليواكمية الزائفة على ارميا التي كتبت في ١٢٤٠ ، تتنبأ في الواقع بان فردريك سوف

يضطهد الكنيسة وينكل بها والى حد انهـا في عام ١٢٦٥ ستنهار تماما ، وبالنسبة للروحانيين الايطاليين كان هذا العقاب للكهنة مع انه حق ومقدمة لازمة للعصر الثالث ، مـا يزال عمـلا شيطانيا ، وبالنسبة لهم كان الامبـراطور وحش سفر الرؤيا والامبـراطورية الرومانية المقدسة هي بابل ، وكلاهما من وسائل الشيطان وهمـا نفسيهما قد قدر لهما ان يبادا بدورهما،ولكن كان مـن الممكن ان يرى الخصم الامبراطوري للبابوية في ضوء اخر ، ففي المانيا استمر اعتبـار فـريدريك مخلصـا (ص ١١٢) ولكنه مخلص دوره الان يشمل معاقبة الكنيسة ، هو شخصية اندمج فيهـا امبـراطور الايام الاخيرة بالملك الجديد في النبوءة اليواكمية .

وفي محاولة لاعادة فردريك للطاعة وضـع الكرسي المقـدس المانيا كلها تحت الحـرمان الامـر الذي كان يعني ان الطقـوس والاسرار المقدسة اللازمة لم يعد بـالامكان تقـديمها او تـطبيقها ، وطبقـا للمعتقدات السارية انذاك كان كل من يموت في ذلك الوقت لامفر مـن لعنه ، وبحلول ١٢٤٨ ، زار دوقية سوابيا الكثيفة السكان والتابعة لمقاطعات الامبراطورية ، والوفية في تأييدها بشكل خـاص لال هـوهنستوفن وعاظ متجولون ، كانوا يعلنون على الناس ان الاكليروس غارقون في الخطيئة حتى انهم قـد فقـدوا سـلطة اعطـاء الاسرار المقدسة الصالحة ، اما بالنسبة للبابا انوسنت الرابع فـان حياتـه كانت من الشر لدرجة ان اي حرمان صـدر عنه لايمـكن ان يكون له ادنى وزن،وان الحقيقة محفـوظة لدى الوعاظ المتجـولين انفسـهم وانهم وحدهم المفوضون من قبل الرب بالغفران من الخـطايا ، وان البابا و الأساقفة مهر طقين بكل معنى الكلمة ويجب تجاهلهم ، ومن جانب اخر فانه يجب على الناس ان يصلوا مـن اجـل الامبـراطور فردريك وابنه كونراد لأن هذين كانا صالحين وكاملين حقا ، وبينما كانت هذه الدعاية تنشر في مدينة الهال ، قام الحـرفيون بثـورة ولم يطردوا فقط الاكليروس بل ايضا كثيرا من النبلاء الاثرياء ، ولهـذه الواقعة بعض الاهمية ، لانه من المؤكد ان الخيال الشعبي الذي قـد حول منذ فتـرة ليسـت بعيدة ، في فـلاندرز بلدوين امبـراطور

القسطنطينية الى مخلص للفقراء ، كان الان ، وإن يكن بصورة غير موائمة يفعل الشيء نفسه للامبراطور فردريك ويعبر عن هـذا الخيال بوضوح بيان يواكيمي صدر في سوابيا في هذا الوقت بالذات عن الاخ ارنولد،وهو منشق دومينيكاني . ومثل النبوءات اليواكمية في ايطاليا تطلع هذا العمل الى سنة ١٢٦٠ , على انها السـنة الرؤوية التـي سترى تحقيق العصر الثالث ، ولكن قبـل ذلك سـيناشد الاخ ارنولد المسيح باسم الفقراء محـاسبة البـابا وكهنوتـه ، وسـيستجيب المسيح ، وسيظهر على الارض ليعلن حكمه ، وسيقف البابا مكشوفا كمسيح دجال والكهنة كاطراف للدجال ، وسيدينهم المسيح ، تمـاما ليس فقط بسبب عدم اخلاقياتهم ودينويتهـم واسـاءة اسـتعمالهم للحرمان – بل ايضا – وبشكل رئيسي لاسـتغلالهم واضـطهادهم للفقراء ، ومن خلال ارنولد وجمـاعته سـتجد ارادة الرب التعبير ، وان مهمتهم هي تنفيذ هذه الارادة بحرمان كنيسة روما من سلطاتها وان يتولوا هم هذه السلطة ، كرجال مقدسين يعيشون ويستمرون في العيش في فقر مطلق . اما بالنسبة للثروة العظيمة للكنيسة ، فـانها ستصادر وتـوزع على الفقـراء ، والذين هـم في عين ارنولد عينوا انفسهم (مدافعين عن الفقراء) هم فقط المسـيحيون الحقيقيون ، وهذه الثورة الاجتماعية الكبيرة سـتنفذ تحـت رعاية الامبـراطور فردريك الذي طبقا لارنولد كان لديه بالفعل برنامج مـوضوع امـامه ووعد بالتأييد . (ص ١١٣)

ان الراديكالية الاجتمـاعية لهـذه التخيلات مختلفـة تمـاما عن الروحانية المخلخلة لنبوءات يواكيم الخـاصة التـي اغرت الفقـراء بقوة ، وربما اثارت حركة ثورية واسعة الانتشـار ولكن مـن اجـل حقيقة انه في عام ١٢٥٠ توفي فردريك فجاة ، قبل عقد مـن الوقـت الذي كان يفترض فيه ان يقوم بالدور الآخروي ، كانت وفاته ضربة مفجعة لكل مـن اليواكميين الالمان الذين حـرموا مـن مخلصـهم واليواكميين الايطاليين . الذين حرموا من مسيحهم الدجال ، ولكن سرعان ما اشيع ان الامبراطور مايزال حيا ، وانه قذف الى ما وراء البحار من قبل البابا او ربما بناء على نصـيحة المنجمين . وذهـب

طواعية ، او ربما كان يقوم بتنفيذ كفارة طويلة كحاج او ناسك ، ولكن كانت هناك ايضا نظريات سارية من نوع خارق للطبيعة ،ففي جنوب ايطاليا وصقلية ، حيث امضى فردرريك معظم حياته سمعت عبارة موجزة سبلينية رمزية ، (حيا ليس حيا)، ورأى راهب الامبراطور يدخل في احشاء اتنا في حين نزل جيش محموم من الفرسان في البحر الصاخب ، واذا كان هذا بالنسبة للراهب معناه ان فردريك قد مضى الى الجحيم وضع كثير من الصقليين تركيبة اخرى للامر ، فاتنا منذ زمان طويل كانت تعتبر مقر الابطال الراحلين ، بما فيهم الملك ارثر نفسه ، وعندما اخذ فردريك مكانه بين هؤلاء اصبح امبراطورا نائما ، ولسوف يعود يوما كمخلص ، وعندما وصلت الفترة الحرجة عاد في الواقع الى الظهور ، فلمدة عامين بعد ١٢٦٠ استطاع دجال كان يسكن على منحدرات اتنا ان يجتذب عددا كبيرا من الاتباع ، وصحيح ان خيال فردريك المبعوث فقد بسرعة جاذبيته في صقلية ولكن بقي ساحرا للالمان جيلا بعد جيل ، تماما مثلما سحر خيال شارلمان المبعوث للفرنسيين .

بعث فردريك :

وبعد وفاته باربعة وثلاثين سنة مر فردريك الثاني بعملية بعث شبيهة جدا بتلك التي حدثت مرة بالنسبة لبلدوين ، كونت ، فلاندرز ، ويروي احد المؤرخين تحت عنوان عام ١٢٨٤ ان احد النساك قرب ورمز كان يدعي انه الامبراطور ، وفي نحو هذا الوقت تحدث اخر عن شخصية مماثلة تم اصطحابها الى لوبك وسط حماس شعبي عظيم ، وفي كلتا الحالتين اختفى فردريك الزائف حالما بدا احتمال كشفه ، كان هو الرجل نفسه (ص ١١٤) الذي نجح في عام ١٢٨٤ في ترسيخ وضعه في حال ملكي في وادي الراين.

ربما لا لأن الاخير بدا انه ليس بدجال بقدر ما هو مريض بجنون العظمة ، اعتقد حقا انه فردريك ، وبطرده من كولون على انه مجنون استقبل استقبالا رائعا في مدينة نيوس المجاورة التي حدث انها كانت في حالة نزاع مع رئيس اساقفة كولون ، وهناك اقام بلاطا ،

ومثلما فعل برتداند اوف راي تماما ، وصف هذا الرجل كيف امضى سنوات طويلة كحاج ، ينفذ كفارة عن ذنوب حياته السالفة ، مع انه كان احيانا يستثمر الاساطير التي تجمعت حول فـردريك المتـوفى ، وادعى انه كان يسكن في اعماق الارض ، وقد انتشرت اخبار مجيئه خارج الوطن ، وأحدثت في ايطاليا ضجة لدرجة ان مدننا عدة ارسـلت سفراء الى نيوس للاطلاع على الامر ، في حين قفـز اليواكميون الى النتيجة ، إنه اخيرا وبعد طول انتظار كان فردريك حقا يتـولى دوره الكامل كمسيح دجال .

وكانت الظروف في المانيا مواتية لمثل هـذا البعـث ، ومنذ بـداية القرن كانت الحكومة المركزية قد اخذت تضعف وكانت المملكة تتفكك الى خليط مشوش من الامارات نصف المستقلة ، وهـي عملية كانت بالضبط عكس تلك التي كانت تجري في فرنسا ، ومع ان فردريك لم يفعل شيئا لوقف هذا التحلل ، وكان دائما اكثر اهتمـاما بـايطاليا وصقلية منه بالمانيا،كانت شخصيته القوية النابضة بالحياة مـع ذلك توفر له نواة للولاء الالماني ، واعقب وفاته فترة انقطاع ، مـدة جيل لم يكن فيهـا اي ملك قـادرا على الحصـول على اعتـراف عام في المانيا ، ومرت البلاد في هياج شبيه بمـا عانتـه فـرنسا قبـل ذلك بقرنين ، مع حزازات وحروب خاصة كانت محتدمة في كل الجـوانب واستمرت هذه الحالة المثيرة للقلق حتى بعد رودلف ، اول ملك مـن اسرة هابسبورغ ، الذي اختير ملكا المانيا في ١٢٧٣ ، وما ان تذوق الامراء مباهج الاستقلال حتى صـمموا على ان لايفـرطوا فيهـا ، وهذا يعني ان الملك بجب ان يبقى ضعيفا،وحالما ظهـر الى الوجـود دعي تظاهر انه فردريك الثاني اسرع العديد من كبار الامراء لمنحـه الاعتراف الرسمي ، لا لانهم صدقوا بل لانهم ارادوا ارباك رودلف ، وفي هذا الوقت كان في المانيا علاوة على ذلك حضـارة حقـا ومـدنية مزدهرة ، وبالضبط اثناء فتـرة خلو العـرش حـدث تقـدم كبير في الصناعة والتجارة في المدن ذاتية الحـكم ، ولكن مـع ان هـذه المدن احتفظت بحياة منظمة مزدهرة اكثر مما وجد في اي مـكان اخـر في المانيا ، فانها كانت ممزقة بالصراعات الاجتماعية ، وفي مدن الراين

كان هناك حرفيون عديدون يعيشون في قلق وفقر مدقع اكثر مما كان في اي وقت على الاطلاق (ص ١١٥) واكثر مـا اسـهم في نجـاح فردريك كان بالتاكيد حقيقة ان فقراء المدن كانوا ما يزالون متعلقين بالتوقعات المسائحية المتعلقة بالامبراطور فردريك الثاني ، وقد اظهر ملك نويس انه فوق كل شيء صديق للفقـراء ، واقـام دعايتـه بين المتنبئين الذين وصفهم المؤرخون كمهر طقين .

في النهاية متسمما بالنجاح اخفق فردريك المزيف في تحقيق غايته وبتحركه في اتجاه الجنوب ، اعلن مقاصده في اقامة مجلس تشريعي امبراطوري في فرانكفورت ودعا الملك رودلف للمثـول امـامه حتـى يمكنه كامبـراطور ان يمنحـه المانيا ،وكان جـواب رودلف تسـيير جيشه ضد الدعي وحصاره لمدينة ويتـزلر حيث التجـا ، لقـد كانت المدينة منقسمة ، كمـا كانت فـالذمين منقسـمة في حـالة بلدرين المزيف ، والان كمـا كان في حينه ، كان الناس العـاديون على استعداد لحمل السلاح للدفاع عن امبراطورهم ، ومع ذلك استـسلم الرجل الى رودلف ، اوسلم نفسـه ، وبعـد محـاكمة احـرق على الخازوق .

وكانت طريقة الاعدام ذات دلالة لان الاحراق كان لايستـخدم في حالات العصيان او التمرد السياسي بـل فقـط في حـالات السـحر والشعوذة والهرطقة ، وهذا يؤكد مايشير اليه المؤرخون ايضا ، ان هذا الرجل كان متعصبا وشديد الاندفاع ، لم يجد في نفسـه مجـرد مثيل لفردريك الثاني بل راى نفسه كمخلص اخـروي ارسـله الرب لمعاقبة الاكليروس ولاقامة حكمه في العـالم كله ، ويبـدو ايضـا انه حتى النهاية كان فردريك المزيف مقتنعا تماما انه سيقوم مرة ثـانية خلال يومين ، حتى انه وعد اتباعه بذلك وقد صـدقوه ، وفي الواقـع الفعلي انه استبدل على الفور بشخصية مشابهة ، هذه المرة في البلاد المنخفضة حيث ادعي احدهم انه بعد ثلاثة ايام من احراقه قام من الموت وقد اعدم هذا بدوره في او ترخت .

وبدات التقاليد الشعبية تتجمع حول شخصية فردريك الزائف كما تجمعت حول شخصية فردريك نفسه ، وافاد الاعدام في وتزلر فقط في زيادة سمعة الامبراطور كرجل خارق للطبيعة ، وككائن خالد ، وروي انه بين الرماد عند الخازوق لم توجد عظام ، بل حبة فاصولياء صغيرة فقط ، واستنتج الناس على الفور ان هذا لابد انه يعني ان الامبراطور قد انقذ من اللهب بالعناية الالهية ، وانه مايزال حيا وسيعود يوما ما ، وبقي هذا الايمان جيلا بعد جيل ، وفي وسط القر ن الرابع عشر كان مايزال يقال ان فردريك يجب ان يعود بالتأكيد ، مع انه قطع الى الوف القطع ـ وبالتاكيد اشارة الى ويلتزر ـ ومع انه احرق حتى الرماد ، لان هكذا كانت ارادة الرب التي لاتتغير ، وطورت اساطير غريبة ومثيرة (ص ١١٦) وقد زود الملك الشرقي الخرافي بريسترجون الامبراطور برداء من نسيج لايحترق ، وخاتما سحريا مكنه من الاختفاء وبشراب سحري ابقاه شابا الى الابد ، وكثيرا ما كان الامبراطور يظهر للفلاحين في هيئة حاج ويفضي اليهم بان الوقت سوف ياتي حيث سياخذ مكانه الصحيح على راس الامبراطورية .

وفي مجرى احداث القرن الرابع عشر كانت كل الامال الاخروية التي حاولت جماهير العصور الوسطى دائما ان تستخلصها من تقاليد كهنة التنبؤ السبليني ، ونبواءت يوحنا ، قد اصبحت مركزة في المانيا على فردريك مبعوث المستقبل :

« وفي كل البلاد تحل اوقات عصيبة ، وخصومات تتوهج بين رئيسي النصرانية ، ويبدأ الصراع ضار ، ويجب ان تنوح امهات كثيرات على اطفالهن ، ويجب ان يعاني الرجال والنساء على السواء ، والسلب وحرق المباني يمضي يدا بيد ، وكل إنسان في حلق انسان اخر ، وكل انسان يؤذي كل انسان اخر ، في شخصه وممتلكاته و ليس هناك شخص الا ولديه سبب للعويل ، ولكن عندما تبلغ المعاناة هذه الوتيرة التي لايمكن لأي إنسان أن يهدأ معها ، عندها يظهر بارادة الرب الامبراطور فردريك بنبله ولطفه

الكبيرين .....وبكل شجاعة سيتوقف الرجال والنساء معا على الفور لبدء رحلة ماوراء البحار ، لقد وعدوا بمملكة الرب ، إنهم يأتون في حشود ، وكل يسرع ليتقدم الاخر....وسيسود السلام كل الارض ، ولن يبقى تهديد الحصون ، ولاحاجة للخوف من القوة بعد ذلك ، ولا احد يقاوم الحملات الصليبية الى الشجرة الذابلة ، وعندما يعلق الامبراطور درعه عليها تخرج الشجرة أوراقها وتزهر ، ويتحرر الضريح المقدس ، ومن الان فصاعدا لاحاجة لاستلال السيف للزود عنه ، وسيستعيد الامبراطور النبيل القانون نفسه لكل الناس ....وكل العوالم الوثنية ستبايع الامبراطور ، وسيطاح بسلطة اليهود ، لكن ليس بقوة السلاح ، وستتحطم قواتهم الى الابد وسيستسلمون بلا صراع .

ولن يبقى شيء من هيمنة الاكليروس تقريبا ، وسيلغى الامير العالي المكانة والاصل كل الاديرة معا ، وسيقدم الرهبان للزواج ، إني اقول لك ، إنهم يجب أن يزرعوا لنا الكروم والقمح وبحلول القرن الرابع عشر اصبحت المانيا في الحالة التي بقيت عليها حتى القرن السادس عشر : حشد من الامارات المتحاربة ، تشوش دائم كان الامبراطور في لجته بلا حول بالمرة ، وفي الوقت نفسه حلت مدن جنوب وسط المانيا محل مدن البلاد المنخفضة كمراكز رئيسية للراسمالية التجارية في شمال الالب ، وبلغت الصراعات الاجتماعية عندهم شدة ضارية . وفي حين حاربت نقابات التجار النبلاء بعضها بعضا كانت تكمن بين الفقراء كراهية مميتة لكل الاغنياء ، ويجد المرء مؤرخا من مغدبورغ يحذر اصحاب الرواج الإقتصادي من البرجوازيين من ان المرء يجب ان لايدع عامة الناس تفعل ماتريد كثيرا كما حدث من قبل ، انهم يجب ان يوضعوا بحزم تحت السيطرة ، لان هناك كراهية قديمة بين الاغنياء والفقراء ، فالفقراء يكرهون كل من لديهم ممتلكات ، وهم اكثر استعدادا لايذاء الاغنياء (ص ١١٧) مما لدى الاغنياء تجاه الفقراء ، ووجدت وجهة نظر الفقراء الان في الادب الالماني تعبيرا له القوة نفسها التي وجدتها قبل ذلك بقرن في الادب الفرنسي ، والشاعر سوشنورت مثلا يصف

كيف ان الجائعين يتركون زوجاتهم الشاحبات والهزيلات والاطفال في اكواخهم ويحتشدون معا في الشوارع الضيقة ، وهم مسلحون بالاسلحة المرتجلة ، وهم ممتلئون بالشجاعة اليائسة : « صناديق الاغنياء مليئة وصناديق الفقراء فارغة ، ومعدة الرجل الفقير فارغة .... حطموا باب الرجل الغني ! فسنتعشى معه ، إنه من الافضل أن نصرع جميعا بدلا من ان نموت من الجوع ، والاحرى بنا ان نخاطر بحياتنا بشجاعة بدلا من ان نموت بهذه الطريقة .....»

وكان المتوقع انه في مثل هذا المجتمع ان فردريك المستقبل سيتخذ بوضوح اكثر مظهر الثائر الاجتماعي العظيم ، مسيح الفقراء ، وفي ١٣٤٨ بعد انقضاء قرن بالضبط ، عادت نبوءات ارنولد والوعاظ السوابيون في صورة اكثر تاكيدا في التوقعات الشعبية التي لاحظها الراهب جون أوف وندترثور : « حالما يقوم من الموت ويقف مرة اخرى في قمة سلطته ، سيزوج النساء الفقيرات والعذارى للرجال الاغنياء والعكس بالعكس....وسيعمل ان يعاد كل شيء سرق من القاصرين واليتامى والارامل اليهم وان يتحقق العدل التام للجميع » وعلاوة على ذلك ــ والصورة ماخوذة مباشرة من نبوءة يواكيم الزائف » وسيضطهد الكهنة بشدة حتى انه إذا لم تكن لديهم وسائل اخرى لاخفاء رؤوسهم الحليقة فانهم سيغطونها بروث البقر »..

(ويسرع جون ونترثور ليتحلل من هذه المعتقدات المنذرة ، فيعلق قائلا مايلي : « إنه لجنون صرف الاعتقاد بأن الامبراطور المنشق يمكن ان يعود ابدا ، وانه (مره اخرى ظل ويتزلر)، مضاد للعقيدة الكاثوليكية ان رجلا قد أحرق على الخازوق يمكنه مرة اخرى على الاطلاق ان يستخدم سلطة عاهل ، ولقد كان لدى الراهب سبب كي يكون حاسما ، ذلك ان ما يمكن دعوته عقيدة المجيء الثاني لفردريك كان يعتبر من اكثر الوان الهرطقة خطورة ، وكان هذا مايزال صحيحا بعد ذلك بقرن ، وبعد فردريك نفسه بقرنين ، وكتب مؤرخ في ١٤٣٤ يقول : « من الامبراطور فردريك المنشق انطلقت هرطقة

جديدة مازال بعض المسيحين يتمسكون بها في السر ، إن لديهم اعتقادا مطلقا ان الامبراطور فردريك مازال حيا وسيبقى حيا حتى نهاية العالم ، وانه ما كان هناك ، ولن يكون هناك امبراطور كامل الا هو ....، لقد اخترع الشيطان هذه الحماقة ، حتى يضلل اولئك المنشقين وشعبا بسيطا واثقا ....» وباي صورة من الجدية اخذ الاكليروس هذه الهرطقة وكيف كانوا متنبهين لتحريها مبين في القصة الغريبة لفيلسوف (ص ١١٨) يوناني غامر في ١٤٦٩ بان يبث في روما الاعتقاد الذي استمده من دراسته الطويلة للسبلين اليوناني ، الذي كان بموجبه سيتولى الامبراطور الاخير عن قريب تحويل كل الناس الى المسيحية ، وفي هذا كما في النبوءات البيزنطية الاخرى ، كان مجيء الامبراطور الاخير لايعني باي طريقة مذبحة للاكليروس او هيجانا اجتماعيا من اي نوع ، ولكن هذا لم يكن بالامكان تصوره لدى السلطات الاكليروسية في روما حتى انهم سجنوا الرجل التعس وصادروا حاجياته .

بيانات حول فردريك المستقبل :

على مدى القرن الخامس عشر والسنوات الاولى من القرن السادس عشر لم تعد خرافة فردريك المستقبل تلتقط وتجمع معامن التقارير العرضية للشهادات المعادية ، إنها عند هذه النقطة تظهر في ضوء النهار الكامل ، لانه الان بعد فاصل نحو قرنين او ثلاثة ، تبع بيان الراهب الاخ ارنولد بيانات عديدة مفصلة اكثر بكثير .

وكان اقدم هذه الاعمال ، الكراسة اللاتينية المعروضة باسم غماليون التي اخرجت إما في ١٤٠٩ او في ١٤٣٩ وهي تتحدث عن امبراطور الماني مقبل سيقضي على الملكية الفرنسية والبابوية ، وعندما يحقق مهمته لن تذكر فرنسا بعد ذلك ، وسيخضع الهنغاريون والسلاف وسيتضاء لون الى التبعية العامة ، وسيسحق اليهود الى الابد ، بينما سيعلوا الالمان على كل الشعوب ، وستجرد كنيسة روما من ممتلكاتها ويقتل كل كهنتها وسيحل محل البابا بطريرك

الماني ياتي من مينز ليتراس كنيسة جديدة ، ولكنها كنيسة خـاضعة للامبراطور ، وبما أن « النسر من جذس النسـور » فـان فـردريك جديد سوف تمتد اجنحته من بحر لبحر حتى حدود الارض ذاتهـا ، وستكون هذه هي الايام الاخيرة قبل المجيء الثاني والحساب .

وصدر في نحو ١٤٣٩ كتاب اعظـم تـاثيرا بـكثير ، وهـو الذي يدعى « اصلاح سيغسموند » ،ويبدو ان اصل هذا العمل يكمـن في منهاج ، لاتيني اعده كاهن يدعى فردريك أوف لانتناو لوضعه امـام المجلس العام في بازل الذي كان منذ ١٤٣١ ومـا بعـدها يناضـل للشروع باصلاح الكنيسة.لكن النص الالماني في اصلاح سـيغسموند اكثر من مجرد ترجمة لذلك البرنامج ، ويعالج الكاتب الذي كان امـا فيردريك لانتناو نفسه،او وهو الارجح صديق علماني له ـ الاصلاح كاملا في الامبراطورية مثل الاصلاح المقترح للكنيسة ، ومن الواضح أنه كان حسن الاطلاع على ظـروف الحياة في مـدن جنوب المانيا ، وبدا أنه الناطق باسم كل فقراء المدن ، ليس باسم الحرفيين المهـرة المنتظمين في نقابات ، بل باسم العمـال غير المنظمين مـن الطبقـة الافقر (ص ١١٩) والاقل مزايا بين سكان المدن ، ويطالب اصلاح سيغسموند بقمع النقابات الاحتكارية والشركات التجارية الكبيرة ، وهو يؤيد نظام مساواة تثبت فيه الاجور والاسعار والضرائب لخدمة مصالح الفقراء ، ويقول بالوقت نفسه بوجوب الغاء العبودية حيثمـا ظلت متبقية في البلاد وكما كان في الايام الخوالي يجب ان تفتح المدن ابوابها للعبيد المحررين .

والى هذا الحد لم يكن المنهاج قابلا للتطبيق على الفـور لكنه على الأقل إلهام مبني على الملاحـظة والاختبـار ، اكثـر منه معـالجة ألفية ، وينتهي الكتاب بنبوءة مسيحية غريبة يضعها المؤلف في فـم الأمبراطور سيغسموند الذي توفي لتوه فقط ، بعد ان كان هو نفسه لبضع سنوات موضوعا لتوقعات مسائحية ، فقد جعل سـيغسموند يروي كيف ان صوت الرب قد أمره بـأن يمهـد الطـريق لكاهـــن ملك ، لن يكون سـوى فـريدريك أوف لانتناو .الذي كامبـــراطور

فريدريك سيظهر نفسه كملك ذي قوة لاتباري وجلال ، وفي اي لحظة الآن سوف تطبق معايير فريدريك والامبراطورية والصليب،بينمـا ، عندها سوف يعلن كل امير وسيد ، وكل مدينة تـأييدها لفـريدريك تحت طائلة مصادرة الممتلكات والحـرية ، ويمضي سـيفـسموند في وصف كيف بحث عن فريديك لانتناو هـذا حتـى وجـده في مجلس بازل ، في كاهن كان فقره معادلا لفقر المسيح ، وقـد أعطـاه ثـوبا وعهد اليه بحكومة النصرانية كلها لهذا سيحكم فريدريك دولة تمتـد من بحر الى بحر وان أحدا لن يستطيع مقـاومته ، وسـيسحق كل المتاعب والأعمال الخاطئة بقدمه ، وسيدمر الأشرار ويجعلهم طعمة للنيران ، وقصد بالأشرار الذين افسـدهم المال ، والأسـاقفة مـن يشترون او يبيعون المناصب الكهنوتية والتجار الجشعين ، وتحـت حكمه سيبتهج عامة الشعب اذ سيجدون العدل مستتبا وكل رغباتهم الروحية والجسدية مشبعة .

والأبعد والاكثر تفصيلا ولذعا من اصلاح سيفسموند هو كتـاب « مائه فصـل » وناشره مجهـول ، عاش في الالزاس الأعلى او في بريسغو ويعرف عادة بـاسم « ثـائر الراين الأعلى » وكان هـذا الكهل المتعصب ذا اطلاع واسع على قدر ضخم من أدب سفر الرؤيا في العصور الوسطى واستمد منه بحرية بهدف تطوير منهـاج رؤوي خاص به ، وكان بحثه المكتوب بالالمانية في السنوات الافتتاحية مـن القرن السادس عشر التعبير الأخير ، والأكثر شمولا عن الايمـان الشعبي بالأخرويات في العصور الوسطى .

وفي المقدمة صنف الثائر مصادر الهامه وفق طراز حقيقي للعصور الوسـطى ، وكانت رسـالة مـن الرب ، نقلهـا رئيس الملائكة (ص ١٢٠) ميكائيل ، فلقد كان الله غاضبا غضبا شديدا من خطايا الجنس البشري حتى أنه اعتزم ابتـلاءه بـأكثر الكوارث ترويعا ، وفي اللحظة الأخيرة فقط علق حكم القدر حتى تتوفر للناس فرصة أخرى لاصلاح طرقهم ، ولهذه الغاية رغب الرب في شخص ما تقي ـ طبيعي انه المؤلف نفسـه ـ لينظـم جمعية مـن العلمـانيين

الورعين ، وفقط الذين ولدوا في اطار الزواج والذين كانوا هم انفسهم متزوجين واكتفوا بزوج او زوجة واحدة هم المؤهلون للعضوية (كان انغماس المؤلف في الزنا مفرطا) ويلتزم الأعضاء بلبس صليب أصفر كشعار وعلامة مميزة لهم ، ومنذ البداية سيتمتعون بدعم فعال من القديس ميكائيل وقبل مضي وقت طويل سيجتمعون معا تحت قيادة الامبراطور فريدريك « امبراطور الغابة السوداء » وهي شخصية مذهلة لاتذكرنا فقط بامبراطور الأيام الأخيرة ، بل ايضا بالمسيح المخلص المنتظر ، في التطلعات اليهودية ـ المسيحية ، وبشكل خاص سفر الرؤية « وسيحكم الف سنة وستكون السماء مفتوحة لشعبه ...وسيأتي في زي ابيض كالثلج ، وبشعر ابيض وسيكون عرشه كالنار وسيخدمه عشرة اضعاف الألف وعشرة اضعاف المائة الف ، لأنه سيطبق العدل ، ومرة أخرى :« سيأتي الملك على حصان أبيض سيكون في يده قوس وسيزوده الرب ، بتاج حتى تكون لديه القدرة على اخضاع العالم كله ، وسيكون في يده سيف عظيم وسيبطش باعداد كبيرة ... وفي الوقت نفسه سيقيم هذا المخلص المملكة المسيحية لصالح اتباعه ، وفيها ستتوفر كل حاجة روحية او مادية ، وسيكون باستطاعته ان يقول عن نفسه :« انا بداية الحكومة الجديدة وسأعطي من الماء الحي كل ظمآن وكل من يتبعني سيحصل على كفايته ، انا سأكون ربه ...» وسيوزع الكثير من الخبز والشعير والنبيذ والزيت بسعر زهيد ، ومن الواضح في هذا التخيل ان امبراطور الغابة السوداء والمسيح المنتظر لن يكون غير هو نفسه .

ومع ذلك سيمر طريق الألفية عبر المذابح والأهوال ، ذلك ان هدف الرب هو عالم خال من الخطيئة ، فاذا استمرت الخطيئة في الازدهار فان العقاب الالهي سينزل بالتاكيد على العالم في حين انه مان تلغى الخطيئة سيكون العالم مستعدا لملكة القديسين ، وعلى هذا كانت المهمه الأكثر الحاحا لجمعية اخوة الصليب الأصفر القضاء على الرذيلة ، والتي تضمن في الواقع القضاء على المذنبين

وقد صورت الجمعية على انها حشد صليبي تقوده نخبة ـ يدعاها المؤلف « الفرسان الجدد » ـ التي بدورها ستكون تابعة للامبراطور (ص ١٢١) الأخروي نفسه ، وهدف الحملة الصليبية تمكين الامبراطور من « تحطيم بابل باسم الربّ... ووضع العالم كله تحت حكمه ، حتى يكون هناك راع واحد ، وحظيرة واحدة وعقيدة واحدة في العالم كله » ، ولتحقيق هذه الغاية كان الاغتيال مشروعا تماما : « وكل من يبطش برجل شرير لأعماله الشريرة ، كالتجديف مثلا ، او اذا ضربه حتى الموت سيدعى عبد الرب ، حيث ان كل مكلف ملزم بمعاقبة الشر » ودعا الثائربشكل خاص الى اغتيال الامبراطور الحاكم ، مكسيميليان الذي كان يحمل له كراهية طاغية ، ولكن وراء هذا القتل الطليعي كان يكمن اليوم الذي« يحكم امبراطور الغابة السوداء فيه مع جمعية الأخوة ، العالم كله من الغرب الى الشرق بقوة السلاح » ، وهو عصر من الرعب الشامل غير المنقطع ، تسوغ فيه بشدة النبوءة المأمولة :« وسوف نشرب حالا الدم بدلا من النبيذ! » ولم يترك الثائر شكا بشأن من سيكون هؤلاء الأخوة الصليبيون :« انهم سيكونون من عامة الناس من الفقراء واما بالنسبة لسكان بابل : المدنيون الذين يجب القضاء عليهم ـ فهم اتباع لوكسوريا وأفاريتيا والرقص والملابس الناعمة والقسوة ، انهم « عظماء الناس في كل من الكنيسة وفيما بين العلمانيين » وكما هو الحال كثيرا ، انهم الأغنياء حسنوا التغذية ، الذين يعيشون حياة رخية من الأكليروس هم الأعداء الرئيسيون وكان المتعصبون من العلمانيين لايتعبون أبدا من تصوير ـ بأكثر الألوان الممكنة توهجا واثارة ـ العقاب الذي سيوقعه الامبراطور القادم بنفسه على أبناء الشيطان من الرهبان وأخوة الرهبانيات والراهبات وهو غاضب بشكل خاص على الكهنة الذي يتحللون من نزرهم بالعفة ويتخذون زوجات ، ومثل هؤلاء الكهنة يصرخ بانهم يجب ان يختفوا ويحرقوا أحياء » او ان يدفع بهم مع عشيقاتهم الى أيدي الترك ، ويجب أن يترك أطفالهم ـ الأطفال الحقيقيون للمسيح الدجال ـ للجوع ، ولكن في الواقع يجب القضاء على كل الكهنة

وابائتهم ، وكان المسيح ينادي في جنده:« استمروا في ضربهم ، من البابا نزولا الى الطلاب الصغار ، اقتلوا كل واحد منهم » ويتنبأ بأن ٢٫٣٠ كاهنا سيقتلون كل يوم وان هذه المذبحة ستستمر لمدة اربع سنوات ونصف السنة ولن تكون هذه هي النهاية ، لأنه نادرا مايكون المرابون المزدهرون في المدن اقل سوءا من الاكليروس ، والى جانب هؤلاء الأساقفة الذين يبيعون ويشترون المناصب الكهنوتية ويحصلون على واردات ثمينة من الضرائب والعشور ، ورأى الثائر سربا من مقرضي الأموال يستخلصون بلا رحمة فوائد باهظة من الفقراء ومن التجار الذين ينكبون على استنباط الوسائل والاحتيال على حدود اطار الأسعار ، ومن اصحاب الحوانيت ، بسبب المبالغة في الثمن وسوء الكيل ، والوزن والتلاعب والقياس ، ويصحب كل هؤلاء سرب من المحامين عديمي الضمير والمبادى الذين يتلهفون على تسويغ كل ظلم ، وكل هؤلاء على السواء سيذبحون (ص ١٢٢) وبمساعدة الذين يشار اليهم الآن باسم « المسيحيون الورعون»، واحيانا باسم « عامة الناس»سيحرق امبراطور الغابة السوداء كل المرابين ، وسيشنق كل المحامين .

لقد كانت امكانات الربح في مجتمع اواخر القرون الوسطى بدرجة الاغراء نفسها ومثلما كانت عليه في اي مجتمع آخر على الاطلاق ،وليس هناك شك في ان الاساءات والتجاوزات التي شكا منها الثائر كانت صحيحة بدرجة كافية ، ولكن هذا لايمكن أن يفسر السمة المميزة لتلك القطعة الخاصة من النقد الاجتماعي ، التي هي نبرتها الأخروية ، وكان الثائر مقتنع تماما ان الرب قد امر بالمذبحة الكبرى للا كليروس « والمرابين » ومن اجل التخلص من مثل هذه الاساءات الى الابد ، وستكون المحرقة تطهيرا لابد منه للعالم في الفترة التي تتقدم الالفية ، وهناك حقيقة حول الالفية تبدو بوضوح كبير انها معادية للرأسماليين ، فستصبح ممتلكات الكنيسة مدنية وستستخدم من قبل الامبراطور لفائدة المجتمع ككل والفقراء بشكل خاص وكل الدخل الوارد سواء من الممتلكات الارضية او من

التجارة سيصادر وهذا ما يعادل الغاء الامارات والتجريد من الملكية لكل الاغنياء ، وسيكون فرض الايجارات والضرائب والرسوم من كل نوع من قبل الامبراطور وحده ، ولكن وراء هذه الاصلاحات المباشرة وباعتبارها شاملة ، يتطلع الثائر الى تحول اكثر عنفا في المجتمع ، الى حالة تلغى فيها الملكية الخاصة بالمرة وسيكون كل شيء مشاعا : « اي قدر من الاذى يتفجر من الانانية .... من الضروري بناء عليه ان تصبح كل الثروات ثروة واحدة عندها سيكون في الواقع رابح واحد وحظيرة واحدة »

هل تبرهن الكائنات البشرية انها غيرية بدرجة كافية لتحقيق هذا النظام،إنه سيكون هناك رجعيون يفسدون الانسجام العام بالتعلق بلاكسوريا والافاريتا ولايتهرب الثائر ابدا من مواجهة المسالة ، وهكذا اعلن ان الامبراطور سيصدر مرة في السنة مرسوما بهدف تعرية الخطيئة : الربا والفسق فوق كل شيء ، وليحث الناس على الابلاغ عن المذنبين ، ولكن ايضا – وعلى هذا يلقي ثقلا كبيرا – عليهم ان يتقدموا طواعية للاعتراف بخطاياهم الخاصة وستنشأ محكمة رسمية في كل ابرشية ، والخاطئون الذين يحركهم قبل كل شيء دافع داخلي لايقاوم سيمثلون امامها ليحاسبوا في مكتب القاضي ، وسيعاقب القضاة على كل منها « بقسوة شديدة » لان الرحمة مع الخاطئين جريمة ضد المجتمع ككل ، وعليه اذا جوزي الآثم الاول ربما بمجرد الجلد ، فان موقف المذنب الذي يمثل امام المحكمة في ثلاث سنوات مختلفة خطير حقا (ص ١٢٣) » واذا لم يتوقف شخص عن ارتكاب الذنوب فانه من الافضل له ان يكون خارج الدنيا من ان يكون فيها ، وعليه فانه سيعدم فورا بوساطة مبعوثين ما ، سريين ، ذوي ورع لاشك فيه ، ويجد الثائر متعة بالغة في وصف الطرق المختلفة التي ستنفذ بها هذه الاعدامات : بالحرق ، والرجم ، والخنق ، والدفن على قيد الحياة ويصر ان لاشيء يمكنه ان يفعل المزيد ليرسخ ويحمي النظام الجديد للمساواة والملكية المشاعة سوى النمط الجديد من العدل .

وكما سنرى تصور اخرون قبل هذا القرن نظام مساواة ، وعلاوة على ذلك اعتقدوا انه سيفرض وسيبقى بالقوة ، ولكن من ناحية واحدة ثائر الراين الاعلى اصليا حقا ، فلم يجمع احد قبله مثل هذا الاخلاص لمبدأ الملكية الجماعية او العامة مع مثل هذه القومية الممزوجة بجنون العظمة ، وكان هذا الرجل قانعا انه في الماضي البعيد كان الالمان في الحقيقة « يعيشون معا مثل الاخوة على الارض » ويملكون كل شيء بشكل جماعي ، وكان تدمير هذا النظام السعيد من عمل الرومان اولا ثم كنيسة روما ، ولقد كان القانون الروماني ثم القانون الكنسي هو الذي ادخل التمييز بين « لي » و « ولك » ، وزعزع بذلك شعور الاخوة ، وفتح الطريق امام الحسد والكراهية ، ووراء هذه الفكرة الغريبة تكمن فلسفة كاملة للتاريخ ، لقد استعبد العهد القديم على انه عديم القيمة ، لانه منذ بدء الخليفة وما بعدها لم يكن اليهود شعب الله المختار بل الالمان ، وكان ادم وذريته جميعا حتى يافث بما في ذلك كل الانبياء من الالمان ويتكلمون الالمانية ، واللغات الاخرى ـ وبينها العبرية ـ وجدت فقط في برج بابل ولقد كان يافت وعشيرته هم الذين قدموا اولا الى اوروبا ، وجلبوا لغتهم معهم ، ولقد اختاروا الاستيطان ، في الالزاس قلب اوروبا ، وكانت عاصمة الامبراطورية التي اسسوها هي تريير ، وكانت هذه الامبراطورية الالمانية القديمة واسعة ، حيث غطت كل اوروبا ـ وامكن الادعاء ان الاسكندر الاكبر كان بطلا وطنيا المانيا ـ كما كانت اكثر الامبراطوريات كمالا ومثالية ، جنة ارضية حقيقية ، لانها كانت محكومة بموجب مجموعة القوانين المعروفة باسم تشريعات تريير التي تضمنت مبادىء الاخوة والمساواة والملكية االجماعية ، وكان في هذه التشريعات وليس في الوصايا العشر التي اخترعها « موسى الدجال » ان عبر الرب عن وصاياه للجنس البشري ، ولهذا الحق الثائر بعد تفكير عميق نسخة منها باعماله .

وكان تاريخ الشعوب اللاتينية مختلفا جدا ، فهذه السلالات البائسة لم تنحدر من يافث ، ولم تكن بين السكان الاصليين

لاوروبا (ص ١٢٤) فقد كان موطنها يقع في اسيا الصغرى ، حيث هزمت في المعركة على ايدي مقاتلي ترببر ، ومن اجل ذلك احضرت للعمل كعبيد لدى الذين انتصروا عليها ، والفرنسيون وهم مجموعة بغيضة متميزة بشكل غريب يلزم بناء عليه وبالانصاف ان يكونوا شعبا خاضعا يحكمه الالمان ، اما بالنسبة للايطاليين فلقد تحدروا من العبيد الذين طردوا ونفوا الى جبال الالب بسبب جرائمهم ضد تشريعات ترببر،ومن هنا نبعت الحقيقة التي لم يجد الناشر صعوبة في ترسيخها ، ان التاريخ الروماني يتالف من حلقات غير منقطعة تقريبا من الهزائم ، وكانت هذه الشعوب اللاتينية مصدر كل شيء ، إنها مصدر سم البحر كله وتلوثه تدريجيا ، وكان القانون الروماني ، والبابوية ، والفرنسيون ، وجمهورية البندقية ، جوانب لا عد لها لتآمر قديم جدا وكبير ضد الطريقة الالمانية في الحياة ، ولحسن الحظ كان الوقت في متناول اليد عندما تـوجب تحطيم قوى الشر الى الأبد ، وعندما يستولي القائد الكبير القادم من الغابة السوداء على السلطة كامبراطور فردريك فإنه لن ينظف فقط الحياة الألمانية من الفساد اللاتيني ويعيد العصر الذهبي القائم على تشريعات ترببر ، بل سوف يستعيد ايضا لألمانيا وضع السيادة التي ارادها الرب لها ، واخضعت « رؤيا دانيال » ، وهي التطلعات الأخروية القديمة التي قدمت الالهام لليهود خلال ثورة المكابيين،الى تفسير اكثر من قبل الثائر ايضا ، والآن تحولت الامبراطوريات الأربع المتتابعة لتشكل فرنسا ، وانكلترا ، واسبانيا وايطاليا وبسبب الغضب من الزهو المفرط لدى هذه الأمم فإن الامبراطور سيغزوها جميعا ، وأدعى الثائر انه قد اكتشف بالفعل بواسطة الكيمياء : المتفجرات الجديدة التي سيتطلبها التنفيذ « وبهذه القسوة سيغرس الخوف في الشعوب » وبذلك خص الالمان بالامبراطورية الخامسة الأعظم التي لن تموت ، ثم بعد ذلك وعندها يعود الامبراطور من حملاته الغربية سيهزم وسيسحق الترك الذين تسللوا الى اوروبا ، وسيضغط في اتجاه الشرق على راس جيش كبير مشكل من شعوب عديدة لينفذ المهمة التي اوكلت تقليديا للامبراطور الأخير ، وستفتح الأرض المقدسة للنصرانية وسيقضي

« على مجتمع المحمديين » نهائيا ، وسيعمد الكفار و« أولئك الذين لن يقبلوا العماد لن يكونوا مسيحيين ولا شعب كتاب مقدس ، لذا يجب قتلهم وبهذا يعمدون في دمائهم ، وبعد كل هذا سيحكم الامبراطور وسيسود على كل العالم متلقيا البيعة والجزية من اثنين وثلاثين ملكا » .

ومن الجدير بالملاحظة أن المسيحية التي قدر لها أن تفرض بمثل هذه القوة ندر معرفتها بهذه الصورة ، وطبقا للثائر كان المسيحيون الأوائل رعايا امبراطورية ترببر ، والرب الذي عبدوه كان مثله مثل جوبتير يومه المقدس الثلاثاء ، وليس الأحد وكمبعوثين الى الألمان فإنه لم يرسل ملائكة بل أرواح سكنت في جبال الألزاس(ص ١٢٥)، أما تعاليم المسيح التاريخي فكانت موجهة فقط الى اليهود لا الى الألمان ، والديانة المثالية للألمان كانت ما تزال هي التي سادت في العصر الذهبي لترببر ، وكان هذا هو الدين الذي على الامبراطور فردريك أن يعيده الى وضعه السالف ، وعندما يحدث ذلك ــ وهنا يستمد الثائر كثيرا من الغماليون ــ لن يكون المركز الروحي للعالم روما بل ميتز ، حيث يترأسه بطريرك بدلا من البابا المختفي ، ولكن هذا البطريرك لن يكون بابا ، بل سيكون معتمد كليا على الامبراطور الذي سيعينه ويمكنه عند الحاجة أن يخلعه ، وسيكون الامبراطور الثائر نفسه ، منتصرا ومبجلا هو الذي سيقف في مركز الاعتراف به كرب أرضي ،ولن تكون الامبراطورية المقبلة في الواقع شيئا أقل من نصف جماعة دينية متحدة في عبادتها وخوفها من المسيح المخلص الذي هو تجسيد للروح الالمانية ، وهذا ما كان في ذهن الثائر عندما صاح في ابتهاج « لقد امسك الألمان مرة بالعالم كله في أيديهم وسيفعلون ذلك مرة اخرى ، وبقوة اكبر مما كان أبدا »

وبرزت : هذه التخيلات القومية الفجة لمفكر نصف متعلم مقحمة في تقاليد الايمان الشعبي بالأخرويات ، والنتيجة بصورة غريبة شبيهة بالتخيلات التي كانت قلب عقيدة

الاشـــتراكية ـ الوطنية ، وعلى المرء فقـــط أن يعـــــود الى الرسائل ـ التي أصبحت بالفعل منسـية تقـريبا ـ لعلمـاء مثـل روزنبرغ ، ودارية ليصدم على الفـور بـالتماثل ، وهناك الاعتقـاد نفسه بوجود ثقافة المانية بدائية تحققـت فيهـا مـرة الارادة الالهية والتي كانت عبر التاريخ مصدرا لكل ما هو طيب ، والتي تـزعزعت فيما بعـــد بتامـــر الراســـماليين والشـــعوب الأدنى غير الجرمانية ، وكنيسة رومـا ، والتـــي يجـــب أن تســـتعاد الآن بارستقراطية جديدة ذات مـولد متـواضع ولكنهـا المانية حقـــة في الروح ، تحت مخلص مبعوث من الرب يكون في الوقت نفسه زعيمـا سياسيا ومسيحا جديدا ، إنهـا كلهـا هناك و كذلك كان الأعداء في الغرب والشرق ـ ولقد استخدم الرعب كأداة سياسية ، وحبـا بـه ذاته ـ كانت المذابـح الكبـرى في التـاريخ ـ في الواقـــع كل شيء باستثناء الفناء النهائي للامبراطورية العالمية ، التي في كلمات هتلر كانت ستدوم الف سنة .

ولم يطبع كتاب « مائة فصل» في وقتها ، ولم يطبع ابـدا ، وليس هناك ما يوحي بأن الثائر المجهول قد شغل دورا هاما في الحـركات الاجتماعية من أيامه ، ولا تكمن أهميته في أي نفوذ مـارسه بـل في التأثيرات التي خضع لهـا وسـجلها ، ولأنه حتـى إذا كانت بعض التفاصيل قد ولدت من تأملاته الخـاصة (ص ١٢٦) ، فإن الخيال في خطوطه العريضة كما قدمه ، هو ببساطة تفصيل للنبوءة التقليدية لفريدريك المستقبل الذي سيكون المسـيح المخلص للفقـراء ، وليس هناك شك أنه بصورة أوبأخرى استمرت هذه النبوءة في فتنة واثارة عامة الشعب في المانيا والفلاحين والحرفيين على السواء حتى وقت متقدم في القرن الســادس عشر ، ومـــن امبـــراطور بعـــد الآخر ـ سيغسموند ، فردريك الثـالث ، مـكسيميليان ، وشـارل الخامس ، كافح الناس لرؤية اعادة تجسيد بالمعنى الأكثـر حـرفية للكلمة لفردريك الثاني ، وعندما أخفـق هؤلاء الملوك في شـغل الدور الأخروي ، المتوقع منهم استمر الخيال الشعبي في ايجاد امبراطور

خيالي هو فردريك يقوم من وسط الفقراء ـ « من تحدر دوني » كما وصفه الثائر ليحل محل الملك الفعلي ويحكم بدلا منه .

وسيكون من السهل بلا شك تضخيم الجزء الذي شغلته مثل هذه التوقعات في حركات المقاومة والثورة التي تشكل نقاطا علامة في التاريخ الألماني خلال الربع الأول من القرن السادس عشر ، وموقف الفلاحين ، بشكل خاص كان عادة واقعيا بدرجة كافية ، وحتى عندما تطلع الفلاحون الى ماوراء مظالمهم المباشرة وطالبوا باصلاح عام للبنية الاجتماعية والسياسية للامبراطورية كان منهاجهم يميل الى أن يكون محدودا وعمليا مقبولا ، ومع ذلك فإنه في سلسلة الثورات المعروفة باسم البندشوهة (التي سيقال عنها الكثير في فصل لاحق) كانت تخيلات مماثلة لتلك التي في كتاب مائه فصل تشغل دورا ما ، وكتب ثائر الراين الأعلى في سنة ١٥١٠ يتنبأ بأن السنة الرؤوية هي ١٥١٥ ، وعندما انفجرت ثورة في المنطقة نفسها في عام ١٥١٣ لم يكن هدفها المعلن اقل من « مساعدة الصلاح والتخلص من المجدفين » واخيرا استعادة الضريح المقدس ، وتدبر بعض الذين ساهموا في هذه الثورة حتى امر اقناع انفسهم بأن الامبراطور مكسميليان كان موائما لقضيتهم مع انه أنذاك كان مضطرا لابقاء تعاطفه سرا .

الفصل السابع

نخبة من المضحين بالذات كمخلصين

اصول حركة اللطامين

يبدو أن ممارسة جلد الذات ولطمها (ص ١٢٧) لم تكن معروفة في أوروبا حتى تم تبنيها من قبل النساك في المجتمعات الرهبانية في كمالدولي وفونت أفيلانا في وقت مبكر من القرن الحادي عشر، وما أن اخترعت الصورة الجديدة من العمل التكفيري حتى انتشرت بسرعة حتى انها لم تصبح فقط سمة طبيعية من حياة الرهبنة في كل النصرانية اللاتينية بل التقنية الأكثر شيوعا للتكفير ، الى حد أنه في الواقع إن المعنى الحرفي لاصطلاح « انضباط » كان محصورا في « يلطم » وما كان يمكن أن يعني بالنسبة لهؤلاء الذين يمارسونه يظهر مشرقا في الوصف الذي خلفه راهب من القرن الرابع عشر حول تجربته الخاصة ، في ليلة شتاء قام هذا الرجل :

« بحبس نفسه في صومعته وتجرد من ثيابه كلها... وأخذ سوطه ذا الأشواك الحادة ، وأخذ يضرب نفسه على الجسم والذراعين وعلى الساقين حتى أندفع الدم منه كما لو كان من رجل محجم ، وكانت احدى الشوكات في السوط معقوفة كالخطاف وكلما تعلقت بأي جزء من اللحم امسكت به ومزقته ، وطارت الأطراف الى الحائط ثم وقف هناك وهو يدمي وحدق في نفسه ، لقد كان منظرا بائسا حتى أنه ذكره بطرق كثيرة بالمسيح المحبوب ، عندما ضرب بصورة مروعة ، ومن الاشفاق على نفسه بدأ يبكي بمرارة ، ثم ركع عاريا ومغطى بالدم في الهواء الصقيعي ، وتضرع الى الرب أن يمحو خطاياه من أمام عينيه اللطيفتين ».

لقد كان جلد الذات تعذيبا مروعا أوقعه الناس في القرون الوسطى

على أنفسهم بأنفسهم بأمل استمالة الرب القاضي والمعاقب ليبعد عقابه وليغفر لهم ذنوبهم ويعفيهم من العقاب الأكبر الذي سينالهم في هذه الحياة وفي الآخرة ، وحتى خلف هذه الغفران المجرد امل اخر اكثر نشوة ، وإذا أمكن لراهب اصولي أن يرى في جسده الدامي صورة لجسد المسيح فليس من المدهش أن العلمانيين الذين غدوا من اللطامين ثم هربوا من الرقابة الكهنوتية شعروا بأنهم مكلفون بمهمة خلاصية (ص ١٢٨) لا تضمن فقط خلاصهم وحدهم بل البشرية كلها و مثلها مثل الفقراء قبلها ، رأت طوائف اللطامين المنشقة في تكفيرها تشبها جماعيا بالمسيح له قيمة اخروية فريدة .

وكان في المدن الايطالية المزدحمة أن ظهرت مواكب منظمة من اللطامين للمرة الأولى ، وانطلقت الحركة في ١٢٦٠ بوساطة ناسك من بيروغيا وانتشرت في اتجاه الجنوب الى روما وفي اتجاه الشمال الى مدن لومبارديا بسرعة حتى بدت للمعاصرين كوباء مفاجىء للندم ، وزحفت حشود من الناس من الشباب والصبية وسارت ليلا ونهارا بالعادة بقيادة كهنة وتنقلت بأعلام وشموع مضاءة من مدينة لأخرى ، وكانوا كلما وصلوا الى مدينة نظموا انفسهم في مجموعات أمام الكنيسة وجلدوا أنفسهم لساعات بلا انقطاع ، وكان الزخم المؤثر الذي احدثه هذا التكفير العلني على عموم السكان كبيرا ، فاعترف المجرمون وأعاد اللصوص ما سلبوه ، وأعاد المرابون الفوائد على قروضهم ، وتم التراخي بين المتخاصمين وتم تناسي الحزازات حتى الطرفان المتحاربان اللذان كانا يقسمان ايطاليا ، الغولف أو مؤيدوا البابا والجيبللين او مؤيدوا الامبراطور ، فقدا للحظة بعض عنادهما ، واشتركت مدن بكاملها في الحركة ففي ريغيو شارك القاضي الرئيس والأسقف وكل النقابات ، ومع تحرك المواكب كان حجمها يتزايد باستمرار حتى أصبحت تشكل الوفا عدة ، ولكن كان إذا انضم اليها أحيانا اناس من كل الطبقات كان الفقراء هم الذين يستمرون حتى انه في المراحل التالية للحركة كانوا يبقون وحدهم .

إن الظروف التي حدث فيها هذا الانفجار الأول لحشد اللطامين هامة ، وحتى بمعايير العصور الوسطى فقد كانت الظروف في ايطاليا في تلك اللحظة قاسية بصورة استثنائية ، ففي ١٢٥٨ كانت هناك مجاعة ، وفي ١٢٥٩ حدث انفجار خطير للطاعون ، و فوق كل ذلك كانت هناك الأعمال الحربية التي لم تتوقف بين الغولف والجيبللين والتي انزلت البلاد الى حالة من البؤس البالغ وعدم الأمن ، وكانت حالة مدن الغولف بشكل خاص شديدة التعاسة ، لأن قضيتهم عانت من ضربة عنيفة عندها هزم الفلورنتين في مونتابرتو مع مذابح مروعة على أيدي التوسكان ، وبدا أن ما نفربن فردريك الثاني في طريقه الى فرض سيطرته على ايطاليا كلها ولم يكن للاشيء أن حركة اللطامين بدأت في مدينة غولفية ، وازدهرت اكثر ما يكون بين الغولفيين ، ومع ذلك أعطت كل هذه البلايا الاحساس بأنها ليست سوى مقدمة لكارثة شاملة ، ولاحظ أحد المؤرخين انه خلال مواكب اللطامين كان الناس يتصرفون بخوف كما لو أن الرب كان على وشك أن يدمرهم جميعا بالزلازل وبالنار من السماء كعقاب لهم على ذنوبهم ، وكان هؤلاء التائبون يصيحون وهم في عالم بدوا فيه و كأنهم يرفرفون على حافة هاوية و هم يضربون أنفسهم و يلقون بأنفسهم على وجوههم :« أيتها العذراء المقدسة ارحمينا اسألي يسوع المسيح أن يعفو عنا»» و الرحمة الرحمة،السلام السلام ، وهم يدعون بلا انقطاع ، كما أخبرنا ، حتى بدا أن الحقول والجبال ترجع صدى صلواتهم وصمتت الآلات الموسيقية وتلاشت أغاني الحب » . ولكن الذي كان هؤلاء اللطامون يناضلون لانتزاعه من الرب كان أكثر من مجرد الراحة من المتاعب الراهنة ، فقد كانت تلك السنة سنة ١٢٦٠ ، أي السنة الرؤوية ، التي فيها طبقا للتنبوءات اليواكمية الزائفة كان العصر الثالث متوقع الوصول الى مرحلة التحقيق ، وبين المجاعة والوباء كانت اعداد وفيرة من الايطاليين تنظر بصبر نافذ بزوغ عصر روح القدس ، العصر الذي سيعيش فيه كل الناس في سلام ملتزمين بالفقر الطوعي ، مستغرقين في نعيم التأمل ، ومع مضي شهر وراء شهر اصبحت هذه التوقعات الألفية اكثر شدة حتى أخذت

صفة هستيرية يائسة نحو نهاية السنة ، و بدا الناس يتعلقون بقشة ، و بحلول أيلول كانت كل معركة حتى معركة مونتا برتو يمكن ان تعطي اهمية اخروية ، و عندما مضت ستة اسابيع اخرى و بدا تشرين الثاني ظهر اللطامون ، و يذكر المؤرخ سالمبين اوف بارما الذي كان هو نفسه يواكميا كيف كان الناس متلهفين لأن يروا في هذه المواكب الحزينة بداية الفناء الكبير، و في ايطاليا ماتت حركة الجلد الجماهيرية بسرعة بعد التحرر من الوهم ، ولكن في ١٢٦١ ـ ١٢٦٢ عبرت الألب وعادت للظهور في مدن جنوب المانيا والراين ، وبدا أن الزعماء كانوا ما يزالون ايطاليين ، ولكن بينما كانوا يمرون عبر المدن الالمانية اندفع السكان بالمئات ليشكلوا مواكب جديدة ، وبلا شك كانت الحركة تملك تنظيما بالفعل في ايطاليا ، ولكن عند هذه النقطة بدا المؤرخون يلاحظون وجود واحدة ، وكان للطامين الألمان طقوس وأغان ، وقد صمموا حتى لباسا موحدا ، وعلاوة على ذلك بدا أن الزعماء في حالة استحواذ على رسالة سماوية كتلك التي حملها مرة بطرس الناسك ، ومرة اخرى منذ عدة سنوات مضت ـ من قبل استاذ هنغاريا ، وفي هذه المناسبة بقي النص محفوظا ، وتذكر الرسالة أن لوحا من الرخام يشع بضوء خارق للطبيعة قد هبط حديثا فوق مذبح كنيسة الضريح المقدس في القدس ، في حضور جمع من المؤمنين ، وظهر ملاك إلى جانبه وتلا الرسالة التي املاها الرب بنفسه عليه ، وكانت رسالة مفعمة بالمعاني الأخروية ، وتعج بعبارات مأخوذة من القطعة الشهيرة من سفر الرؤيا المنسوبة للمسيح ، وتتحدث عن البؤس والكرب الذي سيتقدم على المجيء الثاني ، لأن الرب كان غاضبا من البشر بسبب غرورهم وتفاخرهم وتجديفهم وفسقهم وإهمالهم لصيام السبت والجمعة (ص ١٣٠) ولتعاملهم بالربا ، وفي الحقيقة من أجل كل هذه الآثام التي كان من الشائع اعتبارها بمعنى خاص خطايا دايفز ، وقد عاقب الجنس البشري بالفعل بإرسال الهزات الأرضية والنار ، والجفاف ، والطوفان والمجاعة والطاعون ، والحروب والغزوات التي خرب فيها المسلمون و الوثنيون الآخرون أراضي النصارى ، وفي النهاية بسبب غضبه من

العناد الذي تعلق به الناس بطرقهم الشريرة قــرر أن يقتـل كل شيء حي على الأرض ، ولكن العذراء والملائكة خروا عند قدميه وتوسلوا إليه أن يمنح الجنس البشري . فــرصة أخيرة ، وتـــأثر الرب بتلك التــوسلات ووعد أنه إذا أصــلح الناس الآن طـــريقهم وتخلوا عن ممارسة الربا والزنا والتجديف ، فإن الأرض ستزدهر ، وســتعطي ثمارا وفيرة ، وعند هذه الأخبار بدأ المؤمنون في القدس البحــث عن بعض الوسائل لشــفاء الجنس البشري مــن نزعاتــه المهلكة نحــو الخطيئة ، وفي النهاية ظهر الملاك مرة أخرى ليأمرهم بمتابعة موكب لطم مدة ٥ر٣٣ يوما تذكيرا بعدد السنين التي طبقا لحساب تقليدي امضاها المسيح على الأرض ، وهكذا ـ اختتمت الرسالة ـ جاءت الحركة : وقد أطلقهــا في المقــام الأول ملك صـــقلية (ويتســـاءل الانسان : هـــل هـــذا فـــردريك الثـــاني ، كمخلص في الأيام الأخيرة ؟) : لقد بلغ الحج الكبير المانيا الآن ، وأي كاهن يهمل في دينونته أن ينقل الرسالة الالهية لجموع المصلين التابعين له سيكون ملعونا إلى الأبد بشكل مؤكد .

ولا يمكن للمرء إلا أن يتذكر تلك الرسالة السماوية الأخرى التي بواسطتها بعد قرنين ونصف القرن كان على ثــائر الراين الأعلى أن يحاول أن يستحضر أخوة الصليب الأصفر المعادية للاكليروس ، وفي حين كان فيه اللطامون الايطاليون دائما محكومين بحزم مــن قبــل الاكليروس ، كان اللطامون الألمان قد انقلبوا في الواقع بسرعة ضــد الكنيسة ، وكان الألمان كالايطــاليين عارفين بــالنبوءات اليواكمية الزائفة وتوقعوا القدر نفسه بالضبط مــن الســـنة الرؤوية ١٢٦٠ ، ولكنهم مالوا لأن يكونوا أكثر عنفا تجــاه الاكليروس وأكثــر عنادا وتصلبا بكثير في رفضهم لروما ، ولم تمض سوى ســنوات قليلة منذ أعلن الأخ الألفي السوابياني ارنولد أنه هو و اتباعه كانوا الجماعة المقدسة التي ستستولي على السلطة كلها من كنيسة المسيح الدجال في ١٢٦٠ .

وإذا مات فردريك الثاني في تلك الفترة الفاصلة ، وبدات فترة خلو

العرش فإن هذا متن فقط الشوق بين جموع الألمان إلى مملكة الفية للقديسين ، وانتهت الحركة بـأن أصـبحت احتـكارا للفقـــراء ، للنساجين ،و الاسكافيين والمشتغلين بالمعادن وامثـالهم ، ومـا أن اصبحت كذلك حتى تحـولت إلى مـؤامرة ضـد الاكليروس ، وبـدأ اللطامون بالادعاء انهم قـادرون على تحقيق الخـلاص بجـدارتهم وبدون مساعدة الكنيسة (ص ١٣١) وأن مجرد عملية الاشتراك في أحد مواكبهم تحل المرء من كل ذنوبه ، وسرعان مـاانهمك رؤسـاء الأساقفة والأسـاقفة في عمليات حـرمان وطـرد هؤلاء التـائبين الخطرين مع مساعدة من أمراء دنيويين مثل دوق بافاريا في عمليات القمع .

وفي المانيا وجنوب اوروبـا على السـواء استمرت جمـاعات اللطامين في الوجود على مدى قرنين من الزمان واكثر بعد ظهـورها الأول ، ولكن نشاطهم ومنزلتهم في المنطقتين اختلف بقدر كبير ، وفي إيطاليا وجنوب فرنسا ازدهرت جماعات اللطامين علنا في كل مـدينة هامة ، وكانوا بشكل عام اصوليين متشـددين في آرائهـم الدينية ، وتمتعوا بالاعتراف من كل مـن السـلطتين المدنية والكهنوتية ، وفي المانيا من جانب آخر كانت مثل هذه الجماعات موضع شك دائمـا في ميولها الانشقاقية ، وكثيرا في ميولها الثـورية ، وليس بـلا سـبب جيد ، واستمرت الحركة التي كانت مقمـوعة في ١٢٦٢ في الوجـود سرا ، وفي ١٢٩٦ عندما كانت المدن الواقعة على الراين تعاني مـن اسوا مجاعة منذ ثمانين عاما ، ظهر هناك فجأة لطـامون يرتـدون لباسا موحدا وينشدون التراتيل ، عندمـا زحفـت اكبـر حـركات اللطـامين في كل الأزمنة خـلال المانيا كلهـا في ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ ، تحولت أيضا لتختص بالطقوس والأغاني ، وحتى الرسالة السماوية نفسها نادرا ماعدلت اصلا ، مما يبدو انه برهان على أن بعضـا — على الأقل ـ من قادتها قد جاءوا من حركة سرية ، واستطاعوا أن يستمدوا منها بعض التقاليد .

وقد عجل الموت الأسود بانفجار ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ ويبدو إن وباء

الطاعون الدملي هذا قد نشأ في الهند وأنه انتقل برا إلى البحر الأسود ، ومن هناك عن طريق السفن إلى البحر المتوسط ، وفي أوائل ١٣٤٨ كان متفشيا في موانيء إيطاليا وجنوب فرنسا ، ومن شواطيء غرب أوروبا انتقل ببطء على طول طرق التجارة حتى بلغ كل البلاد باستثناء بولونيا التي اقامت حجرا صحيا على حدودها ، وبوهيميا التي حمتها الجبال ، وفي كل منطقة استمر الوباء من اربعة إلى ستة اشهر وتفشى بدرجة كبيرة في المدن المزدحمة متغلبا على كل الجهود لكبح جماحه ، وتراصت الجثث بلا دفن في باحات الكنائس ، ويبدو مؤكدا انه باصطلاحات معدلات الوفيات كان هذا الوباء بلا منازع اكبر كارثة حلت بغرب أوروبا في السنوات الألف الأخيرة ، وكان اكبر بكثير مما نجم عن الحربين العالميتين معا في القرن الحالي ، وتقدر السلطات المسؤولة حديثا انه في ١٣٤٨ ــ ١٣٤٩ هلك نحو ثلث السكان .

وقد فسر الوباء وفق الطراز الطبيعي للعصور الوسطى على أنه عقاب إلهي بسبب خطايا وانتهاكات العالم الآثم ، وكانت مواكب اللطامين(ص ١٣٢) من بعض الجوانب محاولة لصرف العقاب ، واضيفت فقرة جديدة إلى الرسالة السماوية لتأكيد هذه النقطة ، وكانت الاشاعة وهاجس الوباء وليست معاناته هي التي اوجدت المواكب ، وقد اعتاد الناس على غيابها فترة طويلة قبل أن يحل الوباء نفسه ، ومن هنغاريا ، حيث يبدو أنها بدأت في أواخر ١٣٤٨ انتشرت الحركة نحو الغرب لتزدهر فوق كل شيء في مدن وسط وجنوب المانيا واخيرا في مدن وادي الراين ، حيث شعت من جانب إلى وستفاليا ومن الآخر إلى برابانت وهنيوت وفلاندرز وفرنسا حتى قمعها الملك ، ومن البلاد المنخفضة انتقلت فرقة في سفينة إلى لندن حيث قامت بعرض أمام كاتدرائية القديس بولص ، ولكن في انكلترا لم تجد الحركة اتباعا.

وبأخذ الطريقة التي عملت بها الحركة في الاعتبار نجدها قد انتشرت بسرعة ، وفي آذار مثلا وصلت إلى بوهيميا ، وفي نيسان

إلى ماغدبرغ ولوبك وفي أيار إلى ووزبرغ و أوغسبرغ وفي حزيران إلى ستراسبورغ وكونستانس وفي تموز إلى فلاندرز ، ومع ذلك إنها لم تتحرك في زحف ثابت ، وكانت التيارات الرئيسية مليئة بتيارات صغيرة وتيارات متقاطعة ودوامات ، وتقدم اللطامون في فرق متفاوتة الحجم بين خمسين إلى خمسمائة أو أكثر ، وفي ستراسبورغ كانت فرقة جديدة تصل كل أسبوع على مدى نصف سنة ، ويقال إن نحوا من ألف من البورجوازيين قد انضموا إليهم ، ورحلوا بعضهم إلى أعلى النهر ، وبعضهم الآخر إلى أدناه ، وكانت فرقة جديدة تصل إلى تورناي كل بضعة أيام من منتصف أب حتى بداية تشرين الأول ، وفي الأسبوعين الأولين من تلك الفترة كانت الفرق تصل إلى هناك من بروغ ، وغنت ، وسلوندير ، ودوردرخت ولييج ثم انضمت تورناي نفسها وأرسلت فرقة في اتجاه سواسون ، وكي نفهم الحركة ككل يجب أن يتصور المرء عددا من المناطق تمر واحدة بعد الأخرى في حالة من الهياج الانفعالي الذي يبقى بكامل قوته نحو ثلاثة شهور ثم يخمد تدريجيا،وفي الشرق حيث بدأت الحركة ، انتهت بحلول منتصف السنة ، وفي وسط ألمانيا بدأت تتضاءل بسرعة بعد ذلك ، وفي البلاد المنخفضة وشمال فرنسا استمرت حتى أواخر الخريف ، ولابد أن عدد الناس الذين شاركوا في مرحلة أو أخرى كان كبيرا ، ويصعب الحصول على الأرقام ، ولكن يروى بشكل يمكن الاعتماد عليه أن ديرا واحدا في البلاد المنخفضة كان قد أصبح مركزا للحج للطامين كان عليه أن يقدم الطعام لنحو ٢٥٠٠ في نصف سنة وأن اللطامين الذين كانوا قد وصلوا إلى تورناي في شهرين ونصف الشهر بلغوا ٥٫٣٠٠ . ويقال أيضا ـ ربما مع شيء من المبالغة ـ إنه عندما رفضت ارفورت أن تفتح أبوابها للطامين عسكر نحو ٣٠٠٠ خارج الأسوار .

والذي جعل من هذه الحشود من اللطامين شيئا أكثر من الوباء ، شيئا ربما يمكن تسميته (ص ١٣٣) هذا حركة ، كان الطريقة التي نظمت بها ، وباستثناء ماكان عليه الحال في المرحلة الأخيرة في الأراضي المنخفضة ، كانت هذه المنظمة موحدة المظهر على نحو

فريد ، وكان للطامين اسم جمـاعي ، وكانوا يدعون انفسـهم حملة الصليب أو الأخوة اللطامين ــ أو مثـل صـليبي ١٣٠٩ ــ اخـوة الصليب ، ومثل أسـلافهم في ١٢٦٢ - و مـن هـذه الناحية مثـل الصليبيين - كانوا يرتدون لباسا موحدا ، و كان في هـذه الحـالة ثوبا أبيض مع صليب أحمر من الأمـام ومـن الخلف مـع قبعـة او قلنسوة مميزة بالشكل نفسه ، وكان يقود كل فرقة من اللطامين قائد كان في الغالب ، من العلمانيين ، وكان هذا المعلم او الأب ، كما كان يسمى ، يستمع إلى اعترافات الأعضاء و ــ كما لاحظ الاكليروس بفزع ــ يفرض الكفارات ويمنح الغفران ، سواء أثناء الجلد العلني او في الخفاء ، وكان على كل عضو أن يقسـم على الطـاعة المطلقـة لمعلمه طيلة فترة الموكب ، وكانت هذه الفترة ثابتة : وباستثناء بعض المواكب المحلية القصيرة في البـلاد المنخفضـة التـي كانت تنظمهـا الكنيسة ، كانت دائما ٥ر٣٣ يوما صوفيا وخـلال تلك الفتـرة كان اللطامون يخضعون لنظام قاس ، إذ لم يسمح لهم ، بالاستحمام او الحلاقة او تغيير الملابس او النوم في فراش ناعم ، وإذا قدمت لهـم الضيافة يمكنهم فقط غسل ايديهم عندما يركعون على الأرض كرمز للتواضع ، ولم يسمح لهم بالتحدث مع بعضهم بدون إذن من المعلم ، وفوق كل شيء كانوا ممنوعين من أي تعامل مع النساء ، وعليهم ان يتجنبوا زوجاتهم ، وفي المنازل التي يسـكنونها لم يسـمح بخـدمة النساء لهم على المائدة . وإذا نطق اللاطم بكلمة واحدة لامـراة كان عليه أن يركع أمام معلمه ، الذي يضربه وهو يقول له :« انهض بحق شرف الشهادة الطاهرة ، ومن الآن فصـاعدا راقـب نفسـك ضـد الخطيئة»!

و اعتاد اللطامون لدى وصولهم إلى اي مدينة أن يأخذوا طريقهم الى الكنيسة و يشكلوا حلقة امامها ، ويخلعوا ثيابهم واحـذيتهم و يلبسوا مئزرا قصيرا يمتد من الخاصرة الى القدمين ، ثـم يبـداون بأداء طقس كان على الرغم من بعض الاختـلافات المحلية قياسـيا بشكل ملحوظ حيث يسير التائبون في دائرة ويلقون بأنفسهم واحـدا بعد الآخر على وجوههم ، ويرقدون بلا حراك واذرعتهم ممدودة على

شكل صليب ، ويخطو النين في الخلف فوق الأجساد المنبطحة ، وهم يضربونها بلطف باسواطهم وهم يمرون ، ويرقد الرجال من نوي الذنوب الكبيرة التي تتطلب التكفير و المغفرة في اوضاع ترمز الى انتهاكاتهم ، وفوق اجساد هؤلاء يخطو المعلم نفسه ، وهو يضربهم بسوطه وهو يكرر صيغته للغفران ، « انهض بحق شرف الشهادة الطاهرة » .

وعندما ينبطح اخر الرجال يقف الجميع على اقدامهم ويبدا الجلد ، فيضرب الرجال انفسهم بايقاع بسوط جلدي مسلح باشواك حديدية وهم ينشدون التراتيل في تلك الاثناء احتفالا بآلام المسيح ومجد العذراء ، وكان ثلاثة رجال (ص ١٣٤) يقفون في مركز الدائرة يقودون الغناء وفي مقاطع معينة ثلاث مرات في كل ترتيلة ، يرتمي الجميع ارضا كما لو كانوا قد اصيبوا بصاعقة وينبطحون بانرع ممدودة وهم ينتحبون ويصلون ، وكان المعلم يسير بينهم ويأمرهم بالابتهال الى الرب ليرحم كل الخاطئين وبعد برهة يقف الرجال ويرفعون ايديهم نحو السماء وينشدون ثم يعاودون جلد انفسهم ، واذا حدث مصادفة ان نخلت امراة او كاهن الدائرة يصبح اللطم كله غير صالح ويجب ان يعاد من البداية ، وفي كل يوم تجري عمليتا لطم كاملتين أمام الناس ، وكل مساء تجري ثالثة في الخفاء في غرفة النوم ، وكان اللطامون يقومون بعملهم باجتهاد حتى انه كثيرا ما تنغرس الاشواك في اللحم وتحتاج لانتزاعها ، وكانت دماؤهم تتناثر على الجدران وتتحول أجسادهم الى كتل من اللحم الأزرق .

وكانت جماهير السكان تنظر بتقدير إيجابي الى اللطامين ، وحيثما ذهب التائبون كانت تتدفق عليهم الحشود للمشاهدة والاستماع الى الطقوس المقدسة والضرب المخيف ، والتراتيل - ربما المرات الوحيدة التي سمعت حتى الآن في لغة قابلة للفهم من قبل الجماهير - وعند الأوج كانت تلاوة الرسالة السماوية تحدث تأثيرا غامرا ، حتى أن كل المستمعين كان

يغمرهم النحيب و التأوه ، و لم تكن مصداقية الرسالة موضع تساؤل ، وكان ينظر الى اللطامين - كما كانوا يرون في انفسهم - لا كمجرد تائبين يكفرون عن خطاياهم ، بل كشهداء ياخذون على عاتقهم خطايا العالم وبذلك يتجنبون الوباء ، وإبادة الجنس البشري في الواقع ، وعندما كان موكب اللطامين يقترب من مدينة من المدن كانت تقرع النواقيس ، وعندما ينتهي اللطم كان السكان يهرعون لدعوة المشتركين الى منازلهم ، وكان الناس يسرون بالاسهام في تكاليف الشموع والأعلام وحتى السلطات المدنية كانت تنفق بحرية من الأموال العامة .

إنها قصة الرعاة ، وكما في كل الأوقات منذ بدات الحضارة في الانتعاش والثروة المادية في الازدياد ، لم تكن الجماهير المدنية راضية عن الكهنة الذين - بأي عدالة - لم ترفيهم سوى الدنيوية وعينات الانتقادات التي كان منتشرة في تلك الأيام من منتصف القرن الرابع عشر ، وحفظت في تعابير الكهنة أنفسهم ، يقول أحدهم :« لقد تغلغل بيع وشراء المناصب الكهنوتية بعمق كبير وترسخ ، حتى أن رجال الاكليروس المدنيين والنظاميين سواء من المراتب العليا أو الوسطى او الدنيا ، كانوا يبيعون ويشترون الوظائف الكهنوتية بلا خجل ، (ص ١٣٥)وحتى علنا دون تأنيب من احد ، ناهيك عن العقاب ، وبدا كما لو أن الرب بدلا من طرد البائعين والمشترين من المعبد ، قد وضعهم بالحري ، داخله ، كما لو أن بيع المناصب الكهنوتية يجب أن لا يعتبر هرطقة بل كنسيا وكاثوليكيا ومقدسا ، وكانت الأوقاف الكنسية او بيوت الكهنة ومناصبهم ومناصب رعاة الأبرشيات و حتى الأبرشيات و الكنائس الأبرشية و المذابح تباع لقاء المال أو تستبدل بالنساء والعشيقات ، أو يراهن عليها وتخضع للربح والخسارة في لعبة نرد . وكانت مرتبة ومهنة كل فرد تعتمد فقط على المال والنفوذ او اعتبارات الربح الأخرى ، وكانت اديرة الراهبات والرهبان ورعايتها ، والوصاية عليها وادارة المدارس وحتى المحاضرات تباع من قبل الأساقفة او مجلس الكرادلة التابع للبابوية الى رجال من

عديمي الكفاءة . خام ، جهلة صغار السن وبلا خبرة ، تباع بكل ما يمكنهم تحصيله سواء من السرقة أو الوسائل الأخرى ، أو ربما يغتصبونه بأي طريقة أخرى ، ومن هنا ليس من السهل الآن أن نجد بين شخصيات الكهنوت المدني والنظامي من يمكن احترامه مع شيوع هذا واعتماده بشكل عام ، انظر الى رؤساء اديرة الرهبان واديرة الراهبات واديرة الفرنسيسكان ورؤساء الكنائس والكهنه والمعلمين المحاضرين وتنهد! انظر الى حياتهم ومثلهم وسلوكهم وتعاليمهم والأوضاع الخطرة لهؤلاء في مهامهم وارتجف! اشفق علينا أيها الرب ، يا أبا الرحمة ، إننا اثمنا تجاهك »

وصاح كاهن أخر : « كم أصبحت حالة الكنيسة مزرية ! إن رعاة الأبرشيات يطعمون أنفسهم بدلا من قطعانهم ، والقطعان التي يجزونها ، أو انهم بالأحرى يسلخونها ، إنهم لا يتصرفون كرعاة بل كذئاب ! لقد هجرت المحاسن كلها كنيسة الرب ، فلا بقعة صحيحة فيها من التاج الى النعل »!

والمدى الدقيق الذي يمكن بلوغه في تسويغ هذه الشكاوى غير ذي موضوع وما هو مؤكد أن العامة لم يكن باستطاعتهم بسهولة أن يجدوا بين الكهنة ما كانوا في أمس الحاجة اليه ، لقد كانوا محتاجين الى رجال من ذوي الطها رة الدينية ، ممن يضمن زهدهم بوضوح قدراتهم في صنع المعجزات وبدا أن اللطامين من جانب أخر هم هؤلاء الأطهار ، وقد ادعوا انفسهم أنهم خلال جلدهم لم يكونوا فقط متحررين من كل خطيئة ومطمئنين من السماء بل كانوا مدعمين لطرد الشياطين ، وشفاء المعلولين وحتى إحياء الموتى ، وكان هناك لطامون يدعون أنهم يأكلون ويشربون مع المسيح ويتحدثون الى العذراء ، وادعى واحد على الأقل بأنه بعث من الموت ، وكانت كل هذه الادعاءات تتقبل بلهفة من قبل الأهالي ، ولم يحضر الناس مرضاهم فقط ليتلقوا الشفاء من هؤلاء الرجال المقدسين ، بل كانوا يغمسون الثياب في الدم السائل منهم ويحفظونها كاثار مقدسة وكان الرجال والنساء على السواء يتوسلون كي يسمح لهم بضغط هذه

الملابس على عيونهم ، وفي إحدى المناسبات حمل طفل ميت حول الدائرة أثناء عملية الجلد على أمل بعثه من الموت ، وكان اينما ظهر اللطامون في المانيا كانت العامة من الناس ولا سيما في مراكز الصناعه والتجارة تنظر اليهم على أنهم رجال الرب وكانوا في الوقت نفسه يلعنون الاكليروس وقدم هذا للطامين الفرصة التي كان العديد منهم ينتظرها(ص ١٣٦).

لطامون ثوريون

وحدث فقط في اماكن محدودة من الأراضي المنخفضة أن تمكن الاكليروس من السيطرة بشكل فعال على حركة اللطامين في عام ١٣٤٩ ، وانتهت هذه الحركة في اجزاء اخرى من البلاد المنخفضة وفي كل المانيا الى حركة مقاتلة متعطشة للدماء تسعى وراء الالفية .

وكانت تلك اللحظة الأكثر مواءمة لمثل هذا التطور ، لأن التوقعات الأخروية كانت منتشرة على نطاق اكثر اتساعا وشدة ، ولم يكن مصادفة في تلك السنوات ، أن اكثر المسرحيات الألمانية المتعلقة بالمسيح الدجال شهرة ، كانت قد صنعت وعرضت ، وكان الناس في ١٣٤٨ بالفعل يفسرون الهزات الأرضية في كارنثيا وايطاليا على انها المحن المسائحية التي تعلن عن اقتراب الأيام الأخيرة ، وحتى إذا لم يخبر المرء بذلك بوضوح ، فإنه كان يفترض بأن الكارثة المروعة الفريدة للموت الأسود يمكن أن تفسر في المعنى نفسه ، وفي الحقيقة إن معاناة عدم الأمن الشامل ، والارتباك والقلق كان له الأثر ــ كما كان كثيرا جدا - على زيادة الاثارة الأخروية بين الجماهير ، الى وتيرة الحمى ، وكانت مواكب اللطامين تظهر في الدراما المتعلقة بانهيار العالم وتحوله في الأيام الأخيرة التي كانت تتكشف الآن عن هولها وقوتها : « لقد حكم الوباء عامة الناس وقضى على العديد منهم واهتزت الأرض واحرق رجال من اليهود .

كان عدد كبير وغريب من الرجال نصف العراة يضربون أنفسهم، وبالطبع كمنت وراء هذه المحن الألفية ،وكان العديد من الناس يعيشون في توقعات مجيء المسيح المحارب ، كما حدث فيما بعد في فتنة ثوار الراين الأعلى ، وبالضبط في ١٣٤٨ يذكر جون أوف ونترثر كيف كان الناس بشكل عام وبلهفة يتوقعون بعث الأمبراطور فردريك الذي سيذبح الكهنة ويجبر الأغنياء على الزواج من الفقراء ، وفي تلك السنة أيضا كان يفترض أن أحد « المنجمين الكبار » قد تنبأ ليس فقط بوباء الطاعون بل أيضا بمجيء امبراطور سيشتت ويحاسب البابا وكرادلته ويطيح بملك فرنسا ، ويمد سلطانه ويثبته فوق جميع أنحاء البلاد.

ومن المؤكد أن عددا كبيرا من اللطامين أنفسهم عاشوا في عالم من خيالات الألفية ، وروى مؤرخ معاصر أن مواكب ١٣٤٩ التي كان كل منها يدوم ٣٣.٥ يوما كانت تعتبر مجرد بداية ، وكانت الحركة ككل تعتزم الاستمرار ٣٣.٥ سنة بانقضائها(ص ١٣٧) تكون النصرانية قد أنقذت ،وكشف تحري معتقدات اللطامين في برسلاو أيضا انشغالا بالألفية ، وكان التائبون هناك يرون كيف أن مراتب الرهبنة والأخوانيات الرهبانية الموجودة ستتعرض لمحن عظيمة حتى يتم مرور سبع عشرة سنة (نصف مدة التحول الكلية!) وعندها سيتم استبدالها بمراتب رهبانية جديدة تبقى حتى النهاية ، وهذه بالطبع نبوءة موجودة في التقاليد اليواكمية ، وعند هذه النقطة مفيد التذكير بعودة ظهور الرسالة السماوية التي سلمت هي نفسها منذ ١٢٦٠ ، السنة الرؤوية للنبوءة اليواكمية .ولم يكن للاشيء أن مثل هذه الوثيقة قد أصبحت بيانا لحركة اللطامين لأنه من المؤكد أنه عندما كان اللطامون يتحدثون عن حركة رهبانية جديدة ذات قدسية فريدة ، إنما كانوا يشيرون الى انفسهم فقط. لقد رأى هؤلاء الناس حقا في أنفسهم أناسا مقدسين وجيشا من القديسين ، انهم لم يسموا أنفسهم ببساطة حملة الصليب واخوه الصليب فخلال ايقاعهم العذاب بأنفسهم كانوا يتغذون بآلام المسيح ، بل كثيرا مامضوا الى ابعد من هذا بكثير مدعين أن المسيح

بنفسه قد اراهم جراحه الدامية ، وامرهم ان يقوموا بضرب انفسهم ، وكان بعضهم حتى يقول صراحة ، إن اي سفك دماء لا يمكن ان يقارن بسفك دمائهم سوى ما جرى عند صلب المسيح ، وان دمهم قد اختلط بدم المسيح . وان كليهما كان له القوة المخلصة نفسها .

وكما يمكن ان يتوقع ارتبط تطور هذه التخيلات بتبدل في التركيب الاجتماعي لمواكب اللطامين ، فلقد كانت الحركة دائما مؤلفة في اساسها من الفلاحين والحرفيين ، ولكن حيث ان النبلاء والبرجوازيين الأغنياء شاركوا فيها ايضا في البداية ، وهم بخروجهم منها تغير طابعها بفعل جمهور المجندين الجدد من حواشي المجتمع من المتشردين والمفلسين والخارجين على القانون والمجرمين من كل الأنواع ، وفي الوقت نفسه انتقلت الزعامة الى ايدي عدد من المتنبئين الذين كانوا الى حد كبير يتألفون من الكهان المنشقين والمرتدين ، وعندما قرر البابا في النهاية أن يصدر بيانا ضد اللطامين جعل من الواضح إنه يعتبر الغالبية اناسا بسطاء ضللوا من قبل المهرطقين الذين ، كانوا هم انفسهم فقط يعرفون جيدا ما يفعلون ، واضاف ان المهرطقين يضمون اعدادا من الرهبان والأخوة الرهبانيين وان هؤلاء يجب القبض عليهم حتما ، وعبر مؤرخ من البلاد المنخفضة ايضا عن هذه الفكرة ، بان الحركة قد نظمت بهدف القضاء على الاكليروس والكنيسة ، من قبل رهبان مرتدين في المانيا ، وبعد اختفاء الحركة عن الأنظار بثلاث سنوات ، كان رئيس اساقفة كولون ما يزال يهدد بالحرمان الشمامسة والكهنة الأدنى ، الذين شاركوا فيها ، مالم يقدموا شهودا يقسمون على براءتهم (ص ١٣٨) وظهر الذي وقف وراء هذه الاتهامات في احداث برسلاو ، وهي مدينة جاهر اللطامون فيها علنا بمعتقداتهم اليواكمية ، ومن المعروف أن الزعيم هناك كان شماسا حرض اتباعه على مهاجمة الاكليروس وانتهى بحرقه كمهرطق .

ومع تحول اللطامين الى حركة مسانحية جماهيرية أصبح

سلوكها شبيها بسلوك اسلافها في الحركة الصليبية الشعبية ، و انتهى اللطامون الالمان بشكل خاص بأن اصبحوا اعداء متصلبين للكنيسة ولم يدينوا الاكليروس فقط بل انكروا تماما ادعاء الاكليروس سلطة سامية غير طبيعية ، وانكروا ان يكون للقربان المقدس اي معنى ، وعندما قدم القربان للحشود رفضوا إظهار اي احترام له ، لقد قاموا بتطبيق مقاطعة الصلوات والخدمات في الكنيسة ، قائلين بأن احتفالاتهم وتراتيلهم وحدها هي التي لها قيمة ،لقد وضعوا انفسهم فوق البابا و الاكليروس على اساس انه في الوقت الذي يمكن فيه للأكليروس أن يرجعوا فقط الى الانجيل والآثار كمصدر سلطتهم ، تعلموا هم انفسهم مباشرة من روح القدس التي ارسلتهم عبر العالم ، وقد رفض اللطامون مطلقا سماع النقد من اي كاهن ، بل على العكس - تماما كاستاذ هنغاريا ـ اعلنوا ان اي كاهن يعارضهم يجب سحبه من على منبر وعظه وحرقه على الخازوق ، وعندما غامر اثنان من الدومينكيان بالجدال مع اللطامين رجما فقتل احدهما ونجا الآخر بالهرب ، وحدثت احداث مماثلة في اماكن اخرى ، وفي بعض الأحيان كان اللطامون يحثون الناس على رجم الاكليروس بالحجارة ، وكل من يحاول تهدئة ثائرتهم ضد الكنيسة ، بما في ذلك اعضاء جماعتهم ، كان يفعل ذلك مخاطرا بنفسه ، وشكا البابا من ان هؤلاء التائبين كانوا كلما وجدوا الفرصة انتهزوها فكانوا يستولون على الممتلكات الكهنوتية لصالح اخوتهم ، وقال مؤرخ فرنسي:كانت حركة اللطامين ترمي الى تدمير الكنيسة تماما ، والاستيلاء على ثرواتها ، وقتل كل الاكليروس ، وليس هناك من دليل على أن أيا منهما كان يبالغ.

وكالمعتاد عانى اليهود الى جانب الكهنة وبدرجة اكبر بكثير ، وفي المذبحة الكبرى ليهود اوربا التي رافقت الموت الأسود - وهي الاكبر قبل القرن الحالي ـ شغل اللطامون دورا هاما ونفذت عمليات القتل الأولى تلقائيا من قبل جماهير كانت قانعة بأن اليهود قد سببوا الوباء بتسميم الآبار ، وانتهت بحلول آذار ١٣٤٩ ربما

لأن الناس في ذلك الوقت قد لاحظوا أن الطاعون كان يصيب اليهود بالقدر نفسه الذي كان يصيب به المسيحيين ، وانه لم يوفر المناطق التي قتل فيها اليهود بالفعل ، وبعد ذلك بأربعة شهور انطلقت موجة جديدة من الذبح بفعل دعاية اللطامين ، وحيثما قامت السلطات حتى الآن بحماية اليهود أخذت هذه الحشود الآن تطالب بذبحهم.

وعندما دخل اللطامون في تموز ١٣٤٩ فرانكفورت اندفعوا راسا الى الحي اليهودي ، حيث انضم اليهم اهالي المدينة في ابادة الطائفة ، وقد اقلقت الحادثة السلطات حتى انهم اخرجوا التائبين من المدينة وعززوا البوابات لمنعهم من العودة ، وبعد ذلك بشهر حدثت مذبحة متزامنة في مينز وكولون ، واثناء موكب للطامين في مينز هرولت حشود النظارة فجأة بشكل مسعور لتلقي بنفسها على اليهود ، وكانت النتيجة ان الطائفة الاكبر لهم في المانيا قد ابيدت ، وفي كولون دخلت فرقة من اللطامين كانت معسكرة لبعض الوقت في الخارج الى المدينة وجمعت حشدا كبيرا ممن ليس لديهم مايفقدونه ، وضد رغبة مجلس المدينة والبرجوازيين الاغنياء هاجمت هذه الحشود اليهود وقتلت كثيرا منهم .و في بروكسل ايضا ادى اقتراب اللطامين الممتزج بشائعات تسميم الآبار إلى قيام مذبحة قتل فيها كل افراد الطائفة اليهودية وعددهم ٦٠٠ ،وذلك على الرغم من جهود دوق برابانت لحمايتهم ، وفي مناطق واسعة عبر البلاد المنخفضة كان اللطامون بمساعدة حشود الفقراء ، يحرقون ويغرقون كل من يمكنهم العثور عليه من اليهود « لانهم كانوا يعتقدون بانهم يفرحون الرب بهذه الطريقة ».

إن المصادر ضئيلة ، ويستحيل القول كم هوعدد مثل هذه المذابح التي قادها او اثارها اللطامون خلال النصف الثاني من سنة ١٣٤٩ ؛ ولكن لابد انها كانت كثيرة ، واصبح اليهود انفسهم يعتبرون اللطامين اسوأ اعدائهم ، في حين اطلق البابا احدى شكاياته الرئيسه ضد اللطامين من « ان معظمهم ، او معظم

اتباعهم ، دون مظهر الورع ، وانهم يطلقون ايديهم في اعمال قاسية غير تقية ،و يسفكون دماء اليهود ، الذين تقبلهم التقوى المسيحية وتدعمهم »، ومن شبه المؤكد انه في الوقت الذي انهى فيه اللطامون عملهم الذي اثاره هلع ١٣٤٨ ، كان هناك بقية ضئيلة جدا من اليهود في المانيا والبلاد المنخفضة ، وقد اكملت مذابح ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ تدهور وضع اليهود الذي بدأ في ١٠٩٦ ، وخلال بقية العصور الوسطى بقيت الطوائف اليهودية في المانيا صغيرة وفقيرة ، ومدانة بعزل الحي اليهودي عن المجتمع .

هل كان اللطامون يعتزمون ايضا القضاء على ذلك العدو التقليدي ، ذلك المشخص في دايفز ؟ هل كانوا يعتزمون مثل الجماهير الاخرى التي كانت تستلهم الايمان بالاخرويات ، القضاء على الاغنياء واصحاب المزايا ؟ لقد اتهمهم البابا بسلب وقتل العلمانيين مثلما قتلوا الكهنة واليهود ، في حين ان احد المؤرخين يخصص بأن اصحاب الثراء فقط الذين (ص ١٤٠) هوجموا ، وبالتأكيد قدر لهذه الجموع ان تصبح في النهاية موضع خشية « العظيم » مثل ماكان الرعاة .

ففي فرنسا حظر فيليب الخامس اللطم العلني تحت طائلة الموت ، وبذلك اصبح قادرا على منع الحركة من التوغل لاعمق من بيكاردي ، وفي المانيا اغلقت بعض المدن مثل ارفورت ابوابها في وجه جموع اللطامين ، في حين ان اخرى مثل اخن ونورمبرغ توعدت بالموت اي لطام يوجد ضمن اسوارها ، وماتخوفت منه هذه السلطات المدنية يظهر بوضوح كاف من قصة اللطم الصغرى التي صاحبت تفجرا جديدا للطاعون في ١٤٠٠ ، ففي تلك السنة سجن اللطامون في فيزيه على الماس ، ولقوا مقاومة من مدينة تونغرين ، وتم قمعهم في غنت من قبل كونت فلاندرز ، وعندما اقتربت فرقة من اللطامين من ماستريخت حاول الاثرياء من البرجوازيين اقفال البوابات في وجهها ، ولكن البروليتاريا من قصاري القماش هبوا وقضوا على الحكام ومؤيديهم ، وسمحوا للتائبين ، ثم بعد ان تقووا بوجود

هؤلاء الرجال المقدسين ، اقفلوا البوابات في وجه الحاكم المطلق للمدينة ، اسقف لييج .

وبحلول النصف الثاني من سنة ١٣٤٩ اصبحت حركة اللطامين قوة بالفوضويه نفسها للثورتين الكبيرتين للرعاة ، وحركت ضد نفسها ائتلاف القوى المدنية والاكليروسية نفسه واتجه امراء واساقفة المناطق التي ازعجها اللطامون الى السوربون طلبا للنصيحة ، واحالت السوربون الامر الى البابا في افينيون غير انها ارسلت اليه ايضا احد دكاترتها ، الراهب الفلمنكي جين دي فايت ، الذي درس الحركة في وطنه ، وعندما بلغ الوباء جنوب فرنسا للمرة الاولى ، في ايار من السنة السالفة اقام كليمنت السادس حفلة لطم عامة اشتركت فيها اعداد كبيرة من الجنسين ، وفيما بعد ادرك خطر هذه الحفلات ، وهكذا قوبلت احدى فرق اللطامين التي كانت قد وصلت الى افينيون من بازل بالتعنيف ، واثار الان تقرير فايت استجابة فورية ، ففي تشرين اول ١٣٤٩ ،اصدر البابا مرسوما ضد اللطامين ، وبعد تلخيص اوهامهم وغلوهم المذهبي واساءاتهم تجاه الاكليروس واليهود اشار المرسوم الى ان هؤلاء الناس كانوا بالفعل يتجاهلون السلطات المدنية ، واضاف انهم اذا لم يقاموا الان فانهم قد يصبحون مستعصين على المقاومة ، لهذا يجب قمع هذه « الزمرة » من « معلمي » الخطيئة كما ينبغي اعتقال الذين احكموا بناء عقائدهم وان يحاسبوا بالحرق اذا لزم الأمر ، وقد ارسل المرسوم الى رؤساء الاساقفة في المانيا ، وبولونيا وفرنسا ، وانكلترا والسويد وتبعته رسائل الى ملوك فرنسا وانكلترا واعلنت جامعة باريس الان ايضا ادانتها الرسمية ، واسرع الكهنة بكتابة رسائل دعائية ضد اللطامين (ص ١٤١)

وكان تأثير المرسوم فوريا ، ومنع رؤساء الاساقفة والاساقفة في كل المانيا والبلاد المنخفضة قيام المزيد من حفلات اللطم ، وجرد كثير من كهنة الابرشيات والقسس وحرموا من الكنيسة واتجهوا الى

اڤيذيون لالتماس الغفران ، وتعاونت السلطات المدنية بحماس لكبح الحركة .

واما المدن التي كان اللطامون مايزالون يترددون عليها ، فقد اتخذت الاجراءات للتخلص منهم ، ونسمع عن لطامين قطعت رؤوسهم بأمر من احد الكونتات ، وعن عدد كبير شنقوا في وستفاليا ، وبناء على امر من رئيس الاساقفة قامت السلطات المدنية في ابرشية تريير باعدام اللطامين وكادت ان تبيدهم ، وتحت ضغط الاضطهاد هجر معظم التائبين بسرعة حركتهم وبعبارات احد المؤرخين « اختفوا فجأة كما ظهروا فجأة كأشباح الليل او اشباه الاشباح ، ومزق بعضهم فعلا لباسهم الموحد وهربوا» ، وفي السنة التالية التي حدث ان كانت سنة مقدسة كان العديد يؤدون الكفارة بالضرب ولكن هذه المرة من قبل الكهنة ، امام المذبح العالي للقديس بطرس في روما ، ومع ذلك فقد تخلفت الحركة هنا وهناك ، ووجد في مدينة تورناي ضرورة لتجديد حظرها من حين لاخر حتى ١٣٥١ ، وكان اسقف اوترخت مايزال يلاحق اللطامين في ١٣٥٣ ، وكان على رئيس اساقفة كولون ان يتعامل معهم في ١٣٥٣ ، ومرة اخرى في ١٣٥٧ ، وبعد ذلك لم يعد يسمع شيء عن اللطامين في تلك المناطق الغربية .

وفي اطار الايمان الشعبي بالاخرويات تثير قصة حركة اللطامين في ١٣٤٩ تساؤلا واحدا واضحا : هل كان هناك في مكان ما في المانيا بين المخلصين الذين عينوا انفسهم من حاول بوساطة حركة اللطامين ، احداث حالة قلق عام ، يمكنه ان ينتحل فيها علنا دور المخلص الاخروي ؟ولسوء الحظ ان المصادر المتوفرة لاتقدم جوابا ، ويمكن للمرء فقط ان يشير الى حركة لطم اصغر ظهرت في ايطاليا قبل بضع سنوات وهربت ايضا من السيطرة الكهنوتية ،وفي هذا المثال كان المعروف ان القائد كان من العلمانيين واسمه دومينيكوسافي من اسكولي وكان بعدما امضى سنوات عديدة كناسك ادعى انه اصبح ابنا لله ؛ ومن اجل ذلك احرق كمهرطق ، وهذا

بالطبع لايؤكد وجود شخصية مماثلة في ١٣٤٩ في المانيا ، وانما يجعل هذا يبدو كمجرد احتمال فقط ، ومن جانب اخر كانت هناك معلومات وافرة فيما يتعلق بمسيح لطام يدعى كونراد شمد ــ وهونظير للمبتدع الايطالي ، وفي الوقت نفسه فردريك الزائف الذي رأس في ١٣٦٠ الحركة التي تحولت تحت ضغط الاضطهاد الى طائفة سرية في مدن وسط وجنوب المانيا ، وقصة هذا الرجل واتباعه تستحق البحث بشيء من التفصيل .

سرلطامي ثورنجيا

كان كونراد شمد رجلا علمانيا متعلما بدرجة كافية ، (ص ١٤٢) لينغمس في بحوث النبوءات الرؤوية في مكتبة احد الاديرة ، وكان ايضا مطلعا تماما على المعارف التقليدية المتعلقة بشكل ما بعقائد اللطامين الباطنية ، ومن جميع النواحي كان مذهبه ببساطة مذهب التائبين في عام ١٣٤٨ ــ ١٣٤٩ ، وبالنسبة لاتباعه كان جلد الذات تشبها بالمسيح تقليدا جماعيا وتضحية خلاصية حمت وحدها العالم من كارثة نهائية مدمرة ، بفضل ذلك اصبحوا هم انفسهم نخبة مقدسة ، وبالنسبة لهم ايضا كان امرا متوقعا رفض كنيسة روما وكل اعمالها ، وتسخيف القربان المقدس ، وتسمية الكنائس عصبة لصوص ، وشجب الاكليروس ، على انهم مصاصوا دماء ودجالون كشفت طبيعتهم في وحش سفر الرؤيا ، بل وحتى انكار سلطة القوى المدنية ايضا ، باصرارهم على ان الامبراطور ليس له عليهم حق للطاعة اكبر مما للبابا ، وان كل القوانين بلا استثناء لاغية بالنسبة لهم ، ويؤكد هؤلاء الطائفيون فقط مايمكن تخمينه بالفعل من سلوك اسلافهم ، ومع ذلك نجد من نواح أخرى أن مابشر به شمد هو أشد وضوحا ، وفيه يظهر الايمان المسائحي الذي طبق دوما في حركات اللطامين في المانيا بأعظم تأكيد ممكن .

وطبقا لهذه التعاليم كانت نبوءات أشعيا Isaih التي

عدت تقليديا منبئة بمجيء المسيح كانت في الواقع تشير الى مجـيء شمد ، الذي اصبح الان الحامل الوحيد للديانة الصحيحة ، ومن هذا يبدو انه عندما قال خصوم شمد الكاثوليك انه اعتقد في نفسه انه رب إنما كانوا يقولون الحقيقة المتسمة بـالاعتدال ، وفي الوقـت نفسـه ادعى قائد اللطامين لقـب ملك ثـورنجيا ، ولعله لم تـزدهر حـركة اللطامين لعامي ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ في اي مكان اخر بـالقوة نفسـها كما ازدهرت بها في المنطقة الواسعة مـن وسـط المانيا التـي كانت تعرف في ذلك الوقت باسم ثورنجيا ، ولم تبق أي مدينة أو قرية دون أن تتأثر ، ولقد أصبح اللطامون شعبيين وأقوياء حتى انهم حرضوا عامة الناس على رجم الاكليروس ، وقد اقفلت ارفورت بـواباتها في رعب في حين كانت حشود اللطامين تعسكر في الخارج ، ومع هذا في تفحصنا مسألة ملك ثورنجيا نجد أن شمد لم يكتشـف في ثـورنجيا منطقة موائمة بشكل خاص لرسالته ، ذلك ان ثورنجيا كانت أيضـا المنطقة التي شغلت دورا فـريدا في صـنع هيكل التقـاليد الشـعبية المتعلقة بفردريك امبراطور المستقبل .

ومـن ١٣١٤ إلى ١٣٢٣ كان يحـكم ثـورنجيا حفيد لفـردريك الثاني هو النبيل فردريك المقدام ، وكان هناك في هذا الوقـت زمـرة ترى في هـذا (ص ١٤٣) الرجـل الوريث الطبيعـي للجـلال الامبراطوري ، وتنشر دعاية تبسط ادعاءاته ، بينما أصبح في نظـر عامة الناس شخصية إخروية ، وكان الاعتقاد على نطاق واسـع أنه يحمل علامة الميلاد المعجزة ـ الصليب الذهبـي المضيء بين لوحـي الكتف ـ وهي العلامة التي كانت مقدرة لامبراطور الأيام الأخيرة ، وكان يتوقع أن ينفذ العقاب النهائي بحق الاكليروس . وبعـد مـوته اندمجت شخصيتة فردريك المقـدام في شـخصية جـده لأمـه ، الامبراطور .

وبدا اهالي ثورنجيا يتحدثون عن فردريك الغامض الذي كان ينام في جبل كيفهاوزر والذي سيعود يوما في ابهة ليسود العالم من مملكته في ثورنجيا ، وهكذا بإدعائه انه ملك ثورنجيا كان كونراد شمد يدعى

أنه فردريك النبوءة الأخروية ، وهذا ماعناه عندما وضع نفسه في مركز المعارضة للنبيل الحاكم ، مدعيا أنه هو نفسه لديه مآثر أكبر بكثير في رصيده ، وكان عامة الناس يسمونه الامبراطور فردريك ، وعندما ادعى فردريك أنه القائم والرب المجسد ، كان هذا المهرطق الكبير يشغل بالفعل الدور الذي قدر له أن يستحوذ بعد قرن ونصف القرن على خيال ثائر الراين الأعلى .

وحتى يتم قبول من سيصبح عضوا في الطائفة كان عليه أن يقدم اعترافا كاملا لشمد وأن يجري عملية جلد بيديه ، ويؤدي قسما بالطاعة المطلقة له ، ومن هذه اللحظة ومابعدها كان الالتزام الوحيد الذي يعرفه هو الخضوع التام للمسيح ، وعلم شمد اتباعه أن خلاصهم يعتمد على موقفهم تجاهه فإذا لم يكونوا « بنعومة الحرير وليونته » في يديه ، وإذا اظهروا أدنى نضال بعد الاستقلال ، فإنهم سيسلمون للشيطان ليعذبوا جسديا وعقليا فهو كان ربهم ويجب أن يصلوا له وأن يخاطبوه « ابانا » .

وكان للذين اخلصوا لشمد جائزتهم فبإمكانهم أن يبتهجوا بالمعرفة الأكيدة بأن فيهم وعبرهم سيبلغ التاريخ البشري غايته الحقيقية،وكانوا يرون أن لطامي ١٣٤٩ كانوا يمتون إليهم بمثل درجة القرابة التي قامت بين يوحنا المعمدان والمسيح ، وفي الواقع إن المسيح نفسه لم يكن سوى بشير بهم ، وبلاشك أنه قد أرشد إلى الطريق الصحيح ، إلى الخلاص بتحمله للجلد وإنه فقط الذين يجلدون أنفسهم هم الذين يمكنهم الادعاء أنهم يتبعون الطريق إلى النهاية ، والآن إن الشريعة المسيحية قد استبدلت بشريعة اعلى (يمكن للمرء التعرف على النمط اليواكيمي المألوف) واتباع كونراد شمد هم فقط حملة هذه الشريعة ، وتماما كما حول المسيح الماء الى نبيذ ، إنهم حولوا العماد(ص ١٤٤) بالماء الى عماد بالدم ولقد ابقى الرب في الواقع افضل النبيذ للنهاية ولم يكن هذا النبيذ شيئا غير الدم الذي يسفكه اللطامون.

وكان هؤلاء الناس قانعين انهم وهم يضربون أنفسهم فإن ملاكا يدعى ـ بشكل مدهش ـ ڤينوس كان يرقبهم ، وجلودهم الحمراء كلها كانت تبدو مكسوة لحفل زفاف ، والمآزر التي يلبسونها أثناء الجلد كانوا يسمونها لباس البراءة ، ولكم كانت بهجة الأنبياء عظيمة لو أنهم عاشوا في تلك اللحظة وشاركوا في هذا اللطم المقدس ! وبالنسبة للملك داود فقد تنبأ في الواقع بهذا النعيم ، وقد دفع إلى اليأس عندما علم بأنه لن يعيش ابدا للانضمام إلى الطائفة ، حتى أنه وزوجته كانا يضربان نفسيهما كل ليلة كطريقة للمشاركة في تلك الأعمال التي كانت تسر الرب فوق كل شيء أخر ، بيد أن كل هذا لم يكن سوى تذوق للفرح الذي سيأتي ، للملكة الالفية التي ستظهر عن قريب ، وفيها يتجمع اللطامون حول امبراطورهم الرب ليشكلوا فرقة انشاد ملائكية ، وسيدعون أبناء الأمراء ، وفي هذه الأثناء ، باع كثير من أعضاء الطائفة ، وقد استنفدوا صبرهم حاجياتهم ورفضوا العمل حتى يغرقوا بسرعة في فقر مدقع .

وكما في ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ كانت دعاية اللطامين ماتزال مدعمة بالوباء ، وكانت انفجارات أصغر ولكنها منذرة بلا جدال تستمر في الحدوث كل بضع سنوات لتثير كل مرة موجة جديدة من الذعر ، وربما كان الوباء الخطير بشكل خاص في ١٣١٨ هو الذي ألهم شمد أن يعلن أن الحساب الأخير سيعقد وأن الالفية ستبدأ في السنة التالية ، ولكن بحلول هذا الزمان كان الاستجواب والتحقيق ومحاكم التفتيش كانت أيضا قد بدأت بالاهتمام بتكاثر مجموعات المهرطقين في ثورنجيا ، وأرسل محقق واضح الشدة للتعامل مع الحالة ، وكانت هناك إعدامات كثيرة ، وهناك أساس للاعتقاد بأن كونراد شمد كان أحد المهرطقين السبعة الذين أحرقوا في ١٣٦٨ في نوردهوزن على بعد خمسة عشر ميلا من جبل كيفوزر الذي منه كفردريك القائم كان يفترض انه قد ظهر ، ومرة أخرى بدأت السلطات الاكليروسية في سحق حركة اللطامين في المانيا ، وفي ١٣٧٠ حظر أسقف ورزبرغ اللطم في أسقفيته ، وبعد ذلك بعامين كان البابا يشجع التحقيق في المانيا ، والتعامل الفوري بحزم مع اي

لاطم تقع عليه الأيدي ، ولكن الحركة كانت ماتزال موجودة في الخفاء وفي ١٣٩١ ـ ١٣٩٢ وجدت مجموعات لطم جديدة بين الفلاحين والحرفيين حول هيدلبرغ واعتقد المحقق الذي قام بالتحقيق هناك أن من الأفضل أن يتجه مباشرة إلى مقر قيادة شمد القديم في ثورنجيا ، ووجد الطاعون ثائرا هناك واليهود يذبحون ، واكتشف بلا صعوبة مجموعة من االطامين المهرطقين في ايرفورت ، وأحرق قادة المجموعة ، وفرضت الكفارة على الآخرين ، بينما ببساطة هرب الباقون(ص١٤٥) .

وكانت السنوات حوالي ١٤٠٠ غير سعيدة ، وكان زمنا مضطربا لكل النصرانية ، فلقد كان الأتراك العثمانيون يتقدمون في البلقان ، وفي ١٣٩٦ أوقعوا هزيمة ماحقة بالجيش الصليبي الذي ارسله الغرب ضدهم ، واكثر مدعاة للاضطراب حتى من هذا التهديد الخارجي ، كان التفكك الذي نجم عن الصراع العظيم الذي جزأ الكنيسة بين البابوين المتنافسين ، اللذان ادعى كل منهما طاعة كل النصرانية ، وشجب الآخر كمهرطق ، وكانت فترة من الارتباك الواسع العميق التي ـ كما حدث كثيرا ـ أثبتت انها باعث عظيم للاثارة الأخروية ، وفي ١٣٩٦ رأى القديس الدومينكاني فنسنت فيرر رؤيا حول اقتراب الأيام الأخيرة ، ولاقتناعه بأن المسيح الدجال كان على وشك بدء حكمه بدأ يقود مواكب االطامين ، وفي اسبانيا ، وجنوب فرنسا وإيطاليا ، وفي ١٣٩٩ كان فلاح إيطالي قد حظي برؤيا أخروية أدت إلى تشكيل حركة للطامين اكتسحت كل إيطاليا ، وحتى في تلك الأراضي الجنوبية حيث بقيت مثل هذه الحركات بشكل عام تحت السيطرة الكهنوتية ، فإنها كانت تتمكن أحيانا من الهروب منها . وعندما هبط موكب كبير من اللطامين من مدن لومبارديا على روما أمر البابا باعتقال قائده وحرقه ، ودخل موكب من بضع مئات من حرفيي لومبارديا بقيادة أحد حواريي فيرر من المدينة نفسها بقصد شن الحرب ضد المسيح الدجال ، ولابد أن هذا ايضا كان اكثر اقلاقا للادارة البابوية ، وكانت تجربة خزينة تلك التي ادت بعالم اللاهوت البارز والحصيف ، كارلبير دي

جيرسون لأن يوجه من مجمع كونستانس في ١٤١٧ نداء بالغ الأهمية إلى فيرر للتوقف عن تشجيع الميول الشديدة الخطر على الكنيسة .

ولكن كانت جموع اللطامين المهرطقين ماتزال غفيرة في وحول تورنجيا اكثر من أي مكان .وكان هؤلاء الناس أيضا مقتنعين بأنهم يعيشون في الأيام الأخيرة ، وكانوا بتعابير الأخرويات الشعبية يفسرون حياة وموت كونراد شمد ، لقد تحدث سفر الرؤيا عن « شاهدين » كان عليهما ان يعظا ضد المسيح الدجال ويقتلان على يديه ثم يبعثان بمعجزة ، وقد عرفت الآخرويات الشعبية هذين الشاهدين بأنهما اليجا وإينوخ ، وهما شخصيتان في العهد القديم رفعا إلى السماء دون أن يمرا بمرحلة موت الجسد ، ولقد رأى اللطامون أن شمد ومساعده قريبه الذي مات معه سيتجسدان في اليجا وإينوخ في الأيام الأخيرة كشاهدين ، في حين سيكون المسيح الدجال بالطبع كنيسة روما ، غير أن المتعصبين كانوا مقتنعين ايضا بأن شمد سيعود مع ذلك مرة أخرى ليهزم المسيح الدجال ويترأس الحساب الأخير ، وبالضبط لأن (ص ١٤٦) عودة اليجا وإينوخ قد حدثت في الماضي فإنهم توقعوا المجيء الثاني في كل لحظة ، ولم يكن هناك إلا قليل من الشك في أن شمد سيكون الامبراطور الأخير إضافة إلى ابن الانسان الذي يتوقع ظهوره ، وفي وقت مبكر من القرن الخامس عشر لاحظ مؤرخ من تورنجيا كيف كانت قوة « الهرطقة السرية » حول فردريك النائم مزدهرة هناك ، وكيف كان الناس البسطاء مقتنعين بشكل مؤكد بأن الامبراطور كان يظهر من وقت لآخر بين الناس ، وكيف كانوا ينتظرون بثقة عودته كإمبراطور للأيام الأخيرة ، وانه كان من المؤكد انه ليست مصادفة أنه في المدن المحيطة بجبل كيفوزر استمرت جماعات اللطامين السرية في الوجود

وبالنسبة للبقية كانت تلك الجماعات ماتزال مدركة لارتباطها مع اسلافها ، فلقد حافظ أفرادها على طقوس حركة ١٣٤٩ وكانوا مايزالون يدافعون عن ممارساتهم بالاحتكام إلى الرسالة السماوية ، وقد حافظوا أيضا على مذهب شمد بكل نقائه ونقلوه من

الأهل إلى الأطفال بإخلاص حتى انه بعد قرن لم يتغير إلا قليلا، وقد شكلوا في الواقع طائفة محكمة التنظيم حيث كان الأطفال حديثي الولادة يعمدون بموجب ضربهم حتى يدمون .

وبشكل تقليدي استهلت الدعاوى ضد المهرطقين ونفذت من قبل الكنسية ، وكان تدخل السلطات المدنية محدود في تنفيذ الاحكام المفروضة ، وانه لأمر له اهميته الى المدى الذي يمكن ادراكه ان الامراء المحليين للمناطق كانوا دائما هم الذين يأخذون المبادرة في ملاحقة اللطامين الثورنجيين ، وفي اضطهاد هؤلاء الناس الذين كانوا في الواقع ثوار اجتماعيين بقدر ماكانوا مهرطقين ، ودور التحقيق كان في احسن الاحوال ثانويا ، وكانت هذه بالفعل هي الحالة عندما اكتشفت في ١٤١٤ ـ ١٤١٦ طائفة كبيرة من اللطامين في مدينة سانغرهورن وبعد محاكمات حاشدة نظمها المحققون والقضاة المدنيون معا احرق القائد واثنين من حوارييه كمهرطقين غير تائبين سادرين في غيهم ، وارتد الباقون واطلق سراحهم ، ولكن عندما ترك المحقق المنطقة كان الامراء في الامارات المجاورة يمسكون بكل لطام يمكنهم العثور عليه واحرق نحو من ثمانين او تسعين لطاما في ١٤١٤ ويبدو ان ثلاثمائة قد اعدموا في يوم واحد في ١٤١٦ ، وبالتأكيد كان هذا تعبيرا عن الخوف المذهل الذي اوحت به هذه الحركة في « العظيم » ، وحتى هذا اخفق في وضع نهاية للحركة .

بعد جيل في ١٤٤٦ ، اكتشف نحو عشرة من اللطامين في نورد هوزن ، وهي المدينة التي يحتمل ان شمد نفسه قد احرق فيها ، وفي هذه الحالة ايضا ، حتى اولئك الذين ارتدوا قد احرقوا ، وهذه هي طريقة من العمل يبدو انها كانت متبناة من قبل السلطات المدنية دون تصديق من الكنيسة ، ويحتمل ان لايكون ذا علاقة ان احد الضحايا كانت مهنته المعروفة هي صناعة النسيج ، وفي ١٤٥٤ جرى ثانية احراق حفنتين من اللطامين من الرجال والنساء (ص ١٤٧) في سندرهوزن : ، و كان في وقت متأخر الى عام

١٤٨٠ ان اخر (الى حد ماهو معروف) اللطـامين السريين قـد حوكم واحرق ، وهنا مرة اخرى بتحريض من الامير المحلي .

واذا لم يسمع بعد ذلك عن هذه الطائفة فـانها مـابرحت تتمتـع ببعض الاهمية من حيث ان المناطق التي كانت اكثر ازدهارا فيهـا ، كانت المناطق التي ستشهد نشاطات توماس مونتزر ، والقرية التي ولد فيها في ١٤٨٨ او ١٤٤٩ « متنبىء الفلاحين هذا » شـهدت ولادة حرب وقعت على بضـعة اميال مـن نورهـوزن ، وكذلك كان مسرح المذبحة حيث سحق جيشه الفلاحي .

الفصل الثامن

نخبة الفاسدين الخارقين للطبيعة(١)

هرطقة الروح الحرة (ص ١٤٨)

بالمقارنة مع القدر الكبير الذي كتب عن الهرطقة التي تعرف بأسماء مختلفة : الكاثارست و البيجنسيان والنيومانشيان نجد أن ادبيات هرطقة الروح الحرة أو الحرية الروحية ضئيلة في الواقع ، وهذا ليس مدهشا بمجمله ، إذ بينما تحكمت هرطقة الكاثارست تماما بالحياة الدينية لقسم كبير من جنوب فرنسا لمدة نصف قرن أو اكثر حتى تحطمت قوتها بفعل حملة صليبية غيرت تاريخ فرنسا ، نجد أن قصة اتباع الروح الحرة اقل وضوحا في دراماتيكيتها ، ومع ذلك ففي التاريخ الاجتماعي ـ تمييزا له عن السياسي الصرف ـ لغرب أوروبا شغلت هرطقة الروح الحرة دورا اكثر اهمية من الكاثارية ، والمنطقة التي امتدت فوقها كانت بمعايير القرون الوسطى واسعة ، ففي القرن الرابع عشر عندما أراد رجل في موراقيا الانضمام الى واحدة من طوائفها اقتيد عبر أوروبا حتى قدم الى واحدة في كولون ، في حين أن الاعضاء من النساء كن يتخذن طريقهن من كولون إلى طائفة في اعماق سيليزيا على بعد ٤٠٠ ميلا ، وبعد قرن مارست فرقة من الاتباع من بيكاردي نفوذا ملموسا على ثورة التابوريت في بوهيميا ، وكان لهذه الحركة قدرة استثنائية على البقاء ، لأنه مع تعرضها للمضايقة باستمرار و للاضطهاد بقيت كتقليد معروف يمكن تمييزه لنحو خمسة قرون .

إن هرطقة الروح الحرة بناء عليه تتطلب مكانا في اي عملية مسح للاخرويات الثورية ، وهذا مايزال صحيحا مع أن رجالاتها لم يكونوا ثوارا اجتماعيين ولم تجد اتباعها بين الجماهير المتمردة من

فقراء المدن ، فلقد كانوا في الحقيقة عرفانيين (غنطو سيين) ركزوا جهودهم على خلاصهم الفردي ، ولكن درجة العرفان التي بلغــوها كانت فوضوية صوفية ظاهريا ، مجرد تاكيد لحرية طــائشة مفــرطة حتى أنها تعــادل الانكار الكلي لكل نوع مــن الكبــح أو التحــديد ، ويمــــكن اعتبــــار هؤلاء الناس اســـــلافا بعيدين لبـــــاكونين Bakunin ونيتشـــــة Nietzsehe ، و بــالاحرى لأهـــل الفـــكر البوهيميين الذين كانوا خلال نصف القرن الاخير يعيشون في افكار سلف أن عبر عنهــا بــاكونيـن (ص ١٤٩) ونيتشــه في لحــظات ضلالهما ، ولكن الفرديين المتطرفين من هــذا النوع كان يمــكن ان يتحولوا بسهولة الى ثائرين اجتماعيين ـ وفعــالين في ذلك ـ فــاذا قامت حالة ثورية محتملة ، فان انسان نيتشة الخارق للطبيعة مهمــا كانت صورته بدائية فوضوية قد استحوذت بــالتاكيد على خيال كثير من « البوهيميين المسلحين » الذين صنعوا الثورة الاشتراكية ـ الوطنية ، وكان كثير من انصــار الامس القــريب للثــورة العــالمية مدينون لباكونين اكثر من ماركس ، وفي العصور الوسطى المتــاخرة كان اتباع الروح الحرة هم الذين حفظوا كجزء من عقيدتهــم حــول الانعتاق الكلي ، المذهــب الاجتمــاعي الثــوري الشــامل الوحيد في الوجود ، ومن اوساطهم خرج النظريون ليلهمــوا اعظــم التجــارب طموحا في الثورة الاجتماعية الشاملة ، التي شهدتها أوروبا العصور الوسطى على الاطلاق .

وقد اعتبرت هرطقة الروح الحرة زمنا طويلا واحدة من الظواهر الاكثر غموضا وتعقيدا في تاريخ العصور الوســطى وقــد نوقشــت طبيعتها كثيرا من قبل المؤرخين ، وكثيرا ما اقتــرح أن مثــل هــذه الحركات لم توجد على الاطلاق خــارج اللاهــوت الجــدلي للكهنة ، الذين كان همهم الوحيد تشويه سمعة وتكذيب كل مغامرة للمعارضة او الانشقاق ، ولكن هذه الشكوك يمكن أن توجد فقط لانه لم تتم آية محاولة للاستفادة من المصادر المتاحة ، وليست المصادر المعادية ـ تقاريرالاستجواب ، والانذارات والادانات التي نطق بها البــابوات

والاساقفة ، والرسائل الجدلية لعلماء اللاهوت ، ومـا كشـف عنه الاتباع المتحزرون من الوهم ـ في الحقية هي المصادر(كمـا كان يعتقد كثيرا) الوحيدة الموجودة ، وكما لاحظ الكهنة تكرارا برعب ، إن أتباع الروح الحرة قد أفرزوا أدبا مذهبيا وافرا خاصابهم ، ومع ان هذه الاعمال قد تم الاستيلاء عليها وتدميرها من قبل المحققين ، هنالك مواد ثلاثة متوفرة للدراسة ، وكانت اثنتان منهـم متـوفرتين لسنوات عديدة : رسالة تـدعى سـكويستر كاتـري (الاخـت كاترين) ، كتبت في القرن الرابع عشر بـاللهجة الالمانية للطبقـة الالمانية العالية والمتوسطة ، وحفظت بنسبتها ـ بشـكل خـاطىء تماما ـ الى الصـوفي الدومينيكاني مـايستر ايكهـارت وقـائمة عن « موضوعات العقيدة » باللاتينية اكتشـفت في صـومعة ناسـك قرب الراين في القرن الخامس عشر ، وهي بالتاكيد اقـدم مـن ذلك بكثير والموضوع الثالث هو نص صوفي طويل يدعى (مـرآة الارواح البسيطة) نسب من قبل الى صوفي اصولي غامض ، وتم الان تحديد هوية هذا النص الان من قبل الاستاذة رومانا غوارمنييري على أنه من اعمال خبيرة مشهورة بالروح الحرة ، هي مرغريت بوريت ، وقد احرقت مرغريت كمهرطقة في ١٣٠٠ وقد تحول كتابها ليصبح وثيقة رئيسة في تاريخ الروح الحرة واضطهادها .

وربما هناك نصوص اخرى مثلها ماتزال في انتظار الكشف . وفي الوقت نفسه إن ما هو متوفر بالفعل يمضي بعيدا ليظهر ان الروايات التي اعطاها الكاثوليك عن هرطقة الروح الحرة كانت (ص ١٥٠) صحيحة فعلا ، ويمكن أن تردف بادلة اخرى ، من فقرة تالية ، ففي خلال الحرب الاهلية الانكليزية وبعدها وجهت اتهامات ضد اعضـاء طائفة معينة معروفين عند خصومهم باسم الصخابين ، كانت تكرارا للاتهامات التي وجهت في قرون سالفة الى خبـراء الروح الحـرة ، ومثل كتابات مهرطقي القرون الوسطى ، فان كتـابات الصـخابين حكم عليها بالاحراق ، ولكن نسخا قليلة نجـت ، ويمكن مقارنة هذه الاعمال بالاتهامات وحتى تاريخ اعادة طبع عينات منهـا في الطبعـة الاولى عن الدراسة الراهنة كانت هذه المادة قد اهملت عمليا من قبل

مـؤرخي الروح الحـرة ، وذلك على الرغم مـن علاقتهـا الكبيرة ، والعينات المعطاة في ملحق هذا الكتاب تغطي كامل مجال ديانة الروح الحرة من اكثر جوانبها روحانية الى اكثرها جفافا ، وهـي تثبـت بشكل حاسم انه في القرن السابع عشر كانت توجد بـالفعل حـركة قريبة الشبه بتلك التي ظهرت في مصادر القرون الوسطى بصورة اقل اكتمالا ، وفي اطارها العام .

ويمكن تاريخيا اعتبار هرطقة الروح الحرة صورة محـرفة مـن الصوفية التي ازدهرت بقوة في النصرانية الغربية من القرن الحادي عشر وما بعده ، وقد انبثقت الهرطقة الصوفية والارثـوذكسية على السواء من الحاجة الماسة الى الفهم المباشر والصلة الحميمـة مـع الرب ، وكلاهما على السواء اكد القيمة الحـدسية وبشـكل خـاص لانجارب الوجدانية ، وكلاهما على السـواء قـد اثير الى حـد كبير باعادة اكتشاف الفلسفة الافلاطونية المحدثة التي اخذوا منها القسم الاكبر من جهازهم المفاهيمي ، وهنا مع ذلك ينتهي التشابه ، ولقـد عاش الصوفيون الكاثوليك تجاربهم ضـمن تقـاليد وثقـت وخلدت بكنيسة مؤسساتية كبيرة،وعندما ـ كما حدث كثيرا ـ انتقدوا هـذه الكنيسة كان هدفهم تجديدها ، وكان اتباع الروح الحرة من جـانب آخرغير موضوعيين بشدة ، ولايعترفون بسلطة على الاطلاق سـوى خبرتهم الخاصة ، وفي نظرهم كانت الكنيسة في احسن الاحوال عقبة للخلاص ، وفي اسوأ الاحوال عدوا طاغيا ـ وعلى اي حال مؤسسة بالية يجب استبدالها الان بطائفتهم ، التي نظر اليهـا كوعاء للروح الحرة .

وكمن قلب هرطقة الروح الحرة في موقف كل واحد مـن الاتبـاع تجاه نفسه ، وقد اعتقد كل منهم انه بلغ درجـة مـن الكمـال المطلق لدرجة انه لم يعد قادرا على اقتراف الاثم ، ومع ان النتـائج العملية لهذا الاعتقاد يمكن ان تختلف ، فان احـدى النتـائج المـكنة كانت « الانتينوميانيزم »

او انكار المعايير الاخلاقية ، وكان الرجل الكامل يمكنه دائمـا ان

يصل الى محصله انه كان مسموحا له ، حتى وإن لم يكن الزاميا بالنسبة له ، ان يفعل كل ما كان عادة يعتبر ممنوعا ، وفي المدنية المسيحية التي كانت تعطي قيمة معينة للعفة ، وتعتبر الاتصال الجنسي خارج اطار الزواج عملا (ص ١٥١) اثما بشكل خاص ، ومثل هذا الانكار للمعايير كان عادة ياخذ على الاكثر صورة الاتصال غير الشرعي من حيث المبدا ، وكانت الاتهامات بهذا الاتصال غير الشرعي بالطبع كثيرا ما تصدر من طائفة دينية ضد اخرى ، ولقد كانت تقنية دينية اصيلة للهجوم في الكنيسة القديمة ، كما كانت في كنيسة العصور الوسطى ، ولكن عندما وجهت ضد اتباع الروح الحرة اتخذت هذه الاتهامات مظهر مختلفا ، وما ظهر عندئذ هو صورة مقنعة تماما من الشبق كانت بعيدة عن الانطلاق من العشق والانغماس في الشهوات بلا هموم تملك فوق كل شيء ، قيمة رمزية كعلاقة على الانعتاق الروحي ، وهي بالمصادفة القيمة التي كثيرا ماتملكها « الحب الحر » في ازماننا .

وفي منطقة امتداد النصرانية الغربية ، من غير الممكن تمييز هرطقة الروح الحرة بأي تأكيد قبل بداية القرن الثالث عشر ، ومن جانب اخر فان الديانات المشابهة قد ازدهرت قبل ذلك الوقت في كل من منطقة امتداد النصرانية الشرقية واسبانيا المسلمة ، وتقريبا منذ بداياتها ، كان على الكنيسة الارمنية ان تتغلب على الطائفة الصوفية المعروفة باسم اليوخيت او الميساليين التي ازدهرت في المنطقة حول الرها في وقت مبكر يعود الى القرن الرابع ، وكان اليوخيت « رجالا مقدسين » عائمين يعيشون من التسول ، وقد طوروا شعورا ذاتيا بالقدرة والاهمية يعادل تأليه الذات ، ونكرانا للقيم كثيرا ما عبر عن نفسه في الشبق الفوضوي .

ونحو نهاية القرن الثاني عشر شهدت مدن اسبانية مختلفة وبشكل خاص اشبيلية نشاطات اخوة صوفية اسلامية ، وكان هؤلاء الناس يعرفون بالصوفية وكانوا « متسولين مقدسين » يهيمون في مجموعات من الشوارع والساحات في اسمال مرقعة متعددة الألوان

وكان المبتدئون بينهم يدربون على اذلال النفس وانكارها : وعليهم ان يلبسوا الاسمال ، وان يبقوا عيونهم مثبتة علي الارض ، وان ياكلوا المواد الغذائية المقززة للنفس ، وان يدينوا بالطاعة العمياء لرئيس الجماعة ، ولكن ما ان ينتقلوا من حداثتهم كان هؤلاء الصوفيون يدخلون عالما من الحرية التامة ، ينكرون حفظ ـ الكتب والدقة الدينية ، لقد كانوا يتمتعون بالمعرفة المباشرة للرب ـ وفي الواقع انهم شعروا بانهم متحدين مع الجوهر الالهي في اتحاد حميم للغاية ، وهذا بدوره حررهم من كل القيود ، وكل نبضة كانت امرا الهيا ، والان يمكنهم ان يحيطوا انفسهم بممتلكات دنيوية ، ويمكنهم ان يعيشوا في ترف ـ والان ايضا يمكنهم ان يكذبوا وان يسرقوا او يزنوا دون وخز ضمير ، فطالما اندمجت الروح من الداخل بالرب ، فان الاعمال الظاهرية لم يكن لها اعتبار .

ومن المحتمل أن الصوفية و قد تطورت من القرن التاسع ومابعده ، كانت هي نفسها مدينة بالكثير لبعض الطوائف الصوفية المسيحية في الشرق ، وبدورها يبدو (ص ١٥٢) انها قد ساعدت على نمو صوفية الروح الحرة في أوروبا المسيحية ، وبالتأكيد إن كل سمة من السمات التي تميزت بها صوفية القرن الثاني عشر في إسبانيا ـ حتى في كثير من التفاصيل مثل الملابس المرقعة متعددة الألوان ـ ستتم ملاحظتها كأنماط لما تبناه أتباع الروح الحرة بعد قرن أو إثنين من الزمان .

وعلى أي حال في نحو ١٢٠٠ بدأت ديانة الروح الحرة في الظهور بمثابة هرطقة متميزة تماما في المسيحية الغربية .

العموريون

في وقت مبكر في القرن الثالث عشر كان مذهب الروح الحرة قد توسع إلى نظام ديني وفلسفي شامل ، وكان هذا عمل مجموعة بالغة الأهمية ، تضم رجالا دربوا في أعظم مدرسة للديانة الأرثوذكسية في

النصرانية الغربية ، أي جامعة باريس ، وقد أعطيت الرواية الكاملة من قبل المؤرخ الألماني ، راعي دير هيسترباخ الذي كتب يقول : « في مدينة باريس ينبوع كل المعرفة وبذر الكتابات الالهية ، طبع الشيطان بالتحريض في الذهن فهما خاطئا لدى كثير من العلماء والمثقفين » ولقد كانت عدتهم أربعة عشر شخصا كلهم من الكهنة ، وقسس الأبرشيات والقصور والشماسة والقندلفتية من باريس وضواحيها ومن مدن مثل بواتيه ، ولوريس قرب أورلياناس وترويس« رجال ذوي معرفة كبيرة وإدراك » ، هكذا يكاهم المؤرخ نفسه ، وبالجملة يبدو الوصف مسوغا : إن تسعة من الأربعة عشر درسوا اللاهوت في باريس ، ويقال إن إثنين كانا في العقد السابع من العمر ، وكان قائدهم رجل اسمه وليم ، وهو أيضا كاهن مختص باللاهوت وكان يعرف بالاور يفكس مما ادى إلى اعتباره صائغا ولكن ربما كان هذا يعني أنه كان كيميائيا فلسفيا ، ذلك انه غالبا مارمز بالذهب إلى القوى السحرية الكامنة في النفس التي طمح مثل هذا الكيماوي إلى إيقاظها .

وجزئيا بسبب حماقة وليم ، أو التجسس المنظم بواسطة اسقف باريس ، اكتشف المهرطقون وطردوا . وباستجوابهم في مجمع عقد برئاسة رئيس اساقفة سنز، ارتد ثلاثة وحكم عليهم بالسجن مدى الحياة ، ولكن البقية صرحوا علنا بمعتقداتهم الهرطقية واحرقوا طبقا لذلك ، وحتى في لحظة الموت لم يظهروا أي علامة على الندم .

ويمكن لتعليق المؤرخ أن يستحضر في الذهن جو تلك اللحظة : « وهم يقادون للعقاب قامت عاصفة غاضبة حتى لم يشك احد في ان الهواء قد أثير من قبل الكائنات التي اغوت أولئك الرجال ، الذين أصبحوا الآن على وشك الموت ، بسبب ذنبهم العظيم ، وفي تلك الليلة طرق الرجل الذي كان رئيسا لهم باب إمرأة معتزلة . واعترف بذنبه في (ص ١٥٣) وقت متأخر جدا وأعلن انه كان الآن ضيفا هاما في الجحيم ومحكوم عليه بالنار الأبدية » وكان المعلم الفلسفي لهؤلاء المتعصبين عموري أوف بين محاضرا لامعا في المنطق واللاهوت في

جامعة باريس ، وقد تمتع هذا الرجل في وقت واحد بهيبة عظيمة وبرعاية البلاط الملكي ، وكان بين أصدقائه عدد من الشخصيات البارزة بينهم زوجة الابن البكر للملك وكانوا متأثرين بأفكاره ، ولكن في النهاية وقد شجب أخيرا لتعليمه مذهبا خاطئا ، أدين من قبل البابا وأجبر على الارتداد العلني ، وقد حطمت هذه التجربة روح عموري ، فلزم فراشه وبعد فترة قصيرة ـ في ١٢٠٦ أو ١٢٠٧ ـ توفي ، وعندما اكتشفت هذه الطائفة المهرطقة بعد ذلك بعامين أو ثلاثة أعلن الاكليروس على الفور مسؤولية عموري وأطلقوا على المهرطقين اسم « المريكان أو العموريين » . وقبل إعدامهم بالفعل عممت رسالة مضادة للعموريين ، وبعد بضع سنوات ، في ١٢١٥ كان الكاردينال روبرت أوف لورسون القاصد الرسولي ، الذي كان مخولا بصياغة القوانين للجامعة دقيقا في منع كل دراسة « لملخص مذهب عموري المهرطق » . وفي مجمع اللاتيران للسنة نفسها أصدر انوسنت الثالث حكمه في مرسوم قال فيه : «إننا نشجب وندين العقيدة المنحرفة لعموري العاق ، الذي كان قد أعمى عقله أبو الكذب حتى أن مذهبه لايعتبر هرطقة بقدر ماهو جنون » وفي الوقت نفسه الذي أحرق فيه أفراد الطائفة نبشت عظام عموري ونقلت إلى أرض غير مقدسة .

وكل ماهو معروف بشكل مؤكد عن مذهب عموري انه كان من الصوفية المؤمنين بوحدة الوجود ، التي تدين بالكثير لتقاليد الأفلاطونية المحدثة وبشكل خاص للشرح الأفضل للافلاطونية المحدثة الذي تم في أوروبا الغربية بعنوان « اقسام الطبيعة » لجوهان سكوتس إريجينا . وهذا الكتاب الذي كان عمره ثلاثة قرون ونصف القرن لم تسلف إدانته بالهرطقة من قبل ، ولكن الفائدة التي استمدها عموري منه أدت إلى إدانته من قبل مجمع سنز في ١٢٢٥ ، وحامت الشكوك أيضا حول الملخصات العربية والحواشي على ارسطو التي كانت قد بدأت لتوها تظهر مترجمة إلى اللاتينية في باريس،وأدان المجمع الذي أدان العموريين أيضا هذه الأعمال وأبدى كورسون تحفظات ضد دراستها في قوانين الجامعة

في ١٢١٥ ، وإنها حقيقة غريبة انه لدى أول ظهور للعملاق الفكري في أوروبا الذي كان عليه أن يضع إطار الفلسفة الأصولية للعصور الوسطى قد حظر للشك في إلهامه لعموري أوف بين ، ولكن هناك القليل في أي من هذه التأملات الميتافيزيقية الغيبية مما يفسر المذهب المتفجر الذي اكتشف في ١٢٠٩ .

وسيكون دائما موضع شك مدى مسؤولية عموري الحقيقية عن مذهب العموريين . (ص ١٥٤) لقد كان عموري فيلسوفا محترفا ، وكانت للعموريين اهتمامات مختلفة تماما في كل تعليمهم الجامعي ، فلقد كانوا متنبئين غير مهتمين بالأفكار المجردة بل بالاشتغال بالانفعالات المضطربة في دنيا العامة ، وكان حقيقيا بالنسبة لهم كما بالنسبة للمتنبئين الآخرين أنهم فرضوا أنفسهم كرجال مقدسين موهوبين بالقوى المعجزة ، وعلق واحد من خصومهم عليهم بقوله : « خارجيا في الوجه والقول ، تبدو عليهم سيماء» ، وكان لهذا السبب بالتأكيد أن تعاليمهم كانت مقبولة بلهفة ، وعلاوة على ذلك كانوا مثل معظم الوعاظ « الرسوليين» قد عملوا في المراكز التجارية الكبيرة ، وكان معقلهم الرئيس على مايبدو ترويس في شامبين وكانت في حينه المدينة الأكثر اهمية على الطريق من فلاندرز إلى ليون ، وفي ترويس اعتقل فارس بدا أنه كان من أتباع العموريين وأحرق في ١٢٢٠ ، وترددت في ليون أصداء الهرطقة في وقت متأخر يعود إلى ١٢٢٥ . ووجد الجاسوس الذي تغلغل في الطائفة نفسه هائما مع عدد من المبشرين في أنحاء مقاطعة شامبين ، وكانت شامبين مثلها مثل فلاندرز أرضا فرض فيها سلسلة من الحكام الأقوياء السلام وبذلك تمكن السكان من النمو ومن تطوير التجارة والصناعة ، ووجدت هناك صناعة أقمشة مزدهرة ، كما وإن هناك ملتقى للطرق التجارية من البحر المتوسط إلى ألمانيا ومن فلاندرز إلى وسط وشرق أوروبا ، ومع القرن الثالث عشر كانت المعارض الكبيرة في شامبين قد أصبحت مراكز كبرى للتجارة ، وفي تلك المنطقة المتمدينة الكثيفة السكان كان المبشرون ينتقلون من اجتماع سري إلى آخر ، حيث كانوا يغيبون في حاله من

الوجد ويرون الرؤى ، وكانوا يعظون بنصوص من الكتب المقدسة ويفسرونها تفسيرا هرطقيا ، وهكذا كما اخبرنا كانوا يغوون أعدادا غفيرة من الناس الابرياء . بل حتى لقد انتجت الطائفة أدبا خاصا بها يصلح لاستعمال العامة ، وقد أدان مجمع باريس ، إلى جانب التأويلات الباطنية الأرسطوطالية كثيرا من الأعمال الدينية الشعبية الصرفة التي كانت كلها باللغة العامية .

وقد حافظ العموريون على مبدأ معلمهم في وحدة الوجود ولكنهم اعطوه محتوى عاطفيا قويا ووجد المجمع انهم كانوا يتحدثون بلغة أن الله والطبيعة شيء واحد وأن الكون المادي والانسان ليسا إلا مظاهر للذات الالهية ، وصرحوا في إحدى المناسبات بعيقدة أنهم يرون « الأشياء واحد لأن كل ماهو كائن هو الله » ولكن ما هو اكثر إثارة للدهشة هو النتيجة التي استخرجها احد الثلاثة من زعماء الفتنة من هذا الافتراض : « لقد تجرأ على التأكيد على أنه إلى الحد الذي كان فيه لايمكن أن تلتهمه النار ولا أن يعذب ، لأنه عند الحد الذي كان فيه ، كان هو الرب » . ويمكن للمرء أن يلمس الأفلاطونية المحدثة

ولكن مثل هذه القوة بالتأكيد ، في رجل يحاكم طلبا لحياته ، لاتستمد من مجرد تأمل في وحدة الوجود • ومصدرها في الواقع كامن في مكان آخر ، لقد كمن في صوفية الروح الحرة ، وعندما ادعى العموريون أن كل واحد منهم كان مسيحا وروحا مقدسة ، عنوا كل ما عناه تانشيلم وكانوا قانعين أن ما تعتبره الديانة المسيحية معجزة فريدة للتجسد قد تكررت الآن في كل واحد منهم •

و كانوا في الواقع يعتقدون أن التجسيد كما حدث في المسيح قد تم تجاوزه ، لأن هؤلاء المتنبئين ـ الفرنسيين ـ قد توصلوا إلى تفسير للتاريخ ذي شبه مدهش بتفسير يواكيم أوف فيور ، و مع ذلك فقد استمدوا نتائج مختلفة جدا منه حيث أنهم في ذلك التاريخ ، المبكر كانوا بالكاد قد عرفوا الكثير حول المذهب الدفين في مخطوطات دير الكالابري،و مثلهم مثل يواكيم رأى العموريون التاريخ مقسما

الى ثلاثة عصور ، تتوافق مع الشخصيات الثلاثة للثالوث المقدس ، و لكن خلافا له ، اعتقـدوا أن كل عصر له تجسـيده الموائم ، و مذ بداية العالم حتى مولد المسيح تصرف الأب وحده ، و قـد تجسـد في ابراهيم ، و ربما في الأنبياء الآخرين للعهد القديم أيضـا ، والعصر منذ ميلاد المسيح كان عصر الابن ،ولكن الآن كان بـدء عصر الروح القدس ، الذي سوف يستمر حتى نهاية العالم ، وقدر لهـذا العصر ان يتميز بآخر واكبر التجسيدات ، لقد كان دور الروح كي يستخدم الجسد وكان العموريون أول الرجال الذين فعل بهـم ذلك ، او أول «الروحانيين» ، كما دعوا أنفسهم.

و لم يتوقع العموريون أن يبقوا الأربـاب الأحياء الوحيدين على وجه الأرض ، بل بالأحرى انهم سـيقودون الجنس البشري كله الى الكمال ، و من خلالهم ستكلم الروح القدس العالم ، ولكن كنتيجـة لنطقها سيصبح التجسد أكثر عمومية ، حتى يصبح شاملا في وقـت قريب ، وتحت ارشاد «الروحـانيين » كانت الدنيا تـدخل عصرهـا السامي ، وفيه يصبح كل رجل ويعرف في نفسه أنه اله وقد تنبـأ انه «خلال خمس سنوات» ، سيكون كل الرجال روحانيين حتـى ان كلا منهم سيكون قادرا على أن يقول :« انا الروح القدس» ، وقبـل ان «يكون ابراهيم انا» ، تماما كما استطاع المسيح ان يقـول«انا ابـن الله» و «قبل ابراهيم انا» و مع ذلك ان هذا لم يعـن انه في الايمـان العموري بالأخرويات لم تعد المملكة محفوظة لصفوة القـديسـين ، و كانت أفكار أولئك المفكرين الغامضين منصـبة في تعـاليم التخيلات المسائحية التي كانت شائعة بين الجماهير ، و قد تنبأ وليم الصايغ انه خلال هذه السنوات الانتقالية الخمسـة نفسـها سـيمر العـالم بسلسلة من الكوارث - «المحن المسائحية» - التي سـيهلك فيهـا غالبية الجنس البشري ، حيث يقتل بعضهم في الحروب والمجاعات ، ويبتلع آخرون في هاوية الأرض ، وتلتهم بعضـهم النار النازلة مـن الأعلى ، مما يوضح بدرجة كافية«ان بقية صالحة » كان يتـوقع أن تنجـو لتتـذوق مبـاهج الألوهية ، علاوة على ذلك لم يعـد عصر (ص ١٥٦) الروح لدى العموريين كما كان بين اليواكيميين الالمان

يطرد التخيلات الأقدم المتركزة في الامبراطور الأخير ليحل محلهـا ، إن سنوات الاضطراب الخمسة قدر لها أن تبلغ أوجها في هزيمة المسيح الدجال وجنوده ، الذين لم يكونوا سوى البـابا و كنيسة روما ، وبعد ذلك ستكون كل الممالك تحت هيمنة ملك فرنسا ، و كان في البداية الملك الحاكم فيليب أوغسطس ، و لكن فيما بعد صديق عموري وراعيه ابن الملك البكر ، الذي لن يموت أبدا ، بل سيحكم العالم إلى الأبد في عصر الروح . و« سيعطى ملك الفرنسيين اثني عشر رغيفا ، بمعنى (يمكن للمرء أن يفترض) أن لويس الثامن سيكون مسيحا ثانيا ، و سيكون مثله مثل تانشيلم تماما ، واستاذ هنغاريا ، سيترأس مجلسا سريا أو مجمعا مقدسا من اثني عشر صيغ على نمط الحواريين الاثني عشر.

و كان يعتقد أن العموريين - و ربما كان ذلك صحيحا - صوفية متناقضين. ورأى راعي دير القديس فيكتور قرب باريس - الدير الذي كان في ذلك الوقت يتزعم كل النصرانية الغربية في النظرية و التطبيق الصوفي - ضرورة لتحذير رهبانه من تلك النتائج الخطيرة لتلك الصوفية المنحرفة « لئلا تتلوث تلك المدينة ، منبع المعرفة بهذا الوباء » . وصاح «هناك بدع تجديفية دنسة » يأتي بها اناس هم من حواريي ابيقور بدلا من المسيح ، وبالخداع الخطر يكدون سرا ليقنعوا الناس ان المذنبين لن يعاقبوا قائلين ان الخطيئة لاشيء، حتى ان أي إنسان لن يعاقب عليها من قبل الرب ، واذا كانوا ظاهريا في الوجه والكلام يبدون ورعين فـان جدارة هـذا الورع تنكر داخليا ، في عقولهم وفي خططهم السرية ، ولكن الجنون الفائق والزيف البالغ الوقاحة هو ان هؤلاء الرجال لايخشون ولايخجلون من القول بأنهم الرب ، أي حمق بلا حدود ، أي جراة بغيضة ان زانيا ، عشيقا ذكرا ، يوقع الكآبة في النفس بالعار وسوء السمعة ، وعاء للخطيئة ، يدعى ربا » وهنا كما حدث كثيرا افراط في تقدير الذات يعبر عن نفسه فوق كل شي بالفسق الشامل : « لقد ارتكبوا الاغتصاب والزنا والاعمال الأخرى التي تمنح السرور للجسد ، ووعدوا النساء اللواتي أثمن

معهن ، والبسطاء الذين خدعوهم بأن الخطيئة لن تعاقب » ، لقد كان هذا اعتراضا سيلفظ مرات ومرات وبسبب جيد ، خلال القرون التالية .

علم اجتماع الروح الحرة

إنه صحيح بالنسبة لكل حركات الهرطقة الكبيرة من أواخر العصور الوسطى انه يمكن فهمها فقط في اطار ديانة الفقر الطوعي ، عندما ظهرت من القرن الثاني عشر ومابعده (ص ١٥٧) ثروة لم يسمع عنها من قبل في غرب أوروبا ، واستمتع معظم الذين استطاعوا ، بالفرص الجديدة للترف والتباهي ، ولكن كان هناك دائما بعضا من راوا في المباهج الجديدة إغراءات كثيرة للشيطان وشعروا بأنهم مدفوعون لشجب كل الصفات الملكية ، والسلطة والمزايا والنزول الى الجماهير التي خربها الفقر ، وطالما أن التضاد بين الغنى والفقر كان مذهلا الى حد بعيد في المدن أكثر منه في الضياع ، فقد كان في المدن ان احرز العوز اهميته الخاصة

وكان التلهف على التخلي الطوعي غير محصور في أي طبقة واحدة ، فقد كان يمكن الشعور به احيانا في طبقة التجار ، التي كانت بين كل الطبقات تستاثر بأكبر المنافع المادية في الظروف الجديدة و جاء أكثر المتحولين شهرة الى الفقر الطوعي ، بطرس فالدو مؤسس طائفة الهرطقة المعروفة باسم الفالدونيين والقديس فرانسيس كلاهما من تلك الطبقة ، وكانت ادنى طبقات الكهنوت المدني التي كانت تلقى المدد والتعزيز من الطبقة الأدنى من المجتمع كانت ايضا قلقة مشوشة ، وكان كثير من الكهنة يحتجون على الأبهة والدينونة التي يغرق فيها الاساقفة والمطارنة الكبار ويهجرون ابرشياتهم لاتباع حياة فقر كلي ، وشعر العديد من رجال الدين والكتاب في الرهبانيات الدنيا ـ والمفكرين وهم كثيرا ماكانوا من ذوي التعليم الكبير ـ بدافع مماثل ، وليس هناك من

شك انه طالما ان الفلاحين والحرفيين يمكنهم الانضمام الى حملة صليبية او موكب لطامين ، وبذلك يستطيعون احيانا استبدال فقرهم الطبيعي ، الذي كان لامفر منه بعوز ارادي اكثر تطرفا ، وعليه كانوا يشعرون بانهم اهل للمكافأة ، وفي الأوصاف المعاصرة للفقراء الطوعيين هناك اشارات كثيرة للنساجين ، واذا كان كثير من هؤلاء في القرن الثاني عشر من الزاهدين الذين في طلبهم للفقر أصبحوا عمالا في الصناعة الوحيدة التي كانت متطورة بدرجة كافية لاستخدام العمالة المؤقتة فانه من القرن الثالث عشر ومابعده انضم اليهم بالتأكيد حرفيون حقيقيون .

وقد شكل الفقراء الطوعيون طليعة اجتماعية وسياسية قلقة غير ثابتة ، وكان أعضاؤها يتنقلون باستمرار على طرق التجارة من مدينة لأخرى ويعملون على الأغلب في الخفاء ويجدون من يستمع اليهم ، واتباعا بين كل العناصر القلقة المشوشة في مجتمعات المدن ، وقد رأوا في انفسهم فقط الأشباه الحقيقيين للرسل ، وفي الحقيقة للمسيح ، وسموا طريقتهم في الحياة « بالرسولية » وصعودا الى منتصف القرن الثاني عشر كان لهذا السبب اكثر منه بسبب اي مذاهب دينية غريبة انهم كانوا احيانا يدانون بالهرطقة ، ولكن منذ النصف الثاني للقرن الثاني عشر ومابعده اظهرت تلك الحشود من الطوافين « المتسولين المقدسين » من كلا الجنسين استعدادها لتمثل اي ، لابل ، كل مذهب للهرطقة كان موجودا ، واذا كان الكثيرون قد أصبحوا كاثاريين او فالدونيين (ص١٥٨) او يواكميين كان هناك ايضا من اصبح من اتباع وناشري هرطقة الروح الحرة ، وحدث بالفعل حوالي ١٢٣٠ في مقاطعة تانشيلم القديمة ـ انتويرب ـ ان كان هناك شخص اسمه وليم كورنيس يبين مدى سهولة الجمع بين السمات الخارقة للطبيعة التي كانت سمة مميزة جدا لتلك الهرطقة وديانة الفقر ، اراديا او ليس اراديا تماما ، وبالنسبة لهذا الرجل الذي تخلى هو نفسه عن مرتبة كنسية ذات دخل من اجل اتباع الحياة « الرسولية » اعلن انه في الوقت الذي كان فيه الرهبان

ملعونين تماما لعدم التزامهم بالفقر التام ، كان الفقــر الذي يتبــع بشكل كامل يمحو كل الخطايا ، وتبع ذلك انه الفقير كان يمكنه مثلا ان يزني دون ان يكون أثما ، وبالفعل يقال ان كورنيلس نفســه كان « مستسلما تماما للشــبق » وبعــد عشرين ســنة واكثــر كانت السلطات الاكليروسية مازالت تحاول استئصال مثل هذه الأفكار من بين ســكان انتــويرب ، وفي حينه كان الناس يتمســكون بــأن كل الأغنياء فاسدون بسبب البخــل ، وكانوا ملعــونين بشــكل مــؤكد حتى أن امتلاك غيار مــن الملبس كان يشــكل عقبــة في طـــريق الخلاف ، وأن يدعو رجــلا غنيا للعشــاء كان ذنبــا عظيمــا ، لأن الصواب ان تأخذ من الغني من أجل ان تعطي الفقير ، ولكن الفقراء من جانب اخر كانوا بالضرورة في حالة من النعمة لايمكن للانغماس الجسدي بأي طريقة ان يفسدها .

وفي وقت مبكر من القرن الثالث عشر ظهــرت مــراتب الرهبــان المتســولين الكبيرة ، ، الفــرنسسكان ، والدومنيكان وبـــدأت بمساعدة من الكنيسة تفعل الكثير مما كان المهراطقين الرســوليون يفعلونه لمعارضة الكنيسة ، وقــد انضــمت نخبــة الى تلك المراتــب كوعاظ متجوليين وكانوا يطبقون الفقر وكل نوع من انواع انكار الذات ، وكسبوا إخلاص جماهير المدنيين وفي الوقت نفسه انضمت اعداد كبيرة من أهــل المدن الى الفــرنسسكان ومــرتبة الدومنيكان الثالثة ، وبينما كانوا يعيشون في المجتمع كعامة الناس فانهم كانوا ينافسون الأخوة الرهبان النظاميين في زهدهم ، وبــاقرار مــراتب الرهبان المتسولين كانت الكنيسة لفترة من الزمن قادرة على التحكم والاستفادة من الطاقات الانفعالية الي كانت تهــدد امنهــا ، ولكن بالفعل بحلول منتصف القرن أصبحت هذه الطــريقة مــن التصريف اقل فعالية حيث فقدت المراتب كثيرا من حماسها الاولى ، واصــبح زهدها اقل صلابة ، وضاعت هيبتها بالتالي ،ووجــدت الكنيســة نفسها مرة أخرى في مواجهة مجمــوعات مســتقلة مــن الفقـــراء الاختياريين ، وانفصــلت المجمــوعات ذات الزهــد المفــرط على اختــلافها في اوروبـــا عن الجســـم الرئيسي للفـــرنسسكان

والفراتيسللي ، ومن جانب اخر شهد شمال أوروبا احياءا كبيرا للروح الحرة (ص١٥٩)

وبدات هرطقة الروح الحرة بعد كبح دام نحو نصف قرن ، تنتشر بسرعة مرة اخرى نحو نهاية القرن الثالث عشر ، ومن حينه ومابعد حتى انتهاء العصور الوسطى انتشرت بوساطة الرجال الذين كانوا عادة يعرفون بالبيغرد الذين كونوا نظائر غير رسمية من العامة لمراتب الرهبان المتسولين ، ولقد كانوا هم ايضا من الرهبان المتسولين ـ يحتمل في الواقع انه من اسمهم تم اشتقاق الكلمتان الانكليزيتان : beg يشحذ و begger شحاذ ـ وكانوا يترددون على المدن ويطوفون في الشوارع في مجموعات صاخبة يصرخون طلبا للصدقات ويصيحون صيحتهم المتوسلة المميزة : الخبز من اجل الله » ! وكانوا يلبسون حللا تشبه بالأحرى حلل الأخوة الرهبان مع انها مصممة خصيصا لتختلف عن تلك في بعض التفاصيل ، وكان الثوب احمر احيانا واحيانا مشقوقا من الخاصرة الى الأسفل ، ولتأكيد مهنة الفقر كانت قلنسوة الرأس صغيرة ومغطاة بالرقع ، وكان البيغرد مجموعات رهبانية أخوية صعبة التحديد وغير مستقرة تجول في العالم ، كما قيل لنا ، مثل الرهبان المشردين وعند أقل اضطراب او ازعاج يفرون ، منقسمين الى جماعات صغيرة ، تهاجر من جبل لجبل مثل بعض العصافير الغريبة ، وكان هؤلاء « الشحاذون القديسون » الذين عينوا انفسهم مليئين بالازدراء للرهبان والأخوة الذين يعيشون حياة سهلة رخية ، ومغرمين بمقاطعة الخدمات الكنسية ، ولاصبر لهم على التنظيمات الاكليروسية ، وكانوا يعظون كثيرا دون تخويل ، لكن بنجاح شعبي كبير ، ولم يلتزموا بأي مذهب هرطقي معين في العادة ، ولكن مع بداية القرن الرابع عشر ادركت السلطات الاكليروسية ان بينهم عدد من المبشرين بالروح الحرة .

وبشكل سطحي بدا المهرقطون من البيغرد او (كما أصبحوا

يسمون في القرن الرابع عشر) أخوة الروح الحرة انهم ليسوا اقل زهدا من المهرطقين « الرسوليين » للاجيال القديمة ، واستوطن بعضهم قرب المدن وعاشوا كنساك ، على العطايا التي كان يجلبها لهم المعجبون ، وفي حالة واحدة على الاقل في كولون شغلت طائفة من البيغرد المهرطقون « بيتا للفقر الطوعي » وعاشت على الصدقات التي امكنهم جمعها من الشوارع ، وكثيرا ماكان مثل هؤلاء الناس يتبعون الحياة الهائمة نفسها بلا ممتلكات ولابيوت مثل البيغرد الآخرين ، ولم يكن لبعضهم اي مقر ثابت بالمرة ، ولايحملون شيئا ويرفضون الدخول الى اي بيت ويصرون على البقاء في الطريق يأكلون اي طعام يقدم لهم ، و – مرة أخرى مثل بقية « الفقراء الطوعيين » ـ كانوا يشملون اناسا ينحدرون من اسلاف اجتماعية متنوعة جدا ، واذا سمعنا عن اخوة للروح الحرة ممن كانوا حرفيين ، فاننا نسمع عن آخرين ممن جاءوا من عائلات مزدهرة راسخة الأصول ـ ومن اخرى ايضا ـ كما في كل الحركات المسائحية ـ جاءت من الطبقات الأقل ثراء من اهل الفكر الذين كانوا يشكلون الطليعة السياسية والاجتماعية : رهبان سالفون وكهنة وكتاب من مراتب صغيرة ، ولكن الكل على السواء يبدو انهم كانوا مثقفين وواضحين : ومرات ومرات نجد ان الكهنة الذين كان عليهم محاربة هؤلاء الناس فزعين من الدماثة والبلاغة في تعليمهم ، ومن (ص١٦٠) المهارة التي كانوا يعالجون بها المفاهيم الدينية العويصة والمبهمة .

ومثل أي متنبيء آخر كان الواحد من اتباع الروح الحرة يدين بصعوده لسمعته في الزهد ، التي تعتبر كضمانة تقوي صنع الأعمال الخارقة ، وجزئيا لمؤهلاته الشخصية من البلاغة والوقفة والقدرة على الاحتمال ، ولكن الاتباع الذين كان يبحث عنهم كانوا مختلفين عن أتباع المتنبئين الآخرين ، انه لم يكن يروق لمن لااصل لهم والمشوشين الفقراء بل للناس الذين لديهم اسبابا أخرى اقل دفعا للشعور بالضياع والاحباط : للنساء ولاسيما غير المتزوجات والأرامل في الطبقات العليا من المجتمع المدني ، وبسبب الحروب

المستمرة الى حد ما ، والنزعات ، وجزئيا بسبب البتـولة في هـذا القطاع الكبير جدا مـن السـكان الذكور الذين شـكلوا الأكليروس النظامي والمدني ، كان عدد النساء دائما يفوق كثيرا اعداد الأزواج المحتملين ، وفي طبقـات الفـلاحين والحـرفيين كانت العـوانس والأرامل يمتـهن الصناعة والزراعة ، وفي الأرستقراطية منها كان يمكنهن دائما ان يصبحن راهبات ، وبـالنسبة للنسـاء المولودات في عائلات أغنياء التجار ، من جانب أخر ، لم يقدم مجتمع العصـور الوسطى دورا معروفا سوى الزواج ، وليس مدهشا ان العـوانس والأرامل ـ اللواتي لاحاجة لهن للعمل وحتى بـدون واجبـات منزلية يؤدينها ، ولايشغلن رتبة محددة ولايتمتعن بأي تقدير اجتماعي ـ كثيرا ماكن يتشوقن بالقوة نفسها كسائر الجماهير من الفقراء الى مخلص ما ، الى رجل مقدس بمساعدته يمكنهن بلوغ تفوق بالكمال نفسه الذي عليه ضعتهم ، وفي كل الأزمات شغلت نساء كهؤلاء دورا كبيرا في حركة هرطقة الروح الحرة وعن العمـوريين علمنا بـالفعل انهـــن عملن كمـــرشدات روحيات غير مخــــــولات « في بيوت الأرامل » ، وعندما قبض عليهن جرى ايضا احضار عدد كبير من التابعات من الأناث الذين « افسدوهن وخـدعوهن » الى بـاريس لاستجوابهن ، وفي اجيال تالية وحتـى نهـاية العصـور الوسـطى

كانت الحركة مدينة بالكثير للنساء المعروفات باسم البيغـوين ـ نساء المدن ـ وكثيرا ماكن من اسر ثرية ، كرسـن أنفسـهن لحياة دينية بينما كن يتـابعن الحياة في الدنيا ، وخـلال القـرن الثـالث عشر ، اصبح البيغوويين عديدات جدا في المنطقة التـي تعـرف الآن ببلجيكا ، وفي شمال فـرنسا ، وفي وادي الراين ـ وكان في كولون الفين من البيغوويين ـ وفي بـافاريا وسـط المانيا في مـــدن مثـــل مغدبرغ ، وكعلامة على حـالتهن تبنى هؤلاء النسـاء لبـاسا دينيا عبارة عن رداء ذا قلنسوة من الصوف الرمادي او الأسود وحجـابا

ولكن لم تكن هناك طريقة واحـــدة شـــائعة بـــالنسبة لهـــن جميعا ، وعاش بعضهن حياة ـ باستثناء بعض التوجيهات الدينية العامة اختلفت قليلا عن حياة النساء الاخريات ، لقد كن يعشن مع عائلاتهن (ص ١٦١)او يسـتمتعن بـدخل خـاص ، او يدعمـن

انفسهن بالعمل ، وكانت أخريات يعشن حياة غير مرتبطة كراهبات متسولات جوالات : نظيرات حقيقيات من الاناث للبيغزد ، ومعظم البيغوبين على أي حال كن يشكلن انفسهن في جماعات دينية غير رسمية ، ويعشن معا في بيت او مجموعة من البيوت ، وبالنسبة للكنيسة كانت هذه الحركة النسائية واسعة الانتشار تمثل المشكلة نفسها ، مثل اختها الحركة « الرسولية » بين الرجال وبالفعل في النصف الثاني من القرن الثالث عشر جذبت البغويات المتسولات اللائي يستجدين اما لأنفسهن او نيابة عن جماعة ما ، شك السلطات الكهنوتية ، والى جانب نظرائهن البيغرد تمت ادانتهن من قبل مجلس ابرشية ميتز في ١٢٥٩ ، وقد تكررت الادانة في ١٣١٠ ، وقد حرمت هذه المجالس « الشحاذين المقدسين »، الذين كانوا يميزون انفسهم بالسلوك واللباس عن المسيحيين الآخرين ، وأمرت بطردهم اذا رفضوا اصلاح طريقتهم من كل الأبرشيات ، وفي الوقت نفسه بدأت أصولية البيغويين تصبح مسألة موضع بحث من جديد ، وفي وادي الراين كان الرهبان ممنوعين من الكلام مع أي بيغويين الا في كنيسة او في حضور شهود وبالنسبة للراهب كان دخول بيت البيغويين يستلزم العقاب بالحرمان ، وتضمنت التقارير حول الاساءات في الكنيسة التي تقدمت للاعداد من اجل المجمع المسكوني في ليون في ١٢٧٤ ، شكاوى عديدة ضد البيغويين ، وروى أحد الفرنسسكان من تورناي أن البيغويات مع أنهن كن غير مدربات في اللاهوت كن مبتهجات بالأفكار الجديدة المفرطة الصقل فلقد ترجمن الكتب المقدسة إلى الفرنسية ونشرن خفاياها ، وحاضرن فيها بلا وقار في اجتماعاتهن وفي الطرقات ، وكانت الأناجيل العامية المليئة بالأخطاء والهرطقات متوفرة للعموم في باريس ، وشكا أسقف ألماني شرقي من أن أولئك النسوة كن كسولات منهمكات في نشر الشائعات وشريرات يرفضن إطاعة الرجال بذريعة أن الرب يخدم بشكل افضل مع الحرية .

ولم يكن لدى البيغويين مقاصد هرطقية عملية ثابتة ، ولكن كانت لديهن رغبة عميقة لأكثر صور الخبرات الصوفية تزمتا ، وكان

يشارك في هذه الرغبة بالطبع كثير من الراهبات ، فقط لأن صــوفية البيغويين كان فيها إغراءات كانت الراهبات عادة ممنوعات منهــا ، وكان ينقص البيغوبين تنظيم المراتب النظامية ، وفي الوقت نفسه لم يحظين بإشراف مناسب من الاكليروس المدني ، الذي كان تعــاطفه قليلا مع هذا التدين العصري الجريء ، وإنه حق أن أخــوة الرهبنة كانت أفضل قدرة على توجيه الطاقات الانفعالية لدى تلك النســوة ، ولهذا خدمت الكنيسة ولم تهددها ، وفي النصــف الأول مــن القــرن الرابع عشر كانت كل جمــاعات البيغــويين تقــريبا منتســـبة إلى الفرنسسكان والمراتب الثالثة من الدومينيكان . (ص ١٦٢) ولكن أخوة الرهبنة لم تنجح أبدا في السيطرة على الحركة كلهــا ، وبــدقة نجد بين أكثر البيغويين زهدا بعضا ممــن قبلن كمــوجهين روحيين لأنفسهم ليس واحدا من أخوة الرهبانية بل من أخوة الروح الحرة .

وبحلول ١٣٢٠ دفــع الاضــطهاد بحــركة الروح الحـــرة إلى السرية ، وبعد ذلك بدا أن البيغرد المهرطقين قد أصبحوا أقل تسولا وأنهم قد اعتمدوا بــالاحرى على فهــم تآمــري كانوا قــادرين على تطويره باتفاق مع بعض طوائف البيغويين .

وعندما كان مبشر من الروح الحرة يدنو من مثل هذه الجمــاعات كان يؤخذ على الفور ويقــدم له المأوى والطعــام ، وتحــت قســـم المحافظة على السرية أرسلت الأخبار إلى جماعات ميالة للتعــاطف إن « ملاك الكلمة الالهية » قد وصل وإنه ينتظر في مخبئه ، وتــدفقت جماعات البيغويين من كل صــوب للاســتماع إلى الرجــل المقــدس وكان البيغرد يعظ بمذهبه الصوفي ، المغلف بعبارات معقدة ، وكما قال أحد المؤرخين : « بكلمات لطيفة بشــكل لايصــدق وبــروحانية سامية وغيبية بقدر ما يمكن للسان الألماني أن يتــدبرها » ، ولهــذا نجد البغويين يعلن وهن منتشيات أنه « رجل له شــبه كبير بــالرب والفة عظيمة معه » . وكان بهذه الوسيلة وفي هذا الوسط أن حفــظ المذهب وتطور وأصــبحت الفية الروح الحــرة امبــراطورية خفية ، تمسك بها معا روابط عاطفية ـ التي بالطبع كثيرا ماكانت روابــط جنسية ـ بين الرجال والنساء .

الفصل التاسع

نخبة الفاسدين الخارقين للطبيعة (٢)

انتشار الحركة :

مذ زمن العموريين ووليم كورنيلس (ص ١٦٣) من الممكن تتبع انتشار هرطقة الروح الحرة عبر مناطق واسعة من أوروبا . ويبدو أن اتباع الروح الحرة كانوا نشيطين على طول الراين الأعلى حوالي ١٢١٥ وأن بعضهم قد أحرق في ستراسبورغ ، وفي ١٢٤٠ التقى الأستاذ البحاثة الشهير البرتس ماغنوس مع بعض الاتباع في كولون ، وهناك دلائل على أنهم كانوا ناشطين في أسقفية تريير ، وفي ١٣٠٧ عقد مجمع إقليمي في كولون ، من قبل رئيس الأساقفة لهذا السبب ، وحاول تطهير المدينة من الرهبان المتسولين من البيغرد والبيغوبين الذين كانوا ينشرون مذهب الروح الحرة .

و لم تكن هذه الجهود ناجحة ، و كان ما يزال لدى فرنسيسكان كولون سبب لاعتبار هؤلاء المهرطقين منافسين خطرين ، وفي تلك الأثناء كانت الروح الحرة تنتشر بشكل أعمق في الأراضي الألمانية ، ونحو ١٢٧٠ كان اثنان من ذوي الرداء الأحمر يتابعان الدعوة السرية في المنطقة المحيطة بنورد نجن في فافريا ، التي لم تكن في ذلك الوقت ناحية نائية ولكنها وقعت على طريق برنر وعلى الطريق من فرنسا إلى الشرق ، وأمكن كشف بعض من الداخلين في هذه الطائفة من الذكور والاناث واستجوابهم ، والمواد الهرطقية التي صرحوا بها قدمت إلى البرتس ماغنوس لفحصها فحص خبير وتنفيذها . ولكن الهرطقة وجدت موطنا جديدا ، وكان لها أن تزدهر زمنا طويلا في المدن الباڤارية .

وفي مطلع القرن الرابع عشر وجدت أيضا موطنا في شمال فرنسا ، وكانت عاملة بيغوينية من هينوت Hainaut تدعى مرغريت بوريت تنشرها في أسقفيات كامبراي ، وشالون وباريس .

وكتبت بحثا في الصوفية الدينية باسم « مرآة الأرواح البسيطة » وقد أعيد اكتشافه الآن من قبل الأستاذ غاريئيري وكان الكتاب قد أدين في ذلك الوقت من قبل أسقف كامبراي ، وأحرق علنا في فلانسيين ، ولكن مرغريت أنتجت نسخة أخرى ، على الرغم من تحذيرات عديدة ، وأصرت على إظهارها « للبيغرد والشعب البسيط الآخر » ، وقد عاشت حياة هائمة مفلسة ، يصحبها واحد من البيغرد الذي اعتقد أنه مرسم من السماء « كملاك حارس » للفقراء الطوعيين ، وفي النهاية سقط الاثنان في أيدي (ص ١٦٤) المحققين في باريس ، وخلال ثمانية عشر شهرا من السجن رفضت مرغريت بإصرار أن تشتري المغفرة بالارتداد ، وفي ١٣٠٠ أدين كتابها من قبل لجنة من اللاهوتين ، وتم حرمانها وحكم عليها بالموت بالحرق ، ويبدو أنه كان لهذه المرأة اتباع كثيرون ، اذ أنه بعد بضع شهور من موتها كان كليمنت الخامس يأمر بمتابعة التحقيق في لانغرس بقوة ضد المهرطقين الذين كانوا يتكاثرون هناك بسرعة ، حتى انهم قد أصبحوا خطرا كبيرا على العقيدة ، وقد ادخل كتابها حتى إلى إنكلترا من قبل احدهم مع اثاث فيليبا من هينوت عندما وصلت كعروس لادوارد الثالث ، وذلك في سنة ١٣٢٧ ، وفي هذا برهان جديد على التأثير الذي مارسته الروح الحرة في الطبقات العليا من المجتمع .

وفي الوقت الذي أعدمت فيه مرغريت كانت الروح الحرة تسبب قلقا خطيرا للكنيسة ، ففي المجمع المسكوني برئاسة كليمنت الخامس في فينا على الرون في ١٣١١ ـ ١٢ جرى فحص طويل ودقيق « لأخطاء البيغرد » ، وكان احد المصادر الرئيسة كما ندرك الآن ، كتاب مرغريت « مرآة الأرواح البسيطة » وتم في عرض الحيثيات تحليل مذهب الروح الحرة وأدين ، وقد أعطيت تعليمات

للأساقفة والمحققين بمراقبة حياة ومناقشات البيغــرد والبيغــويين وأن تتخذ الاجراءات ضد كل واحد ممن يتبين أنه يعتنق افــكار غير أصولية ، وقد أردفت هذه التعليمات بمرسوم بابوي آخر اســتهدف ضمان أن كل البيغويين سيعيشون في المستقبل في مجتمعــات تحــت رقابة اكليروسية مناسبة ، وكان هذا على أي حال مــرسوما بــالغ التشويش ، وكان من احد آثاره بدء اضطهاد جمــاعات البيغــويين الأصوليين المسالمين ، ولم يمض وقت طويل حتى كان البابا نفســه يحاول جاهدا دون طائل ، حماية النساء الفاضلات الكثيرات في مدن الراين اللواتي اجبرن على المعاناة للتخلي عن اخوة الروح الحرة ، وقدر للتشويش والاضطهاد أن يستمر لأكثر من قرن .

وبالطبع اضطهد ايضا البيغرد والبيغويين الذين كانوا حقا اخوة للروح الحرة . وفي ١٣١٧ شكل أسقف ستراسبورغ ، وقــد تســلم شكاوى عديدة حــول الهــرطقة ، في اســقفيته لجنة تحقيق ، وكان بسرعة قادرا على إرسال رســالة رعوية لاكليروســه مبنية على مــا تكشف عنه التحقيق كان مما جاء فيها إن : « أخوة وأخوات الروح الحرة الصغار ـ وكان الشائع تسميتهم بيغرد وسويسترون ، أو خبز في سبيل الله ـ ممنوعون تحت طائلة:

الحرمان من ارتداء ، حللهم الغريبة ، والناس ممنوعون ايضا تحت طائلة الحرمان ، من التصدق على احد يرتدي مثــل هــذه الملابس . واعلن عن مصادرة البيوت التي تجري فيها اجتمــاعات الهــرطقة ، لصالح الفقــراء ، ويجــب تســليم ادبيات الهــرطقة (ص ١٦٥) والتخلي عن صيحة الاســتجداء « الخبــز في ســبيل الله » وعمــل الاسقف كل ما يمكن لضمان تنفيذ هذه التعليمات ، وقام بــزيارات تفقدية لاسقفيته ، وبــاكتشا فه علامــات دالة على الهــرطقة في كل مكان ، نظم اول تحقيق اسقفي منظــم على التــراب الالماني ، وقــد اضطهد هذا التحقيق المهرطقين دون رحمة ، وهرب بعض البيغــرد الى الاسقفيات المجاورة ، ولكن حتى هناك كان اسقف ستراسبرغ

يلاحقهم ، وكتب الى زملائه الاساقفة في مقر اسقفية مينز يحــذرهم

من الخطر الذي يهدد اسقفياتهم وحثهم على الاقتـداء بـه وحـذو حذوه ، ومع ذلك لم يكن الرجل متعصبا اعمى ، اذ انه كتب ايضـا الى البابا لصالح هؤلاء البيغـويين الذين كانوا يضـطهدون بشـكل ظالم وغير شرعي .

وجرى الهجوم التالي على اخـوة الروح الحـرة في مقـاطعـتهم التقليدية ، كولون ، ودعا الاسقف عدوهم القديم – وهو الاسـقف نفسه الذي دعا الى المجمع الاقليمـي في ١٣٠٧ – مجمعـا اخـر في ١٣٢٢ للتعامل مـع الدعوة المسـتمرة ، وكانت الحـركة في ذلك الوقت قد اصبحت سرية ، ووجد المهرطقون في كولون قائدا مـرموقا في شخص وولتر ، الذي جاء من هولندا ، والذي كان بالفعل ناشطا كمبشر في مينز ، وكان هذا الرجل واعظا عظيم البلاغة والقدرة على الاقناع ، ووضع رسائل مختلفـة بـا لألمانية تـم تـداولها سرا بين اتبـاعه ، وضبط اخيرا ، وبرفضه تحت أسوأ انواع التعذيب خيانة جماعته او الارتداد تم احراقه ، وطبقا لاحـد المصـادر كان وولتـر كاهنا مرتدا ، ورئيسا لمجموعة سرية كبيرة اعتقلت بحيلة في ١٣٢٥ او ١٣٢٧ . ويقال إنه نحوا من خمسين من اخوة الروح الحرة قـد اعدموا في تلك المناسبة ، بعضهم بالحرق وبعضهم الاخر بالاغراق في الراين .

وعلى الرغم من كل الاضطهاد استمرت الروح الحرة في كولون وعلى طول الراين ، وفي ١٣٣٥ اكتشـف ان طـائفة مـن البيغـرد المهرطقين كانت تعيش في بيت من بيوت الفقـر الاختيارى في كولون منذ نحو ثلاثين سـنة او اكثـر ، وفي ١٣٣٠ قبض على ثـلاثة مـن البيغرد المهرطقين في كونستانس بعد حياة امضوها في تلقين النساء المعارف التقليدية للروح الحرة ، وفي سنة ١٣٥٣ كان البابا أنوسنت السادس متيقظا جدا ، ضد خـطر تجـدد نشـاط البيغـرد المهرطقين ، حتى انه عين أول محقق بابوي في المانيا وأمر السلطات المدنية بمـساعدة ذلك الرجـل وأن يضعـوا سـجونهم تحـت تصرفه ، وفي ١٣٥٦ اعـتقل احد الاتباع وكان قد جاء مـن بـافاريا

الى وادي الراين لتلقين مبــادىء الروح الحـــرة ، واحـــرق في سبيير ، وبعد عام كان رئيس اساقفة كولون يشكو مرة أخرى مــن ان المهرطقين كانوا كثيرين جدا حتى انهم افسدوا كل قــطيعه ، وفي العقد الأخير من القرن ، نجح منشق طائفي هام هو نيكولاس مــن بازل في كسب اتباع تقريبا على كامل طول الراين مــن كونستانس الى كولون (ص ١٦٦) ، واحـــرق اتبـــاع له في هيدلبـــرغ وكولون ، وهو نفسه بعد أن أحبط مــرار جهــود المحققين لادانتــه قبض عليه في فيينا واحـــرق ، ولكن الروح الحــــرة بقيت في الراين ، واحرق أحــد الاتبــاع في ميتز في ١٤٥٨ ، وفي الســنوات الأخيرة من القرن كان الكاتب والشاعر الهجاءسباستيان برانت من ستراسبورغ ما يزال يكتب عن الهرطقة كظاهرة مألوفة .

وفي بافاريا أيضا كان للهرطقة التي ظهرت أولا في ١٢٧٠ تاريخ طويل ، ففي حوالي ١٣٣٠ ، يبدو أنها قــد رحلت عبــر بــا فــاريا ووصلت الى حدود مملكة بوهيميا ودوقية النمسا ، ومــع منتصــف القرن كان مبشرو الروح الحرة نشطين جدا بين جماعات البيغويين البافاريين ، وفي ١٣٤٢ اكتشفت جمعية سرية للبيغرد المهرطقين في اسقفية وورزبرغ وفي ١٣٧٧ كان ما يزال هناك سبب للشكوى مــن تفشي المعتقدات المتصلة بالروح الحرة ، وبعد ذلك بــأربعة ســنوات قبض على احد أخوة الروح الحرة وحــوكم في اســقفية ايخســتات Eichstatt المجاورة ، وفي نحو ١٤٠٠ قدم محقق تقــريرا عن وجــود بعض أخوة الروح الحرة ، كانوا يعيشون في مجتمع فقر طوعي في شام قرب ريجنسبرغ ، وعلى مدى القرن الخــامس عشر يبدو أن الروح الحرة كانت باقية في بافاريا ، وفي منتصف القرن كان مجمع في وورزبــرغ يكرر الحــظر القــديم على البيغــرد الواعظين المتجولين ، وكان أسقف ايخستات يعلن حرمان البيغرد المــهرطقين الذين كانوا يتسولون في الطرقات عبر البلاد ، وما برح مثــل هــذا الحظر يتكرر حتى نهاية القرن.

والمراحل التي تســللت بهــا الروح الحـــرة الى الشرق عبـــر

الأمبراطورية مجهولة ، ولكن في ١٣٢٢ اكتشفت جماعة من البيغويين على مسافة من الشرق تصل الى شويدنتز في سيليزيا Silesia وكان النسوة يعشن في بيت فقر طوعي كان قريب الشبه ببيت الرجال الذي وجد في كولون بعد ذلك بثلاث سنوات ، ثانيه مثل بيت الرجال ايضا والذي كان قائما منذ نحو ثلاثين عاما بالفعل ، و كان بيت شويدنتز واحدا فقط من بيوت عديدة كانت تشكل تنظيما سريا ، وعن طريق البيغرد المهرطقين الذين مروا بهذه النواحي حافظت الحركة على اتصالها مع مجموعات مماثلة تصل خارج الوطن حتى برسلاو ، وبراغ ولايبزغ ، وايرفورت وميذز ، وفي وسط المانيا أصبحت المنطقة بين ايرفورت وماغدبرغ مركزا هاما للروح الحرة ، وكانت البغونيات معروفات هناك تقريبا في الوقت المبكر نفسه ، كما كن في اي مكان ، وحدث في سنة ١٣٢٥ أن دخل في الطائفة ماتيلدا من ماغدبرغ ، التي غدت أعظم البغونيين شهرة ، وكان البغرد الهائمون قد شدوا بالفعل انتباه مجلس ماغدبرغ من ١٢٦١ وفي الكتاب حول تجربتها الصوفية الخاصة ، الذي كتبته ماتيلدا بين ١٢٦٥ و ١٢٧٧ تفوهت بتحذيرات ضد أخوة الروح الحرة ، ولكن التقارير قليلة ، وأقدم اثر واضح للروح الحرة في وسط المانيا يعود فقط الى ١٣٣٥ ، وعندما اعتقل كاتب كان متأثرا بمذهب الروح الحرة ، وبرفضه حجة الجنون احرق في ايرفورت ، وفي السنة التالية جرى اعتقال ثلاث من البغونيين بسبب« الروح المتعالية » في ماغدبرغ ، لكنهن ارتددن واطلق سراحهن وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، كانت أخوة الروح الحرة وسط المانيا وثيقة الارتباط بطائفة اللطامين التي اسسها كونراد شمد ، وعززت الطائفتان كل منهما الأخرى بفعالية حتى أن المنطقة اصبحت تعتبر من قبل السلطات أخطر معقل للهرطقة في الاراضي الالمانية . ونحو ١٣٧٠ ، عندما حصلت هدنة في النزاع الدائم بين البابا والامبراطور عين وولتر كيرلنجر ، قسيس القصر وصديق الامبراطور شارل الرابع من قبل أوربان الخامس محققا لالمانيا ، ومنح سلطات من قبل

الامبراطور ، وكانت جهود هـذا الرجـل مـركزة على وسـط المانيا ، وسارع بعد ذلك فاعتقل مجموعة تالفت من أكثر من أربعين مهرطقا ، ذكورا وإناثا في نوردهوزن ويبدو أن كونراد شمد كان بين السبعة الذين أحرقهم ، وسرعان ما اصبحت ايرفورت ومـاغدبرغ نظيفتين من المهـرطقين البيغـرد والبيغـويين ، ولكن عندمـا أعلن الامبراطور أن كيرلنجر قد قضى على كل الهرطقة في وسط المانيا كان مفرطا في التفاؤل ، وكما رأينا ، بقيت طائفة سرية مـن اللطـامين هناك مدة قرن أخر ، و يصعب اعتبارها مصادفة انه في وقت متأخر الى عام ١٥٥١ كانت طـائفة تـدعى « اصـدقاء الدم » ابـدت كل المميزات الأساسية للروح الحرة ، قد اكتشفت في اطار ثلاثين ميلا من ايرفورت .

وفي عام ١٣٧٢ لاحظ خليفة أوربان غريغوري الحادي عشر أن المهرطقين الذين هربوا من وسط المانيا كانوا يتخذون ملاذا لهـم في وادي الراين والبلاد المنخفضة وفي الشمال الأقصى من المانيا ، وقـد حث الامبراطور على ضمان تعاون السلطات المدنية في تلك المناطـق مع المحققين في تعقب أثار الآبقين ، ويبدو أن الروح الحـرة كانت في الواقع قد بلغت شـمال المانيا بنهـاية القـرن الرابـع عشر ، وفي ١٤٠٢ أحرق اثنان مـن الحـواريين في مـدينتي الهنسـا Hansa ليبـك Lubeck وويسـمار Wismar وإذا كان لا يعرف شيء أخر عن أخـوة الروح الحرة في مدن البلطيق سواء بسبب أنهـا كانت حقيقـة قليلة أو لأن التحقيق ندر أن لاحقهم الى هذا الحد فإنه من المؤكد أنها في البـلاد المنخفضة بقيت عديدة ، وفي أواخر القرن الرابع عشر كانت هـولندا تعتبر الى جـانب (ص ١٦٨)بـرابنت Brabant ووادي الراين كمنطقة غرزت فيها الهرطقة جذورا عميقة ، وعندمـا أسس الواعظ جيرهارد غروت الطائفة الدينية غير الرهبانية لأخوة الحياة العادية ـ التي سـيعطيها تـوماس ـ كيمبس البـريق العـظيم والشهرة الكبيرة ـ كان أحد أهدافه ان يؤمن مخرجا ضمن حـدود

الأصولية للاحتياطـات التـي كانت تلتمس الاشـباع في مجتمعـات هرطقة الروح الحرة .

وفي برابنت رأى الصوفي الشهير روزبروك « المعجـب » الكثير من أخوة الروح الحرة ، وكسبت امـرأة تـدعى هليويش بلومـارت (شهرت باسم بلومـاردين) كانت ابنة تـاجر غني ، احتـراما ونفوذا في بروكسل كقديسة حية ، ويبدو ان اتباعها امتدوا مـابين الدوائر العليا للارستقراطية وعامة الناس ، ويقال انها عندما ماتت في ١٣٣٥ ، قبل كرسي فضي كانت قـد اعتـادت الجلوس عليه كأثـر مقدس من قبل دوقة ، في حين كانت حشود من المقعدين تأتي لتلمس جسدها أملا في معجزة الشفاء ، ولقد كانت بلوماردين تعلم نوعا من المذهب الصوفي،وحتى لو لم يعادل هذا في الأصل اظهارا للروح الحرة أصبح كذلك في ايدي حوارييها بعد موتها ، وقد ألهم النضـال ضـد هؤلاء الناس روزبـرو كتـاباته الأولى ، بين ١٣٣٥ ، ١٣٤٠ وبينها رائعة « الزواج الروحي » وقد استمر في مهاجمة أخـوة الروح الحرة في كتاب بعد الآخر حتى وفاته في ١٣٨١ عن عمـر بلغ ٨٨ سنة ، و الروايات حول المهرطقين الصوفيين التي قدمها هـذا الصوفي هي بين الأكثر تفصيلا و تغلغلا مما هو لدينا .

وقد استمرت بـروكسل في ايواء اخـوة الروح الحـرة ، وفي ١٤١٠ عين اسقف كامبـراي محققين اثنين لمحـو مـاكان لايزال يدعى « بهرطقة بلوماردين » ولكنهما وجدا نفسيهما بـلا حـول في وجه الحماس الشـعبي ، ولقـد كانت الاغاني تنشـد خلفهـم في الشوارع وحتى انه جرت محاولات ضد حياتيهما ، ومـع ذلك كانا قادرين على كشف مجموعة مهـرطقة خـاصة ، وفي ١٤١١ فحص الأسقف راهبا يدعى وليم أوف هيلدرنيس كان يشـك في كونه احـد قادتها . وكان رجلا من مولد نبيل كانت له مهنة ناجحة كمحاضر في اللاهوت في وادي الراين والبلاد المنخفضة ، وكان مرتين رئيس دير رهبنة ، ولم تكن درجة اشتراكه في الجريمة واضحة وقد حكم عليه فقط ببضع سنوات من التـكفير والسـجن الانفـرادي ، وكشـف

التحقيق عن وجــــود طــــــائفة سرية تـــــدعو نفســــــها
في Intelligentia ومعنى Homines intelligentiae
اصطلاحات العصور الوسطى « الملكات العليا للروح » التي تجعل النشوة الصوفية ممكنة ، وقد اسست الطائفة نتيجة لوحـي تلقــاه شخص مــوثوق هــو ايجيد يوس لويف او ســانغرز (بـــاللاتينية كانتور) (ص١٦٨) اي قائد جوقة الترتيل ، وكان رجلا من العامة تحدر من عائلة فلمنكية بارزة ، وكان متوفيا بـــالفعل في وقــت قيام التحقيق ، وكانت طــائفة « الملكات العليا للروح البشرية » تضــم عددا من النساء ، والشيء الهام ان وليم اضطر الى القيام بـــارتداد علني في حي من بروكسل يسكنه البغويين .

ولايمكن فصل انشطة أخوة الروح الحرة في البلاد المنخفضـــة عن نشاطاتها في وادي الراين ، فكما رأينا جاب البيغرد ذهابا وايابـــا عبر المنطقة كلها،وحدث الشي نفسه بين البـــلاد المنخفضـــة وشـــمال فرنسا ، وفي ١٣٦٥ رأى البابا اوربان الخامس انه من الضروري التحدث على انشطة البيغرد الفـــرنسيين ، وقـــد حـــذر الأســـاقفة والمحققين من ان هؤلاء الرجـــال كانوا مـــايزالون تحـــت قناع مـــن القدسية ينشرون اخطاءهم بين الناس البسطاء ، وقد زود اســـقف باريس بتفاصيل كاملة حـــول طـــريقتهم في الحياة والامـــاكن التـــي وجدوا فيها ، وفي ١٣٧٢ قبض على مهرطقين كانوا ذكورا وإناثـــا ممن دعوا انفسهم « مجتمع الفقراء » ولكن ممن يحتمل انهم نبذوا بلقب التورلوبين في باريس . وكانت زعيمتهم ايضا امراة اســـمها جين دابينتون ، وقد احـــرقت وكذلك احـــرقت جثـــة مســـــاعدها الذكر ، الذي مات في الســـجن وكذلك الكتـــابات والملابس الغـــريبة لأتباعها ، ولاشي يعرف عن تعـــاليم هـــذه المجمـــوعة ولكن اســـــم تورلوبين كان عادة يعطى فقط لأخـــوة الروح الحـــرة ، وبـــالتأكيد كانت الروح الحرة تجتذب الانتباه في شمال فرنسا في نهـــاية القـــرن الرابع عشر وبـــداية القـــرن الخـــامس عشر ، وكان شـــارلييه دي غرسون رئيس جامعة باريس مؤهلا بشـــكل جيد لأن يكون قـــاضيا لأنه جمع بين الذكاء العظيم والخبرة الواسعة مع تعاطف شـــديد

مع الصوفية ، وفي سلسلة كاملة من الأعمال التي كتبت بين ١٣٩٥ و ١٤٢٥ تفحص جيرسون ثم ادان الصوفية الزائفة للتورلوبيين والبيغرد والبيغويين الذين اعتنقوا هرطقة « روح الحرية » والمعتقدات والعادات التي نسبها الى المهرطقين الفرنسيين غير قابلة للتمييز عما وجد لدى نظرائهم الالمان ، وفي الواقع كان من ليل وتورناي ان حملت فرقة من أربعين متحمسا في ١٤١٨ عقائد مذهب الروح الحرةمباشرة عبر اوروبا ، لادخالها الى بوهيميا التي كانت على شفا الثورة والحرب الأهلية الأمر الذي سندرس نتائجه في فصل لاحق .

وبعد قرن ، وهي وسط الهياج الاصلاحي شهدت البلاد المنخفضة وشمال فرنسا انتشار مذهب كان يدعى « الحرية الروحية » ولكن في كل اساسياتها كانت ماتزال المبدأ القديم نفسه للروح الحرة ، ومرعبا بالدرجة نفسها بالنسبة للمصلحين كما كانت للخصوم الكاثوليك ، وفي ١٥٢٥ أرسلت لوي بروستنك وكانت شابة متسكعة لاتحسن القراءة والكتابة ولكن (ص١٧٠) وجد لها اتباع بين الحرفيين ، والحرفيين المبتدئين مثل مساعدي النساجين وبائعي الجوارب ، أرسلت اثنين الى ويتنبرغ للالتقاء بمارتن روش لوثر ، وكانت هذه هي السنة نفسها التي كانت فيها حرب الفلاحين تهز كل بنيان المجتمع الالماني،وكان لوثر نفسه ثائرا ضد المتنبىء الألفي للفلاحين ، توماس مونتز وكان لوثر متأثرا بدرجة كافية ومصدوما من زائريه الى حد انه ارسل رسالة الى الحزب اللوثري في انتويرب ، يحذرهم ضد النبي الزائف في أوساطهم ، ولكن اذا كان تحذير لوثر ويقظة التحقيق الكاثوليكي معا قدأعاقا نمو الحركة ، فانهما لم يتمكنا بشكل دائم من منعها، وأدى تفجر خطير للطاعون في انتويرب في ١٥٣٠ الى ظهور كثير من الحواريين الجدد ، وكان مقام بروستنك بين الفقراء كبير لدرجة انه يقال انهم كانوا (يخرون راكعين عند اقترابه) وكانت الطائفة تضم العديد من حواشي المجتمع الفرنسي لصوص عاهرات متسولين ، بيد ان تجارا اغنياء وحتى جواهري الملك الفرنسي

فرانسس الأول كان يمكن العثور عليهم بين الاتباع الذين يســهمون في التمويل ، وكل هؤلاء الناس ايا كان نوع منزلتهم الاجتماعية كان يتوقع منهم المواخاة واحتضان بعضــهم بعضــا في العلن ، وفي حين قام بروستنك نفسه وكأنه يحاول ان يرمز في آن واحد الى موهبته في الفقر والى ادعائه هيبة عليا ، قام بارتداء أثواب مقطعة الى خــرق ولكنها ايضا مخيطة بالجواهر وانتشرت الطائفية بشكل واسع ليس فقط في انتويرب بل في كل انحاء بــرابنت وفــلاندرز في الوقــت الذي كانت فيه السلطات المدنية في ١٥٤٤ تستعد لسحقها ، وفي النهــاية احرق بروستنك حتى الموت على نار هادئة وقطعت رؤوس خمسة من اتباعه بينما هرب آخرون الى انكلترا .

واذا كان القليل المعروف عن مذهب بروستنك يكاد يؤكد بصعوبة اتهامات التحلل وعدم الالتزام بالشريعة التي وجهــت ضــده وضــد اتباعه ، فان طائفة الكوينتينيين كما يبدو قد ورثت كل الفوضوية في أخوة العصور الوسطى لدى الروح الحرة ، وامتدت رسالة الخياط كوينتين Quintin التي أوجــدها تقــريبا بــالضبط في خلال الفترة نفسها لرسالة بروستنك ، وكان مــواطنا مــن هينوت وســمع عنه ايضــا للمـــرة الأولى في ١٥٢٥ في ليل بعـــد ذلك بعقد ، ومع خياط آخر وكاهن مرتد انتقــل الى بــاريس ، وهناك وجد كالفــن Calvin هؤلاء الكوينتينيين او « العتقــاء الروحانيين » كما دعاهم ، يعملون بين اتباع الديانة المســتصلحة واشتبك في نزاع علني ، وفي ١٥٣٩ شجبهم في النسخة المعدلة من كتابه « مؤسسات الديانة المسيحية » وفي الوقت نفسه قام المصلح الألماني بوسر Bucer وقد التقى بالعتقاء الروحانيين .

وفي ســتراسبوغ واطلع على دعوتهــم السرية فـــكتب الى الملكة مرغريت أوف نافار التي كانت مهتمة جدا بالصوفية ـ يحذرها ان لاتنخدع بهؤلاء الناس وكان التحــذير في محله ، اذ انه في ١٥٤٣ تدبر كوينتين وثلاثة من رفاقه في الواقع لانفسهم اماكن بين الخــدم المنزليين في حــاشية الملكة حيث قبلوهــم (ص ١٧١) كصـــوفية

مسيحيين وبعد ذلك بعامين كان كالفن نفسه يكتب الى مرغريت لينورها حول الطبيعة الحقيقية للملتجئين اليها وكان كوينتين على الأقل على مايبدو قد صرف من البلاط لأنه في ١٥٤٧ كان قد عاد الى موطنه وكنتيجة لمحاولة اغواء من السيدات المحترمات في تورناي اكتشف واحرق .

وفي الوقت نفسه كانت الدعوة التي كان كوينتين وحواريوه يقومون بها بوسائل الوعظ السري والنشرات قد حولت العديد في تورناي وفالنسيين الى مذهبه وقد قدر كالفن عددهم بنحو عشرة الاف ، ولمجابهة هذه النشاطات ارسلت الطائفة البروتستنتينية الفرنسية في ستراسبورغ احد كهنتها الى تورناي حيث قبض عليه على اي حال من قبل السلطات الكاثوليكية واحرق ، وماكان اكثر فعالية هو الهجوم الذي استمر كالفن في ممارسته ضد الطائفة وفي ١٥٤٥ اصدر رسالته « ضد الطائفة الخيالية والساخطة للعتقاء التي تسمي نفسها روحانية » .

وفي ١٥٥٠ عندما كتب احد الفرنسيسكان السالفين بعد ان اصبح لاجئا لدى السيدات من ذوات السلطة في روان Rouen : دفاعا عن الطائفة ومعتقداتها ، كتب كل من كالفن ومعاونه فارل Farel ، رسائل جوابية ، واختفت هذه الهرطقة في حينه ـ او انها على الأقل اصبحت سرية ـ في تلك المناطق التي كانت لزمان طويل معقلا لها ، وحدث ذلك في الوقت ذاته والتاريخ الذي انهارت فيه نهائيا في المعاقل الكبيرة الأخرى في وسط المانيا .

ولعل ماتم عرضه حتى الآن يكفي لتبيان ان ديانة الروح الحرة قد امتدت فوق منطقة واسعة جدا ، ولكن هذه ليست القصة كلها ، فللأسباب المبينة في المقدمة ، لم يتم تناول جنوب اوروبة الا بالكاد في هذا الكتاب ، ولكن الروح الحرة في الواقع قد ازدهرت في ازمان مختلفة في كل من ايطاليا واسبانيا ، وفي ١٣٠٧ ، في الوقت نفسه الذي كانت فيه مرغريت بوريت نشطة في شمال فرنسا ، كان

رجلا يدعى بيتيفينغا دا غبيو ، يدعو الى معتقد جديد بين الراهبات في امبريا بل انه حتى حاول ان يدخل القديس كلارو مونتفالو في مذهب الروح الحرة ـ او كما كان يسمى في ايطاليا ـ روح الحرية

وفيما بعد في القرن الرابع عشر كانت هنالك اشارات الى ان الهرطقة كانت مزدهرة في امبريا وتوسكانيا وغالبا كما في الشمال ، الى جانب ديانة الفقر الطوعي ، ومع حلول ١٣٤٠ كانت ترجمات ايطالية ولاتينية لكتاب مزغريت بوريت يجرى تداولها في ايطاليا ، وقد حذر القديس برنارد ينو أوف سيينيا Siena .

منها في حين انه في بادوا كانت السلطات الاكليروسية تجهد لمنع وقوعها في ايدي الرهبان وفي القرن التالي بينما كان كالفن يقاتل ضد العتقاء الروحانيين في فرنسا ، كانت مذاهب شبيهة جدا تزدهر في اسبانيا ، بين الصوفية المعروفين باسم الأمبرادوز .

(ص ١٧٢) وتتبع هذه التطورات الى مدى ابعد خارج مجال هذا الكتاب ، ومن جانب آخر ان عودة الظهور القصير للروح الحرة في انكلترا كرومل Cromwell يمكن دراسته بالتفصيل في الوثائق الواردة في الملحق .

طريقة تأليه الذات

لم يشكل اتباع الروح الحرة كنيسة واحدة بل عددا من المجموعات ذات الأفكار المتماثلة لكل منها ممارساتها الخاصة وطقوسها وجوانب معتقداتها ، و غالبا ماكانت الروابط بين المجموعات المختلفة ضعيفة جدا ، لكن هؤلاء الناس استمروا على صلة مامع بعضهم بعضا وكانت الروح الحرة في كل الأزمان مميزة كديانة ـ ظاهرية ذات جسم مذهبي اساسي واحد يسلم من جيل الى جيل ، وكان في القرن الرابع عشر ان ظهر هذا المذهب بمظهره الكامل ، والملامح التي ابداها في حينه كان لها ان تبقى دون تعديل على مدى تاريخ الحركة .

وكان مصدر الأطار الغيبي هو الأفـلاطونية المحـدثة ، ولكن كل الجهود التي بـذلت بـدءا مـن ديونيسـيوس الزائف واريجينا ومابعدهما ، لتكييف الأفلاطونية المحدثة مع المعتقدات المسيحية قـد استبعدت ، بيد ان وحدة الوجود لدى افلوطين كانت بعيدة جدا عن ان تغفل وقد تـأكدت ، ولم يتـردد اخـوة الروح الجـديدة في القول :« الرب هو كل مـاهو مـوجود » « الرب في كل حجـر وكل طرف» من الجسم البشري بالتأكيد نفسه الذي هـو بـالنسبة لخبـز القربان المقدس «ان كل شي مخلوق هو الهي » وفي الوقـت نفسـه تبنوا تفسير افلوطين لوحدة الوجود هذه ، لقد كان الرب حقا هـو الجوهر الأبدي للأشياء وليس وجـودها في وقتهـا ، كل مـاهو ذو وجود منفصل وعابر قد انبثق عن الله ، ولكنه لم يعد هـو الله ومـن جانب آخر ان كل ماهو موجود ملتزم بالرجوع الى اصـله الربـاني ويكد ليجد طريق العودة الى هذا الأصل ، وفي نهاية الزمان سـيكون الرب حقا هو الكل .

وحتى في هذه الساعة إن إعادة الامتصـاص هـو مصـير الروح البشرية حالما يموت الجسد ، وبموت الجسد تختفي الروح في أصلها الرباني مثل قطرة من الماء اخذت من إبريق ثم سقطت فيه مرة أخرى او كقطرة من النبيذ في البحر ، ويعادل هذا المذهـب بـالطبع تـأكيد الانعتاق الشامل مع أنه غير شخصي ، ومـا هـو اكثـر تمـاسكا وانسجاما في اخوة الروح الحرة هو المبدا الذي يعتبر أن الفـردوس والجحيم هما مجرد حالات للروح (ص ١٧٣) في هذا العـالم وانه ليس هناك آخرة ولاثواب ولاعقاب ، ولكي تتجسد الروح القـدس في نفس المرء وتتلقى الوحي الذي يأتي به ، ذلك هو البعـث مـن الموت وامتلاك الفردوس ، والانسـان الذي يعـرف الله في نفسـه يحمـل فردوسه الخاص معه ، وعلى المرء فقط ان يعرف الوهيته الخـاصة وانه بعث ككائن روحـي سـماوي مقيم على الأرض ، وجهـل المرء بألوهيته الخاصة من جانب اخر ، خطيئة مميتة ، وهـو في الواقـع الخطيئة الوحيدة ، وهذا هو معنى الجحيم ، وهذا أيضا شيء يحمله المرء معه في هذه الحياة .

واعتقد افلوطين أن الكائنات البشرية يمكنها أن تمر بمثل هذه العودة إلى الاقتصاص قبل موت الجسد ، وكان بالإمكان أن تهرب الروح من قيودها الحسية ومن وعيها بذاتها وأن تغرق لحظة ، بلا حراك ولاوعي في الواحد ، لقد كان هذا وجه الافلاطونية المحدثة الذي راق لأخوة الروح الحرة ، ومع أن الروح الحرة كانت تقليديا تعرف « بالهرطقة الوحدوية » ، أبدى العديد من المهرطقين قلة اهتمام أو عدم فهم للغيبيات الوحدوية . وكان الشيء المشترك بينهم موقفا ما من الروح البشرية . « والروح » كما قالت امرأة : « واسعة حتى أن كل القديسين والملائكة لايمكنهم ملؤها ، وجميلة حتى أن القديسين والملائكة لايمكنهم مقاربتها ، إنها تملأ كل شيء » ، ولم تكن الروح بالنسبة لأخوة الروح الحرة مجرد محكومة بإعادة امتصاصها في الرب عند موت الجسد ، بل هي في جوهرها الهية منذ الأزل وهي مابرحت الهية كامنة حتى وهي تسكن جسدا بشريا ، وفي كلمات الرسالة الهرطقية التي وجدت في صومعة الناسك قرب الراين : « إن الجوهر الالهي هو جوهري ، وجوهري هو الجوهر الالهي .... منذ الأزل كان الانسان هو الرب وفي الرب .... ومنذ الأزل كانت روح الانسان في الله وهي الله .... الانسان لم يولد وكان منذ الأزل غير قابل للولادة بالمرة ، وبما أنه لايولد ، فهو ابدي تماما ، لذا أنه في ضوء هذا يجب أن يفسر المرء التأكيد المتكرر للمهرطقين « إن كل مخلوق عاقل هو في طبيعته مبارك » .

وفي الممارسة على اي حال كان أخوة الروح الحرة بدرجة الاقتناع نفسها التي كان عليها اي واحد من أعضاء الطوائف الأخرى في أن أعلى المزايا الروحية كانت مخصصة لأخوتهم خاصة ، ولقد قسم البشرية إلى مجموعتين : الأغلبية أصحاب « الروح الخام » ، الذين اخفقوا في تطوير إمكاناتهم الالهية وانفسهم ، ثم « الذين كانوا بارعين بالروح » ، وادعوا أن هذه الكلية ، والاقتصاص الدائم في الله الذي كان ممكنا بالنسبة للفانين الآخرين فقط بعد الموت ، والذي سيصبح ممكنا للعموم فقط

عند نهاية الزمان يمكن بلوغه « بالروح البارعة » بالفعل ، خلال فترة حياتهم على الارض ، (ص ١٧٤) وكان هذا ابعد بكثير مما اقترحه أفلوطين مطلقا ، ولم يكن قلب الهرطقة في الواقع فكرة فلسفية بالمرة بل طموحا ، لقد كان رغبة عاطفية لدى كائنات بشرية معينة لتجاوز حالة البشرية حتى تصبح إلهية ، والاكليروس الذين راقبوا المهرطقين لم يكن لديهم شك في الأمر في أن هؤلاء الرجال والنساء ـ كما اشتكوا ـ يضعون أنفسهم فوق القديسين ، والملائكة ، والعذراء ، وحتى فوق المسيح نفسه ، « وانهم يقولون إنهم هم الرب بالطبيعة ، دون أي تمييز » ، وتحدث عنهم أسقف ستراسبورغ بقوله : « هم يعتقدون أن كل الكمال الالهي فيهم ، حتى انهم ازليون وفي الأبدية » وادعى روزبروك الذي جعل صوت عدوه الهرطقي يقول بأعلى نبرة ممكنة : بالنسبة لي كما بالنسبة للمسيح وبكل طريقة وبلا استثناء انا مثله انا حياة دائمة وحكمة ، ولدت من الآب بطبيعتي الالهية ، مثله تماما ، وأيضا ولدت في الوقت المناسب ، وبطريقة ولادة الكائنات البشرية ، وعليه فأنا وهو واحد ، الرب والانسان وكل ما أعطاه له الرب أعطاه لي ايضا ، وإلى المدى نفسه .... وقد أرسل المسيح إلى الحياة الفعلية ليخدمني ، وحتى ليعيش ويموت من أجلي ، في حين اني ارسلت إلى الحياة التأملية وهي أعلى .... ولو أن المسيح عاش فترة أطول لتولى ممارسة حياة التأمل التي بلغتها . إن كل الفخر الذي أعطي للمسيح قد أعطي حقا لي ولكل أولئك الذين بلغوا هذه الحياة الأسمى .... وعندما يرفع جسمه عند المذبح أثناء تناول القربان المقدس ، أنا الذي يرفع ، وعندما يحمل جسده ، أنا الذي يحمل ، لأني وإياه جسد واحد ودم واحد ، شخص واحد لايمكن لأحد تجزئته » .

وقد اعتبرت هذه الروايات مبالغات لاهوتية جدلية ، وهي مع ذلك بالتأكيد هادفة تماما ، وقد سجلت أمثلة من اقوال المهرطقين أن العذراء والمسيح قد توقفا دون الكمال المطلوب من « الروح البارعة » وأتباع الروح الحرة هم أنفسهم تركوا روايات عن خبراتهم ، وجاءت أولا فترة كان خلالها على المبتدئين أن يمارسوا

تقنيات مختلفة ، تتراوح بين نكران الذات وتعذيب الذات إلى تعهد الاستسلام المطلق واللامبالاة الموجهة لتشمل الحالة النفسية المرغوبة ، ثم بعد تمرين قد يدوم سنوات يأتي الجزاء ، « وروح الحرية أو الروح الحرة » ، كما قال أحد الأتباع : « يتم بلوغها عندما يتحول المرء تماما إلى رب وهذا الاتحاد كامل حتى أنه لا العذراء مريم ولا الملائكة قادرين على التمييز بين الانسان والرب ، وفيه يعود المرء إلى حالته الأصلية ، قبل أن ينشق عن الألوهية ، ويستنير المرء بالضوء الأساسي الذي يكون إلى جواره كل ضوء مخلوق ظلاما وتشويشا ، ويمكن أن يكون المرء حسب رغبته ، أبا أو ابنا أو روحا (ص ١٧٥) قدسية » ، ولم تكن هذه الادعاءات بأي حال استثنائية بين أخوة الروح الحرة .

واكد واحد من ملازمي بيت الفقر الطوعي في كولون أنه كان « يتمتع كليا في الخلود » ، ومتحد مع الله حتى أن الملائكة لايمكنهم التمييز بينه وبين الله ، واصرت إحدى ملازمات بيت شويدنتز أنها كانت الرب إلى درجة مثلما كان الرب نفسه ربا وتماما مثل المسيح ، لم تكن قابلة للانفصال عن الرب، وتقول رسالة الناسك مثل هذا الشيء إلى حد كبير : « إن الرجل الكامل هو الرب .... ولأن مثل هذا الرجل هو الرب ، تأخذ الروح القدس كيانها الأساسي منه كما لو كان ذلك من الرب .... إن الرجل الكامل أكثر من رجل مخلوق .... لقد بلغ غاية الاتحاد الوثيق الذي بلغه المسيح مع الآب .... إنه الرب والانسان » ولكن رسالة الهرطقة المعروفة باسم شويستر كاتري هي التي تعطي البيان الأكمل إطلاقا فبعد سلسلة كاملة من النشوة التي « خلقت فيها روحها » ولكنها سقطت مرة أخرى ، مرت الأخت كاترين بإحدى تجارب النشوة التي حررتها تماما من حدود الوجود البشري ، وهاهي تصيح بكائن الاعتراف ـ وهو نفسه من الواضح أنه أحد أخوة الروح الحرة ـ : « ابتهج معي ، لقد أصبحت الرب ! » فيجيبها « الحمد للرب ، والآن دعي كل الناس ، وانسحبي مرة أخرى إلى وحدانيتك ، لأنك هكذا ستبقين الرب » وتدخل المرأة في حالة وجد عميق ، تخرج منه بتأكيد : « لقد

خلدت في قدسيتي الأبدية ، لقد جعلني المسيح كفؤا له ولايمكنني أبدا أن افقد تلك الحالة » .

ومثل هذه التجارب تختلف اختلافا كبيرا عن « وحدة الوجود الخفية » كما كان معروفا ومقرا من قبل الكنيسة ، لأن « وحدة الوجود الخفية » استضاءة أنية ، تمنح فقط من حين لآخر ، وربما مرة واحدة في العمر ، واي طاقات يطلقها واي ضمانات يمنحها ، فإن الكائن البشري الذي يمر بهذه التجربة لاينخلع بذلك من حالته البشرية ، فقد كان عليه كإنسان فان عادي أن يمضي حياته ويعيشها على الأرض ، وكان تابع الروح الحرة ، من جانب أخر قد شعر بنفسه بأنه قد تحول كلية ، هو لم يكن في مجرد اتحاد مع الرب ، لقد كان مماثلا للرب وسيبقى كذلك إلى الأبد ، وحتى هذا هو تقدير صور الفكرة بأقل من الحقيقة ، لأن التابع كثيرا ماادعى أنه يبز الرب ، وادعت النساء في شويدنتز أن ارواحها قد بلغت بجهودهن الخاصة كمالا أعظم مما كانوا يملكونه عندما انبثقوا للمرة الأولى عن الرب ، وأعظم مما اراد الرب لهم أن يملكوا ، لقد ادعوا ان لهم إمرة على الثالوث المقدس حتى انه بإمكانهم أن « يمتطوه كما يمتطون السرج » ، وقال المهرطقون السوابيون لعام ١٢٧٠ انهم قد علوا فوق الرب ببلوغهم قيمة عالية جدا من الألوهية وتحرروامن قيود الرب ، وكثيرا ما كان التابع يؤكد أنه أو انها « لم يعد في حاجة للرب » (ص ١٧٦)

وطبيعي بدرجة كافية ، أن بلوغ الألوهية يوحي بحيازة قوى هائلة لصنع المعجزات ، واعتقد بعض أخوة الروح الحرة أنهم تسلموا أنعام النبوة ، وأنهم عرفوا كل شيء في السماء والأرض وانهم يمكن أن يقوموا بالخوارق بحيث يسيرون على الماء دون أن تبتل اقدامهم ، ويسيرون على ارتفاع ياردة فوق الأرض .

ولكن بالنسبة لمعظمهم كانت مثل هذه الادعاءات تافهة ، لأنهم شعروا بأنفسهم بأنهم كاملي القدرة بشكل واقعي تماما ، وقال

أسقف ستراسبورغ وقد تملكه العجب . « إنهم يقولون انهم خلقوا كل شيء وانهم خلقوا اكثر من الرب » وجعل الصوفي روزبروك خصمه المهرطق يتحدث كما يلي :

«عندما حللت في كياني الاصلي وفي جوهرها السرمدي لم يكن بي رب ، ما كنته اردت أن اكونه ، وماأردت ان اكونه كنته ، لقد كان بارادتي الحرة أني خرجت واصبحت على ما انا عليه ، فاذا شئت لما كان بي حاجة أن اصبح اي شئت ولما كنت مخلوقا الان ، لان الرب يمكن ان يعرف ، ويريد ولايفعل شيئا بدوني ، ومع الرب خلقت نفسي وخلقت كل شيء ، إنها يدي هي التي تدعم السماء والارض وكل المخلوقات...وبدوني لاوجود لشيء » .

ومرة اخرى إن اي شكوك ربما يشعر بها المرء حول هذه الروايات يبددها المهرطقون انفسهم ، « عندما خلق الله كل شيء خلقت كل شيء معه....أنا اكثر من الرب » هكذا قالت امراة في شويدنتز وتلخص رسالة الناسك في عبارة واحدة اندماج الحتمية الفعالة بحتمية القوى الخلاقة :

« الرجل الكامل هو سبب الثبات ».

مذهب الفوضوية الصوفية

من وجهة نظر علم نفس الاعماق ، يمكن القول ان كل الصوفية يبدأون مغامرتهم النفسية بانطواء عميق على الذات ، ومن خلال ذلك يعيشون كبالغين اعادة تنشيط لتخيلات الطفولة المشوهة ، وبعد ذلك على اي حال هناك مسلكان ممكنان : يمكن أن يحدث ان يخرج الصوفي من تجربته او تجربتها للانطواء على الذات ـ كمريض يخرج من تحليل نفسي ناجح ـ كشخصية اكثر تعاملا ، مع مجال متسع من التعاطف يكون اكثر تحررا من الوهم حول نفسه وحول ابناء جلدته من بني البشر ، ولكن يمكن ايضا ان يحدث ان يشرب الصوفي الصور الابوية العملاقة بقوتها ، وبمظاهر شديدة مغامرة

وبهيجة ، او يخرج كعدمي متحلل مصاب بجنون العظمة ، وكانت هذه الحالة الاخيرة ، هي حالة كثير من اتباع الروح الحرة .

وفي هذا الربط انه مما ينور القاء لمحة على الشخصية الغريبة لجان انطوان بولان (١٨٢٤ ـ ١٨٩٣) الذي اسس طائفة يقال إنه كان لها في وقت ما نحو ٦٠٠ر٠٠٠ من الاعضاء ، ولاسيما في اوروبا الشرقية ، وقد اعتبرهذا الرجل نفسه « سيف الله » وانه مكلف بمهمة تطهير الارض من (ص ١٧٧) الدنس ومن كنيسة روما ، وانقاذ البشرية في الايام الاخيرة ، وقد اصدر احكاما غاضبة على الاكليروس ، الذين اعتبرهم مضطهدون له ، وحدث أنه هو نفسه كان مندفعا في سلوكه الجنسي ، وكان يعلم اتباعه ممارسة « الزواج الصوفي » ، الذي كان يمكنهم من الانغماس في الفسق الجنسي دون « خطيئة اصلية » . وكان له نوق عظيم في الحياة المترفة ، ومن اجل الحصول على المال كان يخدع السذج بوسائل الوحي المفترض انه خارق للطبيعة ، وفي الوقت نفسه كان يوزع كثيرا من المال الذي كان يحصل عليه مرة ثانية على الفقراء ، وفي كل افعاله كان يتصرف كتابع متأخر نمونجي للروح الحرة ، وتظهر الدراسات النفسية وتحليل خطوط (بوصفها معبرة عن شخصية الكاتب) بولان ، المنشورة في ١٩٤٨ ، انه كان مريضا نمونجيا بجنون الاضطهاد والارتياب والعظمة واستحونت عليه اوهام العظمة والاضطهاد ، وكان ايضا نكيا ، مغامرا مليئا بالحيوية والمبادرة ، شخصيته مدفوعة برغبات غير مستقرة فزعة ، لاشباعها يستخدم ادق التقنيات للخداع احيانا ، واحيانا اخرى القسوة ، التي تطأ تحت الاقدام كل من هو اضعف منه . انه تفسير يوافق تماما كل ما نعرفه عن اخوة الروح الحرة في القرون الوسطى وخلفائهم الاحرار الروحيين .

وفي صورة وصفية أدبية معبرة كتبت نحو ١٣٣٠ في المعقل الرئيسي للهرطقة في كولون ، أورد الصوفي الكاثوليكي سوزو بشكل محكم ومصقول تلك الصفات التي في الروح

الحرة والتي جعلتها فوضوية بشكل اساسي ، ووصف كيف أنه في يوم احد مشرق ، بينما كان يجلس تائها في التأمل ظهرت في روحه صورة معنوية .

وخاطب سوزو الصورة : من اين اتيت ؟ واجابته الصورة « اتيت من لا مكان » اخبرني من أنت ؟ - « انا لا » - ماذا تريدين ؟ - « لاأريد » - هذه معجزة! أخبرني ما هو اسمك ؟ - انا ادعى القفار التي لا اسم لها ! الى اين يقودك تبصرك ؟ - الى حرية غير مقيدة .

اخبريني ، ماذا تسمين الحرية غير المقيدة ؟ « عندما يعيش رجل وفق هواه دون تمييز بين الرب وبين نفسه ، وبدون النظر قبل أو بعد...»

وما ميز اتباع الروح الحرة عن كل اتباع الطوائف الأخرى في العصور الوسطى هو بالضبط عدم اخلاقياتهم ، و بالنسبة لهم كان برهان الخلاص عدم معرفة شيء ، عن الضمير أو الندم ، وتشهد اقوالهم التي لا حصر لها على موقفهم :« كل من ينسب الى نفسه أي شيء يفعله ولا ينسبه كله الى الرب جاهل ، وهذا هو الجحيم ، ....ولا شيء في عمل انسان هو من عمله نفسه » ومرة اخرى ، «إن الذي يعرف أن الرب يفعل كل شيء فيه لن يخطىء ، لانه يجب أن لا ينسب لنفسه بل للرب كل ما يفعله » - «إن الرجل ذا الضمير هو نفسه شيطان وجحيم وحاله عذاب تعذب نفسه . إن الحر في روحه يهرب من هذه الاشياء » - « ولا خطيئة (ص ١٧٨)الا ما يعتقد انه خطيئة » - « وهكذا يكون المرء متحدا مع الرب حتى انه أيما فعل انه لا يخطىء » - « انا انتمي الى حرية الطبيعة ، وكل ما ترغب فيه طبيعتي اشبعه ....انا رجل طبيعي » - «الانسان الحر مصيب تماما في فعل كل ما يعطيه السرور »إن هذه أقوال نموذجية ومضامينها لا يمكن ان تخطئها ، و شعر أن كل عمل كان يقوم به

عضو من هذه النخبة بأنه « لا يقع في وقته بل في الابـدية » وله دلالة صوفية كبيرة وقيمته بلا حدود ، وكانت هذه هـي الحـكمة السرية التي كشف عنها احد الاتباع لأحـد المحققين الذي كان متحيزا نوعا ما ، مع التأكيد بانها « كانت مستمدة من الاعماق الداخلية للمتاهة الالهية » وقيمتها اكبر بـكثير مـن كل الذهـب الذي في خـزانة ايرفورت ، واضاف «إنه من الأفضل ، أن يدمر العـالم كله أو يهلك تماما من أن يمنع رجل حر مر القيام بعمل تدفعه طبيعته الى القيام به »

وبعد أثنين وعشرين عاما من التكفير تسلم هنريش سوزو أمـرا من الرب بأن يتخلى عن سوطه و عن كل أدوات التعذيب و أن يتخلى عن الزهد الى الأبد ، و كان التابع الجديد للروح الحـرة يمضي إلى ابعد من ذلك بكثير ، حيث يولد من جديد في حالة يتوقف فيها الضمير عن العمل وتبطل الخطيئة ،و يشعر كارستقراطي يتمتع بمـزايا لا حدود لها ، و القوة التي استهلكت في تمارين الزهـد التـي يؤديهـا المتدرب على الرهبنة يجب أن تسـتعاد الآن ، إن أيام المراقبـة قـد انتهت ، واصبح له الحق ان ينام في فـراش وثير ، ولم يعـد هناك مزيد من الصيام ، ومن الآن فصاعدا يجب تغذية البدن على أفضـل اللحوم والأنبذة ، وأن يحتفـل كان ذا قيمـة روحية أعظـم مـن الأشتراك في تناول القربان المقدس ، وإن كأسـا ذهبية الآن هـدية مناسبة اكثر من كسرة خبز ، وتغير المظهر الخارجي والوقفـة لدى المهرطقين ايضا ، واحيانا كانت تبقى قلنسوة البيغرد أو البيغوبين مهترئة ، ولكن لم يعد يسمع عن الملابس القليلة او المرقعـة ، وكان الأتباع في شويتنز يمتعون أنفسهم بأي ملابس تـكون المبتـدئة قـد جاءت بها معها ويلبسـون الملابس الناعمـة تحـت أرديتهـم ذات القلانس ، وما ان أصبحت الأخت كاترين « ربة » أعلمها الكاهـن الذي تلقى اعترافاتها أن تضع قميصا ناعمـا « مـلابس كريمـة » وكان اخوة الروح الحرة احيانا يلبسون في الواقع ما يلبسه النبلاء. وفي العصور الوسـطى عندمـا كان اللبـاس عادة دليلا يعتمـد عليه كمؤشر على المنزلة الاجتماعية ، كان طبيعيا ان مثل هـذا المسـلك

بسبب الحيرة والاستياء ، واشتكى أحد رجال الاكليروس قـائلا : « ليس لهم لباس موحد ، فأحيانا يلبسون وفق أحدث الأزياء المكلفة والفاخرة ، واحيانا اكثر الملابس بؤسا ، وكل ذلك حسـب الزمـان والمكان . ويعتقدون أنهم معصومون ، وهم يظنون ايضا انه بالنسبة لهم كل نوع من اللباس مسموح ، وبتبني الملابس الكريمة بدلا مـن اسمال المتسولين ، رمز المهرطق(ص١٧٩)الى تحـوله مـن أدنى المراتب الفانية » الى عضو في الصفوة التـي تعتقـد أنهـا مخـولة بالسيطرة على العالم».

إذ انه يجب أن لا يظن أن اتباع الروح الحـرة كانوا يعيشـون في حالة من العزلة الكاملة أو التأمل ، لقـد كانوا يتجـولون في العـالم ويتعاملون مع الناس الآخـرين ، وكان هـذا التعـامل مـن نوع غريب ، لأن القدرة على أن يصبح المرء ربا كانت تـؤدي الى رفض كل العلاقات الاجتماعية ولم يكن المذهب الاجتمـاعي للروح الحـرة مفهوما تماما ، مع أن النصوص التي تصـورها مـوجودة ومتفـق عليها ، فهناك وصف كتب في منتصف القرن الرابع عشر ، ويحتمل انه كان مبنيا على الملاحظة المباشرة لواحدة من البيغـويين ، كانت تقرأ كتاب عقيدتها امام البغرد المهرطق الذي كان يقوم بدور الموجـه الروحي لها :

«عندما يبلغ الرجل حقا المعرفة العظمى والعـالية ، فإنه لا يعـود مقيدا بالالتزام بأي قانون أو بأي أمر ، لأنه قد توحد مع الله ، ولقد خلق الله كل الأشياء لخدمة مثل هـذا الشـخص ، وكل مـا خلقـه الله ، على الاطلاق هو ملك لمثل هذا الرجل ....أنه سوف يأخذ مـن كل المخلوقات بقدر مـا تتـطلب طبيعتـه و تـرغب ، و لن يكون له وسواس أو ريبة تحرك ضميره بشأنها . لأن الأشياء المخلوقـة ملك له ... والانسان الذي تخدمه كل السماء على الناس والمخلوقات حقا ان تلتزم بخدمته وطاعته ، وإذا احد لم يطعه يكون بذلك مذنبا» وتؤكد ادبيات الهرطقة الباقية كل هذا ، وتقـول رسـالة الناسـك حـول « الرجل الكامل الذي هو اله وانسان ، إن كل شي مـوجود ملك له »

ويضع سويستر كاتري المذهب الاجتماعي للروح الحرة في مقابل خلفيته الافلاطونية المحدثة ، ويسير الجدل ، إن كل شيء يستعمل غيره ، الغزال يستعمل العشب ، والسماء الماء ، والطير الهواء ، و عليه إن الشخص الذي اصبح ربا يجب أن يستخدم كل الأشياء لأنه بذلك يدفع بكل الأشياء الى اصلها الاول ، والنصيحة التي تلقتها الأخت كاترين على الفور بعد تأليهها تفهم بالتعابير نفسها :

« انك ستأمرين كل الأشياء المخلوقة بخدمتك ، وفق مشيئتك ، لأن المجد للرب ....انك ستحملين كل شيء الى الرب . واذا اردت استخدام كل الكائنات المخلوقة فإن لك الحق في ذلك ، لأن كل مخلوق تستخدمينه تدفعينه الى اصله »

وكما في الايام الأولى من الحركة ما برح التعبير عن هذا الموقف شبقا فاسقا ملونا بالصوفية ، ونقلا عن احد الاتباع : تماما كما أن الماشية مخلوقة لاستعمال الكائنات البشرية ، كذلك النساء مخلوقات لاستعمال أخوة الروح الحرة ، وفي الواقع إنه بمثل هذه الالفة الحميمة والعلاقة غير الشرعية اصبحت المراة اكثر عفه من قبل! ، وهكذا إنها إذا كانت قد فقدت عذريتها من قبل إنها تستعيدها الآن ، ومن المهرطقين السوابيين في القرن الثالث عشر الى الرانترز في القرن السابع عشر جرى التعبير عن الفكرة نفسها مرات ومرات : فمن أجل « البراعة في الروح » إن الاتصال الجنسي (ص ١٨٠) لا يمكن تحت أي ظرف أن يكون مدعاة للخطيئة وكان يعتقد أن احدى العلاقات المؤكدة « للروح البارعة » هي بالضبط القدرة على الانغماس في الفسق ، دون الخوف من الرب أو وخز الضمير ، وكان بعض الأتباع يذسون شيئا من القيمة الصوفية الظاهرية الفائقة السمو للعمل الجنسي نفسه ، عندما يؤدي من قبل امثالهم . وقد اطلقت طليعة اهل الفكر على هذا العمل « متعة الفردوس ـ ووله » وهو اصطلاح يستعمل لتوكيد النشوة الصوفية ، وكانت أخوة الدم التورنجية في ١٥٥٠ تعتبره مقدسا

وتدعوه «تمسيح» ولدى الجميع على السواء كان للزنا قيمة رمزية كتأكيد للانعتاق ، وكما عبر عنه رانترس كلاركسون» حتى تقوم بما يدعى إثما ، إنك لم تتحرر من سلطة الخطيئة»

وفي هذا الاطار تصبح ديانة آدم التي كثيرا ما وجدت بين أتباع الروح الحرة مفهومه تماما ، ويحتمل امكانية استبعاد المرء لاداء المؤرخين ان هذه الديانة كانت لاتشمل الطقوس الجنسية المشتركة فمنذ أيام الكنيسة الأولى وما بعدها كانت مثل هذه القصص تروى بهدف تشويه سمعة مجموعات الاقلية ، وليس في الوثائق الموجودة ما يوحي انها حتى عندما تحكي عن اتباع الروح الحرة هي روايات مسوغة ، ومن جانب اخر كان الاتباع احيانا يمارسون عريا طقوسيا ، تماما كما كانوا احيانا ينغمسون في الفسق الجنسي ، ولا شك انهم في كلتا الحالتين كانوا يؤكدون ــ كما عبر عن الأمر أحد المحققين ــ العودة الى حالة البراءة التي كانت موجودة قبل السقوط وقد رأى المعلق الذكي والدقيق الملاحظة كارلبيردي جيرسون العلاقة واضحة تماما ، وقد لاحظ ان «التورلوبان» كثيرا ما كانوا يرون عراة معا ، قائلين إن المرء يجب أن لا يخجل من كل شيء طبيعي واعتبروا عري المرء بلا خجل مثل آدم وحواء جزءا اساسيا من حالة الكمال على الأرض ، وكانوا يطلقون على ذلك حالة البراءة ، ومثل هذا ادعى زعماء طليعة أهل الفكر انه كان لديهم طريقة خاصة للقيام بالعمل الجنسي كانت هي المتبعة من قبل آدم وحواء في جنة عدن ، وقد جعل الرجل نفسه من ذاته منفذا مهمة تدشين العصر الثالث والأخير ، ولم يكن التابع الوحيد الذي يدمج هذه التخيلات الاصلية اليائسة ، وفي ١٣٨١ أعلن تابع في ايخستات نفسه آدم الثاني ، الذي بحلوله محل المسيح كان يقيم العصر الثالث والأخير في صورة جنة ارضية تدوم حتى ترفع بكيانها الى السماء ، أما الأحرار الروحيون الذين شجبهم كالفن فقد أعلنوا انهم وجدوا طريق العودة الى الحالة التي استمتع بها آدم قبل أن يذوق معرفة الخير والشر ، وأنهم أيضا يعيشون في الأيام الأخيرة التي فيها تستبدل الشريعة المسيحية بشريعة جديدة اسمى ، وفي

الواقع يمكن للمرء (ص ١٨١) بالفعل أن يتعرف من هذه الهرطقة المتعلقة بالعصور الوسطى على هذا المزيج من الألفية والبدائية التي اصبحت واحدة من الصور الشائعة للرومانتيكية الحديثة ، وفي ديانة أدم أعيد خلق الفردوس المفقود وفي الوقت نفسه تأكد حلول الألفية ، والبراءة الابتدائية والمباركة قد أعيدت للعالم بوساطة الأرباب الاحياء الذين بلغت فيهم الخليقة كمالها وتسامت في الشعور.

فإذا كان لنعيم الجنة الجديدة أن يصبح متعة كاملة للاتباع فقط ، فإن فئات ما أخرى كان يمكنها أن تتوقه على الأقل ، ووجد دون الاتباع من «الارباب الأحياء» طبقة غفيرة من الرجال والنساء الذين لقنوا تماما تعاليم الروح الحرة ، وكان هؤلاء الناس أنفسهم صوفية ولكنهم لم يكونوا قد مروا خلال التجربة الحاسمة التي تحول الكائن البشري الى رب ، انهم بدلا من ذلك كانوا يتمتعون بتفوق بديل على البشر من خلال علاقتهم الخاصة مع التابع ، وكانت ماهية هذه العلاقة واضحة بدرجة كافية ، وبعد أن يصبح ربا يبدأ التابع الجديد في التماس الصلة مع الأرواح النقية التي تنشد الكمال » ، و من هؤلاء كان ينتزع قسما بالطاعة العمياء كان يؤدى اثناء الركوع ، و كان هذا القسم يعبر ناسخا لكل نذر سالف بما في ذلك عهود الزواج ، و عن مثل هؤلاء الرجال قال كالالبيردي جيرسون إنهم قدموا وعدا بالطاعة المطلقة الى كائن بشري ، وتلقوا في مقابل ذلك تأكيد بأنهم لن يرتكبوا إثما ، انهم كانوا الناس الذين شكلوا وكونوا جمهور حركة الروح الحرة. -

والعلاقة التي وجدت بين التابع والحواري مصورة بشكل مثير في اعتراف الراهب المرتد مارتن أوف مينز الذي حوكم في كولون في ١٣٩٣ ، واحرق كمهرطق غير تائب وكان هذا الرجل ، الذي نشر هرطقة الروح الحرة في وادي الراين ، كان حواريا للمهرطق المشهور نيكولاس اوف بازل الذي ادعى انه مسيح جديد ، وفي رأي مارتن كان هناك طريق واحد للخلاص يمر عبر اداء الخضوع المطلق

لعلم ، وكان هذا الأداء تجربة مريعة ، ولكت ماان تتم فـانها تجلب مزايا هـائلة لأن نيكولاس كان المنبـع الحقيقـي الوحيد للمعـرفة والسلطة ، وكان بامكانه تفسير الأناجيل حيث أنه حتى الحواريين لم يكونوا قادرين على تفسيرها ، وإذا رغب أحد معلمي اللاهوت في التقدم الروحي عليه أن يضع الأناجيل في جانب ويقوم بأداء فروض الخضوع ، ونيكولاس وحده هو الذي يملك حـق تـرسيم الكاهـن وباقرار منه كان يفتقر الى هذا التصـديق ، فـانه كان عاجـزا عن القيام بعمل صـالح ، ولكن فـوق كل شيء ، إذا اتبـع المرء أوامـر نيكولاس فانه لا يأثم (ص ١٨٢) و يمكن للمرء أن يرتكب الزنا أو القتل دون تأنيب إذا أمر به ، و الأثم الوحيد هو عصـيانه أو التنكر له ، وفي لحظة أداء الخضـوع له يدخـل المرء في حـالة البـراءة الابتدائية» .

وبين الجماعة المغلقة للروح الحرة وجمهور البشرية غير المتمتعة بالخلاص هناك خليج لا يمكن قياسه ولا عبوره ، وبالنسبة للعناصر العادية الفانية إن التـابع لا « يقيم لهـم اعتبـار يزيد على قيمـة حصان» ، وفي عيونهم وجد الجنس البشري بشكل عام فقط ليستغل من قبلهم «الانتخاب الجارح للمشاعر» ومن هنا كانت عدم الامـانة السعيدة التي نكرت قرنا بعد قرن على أنها من الخصائص الغـريبة لأولئك الذين هم فوق الطوائف الأخرى ، وما برح كالفن يلاحظ أن إحدى المواد الرئيسة في عقيدتهم : يجب أن يقوم التـابع بـأي دور يكسبه أكبر نفوذ ، وليس هناك شـك أن هؤلاء الناس قـد طـوروا مهارة اسـتثنائية في الكذب والادعاء نشروهـا ليس فقـط لحمـاية أنفسهم من أعدائهم الاكليروس بل ليبعثوا الدفء في طريقهم في رضا الأرواح البسيطة.

وأنه لغريب بدرجة كافية أن الاعتقاد نفسه بتفوقهم غير المحـدود هو في المقام الأول الذي حول اتباع الروح الحـرة الى حملة لمذهـب اجتماعي ثوري ، وبحلول القرن الرابع عشر قرر بعضهم على الأقل ان حالة البراءة لم تتمكن من أخذ سمه مميزة مـن مـؤسسة الملكية

الخاصة وفي ١٣١٧ أوضح اسقف ستراسبورغ : « انهم يعتقـدون ان كل شيء مشترك ، لذلك فانهم يسـتخلصون ان السرقـة مشروعة بالنسبة لهم ». وكان طبيعيا تماما في الواقع بالنسبة للتابع أن يعتبر كل شيء ، ملكا له . وقد توضحت هذه النقطة بدرجة كافية مـن قبـل جوهان هارتمان ، وهو تابع قبض عليه في ايرفورت في الوقت نفسه الذي قبض فيه على اللطام المسائحي كونراد شمد بقوله :«إن الرجـل الحر حقا هو ملك كل المخلوقات وسيدها جميعا ، وكل شيء ملك له ، وله الحق في استعمال كل ما يسره ، واذا حاول احـد منعـه . فـان الرجل الحر قد يقتله وياخذ موجود اته » وكان اجون برون وهو تابع كان يعيش في بيت الفقر الطوعي في كولون حتى اكثر وضوحا . لقـد قال : كان الرب« حـرا » وعليه فقـد خلق كل الاشـياء « بشـكل مشاع » ، وفي الممارسة كان هذا يعني ان كل الاشياء وجدت لتقتسم بين اصحاب «الروح الحرة » واوضح انه اذا امتلك اي شخص وفرة من الغذاء ، فذلك يوفر حتى يمكن أن يسعف احتياجات اخوة الروح الحرة ، وكان تابع الروح الحرة حرا في أن ياكل في حانة او فندق ثم يمتنع عن الدفع ، فاذا طالبه صاحب الحانة او الفندق بالمال يجب ان يضرب لان الطعام الذي يقدم مجانا لاحد التابعين كان « يتحول الى الخلود » ، وكانت هذه الفكرة شـائعة بين اخـوة الروح الحـرة ، وماقيل عن الطعام قيل ايضا عن المال . وكل ما ينفقـه تـابع الروح الحرة « يتحول الى الخلود » ، او الى « الدرجـةالاسمى للفقـر » ونقلا عن جون بروئن ، اذا وجد تابع مالا على الطريق ، فـان هـذا يكون علامة على(ص ١٨٣) ان الرب يريده أن ينفعه مع اخـوته ، وكان عليه بناء على ذلك ان يحفظه لهذا الغرض ، حتى لو طالب بـه صاحبه وحاول استرداده بالعنف . واذا قتل صاحب المال او حتـى التابع نفسه في الصراع فان هذا لا يهم ، لأن روحـا قـد عادت إلى اهلها .

ولكن اذا سلمت النقود يكون التابع قد تراجع من « الابـدية الى الدنيوية المؤقته الزائلة » ، واذا ساعد تابع مريضا كعمـل خيري ، يجب ان يطلب الصدقة ، فاذا رفضت يكون حرا في أخذ المال بالقوة ،

ولاحاجة للحيرة حتى اذا مات الرجل من الجـوع نتيجـة لذلك وكان الغش والسرقة والسطو بالعنف كلها اعمال مسوغة ، وقد اقر جون ١ انه ارتكبها جميعا وقال إنهـا كانت طبيعية بين نحـو مـائتين مـن البيغرد مـن معـارفه ، وهناك ادلة على ان هـذه كانت في الواقـع ممارسات عادية بين اخوة الروح الحرة ، وكان من اقـوالهم : « كل ما تراه العين وتشتهيه فلتاخذه اليد »

ودام هذا الموقف حتى القـرنين السـادس عشر والسـابع عشر ووصف كالفن الاحرار الروحانيين بأنهم يعتقدون ان احدا يجب ان لايملك شيئا لنفسه ولكن لكل امرىء ان ياخذ كل ما يمكنه ان يضـع يديه عليه ، واذا كان هـذا كله مجـرد تسـويغ للسرقــة إنه قليل الاهمية ، لان اللصوص المحترفين لاحاجة عندهم لمذهـب ، والناس الاخرين لن يتاثروا او ينفعلوا ، ولكن ماأراد اتبـاع الروح الحـرة قوله في الواقع حول الملكية الخاصة كان ذا مضامين اكثر اتسـاعا : «اعطوا أعطـوا أعطـوا ، تخلوا عن بيوتـكم وجيادكم واراضـيكم وبضائعكم، تخلوا ، ولاتعتبروا أن شـيئا يخصـكم ، ليكن كل شيء مشاعا . كانت هذه صيحة رانتر ابييزر كوب تردد اصـداء صـيحة جون برون قبل ذلك بثلاثة قرون : « إن كل الاشياء التي خلقهـا الله مشاع » واصبحت القوة الكاملة لهذه العبارات ظاهرة عندمـا ادرك على انها استمرار لتقاليد خاصة مـن النقـد الاجتمـاعي لم تـكن متطرفة جدا فقط ولكن كما سنرى ، كانت بالفعل قديمة جدا

وكتب العرض المقدم اعلاه حول تاليه الذات والفوضوية الصوفية لاتباع الروح الحرة قبل عدة سنوات من نشر نص مرغريت بـوريت « مراة الارواح البسيطة » من قبل الاستاذ غاريندير ، حيث ان هـذا هو النص الوحيد الكامل الذي كتبه تـابع مـن العصـور الوسـطى وعرف انه نجا ، ويقتضي بعض الاهتمام به ، حتـى مـع المخـاطرة ببعض التكرار .

ومن الواضح ان الكتاب عمل خاص ، كما تقول المؤلفة نفسـها ،

ولهجته لاترمي الى ان تكون مفهومة من قبل العناصر الفانية البسيطة التي تعيش وفق ما يمليه العقل ، ولقد كتب ليكون برنامج تعليمات ، يجب ان تتلى بصوت مرتفع على مجموعات ممن سيصبحون اتباعا للروح الحرة ، وموضوعة (ص ١٨٤) هو صعود الروح نحو الحرية الكاملة .

وتتقدم الروح عبر سبع مراحل : الثلاثة الاولى منها مكرسة لنكران الذات والطاعة من قبل الزاهد ، والذي بعده في المرحلة الرابعة ، تبلغ الروح حالة من النشوة التي اعميت بوساطة ضوء الحب المشع ، ولكن مع ان الروح قد تعتقد انها قد بلغت بالفعل مرحلة الاتحاد مع الرب ، فانها تكون ماتزال في البداية فقط من مرحلة الصعود ، وفي المرحلة الخامسة تعرف اثمها ، والخليج الهائل الذي مايزال يفصلها عن الخير الكامل وهو الرب ، وعند هذه النقطة يغمرها الرب في فيض شامل من الحب والنور يتغلغل الى داخل نفسه ، حتى أن ارادة النفس تتوحد مع الارادة الالهية .

وحتى الآن ، لا شي يميز هذا الصعود عن ذلك المعروف لدى الصوفية الأصوليين . ولكن في المرحلة السادسة يبدأ الافتراق : إن الروح تتقدم في الألوهية وعند هذه النقطة لا شيء يبقى بعد سوى الرب فالروح لا ترى إلا نفسها التي هي الرب ، في حين أن الرب يرى عظمته الالهية في هذه النفس وهذا التماثل الكامل بين الروح والرب يقع تماما خارج تجربة الصوفية لدى الكاثوليك ، وهكذا تفعل المرحلة السابعة والأخيرة من الصعود ، حيث تبتهج الروح بشكل دائم ، وهي ماتزال على هذه الأرض في البهاء والبركة التي تحفظها الديانة الأصولية للفردوس.

وهذا التأليه للنفس ممكن لأن الروح موجودة في الرب منذ الأزل. إن الروح والرب واحد ، مثل اللهب والنار شيء واحد ، إنها تأتي من الرب وتعود الى الرب كقطرة ماء تأتي من البحر ثم تعود اليه ، وفي الواقع إن الرب هو كل شيء كائن ، لذلك بالعدمية في الله

تعود الروح الى التوحيد مع الكائن الاصلي .إنها أيضا توحدت في الحالة الابتدائية للبراءة التي تمتع بها آدم قبل سقطته ، وبذلك تحررت من نتائج الخطيئة الأصلية واصبحت بلا خطيئة ، وعلاوة على ذلك اصبحت غير قادرة على الاثم . وليس لهذه الروح مشيئة سوى مشيئة الرب التي تجعلها تريد ما يجب أن تريده ، وهذا بدوره يعني أنها حرة تفعل ما يسرها وبناء عليه لا يفعل الاتباع الا ما يسرهم ، إذ انهم إذا لم يفعلوا يحرمون أنفسهم من السلام والحرية والنبل ، لأن الروح لاتصح حتى تفعل ما يسرها ، وهي لا تلام على تمتعها ، وحيث ان الحب ، أعني الرب قد أقام في النفس فانه يتولى كل شيء وكل الأفعال ، لهذا لا تعاني الروح قلقا أو ندما . وأيا كانت الأفعال الخارجية هي أعمال الرب ، تعمل في الروح.

وبارتفاعها الى ما وراء حدود البشرية تمر الروح في حالة من اللامبالاة الشاملة ، لا تبالي فيها بشيء ، لا بالكائنات البشرية الأخرى ، ولا حتى بالرب ، وهي حتى لا تعني بخلاص نفسها : ومثل هذه الأرواح لا يمكن أن ترى نفسها خيرة أو شريرة (ص ١٨٥) ، فهي لا تعي نفسها وهي لا تستطيع ان تحكم إذا ما كانت مؤمنة أو ضالة،واهتمام المرء بمثل هذه الأمور هو عودة الى الارادة الذاتية وضياع للحرية .

وحيث أن الخلاص قد أصبح أمرا لا يستحق المبالاة ، والمساعدات على الخلاص التي قدمها أو أوصى بها المسيح أصبحت أيضا أمرا لا يستحق المبالاة ، ولم يعد للقربان المقدس ولا للوعظ ولا للزهد ولا للتأمل أي قيمة ، وشفاعة العذراء والقديسين أصبحت بلا معنى ، وفي الواقع إن الروح المؤلهة لا حاجة لها حتى الى الرب نفسه ، وما أن يتم الوصول الى السكون المطلق للوحدة الالهية ، لا المعرفة ولا الحمد ولا حتى محبة الله تبقى موجودة .وعند أعلى نقطة في الكيان يهجر الرب نفسه بنفسه في نفسه ، بمعنى أن رب المسيحية قد تم التخلي عنه لصالح رب النشوة في وحدة الوجود.

ونحو الأمور الأرضية أيضا ، تشعر الروح المؤلهة فقط باللامبالاة العميقة ، ولا تشعر هذه الروح بأي الم بسبب أي خطيئة قد ارتكبتها قط ، ولا من اجل ما عاناه الرب من أجل هذه الروح ، ولا من اجل الخطيئة والألم اللذان يرزح تحتهما جيرانها وأفكار مثل هذه الأرواح إلهية الى درجة انها لا تقلق نفسها بالأشياء التي خلقت ، وفي الوقت نفسه إن هذه الأرواح حرة في استعمال كل الأشياء المخلوقة لأغراضها الخاصة : لماذ ينبغي أن تشعر مثل هذه الارواح بتأنيب حول أخذها لما تريد ، عندما تدعو الحاجة اليه؟إن هذا يكون نقصا في البراءة واعاقة لذلك السلام الذي تستريح فيه الروح من كل الأشياء.... ومثل هذه الارواح تستعمل كل الأشياء التي صنعت وخلقت ، والتي تتطلبها براحة فكرية كما يستعملون الأرض التي يسيرون عليها» .

وعلى هذا يؤكد كتاب مرغريت بوريت تماما فكرتنا عن الروح الحرة وهو تفسير بني خطوة بخطوة على أنواع من المصادر المعيبة ويعرض على انه صحيح الجوهر ، وكما اكدت مرغريت تكرارا ، انها كانت تخاطب الصفوة فقط ، اولئك الذين تدعوهم «الكنيسة العظمى» ، تمييزا لهم عن «الكنيسة الصغرى» وهي الكنيسة المؤسساتية في روما ، وهي بهذه الصفوة تبشر في الواقع بمذهب تأليه الذات والفوضوية الصوفية.

وفي نقطتين فقط تختلف تعاليم مرغريت عن تلك التي تنسب - لنقل - الى جوهان هارتمان ، أو جون برون ، أو الأحرار الروحانيين لكالفن. ومرغريت لم تقترح في اي مكان ، أن الروح المؤلهة - او كما يمكن ان نقول أن تابع الروح الحرة - ينغمس أو يجب ان ينغمس فيما كان يعتبر عادة خطيئة مثل السرقة والفسق الجنسي ، وباستثناء التلميح هي لم تقل شيئا (ص ١٨٦) أيضا حول الموجودات ، وليس هناك ما يدهش في ذلك فاذا تفحص المرء مادة رانتر في ملحق الكتاب الراهن يجد أنه بينما يشترك كل هؤلاء الكتاب في المذهب الصوفي نفسه إنهم يختلفون في النتائج العملية التي

- ١٦٥٤ -
يستخرجونها منه ، وستظهر الفصول التالية على اي حال اي ثورية وفوضوية كانت منضوية تحت بعض نواحي الروح الحرة.

الفصل العاشر

حالة المساواة في الطبيعة

في الفكر القديم

مثل التخيلات (ص١٨٧) الأخرى التي مضت في بناء الايمان الثوري بالأخرويات في أوربا يمكن تعقب تخيلات المساواتية والشيوعية رجوعا الى الوراء الى العالم القديم ، لقد ورثت أوروبا العصور الوسطى عن الأغريق والرومان فكرة « دولة الطبيعة » كدولة الشؤون التي يتساوى فيها كل الناس في المنزلة والغنى والتي لا يضطهدفيها أحد أو يستغل من قبل اي شخص أخر ، دولة شؤون تتميز بالعقيدة الخيرة والحب الاخوي واحيانا ايضا بالمشاركة التامة بالملكية وربما حتى في الزواج.

وفي كل من الادبين الاغريقي واللاتيني عرضت دولة الطبيعة على انها وجدت على الأرض في عصر ذهبي فقد من زمان طويل أو « حكم ساتورن » (اله الزراعة عند الرومان) وكان صدى نص الاسطورة في مسخ أو فيد قد تكرر في الأدب التالي ليحدث تأثيرا هائلا في الفكر الشيوعي خلال العصور الوسطى ، ونقلا عن أو فيد ، في بداية التاريخ البشري ، في ذلك العصر الذهبي الأول قبل خلع ساترون على يدي جوبتير اعتاد الناس أن يغرسوا عقيدة الخير والفضيلة بشكل عفوي دون قوانين ، ولم يكن العقاب والخوف موجودين ،ولم تكن عبارات التهديد تقرأ من لوائح برونزية ثابتة..... ولم تكن الأرض نفسها مضطربة ولم تمسها المسحاة ، ولم تفككها سكة اي محراث ، تعطي الأرض نفسها بمشيئتها الخاصة ...» ولكن كان لا بد أن يأتي اليوم الذي هرب فيه الخجل والحق والعقيدة

الخيرة ، وحل محلهم الخداع والاثم والتآمر والعنف والشهوة الخبيثة للتملك... والمسح والحذر الذي يعلم بخطوط الحدود الطويلة الأرض التي كانت حتى اليوم ملكية مشتركة مثل اشعة الشمس والنسيم... والآن ينتج الحديد الضار والذهب الذي هو أكثر ضررا من الحديد ، وهذه أوجدت الحرب...وان يعيش الناس من النهب...»

وكان ساتورن احيانا قد صور من قبل فرجيل على أنه التجأ الى ايطاليا بعد خلعه عن العرش الأوليمبي ومن ثم اقام عصرا ذهبيا على التراب الايطالي ، ويعطي احد معاصري او فيد الذي كان عمله ايضا مألوفا جدا لدى علماء العصور الوسطى وهو المؤرخ غنويوس بومبيوس تروغس رواية مشرقة عن ذلك الحكم المبارك وعن العيد السنوي الذي كان يخلد به (ص ١٨٨) :

« لقد كان أول سكان ايطاليا من أهل الفطرة وكان ملكهم ساتورن كما يقال عادلا جدا ، حتى انه تحت حكمه لم يستعبد أحد و ايضا لم يختص احد بأي ملكية خاصة ، بل إن كل شيء كان ملكا مشتركا للجميع ودون تقسيم ، كما لو كان هناك ميراث واحد لكل الناس ، وتخليدا لهذا المثال رسم أنه خلال عيد الاله ساتورن يجب ان يعطي الجميع حقوقا متساوية حتى أن السادة والعبيد يجلسون معا في الولائم ، دون اي تمييز »

وكا بين الكاتب الساخر الهجاء لوسيان في القرن الثاني الميلادي ، ان مضمون الأسطورة يبقى اكثر توكيدا للمساواة ، وفي مخاطبته لرب العصر الذهبي ابدى لوسيان دهشته :

«اسمع الآن الشعراء يرددون انه في الأيام القديمة ، عندما كنت ملكا كانت الأشياء مختلفة في هذا العالم ، فالأرض تحمل ثمارها للناس دون بذر أو حرث ، ولكل رجل مائدة معدة تماما ، وعليها اكثر مما يكفي ، انهار تجري بالنبيذ واخرى بالحليب وغيرها بالعسل ، وأهم من كل ذلك ، يقولون انه في ذلك الوقت كان الناس

انفسهم من الذهب ، لم يقربهم الفقر ابدا ، في حين اننا بالكاد من الرصاص ، بل الحري إن بعضنا حتى من معدن احط ، ومعظمنا يأكل كسرة الخبز مغمسة بعرق مرفقة ، وهو مرهق الى الأبد بالفقر والعوز والعجز ، يصرخ وا أسفاه ، وياله من قدر! هكذا نعيش نحن الفقراء ، وصدقني إن هذا كله اقل إزعاجا لنا لو اننا لا نرى الأغنياء يتمتعون بمثل هذا الوقت الطيب ، مع الكثير من الذهب والفضة في خزائنهم ، كل هذه الأثواب والعبيد والعربات والضياع و المزارع ، يملكون فيضا من كل هذه الأشياء و لا يتنازلون حتى بالقاء نظرة الينا ، نحن السواد الأعظم ، دع عنك مقاسمتنا اي شيء »

وقدمت دولة المساواة الطبيعية موضوعا للتأمل الفلسفي للأدب والشعر ، وكان تحت الستار الفلسفي أكثر منه تحت المظهر الأدبي ان اثرت الفكرة في النظرية السياسية للعصور الوسطى ، وسلفا من قبل في القرن الثالث ق.م كان الرواقيون اليونانيون يؤكدون بقوة أن جميع الناس اخوة ، وعلاوة على ذلك أن الجميع كانوا بالطبيعة احرارا ومتساوين ، ويبدو أن مؤسس الرواق القديم ، زينو نفسه قد استهل تعاليمه بوصف مجتمع عالمي مثالي يعيش الناس فيه كقطيع كبير من الغنم في مرعى واحد مشترك ، وتختفي فيه فروق العرق والولاء السياسي ؛ وربما المنزلة والمزاج الفردي ويتوحد فيه كل الناس في مشاركة تامة في الشعور والارادة ، وعلاوة على ذلك إن الديانة الرواقية التي استمدت بقدر كبير من علم التنجيم الكلداني وتركزت على عبادة الأجسام السماوية سرعان ما خصصت موضعا فريدا في اهميته لاله الشمس الذي كان مشهورا كمحسن كريم مبرز وفوق كل شيء عادل ، وفي الاندماج التام للضوء بالشمس (ص ١٨٩) رأى بعض الرواقيين المثل الأعلى للعدالة الاجتماعية وحتى للاشتراك في الموجودات ، وهي فكرة أصبحت بسرعة وبقيت طويلا شائعة في علم الخطابة ولغة المساواة .

ويبدو ان العملين الذين كتبا تحت تأثير رواقي قوي – ويحتمل

ان احدهما كان في القرن الثاني ق.م والثاني في القرن الثـاني بعـد الميلاد ـ يصوران بحيوية كبيرة نوع التخيلات المساواتية التي كان العالم القديم قد ورثها للعصور الوسطى ، واقدم الاثنين هو وصف لجزر المباركين الذي بقـي فقـط في الملخص الذي وضعه المؤرخ اليوناني ديودورس ســــــيكيولاس Diodorus Siculus في مكتبته التاريخية ـ في الصورة التـي حقق بها وترجم كعمل مستقل عشرات المرات خـلال عصر النهضـة ـ لقد كرست الجزر السبعة للشـمس وسـكنها رجـال الشـمس Heliopobtans ، وكل يوم على مـدار الشـهر تمر الشمس مباشرة فوق الجزر ، بنتيجـة أن الأيام بقيت دائمـا بطول الليالي نفسـها بـالضبط ، والطقس جيد بصـورة دائمـة والفصل صيف لايتبدل تكثر فيه الثمار والأزهار .

وكان سكان كل جزيرة مقسمين الى اربع قبائل ، كل منها ..٤٠ من الأقوياء ، وكل الرعايا لهم البنية التامة الصحية نفسها والملامح الجمالية التامة نفسها ، وكل يأخـذ دوره ليؤدي كل مهمـة ضرورية كصياد أو سـماك ، أو في خـدمة الدولة ، وتسـتخدم كل الأراضي والماشية والعدد بالدور من قبل كل مواطن وعليه فـانها ليسـت ملكا لأحد بشـكل خـاص ، والزواج غير معـروف والفسـق الجنسي تام ، والقبيلة مسؤولة عن تربية الأطفال ويتم هذا بـطريقة تجعـل الأمهات لايتعرفن على اطفـالهن وغياب الوارثين بـالتالي يزيل كل سبب للتنافس او التباري ، ويعطي قانون الطبيعة الذي يعمـل بين الارواح غير المشوهة سلاما وانسـجاما كاملين لاينضـبان ، وفي الحقيقة انه في نظام بهذا القـدر مـن المسـاواة لايمـكن تخيل للشقاق ، وحتى في تـوقعاتهم الحياتية ان رجـال الشـمس كلهـم متساوون ، حيث يموت الكل طواعية وسلميا ، وهم في ذروة قوتهم في عمر ١٥٠ سنة .

والعمل الآخر ايضا معروف فقط من خـلال مقتـطفات حفـظها كاتب متأخر ، واولى كليمنت الاسـكندري في مجـال الهجـوم على

المهرطقين الغنطوسيين الذين رأهم يتكاثرون حوله اهتمـاما لبعض المتعصبين الذين سماهم كاربو كراتيانز والذين نسب الى مؤسسهم رسالة كتبت بالاغريقية بعنوان « في العدالة » ويبـدو ان البحـث الحديث يستبعد احتمال ان الغنطوسيين كانوا مسـؤولين عن هـذه الرسالة،وليس هناك على اي حـال مـن سـبب في الشـك في ان تلك الرسالة نفسها كانت موجودة او في ان اقتباسات كليمنت منها كانت دقيقة ، ومرة اخرى يجد المرء مذهبا للمساواة المطلقة مؤيدا بمثـال الشمس الخيرة المتجردة غير المتحيزة ، حيث انه طبقا لهذه الرسالة:
« ان عدالة الرب مشتركة في تساويها » فـالسماوات تغلف الأرض بـالتساوي في كل الجـوانب ، ويعـرض الليل كل النجـوم (ص ١٩٠) بـالتساوي ، وبـالقانون الالهـي تشرق الشـمس بالبهاء نفسـه على الغني والفقير ، على الحـاكم وشـعبه ، على الجاهل والحكيم وعلى الرجال والنساء وعلى الحـر والعبـد وعلى الحيوانات من كل الأنواع الطيبة والشريرة ، ولايسـتطيع احـد أن يأخذ منها أكثر من نصيبه من الضـوء أو يسـلب جـاره نصـيبه منه ، وقد وهب الرب ايضا نعمـة البصر للجميع على السـواء دون تفرقة أو تمييز ، ليستمتع بها بالتساوي وبشكل مشترك ، وحرص على أن تقدم الشمس الغذاء لكل الحيوانات على السواء ، الغـذاء الذي يتمتع به الجميع بالتساوي وبصورة مشتركة .

وبهذه الطرق اقام الله ماعناه بعـد الة تسـمو فـوق كل تسـاؤل وكانت في الأصل ارادته انه يجب ان يطبق المبـدأ نفسـه على كل الاشـياء ، على الأرض وثمـارها وعلى كل الموجـودات مـن كل نوع ، لقد خلق الله الكرم والحب وكل الثمـار لمنفعـة الجميع ، وفي البداية قدمت نفسها بلا ثمـن لكل عصـفور ، ولكل عابـر سـبيل
ولكن القوانين التي هي من صنع الانسان زعزعت القانون الالهي ودمرت النظام الاشتراكي الذي تبدى فيه هذا القانون ، لقـد كانت هذه القوانين البشرية هي التي اوجدت التمييز بين لي ولك ، حتـى ان الأشياء التي كانت بحـق ملكا للجميع لم يعـد التمتـع بهـا مشتركا ، وكان هذا الانتهاك للاشتراكية والمساواة هو الذي دفـع

الى السرقة والى كل الجرائم وعلاوة على ذلك قصد الله ان يتـزاوج الرجال والنساء بحرية حسبما ما برحت الحيوانات تفعل ، وفي هذا المجال ايضا نجد ان المشـاركة والمسـاواة شرعت بـالعدل الالهـي ودمرت من قبل بني البشر انفسهم .

وفي تضاد مع بعض اليونانيين لم يعـد لدى الرواقيين الرومـان ـ كما يمكن التوقع ـ اهتمام في الدعوة للمساواة ولكنهـم اقـروا بأنه حدث ذات مرة في عصر ذهبي منذ امد طويل ان عاش الناس معا في حالة من المساواة ، وافضـل نص شـامل لتعـاليمهم في هـــذا الموضوع قـدمه سـينكا Seneca في عدد مـن الفقـرات والتالي مثال جيد منها : « لقد كانت أوقـاتنا سـعيدة عندمـا كان سخاء الطبيعة رهن الاستخدام دون تفرقة من قبل الجميع ، قبل ان يحدث البخـل والتلهـف على التـرف والانقسـام بين الناس حيث تحولوا من الصداقة الى سرقة بعضهم بعضا .. وفي الحقيقـة ليس هناك حالة للبشرية تسمح لأي انسان بان تكون له قيمة اكبر من ذلك واذا كان للرب ان يسمح لأحد ان يصنع كائنات ارضية ، وان يضع العادات للناس ، لن يحاول المرء شيئا آخر سـوى مـاقيل عن ذلك العصر عندما لم يكن هناك عمال تفلح الأرض ولم يكن يسمح لأحـد ان يحدد او يقسم الأرض ، وعندما كان الناس يضعون كل شيء في مخزن مشترك ، وكانت الأرض تحمل كل شيء بحرية اكثر لأن أحدا لم يطالبها ، من الذي يمكن أن يكون أسـعد مـن ذلك العـرق مـن البشر ؟ وكل ماانتجته الطبيعة كانوا يتمتعون به بصورة مشـتركة لهذا كانت الطبيعة تفي بـالغرض مثلهـا مثـل الأم والحـارس لكل الناس ، وكان الكل في أمان بامتلاكهم للثروة العامة ، لماذا لاأدعو هذا أغنى (ص ١٩١) عروق الانسان ، عندما لم يكن هناك انسـان فقير ؟ ولكن البخل غزا هذا الترتيب الذي هو افضل مايمكن ، وفي حين كان يرمي الى الاستيلاء على كل شيء وادعائه لنفسه انتهى بان جعل كل شيء ملكا للآخرين واختزل نفسه من غني غير محـدود الى فقر مدقع ، لقد سبب الجشع الفقر وبالرغبة في كثير مـن الأشـياء خسر كل شيء ، والآن سيكد الجشع ليسترجع مافقده ، وقد يضم

الحقول الى الحقول ، ويطرد جيرانه بالمال او بالقوة ، ويوسع ضياعه حتى تصبح في حجم اقليم ، ويدعى ان السفر الطويل في اراضيه تماما كامتلاكها لكن مامن مد للحدود بلا مدى يمكن ان يعيدنا الى ما تخلينا عنه ، وعندما نفعل كل شيء سنملك الكثير

ولكننا ملكنا العالم كله مرة لقد كانت الأرض نفسها اكثر خصوبة عندما لم تفلح وكانت وفيرة بحيث تلبي احتياجات كل الناس ، الذين لم يخطفوها من بعضهم بعضا ، ولم يكن السرور بالعثور على ماجادت به الطبيعة اكثر من السعادة باطلاع الآخرين على ماوجدوه ولم يكن لأحد ان يحصل على اكثر او اقل من اي انسان آخر ، لقد كان الناس يتقاسمون كل شيء بصورة مشتركة واتفاق مشترك ، ولم يكن القوي بعد قد وضع يديه على من هو اضعف ، ولم يكن البخيل بعد قد أخفى الثروة لينكر حقوق الآخرين في ضروريات الحياة ، لقد اعتنى كل واحد بجاره مثلما اعتنى بنفسه .....» لكن – وهذا كان محورا لكل هذا الجدل – كان سينكا قانعا بان نظام المساواة القديمة لم يفقد فقط ، بل فقد بالضرورة

فمع مرور الزمن اصبح الناس أشرارا ، وما أن حدث ذلك حتى باتت مؤسسات مثل الملكية الخاصة ، والحكومات الاستبدادية والتفريق في المنزلة ، وحتى العبودية ليس فقط الزامية بل ضرورية ايضا ولم تكن فقط نتائج بل ايضا علاجات لفساد طبيعة الانسان وكان في هذه الصورة وبفعل ثقل هذه الصفات ان تم تبني فكرة دولة المساواة البدائية الطبيعية من قبل الآباء وادمجت في النظرية السياسية للكنيسة .

في فكر آباء الكنيسة الأول وفي القرون الوسطى

على الأقل مع القرن الثالث للميلاد تمثلت العقيدة المسيحية فكرة دولة المساواة الطبيعية في الفلسفة الرواقية ذات التأثير الاستثنائي ، والتي كانت قد فقدت بلاعودة ، ومع انه كان ممكنا بالكاد الكلام عن التنظيم الاجتماعي والاقتصادي لجنة عدن ، تدبر

علماء اللاهوت الأصوليون مع ذلك أمر استخدام الاسطورة اليونانية – الرومانية ليصوروا عقيدة السقوط .

وفي مركز نظرية المجتمع هذه يقف التمييز بين دولة الطبيعة التي (ص ١٩٢) كانت مبنية على القانون الطبيعي والتي تعبر مبـاشرة عن المقاصد الربانية ، والدولة التقليدية التي خرجت مـن و أقـرت بوساطة العادة،ولقد كان متفقا عليه من قبل معظم الآباء المتـأخرين أن عدم المساواة والعبودية والحكومات الاسـتبدادية وحتـى الملكية الخاصة لم يكن لها دور في المقاصد الأصلية للرب ، و ظهـرت فقـط كنتيجة للسقوط ومان حدث السقوط من جانب أخر حتى بدأ تطور جعل من هذه المؤسسات أمرا لامفر منه ، والطبيعـة البشرية التـي فسدت بالخطيئة الأولى قد أصبحت تتطلب القيود التـي لاتـوجد في نظام مساواتي و لم تكن عدم المساواة في الثروة والمنزلة والقوة فقط نتائج بل علاجات ايضا للخطيئة ، والتوصيات الوحيدة التي تسمح بها مثل هذه الفكرة كانت توصيات موجهة نحو الأفراد وتتعامل فقط مع مشكلات السلوك الشخصي ان السيد يجـب ان يتصرف بلطـف وتعقل تجاه عبده ، فهو عزيز على الرب بقـدر مـاهو نفسـه عزيز عليه ، وان على الغني التزام اخـلاقي هـو أن يعـطي الصـدقات طواعية ، وأن الغني الذي يستخدم ثروته للأغراض الشريرة يخسر حقه فيها ، وهـكذا كانت النتـائج العملية المسـتمدة ، في حـدود الأصولية ، ومن مذهب دولة المساواة الابتـدائية الطبيعية ، لقـد كانت نتائج هـامة وقـد اثـرت على الحياة النصرانية بـطرق عدة ولكنها لم تفرز ولم تكن ترمي ايضـا الى افـراز مجتمـع بـدون اغنياء وفقراء ، دع عنك بلا ملكية خاصة .

ومع ذلك فلقد كانت تعاليم الكنيسة فوق كل شيء هي التـي خلدت فكرة ان المجتمع الطبيعي كان مجتمع مساواة ، وقد درس كثير من الآباء مفصلا وطويلا مـوضوع المسـاواة البـدائية للطبيعـة البشرية ، وفعلوا ذلك بشكل خاص في مناقشتهم لمؤسسة العبـودية (الرق) ، فلقد اقرت الكنيسة الرق والحـث على واجـب طـاعة

العبد وخضوعه حتى للسادة القساة ، ولكن هذا لم يمنع مثــلا عالم اللاهوت صاحب النفوذ في القرن الرابع والمعروف باسم « أمبــروز ياســتر Ambrosiaster » مـــن أن يذكر السادة بدورهم بان الله لم يخلق عبيدا وأحرار بــل خلق الناس كلهم احــــرارا وفي مــــدينة الله للقــــديس أوغســــطين Augustine عرضت هذه الفكرة نفسها بكل وضوح ممكن بقوله :

« ان نظام الطبيعة قد سقط بمرور الزمان ، وهكذا خلق الرب الانسان لأنه قال : (لتكن لهم السيادة على السمك في البحار وعلى الطيور في الهــواء ، وعلى كل شيء يزحــف على الأرض) وبخلقــه الانسان على صورته ، كائنا عاقلا اراد ان يجعله سيدا فقــط على الكائنات غير العاقلة وليس انسانا سيدا على انســان بــل انســانا سيدا على البهائم .... والسبب الأول للعبودية هو الخطيئة ، ولها خضع الانسان للانسان بقيود منزلته .... ولكن بالطبيعة التي خلق عليها الرب الانسان من قبل فــلا احــد عبــد لالانســان ولا للخطيئة » (ص ١٩٣)

وعلى الرغم من حقيقة ان الكنيسة نفسها قد اصبحت تملك عددا كبيرا من العبيد ، فان الفكرة التي عبر عنهــا القــديس اوغســطين بقيت الفكرة الأصولية خلال العصور الوسطى ، ولقد كان ذلك ايضا حكم محامي الاقطاعيين المدنيين ، ويمــكن ان يعتبــر راي المشرع الفرنسي الشهير بومانوار من القرن الثالث عشر ممثلا للرأي المعتاد لدى مفكري العصور الوسطى بقوله : « مع انه يوجد الآن طبقــات عديدة من الناس ، فانه صحيح ان الجميع كانوا في البداية أحرارا وعلى القدر نفسه من الحرية ، حيث ان كل واحد يعرف اننا جميعا قد تحدرنا من أب واحد وأم واحدة ......»

وغريبة هي الطريقة التي اندمج بها المذهب الكاثوليكي وحــافظ على فكرة ان كل الأشياء على الأرض يجب ان تكون ملكا مشــتركا لكل الكائنات البشرية ، وفي القرن الثالث نجد ان العبارات الأصلية

للرواقيين تتكرر من قبل القديس سيبريان حين أوضح ان نعم الرب قد اعطيت لكل الجنس البشري ، فالنهار يلقي الضوء على الجميع والشمس تشرق فوق الجميع ، والمطر يسقط والرياح تهب من أجل الجميع ، وبهاء النجوم والقمر ملكيته مشتركة ، هكذا احسان الرب غير المتميز ، والانسان الذي يقلد عدالة الرب يجب ان يقتسم ممتلكاته مع رفاقه المسيحيين ، وبحلول النصف الثاني من القرن الرابع كسبت هذه الفكرة قبولا واسعا بين الكتاب المسيحيين لقد وجدنا القديس زينو أوف فيرونا يكرر المقارنة التي اصبحت شائعة: «وبشكل مثالي ان كل البضائع يجب ان تكون مشتركة مثل النهار والليل ، والمطر ، والولادة والموت كذلك الأشياء التي تمنحها العدالة الالهية بالتساوي لكل الجنس البشري دون تمييز بين الأشخاص » ويبقى الأمر الأكثر اثارة هو بعض اقوال اسقف ميلانو الكبير القديس امبروز التي تجد فيها التقاليد التي صاغها من قبل سينكا اقوى تعبير :

« لقد صبت الطبيعة كل شيء لكل الناس ليكون ملكا مشتركا ، ولأن الله امر كل الأشياء ان تنتج حتى يصبح الغذاء شركة للجميع وان تكون الأرض ملكا مشاعا للجميع ، فلقد أوجدت الطبيعة بناء عليه حقا مشتركا ، ولكن الاستخدام والعادة أوجدا الحق الخاص ....» ولدعم هذه الفكرة استشهد امبروز بأفكارالرواقيين وببعض ماجاء في سفر التكوين كما لو كانا مصدرين متوائمين ومعتمدين معا ، وقال في مكان آخر « لقد كان الاله الرب يريد بشكل خاص ان تكون هذه الأرض ملكا مشتركا للجميع وان تعطي الثمار للجميع ولكن الجشع اوجد حقوق الملكية»

وهناك فقرة تمجد دولة الطبيعة الشيوعية بما في ذلك الحب الحر يمكن ان توجد في تشريعات غراتيا وهي الرسالة التي غدت النص الأساسي لدراسة الشريعة في كل الجامعات والذي يشكل القسم الأول من «مجموعة القوانين التشريعية » وقصة كيف انها وجدت فيها هي بالتأكيد الاغرب في تاريخ الأفكار ، وكان البابا كليمنت

الأول ، وهو واحد من اقدم أساقفة روما نشط في نحو نهاية القرن الأول،قد غدا بعد موته يعد بمثابة تلميذ للقديس بطرس نفسه (ص ١٩٤)والمقام الذي اضفناه هذا على اسمه نجم بقدر كبير عن الأب الأبوغرافاوي (غير الشرعي)الذي نسب اليه ، واحد هذه الأعمال زعم انها رسائل كتبت من قبل كليمنت الى القديس جيمس وصفت اسفاره مع القديس بطرس وتبلغ الذروة في "تعرفه" على والديه واخوته الذين انفصل عنهم منذ طفولته ويحتمل انها كتبت في سورية حوالي ٢٦٥ ميلادية ، واعطي هذا العمل صورته الحالية بعد نحو قرن ، وفي تعارف كليمنت كما هو بين ايدينا يظهر أبو كليمنت وثنيا يتناقش مع بطرس وكليمنث ثم يدخلانه في النهاية في المسيحية ، وفي مجرى الجدل اقتبس الوالد الآراء التالية ، التي عزاها الى « فلاسفة يونانيين» وهي بدرجة كافية من الصحة ، لو انه فقط لم يحاول في حينه أن ينسبها لافلاطون

«ان استعمال كل الأشياء الموجودة في هذا العالم كان يجب ان يكون مشتركا بين كل الناس ولكن بفعل عدم العدل يقول احد الرجال ان هذا له ، ويقول أخر ان ذلك له ، وهكذا وجد الانقسام بين الناس الفانيين وباختصار ، ان رجلا يونانيا بالغ الحكمة يعرف ماهية هذه الأمور يقول أن كل شيء يجب أن يبقى مشتركا بين الاصدقاء ، وبلا ريب بين كل الاشياء الأزواج مشمولون ، وهو يقول أيضا كما أن الهواء لايمكن تقسيمه ولا بهاء الشمس ، هكذا الأشياء الأخرى التي يعطيها هذا العالم يجب ان تكون ملكيتها مشتركة بين الجميع ويجب عدم تقسيمها بل يجب أن تبقى ملكا مشتركا ».

وبعد حوالي خمسة قرون احرزت هذه الفقرة اهمية جديدة كاملة ففي نحو ٨٥٠ م كان الراهب الفرنسي المعروف باسم إيزيدور الزائف (لأنه عزا أعماله الى ايزيدور ، رئيس أساقفة اشبيلية) كان يصدر فتاوى بابوية زائفة وشرائع للمجموعة الشهيرة المعروفة الآن باسم الفتاوى الزائفة ، وتفتتح المجموعة بخمسة « رسائل

انجيلية للبابا كليمنت » وكلها ابوغرافاوية وثـلاثة منهـا زورهـا ايزيدور الزائف نفسه،وفي الرسالة الانجيلية الخامسة الموجهـة الى القديس جيمس ومسيحيي القدس ضـمنها ايزيدور الزائف الفقـرة المقتبسة أعلاه حيث لم تعد على أي حال قولا لو ثني بـل تعبيرا عن افكار البابا كليمنت نفسه وجعل البابا يعزز الجدل بـاقتباس المادة الرابعة حول المجتمع المسيحي في القدس :

« وكانت جموعهم التي أمنت على قلب واحد وروح واحدة : ولم يقل اي منهم ان شيئا البتة ممـا بحـوزته كان ملكا له بـل إنهـم كانوا يملكون كل شيء بصـورة مشـتركة. . . .ولم يكن هناك أيضـا شيء ناقص بينهـم : اذ بقـدر مـا كان هناك مـالكون كثيرون للأراضي والبيوت فانها كانت تباع وتجلب اثمان الأشياء المباعة وتـوضع عند اقدام الحواريين ، وكان التوزيع لكل انسان يجري وفق حاجته »

وكان الجدل في هذه الصورة هجينا نصف مسيحي ونصف رواقي عندما جوبه من قبل مؤسس (ص ١٩٥) علم القانون وعندما شرع غرايتان في نحو ١١٥٠ في وضـع مجمـوعته العـظيمة لم يتسـاءل مطلقا ـ اكثر مما فعل معاصروه ـ حول أصـالة فتـاوى ايزيدور الزائف ، وكانت الرسـالة الخـامسة لكليمنت بتـأكيدها الغـريب للشيوعية الفوضوية ، قد وضعت ضمن مجموعة الفتـاوى البـابوية والتشريعات Decretum وبذلك أحرزت نفوذا كان عليها ان تحتفظ به حتى القرن السادس عشر عندما ضـعفت الثقـة بهـا مـع بقية الفتاوى الزائفة •

وصحيح ان غرايتان ربط بالوثيقة بعض الحواشي التي مالت الى حصر مجالها إلا انه في مكان أخر مـن مجمـوعة الفتـاوى جعـل مناقشتها (سوى في شأن الحب الحر) بشـكل عام وبـلا تحفـظ منسوبة إليه، وفي أواخر العصـور الوسـطى أصـبح شـائعا بين المشرعين والدارسين انه في الحالة الأولى من المجتمع، والتـي كانت أيضا أفضل حالة ، لم يكن هناك شيء يقال له ملكية خاصة ، لأن كل الأشياء هي ملك لكل الناس •

وفي حوالي ١٢٧٠ قدمت دولة المساواة الطبيعية لأول مـرة منذ القدم في عمل ادبي •فقد عالج ا لأمر جين دي موين وهو رجـل مـن العامة ذا عقل سؤول فاحص ، وكان يعيش في وسط الحي اللاتيني في باريس، وكان متأثرا بعمق بالمناقشات الجارية في الجامعة، وكان متضلعا جدا ايضا في الأدب اللاتيني فقد عالج الموضـوع مـطولا في شعره الطويل« مغامرة الوردة » ولم يحظ عمل عامـي أخـر في كل ادب العصور الوسطى بمثل شعبيته ، حيث مـازالت نحـو« ٢٠٠ » نسخة مخطوطة بـالفرنسية بـاقية • وكانت هناك تـرجمات عديدة وكان من خلال مغامرة الوردة أن نظرية إجتماعية كانت حتـى حينه مألوفة الى حد كبير عند علمـاء الاكليروس فقـط قـد أصـبحت في متناول أعداد كبيرة من العامة ، ولقـد كان وصـف جين دي مـوين للعصر الذهبي والتدهور التالي منذ حينه مقالة اجتمـاعية جـادة و شعبية، وكانت تجربة متقدمة نحو خمسة قرون على القسم الثـاني من مقالات روسو في اللامساواة ، ومثل ذلك العمل ، كان في حد ذاته وثيقة عظيمة الأهمية لطلاب الأساطير الاجتماعية، وكتـب الشـاعر على النحو التالي :

« حدث ذات مرة في أيام أبـائنا الأوائل وأمهـاتنا، كمـا تشـهد كتابات القدماء أن كان الناس يحبون بعضهم بعضـا حبـا رقيقـا صادقا ، لايصدر عن غاية وشهوة للكسب، وسادت الطيبة العالم وفي تلك الأيام كانت الأذواق بسيطة وكان الناس يتغذون بالثمار والبندق والأعشاب ، وكانوا يشربون الماء فقط، ويلبسـون جلود الحيوانات، ولايعرفون شيئا عن الزراعة، ويعيشون في الكهوف، ومع ذلك لم تكن هناك صـعوبات ، لأن الأرض كانت تعـطيهم طـواعية كل طعـــام يحتاجونه وكان العشاق يتعانقون على فرش مـن الأزهـار تحـت ستائر من ورق الشجر(بالنسبة لهذا الكاتب كان الحب الحر جـزءا هاما من النعيم البدائي)، وهناك رقصـوا ولهـوا في كسـل حلو

اناس بسـطاء هـادئون لايبـالون بشيء إلا العيش في حبـور

(ص ١٩٦)•

وبكل صداقة مع بعضهم بعضا ، ولم يكن هناك بعد ملك او امير يخطف كالمجرمين مايخص الاخرين ، لقد كان الكل متساوين ، ولم تكن عندهم ملكيات خاصة بهم وكانوا يعرفون تماما حكمة أن الحب والسلطة لايقيمان بعد معا في صحبة ... وهكذا ياصديقي حافظ القدماء على صحبة بعضهم بعضا متحررين من أي ارتباط أو قيد في سلام ، وبلطف ، ولم يسلموا حريتهم بكل الذهب الذي في بلاد العرب أو فريجيا،ولسوء الحظ بلغت هذه الحالة من الشؤون السعيدة نهايتها بظهور جيش الشرور والخداع والتفاخر والاشتهاء الجشع والحسد والبقية ، وكان عملها الأول إيجاد الفقر وإطلاق ابنه السلب حرا على الأرض ، التي لم تكن تعرف حتى الان شيئا عنها . بعد ذلك :

غزت هذه الشياطين بالغضب المجنون ، والحسد لرؤية الكائنات البشرية سعيدة ، الارض كلها وبذرت فيها الخلاف ، والخداع ، والنزاع والتقاضي ، والشجار ، والسباب ، والحروب ، والافتراء والكراهية والحقد ، ولأنهم فتنوا بالذهب ، فإنهم نهبوا الأرض وانتزعوا من احشائها الكنوز الخبيئة ، والمعادن ، والأحجار الكريمة ، لأن البخل والجشع واشتهاء مالدى غيرنا قد أودع في القلوب البشرية الرغبة في إحراز الثروة ، إن الاشتهاء يجلب المال والجشع يخفيه ، إنها مخلوقة شقية ، وهي لن تنفقه أبدا ، وإنما ستتركه لورثتها وللوصي ليديره ويقيم الحراسة عليه إذا لم يحل به بلية قبل ذلك .

وما أن أصبح الجنس البشري فريسة لتلك العصابة ، تخلى عن طريقته الأولى في الحياة ، ولم يتوقف الناس مطلقا عن اعمال الشر ، لقد أصبحوا زانفين وبدأوا يغشون ، لقد التصقوا بممتلكاتهم واغلقوا عليها بإحكام وقسموا الأرض ذاتها وبذلك رسموا الحدود ، وكثيرا ما تقاتلوا وهم يضعون هذه الحدود واختطفوا كل ما أمكنهم من بعضهم بعضا ، وحصل الاقوى على اكبر الحصص ....

وفي النهاية أصبحت الفوضى غير محتملة حتى أن الناس اضطروا إلى انتخاب شخص ما ليستعيد ويحفظ النظام ، لقد اختاروا الفلاح الكبير ، الأضخم عظاما ، والأكثر طولا وقوة الذي أمكنهم العثور عليه وجعلوه أميرا وسيدا ولكنه كان في حاجة إلى المساعدة وهكذا وجدت القروض والضرائب للدفع لجهاز القسر ، وكان هذا بداية السلطة الملكية ، وصكت العملة ، وصنعت الأسلحة ، وفي الوقت نفسه حصن الناس المدن والقلاع وبنوا القصور العظيمة المغطاة بالنحت ، لأن من اقتنوا هذه الثروات كانوا خائفين جدا من أن تؤخذ منهم سواء بالسرقة أو بالقوة ، ثم أصبحوا موضع الشفقة أكثر ، أولئك الناس غير السعداء لأنهم ماعادوا يعرفون الأمن مرة أخرى أبدا منذ ذلك اليوم ، الذي فيه بدافع الجشع أخذوا لأنفسهم ماكان من قبل مشاعا للجميع مثل ما عليه الهواء والشمس»

هكذا كانت مثل الشيوعية والمساواة التي كانت معروفة لدى عدد كبير جدا من الأرواح المفكرة في أوروبا العصور الوسطى . ولايمكن القول إن (ص ١٩٧) أي محاولة على الاطلاق لم تبذل لترجمتها إلى واقع ، لقد حافظت الكنيسة بثبات على أن الحياة المشتركة في الفقر الطوعي كانت « الطريقة الأكثر كمالا » ، مصرين فقط على أنه في العالم الفاسد الذي عمل في ظل عقابيل السقوط كان هذا مثالا يمكن ويجب أن يحتذى فقط من قبل الصفوة ، وبين الاكليروس وجد هذا الموقف تعبيرا منظما في مراتب الرهبان وأخوة الرهبنة ، لقد كان موقفا اجتذب ايضا العديد من العامة ، خاصة عندما انتعشت التجارة ، وظهرت الثروات الجديدة وتنامت حضارة الحياة المستقرة ومن القرن الحادي عشر وما بعده كانت توجد في الأجزاء الأكثر تطورا وازدحاما في أوربة تكتلات من العامة كانت تعيش في جماعات شبه رهبانية ، وتحتفظ بكل ممتلكاتها بصورة مشتركة ، احيانا بموافقة واحيانا بدون موافقة الكنيسة ، وبالنسبة لمثل هذه المجتمعات كان النموذج يتوفر في الوصف الوارد في المادة الرابعة للمجتمع المسيحي الأول في القدس ، وهذا المثال الذي كما رأينا قد ذكر من قبل ايزيدور الزائف في رسائل كليمنت الزائفة قد بلغ مقاما

عظيما ، لانه لم يقدر في اي مكان ، إلى اي مدى سمح القديس لوقا لخياله أن يهيمن على إدراكه للحقائق التاريخية .

ولكن تقليد هذا النص الخيالي للكنيسة الابتدائية ، لم يكن له أن يسترد بعد ، أو حتى يحاول استرداد ، العصر الذهبي المفقود لكل البشرية الذي صور للعالم القديم من قبل سينكا، ولأوروبا العصور الوسطى من قبل جين دي مين ، وحتى طوائف المهرطقين التي ازدهرت منذ القرن الثاني عشر وما بعده كانت بشكل عام اقل اهتماما « بالمساواة » الاجتماعية والاقتصادية مما كان أحيانا يؤكد ، فلا الكاثاريه ولا الوالدنسيان ، مثلا أظهروا اهتماما كبيرا ، بالامر ، وحتى نهاية القرن الرابع عشر تقريبا يبدو أن عددا قليلا من الطوائف الغامضة فقط مثل بعض أتباع الروح الحرة ، قد حاول استعادة دولة المساواة الطبيعية من أعماق الماضي وعكسها على المستقبل ولكن مهما كانت قلة من كانوا يقولون ذلك فإن هذه المحاولة لاعادة إيجاد العصر الذهبي لم تكن بلا أهمية وقد أفرزت مذهبا أصبح أسطورة ثورية ، حالما قدم إلى الفقراء المحتاجين واندمج مع التخيلات الشعبية المتعلقة بالاخرويات .

الفصل الحادي عشر

الفية المساواة(١)

ملاحظات هامشية على ثورة الفلاحين الانكليز

متى توقف الناس(ص ١٩٨) عن التفكير حول مجتمع بلا تميز في المنزلة أو الغنى ببساطة كعصر ذهبي ضاع بلا عودة في الماضي البعيد ، وبداوا في التفكير فيه بدلا من ذلك على انه امر مقدر الوقوع ، في المستقبل القريب ؟ الى الحد الذي يمكن الحكم عليه من المصادر المتاحة ، جاءت هذه الاسطورة الاجتماعية الجديدة الى الوجود في سنوات الفوضى حوالى ١٣٨٠ ، وربما اخذت شكلها في البداية في مدن فلاندرز وشمال فرنسا ، التي اكتسحتها في ذلك الوقت موجة من العنف العصياني ، ولكن مع أن هذا كان قد اوحي به احيانا فإنه مايزال يتطلب الاثبات ، ومن جانب اخر عندما يتفحص المرء في الحوليات التي تعالج ثورة الفلاحين الانكليز في ١٣٨١ ، الاقوال المنسوبة الى جون بول الشهير يجد المرء الاسطورة ـ على غير توقع ولكن بشكل جلي ـ تحت السطح تماما .

ولم يكن معظم العصاة متأثرين بشكل يمكن تقديره بالاسطورة ، بل يبدو ان معظم الفلاحين وحرفيي المدن الذين كانوا يؤيدونهم كانوا حصرا تقريبا معنيين باهداف واقعية محدودة ، وفي ذلك الوقت كانت الرابطة بين السيد وفلاحيه قد فقدت كل خاصية أبوية يمكن أن تكون قد اكتسبتها مرة ، ولم ير الفلاحون سببا لكي يقدموا الفروض الثقيلة والخدمات الى سيد لم يعد حاميا لهم ، علاوة على ذلك أفاد الناس منذ قيام الموت الاسود من نقص العمالة كثيرا وإن يكن بدرجة كانت اقل مما كانوا يحبون . وقد استشاط غضب الفلاحين

والحرفيين على السواء طويلا تحت القيود القانونية ، وابـرزها تلك التي تجسدت في التشريعات العمالية ، التي منعتهم من الاسـتثمار الكامل لوضعهم الاقتصادي ، وتفاقم عدم الرضى الناجم عن المظالم القائمة بسبب سوء ادارة الحرب الفرنسية وفرض جزية اسـتثنائية مرهقة ، ومع ذلك انه مهما كانت مشـاعر عامـة الناس بـالغضب والاستياء ، فان الثورة عندما تفجرت كانت اهدافها مـاتزال عملية صرفة ، ويعكس صك الحرية الذي منحه الملك في مايل إند (والغـي فيما بعد) هـذه الاهـداف (ص ١٩٩) بـدقة كافية ، لضـمان استبدال الفروض المزرعية بايجارات نقدية ، واحلال العمل المأجور مكان السخرة الجزئية ، ورفع القيود عن البيع والشراء الحـر ، وفي هذا البرنامج ليس هنالك اي شيء بالمرة يشير الى حـدوث معجـزة وشيكة تعيد حالة المساواة في الطبيعية ، ولكن هذا لايعني القـول أن لاشيء من هذه الخيالات لم يكن من الفكر في اي مكان بين العصاة .

وفي فقرة شهيرة أعطى فروا سارت مـايفترض انه كان مـوعظة نموذجية لجون بول :

« واذا كنا قد تحدرنا كلنا من أب واحد وأم واحدة ، أدم وحواء ، كيف يمكن للسادة أن يقولوا أو يثبتوا أنهم اكثر سيادة منا ، سوى أنهم يجعلوننا نحفر ونفلح الارض حتـى يمـكنهم أن يبـددوا مـا ننتجه ؟ إنهم يلبسون المخمل والساتان ويتجملون بفراء السنجاب ، في حين اننا نرتدي أرخص القماش ، إن لديهـم الخمـور والتـوابل والخبز النقي ولنا الخشار فقـط ، والدقيق التـالف والقش ، والماء فقط للشرب ، ولديهم المساكن الجميلة والضـياع ، ولدينا الشـقاء والعمل دائما في الحقول تحـت المطـر والثلج ، ولكنه منا ومـن كدنا يأتي كل شيء يحـفظون به ابهتهم» .

ومن أجل هذه الاوضاع وصف الواعظ علاجـا قـاسيا بقـوله :
أيها الناس الطيبون ، إن الأمور لايمكن أن تسير سيرا حسـنا في انكلترا ولن تفعل ابدا حتى يصـبح كل شيء مشـتركا ، وأن لايكون هناك مسخر ولا سيد ، بل كلنا في حالة واحدة »

ويروي المؤرخ الانكليزي توماس ولسنغام راهب القديس البانز نص الموعظة التي يقال إن بول قد وعظ بها الثوار الذين احتشدوا في بلاك هيث في نص كان بالفعل في حينه مثلا تقليديا وبقي شهيرا حتى هذا اليوم :

عندما حفر أدم وغزلت حواء من كان عندئذ سيدا ؟

ونقلا عن ولسنغام ، كانت حجج بول هي انه في البداية كانت كل الكائنات البشرية مخلوقات حرة متساوية ، ولكن الناس الاشرار بالقمع الظالم ، قد ادخلوا العبودية ، ضد ارادة الرب ، والان هذا هو الوقت الذي حدده الرب ، حيث يمكن للناس العوام فقط اذا شاءوا ، أن يطرحوا النير الذي حملوه كل هذا الزمان الطويل ، وأن يكسبوا الحرية التي تاقوا اليها دائما ، وعليه يجب ان يكونوا ذوي القلوب الطيبة ، وأن يرشدوا انفسهم كالمزارع الحكيم في الكتب المقدسة ، الذي جمع القمح في مخازنه ، ولكنه استاصل واحرق البيقية التي كادت تخنق الحبوب الجيدة ، لان موسم الحصاد قد جاء ، لقد كانت البيقية هي السادة الكبار ، والقضاة والمحامون ، إن كل هؤلاء يجب ابادتهم ، وهكذا يجب ابادة كل شخص آخر قد يكون خطرا على المجتمع في المستقبل ، وما أن يستاصل الكبار حتى سيتمتع الناس جميعا (ص ٢٠٠) بحرية متساوية ، ومنزلة وقوة .

ومع انه لاتوجد طريقة لمعرفة إذا كانت مواعظ مثل هذه قد القيت فعلا من قبل جون بول ، فان هناك كل الاسباب للاعتقاد بأن التي تزخر بها كانت في الواقع منتشرة في وقت الثورة ، و كان مذهب دولة المساواة الطبيعية الابتدائية مألوفا بالتأكيد بدرجة كافية في انكلترا ، و في الحواريين دايفنز و بوبر الذي كتب في العقد الأول من القرن الرابع عشر الرابع عشر نقرأ أنه بموجب قانون كند (اي الطبيعة) والربة لاو كل شيء اشتراك ؟» ويصيب السهم مرماه عند الاشارة

إلى المراجع الأصلية إلى الرسالة الخامسة المزيفة لكليمنت والمادة الرابعة ، وقد استشهد الوعاظ الاصوليين تماما بالقديس امبروز للمعتقد نفسه :« لقد خلقت الارض لتكون مشاعا للجميع ، الغني والفقير ، فلماذا ايها الاغنياء تدعون حقا كاملا فيها ؟ كند لايعرف ثروات تسبب الفقر لكل الناس.....» وفي مظهر اكاديمي نوقشت الفكرة نفسها ، من قبل وايكلف في رسالة « المملكة المدنية » التي الفها في اكسفورد في ١٣٧٤ ، وفيها جرى الجدل بأن الاحتفاظ بالسيادة من قبل الاشرار هو اغتصاب محض ، وتعارض مع المبادىء الاولى للقانون وتناقض مع الهدف الالهي ، حيث سيحصل الرجل الصالح الذي تخلى عن السيادة وهجرها اكراما للمسيح في المقابل على السيادة الكاملة على العالم ، الامر لم يحدث ان تمتع به من قبل حتى أباؤنا الاوائل قبل السقوط ومضى وايكلف ليقدم انطباعه المخالف حول الموضوع الذي صور من قبل عدد كبير جدا من العلماء منذ ايام غراتيان :

« أولا لان كل الاشياء الطيبة التي خلقها الله يجب ان تكون مشاعا ، وبرهان ذلك كما يلي : ان كل انسان يجب ان يكون في حالة النعمة ، فاذا كان في حالة النعمة سيكون سيد العالم وكل مافيه ، وعليه فان كل انسان يجب ان يكون سيدا للعالم كله ، ولكن بسبب الحشود الكبيرة من الناس ، لن يحدث هذا اذا لم يشترك الجميع في ملكية كل شيء : وعليه يجب ان يكون كل شيء مشاعا »

ولم يقصد وايكلف بالطبع ابدا ان تطبق هذه النظرية في الممارسة على المجتمع المدني ، لقد نطق بذلك مرة ، ومرة فقط ، وهذه المرة باللاتينية ، وحتى في حينه فانه قد قيدها باضافة انه في الحياة العملية يجب ان يقبل الصالح بعدم المساواة وعدم العدل ويترك الاشرار يملكون المال والسلطة ، وفي هجومه على الغنى والدينونة لدى الاكليروس كان وايكلف في تلهث قاتل ، وتعليقاته هذه على الملكية المشتركة لكل الاشياء كانت اكثر قليلا من تمرين في المنطق المنهجي ومع نلك عندما تجرد من اطارها العلمي وتنزع عنها

العبارات المقيدة نجد ان هذه التعليقات نفسها بالكاد يمكن تمييزها عن الفوضوية الصوفية للروح الحرة ، وسيكون مدهشا إن لم يوجد بين اسراب (ص ٢٠١) الدارسين من كل الانواع والطبقات الذين احتشدوا في أكسفورد من لم ينتش من مثل هذه الافكار وينشرها في الخارج ، مبسطة في صورة شعارات دعائية ، وفي الواقع إن الانغلاند ذكر وهو يكتب عن غد الثورة الكبرى في «ركائز الحراث» ، كيف أن التاملات المتعلقة بحالة الطبيعة قد تسربت من الجامعات إلى عامة الناس وبأي أثر :

«لقد سمع انفي هذا وناشد الاخوة الذهاب الى المدرسة ، ودراسة المنطق والقانون ، والتأمل ايضا ، وأن يعظوا الناس بأفكار افلاطون وان يثبتوها بأقوال سينكا في أن كل الاشياء التي تحت السماء ، يجب ان تكون مشاعا ، ويكذب – مادمت حيا – كل من يعظ غير المتعلمين هكذا ، لان الله أوجد للناس شريعة علمها موسى : عليك الا تشتهي شيئا مما يخص جارك »

ومع ذلك إن تخيلات حالة المساواة الطبيعية في تاريخها الطويل لم تعمل مطلقا كاسطورة اجتماعية محركة ، ولم تكن لتفعل ذلك الان لو انها لم تتعزز بالنقد الاجتماعي من النوع الاكثر شخصية وانفعالية ، وفي مسحة الساحر لمواعظ العصور الوسطى بيّن المرحوم الاستاذ غ . ر .أوست كيف ان حتى اكثر الوعاظ أصولية مع انهم انتقدوا بشدة خطايا كل طبقات المجتمع ، إنهم مع ذلك احتفظوا بأكثر نقدهم قسوة للاغنياء والاقوياء ، ومن الاهمية بشكل خاص تفسير الحساب الاخير على انه يوم الانتقام للفقراء ، وهو تفسير تطور واصبح اكثر تعقيدا منذ القرن الثالث عشر ومابعده واعطى اسلوبا تعبيريا بارعا من قبل رئيس جامعة كمبردج ، جون بروميارد في دليله للوعاظ ، ولسوف يعطي النص التالي من ملخص وترجمه اوست فكرة ما عن القوة العاطفية لحجج بروميارد :

« على اليسار ، أمام عرش القاضي الاعلى ، يقف السادة القساة ، الذين نهبوا شعب الرب بغرامات ظالمة ، وبالعقوبات

والاغتصاب والابتزاز....ورجال الاكليروس الاشرار ؛ الذين اخفقوا في تغذية الفقراء ببضائع المسيح كما يجب ان يفعلوا ، والمرابون والتجار الزائفون.... الذين غشوا رعايا المسيح.... وبين الصالحين على اليمين العديد ممن ابتلوا وشوهوا وهيمن عليهم من ذكروا من قبل من فاعلي الشر ، وعندها سيوجه المضطهدون اتهاما رهيبا الى مضطهديهم في الحفرة الالهية .

وبجرأة سيكونوا قادرين على وضع شكواهم امام الرب. ويلتمسون العدل ، ويتكلمون مع القاضي المسيح ويقص كل بدوره حكاية الاذى الذي عانوا منه بشكل خاص.... جهدنا وسلعنا.... التي اخذوها ليشبعوا جشعهم لقد ابتلونا بالجوع والشقاء ، حتى يمكنهم ان يعيشوا بنعومة على شقائنا (ص ١٠٢) وسلعنا ، لقد كدحنا وعشنا حياة قاسية حتى اننا كنا نحصل بصعوبة على الكفاف نصف العام ، كفاف لاشيء معه الا الخبز والنخالة والماء ، ليس هذا فحسب بل الواقع ان هناك ما هو اسوأ لقد كنا نموت من الجوع ، لقد كان يقدم لهم ثلاث وجبات أو أربع من البضائع التي اخذوها منا .... لقد جعنا وعطشنا وابتلينا بالبرد والعري ، ولم يعد هؤلاء اللصوص الينا بضائعنا عندما كنا بحاجة ،كما أنهم لم يطعموننا أو يكسوننا منهم ، بل كانوا يطعمون كلابهم وخيولهم وقردتهم والاغنياء والاقوياء وأصحاب الوفرة والنهمين والسكيرين وعاهراتهم ويلبسونهم ويلبسون معهم ، ويتركوننا نفنى ونهزل من العوز والحاجة....

أيها الرب العادل ، القاضي القادر ، لم يكن موزعا بالعدل بيننا وبينهم ، لقد كان شبعهم من جوعنا ، ومرحهم من بؤسنا وتنافسهم وتباريهم كان في تعذيبنا .... واعيادهم ، وبهجتهم ، وابهتهم وخيلائهم وانغماسهم في الشراب وفيضهم من صيامنا وعقوباتنا وحاجتنا وكوارثنا وسلبهم لنا ، واغاني الحب والضحك في رقصهم كانت سخرية منا واستهزاء بنا وبتأوهاتنا واحتجاجاتنا ، لقد

اعتادوا الغناء : حسنا كفاية ، حسنا كفاية ـ ونتأوه نحن : الويل لنا ! الويل لنا ! .....»

واضاف بروميارد :« بلا شك سيحقق القاضي العادل العدل لأولئك المطالبين الصاخبين هكذا ، ورهيب سيكون اتهام الخاطئين ، وسيكون كذلك مصير الطغاة والعديد ممن يدعون هنا على الارض بالنبلاء ، ستحمر وجوههم خجلا من العار أمام مقعد الحساب .... »

ولا حاجة للقول إن هدف هذه الموعظة لم يكن الحض على الثورة ، وعندما كانت توجه للاغنياء كان يقصد بها النصح والتحذير للتعامل بالعدل والرحمة مع الفقراء وأن يقدموا الصدقات طوعا ، وعندما كانت توجه للفقراء لم يكن يقصد بها الاثارة بل على العكس التعزية والتهدئة ، ومع ذلك يمثل هذا التصوير ليوم الحساب الشكوى الكاملة من « الاذى » من« العظيم » ـ ويقدمها ايضا كجزء من الدراما الأخروية العظيمة وكل ما كان مطلوبا من أجل تحويل مثل هذه النبوءة إلى دعوة ثورية من نوع متفجر هو تقريب يوم الحساب ، وعدم اظهاره كحدث في مستقبل بعيد بلا حدود بل إنه بالفعل في متناول اليد ، وهذا بالضبط ما حدث في الموعظة التي نسبها ولسنغام إلى جون بول ولتقدير الاهمية الكاملة لتلك الموعظة على المرء فقط أن يتذكر القرينة التوراتية لحكاية القمح والبيقية ، وهي قرينة يمكن للمرء أن يكون واثقا أنها قد قفزت ، إلى فكر اي مستمع من القرون الوسطى ، لانها كما فسرت من قبل المسيح للحواريين ، كانت القصة عبارة عن نبوءة أخروية تعالج الاختلاجات الهائلة للايام الاخيرة :(ص ٢٠٣)

« إن ذلك الذي يبذر البذرة الطيبة هو ابن الانسان ، والحقل هو العالم ، والبذرة الطيبة هي أطفال المملكة ، ولكن البيقية هي أطفال الشرير ، والعدو الذي بذرها هو الشيطان ، والحصاد هو نهاية العالم ، والحصادون هم الملائكة .

وبناء عليه كما تجمع البيقية وتحرق في النار ، فان هكذا سيكون في نهاية العالم ، سيرسل ابن الانسان ملائكته وسيجمعون من مملكته كل الاشياء التي تؤذي ، ومعهم الذين لايحققون المساواة وسيلقون بهم في أتون من النار ، وسيكون عويل وصرير اسنان ، ثم يشع نور الصالحين كما تشرق الشمس ، في مملكة ابيهم . فليسمع من له أذان تسمع »

وباعلان أن النبوءة الان في لحظة التحقيق ، وأن زمن الحصاد الذي حدده الرب قد حل أخيرا ، فان الموعظة في الواقع تدعو عامة الناس ، باعتبارهم أطفال المملكة ، لينفذوا القضاء على القوى الشريرة التي ستواكبهم في الالفية ، وفي تلك الالغاز المسجوعة المنسوبة إلى بول – لكن التي لاتقل عن المواعظ ويجب أن تعتبر في الواقع بدون مؤلف معين – والرمزية المستعملة في ركائز الحراث » مكيفة لنقل الرسالة الثورية ، وهذا ايضا يمكن للمرء أن يتعرف على التوقع المتلهف لمعركة اخيرة بين الفقراء الذين يرون كحشود الرب ، وبين خصومهم الذين يرون كحشود الشيطان ، وبهذه المعركة سيتطهر العالم من الخطيئة وخاصة من ذنوب مثل البخل والترف ، التي تنسب تقليديا للاغنياء ولسوف » يتحرر الصدق من تحت القفل » وسيعود الحب الصادق الذي كان طيبا جيدا سيعود الى العالم ، إنه فجر الالفية ، ولكنها الفية لن تكون فقط مملكة القديسين التي تذبأت بها الأخرويات التقليدية بل ايضا انعاشا لحالة المساواة الطبيعية البدائية ، وعصرا ذهبيا ثانيا ، واصرت الحكايات الرمزية أيضا على أن هذا قد قدر له أن يحدث الان وفي هذه اللحظة بالذات ذلك أن : « الرب يعوض ويثأر ، لأن الوقت قد حان ».

وكان الاعتقاد أن الثورات الفلاحية الثلاثة الكبيرة التي قامت في القرن الرابع عشر : الثورة في المناطق الساحلية من فلاندرزبين ١٣٢٣ و ١٣٢٨ ، وجاكويرية في ١٣٥٨ كانت كلها موجهة فقط نحو اهداف محدودة ذات طبيعة اجتماعية وسياسية

وفي الواقع إن هذا يبدو أقل صحة بالنسبة للثورة الانكليزية منه بالنسبة لاسلافها في القارة الاوروبية ، ومع انه هنا ايضا أثير أكثرية المتمردين ببساطة بسبب مظالم نوعية و المطالبة باصلاحات معينة ، يبدو مؤكدا أن الامال الالفية والطموحات لم تكن كلها مفقودة ، ومن وجهة نظر اجتماعية إن هذا غير مدهش باي حال ، ففي الثورة الانكليزية شغل دور كبير بصورة استثنائية متميزة من قبل اعضاء المراتب الاكليروسية الدنيا ، (ص ٢٠٤) وخاصة من قبل المرتدين وغير النظاميين من طراز جون بول ، وكما رأينا كان مثل هؤلاء الرجال متلهفين دائما لادعاء دور الانبياء الملهمين ، المكلفين بمهمة توجيه البشرية خلال مرحلة الاختلاجات المقدرة للايام الاخيرة ، وفي الوقت نفسه من غرابة تلك الثورة إنها كانت تقريبا مدنية بقدر ما كانت ريفية ، ويبدو أن فلاحي كنت واسكس امنوا بطيبة الملك وبقدرته التامة فزحفوا نحو لندن ، وعندما وصلوا الى هناك ثار سكان المدينة ايضا ، وحالوا دون اقفال البوابات في وجه الحشود القادمة ثم ضموا قواتهم الى الثورة ، وغير هذا بالتاكيد خصائص الثورة ، وليس من شك في وجود سبب وجيه لما لاحظه فرويسات أن أشد اتباع بول حماسا كانوا موجودين بين اللنديين «الذين كانوا ينقمون على الاغنياء والنبلاء ويحسدونهم ، وبحلول ذلك التاريخ كان في لندن عالم سري مثل ذلك الذي وجد منذ زمن طويل في مدن فرنسا والمانيا والبلاد المنخفضة ، وكان قوام هذا العالم العمال المتجولون الذين منعوا من دخول النقابات وكانوا في الوقت نفسه ممنوعين من تكوين تنظيمات خاصة بهم ، والعمال غير المهرة والجنود المرهقين والفاريين ، وفائض السكان من المتسولين والعاطلين ، في الحقيقة وجد عالم سفلي كامل عاش في بؤس عظيم ، وكان بشكل دائم على حافة المجاعة ، وقد تضخم باستمرار بهرب رجال السخرة من الريف ، في وسط من هذا القبيل حيث اختلط المتنبئون المتعصبون بالفقراء المشوشين اليائسين الذين كانوا يقفون عند اقصى حافة المجتمع ، بالذات كان هنالك على اي حال هيجان يهز كل البنية الاجتماعية ، وكان مقدرا لهذا الهيجان أن يجعل ذاته مدركة بوساطة جائحة قوية ، وأن يفرز مضاعفات العنف البالغ ،

وهنا لابد أنه في الحقيقة قد لاح ان كل الاشياء كانت تتجدد ، وأن كل الامور المعتادة كانت تتحلل وكل الحواجز تنهار ، وهنا ايضا في الحقيقة يمكن من حيث المبدأ الاقتراح بأن التوقعات الالفية ، ربما كانت كامنة خلف كثير من الاثار الجانبية الاكثر اثارة للدهشة للثورة ، مثل : حرق قصر سافوى وتدمير كنوزه كلها من قبل اللندنيين الذين لم ياخذوا لأنفسهم شيئا منها ، وما هو اكثر بداهة من المطالب غير العملية التي قدمت الى الملك في سمث فيلد ربما كان اقرار جاك سترو (المفروض دائما أنه فعل ذلك حقا) أنه في النهاية لابد من قتل الاعيان وكل الاكليروس سوى بعض الرهبان المتسولين وابادتهم والخلاص منهم .

وبالتاكيد كانت حالة لابد من أنه كان سهلا فيها بدرجة كافية اعلان وتصديق أن الطريق يمتد بكامل اتساعه لالفية مساواتية وحتى شيوعية ، وكانت هذه بالضبط حالة ستقوم مرة اخرى وعلى مدى اوسع بكثير عندما بعد اربعين سنة تفجرت ثورة الهوسيت في بوهيميا (ص ٢٠٥)

الرؤيا النبوئية الطابورية :

مع الغلبة السلافية في البنية العرقية واللغة ، كانت دولة بوهيميا لعدة قرون داخلة ضمن اطار الحضارة الاوروبية الغربية اكثر من الشرقية ، وكانت مسيحيتها لاتينية ولم تكن اغريقية ، وسياسيا شكلت جزءا من الامبراطورية الرومانية المقدسة ، ووجدت مملكة بوهيمية دون انقطاع منذ نحو ١٢٠٠ وما بعدها ، وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر وضع ملك بوهيميا ايضا التاج الالماني ثم الامبراطوري ، وفي ذلك الوقت كانت بوهيميا الحاضرة الرئيسة في الامبراطورية ومقر رئاسة الجامعة الاولى في براغ ، التي تاسست في ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ ، والتي هيمنت بفعالية على الحياة السياسية والثقافية في وسط اوربا ، وقد فقد هذا المركز في السنوات

الاولى من القـــرن الخـــامس عشر ، عندمـــا خلع الملك البـــوهيمي ونسسلاس الرابع عن العرش الامبراطوري ، وتوقفت الجامعة عن كونها دولية ، واصبحت تشيكيـــة صرفـــة ، ولكن في تلك الســـنوات نفسها اصبحت بوهيميا مركزا لحركة دينية ذات قوة متفجرة حتـــى انها اثارت الاضطراب في كل اوروبا عقود عدة من الزمن .

لم يكن هنالك جزء من اوروبا امكن ان تقوم فيه الانتقادات ضـــد الكنيسة باقتناع اكثر مما كان في بوهيميا ، ولقد كانت ثروة الكنيسة هناك هائلة ، حيث كان نصف مجمـــوع الاراضي ملكا اكليروســـيا ، وكثيرا من الكهنة وخاصة كبار الاســـاقفة كانوا يعيشـــون بشـــكل واضح حياة دنيوية ، بينما كانت الادارة البابوية تتدخل باستمرار في الشؤون الداخلية للبلاد ، وتستخرج منها ايضا ربحا ماليا عظيما ، وعلاوة على ذلك تعززت مرارة العامة المعتادة تجاه الاكليروس بقوة بالاحساس الوطني ، ومنذ القرن الثاني عشر كان في بـــوهيميا اقلية هامة من اصـــل الماني ، تتحـــدث الالمانية وتحتفـــظ بتصـــميم بخصائصها الالمانية ، وكان هؤلاء الناس كثيرين بشكل خـــاص بين اعلى مراتب الاكليروس ، وانضـــمت شـــكاوى التشـــيك ضـــد الاكليروس إلى شكاواهم ضد الاقلية الغريبة .

وفي ١٣٦٠ اكتســـب زاهـــد اصـــلاحي يدعى جـــون ميليك اوف كروميريز نفوذا كبيرا في براغ ، وكان مهتما جدا بالمسيح الدجـــال ، الذي تخيله في البدأية كفرد ، ولكن فيما بعد كفساد ضمن الكنيســـة نفسها ، وحقيقة ان الكنيسة كانت واضحة الفســـاد وكانت تعني ان حكم المسيح الدجال قـــد بـــدأ ، وهـــذا كان يعني ان النهـــاية كانت وشيكة ، ولكن في الاستعداد للنهاية كان يجب قهر الدجـــال ، بمعنى ان الكهنة يجب ان يتعلموا العيش في فقر ، بينما العامة من جانبهم ، يجب ان يبتعدوا عن « الربـــا » (ص ٢٠٦) وكان هناك مـــن هـــو حتى الاكثر نفوذا من ميليك وهو حواريه متى اوف جانوف الذي كان ناشطا حوالي ١٣٩٠ ، وهو ايضـــا كان مشـــغولا بفـــكرة المســـيح الدجال ، وفسر مجازيا أن المقصود هو الذين كانوا يقـــدمون حـــب

الذات والدنيا على حب المسيح ، وكان حتى اكثر مـن ميليك متـأثرا بقوة هيمنة المسيح الدجال ، وفي نظره كان الوقت الراهن انذاك كليا تحت هيمنة المسيح الدجـال ، ورأى في دنيوية الرهبـان والكهنة ، وفوق كل شيء فضيحة الانشقاق الكبير ، برهانا عليه ، وبالطبع كان الانتصار الاخير للمسيح مضمونا ، ولكن كانت مهمة كل المسيحيين الحقيقين أن يعدوا له ، ويمكنهم أن يفعلوا ذلك جزئيا بـالعودة الى المفاهيم المعلنة في الانجيل وجزئيا بالقداس اليومي ، واصر على ان القربان المقدس كان الغذاء الروحي اللازم الذي لامفر منه ويجب ان يتوفر كاملا وكثيرا للعامة كمـا هـو للكهنة ، وكان جسـم المسـيح الدجال يتالف من الكهنة الزائفين فوق كل شيء ، وتساءل لماذا يجب أن يتمتع اتباع المسيح الدجال هؤلاء بالصلة الحميمة جدا بـالمسيح اكثر من معظم المسيحيين ؟ وفي فكر متى أوف جانوف كان للقـربان المقدس المتسلم للمرة الاولى المكانة المركزية التي قدر له ان يشـغلها فيما بعد في المعركة ككل .

واستمرت مطالب الاصلاح التي استهلت من قبـل ميليك ومتـى أوف جانوف بوساطة وعاظ اخرين واثيرت اكثـر بتعـاليم ومثـال ويكليف ، الذي كانت اعمـاله معـروفة في بـــوهيميا منذ ١٣٨٠ ومابعدها ، ومع انقضاء القرن تولاها جـون هـوس و كان نفسـه معجبا ومتحمسا لويكليف ـ الذي عبر عنها بشكل فعال الى حد ان اهمية الحركة توقفت عن ان تكون مجرد محلية واصـبحت بـاتساع النصرانية اللاتينية ، ومثل أسلافه ، كان هوس واعظـا شـعبيا كان موضوعه المفضل فساد ودنيوية الاكليروس ، ولكن جمعا غير عادي من المواهب جعلت منه فجاة رئيسا للجامعة وزعيمـا روحيا لعـامة الناس والشخصية ذات النفوذ في البلاط ، وهذا اعطى احتجـاجاته وزنا كبيرا ،

و قد حمل احتجاجاته ايضا الى مدى أبعد من كل من تقـدمه ، حيث انه عندما ارسل البابا جون الثـالث والعشرين مبعـوثيه الى بـراغ للوعظ بحملة صليبية ضد عدوه السـياسي ، ملك نابـولي ، وبمنح

الغفران لكل من أسهم بالمال في هذه القضية ، ثار هوس ضد الأوامر البابوية ، ومثل ويكليف قبله أعلن أنه عندما تقف القرارات البابوية في مواجهة شريعة المسيح التي عبرت عنها الكتب المقدسة يجب على المؤمن أن لا يطيعها ، وشن ضد بيع الغفران حملة أثارت قلقا على اتساع الأمة (ص ٢٠٧).

و يكن هوس ابدا متطرفا أو ثائرا ، وكان الذي أزعج هوس واثاره ببساطة رفض الطاعة العمياء للمراتب الكهنوتية الأعلى منه ، ولكن هذا كان كافيا كي يكلفه حياته . وبحرمانه في ١٤١٢ ، استدعى في ١٤١٤ للمثول أمام المجمع المسكوني الذي اجتمع في حينه في كونستانس . وباعتماده بحمق على صك أمان من الامبراطور سيغسموند استجاب للاستدعاء ، وكان هدفه أن يقنع المجمع بالجدل أن الكنيسة كانت حقا بحاجة الى اصلاح جذري ، وعندئذ اعتقل ، وبرفضه الارتداد أحرق كمهرطق ، وكان لب « هرطقته » ادعاؤه أن البابوية لم تكن مؤسسة الهية بل بشرية ، وليس البابا بل المسيح هو الراس الحقيقي للكنيسة ، وأن البابا غير الجدير يجب خلعه ، ومن التناقض بدرجة كافية ، أن المجمع الذي أدانه كان هو نفسه قد خلع لتوه البابا جون الثالث والعشرين بسبب بيع المراتب الكهنوتية ، والقتل واللواط والزنا .

وحولت أخبار اعدام هوس القلق في بوهيميا الى اصلاح وطني ، وللمرة الأولى ـ وقبل لوثر بقرن كامل ـ تحدت أمة سلطة الكنيسة كما هي ممثلة في البابا والمجمع ، وخلال سنوات ١٤١٥ ـ ١٤١٨ قام الاصلاح في كل بوهيميا بموافقة ودعم بارونات التشيك الكبار والملك ونسسلاس ، واستبدلت بالفعل المراتب الكنسية الموجودة على نطاق واسع بكنيسة وطنية لم تعد تحت سلطة رومـا بل كانت تحت رعاية السلطات المدنية في بوهيميا ، وفي الوقت نفسه ، وبناء على الحاح تابع سالف لهوس هوجاكوبيك أوف ستريبرو ، تقرر انه من حينه فصاعدا على العامة

أن يتناولوا القربان المقدس على نوعين بدلا من ـ كما أصبح شائعا خلال القسم الأخير من العصور الوسطى ـ تلقي الخبز فقط وكانت هذه تغيرات بعيدة الأثر ، ولكنها في ذاتها لم تكن تبلغ حد القطيعة الرسمية مع كنيسة روما ، وعلى العكس ، لقد فهمت على أنها اصلاحات من أجلها كان يؤمل في كسب الكنيسة ككل ، ولو أن روما او مجمع كونستانس تعاونا في هذا البرنامج ، لرضيت النبالة التشيكية واساتذة الجامعة والعديد من الناس العاديين ، ولكن هذا لم يكن ، وفي ١٤١٩ عكس الملك ونسسلاس تحت ضغط من الامبراطور سيغسموند (أخوه) ومن البابا مارتن الخامس سياسته وتخلى عن القضية الهوسية ، وحظرت الدعوة الهوسية ، وحتى المناولة المزدوجة من كلا النوعين نظر اليها بنفور ، وفي الجزء من براغ الذي عرف بالمدينة الجديدة أصبح عامة الناس بوحي من الراهب السالف والهوسيني المتحمس الذي يدعى جون زلنسكي متململا ضجرا بشكل متزايد وعندما أبعد ونسلاس في تموز ١٤١٩ كل اعضاء المجلس البلدي من الهوسيت من حكومة المدينة الجديدة هب الشعب وعصف بدار البلدية والقوا بالأعضاء الجدد من النوافذ.

وقوت المحاولة المخفقة لكبح الحركة الهوسية بدرجة كبيرة الميول المتطرفة بداخل الحركة ، إذ أنه منذ البداية كانت الحركة تضم اناسا كانت أهدافهم تمضي الى مدى بعيد وراء أهداف النبالة او اساتذة الجامعة ، وكانت الاغلبية الكبيرة من هؤلاء المتطرفين تنتمي الى الطبقات الاجتماعية الأدنى ، وكانت تضم النساجين وعمال النسيج الآخرين ، والخياطين وعمال مخامر البيرة والحدادين ، وفي الحقيقة كل الشغيلة في كثير من الحرف ، والدور الذي شغله هؤلاء الناس كان مذهلا حتى ان الجدليين الكاثوليك أمكنهم الأدعاء بأن الحركة الهوسية كانت منذ البداية الأولى تمول من قبل نقابات الحرفيين ، وربما كان الأصدق القول بأن الهيجان العام في بوهيميا قد شجع على القلق الاجتماعي بين الحرفيين وكانت هذه بشكل خاص الحالة في براغ.

وفي الناحية الاقتصادية الحسنة تماما ، كان الحرفيون في العاصمة بعيدين عن كل تأثير على الادارة المحلية ، التي كانت كليا في أيدي العائلات النبيلة الكبيرة ، الأكثر عنفا في معاداتها للهوسية ، وكان العديد منها من الالمان ، وقد تحولت هذه الحالة فجأة مع بزوغ تموز ١٤١٩ ، وزاد نجاح التمرد بدرجة كبيرة من قوة النقابات ، واعطاها سلطة فعالة على الادارة ، وطرد الحرفيون اعدادا كبيرة من الكاثوليك ، واستولوا على بيوتهم وممتلكاتهم وكثير من وظائفهم ومزاياهم ، وعلاوة على ذلك صودرت الاديرة ونقلت ثرواتها الى مدينة براغ ، وهذه ايضا افادت الحرفيين وإن يكن بصورة غير مباشرة ، ومع أن المدينة الجديدة لم تعد تنعم بالمساواة تحت حكم النقابات كما كانت تحت حكم النبلاء فإن حقيقة انها كانت تحت سيطرة الحرفيين جعل منها مركزا لنفوذ المتطرفين.

ولكن كانت النقابات هي التي نظمت ووجهت الحركة المتطرفة في براغ ، وكان معظم افراد الجمهور قادمين لا من بين الحرفيين المهرة بل من بين أدنى طبقات السكان من الحشود المتنافرة من عمال المياومة وغير المهرة ، والخدم المتعاقدين ، والمتسولين والعاهرات والمجرمين وحتى في أعلى درجات ازدهارها في القرن الرابع عشر كانت العاصمة ذات كثافة سكانية كبيرة من أشد الناس فقرا وسكان الأحياء الفقيرة ، ورأت السنوات الثلاثون أو الأربعون التي سلفت على الثورة الهوسية زيادة كبيرة في أعداد مثل هؤلاء الناس وتدهورا في أحوالهم ، وفي ذلك الوقت كانت بوهيميا تعاني من زيادة السكان و كما كان دائما استمر تدفق فائض السكان من المناطق الريفية على المدن وعلى العاصمة بشكل خاص ، ولكن بوهيميا لم يكن لديها صناعة تصدير قادرة على امتصاص هؤلاء الناس ، حتى ان كثيرا منهم كانوا مجرد اضافة لتضخيم أعداد العاطلين ، وحتى أولئك الذين كانوا يجدون نوعا من العمل الذي لا يتطلب مهارة كانوا ما يزالون في حالة يائسة ، حيث انه في حين بقيت الاجور في مستوى فترة ١٣٨٠ ، كانت قيمة العمله مزعزعة بالتضخم وارتفعت الأسعار (ص ٢٠٩)

بقسوة ، وبحلول ١٤٢٠ بدا أن الغالبية العظمى من سكان براغ الذي يتراوحون بين ثلاثين الف واربعين يعيشون - أو يموتون - على أجور لا تحقق الا الجوع ، وكان المدد الكبير للجناح المتطرف من الحركة الهوسية يأتي من هذه البروليتاريا المرهقة.

ووجد التطرف ايضا دعما كبيرا بين الفلاحين. وكان معظم سكان الريف قد اعتمدوا زمانا طويلا على السادة والا كليروس أو المدنيين الذين كانوا يملكون الأرض ولكن الى حد كبير بفضل نظام ملكية الأر ض الذي أدخله المتمردون الألمان والذي انتشر بين الفلاحين التشيك لم يكن اعتماد الفلاح على سيده بأي حال مطلقا ، لقد كانت الأجور والفروض مثبتة بدقة ، وكانت الايجارات وراثية وعليه فقد وفرت كثيرا من الضمانات ، ومع ذلك فقد كانت الايجارات احيانا تباع من قبل المستأجرين ، حتى أن العديد من الفلاحين كانوا يتمتعون بحرية معينة في الحركة ، وأعاقت زيادة السلطة الملكية في القرن الرابع عشر بدرجة أكبر استغلال النبالة لعامة الناس ، وأعطى قانون في ١٣٥٦ للفلاحين غير المستقلين الحق في مقاضاة سادتهم أمام المحاكم المحلية ، وغضب النبلاء من هذه القيود ، ومع بداية القرن الخامس عشر بذل جهد مصمم لحرمان الفلاحين من حقوقهم التقليدية وإجبارهم على وضع من الاعتماد الكلي ، وبالتحايل على القانون جرد كثير من الفلاحين تدريجيا من حقهم في توريث ما تحت أيديهم لورثتهم في حين أنهم هم انفسهم كانوا مقيدين بدرجة اشد بالأرض وتزايدت فروضهم وخدماتم. ويبدو انه في وقت هيجان الهوسية كان الفلاحون البوهيميون يدركون بصعوبة أن وضعهم كان مهددا ، وعلاوة على ذلك ففي الريف أيضا كانت توجد طبقة ليس لديها ما تفقده ومن: عمال بلا أرض ، وأيدي عاملة زراعية ، والعديد من اعضاء فائض السكان التي لا يمكنها أن تؤوى لا في المدن ولا في الأرض وكان كل هؤلاء الناس اكثر من مستعدين لتأييد اي حركة بدا أنها يحتمل ان تجلب لهم العون والفرج.

ومن ١٤١٩ وما بعدها بدأ الجناح المتطرف للحركة الهوسية في الانفصال عن الجناح الأكثر محافظة ، وأخذ يتطور على مسارات خاصة به . وفي مواجهة سياسة الاضطهاد الجديدة للملك ونسسلاس بدأ عدد من الكهنة الأصوليين بتنظيم اجتماعات للصلاة خارج نظام الابرشية ، على مختلف قمم التلال في جنوب بوهيميا ، وهناك كانوا يقدمون القربان بنوعيه ويعظون ضد اساءات كنيسة روما ، وسرعان ما تحولت اجتماعات الصلاة الى مستوطنات دائمة حيث كانت الحياة تقليدا واعيا للمجتمع المسيحي الأصلي كما صوره العهد الجديد ، وشكلت هذه الجماعات معا مجتمعا جنينيا كان بكامله خارج النظام الاقطاعي (ص ٢١٠) وكان يحاول تنظيم شؤونه على قاعدة المحبة الأخوية بدلا من القوة ، وكان اهم هذه المستوطنات على تل قرب قلعة بيكينيه على نهر لوزنيكا ، والأمر الذي له دلالة أن البقعة قد أعيدت تسميتها « بجبل طابور » ، حيث أنه حسب تقليد يعود الى القرن الرابع ، كان طابور اسم الجبل حيث تنبأ المسيح بمجيئه الثاني (مرقص ١٣) ومن حيث صعد الى السماء والى حيث كان يتوقع عودته للظهور بجلال ، وسرعان ما ارتبط هذا الاسم بكل ما انطوى عليه من انغام أخروية بالهوسية المتطرفين انفسهم ، وكانوا معروفين من قبل لدى معاصريهم بالطابوريين ، كما هم بالنسبة للمؤرخين اليوم.

وبالكاد وجد برنامج موحد للطابوريين ، لأن طموحاتهم كانت متنوعة ومشوشة وقد اثار هؤلاء الناس عداوة وطنية واجتماعية إضافة الى الدينية ، وحقيقة أن معظم التجار الناجحين في المدن لم يكونوا فقط كاثوليك مخلصين بل ايضا المان ، والاعتقاد واسع الانتشار – مع انه خاطىء – أن الاقطاع والرق كانا مؤسستان المانيتان مميزتان – لقد كانت هذه الأشياء تعني أن الطابوريين كانوا اكثر حماسا في معاداتهم للألمان من الاوتراكيست (كما كان الهوسية يدعون الاكثر اعتدالا) ولكن فوق كل شيء لقد رفضوا مطلقا كنيسة روما ، في حين أن الاوتراكسيت تمسكوا في كثير من النواحي

بالمذهب الكاثوليكي التقليدي ، لقد اكد الطابوريون حق كل فـردمن العامة اضافة الى الكهنة في تفسير الكتـب المقـدسة وفـق معـرفته وامكانياته ، ورفض العديد من الطابوريين عقيدة المطهر وانصرفوا عن الصلوات وقداس الجناز للموتى على أنهـا خـرافات لا طـائل منها ، ولم يروا شيئا يستحق التكريم في الآثار المقـدسة أو صـور القـديسين ، وعاملوا كثيرا مـن شـعائر الكنيسـة بالازدراء ، ورفضوا أيضا أداء القسم واحتجوا على قانون العقـوبة القصوى (الاعدام) وما هو أهم من كل شيء أصروا على أنه لا شيء يجب عده مادة للعقيدة مالم يؤكد بجلاء في الكتابات المقدسة.

كل هذا يذكر بمهرطقي القـرون السـالفة وبشـكل خـاص تلك الطوائف التي درست الانجيل مثل: الوالد نسـيان والفـودي الذين كانوا في الحقيقة ناشطين جدا بين الطبقـات الأكثـر فقـرا مـن بوهيميا ، ولكن هناك أيضا في بوهيميا منذ أمد طويل كمـا كان في أجزاء أخرى مـن أوروبـا ، ميول الفية كانت بعيدة عن الانشـقاق الواقعي للوالد نسـيان بقـدر مـا كانت بعيدة عن الكاثـوليكية الأصولية ، وفي أيام الموت الأسـود ومـواكب اللطـامين الحـاشدة تنبأ ـ المحكم الروماني ـ المتنبىءرينزو في بـراغ بـأن عصرا مـن السلام والوئام والعدل ـ نظام فردوسي حقيقي ـ كان على وشـك أن يفتتح ، ولقد عاش جون ميليك والمصـلحون الذين تلوه في تـوقع مستمر للمجيء الثاني، في حين أنه قرب نهـاية القـرن الرابـع عشر ظهرت في بـوهيميا طـوائف الفية كانت متـأثرة بمـذهب الروح الحرة ، وقد تعززت التوقعات الألفية بقـوة حـوت حـوالي اربعين رجلا من البيكارتي وصلوا الى براغ من الخـارج في ١٤١٨ . ومـن المحتمل أن البيكارتي ربما كان المقصود بهم مجـرد البيغـرد ، ولكن الأكثر احتمالا ان المقصـود كان البيكارد ، وأن أولئك الناس كانوا هاربين من الاضطهاد الذي كان في ذلك الوقت في ليل وتوناي ، وعلى أي حال يبدو انه كانت له علاقات وثيقة مع اتباع الروح الحرة مـن طليعة أهل الفكر الحر في بروكسل ،لقد شجبوا بشدة الأساقفة الذين أغفلوا عن عمد وصية المسيح بالفقر المطلق ويستغلون الفقراء حتـى

يتمكنوا من العيش في ترف وفي فسق وملذات ، واعتقدوا أنهم هم أنفسهم من جانب آخر كانوا أوعية للروح القدس ويملكون معرفة كاملة بقدر ما كان للحواريين ، إن لم يكن للمسيح ، وحيث أنهم كانوا يعتقدون أن كنيسة روما هي بغي بابل وأن البابا هو المسيح الدجال فمن الواضح أنهم شعروا أنهم يعيشون الفترة التي تتقدم الألفية أو ربما ـ مثل طليعة أهل الفكر الحر - للعصر الثالث والأخير.

وفي البداية كانت الميول الوالد نسيانية سائدة متحكمة بين الطابوريين خلال القسم الأعظم من ١٤١٩ ، وكان الطابوريون يهدفون الى إصلاح وطني و هو خلافا لاصلاح الهوسية الأصليين ، شمل قطيعة كلية مع روما ، وكان يتوجب أن تتوافق الحياة الدينية بناء على ذلك ، والى حد ما الحياة الاجتماعية في بوهيميا ، مع المثل الوالد نسيانية للفقر الرسولي والطهارة الخلقية ، وفي تشرين أول ومرة أخرى في تشرين الثاني اجتمع الطابوريون من كل انحاء بوهيميا في براغ ، حيث حاول القادة المتطرفون كسب الحكام من الهوسية واساتذة الجامعة لبرنامجهم وطبيعي أنهم أخفقوا وسرعان ما وجدوا أنفسهم في مواجهة معارضة أشد قسوة بكثير مما ساوموا عليه ، وتوفي الملك وذنسسلاس في آب ، بسبب صدمته بقتل المستشارين وانضم كبار النبلاء من الهوسية الى زملائهم من الكاثوليك لتأمين الخلافة لأخي وذنسسلاس الامبراطور سيغسموند وايضا لاحباط خطط المتطرفين ، وسرعان ما ألقى قضاة براغ ثقلهم في الجانب المحافظ ، واتفق الجميع على أن يبقى قربان النوعين ، ولكنهم اتفقوا ايضا ، بشكل مؤكد ، على أن الطابوريين يجب كبحهم ، ولفترة عدة شهور بدأ في تشرين الثاني ١٤١٩ ، عزل الطابوريين في كل انحاء بوهيميا عن الحركة الوطنية ، وتعرضوا لاضطهاد وحشي رمى الى القضاء عليهم. وفي الوقت نفسه ، كما كان متوقعا أخذت التخيلات الرؤوية والألفية منحا حركيا نشيطا جديدا.

و بدأ عدد من الكهنة ، السالفين بقيادة واحد يدعى مارتن هسكا ، و يعرف أيضا باسم لوكويس (ص ٢١١) بسبب بلاغته فوق

العادية ، بالوعظ علنا بمجيء التحقق العظيم ، معلنيين أن الوقـت حـان لابـطال كل الشر و التحضـير للألفية ، و بين ١٠ و ١٤ شباط ١٤٢٠ تنبأوا بأن كل مدينة وقرية ستدمر بالنار مثل سدوم وفي كل النصرانية سيحل غضب الرب بكل مـن لم يهـرب فـورا الى « الجبال » التي حددت بـالمدن الخمسـة في بـوهيميا ، والتـي أصبحت معاقل للطـابوريين وسـمعت الرسـالة واثــارت في أدنى الطبقات الاجتماعية حماسا عظيما ، وباع العديدمن الناس الفقراء امتعتهم ، ومع رحيلهم الى تلك المدن مع زوجاتهم وأطفالهم ، القوا بأموالهم عند أقدام الواعظين .

ورأى هؤلاء الناس في انفسـهم انهـم يدخلون في الصراع الأخير مع المسيح الدجال وحشوده ، ويظهر هـذا بـوضوح مـن رسـالة مفتوحة وزعت في ذلك الوقت كان مما جاء فيها « يوجـد خمس مـن هذه المدن ، وهي لن تدخل في اتفاق مع المسيح الدجال او تسـتسلم » ، ورددت أغنية طـابورية عاصرت الأحـداث الفـكرة ايضـا : « المؤمنون يبتهجون بالرب ! ويقدمون له التمجيد والحمد لأنه شاء أن يحفظنا وبكرمه ولطفه حررنا من المسيح الدجال الشرير وجيشه الخبيث ... »

وفي البـلايا التـي كانت تحـل بهـم عرف الألفيون « الويلات المسيحية » التي طال توقعها واعطـاهم الايمـان رغبـة جـديدة في النضال ولعدم الرضى بانتظار دمار من لارب لهـم بمعجـزة ، دعا الوعاظ المؤمنين لتنفيذ التطهير اللازم للأرض بأنفسهم وكتب واحد منهم وهو خريج جامعة براغ ويدعى جون كابك رسالة قيل انها«أكثر امتلاء بالدم مما تمتلىء بركة بـالماء » وفيهـا صـور بمسـاعدة اقتباسات من العهد القديم انه كان الواجب الذي لامفر منه للنخبـة أن يقتلوا باسم الرب ، وقد افادت هـذه الرسـالة كهجـوم مسـلح للوعاظ الآخرين الذين استخدموا حججها لاقناع سامعيهم بـالقيام بالمذبحة ، واعلنوا : « ينبغي عدم اظهار الرأفـة مـطلقا تجـاه المذنبين لأنه كل المذنبين كانوا أعداء المسيح وملعـون ذلك الانسـان

الذي يمسك سيفه عن سفك دم أعداء المسيح ، وينبغي على كل مؤمن ان يغسل يديه في هذا الدم » وانضم الوعاظ انفسهم بلهفة الى القتل لأنه « كل كاهن يجب ان يسعى بحق لجرح المذنبين وقتلهم »

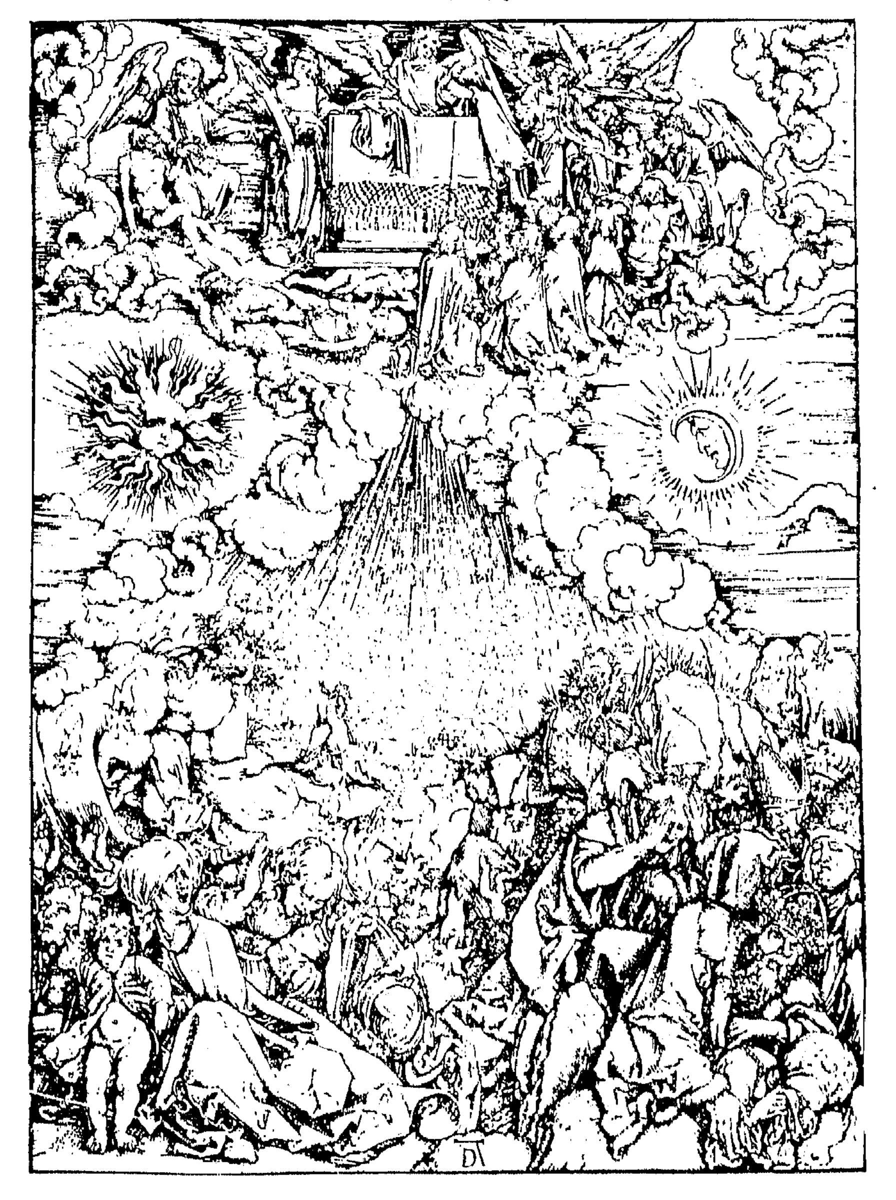
وشملت الذنوب التي يجب معاقبتها بالقتل مسببات القلق القديمة للفقراء « البخل والترف » وأيضا وفوق كل شيء شملت كل معارضة لارادة « رجال القانون الالهي » وفي عيون الطابوريين المتطرفين كان كل خصومهم مذنبين ويجب ابادتهم ، والأدلة على هذا التعطش للدماء لم تأت كلها بأي وسيلة من مصادر معادية ، و لاحظ بيتر شيلكسكي Peter chelcicky و هو من الطابوريين ،كان قد مال الى هجر مظهره الوالد نسياني المسالم وهو التغيير الذي اصاب العديد من زملائه وتفجع من اجله وبين ان الشياطين قد اغواهم ليظنوا انفسهم من الملائكة الذين يتوجب (ص ٢١٣) عليهم تطهير دنيا المسيح من كل الفضائح والذين قدر لهم محاسبة العالم ، الأمر الذي اقترفوا بقوته كثيرا من القتل وافقروا العديد من الناس».



١ـ قصة المسيح الدجال : الى اليسار المسيح الدجال يعظ بالهام من الشيطان ، في حين على اليمين « الشاهدان » اينوخ واليجا يعظان جنده ، وفي الأعلى المسيح الدجال مدعوما بالشياطين يحاول الطيران وبذلك يظهر أنه الرب في حين يستعد احد الملائكة الرئيسين لضربه واسقاطه .



٢ ـ البابا كمسيح دجال: (ماشيور اورك) في هذه الصورة المرعبة المهداة الى اوثر ظهر البابا بذيل مع الخصائص الاخرى للشيطان في حين ان الضفادع الصادرة من فمه(مع الزواحف الاخرى) تذكر بوصف المسيح الدجال في سفر الرؤيا:١٦ / ١٣ ، ويسوي احد العناوين الشارحة ايضا بين الصورة ، والرجل الوحشي كما اظهره الدكتور برهمير في دراسته:« كان مخلوقا غريبًا ذا قوة مدمرة شبقة ، وهو روح أرضية في الأصل من عائلة البان الهة الحقول عند الرومان (الفون) والهة الغابات عند الاغريق(ساتير) والمخلوقات التي تحولت الى شياطين مرعبة ، وقد اعطى اورك رجله الوحشي صليبا بابويا وهو ايضا جذع شجرة مثل ذلك الذي حمله القنطور وهو مخلوق خرافي نصفه رجل ونصفه فرس ، كان بدوره رمز للاحليل.

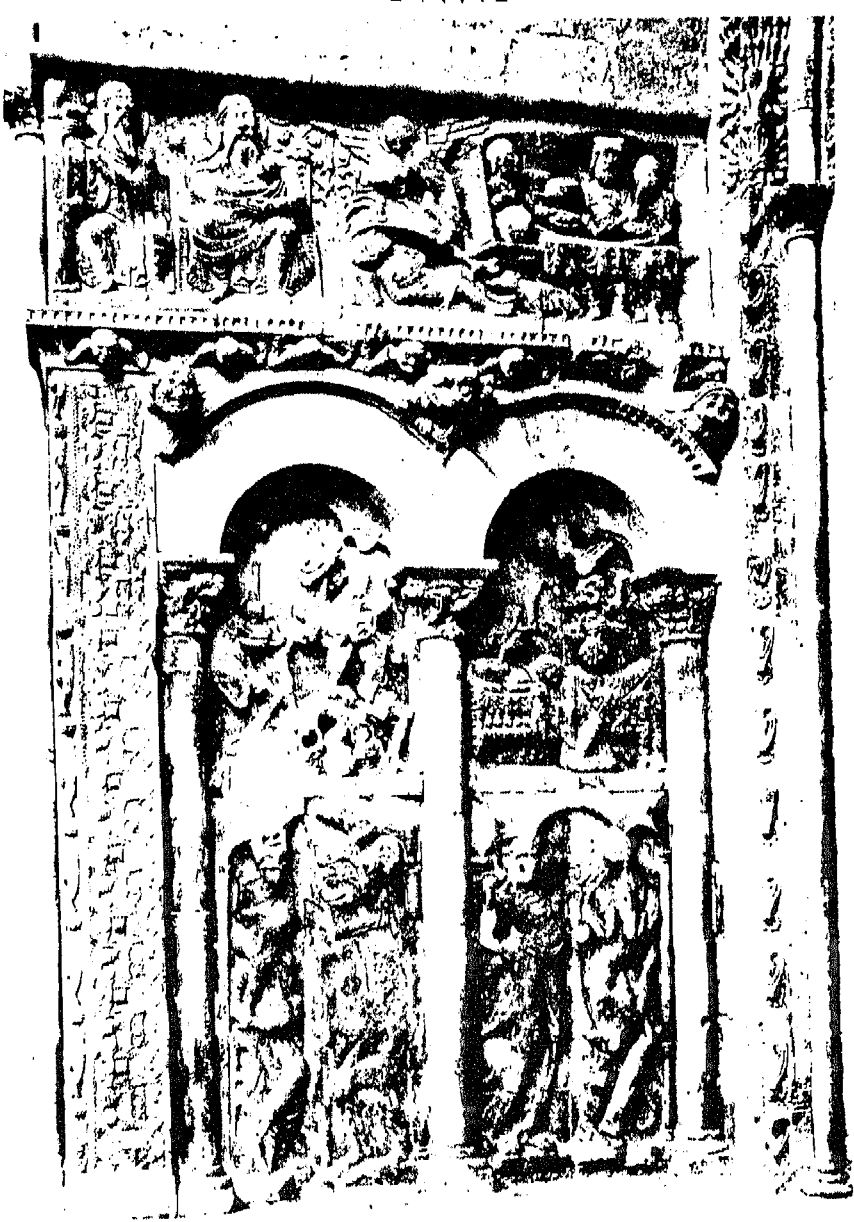


٣ ــ يوم الغضب (البرخت ديورر) رسم توضيحي الرؤيا: ٦ / ٩ ــ ١٦ :«... رأيت تحت المذبح نفوس الذين ذبحوا من اجل كلمة الرب ، ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم ...ونظرت... واذا زلزلة عظيمة حدثت والشمس صارت سوداء كمسح من شعر والقمر صار كالدم ، ونجوم السماء صارت الى الارض... وملوك الارض والعظماء والاغنياء والامراء والاقوياء اخفوا انفسهم في المغاير وفي صخور الجبال وهم يقولون للجبال والصخور: اسقطي علينا واخفينا عن وجه ذلك الجالس على العرش ، وعن غضب الخروف».

- ١٦٩٥ -



٤ــ مشهد من القرون الوسطى للقتل الطقوسي لصـــبي مســيحي على يد اليهود ، وهو مثل مدهش للاسقاط على اليهــود للصــورة الخيالية للتعذيب والأب المخصي .



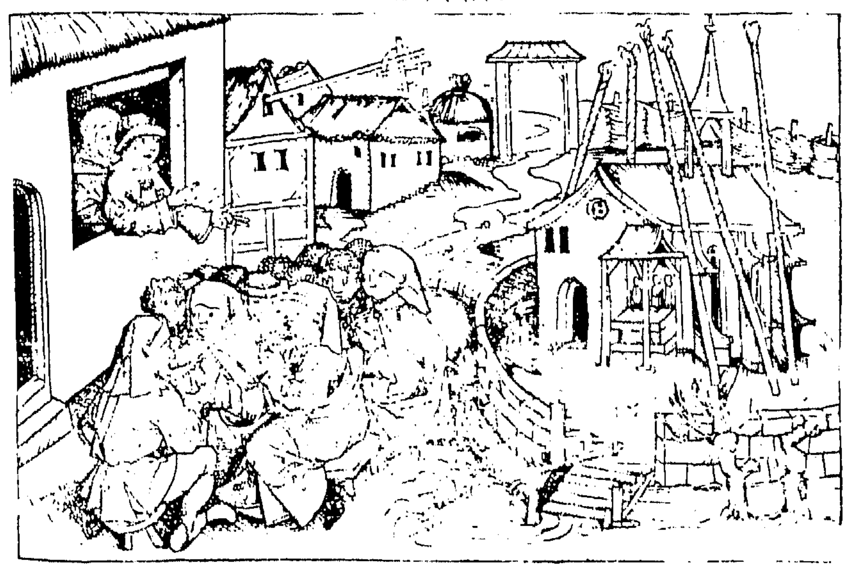
البخل والترف. فوق البخل يولم ويستمتع في حين يموت على ابوابه وروح الترف يحملها ملاك الى صدر ابراهيم.
في الوسط: البخل يموت ويوزن بكيس نقوده ، ويدفع الى الاسفل في الجحيم بواسطة الشياطيين.
وفي الاسفل: البخل ويرمز اليه بشيطان والترف ويرمز اليه بامراة وافاعي.



٦ ـ (أ) موكب لطامين في ١٣٤٩



٦ ـ (ب) حرق اليهود في ١٣٤٩



٧ ـ طبال نيكلاسهوزن . الطبال بحدّثه الناسك او البيغرد ، يقـدم تعاليمه ، التي كانت في حينه تعطى للحجاج ، وترتكز على الكنيسة شموع عملاقة يحملها الفلاحون في مسيرتهم الى ورزبرغ .



٨ــ الرانتر كما تخيلهم معــاصروهم.أن هــذا الحفــر البــدائي والغريب على الخشب يبدو انه يظهر ان التدخين قد وضع بمســاواة « الروح الحرة » كتعبير عن تناقض المبادىء .



٩ ـ جون ليدين كملك :(هنريش الديغريغر)

يعتقد ان هذا النقش الدقيق مأخوذ من الحياة في وقت ما بعد سقوط مونستر ، بناء على طلب الأسقف ، ورمزت الكرة السلطانية مع السيفين الى ادعاء بوكلسون السيادة على العالم روحيا ومدنيا فقد كان احد شعارات بوكلسون :« قوة الرب هي قوتي » .

ومازالت رسالة كتبهـا بـالاتينية احـد الألفيين انفسـهم موجودة ، تؤكد ذلك كله بقولها :« ان المسـتقيمين ... سـيبتهجون الآن برؤية الثأر وغسـل أيديهـم في دمـاء المذنبين » ولكن أكثـر المتطرفين بين الطابوريين مضوا ابعد مـن ذلك وتمسـكوا بـأن اي واحد ، من أي مستوى ، لايسـاعدهم بشـكل فعـال في تحـرير الحقيقة ، والقضاء على المذنبين يكون هو نفسه عضـوا في حشـود الشيطان ويكون صالحا فقـط للابـادة بناء على ذلك ، لأن سـاعة الثأر قد حانت حيث لا يعني التشـبه بـالمسيح بعـد الآن الاقتـداء برحمته بل بقضيته وقسوته ورغبته في الثأر ، وكملائكة الرب للثـأر ومحاربين عن المسيح على الصفوة المنتخبـة ان تقتـل الجميع بـلا استثناء ، ممن لاينتمون الى جماعتهم» .

وقد زاد من إثارة الألفيين تطور الحـالة السـياسية ففـي اذار ١٤٢. انتهت الهـدنة بين الهـوسية المعتـدلين والأمبـراطور سيغسموند ، وغزا جيش كاثـوليكي ، دولي في تـركيبه ولكنه ذو غالبية المانية ومجرية ، بوهيميا ولم يقبل التشيك مطلقا من جانبهم سيغسموندملكا لهم ، وفي الواقع وان لم يكن بالقانون باشرت البلاد فترة من خلو العرش كان لها ان تستمر حتـى ١٤٣٦ ، وبـاشرت ايضا حربا لطرد الغزاة تحت لواء قائد عسكري عبقري هـو جـون ززكا John Zizka في معـركة تلو معـركة ، وكان ززكا من الطابوريين ، وكان الطابوريون هـم الذين حملوا وطـأة الصراع ، وعلى الأقل في المراحل الأولى لم يشـك أكثـرهم تـطرفا مطلقا انهـم كانوا يعيشـون خـلال فتـرة « التحقيق الزماني » والقضاء على كل الشرور .

ووراء القضـاء على كل الشرور تـكمن الألفية ، وكان الناس مقتنعين تماما انه بينما الأرض تنظف من المذنبين سيهبط المسيح في « بهاء وسلطان عظيم » ثم تأتي « المائدة المسيحية » التي ستقام

في الجبال المقدسة للطابوريين ، وبعدما سيتولى المسيح المنصب الملكي مكان الامبراطور غير الجدير سيغسموند وسيحكم العالم الألفي الذي « سيتألق فيه القديسون مثل الشمس في مملكة ابيهم » و « يعيشون مشرقين كالشمس تماما بلا بقع » وسيبتهجون الى الأبد في حالة من البراءة كحالة الملائكة ، أو آدم وحواء قبل السقوط ، وستكون هذه الألفية في الوقت نفسه العصر الثالث والأخير للنبوءات اليواكمية ، وفي ذلك العالم لن تكون هناك حاجة للأسرار المقدسة لضمان الخلاص ، وحفظ الكهنة للكتب سيتكشف بطلانه ، وستختفي (ص ٢١٤) الكنيسة نفسها ، وهناك لن يشعر أحد برغبة جسد أو معاناة ، وستحبل النساء دون اتصال جنسي ويحملن أطفالهن بدون الم ولن يكون المرض والموت معروفين . وهناك سيعيش القديسون معا في مجتمع الحب والسلام ، ولايخضعون لقانون،متحررين من كل قسر : وسيكون السكان الجدد للفردوس ـ كما سنرى ـ تجديدا لوجود حالة المساواة في الطبيعة .

الشيوعية الفوضوية في بوهيميا

إذا كان إيمان الطابوريين بالأخرويات مستمدا بشكل رئيس من اليوحنيه والنبوءات اليواكمية ، فإن بعض ملامحها بالتأكيد تذكر باسطورة العصر الذهبي ، وهذا مدهش بشكل خاص عندما يقوم المرء بفحص التنظيم الاجتماعي للألفية الطابورية ، ويستحيل الحديث عن التأثير الذي ربما تكون قد أحدثته هنا شهرة جون بول بوساطة تعاليم المهاجرين البيكارد أو بوساطة الأتباع المحليين للروح الحرة ، وكانت الأفكار المتفجرة كامنة على أي حال وجاهزة للمساهمة في الأدب التقليدي للتشيك ، ولم يكن ببساطة أن بوهيميا شأنها شأن البلدان الأخرى كانت مطلعة على خيالات حالة الشيوعية الفوضوية الطبيعية إذ كانت هذه التخيلات في بوهيميا قد أخذت أهمية وطنية غريبة ، ومن قبل وابكر من ذلك بثلاثة قرون

تخيل كوسماس أوف براغ ، المؤرخ البوهيمي الأول ، وصــور أول الناس وهم يستوطنون في بوهيميا ، على انهم يعيشون حالة مجتمع كامل المشاعية : « كأشعة الشمس ، ورطوبة الماء ، هكذا الحقــول المحروثة ، والمراعي ليس هذا فحسب بل حتى الزيجات كانت كلهــا مشتركة .... لأنهم اتباعا لأسلوب الحيوانات باشروا التــزاوج لليلة واحدة .... ولم يكن أحد يعرف كيف يقول : « لي » ، ولكن كما في حياة الرهبنة كانوا يقولون عن كل شيء لديهــم : « لنا » ، بــالقلب واللسان وفي افعالهم ولم تكن هناك اقفال على أكواخهم ، ولم يقفلوا أبوابهم في وجه المحتاجين ، لأنه لم يكن هناك لانشالين ولالصــوص ولافقراء .... ولكن واأسفاه لقد استبدلوا الرخــاء بعــكسه والملكية المشاعة بالملكية الخاصة .... لأن رغبة التملك كانت تحترق بداخلهم بضراوة تفوق نيران اتنا» وقد خلد المؤرخون المتأخرون هذه الأفكار بين المتعلمين ، وكان ماهو أكثر أهمية ظهــور التخيلات نفســها في وقت مبكر في القرن الرابع عشر في تاريخ تشيك رايمد، وهــو عمــل بالعامية قدر له أن يبقى شهيرا جدا حتى نهاية العصور الوســطى ، وكان أنذر بطرق عدة بحدوث العاصفة الطابورية ، لأن هناك جــرى تصوير مجتمع النعيم التشيكي (ص ٢١٥) القديم ، الذي فقد من زمان طويل وذلك بقصــد دعائي ، في محيط هجمــات ضــارية على التجارة والحضارة الألمانية في المدن ، تماما كمــا سـيفعل بعــد ذلك بقرنين ثوار الراين الأعلى في مقــارنة الحياة المشــاعية المفتــرضة للألمان القدماء مع طرائق المرابين الشريرة التــي أدخلهــا الألمان ، وإلى أي مدى لونت هذه التخيلات المظهــر الاجتمــاعي والتــاريخي للتشيك هذا ما أظهر بوساطة حقيقة أنه عندمــا أخــرجت في القــرن الرابع عشر المجموعة القانونية المعروفة بــاسم الماجســتا كارولينى باللغة الدارجة ، جعلت هذه الوثيقة الجليلة تنطق بأنه ليس فقــط في الأجيال الأصيلة أو لزمان طويل كانت ملكية كل شيء ، مشتركة ، بل إن تلك العادة كانت هي العادة الصحيحة .

وكما فهم الطابوريون المتطرفون الألفية قدر لها أن تتميز بعــودة للنظام الشيوعي الفوضوي المفقود ، وكان لابد من إبــطال الضرائب

والقروض والايجارات وكذلك الملكية الخاصة من كل نوع ، وأن لاتكون هناك سلطة بشرية من أي نوع : « وسيعيش الجميع كأخوة ، ولايخضع أحد لآخر » « والرب هو الذي سيحكم ، وستسلم المملكة لأهل الأرض » . وحيث أن الألفية ستكون مجتمعا بلا طبقات ، كان التوقع أن المذابح التحضيرية ستأخذ صورة حرب طبقية ضد « العظيم » ، وصورة هجوم أخير ، في الواقع ، على الجشع الحليف القديم للمسيح الدجال .

وكان الطابوريون واضحين تماما في هذه النقطة : « كل اللوردات والنبلاء ، والفرسان سيصرعون ويقضى عليهم في الغابات كالخارجين على القانون » وايضا كما كانت الحالة في أراض أخرى في قرون سالفة ، كان فوق كل شيء ، سكان المدن الأغنياء أو ملاك الأراضي الغائبون ، بدلا من النمط القديم من السادة الاقطاعيين ، هم الذين رؤي فيهم صورة الجشع وكان هذا الجشع المديني هو الذي تلهف الطابوريون المتطرفون بشدة لتدميره ، تماما كما كانت المدن التي اقترحوا حرقها إلى الأرض ، حتى لايدخلها مؤمن مرة أخرى ، وكانت براغ معقل مؤيدي سيغسموند هدف المق الخاص وبتسمية المدينة بابل أظهر الطابوريون بوضوح كاف المعنى الذي ربطوه بمصيرها الوشيك ، لأن بابل مسقط رأس المسيح الدجال والنظير الشيطاني للقدس ، كانت تعتبر تقليدا تجسيدا للترف والبخل ، وعلى الشكل التالي تنبأ سفر الرؤيا بسقوطها:

« بقدر ما مجدت وتنعمت بقدر ذلك أعطوها عذابا وحزنا .... من أجل ذلك في يوم واحد ستأتي ضرباتها موت وحزن وجوع وتحترق بالنار لأن الرب الاله الذي يدينها قوي .

وسيبكي وينوح عليها ملوك الأرض الذين زنوا وتنعموا معها حينما ينظرون (ص ٢١٦) دخان حريقها واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين ويل ، ويل ، المدينة العظيمة بابل المدينة القوية ،

لانه في ساعة واحدة جاءت دينونتك ، وبيكي تجار الأرض وينوحون عليها لأن بضائعهم لايشتريها أحد فيما بعد .... »

وبعد هذا يظهر المسيح المحارب في السماوات على راس جيش من الملائكة ليشن الحرب على المسيح الدجال وليقيم الألفية على الأرض .

وبعدما ينفذ التطهير العظيم ويتم تجديد المجتمع الكامل فوق التراب البوهيمي ، على القديسين أن يمضوا لغزو بقية العالم والسيادة عليه ، « لأنهم الجيش الذي أرسل إلى كل العالم لحمل وباء الانتقام وإيقاع الثأر في كل الأمم ومدنها الكبيرة والصغيرة ومحاسبة كل شعب يقاومهم .

وبعد ذلك تخدمهم الملوك ، وكل أمة لاتخدمهم ستدمر ، « وسيدوس أبناء الله على أعناق الملوك وسيعطون كل الممالك الموجودة تحت السماوات » .

ولقد كانت اسطورة اجتماعية بالغة القوة ، وواحدة مما تعلق به بعض المتطرفين لسنوات عديدة ، حتى لال اشد المحن تثبيطا وإن المجيء الثاني قد يتأخر إلى أجل غير مسمى ، وقد يبقى النظام الاجتماعي التقليدي دون تغيير ، وكل فرصة حقيقية لثورة مساواتية قد تختفي ، لكن هذه التخيلات ما برحت تتردد ، وفي وقت متأخر يعود إلى ١٤٣٤ نجد متكلما في اجتماع للطابوريين يعلن ، انه كيفما كانت الأحوال غير مواتية في الوقت الراهن ، فإنه ستأتي اللحظة حالا حيث يجب أن تهب النخبة وتبيد أعداءهم ، وهم السادة في المقام الأول ، ثم أيا من شعبهم ممن يشك في ولائه أو نفعه ، وما أن يجري ذلك ، وبوهيميا تحت سيطرتهم التامة ، فإنهم سيتقدمون بأي تكاليف من الدماء المسفوكة ، ليغزوا أولا الأراضي المجاورة ثم كل الأراضي الأخرى ، « لأن هذا ما فعله الرومان ، وبهذه الطريقة سادوا العالم كله » .

وفي التطبيق كانت خطة نظام الشيوعية الفوضوية على اتساع

العالم قد قوبلت بنجاح محـــدود جــدا ، وفي وقـــت مبـكر في ١٤٢٠ وضعت خــزائن مشـــتركة في بعض المراكز تحــت ســـلطة كهنة الطابوريين ، وباع الوف مــن الفــلاحين والحــرفيين في كل انحــاء بوهيميا وموارفيا كل حاجياتهم ودفعوا العــائدات للخــزائن فلقــد انفصل هؤلاء الناس تماما عن حياتهم القديمة إلى حد أنهم كثيرا ما احرقوا بيوتهم وما حــولها إلى الأرض ، والتحــق العــديد منهــم بجيوش الطابوريين ليعيشوا مثل البــدو الذين لاملكية لديهــم مــن المحاربين عن المسيح ، حياة تشبه في غرابتها حياة فقراء الحمــلات الصليبية الخشنة،ولكن كان هناك ايضا العديد ممن تــوطنوا في المدن التي كانت معاقل للطابوريين وشكلت ما أريد منه أن يكون مجتمعات مساواة ، تجمعها معــا المحبــة الأخــوية وحــدها ، (ص ٢١٧) ولاتعرف شيئا عن « لي ولك » .

وقد تشكل أول هذه المجتمعــات في اوائل ١٤٢٠ في بيســيك في جنوب بوهيميا وظهر الثاني إلى الوجود في شباط ١٤٢٠ بعد وقت قصير من إخفاق المسيح في العودة إلى الأرض حســبما تــم التنبــؤ وكان متوقعا ،و استولت قوة من الطابوريين والفلاحين بقيادة كهنة من الطابوريين على مدينة أوستي على نهر لوزنيكا ، وبعــد بضــعة أيام تحركوا إلى مرتفع داخل في النهر على شكل نتوء ، كان يشــكل حصنا طبيعيا ، وكان كل ذلك في جوار التل الذي أطلق عليه في السنة السالفة اسم جبل طابور ، واعيد الآن تسمية الحصن باسم طــابور أيضا ، وفي آذار تخلى القائد العسكري جون ززكا عن مركز قيادتــه في بلزن وانتقل إلى طابورمع كل طــابوريي بلزن ، وهــزم الســادة الاقطاعيون المحليون بسرعة في سلسلة من الهجمات المفاجئة واصبح الجوار كله تحت سيطرة الطابوريين

وخلال ١٤٢٠ و ١٤٢١ كانت طابور وبيسك المعقلين الرئيســين لحركة الطابوريين ، ولكن طابور هي التي أصــبحت مــوطن الجناح الأكثر الفية وتطرفا في الحركة ، وقد هيمــن عليه في البــداية أكثــر الناس فقرا ، وقد استهلوا العصر الذهبي الجديد بقولهم : « بما أن

« لي ولك » لاوجود لهما في طابور ، بل إن كل الممتلكات مشـتركة ، يجب أن يتملك كل الناس دائما كل شيء بصورة مشتركة ، ويجب أن لايملك أحد أي شيء لنفسه ، وكل مـن يملك ملكية خـاصة يرتـكب خطيئة مميتة » .

ومن سوء حظ تجربتهم الاجتماعية ، كان الثوريون الطـابوريين مشغولين جدا بالملكية المشتركة إلى حـد أنهـم اغفلوا تمـاما أمـر الحاجة للانتاج ، حتى لقد بدا أنهم اعتقدوا انه مثـل ادم وحـواء في الجنة ، سيعفى المقيمون في المجتمعات المثالية الجديدة من كل حاجة للعمـل ، بيد أنه إذا لم يكن مـدهشا أن تلك التجـربة المبـكرة في الشيوعية التطبيقية كانت قصيرة العمر ، فإن الطريقة التي انتهـت بها ماتزال تستحق بعض الانتباه ، وكان اتباع الروح الحـرة عادة يعتبرون أنفسـهم مخـولين بـالسرقة والسـلب والآن فإن نفعيين مشابهين جدا لهم ، ولكن على نطاق أكبـر بـكثيرء قـد تبنتهـم تلك المجتمعات الطابورية ، وعندما نفدت اموال الخزائن المشـتركة أعلن المتطرفون أنهم « كرجال شريعة الرب » ، مخـولون بـأخذ كل مـا يخص أعداء الرب ، وعنوا في البداية الاكليروس والنبـالة والأغنياء بشكل عام ، ولكن سرعان ما شـمل هـذا كل مـن ليس مـن الطابوريين ، ومن حينه فصـاعدا ، إلى جـانب او مـع الحمـلات الرئيسة التـي شـنت بقيادة ززكا ، جـرت حمـلات كثيرة ، كانت ببساطة غارات نهب .

وهكذا شكا الطابوريون الاكثر اعتـدالا في مجـالسهم بقـولهم : إن كثيرا من المجتمعات لم تفكر ابدا في كسب معايشها بعمل أيديهـا ، ولكنها تريد فقط ان تعيش على ممتلكتـات الناس الاخـرين ، و أن تقوم بحملات ظالمة من أجـل الهـدف الوحيد وهـو السرقـة » (ص ٢١٨) وقام عدد كبير من الطابوريين المتطرفين وهم يمقتون طرق الاغنياء المترفين ، فصنعوا ـ تماما مثـل بعض اتبـاع الروح الحرة ـ لانفسهم حللا ذات أبهـة ملكية حقيقية ، كانوا يرتـدونها تحت ارديتهم الكهنوتية .

لقد عانى الفلاحون المحليون كثيرا ، وكانت اقلية فقط من بين الفلاحين الذين كانوا يدينون بالولاء للنظام الطابوري في التي باعت ممتلكاتها والتحقت بجماعة النخبة ، لكن في ربيع ١٤٢٠ ، مع دفقة الحماس الثوري الاولى ، أعلن الطابوريون ابطال العلاقات الاقطاعية والقروض والخدمات ، فأسرع العديد من الفلاحين طبقا لذلك ليضعوا انفسهم تحت حماية النظام الجديد ، إنما خلال نصف سنة كان لديهم سبب جيد للاسف على قرارهم ، ومع تشرين اول ١٤٢٠ كان الطابوريون مدفوعين بفعل مأزقهم الاقتصادي الى البدء بجمع القروض من الفلاحين في النواحي التي اداروها ، ولم يمض بعد ذلك زمان طويل حتى تزايدت القروض بدرجة كبيرة ، حتى أن العديد من الفلاحين وجدوا انفسهم أسوأ مما كانوا عليه في ظل سادتهم السالفين .

ومرة اخرى كان مجلس الطابوريين المعتدلين هو الذي ترك اكثر الاوصاف إثارة للدهشة ، بالشكوى من أن تقريبا جميع الطوائف كانت تنهك عامة الناس في الجوار بطريقة غير انسانية تماما ، وتضطهدهم كالطغاة والوثنيين ، وينتزعون الايجار بلا شفقة حتى من اكثر المؤمنين اخلاصا ، وإنه مع أن بعض هؤلاء الناس من عقيدتهم نفسها فانهم يتعرضون لاخطار الحرب نفسها وهم في جانبهم تساء معاملتهم بقسوة كما انهم يسلبون ايضا من قبل الأعداء » وكانت محنة هؤلاء الفلاحين الذين حصروا بين الجيوش المتحاربة شديدة ، ومع تأرجح أحوال الحرب من الجانب الاخر ، كان عليهم أن يؤدوا الفروض مرة للطابوريين ، ومرة لسادتهم الاقطاعيين القدامى ، وعلاوة على ذلك كانوا يعاقبون من كلا الجانبين باستمرار لتعاونهم (حتى لو كان ذلك بالاكراه) مع الاعداء ، من قبل الطابوريين لانهم تحالفوا مع الطغاة ، ومن قبل الكاثوليك لانهم « اصدقاء المهرطقين » ، وبينما هم تحت سيادة الطابوريين كانوا يعاملون من قبل من يدعون بالاخوة كأدنى انواع العبيد ، والفروض تنتزع منهم بواسطة « رجال قانون الرب » بتهديدات مثل :« اذا لم تطع فاننا سنجبرك بعون الله بكل وسيلة

وخاصة بالثأر ، على تنفيذ اوامرنا» ، ومع ان الطابوريين قد تحدوا النظام الاقطاعي بفعالية لم يكونوا يحلمون بها انذاك ، فان المشكوك فيه مدى استفادة الفلاحين البوهيميين ، وبالتأكيد في وقت انتهاء الحرب كانه الفلاحون اضعف والنبلاء ، اقوى من قبل ، وباتت العبودية من اشد الانواع ارهاقا ، يمكن ان تطبق عليهم عندئذ بسهولة كافية (ص ٢١٩) .

وحتى ضمن طابور نفسها تم التخلي عن تجربة الشيوعية الفوضوية بسرعة ، وايا كانت كراهية المجربين في القيام باي عمل ، فانهم كانوا لايستطيعون العيش بدونه ، وبسرعة كان الحرفيون ينظمون انفسهم في نظام من النقابات شبيهة بتلك الموجودة في المدن البوهيمية الاخرى ، وفوق كل شيء من آذار ١٤٢٠ ومابعده كان الطابوريون منهمكون في الحرب الوطنية ضد الجيوش الغازية ، ولأشهر عديدة كانوا في الواقع يساعدون الهوسية من غير الطابوريين في براغ في الدفاع عن العاصمة ، ولم يكن ممكنا حتى بالنسبة للجيش الطابوري ان يعمل بدون قيادة هرمية ، وفي مجرى الاحداث عمل ززكا ، الذي لم يكن من دعاة المساواة ولادعاة الالفية ، عمل على ان تكون المواقع القيادية محفوظة لرجال ، جاءوا مثله من النبالة الادنى ، وكان كل ذلك يميل الى ترطيب نار الكهنة الطابوريين ، وفي الوقت الذي عادوا فيه الى طابور في ايلول ، كانوا اقل اهتماما بالالفية منهم بانتخاب « اسقف » يشرف عليهم ويدير اموالهم ، ومع ذلك لم ينبذ السعي وراء العصر الذهبي بدون صراع ، وبينما كان المزيد والمزيد من الطابوريين يستعدوون لتكييف انفسهم مع المقتضيات الاقتصادية للحرب ، والترتيب الطبقي ، الذي لم ينم عن اي علامة على الانهيار ، استجابت اقلية بتطوير صور جديدة من العقيدة الالفية .

وطور الواغط مارتن هسكا وقد الهم جزئيا من قبل الببكارتي المهاجرين ، مذهبا الى الاسرار المقدسة كان يمثل انفصالا كليا عن الافكار الطابورية المعتادة،وتقاسم ززكا والعديد من الطابوريين

الاخرين مع المؤمنين بنوعي القربان في براغ تمجيدا عميقـا للاسرار المقدسة على انها الجسد والدم للمسيح ، وعندمـا كانوا يخـرجون للقتال كان كأس نبيذ القربان المثبت على عمـود يحمـل في المقـدمة كعلم ، ورفض هوسكا من جانب اخـر اسـتحالة خبـز القـربان وخمره الى جسد ودم المسيح وفسر بدلا من ذلك عملية مناولة كان لها في المقام الاول دلالة وليمة حـب تجـرب تحضـيرا «د للمأدبـة المسيحية » التي قدر للمسيح العائد ان يولها مع نخبته ، ومن اجـل نشر مثل هذه الافكار خارج البلاد احرق حتى الموت في آب /١٤٢١ ،

لقد انتشرت هذه الافكار الى طابور نفسها ، وفي وقـت مبـكر في ١٤٢١ كان بضع مئات مـن المتـطرفين ، الذين اعطـوا اسـم بيكارتي ، نشطين هناك تحـت زعامـة كاهـن يدعى بيتـر كانيس وسببوا كثيرا من النزاع ، حتر غادروا المدينة في شـباط او طـردوا منها ، وكان معظمهم ببساطة يتقاسم مـع هسـكا افـكاره حـو ل القربان المقدس ولكن كان بينهم بعض المتطرفين ــ ربمـا حـوالي ٢٠٠ ــ من الذين حملوا مذهب الروح الحـرة في صـورته الاكثـر نضالية ، وكان هؤلاء هـم الناس الذين قـدر لهـم ان يصـبحوا مشهورين في التاريخ تحت اسـم الادامـايت البـوهيميين . وكانوا يعتقدون ان الرب يتوطن في قديسي الايام الاخيرة ، اي في انفسهم ، وان هذا هو ماجعلهم اسمى من المسيح ، الذي بموته اظهـر نفسـه بأنه مجـرد بشر ، واحلوا بـذلك انفسـهم مـن الانجيل ، والعقيدة وحفظ الكتب ، مكتفين بالصلاة التي تمضي هكذا :« ابـانا الذي فينا (ص ٢٢٠) ، نورنا بما يجب ان نفعل ....» وكانوا يتمسكون بـان الجنة والنار لاوجود لهما سوى في نفوس الصالحين والضالين على التوالي ؛ واستخلصوا بانهم لكونهم من الصالحين فانهم سيعيشون الى الابد كسكان في الالفية الارضية .

وقطع ززكا حملة كان يتولاها بغية التعـامل مـع الادامـايت وفي نيسان ١٤٢١ اسر نحو خمسة وسبعين منهم بمـا فيهـم كانيس واحرقتهم كمهرطقين ، وسار بعضهم وهم يضـحكون في اللهـب .

ووجد الناجون قائدا جديدا في احد الفلاحين او ربما الحدادين ، واسموه معا : ادم وموسى وكان المفترض انه مخول بحكم العالم ، ويبدو انه كان هناك ايضا امرأة ادعت انها العذراء مريم ، ومن اجل البقية يقال : ان الادامايت قد عاشوا تماما مثل اتباع الروح الحرة في حالة من الاشتراك غير الشرطي ، الى درجة ليس فقط ان ماامن احد امتلك شئيا خاصا به بل ان الزواج المحصور عد خطيئة ، وبينما كان الطابوريين بشكل عام احاديين في الزواج بشكل صارم ، يبدو ان الحب الحر كان هو القاعدة بين صفوف هذه الزمرة ، وعلى اساس متانة تعليقات المسيح حول البغايا واصحاب الخانات ، اعلن الادامايت ان الانسان العفيف غير اهل لدخول مملكتهم المسيحية ، ومن جانب اخر لم يكن بامكان اي زوج ممارسة الاتصال الجنسي بدون موافقة « ادم ـ موسى » ، الذي كان يباركهم قائلا « اذهبا وكونا مثمرين وتكاثرا واعيدا اعمار الارض » ، وكانت هذه الزمرة معتادة جدا على الرقصات الطقوسية العارية التي كانت تعقد حول نار ومصحوبة بانشاد التراتيل ، وفي الواقع يبدو هؤلاء الناس قد امضوا كثيرا من اوقاتهم عراة متجاهلين الحر والبرد ، مدعين انهم في حالة من البراءة التي تمتع بها ادم وحواء قبل السقوط .

وعندما كان ززكا يلاحق البيكارتي ، التجأ هؤلاء الفوق فوضويون الى جزيرة في نهر انزاركا بين فيزلي وجندريشوف هرادك (نيوهاوس) ومثل الطابوريين الاخرين اعتبر الادامايت انفسهم ملائكة منتقمين ، وكانت مهمتهم ان يستخدموا السيف في العالم كله حتى يقضى على غير الطاهرين .

واعلنوا ان الدم يجب ان يغمر العالم حتى ارتفاع رأس الحصان وعلى الرغم من عددهم الصغير عملوا مافي وسعهم لتحقيق هذا الهدف ، ومن معقلهم في الجزيرة كانوا يقومون بغارات ليلة مدمرة ـ سموها حربا مقدسة ـ ضد القرى المجاورة : وفي تلك الحملات وجدت مبادئهم الشيوعية وشهوتهم للتدمير تعبيرا ، وكان الادامايت الذين لم تكن لديهم ممتلكات خاصة بهم يمتلكون كل شيء

يمكنهم ان يضعوا ايديهم عليه وفي الوقت نفسه كانوا يشعلون النار (ص ٢٢١) في القرى ويبيدون او يحـرقون احياء كل رجـل ، او امراة او طفل يمكنهم ان يجدوه ؛ وسوغوا ذلك بشواهد من الكتابات المقدسة مثل : « وفي منتصـف الليل كانت هناك صرخـة ، انظـروا العريس قادم .... » ومن ثم كانوا يذبحون الكهنة الذين اعتبـروهم شياطين مجسدة بحماس خاص وفي النهاية ارسـل ززكا قـوة مـن ٤٠٠ جندي مدرب ، تحت قيادة احد كبار ضباطه ، لوضـع نهـاية للاضطراب ، ودون قلق اعلن « ادم ـ موسى » ان العـدو سـيضرب بالعمى في ارض المعركة ، حتى ان حشدا كاملا سيكون تمـاما بـلا حول ، في حين ان القـديسين اذا صـمدوا الى جـواره سـيكونون معصوصين مـن الضرر ، وصـدق اتبـاعه واعدوا المتـاريس على جزيرتهم ودافعوا عن انفسهم بطاقة هائلة وشجاعة ، وقتلوا العديد مـن المهـاجمين ، وفي ٢١ تشرين اول ١٤٢١ سـحقوا اخيرا وابيدوا عن بكرة ابيهم ، واستبقي رجل واحد باوامر ززكا ، حتـى يعطي بيانا كاملا عن عقائد وممارسات الطائفة ، وسجلت شـهادته بصورة وافية في حينه و قدمت للدراسة من قبل هيئة كلية لاهوت اتراكويست في براغ ، وقد احرق هو نفسه بعد ذلك ، واغرق رمـاده في النهر ، وهـو احتياط يوحـي بقـوة بـانه لم يكن غير الزعيم المسائحي « ادم ـ موسى » نفسه .

وفي ذلك الوقت كان حجم الثورة الاجتماعية في بوهيما قد تناقص بالفعل وتقلص بين اهداف الحركة الطابورية ، وفي السـنة التـالية وضعت ثورة مضادة نهاية لهيمنة الحرفيين في بـراغ ، وبعـد ذلك ، ـ مع ان الكلام عن الثورة قد يستمر ـ اخذت القوة الفعالة تتجمـع بصورة متزايدة مع النبالة ، ولكن وراء الجبهات كانت تعاليم ومثـل الثوار البوهيميين مسـتمرة التـأثير والفعـالية بين الفقـراء غير الراضين وقال احد المؤرخين من الخصوم : « اصـبح البـوهوميون الان اقوياء جدا وجبارين ، ومتغطرسين ، حتى انهم كانوا مـوضع خشية على كل الجوانب ، وكان كل الناس ، الاشرفاء متخوفين لئلا ينتشر الخبث و تنتقل الفوضى الى الشعوب الاخرى فينقلبوا ضد كل

من كانوا محترمين وملتزمين بالقانون ،وضــد الاغنياء ، لان هــذا كان بــالضبط الشيء المطلوب للفقــراء الذين لم يكونوا يرغبــون في العمــل وكانوا ايضــا متغــطرسين ومحبين للمسرات ، وكان هناك العديد مثلهم في كل البلاد ، اناس خشنون ولاقيمة لهم ممن شــجعوا البوهيميين على هرطقتهم وعدم ايمانهم بقــدر مــاكان بـوسعهم ، وعندمــا لم يجــرؤوا على فعــل ذلك علنا ، كانوا يفعلونه سرا ... وهكذا كان للبوهيميين عدد كبير من المؤيدين السريين الخشنين من الناس ....

وقد اعتادوا الجدل مع الكهنة ، قــائلين ان كل واحــد يجــب ان يقتسم ملكيته مع كل شخص اخر ، وكان هذا يمــكن ان يسر عددا كبيرا من الاتباع عديمي القيمة وان يمضي بشكل جيد جدا » .

وفي كل مــكان كان يستــحوذ على الاغنياء واصــحاب المزايا ، والاكليروس والعامة على السواء الخوف من ان يؤدي انتشار نفوذ الطابوريين الى ثورة يمكن ان تقضي على كل النظــام الاجتمــاعي ، وكانت دعوة الطابوريين (ص ٢٢٢) التي لم تهــدف الى القضــاء على الاكليروس فقط بل على النبالة ، قد تسربت الى فرنسا وحتــى اسبانيا ، ووجدت كثيرا من القــراء المتعــاطفين ، وعندمــا هــب الفلاحون في برغنديا وحــول ليون ضــد ســادتهم مـــن الاكليروس والمتحكمين بهم من المدنيين عزا الاكليروس الفــرنسي تلك الثــورات على الفور الى تاثير نشرات الطابوريين ! وربما كانوا على صواب ، ولكن حدث في المانيا ان توفرت الفرصة للطابوريين لممارسة التأثير ، لان جيوشهم تمكنت في سنة ١٤٣٠ مـــن التــوغل حتــى لايبــزغ وبامبرغ ونورمبــرغ وفي المانيا بلغ القلق اشــده ، وعندمــا قــامت النقابات في مينز وبريمين وكونســتانس وفــايمر وســتاتن ضـــد الاشراف ، القي اللوم على الطــابوريين ، وفي عام ١٤٣١ ناشــد اشراف المدن المتحالفة معهم ان يتجمعوا معا في حملة صليبية جديدة ضد الهوسية في بوهيما ، ولفتوا الانظار الى انه كان هناك في المانيا عناصر ثورية لديها امور كثيرة مشتركة مع الطابوريين ، وســيكون

من السهل جدا على الثوار من الفقراء ان ينتشروا من بـوهيميا الى المانيا ؛ واذا فعلوا فإن الاشراف في المدن سـيكونون بين المعـاندين الرئيسيين .

وعبر المجلس العام في بازل ، الذي اجتمع في السنة نفسها ايضا عن قلقه من ان يدخل عامة الناس في المانيا في حلف مع الطـابوريين ويشرعون في الاستيلاء على املاك الكنيسة .
وربما كانت هذه المخاوف متسمة بالمبالغة وسـابقة لاوانهـا ، ولكن بثت مرات عديدة ، وعلى مدى المائة سـنة التـالية ، انهـا لم تـكن جميعها بلا اساس .

الفصل الثاني عشر

الالفية والمساواة(٢)

طبال نيكلاسهوزن

في ١٤٣٤ هزم الجيش الطابوري(ص ٢٢٣) وابيد تقريبا في معركة ليبان على يد جيش ليس من الكاثوليك الاجانب بل من الاوتراكيست البوهيميين ، ومن حينه وما بعد حدث تدهور في قوة الجناح الطابوري في حركة الهوسية ، بعد أن تم الاستيلاء على طابور نفسها من قبل الاوتراكيست ، في ١٤٥٢ وبقيت تقاليد الطابوريين متماسكة فقط في الزمرة المعروفة باسم الاخوة المورافية ، ولكن فقط في صورة دينية صرفة ، مسالمة وغير ثورية وغير سياسية ، ومع ذلك لابد ان تيارا سريا من الالفية القتالية قد استمر في بوهيميا ، وفي ١٤٥٠ او أوائل ١٤٦٠ بدا اخوان من عائلة غنية نبيلة هما جانكو وليفين ، من ورز بورغ في نشر نبوءات أخروية اسهمت فيها اليوحنية واليواكمية

وفي صلب هذا المذهب وقف مسيح كان يشار إليه باسم المسيح المخلص وكان يتوقع أن يدشن العصر الثالث والاخير ، وقد أكد الاخوان أن هذا الرجل ، وليس عيسى ، هو المسيح الذي تنبأ به العهد القديم ، ابن الانسان الحقيقي الذي قدر له أن يظهر في بهاء في نهاية التاريخ ، وكان موهوبا ببصيرة لم يوهب مثلها لرجل أخر ، لقد شاهد الثالوث والجوهر الالهي ، وجعل فهمه للمعنى الخفي للكتاب المقدس المفسرين السالفين يبدون بالمقارنة معه عميا أو مخمورين ، وكانت مهمته أن ينقذ لا الجنس البشري ببساطة بل الرب نفسه ، لان الرب كان يعاني بسبب خطايا البشر منذ بدا

العالم ، وهو الان يناشد المسيح المخلص أن يحرره من كربه ، ولكن هذه المهمة لايمكن بالطبع أن تنفذ دون كثير من سفك الدماء ، وهكذا ان المسيح الجديد سوف يبدأ بذبح المسيح الدجال ـ البابا ـ ومن ثم سيتابع بتدمير الاكليروس ككهنة للمسيح الدجال ، باستثناء مراتب الرهبان المتسولين فقط .

وفي النهاية سيتحول ضد كل الذين قاوموه بأي طريقة ، لكن في سبيل المصلحة ـ كما جاء في نبوءة سفر الرؤيا ـ إن مجرد ١٤٠٠٠ سينجون ، وهؤلاء البقية الناجية سيتوحدون في عقيدة واحدة : كنيسة روحية (ص ٢٢٤) ديانة ظاهرة ، وعليهم جميعا يحكم المسيح المخلص الذي سيكون في الوقت نفسه امبراطورا رومانيا وربا .

والمذبحة نفسها كان مقدرا لها أن تنفذ بمساعدة عصابات من المرتزقة ـ فكرة غريبة ولكنها ليست بلادلالة ـ ففي هذا الوقت كانت الاراضي المتاخمة لبوهيميا قد خربت بوساطة المرتزقة البوهيميين المسرحين ، الذين احتفظوا بما يكفي من طرق الطابوريين حيث كانوا يدعون أنفسهم« اخوة » ومعسكرهم المحصن « طابور » ، ومع أن هؤلاء الناس لم يكونوا متعصبين متحمسين بل مجرد لصوص وقطاع طرق اكثر منهم أرواح متحمسة في بوهيميا ـ مثل اخوه وزبرغ ، ويمكن بسهولة أن يبدوا كخلفاء حقيقيين للالفيين الثوريين لعام ١٤٢٠ ، وبالتاكيد كان مقدرا للمذهب الجديد الذي سيظهر من المذبحة لان يميل ليكون له سمات مساواتية بإعلانه إن : الكهنوت الذين نجوا ـ الرهبان المتسولون ـ لن يملكوا اي ممتلكات بالمرة ، وعلى النبلاء ان يتخلوا عن قصورهم وأن يعيشوا في المدن مثل المواطنين العاديين ، وقد صدم المعاصرون في الواقع بشكل خاص بحقيقة انه بانتشاره بالعامية ، شجع المذهب السكان « على أن يهبوا في ثورة مثيرة للفتنة ضد الكبار الروحيين منهم والمدنيين » ولم يترددوا في مقارنته

بمذهب البيكارتي ، « الذي اعتاد أن يوجد في بوهيميا .... وكان يريد إقامة جنة أرضية هناك ».

ويبدو أن وجود هذا المذهب لم يكن واحدا من اخوي ورزبرغ نفسيهما بل من الفرنسسكان ، انشق عن جماعته واعتقد أنه هو نفسه كان المسيح المخلص ، وقد هيمنت هذه الشخصية على الاخوين تماما ، لذلك كانا راضيين باعتبار نفسيهما مبشرين ورسولين له ، بل حتى أن جنكو رأى نفسه يوحنا معمدانيا جديدا ، وتبنى اسم يوحنا الشرقي ، ومن قيادتهم في ايغر (اشب) في اقصى الطرف الغربي من بوهيميا ، نشرا نبواءات معلمهما طولا وعرضا ، سواء بين العامة أو بين الفرنسسكان ذوي الميول « الروحية » والبواكمية .

وادعيا بان لهما مؤيدين عديدين في المانيا ، وانهم لو كانوا جميعا متحدين فان بامكانهما ان يتعاملا مع اي أمير ، وكان هذا بالتاكيد مبالغة كبيرة ، ومع ذلك من المهم ملاحظة انه عندما دخل المذهب الى ايرفورت ـ وكانت في ذلك الوقت مدينة كبيرة ذات متناقضات شديدة من الغنى والفقر ـ شعر الاستاذ الذي كان الزعيم الفكري للجامعة انه مدعو للكتابة وتلاوة بيان ضده .

وكانت السنة التي كرست من قبل لمجيء المسيح المخلص هي ١٤٦٧ ، ولكن ما كان يمكن ان يحدث في حينه لم يكن معروفا ، لانه في السنة السالفة قررت السلطات الاكليروسية بقيادة المعتمد البابوي بأن الوقت قد حان لكبح الحركة ، ويبدو أن جانكو اوف ورزبرغ قد هرب ـ مصيره غير معروف ـ (ص ٢٢٥) ولكن ليقين وقد تفادى الخازوق بارتداده عن اخطائه ، احتجز في سجن الاسقف في رجنسبرغ ، حيث توفي بعد عامين ، وفي هذه الاثناء كانت مدينة ايغر منهمكة في الدفاع عن نفسها بوساطة رسائل الى المدن الشقيقة في الامبراطورية وحتى الى البابا ، ضد الاتهام بكونها مرتعا للهرطقة

واذا كان في بوهيميا نفسها مجال كان يضيق باستمرار لمثل هذه الحركات ، فان الظروف في المانيا وحدها كانت مواتية لاستقبال المؤتمرات الطابورية ، حيث المعائب في بنية الدولة التي كانت لاجيال تسبب الفوضى والتشويش بين عامة الناس كانت ماتزال بادية واقوى مما كانت ابدا ، واستمرت هيبة وسلطة المنصب الامبراطوري بالترنح ، واستمر تحلل المانيا الى خليط من الامارات ، وخلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر غاصت هيبة الامبراطور بشكل خاص الى غور عميق ، وكان فردريك الثالث في البداية ، بسبب اسمه محط انظار للتوقعات الالفية الاكثر جموحا ، ولكن في فترة الحكم التي استمرت من ١٤٥٢ إلى ١٤٩٣ ، اثبت أنه ملك فريد في عدم فعاليته ولم يحل دون خلعه سوى عدم وجود اي منافس مناسب ، وفيما بعد اصبح وجوده منسيا تقريبا من قبل رعاياه ، واوجد فراغ مركز الدولة قلقا مزمنا واسعا ، قلقا وجد تعبيرا في التراث الشعبي حول « فردريك المستقبل » والذي امكنه ايضا أن يجد منفذا له في موجات مفاجئة من الاثارة الاخروية ، التي كان بين اكثر ظواهرها شيوعا ، حشود الحج ، وبقايا الحملات الصليبية الشعبية ومواكب اللطم من الازمنة القديمة ، والتي لم تكن اقل احتمالا منها للهرب من السيطرة الكهنوتية . وقدمت الاراضي الالمانية المتاخمة لبوهيميا حقلا مواتيا بشكل خاص للدعوة الطابورية ، وبقيت تقاليد الهرطقة التي عمرت قرونا في المدن البافارية خلال القرن الخامس عشر ، وفي منتصف القرن وجد اسقف إيخستات أنه مازالت هناك ضرورة للتهديد بالحرمان للطامين ، كانوا يضربون انفسهم أمام الكنائس ولبيغرد من جماعات«الفقر الطوعي » ، كانوا يهيمون في الارض للتسول ، والذين اعتقدوا في انفسهم انهم بلغوا الكمال ، وظل هذا الحظر يتكرر من وقت لآخر حتى نهاية القرن ، وفي ورزبرغ ايضا كرر مجمع في منتصف القرن الحظر القديم للوعاظ الهائمين من البيغرد . وفي مثل هذا المحيط أمكن لتقاليد الطابوريين أن تجعل نفسها ملموسة بعد أن ذوت في موطنها ، وازدهرت بشكل أفضل لان الكهنة لم يكونوا في أي مكان اكثر اعتيادا على الترف والبخل منهم في

بافاريا ، وتشهد شكاوى اسقفية لاحصر لها بفسق المراتب الدنيا من الاكليروس ، الذين كرسوا انفسهم للشراب واللهو ، ولم يكونوا يترددون في اخذ عشيقاتهم معهم حتى الى المجالس الكهنوتية . (ص ٢٢٦) والاساقفة أنفسهم كثيرا ماكانوا يفعلون القليل مما يكفي لكسب ولاء اتباعهم .

وكانت الحالة متفجرة بشكل خاص في اراضي الامارة ـ الاسقفية لورزبرغ ، ولأجيال كان الاساقفة في حالة خلاف مع اهالي ورزبرغ وحقيقة أنه في مستهل القرن الخامس عشر هزم الاهالي بشكل حاسم ، لم تضع حدا للتوتر ، علاوة على أن الاساقفة خلال النصف الاول من القرن كانوا مبذرين بشكل مسعور ، وكانوا يستطيعون دفع ديونهم بفرض ضرائب اكثر ثقلا . ومع ١٤٧٤ اصبحت الضرائب ثقيلة لدرجة ان واحدا من موظفي الاسقف قال وهو يقارن الفلاحين المحليين بفريق من الخيول يجرون عربة ثقيلة : إنه اذا اضيفت بيضة واحدة الى العربة ، فان الخيول لن تعود قادرة على جرها ، وبالنسبة للعامة الذين تعلموا من اجيال من وعاظ الهرطقة ان الاكليروس يجب ان تعيش في فقر تام ، كان هذا العبء الثقيل من الضرائب فقراً محتما ان يبدو مروعا بشكل خاص ، ولم يغير من ذلك حقيقة ان الاسقف في ذلك الوقت وهو رودولف اوف شرنبرغ كان قادرا ومسؤولا ، لكن في المدينة وفي اسقفية ورزبرغ لم يعد ممكنا في ١٤٧٠ للأسقف ايا كانت مؤهلاته الشخصية ان يعتبر من قبل العامة ، ولاسيما الفقراء ، أي شيء سوى مستغل .

وفي ١٤٧٦ ، بدات في نيكلا سهوزن ، وهي مدينة صغيرة في وادى توبر غير بعيدة عن ورزبرغ حركة يمكن تقريبا تسميتها حملة صليبية شعبية ، فكثير مما حدث خلال الحملات السالفة في فرنسا والبلاد المنخفضة ووادي الراين ، كان يتكرر الان في جنوب المانيا ، ولكن في هذه المرة لم تكن المملكة المسيحية قدسا سماوية بل دولة الطبيعة كما صورها جون بول والطابوريين المتطرفين ، وكان مسيح

الحركة شابا يدعى هانز بوم وهو اسم يوحي إما بأنه من اصل بوهيمي او انه كان في الفكر الشعبي مرتبطا بتعاليم الهوسية ، وكان راعيا ، وفي وقت فراغه ، كان مغنيا شعبيا ، يطبل ويزمر في الفنادق ، وفي ساحة السوق ، ومن هنا جاء اللقب الذي مازال يعرف به ، لقب طبال (أو زمار) نيكلا سهوزن ، وحدث ذات يوم أن سمع هذا الصبي يتحدث عن الفرنسسكاني الايطالي جيوفاني دي كابسترانو الذي كان منذ جيل سالف يجول في المانيا ويعظ بالتوبة ، ويحث سمعته على أن يخلعوا عنهم ملابسهم الناعمة وان يحرقوا النرد واوراق اللعب ، وبعد ذلك بوقت قصير ، وفي منتصف الصوم الكبير ، أحرق الراعي طبله امام كنيسة اسقفية نيكلا سهوزن وبدأ يعظ الناس .

وتماما مثل ذلك الصبي الراعي ، الذي قيل إنه شن حملة الرعاة الصليبية في ١٣٢٠ ، اعلن بوم أن العذراء مريم قد ظهرت له (ص ٢٢٧) وهي محاطة باشعاع سماوي ، واعطته رسالة ذات اهمية استثنائية ، وبدلا من دعوة الناس للرقص ، كان بوم ينورهم بكلمة الرب الطاهرة .

وكان عليه أن يشرح كيف فضلت العناية الالهية نيكلا سهوزن على كل الاماكن ، وكان في كنيسة اسقفية نيكلا سهوزن يقف تمثال للعذراء كانت تنسب اليه قوى معجزة ، وكان لزمان طويل يجتذب الحجاج ، والان – اعلنت العذراء – ان هذه البقعة قد اصبحت خلاص العالم ، ونصت الرسالة في تعابير كانت مذكرة بقوة بالرسالة السماوية التي كان اللطامون يستعملونها في ١٢٦٠ ، ومرة اخرى في ١٣٤٨ ، وقد قصد الرب معاقبة الجنس البشري بصورة موجعة ، وتوسطت العذراء ووافق الرب على امساك العقاب ، ولكن يجب أن تذهب جموع الناس الان للحج الى عذراء نيكلا سهوزن ، والا فان العقاب سيحل اخيرا بالعالم ، ومن نيكلا سهوزن ، ومن هناك فقط ، ستمنح العذراء بركاتها لكل الاراضي ، وفي وادي توبر وحده ، وليس في روما او اي مكان اخر ، توجد النعمة الالهية ، وكل من

يحج يتحرر من كل خطاياه ، وكل من يموت هناك يذهب مباشرة الى الجنة .

لقد كان الراعي السالف رجلا بسيطا ، ولكنه اصبح الان فجاة قادرا على التمكن من البلاغة المدهشة ، وفي ايام الاحاد والاعياد كانت الحشود تتدفق لسماعه ، وسرعان ما اصبح يتبع منهاجا اتبع من قبل عدد كبير من المتنبئين ، من تانشيلم وما بعده ، وكان في البداية يعظ بمجرد التوبة : وكان على النساء ان يخلعن عنهن عقودهن الذهبية والاوشحة الزاهية ، وعلى الرجال ان يرتدوا حللا اقل تلوينا ، واحذية يكون تدببها اقل ، ولكن قبل مضي وقت طويل كان المتنبي يدعي لنفسه قوى معجزة مثيرة للدهشة بالقدر نفسه الذي كان قد نسبه فيها الى العذراء في البداية،من ذلك اذا كان الله لم يرسل الصقيع ليقتل كل القمح والكروم فان ذلك كما ادعى عائد الى صلواته وحده ، وعلاوة على ذلك اقسم بانه كان بامكانه أن يقود اي روح الى خارج الجحيم بيده هو .

و مع أن بوم قد بدأ يعظ بموافقة كاهن الأبرشية ، فانه كان من المتوقع أنه سينتهي بأن ينقلب على الأكليروس ، و بكل العنف القى الاتهامات التقليدية بالترف و البخل ، و قال: إنه لأيسر جعل يهودي مسيحيا من فعل ذلك ، مع كاهن ، و لقد كان الرب لزمان طويل غاضبا من سلوك الأكليروس ، و لكنه لم يعد يتحمل ذلك ، و ان يوم الحساب قريب حيث يكون الأكليروس سعداء إن هم غطوا رؤوسهم الحليقة ليهربوا من ملاحقيهم ، (يمكن للمرء ان يتعرف على النبوءة اليواكمية الزائفة التي وجدها جون و ينترثر
شعبية جدا في ١٣٤٨) لأن قتل كاهن سوف يرى عندئذ على أنه عمل بالغ التقدير ، لقد سحب الرب قوته من الأكليروس ، و لن يبقى عن قريب كهنة أو رهبان على الأرض(ص ٢٢٨) و حتى الآن هكذا أضاف مهددا ، ستكون فضيحة سيئة لهم أن يحرقوه كمهرطق فان عقابا رهيبا ينتظرهم إن فعلوا ، لأنهم هم أنفسهم المهرطقون الحقيقيون .

و لم يتوقف بوم عن النقد العام والتهديدات الغامضة ، لقد ناشد سامعيه رفض دفـع الضرائب والعشـور كليا ، و صرح: مـن الآن فصاعدا ، سيضطر الكهنة الى التخلي عن منافعهـم الكثيرة ،و أن يعيشوا من وجبة لوجبة على ما يختار الناس اعطاءه لهـم ، و كانت جانبية هذه التعاليم المألوفة تماما بالقوة نفسها التـي كانت عليهـا دائما ، و علق ترثيميس راعي الدير الشهير في سبونهيم: ماذا يحب الرجل من العامة أكثر من أن يرى الاكليروس والكهنة وهم يسلبون كل مزاياهم و حقوقهم وعشورهم و دخولهم ؟ لأن الناس العـاديين جائعون بالطبيعة للأشياء غير المألوفة و متلهفون دائما لاسقاط نير سيدهم» ، و رأى لاهوتي المانيا الأول رئيس اسـاقفة مينز في تنبـؤ نيكلا سهوزن قوة ربما تلحق ضررا لا يمكن إصلاحه بالكنيسة ـ

و في النهاية ظهر بـوم كثـوري اجتمـاعي ، يعلن قـرب الألفية المساواتية القائمة على القانون الطبيعي ، و في المملكة القادمة سيتم استعمال الخشب والماء و المراعي وحقوق الصيد البري والبحـري و التمتع بها بحرية من قبل الجميع ، كما كان في الأزمنة القـديمة ، و الجزية مـن كل نوع سـتبطل الى الأبـد ، و لن يكون الايجـار أو الخـدمات دينا لأي سـيد ، و لا ضرائب ولا قـروض لأي أمير ، و فروق المراتب والمنزلة ستزول من الوجود ، ولن يكون لأحـد سـلطة على أي فرد أخر ، وسيعيش الجميع معـا كاخـوة ، وسـيتمتع كل واحد بالحريات نفسها ويقوم بالقدر نفسه مـن العمـل كأي واحـد أخر ،«والأمراء والأكليروس والمدنيون على السـواء ، والكونتـات والفرسان يمكنهم فقط أن يملكوا بقدر ما يملك الناس العـاديون و عندها يكون لكل امرىء ما يكفي ، و سوف يأتي الوقت الذي يعمـل فيه الأمراء واللوردات من أجل خبزهم . اليومي» و مد بوم هجـومه الى ما وراء السادة المحليين والأمراء الى قمة المجتمع ، فقـال:«إن الامبراطور وغد ، والبابا عديم النفع ، والامبراطور هو الذي يعطي الأمراء والكونتات و الفرسان الحق في فـرض الضرائب على عامـة الناس والاسفاه اي شياطين مساكين انتم!»

ولا شك ان تعاليم بوم راقت بطرق مختلفة لقطاعات من السكان وربما راقت المطالبة بخلع كل الحكام الكبار والصغار بشكل خاص لفقراء المدن ، ونعرف ان اهل المعرفة جاء واف الحقيقة الى نيكلاسهوزن ليس فقط من ورز برغ بل من انحاء جنوب ووسط المانيا ، ومن جانب اخر من المطالبة بان يكون الخشب والماء والمرعى والصيد البري والبحري حرا لكل الناس كان بوم ينطق بطموح عام جدا للفلاحين ، واعتقد الفلاحون الالمان ان (٢٢٩) تلك الحقوق كانت في الواقع لهم في الأزمنة القديمة حتى اغتصبها النبلاء وكان هذا احد الاخطاء التي كانوا دائما يريدون من امبراطور المستقبل فردريك ان يبطلها ولكن فوق كل شيء لقد كان مقام الواعظ نفسه كشخص معجزة ارسله الله هو الذي اجتنب عشرات الالوف من الناس الى وادي توبر ، وقد رأى فيه عامة الناس من فلاحين وحرفيين على السواء حاميا وخارقا للطبيعة وزعيما مثل ما كان يجب ان يكون عليه الامبراطور فردريك مخلصا يمكن ان يمنحهم بشكل فردي كل النعمة الالهية ويقودهم جميعا الى فردوس ارضي .

وانتقلت اخبار الاحداث العجيبة في نيكلا سهوزن بسرعة من قرية الى قرية في الجوار وحملت بعيدا الى خارج الوطن ايضا بوساطة رسل خرجوا من كل اتجاه،وسرعان ماتدفقت الحشود من العامة من كافة الناس ومن كل الاعمار ومن كلا الجنسين وبينهم عائلات كاملة نحو نيكلاسهوزن ، ولم تكن البلاد المحيطة فقط بل كل اجزاء جنوب ووسط المانيا في هياج من الالب الى ارض الراين والى ثورنجيا،وهجر الحرفيون ورشهم والفلاحون حقولهم وهجر الرعيان والراعيات قطعانهم واسرعوا،وهم كثيرا ماكانوا لايزالون في الثياب نفسها ويحملون معاولهم ومطارقهم ومناجلهم ـ ليسمعوا وليعبدوا ذلك الذي أصبح الآن يعرف بالشاب المقدس وكان هؤلاء الناس يحيون بعضهم البعض بكلمة اخ او اخت فقط ، وكان لهذه التحيات دلالة « صيحة جمع واستدعاء » وبين الجموع الغفيرة من الناس البسطاء المهتاجون بشكل وحشي كانت تنتشر شائعات خيالية،وما

اعتقده العوام الفقراء عن القدس اعتقده هؤلاء الناس عن نيكلاسهورن،لقد اعتقدوا ان جنتهم قد هبطت بشكل واقعي على الارض وكانت ثروات بلا نهاية ملقاة على الارض جاهزة لجمعها من قبل الذين سيقتسمونها بين انفسهم في حب اخوي ، وفي خلال ذلك كانت الحشود مثل الرعاة واللطامين قبلهم تتقدم في صفوف طويلة يحملون الاعلام وينشدون الاغاني من تاليفهم ومن هذه الاغاني اخذت واحدة شهرة خاصة :

الى الرب في السما
اصرخي اليسون
ان الكهنة لايمكن ذبحهم
اصرخي اليسون

وعند وصول الحجاج الى نيكلاسهوزن كانوا يضعون القرابين امام تمثال العذراء،ولكن ولاء اشد كان يعطي للمتنبيء نفسه فامامه كان الحجاج يخرون على ركبهم وهم يصيحون : « يارجل الرب المرسل من السماء ارحمنا وكانوا يحتشدون حوله وعلى مقربة شديدة منه نهارا وليلا ».

حتى انه كان نادرا ما يتمكن من الاكل او النوم وكثيرا ماكان في خطر السحق(ص ٢٣٠) حتى الموت،وكانت قطع من ثيابه يتشبث بها وتتمزق قطعا صغيرة،وكل من يمكنه احراز قطعة كان يعتز بها كأثر لايمكن تقديره كما لو كانت قشة من مزود بيت لحم ، وقبل مضى وقت طويل روي انه كان بوضع اليد يشفى الناس ممن كانوا عميا او بكما منذ الولادة ، وانه اقام الموتى ، وانه جعل نبعا يتدفق من صخرة .

وكانت جموع الحجاج العائدين تستبدل باستمرار بجموع جديدة ويتحدث المؤرخون عن ثلاثين او اربعين او حتى سبعين الفا تجمعوا في يوم واحد معا في نيكلاسهوزن ، ومع ان هذه الارقام منافية للعقل لابد ان الحشود بالتأكيد كانت كبيرة جدا.وكان مخيم واسع يمتد حول القرية الصغيرة.وكانت الخيام تقام حيث الحرفيون والتجار

والطهاة يقدمون الطعام والاحتياطات وضروب التسلية للمسافرين ، ومن وقت لاخر كان بوم يرتقي ظهر قارب قديم او يظهر مــن نافــذة عليا او حتى يتسلق شجرة ليعظ بمذهبه الثوري الحشود .

وبدأ الحج نحو نهاية اذار ١٤٧٤ ومع حزيران قررت السلطات الكهنوتية والمدنية على السواء ان دعوة بوم كانت ضررا خطيرا على النظام الاجتماعي ،و يجب التعامل معها ،و في البداية حــظر مجلس مدينة نورمبرغ على سكان تلك المدينة الحج الى نيكلاسهوزن وبعــد ذلك اتخذت تدابير شديدة في ورزبــرغ المدينة التــي تضررت بشــكل مباشر اكثر فقد كانت تتشوش بالاعداد الكبيرة مــن الغــرباء الذين كانوا يتدفقون خلال المدينة،واغلق المجلس اكبــر عد د ممــكن مــن البوابات وناشد الاهالي حمل اسلحتهم ودروعهم وبذل مــا امــكنهم لايقاف الصخب والجدل العنيف ، وفي النهاية شرع الامير الاســقف في كسر قوة المتنبيء ، وفي المجلس الذي دعاه تقرر اعتقال بوم

ونقلا عن خصومه من الكاثوليك حاول بوم الان تنظيم ثورة ويقال انه في نهاية موعظة القاها في ٧ تموز اخبر الرجال الموجــودين بين المستمعين ان عليهم ان يحضروا يوم الاحد التالي وهــم مســلحون وبدون نســاء او اطفــال لانه بناء على اوامــر العــذراء لديه بعض الاشياء الخطيرة التي ســيقولها لهــم ومــاهو مــؤكد انه في ليلة السبت ١٢ نزلت كوكبة مــن الفــرسان ارســلها الاســقف في نيكلاسهورن واعتقلت بوم وحملتــه الى ورزبــرغ وفي الظــلام كان الحجاج عاجزين عن حماية المتنبيء ولكن في اليوم التالي اخذ فــلاح الدورالتنبؤيمعلنا ان الثالوث المقــدسي ظهــر له و اعطــاه رســالة للحجاج المجتمعين ، و هي أن يسيروا باقدام الى قلعة ورزبرغ حيث سجن بوم ومع اقترابهم منها ستتفتت الأسوار مثلما تفتت أســوار اريحا ، وستنفتح البوابات من لقاء نفسها وسيخرج الشاب المقدس منتصرا من اسره وقد اقنعت هذه الرسالة الحجاج على الفور وسار بضعة الوف من الرجــال والنســاء والاطفــال (ص ٢٣١) وهــم يحملون شموعا ضخمة اخذت من كنيســة نيكلاســهوزن ولكن بــلا

اسلحة تقريبا خلال الليل حتى بلغــوا عند الفجــر اسـفل اســوار الحصن،وفعل الاسقف ومجلس المدينة ما في وسعهم لتجنب العنف ، وارسلوا مبعوثا للتفاهم مع الحجاج ، ولكنه طرد بالأحجار ، وكان مبعوث آخر اكثر نجاحا : وكثير من الحجاج ممن كانوا مــن رعايا الأسقف تركوا وعادوا في سلام الى بيوتهم ، ووقف الباقون في ثبات مصرين على وجوب اطلاق سراح الشــاب المقــدس والا ، بمعــونة العذراء المعجزة سيحررونه بالقوة ، واطلقت بضع طلقــات مــدفعية فوق رؤوسهم ، ولكن حقيقة ان احدا منهم لم يصب بأذى لم تفعــل سوى أنها قوت اعتقادهم بأن العذراء كانت تحميهم ، وحــاولوا أن يعصفوا بالمدينة وهم يهتفون بــاسم مخلصــهم ، وهــذه المرة كان الاطلاق جديا وتبعه هجوم من الفرسان ، وقتل نحو اربعين حــاجا وهرب الباقون على الفور في فزع بلا حول .

وكان التأييد لبوم قويا لدرجة أنه حتى بعد الانتصار الســاحق لم يشعر الأسقف والمجلس بالأمن ، وحذر اهــالي ورزبــرغ بتــوقع هجوم ثان اكبر حجما ، ثم كان هناك أيضا تخوف أنه ضمن المدينة نفسها كان هناك كثيرون ينتظرون فقط فــرصة لضــم قــواتهم الى جيش الحجــاج ، وبناء على ذلك طلب الأســقف مــــن اللوردات المجــاورين ان يكونوا على أهبـــة الاســـتعداد لنجــــدته عند الحاجة ، ولكن قبل حدوث أي اضطرابات جديدة حوكم بــوم امــام محكمة اكليروسية ووجد مذنبا بالهرطقة والشعوذة ، وقــطع راســا اثنين من حوارييه الفلاحين ــ احدهما صاحب الرؤيا الذي حــاول تنظيم انقاذه ــ وأحرق هو نفسه على الخازوق وهو ينشــد تــراتيل للعــذراء وهــو يهلك ، وأثناء الاعدام أبقــى النظــارة بعيدين عن الخازوق ، وكان عامة الناس يتوقعون معجزة مــن الســماء تنقــذ الشاب المقــدس ، وتبعثــرالهب بين مضــطهديه ، وكان الاســقف والكهنوت يتوقعون بعض التدخل الشيطاني ، وبعد ذلك كما حــدث بالنسبة لفردريك الزائف في نويس Neuss قبل ذلك بقــرنين بعثر الرماد في النهر ، لئلا يكتنزه اتبــاع المتنبــىء كأثــر مقــدس

ولكن حتى في حينه كان بعض هؤلاء الناس قد قبضوا التراب من حول قاعدة الخازوق واكتنزوه .

وعمل كل شيء لتدمير آثار بوم وأعماله : القرابين المتروكة في كنيسة نيكلاسهوزن ، والتي لابد أنها كانت هائلة ، صودرت واقتسمت بين رئاسة اسقفية مينز ، وأسقف ورزبرغ والكونت الذي كانت الكنيسة تقوم على أراضيه .

وفي كل المناطق المبتلاة من الأسقفيات الألمانية انضم أفراد ومجالس (ص٢٣٢) المدن إلى منع أي حج آخر إلى المزار ، ومع ذلك استمر الحجاج في الوصول وبشكل خاص من اسقفية ورزبرغ ، وكانوا مايزالون يصلون بعد تهديدهم بالحرمان وأغلقت الكنيسة ووضعت تحت التحريم ، وفي النهاية في بداية ١٤٧٧ هدمت الكنيسة بناء على أمر من رئيس أساقفة مينز ، ولكن لسنوات عديدة كان للبقعة زوار سريون خاصة في الليل .

ولاشك ان شاب نيكلاسهوزن المقدس قد استغل من قبل رجال كانوا أكثر منه حذقا ، ومن المعروف ان بعض اللوردات المحلين حاولوا استثمار الاثارة الشعبية لاضعاف حكم سيدهم الأعلى ، اسقف ورزبرغ ، الذي كانوا في نزاع معه منذ بضع سنوات ، وهؤلاء كانوا هم الرجال الذين ترأسوا المسيرة الليلية الى ورزبرغ ، وقام واحد منهم مؤخرا بطريق التكفير بتسليم أكثر أراضيه الى رجال الكاتدرائية ، ولكن ماهو أهم من هذه المؤامرات السياسة كانت هناك شخصيتان كمنتا في الخلفية الظليلية للقصة ، واللذان ربما لولاهما ماكان الحج الحاشد كله ابدا قد حدث.

ومرة أخرى يتذكر المرء ثورة الرعاة في ١٣٢٠ ، وفي تلك المناسبة ايضا رأى الصبي الراعي رؤيا للعذراء ، وتلقى رسالة منها ، ولكن فقط عندما أولاه راهب مرتد وكاهن غير مرسم

تأييدهما ونظما له الدعاية اللازمة قذفت حركة جماهيرية الى الوجود ، وكان تحت قيادة هذين الرجلين ان أصبحت الحركة ثورية ، وكان بوم أيضا صبيا راعيا بسيطا ، وقد علمنا انه من شبابه الأول كان يعتبر نصف ذكي ، حتى أنه عندما بدأ يعظ لم يكن قادر على تكوين جملة متماسكة وأنه حتى يوم مماته كان مايزال يجهل « صلاة الرب » ، وكونه مع ذلك قادرا على إيقاع مناطق واسعة في المانيا في هياج كان مرجعه الى الدعم الذي تلقاه ، وكان كاهن اسقفية نيكلاسهوزن سريعا في ادراك ان معجزات قليلة يمكن أن تجتذب قرابين كثيرة إلى مزاره حتى اليوم ، وطبقا لذلك ـ كما أقر نفسه بعد ـ اخترع معجزات وعزاها الى الشاب المقدس ، ولكن الدور الكبير شغله ناسك كان لبعض الوقت يعيش في كهف قريب ، وكان قد أحرز سمعة كبيرة بقدسيته .

ويبدو أن هذا الناسك قد مارس هيمنته كلية على بوم والهمه وخوفه ، وحتى رؤيا العذراء كما قيل من قبل بعضهم كانت حيلة اخترعها هذا لخداع الراعي الشاب ، وقيل أيضا انه عندما خاطب بوم الحشود من نافذة كان الناسك واقفا خلفه يحثه ، كما صور هو يفعل في المشهد الخشبي المأخوذ من حولية سكيدل (ص٢٣٣) ، (لوحة رقم ٧) وحتى لو كانت القصة خيالية من المحتمل انها تدل بدرجة كافية على حقيقة العلاقة التي كانت بين الرجلين ، وهي بالتأكيد تزيد في أهمية الأسماء التي اطلقتها السلطات الأكليروسية على الناسك الذي هرب عندما اعتقل الشاب المقدس ، ولكن قبض عليه بعد ذلك بوقت قصير وقد اطلقوا عليه اسم بيغرد من أهل بوهيميا وهوسيتي ، ومع أن الدليل لايمكن القول بأنه حاسم ومقنع ، يبدو مؤكدا بشكل معقول ان الناسك هو الذي حول الحج الديني الى حركة ثورية ، ولابد انه قد رأى في وادي توبر الهادىء المركز المقبل لمملكة الفية فيها يمكن أن يستعاد نظام المساواة البدائية ، وربما كان المؤرخون المعاصرون متعجلين جدا في رفض انه عندما قبض على بوم وجد عاريا تماما في حانة ، يعظ بأشياء عجيبة ، على اعتبار انها افتراء واضح بقصد تشويه

السمعة ، وبعد أولم تكن هذه هي الطريقة التي قدم بها الأدامــايت البوهيميون رمزيا عودة حالة الطبيعة الى عالم فاسد ؟

لقد توغلت الالفية المساواتية الآن بشكل فعال في المانيا ، واصبح يسمع عنها اكثر خلال نصف القــرن التــالي ،وظهــر « اصـــلاح سيغسموند » بعد وجوده كمخطوط مدني تقريبا لنحو اربعين ســنة للمرة الأولى على شكل كتــاب مخــطوط خــلال عامين بعــد اعدام بـــــــوم ، واعيد طبعــــــــــه في ١٤٨٠ ، و ١٤٨٤، و ١٤٩٠ و ١٤٩٤ ، وكتب في الأصل بالضبط بعــد انهيار فرق الطابوريين في بوهيميا ، وكان العمل في نفسه مثلا على جاذبية المثل الطابورية وعلى الرغم من منهاجه المعتدل نسبيا ، فــانه هــو ايضا دعا الفقراء الى حمل السيف وتعــزيز حقــوقهم تحــت قيادة الكاهن الملك فرديريك ، و عاد الموضوع نفسه في صورة اكثــر عنفــا بكثير الى الظهور في كتاب « المائة فصل » الواسع الشهرة ، والذي اخرجه ثائر الراين الاعلى في السنوات الافتتاحية للقــرن الســادس عشر ، وماتنبأت به تلك النبوءة الغريبة بذلك التفصيل الكبير هو بعد كل شيء بالضبط ماكان مبينا بشكل جامع من قبل جون بــول ومــن قبل الطابوريين المتطرفين مثل : انه بعد صراع دمــوي واحــد أخير ضد حشود المسيح الدجال ، سيعاد ترسيخ العدل العام على الأرض وكل الناس سيكونون سواسية واخوة ، وربما ســيملكون كل شيء بصورة مشتركة ، وهذه التخيلات لم تكن محصورة في الكتب ، فقد ظهرت ايضا في جــوار الراين الأعلى هناك حــركات تآمــرية كانت مكرسة لتحويلها الى حقائق ، وهــذه كانت الحــركات التــي كانت معروفة بشكل جماعي باسم الباندشو وهو اصطلاح يعني القبقــاب الفلاحي،وله الدلالة نفسها مثل اصطلاح (بــدون سروال) خــلال الثورة الفرنسية .

وكان زعيم الباندشو فلاحا يدعى جوس فــريتز Joss Fritz وكان العديد ايضا من مختلف المراتب العســكرية مــن الفلاحين ، ولكن الفقــراء مــــن أهـــل المدن والمرتــــزقة

(ص٢٣٤) المسرحون ، والمتسولون وماشاكل ذلك من المعروف انهم شغلوا دورا كبيرا في الحركة : وان ذلك بلا شك كان مما اعطاها خاصتها الغريبة ، لانه كانت هناك ثورات فلاحية أخرى كثيرة قائمة في جنوب المانيا في تلك السنوات ، وكانت كلها ترمي لمجرد اصلاحات محدودة ، والباندشو فقط هم الذين كانوا يهدفون الى الألفية ، ومثل انتفاضة نيكلاسهوزن كانت ثورة الباندشوالتي حدثت في اسقفية اسبيير Speyer في ١٥٠٢ قد اثيرت بالمعنى العام بسبب اخفاق آخر محاولة لاستعادة البنية المتحللة للامبراطورية ، وبشكل مباشر اكثر بسبب الضرائب الزائدة التي فرضها امير اسقف مفلس ، ولكن هدفها لم يكن شيئا اقل من ثورة اجتماعية من النوع المتطرف الشامل فان كل سلطة يجب اسقاطها وابطال كل الضرائب والفروض ، وتوزيع كل ممتلكات الاكليروس بين الناس ، وكل الغابات والمياه والمراعي يجب ان تصبح ملكية مشتركة وأظهر علم الحركة المسيح مصلوبا مع فلاح يصلي في أحد الجانبين وقبقاب فلاح في الجانب الآخر وفوقه شعار « لاشيء سوى عدالة الرب! » وكان المخطط هو الاستيلاء على مدينة بروخسال Bruchs al ، التي كانت تضم قصر الأمير الأسقف ، ومن هناك تهيأ للحركة ان تمتد مثل النار المستعرة عبر عرض المانيا وطولها لتجلب الحرية للفلاحين وسكان المدن الذين يؤيدونها ، ولكن الموت لغيرهم ومع ان هذه المؤامرة تعرضت للخيانة وسحقت الحركة فقد نجا جوس فريتز لينظم ثورات مماثلة في ١٥١٣ و ١٥١٧ ، حيث مرة اخرى ايضا يجد المرء المزيج المألوف من التخيلات من جانب واحد ابادة كل الأغنياء والأقوياء واقامة نظام مساواة.ومن جانب اخر « التخلص من الكفرة والمجرمين » ومن قيادة الامبراطور ، وحتى استعادة الضريح المقدس ، وفي الواقع اصبحت صورة الباندشو تملك دلالة كبيرة حتى أنه كان يعتقد على المستوى الشعبي ان الاستيلاء الاصلي على القدس قد تم بوساطة الفلاحين الذين حاربوا تحت هذا الشعار .

وفي هذه الأثناء وفي جزء مختلف من المانيا ــ ثورنجيا الدائمة

الخصوبة بالأساطير الألفية والحركات – كان تـوماس مـونتزر Thomas Muntzer يركب متن المهنة العاصفة التي كان لها ان تنتهي بتحويله ايضا الى متنبىء لألفية المساواة والرجل الذي دامت شهرته الى اليوم الحالي .

توماس مونتزر

ولد تـوماس مـونتزر في استولبرغ في ثـورنجيا في ١٤٨٨ او ١٤٨٩ ، ولم يولد – كما روى كثيرا – للفقر بل لليسر المعتدل ، ولم يشنق والده من (ص ٢٣٥) قبل طاغية اقطاعي بـل توفي في فراشه بفعل الشيخوخة ، وعندما بدا للعيان للمرة الأولى في اوائل الثلاثينيات من عمره ظهر مـونتز لاكضـحية ولاكعـدو للظلم الاجتماعي بل بـالاحرى « كبـاحث ابـدي » وكعـالم استثنائي ، ومفكر متعمق ، وبعد تخريجه من الجـامعة وتـرسيمه كاهنا عاش حياة قلقة هائمة ، يتخير دائما الأماكن التي يأمل أنها توسع دراساته ، ومـع تضـلعه العميق في الكتـب المقـدسة ، تعلم اليونانية والعبرية ، وقـرا اللاهـوت الكنسي والفلسـفة النصرانية اللاهوتية والفلسـفة ، وانغمس ايضـا في الكتـابات الصـوفية الالمانية ، ومع ذلك لم يكن ابدا عالما صرفا ، وكانت قراءته النهمـة تجري في محاولة يائسة لحل مشكلة شخصية ، لأن مـونتزر في ذلك الوقت كان روحا مضطربة مليئة بالشكوك حـول حقيقـة المسـيحية وحتى حول وجود الرب ، ولكنه كان يناضل بعناد بحثـا عن اليقين وفي الحقيقة غالبا ما كانت تنتهي مثل تلك الحالة القلقـة بتحـول الى الهداية.

وكان مارتن لوثر الذي كان اسن من مونتزر بخمس سـنوات او سته قد بدا لتوه في الظهور كأكبر خصم عرفتـه كنيسـة رومـا على الاطلاق ، وايضا – ولو عرضـا وبشـكل عابـر فقـط – كزعيم حقيقي فعال للأمة الالمانية ، وفي ١٥١٧ أعلن رسـالته الشـهيرة ضد بيع صـكوك الغفـران على بـاب كنيسـة

ورزبرغ ، وفي ١٥١٩ تشكك في مناظرة علنية بسيادة البـابا ، وفي ١٥٢٠ نشر - وحرم من أجل النشر - البحـوث الثـلاث التـي استهلت الاصلاح الألماني ، ومع انه كان لابد من مضي سنوات كثيرة قبل ان تظهر الكنائس الانجيلية المنظمة على أسس أرضـيته،وجـد الآن حزب لوثـري معـروف ، وانضـم اليه كثير مـن الأكليروس ، حتى بينمـا كانت الأغلبية تتعلق بثبـات « بـالديانة القديمة » وعندما انفصل مونتزر في البداية عن الاصولية الكاثوليكية كان تابعا للوثر ، وكل الأعمال التي جعلتـه شـهيرا تمـت وسـط الزلزال الديني الكبير الذي شقق اولا ، وبعد طول عناء دمـر البناء الكنسي العملاق للعصور الوسطى ، ومع ذلك تخلى هـو نفسـه عن لوثر بعدما وجده بوقت قصير ، ومنذ ذلك الحين كان دوما المعارض الأشد للوثر ، وقد فعل ذلك وهو يعد مذهبه الخاص ليقوم بـالاعلان عنه بعد ذلك .

وماكان مـونتزر بحـاجة اليه اذا كان له ان يصـبح رجـلا جديدا ، واثقا من نفسه ، ومـن هـدفه في الحياة،لم يكن في الواقـع ليـجده في مذهب لوثر حول التسويغ بالايمان وحده ، بـل ان يجـده بالاحرى في الألفية المناضلة المتعطشة للدماء التي تكشفت له عندمـا تـولى منصـب كاهـن في ١٥٢٠ في مـدينة زويكو Zwickao ، واصبح على صلة بنسـاج يدعى نيكلاس ستورش Niklas Storch ، وتقـع زويكو على مقربة من الحـدود البـوهيمية ، وكان سـتورش نفسـه في بوهيميا ، وكان المذاهب الطابورية القديمة بشكل اساسي هي التي تم احياؤها في تعاليم ستورش ، وأعلن انه الآن (ص ٢٣٦) كما في أيام الرسل كان الرب على اتصال مباشر مع النخبـة ، وسـبب ذلك ان الايام الأخيرة اصبحت في متناول اليد ، واولا يجب ان يغزو الترك العالم ، ثم لابـد ان يحـكمه المسـيح الدجـال ، ولكن بعدئذ - وسيكون ذلك قريبا - ستهب النخبة وتبيد الكفار ، حتـى يحل المجيء الثاني وتبدا الألفية ، وماكان يروق لمونتزر كثيرا هـو حرب الابادة التي كان على الصالحين ان يشنوها ضـد الفـاسدين

وبتخليه عن لوثر اصبح الآن يفكر ويتكلم فقط عن سفر الرؤيا ، وعن أحداث في العهد القديم مثل ذبح ايجا لكهنة بعل وذبح ياهو لأبناء اخاب وياعيل واغتيال سيسرا النائمة ، ولاحظ المعاصرون وتفجعوا على التغيير الذي حدث له ، والشهوة الى الدماء التي كانت تعبر عن نفسها أحيانا في هياج عنيف .

وبقوة السلاح يجب ان تمهد النخبة الطريق للألفية ، ولكن من الذين كانوا النخبة ؟ كانوا في نظر مونتزر اولئك الذين تلقوا الروح القدس اوكما اعتاد ان يدعوه (المسيح الحي) وفي كتاباته كما في كتابات الأحرار الروحيين يوجد تمييز واضح بين المسيح التاريخي ، والمسيح « الحي » أو « الداخلي » أو « الروحي » والذي يتخيل انه ولد في روح الأفراد،و هذا الأخير هو الذي يملك قدرة الغفران ، ومع ذلك فمن ناحية واحدة يحتفظ المسيح التاريخي بأهمية عظيمة ، :

باستسلامه للصلب اشارة الى طريق الخلاص ، لأن كل من نجاه ، عليه في الواقع ان يعاني بشكل مؤلم جدا ، ويجب ان يتطهر حقا من كل ارادة ذاتية ويتحرر من كل مايربطه بالعالم ومن الكائنات المخلوقة ، وبداية يجب ان يخضع نفسه طوعا ليكون زاهدا ، وعندما يصبح صالحا وجديرا باستقبالهم يفرض الرب عليه معاناة اشد لايمكن وصفها .

وهذا الابتلاء الأخير هو الذي سماه مونتزر « الصليب » ، وقد يتضمن المرض والفقر والاضطهاد ، وكلها يجب لمن تحتمل في صبر ، ولكنه فوق كل شيء قد يشمل كروبا عقلية شديدة والسأم من الدنيا ومن النفس ، وفقدان الأمل ، واليأس ، والرعب . وفقط عند بلوغ هذه النقطة ، وعندما تجرد الروح وتصبح عارية تماما ، يمكن أن يتم الاتصال المباشر بالرب ، وكان هذا بالطبع مذهبا تقليديا مثل ذلك الذي اعتنقه العديد من متصوفة الكاثوليك في العصور الوسطى ، ولكن عندما يأتي مونتزر للكلام عن الحصيلة يتبع تقليدا آخر اقل اصولية ، إذ انه نقلا عنه : « ما أن يدخل المسيح الحي » إلى الروح

حتى يكون هذا الى الابد ، والانسان الذي كسب مثل هذه المنة يصبح وعاء للروح القدس ، وتحدث مونتزر حتى عن« تحوله الى رب » ، ولكونه كان وهو ببصيرة تامة من المشيئة الالهية ولعيشته في توافق تام معها كان مثل هذا الرجل بشكل محقق مؤهل لان يلغي المهمة الاخروية المقررة من السماء ، وهذا بالضبط مادعاه (ص ٢٣٧) مونتزر لنفسه ، ولم يكن للاشيء ان هذا المتنبىء قد ولد ضمن بضعة اميال من نوردهورن ، مركز تلك الحركة السرية ، حيث اختلط مذهب الروح الحرة بمذهب اللطامين ، ولربما امكن القاء السوط بعيدا ، ولكن الخيال المستبطن كان مايزال هو نفسه .

وما ان مكنه ستورش من ان يجد نفسه غير مونتزر طريقته في الحياة ، وتخلى عن القراءة والسعي في طلب العلم ، لانما بادانة الانسانيين الذين كثروا بين اتباع لوثر ، وناشدا بلا توقف عقيدته الاخروية بين الفقراء ، ومنذ وسط القرن السالف افتتحت مناجم للفضة في زيوكو وحولت المدينة الى مركز صناعي هام ، ثلاثة اضعاف حجم درسدن ، وتدفق العمال من كل انحاء جنوب ووسط المانيا الى المناجم ، وكانت النتيجة ان اصبح هناك فائض فرص في القوى العاملة ، علاوة على الاستثمار غير المنضبط للفضة الذي نجم عنه تضخم سبب اجراء تخفيض في العمال الصناعيين ، وشمل ذلك حتى الذين استقروا منذ زمن طويل في صناعة النسيج ، وادى الى مايقرب من الفقر المدقع .

وبعد وصوله الى زيوكو ببضعة اشهر اصبح مونتزر واعظا في الكنيسة نفسها التي اقيم فيها منبح خاص للنساجين ، واستعمل المنبر ليلقي بشجب ضار ليس فقط للفرنسسكان المحليين ، الذين كانوا بشكل عام مفتقرين الى الشعبية بل للواعظ ايضا ـ وكان صديقا للوثر ـ الذي كان يتمتع بتاييد الاهالي الموسرين ، ولم يمض وقت طويل حتى اصبحت المدينة كلها منقسمة الى معسكرين متخاصمين واصبحت العداوة بينهما حادة لدرجة أن الاضطرابات العنيفة بدت وشيكة.

وفي نيسان ١٥٢١ ، تدخل مجلس المدينة وصرف القادم الجديد المثير للاضطراب ، وإذ ذاك قام عدد كبير من الناس بقيادة ستورش بثورة ، واخمدت الثورة وجرت اعتقالات كثيرة ، وشملت بدلالة كافية اكثر من خمسين نساجا .

وبالنسبة لمونتزر فقد لجأ إلى بوهيميا ، على ما يظهر بأمل أنه حتى في هذا التاريخ المتأخر قد يجد بعض مجموعات الطابوريين هناك ، وفي براغ أخذ يعظ بمساعدة مترجم ، ونشر ايضا بالألمانية والتشيكية واللاتينية بيانا يعلن تأسيس كنيسة جديدة في بوهيميا ، ستضم النخبة فقط ، وستكون بناء عليه ملهمة من الرب بشكل مباشر ، وحدد دوره الآن بتعابير من الحكايات والأمثال الآخروية نفسها حول القمح والبيقية ، التي كانت قد اثيرت خلال ثورة الفلاحين الانكليز : « لقد حان وقت الحصاد ، فقد استأجرني الرب نفسه من أجل حصاده ، ولقد شحذت منجلي ، لأن افكاري قد ثبتت بقوة على الحقيقة ، وشفتاي ويداي ، وجلدي وشعري ، وروحي وجسمي وحياتي تلعن الكفرة » .

وبالطبع كانت دعوة مونتزر للبوهيميين مخفقة ، وطرد من براغ وفي السنتين (ص ٢٣٨) التاليتين هام من مكان إلى مكان في وسط المانيا في فقر شديد ، ولكن كانت تدعمه الآن ثقة لاتهتز في مهمته التنبوئية ، ولم يعد يستعمل درجاته الأكاديمية وإنما وسم نفسه « برسول المسيح » واتخذت مصاعبه في عينيه قيمة مسائحية : « لتكن معاناتي نموذجا لكم ، ولتنفخ كل البيقية نفسها بقدر ما تحب فما زال أمامها أن تذهب تحت الدرس مع الحنطة الصافية ، إن الرب الحي يشحذ منجله في ، حتى يمكنني فيما بعد أن اقطع الخشخاس الأحمر والقنبيط الأزرق » .

وبلغ تشرده نهايته عندما دعي في ١٥٢٣ ليقوم برعاية روحية في مدينة الستدت الصغيرة الثورنجية ، وتزوج هناك ، وأوجد الطقوس الأولى باللغة الألمانية ، وترجم التراتيل اللاتينية إلى العامية ووطد

سمعته كواعظ ، التي امتدت في كل انحاء وسط المانيا ، وكان الفلاحون يأتون بانتظام من الريف المجاور ، وفوق الجميع بضع مئات من العاملين في المناجم ، من مناجم مانسفيلد للنحاس ليستمعوا إليه ، وقد زوده هؤلاء إلى جانب حرفيي الستدت باتباع أعدهم في تنظيم ثوري ، هو « عصبة النخبة » ، وكانت العصبة تضم بشكل رئيس اناسا من غير المتعلمين ، وكان هذا جواب مونتزر للجامعة ، التي كانت دائما مركزا لنفوذ لوثر .

وكان التنور الروحي الآن هو الذي سيحل محل علم الكتبة ، وكان على الستدت أن تحل محل ويتنبرغ وتصبح مركزا لاصلاح جديد كان مفروضا أن يكون شاملا ونهائيا ، ويؤدي إلى الألفية .

وقد مضى وقت طويل كان مونتزر فيه متورطا في صراعات مع السلطات المدنية ، حتى أن اميرى ساكسوني ـ الأمير المنتخب لرئاسة الامبراطورية الرومانية المقدسة ، فردريك الحكيم واخيه الدوق جون ـ كانا قد شرعا بمراقبة اعماله بمزيج من الفضول والحذر ، وفي تموز ١٥٢٤ جاء الدوق جون ، الذي هجر هو نفسه العقيدة الكاثوليكية التقليدية ، واصبح تابعا للوثر ، إلى الستدت ، وكي يكشف نوع الرجل الذي كان عليه مونتزر ، طلب منه أن يعظه .
وفعل مونتزر وقد أخذ نصه من رأس النبع في التقاليد الرؤوية ، في سفر دانيال ، وتعطي الموعظة التي سرعان ما طبعها ، أوضح المفاهيم الممكنة لمعتقداته الأخروية حيث قال إن آخر الامبراطوريات ـ الدنيوية تقترب من نهايتها ، والدنيا الآن لاشئ ، سوى امبراطورية الشيطان ، حيث هؤلاء الأفاعي والكهنة وهؤلاء الثعابين والحكام المدنيون واللوردات ، يلوثون بعضهم بعضا في كومة شوشة ، لقد حان الوقت بالفعل ليختار امراء ساكسون ، إما أن يكونوا عبيدا للرب أو للشيطان ، فإذا كان الخيار الأول فإن واجبهم واضح :

« اطردوا أعداء المسيح من بين النخبة ، لانكم وسائل هذه الغاية(ص ٢٣٩) ، أيها الأخوة الأحبة الأعزاء لاتتخذوا ذريعة

ضحلة ، إن الرب قد يفعل ذلك دون أن تضربوا بالسيف وعندهـا إن سيفكم قد يصدأ في غمده .... إن المسيح هو سيدكم ، فـلا تـدعوهم يعيشـون بعـد الآن ، أولئك الذين يفعلون الشرور ويحـولوننا عن الرب ، لأن من لارب له من الناس لاحق له في الحياة إذا كان يعـوق التقي الورع »، واصر الواعظ على أن الكهنة ، والرهبـان والحـكام الملحدين الكفرة يجـب أن يهلكوا : « إن السـيف لازم لابـادتهم ، وهكذا يجب أن يفعل بأمانة وكما ينبغي ، ويجـب أن يفعله أبـاؤنا الأعزاء ، الأمـراء ، الذين يعتـرفون معنا بـالمسيح ، ولكن إذا لم يفعلوه ، سيؤخذ السيف منهـم .... وإذا قـاوموا ، فليذبحـوا دون رحمة .... في زمن الحصاد يجب أن ينتزع المرء الأعشـاب مـن كرم الرب .... ولكن الملائكة الذين يشحذون مناجلهم لهذا العمل ليسـوا سوى عبيد الرب الجادين .... لأن الكفرة لاحق لهـم في الحياة ، إلا من تختارهم النخبة لتسمح لهم بذلك .... »

ومع ذلك فإن مونتزر اقر أن الأمراء لايمـكنهم أن يتـولوا هـذه المهام بفعالية مالم يبلغوا بأهداف الرب ، وهذا ما لايمكنهم إحرازه بأنفسهم ، لأنهم مـا يزالون بعيدين جـدا عن الرب ، وعليه هـكذا استخلص ، يجب ان يكون في بلاطهم كاهن يعد نفسه بنكران الذات وكبح الشهوات لتفسير أحلامهم ورؤاهم ، تماما كما فعل دانيال في بلاط نبوخذ نصر والتلميحات الانجيلية الضمنية التي صاحبت هـذه التوصية تظهر بوضوح كاف انه قد رأى في نفسه النبي الملهم ، الذي كان له أن يحل محل لوثر لصالح الأمراء ، كمـا حـل دانيال محـل الكتاب غير المتنورين .

وبهذه الطريقة ظن انه يحرز نفوذا على حكام الأرض حتى يكون قادرا على توجيههم في إجراء التحضيرات الضرورية للألفية .

وقد نوقشت كثيرا كيفية تصوير مونتزر للألفية ، ويمكن في الواقع تقريرها من الحكم على كتاباته ، لقد اظهر بالتأكيد اهتمـاما أقـل بكثير بطبيعة مجتمع المستقبل من اهتمامه بالابادة الجماعية التـي

يفترض ان تتقدمه ، كما لايبدو ايضا انه ابدى اهتماما كبيرا بتحسين الحصة المادية للفقراء الذين كان يعيش بينهم ، وبعد يومين من القاء موعظته للأمراء نجده يكتب لأتباعه في سانغرهوزن بأنهم يجب ان يطيعوا سيدهم في كل الأمور الدنيوية ، وإذا لم يكن السيد راضيا عن الخدمة والايجارات التي يحصل عليها في الوقت الراهن ، يجب ان يكونوا مستعدين لجعله يحصل على سلعهم الدنيوية ، وفقط إذا تدخل في الأمور المتعلقة بالراحة الروحية ـ وبشكل خاص بمنعهم من الذهاب إلى الستدت للاستماع إلى مونتزر ـ يجب أن يصرخوا بصوت عال ليسمعهم كل العالم . وحتى عندما تكلم مونتزر عن (ص ٢٤٠) العصبة من المنتخبين ظل موقفه هو نفسه ، فقد حاول بالعبارات التالية حث وكيل الأمير المنتخب في الستدت على الانضمام للعصبة :

« إذا كان للمخادعين والمحتالين ايضا أن ينضموا بغرض إساءة استعمال العصبة فإن على المرء أن يحيلهم إلى طغاتهم وإلا ، طبقا لطبيعة الحالة أن يحاسبهم بنفسه ، وبشكل خاص فيما يتعلق بتقديم الخدمات الموصوفة ، يجب أن يؤكد بوضوح في العصبة على ان الأعضاء يجب أن لايعتقدوا انهم بذلك معفون من تقديم أي شيء لطغاتهم .... لئلا يعتقد بعض الناس الأشرار اننا تجمعنا من أجل تعزيز الغايات المادية »

ومع ذلك فإن هذا لايعني ـ كما كان يوحي أحيانا ـ بالضرورة أن مونتزر لايمكن أن يكون قد تصور الفيته بلا مساواة ، بل حتى كشيوعية ويمكن بالدرجة نفسها أن يعني انه اعتبر النظام القائم غير قابل للاصلاح حتى تأخذ كارثة الأيام الأخيرة مجراها ، واعتبر في الوقت نفسه أمرا مسلما به أنه ما أن يحصل ذلك ، فإن دولة الطبيعة البدائية ستستعاد بصورة آلية ، ومثل هذه التخيلات ، التي لم تفقد فتنتها منذ أيام الطابوريين ، معروف بأنها كانت مألوفة في الدوائر التي كان مونتزر يتحرك فيها ،و طبقا لمصدر يمكن الاعتماد عليه نوعا ما ، كان معلم مونتزر الأول ، وهو النساج

نيكلاس ستورش يعتنق افكار حول هــذه الأمــور ، بــالكاد يمــكن تمييزها عن افكار أخوة الروح الحرة ، تمسكت بـأن الرب يخلق كل الناس متشابهين عراة وهــكذا يرســلهم إلى الدنيا ، حتــى يكونوا جميعا من المرتبة نفسها ، ويقتسمون كل الأشياء بــالتساوي فيمــا بينهم . وايضا عرف مونتزر الفيلسوف الانساني أو ليريتش هغولد

وكتب هغولد بحثا تنبــأ فيه بـأن الجنس البشري ســيعود « إلى المسيح إلى الطبيعة ، إلى الفردوس » ، الذي عرفه بأنه وضــع بــلا حرب ولا عوز أو توقف ، فيه كل انسان يقتسم كل الأشياء كما يفعل مع اخوته . و علاوة على ذلك و على أسس أن حياة الفلاح كانت هي الأقرب من تلك التي حددها الرب لآدم و حوّاء ، انتهى هغــولد بــأن حول نفسه الى فلاح ، و هكذا فعل الفيلسوف الأنساني كارلستدت Karlstadt ، الذي كان صديقا صــميما و حتــى حواريا لمونتزر ، و على مستوى اقل تعقيدا ، لاحظ عضو بسيط في عصبة النخبة بانه فهم ما عناه برنامجها هو «انهم يجــب أن يكونوا أخوة ، ويحب واحدهم الآخر كالأخوة» .

أما اما بالنسبة لمونتزر نفسه ، فانه عندما كان يكتب عن شريعة الرب ، فانه بالتأكيد بدا و هو يســوي بينه وبين القــانون الأصــلي الطبيعي المطلق ، الذي يفتــرض أنه لم يعــرف التمييز بــالثروة أو المنزلة . و قد قوى هذا الانطباع تاريخ توما مونتزر و هو بــاعتراف الجميع عمل هائل ، عمل كتب بينما كانت قصة مونتزر منتعشة جدا في ذاكرة الناس و هو يظهر بشكل عام مســتوى مــرتفعامن الدقــة الحقيقية ، و حسب هذه الرواية كان مونتزر ، على الاقل في الشهور (ص ٢٤١) الاخيرة من حياتــه ، قــد بشر انه يجــب أن لا يكون هناك ملوك أو سادة و أيضا ، بسبب قوة سوء الفهم للمادة الرابعــة من ان كل الأشياء يجب أن تكون ملكيتها مشتركة ، و بــأخذ هــذه الحقائق ، معا إنها توحي بالتأكيد بــأن الاعتــراف الذي قــام بــه المتنبيء قبل موته مباشرة يحتمل انه كان دقيقا بدرجة كافية ، حتى ولو كان قد انتزع تحت التعذيب ، لأن ما اعترف بــه كان أن المبــدأ الأساسي لعصبته هو ان كل الأشياء مشتركة بين كل الناس ، و أن

هدفها كان جملة من الأوضاع التي يكون الجميع فيها سواسية ، و يحصل كل فرد على حاجته ، و انها كانت مستعدة لاعدام اي أمير أو لورد يقف في طريق مخططاتها ، و بعد كل شيء ما من شيء في هذا البرنامج لم يقر أو يؤكد ايضا بلا ضغط أو اكراه بالمرة في المنهاج الذي تخيله ثائر الراين الأعلى لأخوة الصليب الأصفر.

و عندما القى مونتزر موعظته امام الدوق جون كان واضحا انه يأمل في امكانية كسب امراء ساكسوني الى جانب القضية ، و عندما طرد بعد يومين من ذلك اتباع له من قبل سادتهم ، بشكل خاص من قبل كونت مانسفيلد و جاؤوا كلاجئين الى الستدت ناشد الأمراء الانتقام لهم ، و لكن الأمراء لم يبدوا حركة ، و غير هذا موقفه ، و في الأسبوع الأخير من تموز القى موعظة أعلن فيها انه قد بات قريبا الوقت الذي يسقط فيه كل الطغاة ، وتبدأ فيه المملكة المسيحية وهذا في ذاته كان يكفي بلا شك ليحذر الأمراء ، ولكن على اي حال كان لوثر كتب الآن رسالته الى امراء ساكسوني ليبين مدى الخطورة التي اصبح عليها هياج مونتزر ، ونتيجة لذلك استدعى مونتزر الى ويمر Weimar ليقدم إيضاحا أمام الدوق جون . ومع انه حتى حينه كان الأمر مجرد لفت نظر الى ضرورة التوقف عن اصدار اي تصريحات مثيرة أخرى ، حتى يتم دراسة الأمر من قبل الأمير المنتخب ، كان الأمر كافيا لوضعه على طريق الثورة .

وفي النشرة التي اخرجها الآن بعنوان « التعرية الواضحة للعقيدة الزائفة للعالم الملحد » جعل مونتزر الأمر واضحا ، إن الأمراء غير صالحين لأداء دور على الأطلاق في تحقيق الالفية لأنهم امضوا حياتهم في أكل بهيمي وشراب ، ومن شبابهم وما بعده نشأوا على العفوية ، وفي حياتهم كلها لم يصادفهم أبدا يوم سيء ، وهم لم يرغبوا ولم ينووا تقبل مثل هذا اليوم ، وفي الواقع أن الأمراء واللوردات وكل الأغنياء باصرارهم على الاحتفاظ بالنظام الاجتماعي القائم لا يمنعون أنفسهم فقط بل الآخرين ايضا من الوصول الى العقيدة الصحيحية :« وينبغي خلع الكفار الأقوياء

ذوي الارادة الذاتية وطرحهم أرضا وانتزاعهم من كراسيهم لأنهم يعوقون الايمان المسيحي الأصيل المقدس في أنفسهم وفي العالم كله (ص ٢٤٢) عندما يحاول الظهور بكل صدقه وقوته الأصلية » وبتحريضه بوساطة الكتاب الفاسدين ـ من أمثال لوثر ـ «يفعل العظيم كل ما يمكنه ليحول بين الناس وبين ادراك الحقيقة ».

وبارتباطهم معا « كبيض الضفدع » وباهتمامهم المشترك بالربح المادي يرهقون الفقراء بالربا والضرائب حتى أنهم لا يجدون الوقت لدراسة واتباع شريعة الرب ، ومع ذلك ، جادل مونتزر أن هذا كله ليس سببا لليأس ، بل على العكس ، إن الافراط الكبير في الطغيان الذي يضطهد العالم هو علاقة اكيدة على أن التحقق العظيم بات في متناول اليد ، وبالضبط لأن الله يبعث بنوره الى العالم إن بعض (السادة) قد شرعوا الآن فقط بصورة حقيقية في اعاقة ومضايقة ، وجز وحلق شعوبهم ، لتهديد كل النصرانية وبلا خجل وبقسوة متناهية لتعذيب وقتل قومهم والغرباء أيضا.

وقد بلغ مونتزر النقطة التي وصل اليها المتنبؤن السالفون خلال ثورة « الفلاحين الانكليز » ، وثورة الهوسية ، وبالنسبة له أيضا كان الفقراء الآن هم الذين يحتمل أن يكونوا النخبة ، المكلفة بمهمة تدشين الفية المساواة. وبتحررهم من اغراءات البخل والترف ، كان لدى الفقراء على الأقل فرصة عدم المبالاة بموجودات هذا العالم مما يؤهلهم لتسلم الرسالة الرؤوية ، وعليه إن الفقراء هم ـ بينما يستأصل الأغنياء والأقوياء مثل الأعشاب في الحصاد العظيم الأخير ـ الذين سيخرجون بمثابة الكنيسة الوحيدة الصحيحية ، «ثم يجب على كل من هو عظيم أن يستسلم لكل من هو صغيره أه إذا عرف الفلاحون الفقراء المسحوقون أن ذلك عونا كبيراً لهم» ، ومع ذلك ـ أصر مونتزر ـ حتى الآن ليس حتى الفقراء كانوا صالحين للدخول في البهاء المعين لهم ،« فهم أيضا يجب أن يبتعدوا أولا عن الرغبات الدنيوية ، وتمضية الوقت في التوافه كما كانوا يفعلون ، حتى يمكنهم بالصلوات والتهجد ، أن يتعرفوا الى حالتهم

اليائسة وحاجتهم في الوقت نفسه الى قائد جديد مرسل من الرب ، واذا كان للكنيسة المقدسة أن تتجرد من خلال الحقيقة المرة ، فإن أحد عبيد الرب يجب أن يتمثل في روح اليجا .... ويحرك الأمور ، وفي الحقيقة أن العديد منهم يجب أن يثار ، حتى انهم بأكبر حماس ممكن وبجدية حماسية يجب أن يمشطوا النصرانية لتطهيرها من كل الحكام الكفرة » وبالضبط كما قدم مونتزر سالفا خدماته للأمراء كدانيال جديد ، كهذا اقترح نفسه الآن لمنصب القائد الالهي لشعبه.

وتبع « التعرية الواضحة » بفاصل زمني غير كبير كتيب اخر اكثر قسوة ، وجهه خصيصا ضد لوثر وبالتالي عنونه « دعوة الدفاع الاكثر اسهابا ، والجواب على الجسد غير الروحاني الذي يعيش عيشة رحبة في وتنبرغ »

وكان لسبب جيد أن لوثر ومونتزر كان عليهما في ذلك الوقت أن يعتبر كل منهما الآخر عدوا مميتا وتماما مثله مثل مونتزر صاغ لوثر جميع أعماله في اطار ايمانه بأن الأيام الأخيرة (ص ٢٤٣) في متناول اليد ، ولكن في نظره كان العدو الوحيد هو البابوية ، التي راى فيها المسيح الدجال ، النبي المزيف ، وبنشر الانجيل الحقيقي ليتم التغلب على البابوية .

وعند انجاز هذه المهمة سيعود المسيح ليصدر حكم اللعنة الأبدية على البابا واتباعه وتأسيس مملكة ، ولكنها لن تكون مملكة من هذا العالم ، وفي اطار مثل هذا الايمان بالاخرويات كان من المحتم ان الثورة المسلحة تبدو غير ذات موضوع ، لأن موت الجسد الذي يسببه الناس ، كان كلا شيء بالمقارنة مع حكم اللعنة الذي فرضه الرب ، وكان محتما أيضا أن تبدو الثورة المسلحة ضارة ، جزئيا لأنها ستحطم النظام الاجتماعي الذي سمح للكلمة ان تنتشر ، وما هو اكثر لأنها ستضعف الثقة بالاصلاح الذي كان بالنسبة للوثر بصورة لا تقبل المقارنة أهم شيء في العالم ، وكان بناء عليه من

المتوقع أن لوثر سيبذل ما في وسعه لأبطال تـأثير مـونتزر ، ومـن جانب اخر ليس مدهشا أن مونتزر من جانبه راى في لوثر شـخصية أخروية هي وحش سفر الرؤيا ، وعاهـرة بـابل ، وفي الواقـع أن عنوان كتيبه كان تلميحا الى فقرة من سفر الرؤيا هي رسالة يهـوذا التي تحكي كيف أن الرب مع عشرة الاف مـن قـديسيه سـينفذون الحكم بالكفار « المسـتهزئين في الزمـان الأخير » ـ كمـا تمـت تسميتهم هناك ـ الذين يبحثـون عن مصـالحهم بـالتودد للرجـال العظام من البشر والذين ليس لديهم الروح » .

وبهجومه على لوثر في « دعوة الدفاع الأكثر اسـهابا » ، صـاغ مونتزر بصورة بالغة الاحكام مذهبه للثورة الاجتمـاعية ، وفي حين ان لوثر أوقف رسـالته على الأمير المنتخـب والدوق جـون أوقـف مونتزر جوابه على المسيح ملك الملوك ودوق كل المؤمنين ، وجعل من الواضح أنه يعني بالمسيح روح المسيح التـي خبـرها هـو نفسـه واتباعه ، واعطى أسبابه :«إن الأمراء ـــ أولئك الكفرة الأوغاد كمـا يدعوهم الآن ـ دعموا كل ادعاء لتمجيد الطاعة والهيمنة ، التي من الآن فصاعدا ستكون للنخبة وحدها ، وما يزال صـحيحا أن ارادة الرب وعمله يجب أن ينفذوا بكليتهما بالتزام الشريعة » ، ولكن هذه ليست مهمة الكفار وعندما يأخذ الكفـار على عاتقهـم مهمـة قمـع الذنوب فانهم يستخدمون الشريعة كوسيلة لابادة النخبة ، وبشـكل أكثر تخصيصا أكد مونتزر أنه في « العظيم » أصبحت شريعـة الرب ببساطة جهازا لحماية الثـروة ، بمعنى الثـروة التـي اسـتولوا عليها ، وفي هجوم مرير على لوثر صـاح : « إن البـائس المغـرور صامت بالنسبة لأصل كل السرقة(ص ٢٤٤)انظر أصول بذرة الربا والسرقة والسلب ، هم ، لورداتنا ، وأمراؤنا ، إنهم يأخـذون كل المخلوقات على أنها ملك لهم : السمك في الماء ، والطيور في الهـواء والنباتات على الأرض ، عليها جميعا أن تكون لهم ، واشـار الى الفقرة في اشعيا التي تقـول : « ويل لهـم الذين يضـمون بيتـا لبيت ، وحقلا لحقل ، حتى لا يكون مـكان ....» وهؤلاء اللصـوص يستخدمون الشريعة ليمنعوا الآخرين من السرقة : « إنهم ينشرون

وصـــايا الرب بين الفقــراء ، ويقـــولون ، إن الله يوصي بـــأن لا تسرقوا » ، إنهم يضـــطهدون كل الناس وهـــم يجـــزون ويحلقـــون الحراثين الفقراء ، وكل شيء حي ، ومع ذلك » أن (الحـــراث) إذا ارتكب أدنى اساءة يجب أن يشنق » وجريمة لوثر الكبرى هـــي أنه يسوغ هذ المظالم ، واعلن مونتزر من جـــانب أخـــر حـــق وواجـــب النخبة ، الذين يوجدون بين عامـــة الناس ، في اســـتعمال الســـيف لابادة الأشرار ، الذين يضمون كل « العظماء » ووجه خطابه للوثـــر مناديا انت ايها الثعلب الماكر لقد أحزنت قلوب الصـــالحين ، الذين لم يحـــزنهم الرب ، وبـــذلك قـــويت ســـلطة الأشرار الأوغاد ، كي يستمروا في طرقهم القديمة ، وعليه إن الأشياء ستسير معـــك كمـــا تسير مع الثعلب عندمـــا يمســـك بـــه ، وســـيصبح الناس أحرارا ، والرب وحده يعتزم أن يكون السيد عليهم » .

ومـــن التناقض بـــدرجة كافية ، أن الأميرين اللذين كانا بشـــكل رئيسي في فـــكر مـــونتزر ـ الأمير المنتخـــب فـــريدريك والدوق جون ـ كانا وحـــدهما بين الأمـــراء الألمان في كونهـــم متســـامحين للغاية ، ولكونهما مشوشين بدرجة كبيرة في وسط الهيجـــان الكبير الذي استهله لوثـــر والذي بقيت اراضـــيهما مـــركزا له ، فقـــد ملئا بالريبة حول حقـــوقهما ومنزلتهمـــا ، واســـتمع الدوق جـــون دون احتجاج الى موعظة مونتزر الاستفزازية ، وعرف أن الأمير المنتخب قد لاحظ انه إذا كان الرب يريدها هكذا فإن الحكومة يجب أن تنتقل الى يدي الرجل العادي ، وفي التعامل مع متنبـــيء السستدت الثـــائر ابدى كلا الأخوين شـــكا متســـاويا ، وكانت كايمـــاءة تحـــد واستخفاف ، اكثر منها لقلق جدي على سلامته ، أن مـــونتزر بعـــد اسبوع مـــن الاســـتماع الى افـــادته في ويمـــر نقض عهده ، وتسلق ليلا أسوار مدينة الستدت وشـــق طـــريقه الى المدينة الامبراطورية الحرة مولهوزن .

وكانت المدينة الثورنجية الكبيرة نسبيا مـــن قبـــل في حـــالة مـــن الاضطراب المنقطع لها يزيد عن سنة ، وكان راهـــب ســـالف يدعى

هينريش بفيفر يتزعم أفقـر الأهــالي في نضــالهم لانتــزاع الهيمنة السياسية من حومة القلة التي كانت حتــى الآن تحتــكرها ، وكان نصف سكان المدينة ـ وهي نسبة كبيرة على حد مــا هــو معــروف بالنسبة لأي مدينة المانية أخرى في ذلك الوقت - يتألف من الفقــراء جدا ، الذين كانوا دائما في أوقــات الأزمــة يظهــرون اســتعدادهم للتجارب الاجتماعية المتطرفة (ص ٢٤٥) .

وهنا وجد مونتزر اتبــاعا قليلين ولكنهــم متحمســين ، وبفعــل الاستحواذ المستمر لفكرة الدمــار الوشــيك للأشرار عليه ، كان له صليب احمر ، وسيف مجرد يحمل أمامه عندما كان يقوم بــالدورية في شوارع المدينة على راس فرقة مسلحة.

ومع ذلك فعندما تفجرت الثــورة العلنية قمعــت بسرعة ، وطــرد مونتزر مرة اخرى ، فأستأنف هيمانه ، و في نورمبرغ قد بــدا أمــر نشر رسالتيه الثوريتين ، ولكنهما صــودرتا على الفــور مــن قبــل مجلس المدينة ، وكان على مونتزر ان يغادر هذه المدينة أيضا وبعــد بضعة اسابيع من الهيمان اخــذته بعيدا إلى حــدود ســويسرا دعي للعودة الى مــــوهلهوزن حيث نجــــح بفيفــــر في اعادة تــــوطيد نفسه ، والذي كان مرة اخرى في حالة مــن الاختمــار الثــوري وفي آذار ١٥٢٥ تم اسقاط المجلس القائم للمدينة وانتخب مجلس جديد من قبل الأهالي ليحل مكانه ، ولكن لا يبدو أن مونتزر قد شــغل أي دور كبير في تلك الأحداث ، وما مكنه من أن يظهــر نفســه بمــظهر الثوري النشط كان تفجر حرب الفلاحين اكثر منه ثورة موهلهوزن ، وكانت أسباب حرب الفلاحين الألمان وســتبقى بــلاشك مــوضوعا للجدل ، ولكن هناك بعض التعليقات الهامة التــي يمــكن ايرادهــا ببعض الثقة ، انه على الأقل من المؤكد ان خلفية هذه الثورة تشــبه خلفية ثورة الفلاحين الانكليز اكثر من تلك المتعلقة بثورة الجاكويري Jacquerie فقد كان يسر احوال الفــلاحين الألمان اكبر مما كان مطلقا ولاسيما الفلاحين الذين اخــذوا المبــادرة في كل

- ١٧٤٦ -

مكان في التمرد المسلح ، وبدلا من ان يدفعوا بالبؤس الصارخ واليأس كانوا ينتسبون الى طبقة ناهضة واثقة من نفسها .

لقد كانوا اناسا اوضاعهم في تحسن اجتماعي واقتصادي ، وكانوا لهذا السبب بالذات لايصبرون على العقبات التي تقف في طريق مزيد من التقدم،وعليه فليس من المدهش انه في جهودهم لازالة تلك العقبات اظهر الفلاحون انهم ليسوا بالمرة آخرويين في افكارهم ، بل على العكس ذوي افكار سياسية ، بمعنى انهم يفكرون بتعابير الأوضاع الحقيقية والامكانات القابلة للتحقق

واقصى ماكان يسعى اليه المجتمع الفلاحي على الاطلاق تحت قيادة ارستقراطية الفلاحية كان الحكم المحلي الذاتي ، واول مراحل الحركة من اذار ١٥٢٥ حتى مستهل أيار ، كانت تتألف ببساطة من سلسلة من الصراعات المحلية امكن فيها انتزاع عدد كبير من المجتمعات حقا من سادتها المباشرين ، من الأكليروس او المدنيين مع المزايا التي تعطيها حكما ذاتيا أكبر ، ولم يتحقق ذلك بسفك الدماء بل بتشديد المساومة العنيفة القاسية التي كان الفلاحون يجرونها منذ اجيال .

وتحت هذه الثورة كانت تكمن على اي حال صراعات اعمق (ص٢٤٦) ومع الانهيار المتزايد للسلطة الملكية تحللت الدولة الألمانية الى سلطات اقطاعية متناوبة مشوشة بل ومتحاربة ، ولكن بحلول ١٥٢٥ كانت هذه الحالة القريبة من الفوضوية تقترب من نهايتها لأن امراء الولايات الكبار كانوا منهمكين في ايجاد اماراتهم ذات الحكم المطلق ، ورأى الفلاحون طريقتهم التقليدية للحياة تتمزق ، وحقوقهم الموروثة مهددة بتطور دول من هذا النمط الجديد .

واستاءوا من الضرائب الاضافية ، واستبدال القانون الروماني بالعرف » ، وتدخل الادارات المركزية في الشؤون المحلية ، وقاتلوا ذلك كله وقاوموه ، وادرك الأمراء من جانبهم

بوضوح كاف أن الفلاحين كانوا يقفون في طـريق مخـططاتهم لبناء الدولة ، وادركوا أيضا أن العصيان المسلح الفلاحي يقدم لهم فرصة فاخرة لتأكيد سلطتهم وتـوطيدها ، وكان الامـراء ـ أو بـالأحرى جماعات خاصة من الأمراء ـ قد عملوا على أن تنتهي الثورة بشكل مفجع ، في سلسلة مـــن المعـــارك أو المذابـــح ، هلك فيهـــا ربما ١٠٠٠ من الفلاحين و كانت الأسر الاميرية هي التي ربحـت على السواء من اختزال الفلاحين ، والنبالات الأدنى والمؤسســات الاكليروسية الى حالة من الاتكال والضعف كان لهـا أن تـدوم بـلا جدل قرونا.

والدور الذى شغله توماس مونتزر في حرب الفلاحين ككل يمـكن بسهولة التعرف عليه وتقريره مـع انه كثيرا مـا بـولغ فيه ، وكانت الجهات الرئيسة المهددة بالصراع هي النواحي التي بلغ فيها تـطور الدول الجديدة مدى ابعد ، ووقعت هـذه النواحـي كلهـا في جنوب وغرب المانيا وهي التي رأت من قبل كثيرا من الثورات الفـلاحية في السنوات لما قبل ١٥٢٥ ، وهناك يبدو أن مونتزر لم يكن له أي نفوذ على الاطلاق ، وفي ثـورنجيا على أي حـال كانت الحـالة غريبـة ومميزة ، حيث لم يكن هناك ثورات فـلاحية سـالفة ، وكانت هناك علامات قليلة عن ثورة وشيكة حتـى في ١٥٢٥ ، وجـاء العصـيان المسلح في الحقيقة متأخرا جدا علاوة على انه أخذ صورة فـوضوية بشـكل غريب ، في حين انه في الجنوب والغـرب كان الفـــلاحون يوجهون انفسهم بنمط نظامي منهجي ، وفي ثورنجيا شـكلوا فـرقا صغيرة غير منظمة كانت تـطوف بـالريف تنهـب وتحـرق الأديرة وتجمعات الرهبان ، وربمـا كانت هـــذه التفجـــرات قـــد لقيت تشجيعا ، إن لم تكن قد نجمت عن الهيجان الذي كان مونتزر يثيره. وكانت النواة الصلبة لاتباع مونتزر ما تـزال في عصـبة النخبـة وانضـمت بعض حلقـــاته الدينية الســـالفة في الســـتدت اليه في موهلهوزن ، وعاونته بلا شك في بناء تنظيم جديد.

وفوق كل شيء استمر في الاعتماد على الشغيلة في مناجم النحاس

في مانسفيلد ، الذين انضموا الى العصبة بـالمئات ، ومثـل هؤلاء الناس ــ كانوا يجندون من خارج البـلاد ، وكثير مـاكانوا مـن المهاجرين ، الذين كثيرا ماكانوا معرضين للبطالة ، وكل أنواع عدم الأمن ــ كانوا بالقدر نفسه من سوء السمعة والميل للاثارة الثـورية التي كان عليها النساجون ، وبـالتالي كانوا مـوضع خشـية السـلطات ، ولأنه كان قـادرا على قيادة مثـل هؤلاء (ص ٢٤٧) الاتباع كان طبيعيا ان يحظى مـونتزر بسـمعة كبيرة كقائد ثوري ، حتى لو لم ينافس نفوذ بفيفـر مـطلقا في مـوهلهوزن نفسها ، وفي محيط العصيان الفلاحي المسلح كان هذا يبـدو اكبـر بكثير ، ومع انه ــ كما تظهر بوضوح مـطالبهم المكتـوبة ــ حتـى فلاحي ثورنجيا لم يشاركوا مـونتزر في تخيلاتـه الالفية ، فـانهم كانوا يتطلعون اليه بالتأكيد على انه العالم الشهير ، والرجل الورع الذي القى بلا تحفظ بثقله معهم ، وكان هناك كثير من عدم الاتفاق حول المدى الذي يمكن بلوغه في تسمية مونتزر بحق قائدا للفـلاحين الثورنجيين في « حربهم » ، ولكن شيئا واحدا يبدو مؤكداً ، هـو انه لم يكن لديهم قائد أخر .

وفي نيسان ١٥٢٥ رفع مونتزر في كنيسـة في مـوهلهوزن علمـا ابيض يحمل قوس قزح رمزا الى ميثاق الرب ، واعلن انه سـيسير قريبا تحت هذا الشعار على راس الفين من « الغرباء » ــ بـدون شك يبدو انهـم مـن الأعضـاء الحقيقيين او المتـوهمين في عصبته ــ وفي نهاية الشهر اشترك هو وبفيفر في الواقع في حملة غزو وسلب ونهب دمر خلالها عددا من الأديرة وتجمعات الرهبان ، لكن حتى ذلك الحين لم يكن هذا باي وسيلة النضـال الرؤوي الذي كان يحلم به ، ومن رسالة بعث بها الى اتبـاعه في السـتدت يدرك المرء الفكرة التي نسبت مرة الى جون بول ، وباستثناء واحـد : ان المرء يسمعها الآن مباشرة بدلا من أن تكون مجرد رواية وقد جاء فيها :

«اني اخبركم بانه اذا لم تعانوا من اجل الرب ، فانكم يجـب ان تكونوا شهداء الشيطان ، لهذا انتبهوا ولاتكونوا متراخين اصحاب

الرؤى الضالين ، الكفرة الملحدين الأنذال،ابدأوا وحــاربوا معــركة السادة فهذا أوانها تمــاما ، واجعلوا كل اخــوتكم فيهـــا حتـــى لايسخرون من الشهادة الالهية ، والا فانهم سيدمرون جميعــا انه كل المانيا وفرنسا وايطاليا في حالة يقــظة وحــذرة فــالسيد يريد ان يلهو ولهذا ان الأوغاد يجب ان يشاركوا،لقد قام الفلاحون في كلتغو Klettgau وهيغــو Hegau وفي الغــابة السوداء ، وعددهم ٣٠٠٠ نسمة والحشد يتزايد كل الوقت ، وكل ماأخشاه ان يترك الحمقــى الأتبــاع انفســـهم يؤخـــذون ببعض الاتفاقات الخيانية ، ببساطة لأنهم لم يروا بعد ضرر ذلك .

اذا كان هناك فقط ثلاثة منكم يثقون في الرب ويلتمســون فقــط اسمه وجلاله ، فلن تخشوا مائة الف .

والآن اذهبوا اليهم واليهم واليهم ! لقد حان الوقت .... ان الانذال تأبطوا الهمة كالكلاب ...... انه من الضروري جــدا ضروري الى مدى أبعد من أن يقــاس .... ان لاتبدوا اهتماما لنواح الكفرة ! إنهم سيرجونكم بطريقة متوددة وسينتحبون ويبكون كالأطفال .

لاتتأثروا بــالشفقة ..... واثيروا الناس في القــرى والمدن وعلى الأخص عمــال المناجــم ، والأتبــاع الطيبين الآخـــرين ، الذين سيكونون جيدين في هـــذه المهمـــة يجـــب ان لاننام بعـــد الآن (ص ٢٤٨) .... خذوا هذه الرسالة الى عمال المناجم ....

اليهم اليهم والنار مازال حــامية ! لاتــدعوا ســيفكم يبـــرد لاتجعلوه يضعف ! اطرقوا بالمطرقة اطرقوا على سندان نمــرود القوا ببرجهم الى الأرض ! فمادامو احياء لن تنفضوا الخوف عن الرجال ان احدا لايستطيع ان يكلمك عن الرب طالما انهم يحــكمونك. اليهم ، اليهم بينما أنت في ضوء النهار ! .... الرب يسير أمــامك ، فاتبعه اتبعه ! .....»

وتظهر هذه الرسالة بوضوح كاف في اي خيالات كان مونتزر يعيش ، لأن نمرود كان يفترض انه بني برج بابل ، إلذي كان بدوره يماثل بابل ، وكان على المستوى الشعبي يعتبر ليس فقط كأول منشيء للمدن بل كمؤهل للملكية الخاصة والتنمية الطبقية ، وفي الواقع كمدمر لحالة المساواة الطبيعية الابتدائية ، وفي دعوته لنبذ نمرود وبرجه اضاف مونتزر سلسلة كاملة من الاشارات الى نبوءات رؤوية هي الانجيل : نبوءة المملكة المسيحية في سفر حزقيال ٣٥ ، ونبوءة المسيح حول مجيئه الثاني كما جاء في انجيل متى : ٢٤ ، و نبوءة يوم الغضب في سفر الرؤيا : ٦ ، وبالطبع الى حلم دانيال Daniel وكل هذا يبين مدى اكتمال رسالة مونتزر في هذه المرحلة الأخيرة ، وان الافتراضات التي عمل على اساسها ، والتعابير التي فكر بها كانت ماتزال ملتزمة بالتقاليد الأخروية ، وفي الواقع ان من الأهمية بمكان انه كان في ذلك الوقت بالذات الرجل الذي اتخذه مثلا اعلى له ، كان هو نفسه يمارس دور المخلص الأخروي ، ولأنه طرد من زويكو Zwickau فان نيكلاس ستورش كون اتباعا جددا اختلط فيهم الرهبان المرتدون بالنساجين والحرفيين الآخرين ، ونظمها حول نواة من اثني عشر رسولا واثنين وسبعين حواريا ، وعندما تفجرت حرب الفلاحين كان يدعى انه قد تلقى وعدا من السماء ، حدد أنه خلال اربع سنوات سيكون قادرا على طرد الحكام الكفرة الحاليين وحكم العالم كله ومنح اتباعه ممالك الأرض .

وفي الوقت نفسه بينما كان مونتزر وستورش يمهدان الطريق للألفية كان لوثر من جانبه يؤلف منشوره الضاري بعنوان « ضد عصابات اللصوص والقتلة من الفلاحين » وكان فعل هذا العمل كبيرا في اثارة الأمراء في وسط المانيا ، الذين كانوا حتى اليوم قد ابدوا تصميما اقل بكثير من أولئك الذين في الجنوب والغرب في معارضة الثورة ، وتوفي الأمير المنتخب العجوز فريدريك الذي اظهر أشد العزوف عن العمل ضد الفلاحين ، في ٤ أيار ، وخلفه اخوه جون ، وانضم الأمير المنتخب الجديد الى الأمراء الآخرين في

التماس مساعدة الكونت الألماني فيليب أوف هيس وهو شاب بالكاد في العشرين من عمره ، ولكنه رجل كان قد كسب بالفعل سمعه هائلة كقائد عسكري وفوق ذلك كان قد اخمد لتوه ثورة في مقاطعاته ، وسار الكونت على الفور (ص ٢٤٩)الى ثورنجيا وتوجه الى موهلهوزن التي كان الامراء فيها متفقين في رؤيتهم لمصدر العصيان المسلح الثورنجي ، اما بالنسبة للفلاحين فقد شكل نحو ٨,٠٠ منهم اخيرا انفسهم في جيش في فرانكنهوزن Frankenhausen ، ووقعت هذه المدينة على مقربة من قيادة مونتزر في موهلهوزن ، وكذلك ايضا من قلعة عدوه القديم ارنست مانسفيلد Eornest of Mansfeld ، حتى انه يبدو ان الاختيار كان بالهام من المتنبىء نفسه ، وبالتأكيد قد تحول الفلاحون الآن الى مونتزر كمخلص ، يرجونه ان يأخذ مكانه بينهم ولم تكن دعوتهم عبثا ، في حين ان بفيفر ، الذي كان يعارض في التدخل بقي في موهلهوزن وخرج مونتزر على رأس نحو ٣٠٠ من مؤيديه الأكثر اخلاصا وتعصبا،وللعدد دلالة لأن ٣٠٠ كان حجم القوة التي اسقط بها جدعون المديانيين وفي كتاب « التعرية الواضحة » استحضر مونتزر مثال جدعون،وفي اشد رسائله عنفا اضاف « بسيف جدعون » الى توقيعه ، وقام ايضا باعلان مهمته على انها ابادة الكفرة بسيف جدعون ، ووصل مونتزر الى معسكر الفلاحين في ١١ أيار،

وعلى الفور جعل تأثيره ملموسا ، وامر الفلاحين في القرى المجاورة بالانضمام الى الجيش ، وهدد بأنهم اذا توانوا في ذلك سيجعلهم ينضمون اليه بالقوة ، وارسل طلبا ملحا الى مدينة ارفورت Erfur للتعزيزات وارسل ايضا رسائل تهديد الى العدو ، وكتب لعدوه الخاص الكونت ارنست مانسفيلد ، « قل ايها البائس ، الكيس الرث للديدان ، من جعل منك اميرا على الناس الذين اشتراهم الرب بدمه الثمين ؟ .... وبقوة الرب القادرة انك متوجه للتدمير ، واذا لم تتواضعوا بأنفسكم امام الادنين ، فانكم ستصمونها بالعار الأبدي في عيون كل النصرانية

وستصبحون ضحايا الشيطان » ولكن كل شيء كان بلا طائل : فلم تتمكن ايرفورت ان تستجيب ، ولم يكن العدو ليخاف بسهولة

وفي ادارتـــــه للعمليات اظهـــــر فيليب هيس Philip Hesse اشد الازدراء التام للمهارة العسكرية للفـــلاحين وسوغت النتيجة تماما المخاطر التي قبل بها ، ومع ١٥ أيار قامت قواته التي تقوت بقوى الأمراء الآخرين فاحتلت الآن مـــوقعا قـــويا فوق تل يطل على جيش الفلاحين ، ومع ان جيش الأمراء كان نوعا مـــاأقل عددا كانت لديه مـــدفعية كثيرة ، حيث كان لدى الفـــلاحين القليل جدا منها ، وكان لدى الأمراء نحـــو ٢٠٠٠ مـــن الفـــرسان بينما لم يكن لدى الفلاحين احد من الفرسان ، وكان لمعـــركة تـــدور تحت مثل هذه الظروف نتيجة ممكنة واحدة ، ولكن الأمراء مـــع ذلك عرضوا شروطا ، ووعدوا الفلاحين بمنحهم حيـــاتهم شريطـــة أن يسلموا مونتزر واتباعه المقربين ومـــن المحتمـــل أن العـــرض قـــدم (ص ٢٥٠) بحسن نية لأنه في التعامل مـــع العصـــيان المســـلح في أراضـــيه ، كان الكونت في الوقـــت الذي يطلب فيه التســـليم ، كان يسعى أيضا لتفادي سفك الدماء بلا ضرورة ، وكان من المحتمل أن يقبل العرض لولا تدخل مونتزر نفسه.

وطبقا للرواية في تاريخ مونتزر ـ التي تبدو معقولة بدرجة كافية- القى المتنبـــيء خـــطابا عاطفيا ، أعلن فيه أن الرب قـــد تحـــدث اليه ، ووعده بالنصر حتى انه سيمسك بقذائف مدافع العدو في اكمام عباءته ، وأنه في النهاية سيحول الرب السماء والأرض بدلا مـــن أن يسمح للناس بالهلاك ، وقد ارتفع أثر هذا الخطاب بـــظهور قـــوس قزح ، الذي فسر ، باعتباره رمزا على علم مونتزر ، بالطبع كعلامة على التأثير الالهي ، ويبـــدو أن اتبـــاع مـــونتزر ، المقـــربين على الأقل ، كانوا واثقين بأن نوعا ما من المعجزة الكبيرة كان على وشك الحدوث ولكونهم كانوا منظمين اضافة الى أنهم متعصـــبين فـــانهم كانوا بلا شك قادرين على الهيمنة على حشود الفلاحين المرتبكة غير المنظمة.

وفي هذه الاثناء كان الأمراء لعدم استلامهم جـوابا مـرضيا على عرضهم قد تزايد نفاد صـبرهم ، واصـدروا الامـر بـاطلاق المدافع ، ولم يكن الفلاحون قد قاموا بأي استعدادات لاستعمال أي نوع من المدفعية لديهم ولا حتى للهرب ، وفي الواقع كانوا ما يزالون ينشدون « تعالي ايها الروح القدس » ـ كما كانوا يتوقعون المجيء الثاني في تلك اللحظة بـالذات ـ عندمـا اطلقـت القـذائف الأولى والوحيدة ، وكان التأثيرفوريا وفاجعا لقد مزق الفلاحون الصـفوف وهربوا في فزع ، بينما كان فرسان العدو يلحقون بهـم ويذبحـونهم بالمئات .ومقابل فقدانه حفنة صغيرة من رجاله شتت جيش الأمـراء الفلاحين واستولى على فرانكهوزن ، وقتـل نحـو ٥٠٠٠ في هـذه العملية ، وبعد بضعة أيام استسلمت موهلهوزن دون قتال ، وعقابا لها على الدور الذي كان يعتقد انها شغلته اكرهت المدينة على دفـع غرامات كبيرة وتعويضات وحرمت مـن مـكانتها كمـدينة حـرة في الامبراطورية ، وبالنسبة لمونتزر فانه هرب من ميدان المعـركة ولكن سرعان ما وجد مختبئا في قبو في فرانكهوزن ، وبعد تسليمه لأرنست أوف مانسفيلد عذب وقدم اعتـرافا فيمـا يتعلق بعصـبته مـن النخبة ، وبعد الاعتراف قطعت رأسه في معسكر الامراء مع بفيفـر في ٢٧ أيار ١٥٢٥ ، واما بالنسبة لستورش الذي يبدو انه ايضا قد شغل دورا ما في الثورة فقد مات كلاجيء في السنة نفسها .

ومع ذلك فان دور مونتزر التاريخي لم يكن قد انتهـى بعـد بـأي حال ، وطبيعي بـدرجة كافية انه في الحـركة القـائلة بتجـديد العماد ، والتي انتشرت طولاوعرضا في السنوات التي أعقبت حـرب الفلاحين ، كانت ذكراه ما تزال تسـتوجب (ص٢٥١)التمجيد مـع انه لم يطلق على نفسه ابدا انه من دعاة تجديد العماد ، وما هو اكثر غرابة هو الانبعاث والتأليه الذي حدث له خلال المائة سنة الماضـية ومـن انجلز الى المؤرخين الشـيوعيين المعـاصرين ـ الروس والالمان ـ ضخم الماركسيون مونتزر الى رمز عملاق ، و بـطل غير عادي ،و في تاريخ الحرب الطبقية وهذه فكرة ساذجة ، وواحدة مـن الافكار التي قـاومها المؤرخـون غير الماركسيين بسـهولة

كافية ، بالاشارة الى الطبيعــة الصــوفية الاســاسية لاهتمــامات مونتزر وعدم مبالاته العامة بالرخاء المادي للفقراء ، ومع ذلك فــانه ربما يوحي بأن هذه النقطة أيضا يمكن المبالغة في تأكيدها ، لقد كان مونتزر متنبئا اســتحوذت عليه التخيلات الاخــروية التــي حــاول ترجمتها الى حقائق باستغلاله لعدم الرضى الاجتماعي ، وربما بعــد كل شيء انها كانت غريزة راسخة تلك التي قــادت الماركســيين الى ادعاء نسبته اليهم .

الفصل الثالث عشر

الفية المساواة (٣)

القول بتجديد العماد

لقد ترافق الاصلاح اللوثري (ص ٢٥٢) ببعض الظواهر التي مع أنها روعت لوثر وجماعته كانت طبيعية لدرجة انها تبدو عند تأمل الأحداث الماضية كان لا مفر منها ، وكمعارضين لسلطة كنيسة روما احتكم الاصلاحيون الى نص الكتاب المقدس ، ولكن ما أن اعتاد الناس قراءة الكتاب المقدس بأنفسهم حتى بدأوا يفسرونه لأنفسهم ، ولم يتوافق تفسيرهم دائما مع تفسير الاصلاحيين ، وحيثما امتد تأثير لوثر كان الكاهن يفقد كثيرا من مقامه كوسيط بين عامة الناس والرب وكمرشد روحي الزامي ، ولكن ما أن بدأ الرجل العامي بالشعور بأنه هو نفسه يقف وجها لوجه مع الله وانه يعتمد من الارشاد على ضمير الفردي ، كان لامفر من أن بعض العامة سيدعون تلقينا الهيا يعاكس بالقدر نفسه كلا من الأصولية الجديدة والقديمة.

وفوق كل شيء قوى الاصلاح اللوثري شدة واتساع انتشار الاثارة ، التي ساعدت على قيامه وكانت هذه نتيجة لا مفر منها ما أن تحدى الاصلاح صلاحية وسلطة الكنيسة التي كانت حتى حينه الوحيدة في الغرب ، وحتى ذلك الحين كان الناس يقبلون - اجمالا بلا أدنى شك أو تردد - التفسير المترابط منطقيا للكون ولطبيعة الانسان الذي قدمته كنيسة روما ، وقد قدم المذهب الكاثوليكي صورة غير متبدلة ، تعود ضمنها كل المسيحيون على تكييف انفسهم ، كما أن المنظمة الاكليروسية الكاثوليكية قد وفرت نظاما للسلطة اعتادوا الاعتماد عليه و يمضي النقد الذي كان أبدا موجها

ضد الكهنوت المنحل و الدنيوي ، و الاحتجاج العنيف الذي أثاره الانشقاق الكبير ليظهر حجم مطالب الناس من الكنيسة ، ولقرون عديدة كانت كنيسة روما أيا كانت عيوبها تنجز عملا هاما جدا ومعياريا في المجتمع الأوروبي ، وقد أوقع هجوم لوثر الضاري ــ بالضبط لأنه كان فعالا ــ الاضطراب بهذا العمل، وكنتيجة فقد أوجد الى جانب الشعور بالتحرر شعورا بالتشويش كان منتشرا بالاتساع نفسه تماما(ص ٢٥٣) ، وعلاوة على ذلك لم يتمكن الاصلاح اللوثري في ذاته من السيطرة على كل القلق الذي أطلقه بين السكان ، جزئيا بسبب محتوى مذهبه للخلاص ، وجزئيا بسبب تحالفه مع السلطات المدنية القائمة ، واخفق لوثر في الاحتفاظ بولاء الجماهير الغفيرة من عامة الناس ، وتنامى هناك بين الجماهير القلقة المشوشة ، في معارضة لكل من اللوثرية والكاثوليكية الرومانية بالحركة التي اعطاها خصومها اسم القبول بتجديد العماد ، وهي بطرق مختلفة خليفة لطوائف العصور الوسطى ، ولكنها أكبر منها بكثير.

والقول بتجديد العماد لم يكن حركة متجانسة ولم يكن أبدا منظما مركزيا فقد وجد حوالي أربعين طائفة مستقلة من القائلين بتجديد العماد ، تجمعت كل منها حول قائدادعى بأنه نبي ملهم من السماء أو رسول ، وتبعثرت هذه الزمر التي كانت سرية ومهددة دائما بالابادة في طول الأراضي الناطقة بالالمانية وعرضها وقد تطورت على خطوط منفصلة وضعها مختلف القادة ، ومع ذلك كانت بعض الميول عامة وشائعة ضمن الحركة ككل ، وبشكل عام علق القائلون بتجديد العماد اهمية صغيرة نسبيا سواء على التأملات اللاهوتية أو الالتزامات الدينية الرسمية والطقوس ، وبدلا من أنواع من الممارسات مثل الذهاب الى الكنيسة وضعوا نظاما شديد التفصيل ، ومع تقيد حرفي بقواعد السلوك والتعاليم والأوامر التي اعتقدوا أنهم وجدوها في العهد الجديد ، وبدلا من اللاهوت قاموا باغناء الكتاب المقدس ، الذي كيفما كانوا قادرين على تفسيره في ضوء الالهام المباشر ، اعتقدوا أنهم تلقوه من الرب ، وكانت قيمهم

في المقام الأول أخلاقية ، وبالنسبة لهم كان الدين فوق كل شيء مسألة محبة أخوية فعالة ، وتكيفت مجتمعاتهم طبقا لما افترضوا أنه كان ممارسة الكنيسة القديمة ، وكانوا ميالين الى تحقيق المثل الاخلاقية التي اقترحها المسيح.

وكانت مواقفهم الاجتماعية هي الأكثر خصوصية وتمييزا للقائلين بتجديد العماد،ومال أعضاء هذ الطوائف إلى القلق بشأن الملكية الخاصة وقبول شيوع ملكية الأشياء على أنها مثالية ، وإذا بذلت في أغلب المجموعات محاولة صغيرة لادخال الملكية المشتركة ، فإن القائلين بتجديد قد اخذوا بجدية التزامات الأعمال الخيرية ، و المعونات السخية المشتركة ، و من جانب اخر غالبا ما ابدت طوائف القائلين بتجديد العماد انغلاقا ملحوظا ، وكان ضمن كل مجموعة هناك تماسك عظيم ، ولكن الموقف تجاه المجتمع الكبير كان يميل الى الرفض ، وبشكل خاص ، نظر القائلون بتجديد العماد للدولة بشك ، على أنها مؤسسة مع أنها بلا شك ضرورية للأشرارا انها غير ضرورية للمسيحيين الحقيقيين ، وكانوا يعنون بذلك انفسهم ، ومع أنهم كانوا مستجيبين في الأذعان للمطالب الكثيرة للدولة ، فإنهم رفضوا السماح لها بغزو عالم العقيدة والضمير ، وبشكل عام كانوا يفضلون الحد من تعاملهم معها ، ورفض اغلب القائلين بتجديد العماد (ص ٢٥٤) الاحتفاظ بمناصب رسمية في الدولة ، او التماس سلطة الدولة ضد تابع من القائلين بتجديد العماد أو حمل السلاح نيابة عن الدولة. وكان الموقف تجاه الاشخاص الطبيعيين ممن لم يكونوا من القائلين بتجديد العماد متحفظا بالدرجة نفسها ،و قد تجنب القائلون بتجديد العماد عامة كل اتصال أو تعامل خارج جماعتهم ، وكان هؤلاء الناس يعتبرون انفسهم النخبة الوحيدة و أن جماعتهم وحدها ، تحت التوجيه المباشر للرب : جزرا صغيرة من الصالحين في محيط من الشر والخطيئة ، وحتى لوثر سلم بأن الكاثوليكي الروماني يمكن أن ينجو ،و لكن بالنسبة للقائل بتجديد العماد كان اللوثريون والكاثوليك على السواء أسوا من الترك ، ممثلين

حقيقيين للمسيح الدجال ، وكانت ممارسة تجديد العماد التي اشتق منها اسم الطائفة فوق كل شيء وسيلة للتعبير الرمزي عن هذا الانفصال الطوعي عن العالم غير المحرر.ولكن حتى بين القائلين بتجديد العماد انفسهم كان يسود استحواذ الانتخاب المحصور نفسه ، وتاريخ الحركة متقطع بفعل الانشقاقات.

وامتدت الحركة من سويسرا الى المانيا في السنوات التي تلت حرب الفلاحين ، و كان معظم القائلين بتجديد العماد اناسا مسالمين على استعداد عملي دائم ـ الا في الامور المتعالقة بالضمير والعقيدة ـ لاحترام سلطة الدولة.

وبالتاكيد لم يكن لدى الاغلبية فكرة عن الثورة الاجتماعية ولكن مختلف المراتب من افراد الطائفة كانوا يجندون كليا تقريبا من الفلاحين و الحرفيين و بعد حرب الفلاحين كانت السلطات في خوف يائس من تلك الطبقات ، و حتى اكثر القائلين بتجديد العماد مسالمة كانوا يضطهدون بقسوة وقتل الآلاف المؤلفة منهم ، وقد أوجد هذا الاضطهاد في النهاية الخطر نفسه الذي كان يراد ابداله ، ولم يكتف القائلون بتجديد العماد بالثبات في عدائهم للدولة والنظام القائم ، بل قاموا بتأويل معاناتهم بتعابير رؤوية ، على أنها اخر هجوم للشيطان والمسيح الدجال ضد القديسين . وكمحنة مسائحية « تدل على الألفية » ، وقد استحوذ على العديد من القائلين بتجديد العماد تصورات ليوم الحساب حيث يقومون هم أنفسهم لإسقاط الجبار ، وبقيادة المسيح،الذي عاد أخيرا،يقيمون الفية على الأرض ، وشابهت الآن الحالة ضمن حركات الهرطقة في قرون سالفة وثابرت كتلة حركة القائلين بتجديد العاماد على اتباع تقاليد المسالمة والعزلة المتزمتة التي كانت ممثلة في قرون سالفة في الوالدنيسين ، ولكن الى جانب ذلك كان هناك تنام لفكرة من نوع أخر لتجديد العماد ، وجدت فيها تقاليد الالفية المناضلة ، المساوية لها في القدم ، تعبيرا جديدا.

وكان أول الدعاة لهذه الفكرة الجديدة لتجديد العماد مجلد كتب متجول يدعى هانز هت ، وهو تابع وحواري سالف لمونتزر ومن أهل تورنجيا مثله ، وأدعى هذا الرجل بأنه نبي مرسل من الرب وانه (ص ٢٥٥) في أسبوع العنصرة لعام ١٥٢٨ ، سيعود المسيح الى الأرض ، وسيضع سيف العدالة ذا الحدين في أيدي القديسين مجددي العماد ، وسيقوم القديسون بمحاسبة الكهنة ورعاة الأبرشيات من القسس على تعاليمهم الزائفة وسيقومون فوق كل شيء أيضا بمحاسبة كل عظماء الأرض بسبب عمل الاضطهاد ، وسيصفد الملوك والنبلاء بالسلاسل ، واخيرا سيقيم المسيح الألفية التي ستتميز على مايبدو بالحب الحر والملكية المشتركة للأشياء ، وقد قبض على هت في ١٥٢٧ وسجن في اوغسبرغ حيث توفي أو قتل في السجن ، ولكن ليس قبل ان يكسب بعض المتحولين الى العقيدة في مدن جنوب المانيا ويتعرف المرء في فحوى ايمان أتباع هت الى عقائد جون بول والطابوريين المتطرفين فالتطابق و التكرار كلمة كلمة تقريبا حيث نجد « ان المسيح سيعطي السيف ، وسينتقم لهم ، وسيتولى القائلين بتجديد العماد انزال العقوبات على كل الخطايا ، وسحق كل الحكومات ، واشاعة كل الممتلكات وذبح كل الذين لايسمحون لأنفسهم بتجديد العماد » ومرة اخرى : « ان الحكومة لاتعامل فقراء الناس كما يجب لهم بالانتقام فانهم يرغبون في المعاقبة ومحو الشر ....» واذا كان هت نفسه قد توقع ان يحدث ذلك كله فقط عندما « يأتي المسيح على السحاب » فليس كل حوارييه كانوا بهذا الصبر : ففي ايسلنغن على النيكار بدأ ان القائلين بتجديد العمار خططوا في ١٥٢٨ لإقامة مملكة الرب بقوة السلاح ، وبين هؤلاء المناضلين الالفيين كانت مثل الملكية المشتركة تملك بوضوح دلالة ثورية وكان لذلك بلا شك بعض التسويغ عندما حذرت سلطات المدينة في نورمبرغ سلطات الم
من ان القائلين بتجديد العماد كانوا يرمون الى اسقاط النظام القائم والغاء الملكية الخاصة .

وصحيح انه في جنوب المانيا بقي القائلون بتجديد العماد قوة

- ١٧٦٠ -

صغيرة ، غير فعالة وانها قد سحقت وازيلت من الوجود بحلول ١٥٣٠ ، ولكن بعد ذلك بسنوات قليلة ظهرت في اماكن اخرى في هولندا واقصى الشمال الغربي من المانيا وفي هذه المرة بنتائج شدت انتباه اوروبا .

وكان شمال غرب المانيا في بداية القرن السادس عشر يتألف في الأساس من عدد من الولايات الأكليروسية الصغيرة ، لكل منها امير اسقف كحاكم ، وكانت كل امارة - كما جرت العادة - منها ممزقة بصراعات اجتماعية ضارية ، وكان حكم الولاية في ايدي الامير الأسقف وجماعة الأبرشية من الكهنة ، الذين ينتخبون ويتحكمون في سياسته الى مدى بعيد .

وكان أعضاء الادارة الكنسية - يجندون فقط من الارستقراطية المحلية ، وكانت المؤهلات اللازمة هي عادة شعار النبالة مع سابغة مؤلفة على الأقل من أربعة اقسام ، وكثيرا ماكانوا يختارون واحدا من اعضائهم كأسقف ، وهذه المجموعة من الأكليروس الأرستقراطي لم تكن تخضع لأي سيطرة من أي سلطة أعلى ، وفي المجلس التشريعي الأقليمي كانوا يمثلون بقوة (ص ٢٥٦) وكان بإمكانهم دائما الاعتماد على تأييد ودعم الفرسان ، ولذلك كانوا يميلون للحكم فقط لمصلحة طبقتهم وكهنة الأسقفية ، وفي ولاية اكليروسية لم يكن عدد الكهنة كبير جدا فحسب - في مقر أسقفية مونستر كان هناك نحوا من ثلاثين مركزا اكليروسيا ، بينها أربعة اديرة ، وسبعة مجمعات للراهبات ، وعشر كنائس وكاتدرائية ثم المجمع الكهنوتي نفسه بالطبع - بل كانوا أيضا يتمتعون بمزايا عالية ، وكان أعضاء المجمع الكهنوتي يتمتعون بأوقاف غنية ، وكان يسمح للرهبان بمزاولة المهن اليدوية والتجارة المدنية ، وفوق كل شيء كان الأكليروس ككل معفى بالكلية تقريبا من الضرائب .

ولكن نادرا ما كانت سلطة الطبقة الكهنوتية الارستقراطية في ولاية اكليروسية تمتد بفعالية كبيرة إلى المدينة العاصمة ، وفي هذه

الولايات كما في كل مكان آخر كان تطور التجارة والاقتصاد المالي يعطي المدن أهمية أكبر وكانت حكومات الولايات في حاجة دائمة للمال ، وبالطريقة المعتادة للمساومة على الضرائب كانت المدن تكسب مزايا وامتيازات لنفسها ، وفي أكبر وأهم الولايات الأكليروسية ، مقر أسقفية مونستر ، كان هذا صحيحا بشكل خاص ، ومنذ بداية القرن الرابع عشر كانت مدينة مونستر تتمتع بدرجة كبيرة من الحكم الذاتي ، وباتت سلطة الأسقف – الذي نادرا ماكان يقيم هناك – محصورة جدا .

ولم يكن هذا بالطبع يعني أن سكان المدن كانوا راضين عن المزايا التي حصلوا عليها ، وكان الاسقف وجماعة الكهنة عادة لايتمتعون بأي احترام ديني من أي نوع ، وهذا ليس مدهشا ، طالما أنهم كانوا يحيون حياة مترفة ودنيوية صرفة وكثيرا – كما في مونستر في ١٥٣٠ – ما كان الأسقف ببساطة سيدا مدنيا غالبا ما كان حتى غير مرسما ، وفوق ذلك كانت الضرائب المفروضة من قبل الأمير الأسقف عادة ثقيلة وكان العبء كله يقع على العامة ، الذين كان انتفاعهم بالادارة أقل ، وإضافة إلى ذلك كان على الولاية الاكليروسية أن تدفع مبالغ كبيرة إلى الادارة البابوية في روما في كل مرة ينتخب فيها أسقف جديد ، وقد فعلت مونستر ذلك ثلاث مرات بين ١٤٩٨ و ١٥٢٢ ، وليس مدهشا أن مناعة الكهنوت على الضرائب كانت موضع استياء مرير ، وكان التجار والحرفيون أيضا يعترضون على منافسة الرهبان الذين اشتغلوا بالتجارة والصناعة ، ولم تكن لديهم عائلات للاعالة ولايؤدون الخدمة العسكرية ، أو يمدونها بما تحتاج ، وليس أمامهم أنظمة نقابية يتقيدون بها ، وكل المزايا والمنافع من جانبهم .

وبحلول القرن السادس عشر لم يكن مركز مقاومة سلطة الأسقف والمجلس الكهنوتي يقع عادة في مجلس المدينة ، الذي أصبح هيئة رصينة ومحافظة نسبيا ، بل في النقابات وكانت هذه هي الحالة في مونستر بالتأكيد . حيث أصبحت المدينة على مدى القرن الخامس

عشر مركزا تجاريا هـــاما أو عضـــوا في العصـــبة الهـــانسية (ص ٢٥٧) واحرزت النقابات سلطة سياسية عظيمة . وبتنظيمها في نقابة كبيرة كان لها في القرن السادس عشر مـــا لايقـــل عن ســـتة عشر فرعا نقابيا مستقلا ، وكان باستطاعتها في الفرصة المناسبة أن تهب لقيادة كل السكان ضد الأكليروس . وقد تـــوفرت إحـــدى هـــذه الفرص بوساطة حرب الفلاحين . وانها لحقيقة مـــذهلة انه عندمـــا انتشرت الاثارة الثورية من جنوب المانيا وبلغت الشمال الغربي ، لم يكن لاالفلاحون ولا المدن في الولايات المدنية هم من هب للثورة ، بـــل فقط عواصـــم الولايات الاكليروســـية : أوزنا بـــروك وأوتـــرخت وبادربورن ومونستر ، وفي مونستر قادت النقابات هجـــوما على دير كان قد دخل في المنافسة التجارية معها وطالبت ايضا بتقييد شـــامل لمزايا الاكليروس ، واجبرت المجالس الكنسية على إجـــراء تنازلات كبيرة .

وبتلك المناسبة كان انتصار النقابات قصير العمر ، في مـــونستر كما كان في كل أخواتها من المدن الأخرى ، ففي الوقت الذي هزم فيه الأمراء الفـــلاحين في الجنوب كانت الهيئة الكهنوتية في الأســـقفيات الشمالية قادرة على استعادة كل مافقدته من السلطة ، وعلى الفـــور سحبت كل التنازلات ، وسحقت كل محاولة للاصلاح وفعلت كل ما في وسعها لاذلال المدن الثائرة ، وبحلول ١٥٣٠ أعيد تـــرسيخ النظـــام القديم للحكومة في كل الولايات الأكليروسية ، ومع ذلك فقد كان اقل أمنا بكثير مما كان ابدا ، لأن رجال المدن الآن كانوا مستائين مـــن هيمنة الأكليروس والنبلاء بمرارة اكثر مما كانوا على الاطلاق ، لقد شعروا بقوتهم الخاصة ، وانتظروا على مضض الفـــرصة المناســـبة لبسطها مرة أخرى ، علاوة على أن حـــالتهم في تلك الســـنوات كانت يائسة ، وفي ١٥٢٩ خرب تفجر الموت الأسود وستفاليا ، وفي الوقت نفسه تدهورت المحاصيل ، وتضـــاعف ســـعر الدقيق بين ١٥٢٩ و ١٥٣٠ ثلاث مرات تقـــريبا ، واخيرا في ١٥٣٠ فـــرضت ضريبـــة استثنائية لتمويل مقاومة الغـــزو التـــركي للامـــارات الشرقية مـــن الامبراطورية ، وهناك دلائل على انه في أوائل ١٥٣٠ كان الحجـــز

على الأموال والبؤس في شمال المانيا استثنائيا تمـاما ، وكان مـن المتوقع أنه في واحـدة مـن الولايات او الأخـرى سـتكون هناك اضطرابات جديدة ، وعندما حاول اسـقف مـونستر في ١٥٣٠ أن يبيع أسقفيته إلى أسقف بادربورن واوزنا بـروك اثـار حلفـاءه في المجلس الكهنوتي ونفرهم منه ، وبدات الاضطرابات .

وفي ١٥٣١ بدأ قسيس شاب بليغ يدعى برنت روثمـان ـ وهـو ابن حداد اكسبته مواهبه البـارزة تعليمـا جـامعيا ـ في اجتـذاب جمهور كبير من المصـلين في مـدينة مـونستر ، وسرعان مـا اصبح لوثريا ووضع نفسه على راس حركة عادت بـأصولها إلى ١٥٢٥ ، لتدخل المدينة في حظيرة اللوثرية ، ووجد تأييدا في النقابات وحليفـا (ص ٢٥٨) ذا نفوذ في تاجر قماش ثري ونبيلا يدعى برنت كنبـر دولنك وتوسعت الحركة التي كانت في الوقـت نفسـه بـروتستنتية وديمقراطية باستقالة احد الأسـاقفة ومـوت خلفـه . وفي ١٥٣٢ اصبحت النقابات التي تؤيدها الجماهير سادة المدينة ، وكانت قادرة على إجبار المجلس على تعيين وعاظ لوثـريين في كل الكنائس ، ولم يكن الأسقف الجديد قادرا على جعل المدينة تتخلى عن عقيدتهـا وفي اوائل ١٥٣٣ اعترف بمونستر رسميا كمدينة لوثرية .

ولم يكن هذا ليبقـى طـويلا . ففـي الدوقية المجـاورة جوليس ـ كليفيس كان الوعاظ من القائلين بتجديد العماد يتمتعون منذ بضع سنوات بحرية الدعوة بشـكل نادرا مـا وجـد مثله في أي مكان أخر ، ولكن في ١٥٣٢ طـردوا والتمس عدد منهـم ملجـأ في مونستر ، وفي مجرى ١٥٣٣ وصل المزيد مـن القـائلين بتجـديد العماد وهذه المرة من الأراضي المنخفضة ، وكان هؤلاء مـن أتبـاع ملكيور هوفمان ، وهو مـن الرؤويين المشـهررين الذي ـ خليفـة حقيقيا للمتنبيء المتجول في العصور الوسطى ـ هام في طول أوروبا وعرضها يعظ بقرب المجيء الثـاني والألفية . وكان في ١٥٢٩ أن انضم هوفمان إلى حركة القائلين بتجديد العمـاد ، وخـلال السـنة التالية تطور جناح جديد مـن الحـركة ـ كان متـأثرا بعمـق

بأفكاره ـ فـوق كل شيء في الأقـــاليم الشـــمالية مـــن الأراضي المنخفضة . وطبقا لهوفمان كان للألفية أن تبـدأ ، بعـد فتـرة مـن « المحن المسائحية » وكثيرا مـن العـلامات والعجـائب في ســـنة ١٥٣٣ ، التي كان يفترض أنها تكمل القرن الخامس عشر بعد موت المسيح ، وفي ١٥٣٣ تحولت التخيلات الألفية التـي جلبهـا أتبـاع هوفمان معهم إلى مونستر بسرعة إلى استحواذ كبير هيمن على كل حياة الطبقات الفقيرة في المدينة .

وفي غضون ذلك تخلى روثمان عن عقيدته اللوثرية ونقل كل بلاغته وهيبته لخدمة القائلين بتجديد العماد ، وبوعظه بتقاليد قديمة اتخـذ حياة جديدة ، وفي ١٥٢٤ طبع المصدر القـديم لمذهـب الفـوضوية الشيوعية ، أعني رســالة كليمنت الخـامسة الزائفـة ، في بـازل ، وفي ١٥٣١ لخصها الفيلسوف الانساني سبستيان فـرانك في لغـة المانية دارجة واضحة مفعمة بالحيوية ، وجدت كثيرا مـن القـراء ، واضاف إليها تعليقاته الخاصة من ذلك : « وبعد ذلك بوقت قصير ، بدأ نمرود يحكم ، ثم كان كل مـن يتـدبر ذلك يحصـل المزيد مـــن الآخرين ، وبدأوا في تقسيم العالم ومن ثم النزاع حـول الممتلكات . وبدا لي ـ ولك ، وفي النهـاية أصبح الناس مســعورين جـــدا كالحيوانات المتـوحشة بـالضبط ، كل يريد أروع ، وأفضـل مـن الآخر ، وفي الحقيقـة أراد أن يكون ســيده ، بيد أن الرب جعـل كل الأشياء مشتركة ، وحتى اليوم مازلنا نتمتع بالهواء ، والنار والمطر والشمس بصورة مشتركة ، وبكل مـا لايمـكن لانسـان ســارق أو طاغية أن يحبسه ويحتفظ به لنفسه » وكان هذا هو الموضوع الذي تولاه روثمان الآن ، (ص ٢٥٩) ومـع تشرين أول ١٥٣٣ ، كان يدعم الشيوعية المفترضة للكنيسة البدائية على انها المثالية للمجتمع المسيحي الحقيقـي ، وأعلن في المواعظ والنشرات انه يتـوجب على المؤمنين الصادقين أن يصوغوا حياتهم بدقة وفق حياة المســيحيين الأوائل وأن هذا يشمل الملكية المشتركة للأشياء .

وكما في القرون المتقـدمة كان هــذا التبشـير يروق بــطرق عدة

لمستويات اجتماعية مختلفة . فكان هناك راسماليون ممن أنكروا فجأة الربا والغوا كل الديون التي كانت مستحقة لهم ، وكان هناك العديد من الناس الأثرياء ممن قرروا أن يعيشوا كأخوة متحابين يحتفظون بكل ممتلكاتهم على الشيوع ويتبرأون بقسم مؤكد من كل الترف ، ويتخلون عن كل مافاض عنهم للفقراء ، ولكن في الوقت نفسه انتشرت أخبار هذا الوعظ طولا وعرضا بين من لاملكية لهم ، ومن لاأصل لهم ، والمخفقين ، وعلق على هذا أحد المراقبين بقولة : « وهكذا جاء الهولنديون والفريزيون والأنذال من كل الأنحاء وهم الذين لم يستوطنوا في أي مكان مطلقا ، لقد تدفقوا على مونستر وتجمعوا هناك » . وأشارت مصادر أخرى إلى « هاربين ومنفيين ومجرمين » وإلى « أناس بددوا ثروات أهاليهم ، ولم يكسبوا شيئا من عملهم الخاص .... ممن تعلموا منذ سنواتهم الأولى أن يحيوا في كسل ، وأرهقوا أنفسهم بالديون ، والذين كرهوا الاكليروس لابسبب ماقيل لهم عن دينهم بل لما ذكر لهم عن ثرواتهم ، والذين ادعوا هم أنفسهم أنهم مارسوا الاشتراكية في ملكية الأشياء مثلما فعل الرسل حتى إذا أنهكهم الفقر ، فكروا في سرقة وسلب الكهنة والسكان الأكثر غنى » .

وإنه ليس مصادفة أن هذه العبارات تذكر بتلك التي طبقت مرة على جموع الرعاة ، ومع حلول القرن السادس عشر أصبحت الظروف الاجتماعية في الأراضي المنخفضة الشمالية . شبيهة جدا بتلك التي وجدت في فلاندرز ، وهينوت ، وبيكاردي منذ قرنين سالفين ، وفي حين كان السكان في تلك المراكز القديمة في انحدار كانوا في هولندا (كما في جنوب الماني) في ازدياد ، ومع انهيار صناعة الأقمشة في فلاندرز ، كانت تلك الصناعة في هولندا قد قفزت الى الأمام ، وأهم مركز لتلك الصناعة على الاطلاق كان الآن في ليدن Leyden واصبحت هولندا تحوي الآن أعظم تركيز من الشغيلة المرهقين الذين لا يشعرون بالأمن ، علاوة على أن حالة هؤلاء الشغيلة كانت كما يبدو اسوا مما كانت عليه منذ قرون سالفة ، وكانت صناعة الرأسماليين الجدد الى حد كبير صناعة

ريفية ، عمل فيها الحرفيون في بلادهم في مواد أمدهم بها الرأسماليون ، وتحت هذه النظم لم تعد النقابات تتمكن من العمل ، وهناك أدلة توحي بأن العاطلين وغير المنظمين كانوا أكثر عددا وأكثر يأسا مما كانوا في قرون سلفت ، وانه بين مثل هؤلاء الناس كان ازدهار مذهب القائلين بتجديد العماد في أكثر صوره النضالية والألفية صراحة ، وكان مثل هؤلاء الناس الذين تدفقوا الآن على مونستر (ص ٢٦٠).

وكلما ازداد رخاء اهالي مونستر ، كان من الطبيعي بدرجة كافية أن يكونوا اكثر قلقا . واذا كان معظمهم قد ابتهج بهزيمة الأسقف والمجمع الكهنوتي وانتصار القضية اللوثرية ، فان حركة قوية للقائلين بتجديد العماد مؤيدة بحشود من العاطلين والأجانب اليائسين حملت مخاطر واضحة وشديدة لكل منهم على السواء ، وفي وجه هذا التهديدضم اللوثريون والكاثوليك الروحيون صفوفهم ، ونحو نهاية السنة حاول المجلس عدة مرات اسكات أو طرد روثمان ، ولكنه باطمئنانه الى اخلاص اتباعه كان دائما قادرا على التحدي ، و في الواقع كان الوعاظ الآخرين القائلين بتجديد العماد قد طردوا واستبدلوا بلوثريين ، ولكنهم عادوا قبل مضي وقت طويل وطرد اللوثريون من الكنائس ، وتزايدت الاثارة في المدينة اسبوعا بعد اسبوع حتى جاء في الأيام الأولى من ١٥٣٤ ووصل الرجال الذين كان عليهم أن يوجهوها الى غاية معينة.

وقبض على ملكيور هوفمان Melchior Hoffman الذي أعتقد ان الألفية سيبزغ فجرها في ستراسبورغ ، في تلك المدينة ، وسجن بداخل قفص في برج ، وأمضى هناك بقية أيامه ، وهبطت العباءة التنبوئية على هولندي من القائلين بتجديد العماد ، هو الخباز جان ماتيس (ماتيسزون) من هارلم ، وبدل هذا التغيير في القيادة كل نبرة الحركة ، فلقد كان هوفمان رجل سلام علم اتباعه ان ينتظروا مجيء الالفية بثقة هادئة ، متفاديا كل العنف. وكان ماتيس من جانب اخر قائدا ثوريا بشر أن الصالحين

يجب أن يحملوا بأنفسهم السيف وأن يمهدوا بفعالية الطريق للألفية باستخدامه ضد الأشرار ، ولقد أعلن أنه قد تكشف له أنه هو واتباعه قد دعيوا لتطهير الأرض من الكفرة ، ونجد في هذه التعاليم أن روح البيكارتي ، وتوماس مونتزر ، وهانزهت قد بعثت لحياة جديدة .

وأرسل ماتيس من الأراض المنخفضة رسلا الى مختلف جماعات القائلين بتجديد العماد كانوا يعتقدون أن الروح القدس قد هبطت عليهم كما هبطت على الرسل الأصليين في عيد الحصاد ، وفي كل مدينة زاروها عمدوا أعدادا كبيرة من البالغين وعينوا « اساقفة » لهم سلطة العماد ومن ثم انتقلوا ، بينما خرج من المدن التي اهتدت مؤخرا رسل جدد في مهام مماثلة ، وفي الأيام الأولى من ١٥٣٤ وصل أثنان من الرسل الى مونستر ، حيث أحدث وصولهم على الفور حماسا حقيقيا معديا ، واعيد تعميد روثمان والوعاظ الآخرين القائلين بتجديد العماد ، وتبعهم تعميد عدد من الراهبات والنساء المؤثرات من عامة الناس وفي النهاية قسم كبير من السكان ، وقيل انه خلال اسبوع بلغ عدد المعمدين ١٤٠٠ (ص ٢٦١)

وانتقل الرسل الأول ، ولكن حل محلهم اثنان أخران ، وهؤلاء ـ بصورة بالغة الأهمية ـ اعتبرا في البداية اينوخ ، واليجا ، ذلكما النبيين اللذان طبقا للتقاليد الأخروية كان لهما أن يعودا الى الأرض كشاهدين ضد المسيح الدجال ، وأن ظهورهما كان لاعلان المجيء الثاني ، وكان أحد القادمين الجديدين هو جان بوكسون (بوكسزون ، بيوكلست) وكان معروفا أكثر باسم جون أوف لايدن ، وهو شاب عمره خمس وعشرون سنة اهتدى وعمد من قبل ماتيس قبل شهرين فقط ، وقدر له أن يحقق شهرة في مونستر دامت حتى أيامنا الراهنة ، حيث أنه هنا كما كان كثيرا ـ كما في حالة « استاذ هنغاريا » وأخرون غيره في العصور الوسطى وفي كل الأزمنة في الواقع ـ كان الزعيم المسائحي

اجنبيا ، رجل من الحافة ، وكان بوكلسون ، مع معلمه في البداية ، وفيما بعد بمفرده هو الذي كان عليه أن يعطي لمذهب القائلين بتجديد العماد في مونستر ولعا ضاريا بالروح القتالية لم يستحوذ مثلها على أي مكان اخر ، وكان لها أن تثير تفجرا ثوريا الفيا أكثر ترويعا من ذلك الذي كان في طابور قبل ذلك بقرن.

مونستر كقدس جديدة

وخلال شباط ١٥٣٤ ، تزايدت قوة القائلين بتجديد العماد بسرعة في مونستر واقام بوكسلون على الفور علاقات مع قائد النقابات وراعي القائلين بتجديد العماد ، تاجر الأقمشة كنبردولنيك ، وتزوج ابنته بعد وقت قصير ، وفي ٨ شباط هرول هذان الرجلان في هياج في الطرقات وهما يدعوان الناس الى التوبة من ذنوبهم ، ولم يكن هناك حاجة للمزيد لاطلاق فيض من الهستريا ، ولا سيما بين النساءووضع القائلون بتجديد العماد ممن كانوا في البداية من اكثر اتباع روثمان حماسا ، والذين تضخمت أعدادهم مؤخرا بانضمام العديد من الراهبات اللواتي اندفعن من أديرتهن ، بملابس مدنية وخضعن لاعادة التعميد ، وبدأ هؤلاء النسوة الآن في رؤية إحلام رؤوية واخذن يندفعن الى الشوارع بشدة ، لدرجة أنهن كن يلقين بأنفسهن على الأرض وهن يصرخن ويتلوين والزبد يخرج من أفواههن ، وفي هذا الجو المشحون بالتوقعات الخارقة للطبيعة ، قام القائلون بتجديد العماد بثورتهم المسلحة الأولى واحتلوا مبنى البلدية وساحة السوق ، وكانوا ما يزالون قلة فقط ، وكان بالتأكيد يمكن هزيمتهم لو أن الغالبية اللوثرية رغبت في استعمال القوة المسلحة التي كانت تحت تصرفها ، لكن مجددي العماد امتلكوا مؤيديهم في المجلس ، وكانت حصيلة الثورة الاعتراف الرسمي بمبدأ حرية الضمير (ص ٢٦٢).

وهكذا كسب القائلون بتجديد العماد اعترافا قانونيا لجماعتهم

التي كانت بالفعل قوية ، وكان العديد من اللوثريين الموثـرين الذين نظروا بيقظة وحذر الى امكانية الضغط المتزايد باستمرار من قبـل خصومهم ، قد انسحبوا من المدينة مع كل منقولاتهم. وكانت غالبية السكان الباقين من القائلين بتجـديد العمـاد ، وأرسـل الرسـل والمبشرون لحث القـائلين بتجـديد العمـاد في المدن القـريبة على المجيء ، مع عائلاتهم الى مونستر ، فلقد قدر لبقية الأرض ـ كمـا اعلنوا ـ أن تدمر قبـل عيد الفصـح ، ولكن مـونستر سـتنجو وستصبح قدسا جديدة ، وسيكون الطعام واللباس والمال والاقـامة جاهزة للمهاجرين عند وصولهم ، ولكن عليهم جلب الأسلحة ،وقـد قوبلت الدعوة باستجابة قوية من خارج الوطن حتى بُعْدٍ وصـل الى فريزيا وبرابنت ، وتـدفق القـائلون بتجـديد العمـاد على مونستر ، حتى تجـاوز عدد القـادمين الجـدد عدد المهـاجرين اللوثريين ، ونتيجة لذلك تم انتخاب هيئة هيمن فيها القائلون بتجديد العماد في الانتخاب السـنوي لمجلس المدينة في ٢٣ شـباط ، وكان كينبردوليذك احد عمدتي المدينة ، وفي الأيام التـالية نهبـت الأديرة والكنائس ، وفي طقـوس ليلية حـطمت التمـاثيل الدينية ودمـرت منحوتات ورسومات وكتب الكاتدرائية.

وفي الوقت نفسه وصل جان ماتيس نفسه وكان شـخصيه نحيلة طويلة ، له لحية طويلة سوداء وبسرعة هيمن مع بوكاسن على المدينة ولم يستطع روثمان والوعاظ الآخرون من القائلين بتجـديد العمـاد المحليين الآخـرين المنافسـة ، على التـأييد الشـعبي « للأنبياء الهولنديين » وسرعان ما جرفتهم حركة مسعورة لم يعودوا قـادرين على السـيطرة عليهـا ، دع عنك مقـاومتها وعملوا كمجـرد دعاة مطيعين لنظام تـركزت فيه كل القـوة المؤثـرة في أيدي مـاتيس وبوكاسن.

وكان النظام ثيوقراطيا ابتلع فيه المجتمـع الملهـم مـن السـماء الدولة ، والرب الذي كان يفترض ، أن تلك الثيوقراطية تخدمه كان الرب الأب ، الأب الغيور القادر المهيمن الذي سيطر على خيال كثير

من الالفيين السالفين ، لقد كان الأب وليس الابن هـو الذي شـجع ماتيس وبوكلسن اتباعهما على مناشدته ، وكان من أجل أن يقـوم اطفال الرب بخدمة الأب متحدين أن قررا ايجـاد « قـدس جـديدة مطهرة من كل الدنس ». ولتحقيق هذا المجتمـع الطـاهر غير الملوث ايد مـاتيس اعدام كل اللوثـريين والكاثـوليك الرومـانيين الباقين ، ولكن كنبردوليذك بين أن هذا سيقلب كل العالم الخـارجي ضد المدينة وتقرر مجرد طردهم.

وفي صباح ٢٧ شباط اندفعت فرق مسلحة بتشجيع من ماتيس في هياج « نبوي » الى الشوراع تنادي:« اخرجوا ايهـا الكفـرة ، ولا تعـودوا ، انتـم يا اعداء الأب »(ص ٢٦٣)وفي البـرد القارس ، وسط عاصفة ثلجية جامحة ، طردت جموع مـن الكفـرة من المدينة من قبل القائلين بتجـديد العمـاد الذين كانوا يمـطرونهم بالضربات وكانوا يضحكون مـن محنتهـم. وكان بين هؤلاء الناس شيوخ ومرضى ، وأطفال صغار ونساء حوامل ونساء وضعن لتوهم احمالهن وجاء أغلبهم من اكثر الأجزاء رخاء من السكان ، ولكنهـم اجبروا على ترك كل ما يملكونه وراءهم من ممتلكات ومال ومـلابس اضافية ، وحتى الطعام اخذ منهم فهبـطوا الى حـد الشحـاذة في الريف من اجـل الطعـام والمأوى ، وبـالنسبة للوثـريين والروم الكاثوليك الذين بقـوا في المدينة ، فقـد أعيد تعميدهـم في سـاحة السوق ، واستمر الاحتفال ثلاثة ايام ، ومـاان انتهـى ، اصـبح البقاء بلا عماد اثمـا كبيرا ، وبحلول صـباح ٣ اذار لم يعـد هناك كفرة في مونتسر ، وكان سكان المدينة فقط من أطفال الرب ، وكان هؤلاء الناس الذين أخذوا يخـاطبون بعضـهم بعضـا « بـأخي - واختي » يعتقدون بأنهم يمكنهم العيش دون خطيئة في مجتمع مترابط بالحب وحده ،

وبانتزاع العناصر اللوثرية والكاثوليكية-الرومية من بين السكان لم يتأثر الأنبياء فقط بالعصبية بل أيضا بمعرفة أن مـونتسر كانت على وشك ان تحاصر ، ومع أن الأسقف قد تردد في منح الاعتـراف

الرسمي للمجتمع اللوثري فانه لم يكن مستعدا لفعل الشيء نفسه للقائلين بتجديد العماد . وعند كل مرحلة كان يحاول ايقاف تقدم القائلين بتجديد العماد ، وحالما أصبحت فكرة تجديد العماد حركة قتالية تحت قيادة الأنبياء استعد لسحقها بالقوة ، وعندما حمل القائلون بتجديد العماد للمرة الأولى السلاح واحتلوا ساحة السوق اسرع مع القوات الى المدينة ، وكان المجلس رفض مساعدته في هذه المناسبة ، وخلال الأسابيع التالية شرع في تكوين جيش من المرتزقة، وأسهمت المدن والامارات المجاورة بالسلاح والذخيرة والمؤن وأسهم بعضهم - مع أن ذلك كان على مضض وبشكل غير كامل - ايضا بالمرتزقة ولذلك عندما ادعى القائلون بتجديد العماد في دعايتهم بأنهم كانوا ببساطة يدافعون عن انفسهم ضد عدوان الروم الكاثوليك كانوا بلا شك صادقين تماما ، وماهو مؤكد هو ان طرد اللوثريين والروم الكاثوليك قد عجل بايجاد الخصومات ، وفي اليوم التالي ٢٨ شباط اهتزت الأرض حول المدينة وبدأ الحصار .

وكان جنود القائلين بتجديد العماد مدهوشين جدا اذ وجدوا انفسهم فجأة في حرب ، ولكن تحت قيادة كنبردولينك سرعان ما استعادوا ثقتهم بأنفسهم ، واستجابوا بشجاعة للتهديد ، وعين الضباط ونظمت المراقبة المنظمة نهارا وليلا ، وأوجدت خدمة نارية وحفرت الحفر (ص ٢٦٤) والخنادق للمدافع ، وقامت المتاريس الترابية خلف بوابات المدينة ، وخصص لكل رجل و امرأة وشاب واجب محدد ، وسرعان ماشنت غارات ضد القوات المحاصرة وجرت مناوشات ومصادمات خارج الأسوار ، وفي الوقت نفسه بدأت ثورة اجتماعية تحت قيادة جان ماتيس وكانت خطوته الأولى مصادرة ممتلكات المهاجرين ، ودمرت سندات الديون ودفاتر المحاسبة والعقود التي وجدت في بيوتهم ، ونقلت الملابس والفرش والأثاثات والمصنوعات الصلبة ، والأسلحة ومخزونات الطعام ووضعت في مستودعات مركزية ، وبعد ثلاثة ايام من الصلاة أعلن ماتيس اسماء سبعة « شمامسة » اختارهم الرب لادارة تلك المستودعات ، وشجع الفقراء على التقدم اليهم بالطلبات ، وحصلوا

على السلع التي يحتاجونها ، ومهما بلغت شعبية هذه التدابير لدى المتفقين فإن حقيقة أنها كانت تنفذ بناء على أوامر اجنبي ، قادم جديد الى المدينة ، اثارت الاستياء ، وتكلم حداد جهرا ضد ماتيس وأمر المتنبىء على الفور باعتقاله واخذه الى ساحة السوق ، واستدعى كل السكان ايضا الى هناك والقى ماتيس وهو محاط بالحراس خطابا أعلن فيه ان الرب كان غاضبا للافتراء على نبيه ، وأنه سينتقم من المجتمع كله اذا لم يستأصل هذا الحداد الكافر من جسم الشعب المختار ، والرعايا القلائل الذين احتجوا على عدم شرعية المحاكمة ، ألقى بهم في السجن ، وبادر ماتيس فطعن الحداد ثم أطلق عليه النار ، وهكذا تم تحذير الشعب للاستفادة من هذا المثل ، فأنشد الجميع بطاعة كاملة ترتيلة قبل ان يتفرقوا .

وبدأ الرعب ، وكان في جو من الرعب ان تقدم ماتيس لتنفيذ الشيوعية التي تأرجحت من قبل شهورا عديدة ، كرؤيا فاخرة في خيال القائلين بتجديد العماد ، وشنت حملة دعائية من قبل ماتيس وروثمان والوعاظ الآخرين ، وأعلن ان المسيحيين الحقيقيين يجب ان لايملكوا مالا خاصا بهم بل يجب أن تكون ملكية المال مشتركة ، وتبع ذلك أن كل المال وايضا كل الحلي الذهبية والفضية يجب أن تسلم ، وقوبل هذا الأمر في البداية بمعارضة ، وطمر بعض القائلين بتجديد العماد مالهم ، واستجاب ماتيس بتشديد الارهاب ، وجمع الرجال والنساء الذين عمدوا فقط في وقت الطرد معا ، وابلغوا أنه إذا لم يشأ الأب مسامحتهم فإنهم يجب أن يهلكوا بسيوف الصالحين ، ثم حبسوا بداخل كنيسة حيث بقوا في قلق عدة ساعات حتى انهارت معنوياتهم تماما ، وفي النهاية دخل ماتيس مع فرقة من الرجال المسلحين ، وكان ضحاياه (ص ٢٦٥) يزحفون في اتجاهه على ركبهم يتوسلون إليه كأثير عند الآب أن يشفع لهم . وكان يفعل ذلك أو يدعي فعله ، وفي النهاية كان يخبر الخائفين البائسين أنه قد كسب

المغفرة لهم ، وان الرب كان مسرورا بقبولهم في جماعة الصالحين ، وبعد تجربة التخويف هذه امكن لماتيس ان يشعر براحة أكبر حول الحالة المعنوية في القدس الجديدة .

واستمرت الدعاية ضد ملكية الأموال الخاصة اسابيع بلا توقف ، مصحوبة بكل تملق مغر وبأكثر التهديدات ترويعا ، وكان تسليم المال اختبارا لصدق المسيحية ، واولئك الذين أخفقوا في الاذعان أعلن انهم قابلون للابادة ويبدو أن بعض الاعدامات قد حدثت ، وبعد شهرين من الضغط المتواصل تم إبطال الملكية الخاصة للمال بصورة فعالة ، ومن حينه ومابعد كانت الأموال تستخدم فقط للأغراض العامة وتشمل المعاملات مع العالم الخارجي مثل : استئجار المرتزقة ، وشراء المؤن ونشر الدعاية . وتلقى الحرفيون في المدينة من جانب اخر اجورهم عينا وليس مالا ، ويبدو انهم لم يعودوا يتلقون اجورهم من مستخدمين خاصين بل من قبل الحكومة الثيوقراطية ، واتخذت أيضا خطوات لترسيخ الملكية المشتركة للسلع ، وعند كل بوابة مدينة اقيمت قاعة طعام مشتركة حيث قام الرجال الذين كانوا يؤدون الخدمة على الأسوار بتناول الطعام معا ، بصحبة تلاوة من العهد القديم ، وكانت كل قاعة في عهدة احد الشمامسة المعينين من قبل ماتيس ، وكان الشماس مسؤولا عن تقديم الوجبات ، وكانت الطريقة التي قام بها بذلك بوساطة زيارة المنازل الخاصة وتسجيل قائمة بالمواد الغذائية التي يجدها هناك ومصادرتها كما هو مطلوب ، وأيضا كانت الاقامة يجب أن توجد لجموع المهاجرين ، وفي البداية كان يعتبر كافيا أن تخصص لهم الأديرة والبيوت العائدة للوثريين والروم الكاثوليك ، ولكن فيما بعد غدا الامتلاك المحصور للاقامة يعتبر إثما ، وبات على ابواب جميع البيوت ان تترك مفتوحة نهارا وليلا .

وكانت كل هذه التدابير تلقى التحبيذ بالطبع في ظروف الحصار ومع ذلك من الخطأ بالتأكيد الايحاء ـ كما كان يحدث احيانا ـ أن الشيوعية في مونستر بلغت ذروتها بالمصادرة ولم تتجاوزها لمواجهة

متطلبات الحرب ، لقد كان إبطال الملكية الخاصة للمال ، وتقييد الملكية الخاصة للطعام والمأوى يرى كخطوات أولية نحو دولة - كما وصفها روثمان - كل شيء فيها ملك لكل فرد ، والتفرقة بين « لي » و « لك » ستختفي ، أو - كما عبر عنها بوكلسن فيما بعد - « كل شيء سيكون مشتركا ، ولن تكون هناك ملكية خاصة وان احدا لن يقوم بالعمل بعد ذلك ، بل ببساطة يضع ثقته في الرب »

وكان روثمان بعد كل شيء يتمسك (ص ٢٦٦) بأن الملكية المشتركة للأشياء مثالية لدى النخبة قبل التفكير في الحصار بزمان طويل ، والآن وفي خدمة « الأنبياء الهولنديين » طلب أن تترجم المثل نفسها إلى مؤسسة اجتماعية مقبولة من قبل الجميع على السواء ، ويظهر المزيج المألوف للألفية والبدائية بوضوح تام من الفقرة التالية من نشرة الدعاية التي أصدرها في تشرين أول ١٥٣٤ ، لتوزع بين جماعات القائلين بتجديد العماد في المدن الأخرى :

«الرب بيننا - له الحمد الدائم والشكر ، قد أعاد المجتمع ، كما كان في البداية وكما يليق بالقديسين التابعين للرب ، ونأمل أيضا أن يكون بيننا مجتمع بالقوة نفسها والبهاء وأن يكون بنعمة الرب ملحوظا بقلب نقي كما كان في أي وقت سالف . لأننا لم نضع فقط كل ممتلكاتنا في صندوق مشترك تحت رعاية الشمامسة ، بل نعيش منه وفق متطلباتنا : إننا نحمد الرب من خلال المسيح بقلب واحد وعقل ، ونتلهف على مساعدة بعضنا بعضا بكل أنواع الخدمة ، وبناء على ذلك إن كل شيء خدم أغراض الأنانية والملكية الخاصة ، مثل البيع و الشراء ، والعمل مقابل المال ، وأخذ الفائدة وممارسة الربا - حتى على حساب الكفار - أو أكل وشرب عرق الفقراء (بمعنى : جعل شعب المرء والمخلوقات التابعة تعمل حتى يسمن المرء) ، وفي الواقع كل شيء يسيء إلى الحب ويعارضه ، إن مثل هذه الأشياء جميعا قد ألغيت من بيننا بقوة الحب والمجتمع ، وبمعرفة أن الرب الآن يرغب في الغاء مثل هذه الأمور البغيضة وإننا لأن نموت خير من العودة إليها ، إننا نعلم أن مثل هذه التضحيات تسر الرب ، والواقع إن أي مسيحي أو قديس لايمكنه أن

يرضي الرب إذا لم يعش في مثل هذا المجتمع ، أو على الأقل يرغب من كل قلبه في العيش فيه » .

ولم تكن جاذبية النظام الاجتماعي الجديد بأي حال مثالية ، وسلفا قبل ذلك بعام ، اجتذبت جموع ممن لابيوت ولاأملاك لها من الناس إلى مونستر بأمل الثورة الاجتماعية . ولكن الثورة حدثت الآن ، والدعاية التي بعث بها القادة إلى مدن أخرى كانت تكمن في تعابير اجتماعية صرفة وتوجه بشكل خاص إلى أفقر الطبقات وجاء في إحدى الرسائل : « إلى الأفقر بيننا إلى الذين كانوا يزدرون كمتسولين ، تجولوا الآن وأنتم مكسوون بالنعومة نفسها الأعلى والأكثر تميزا .... وبنعمة الله لقد أصبحوا أغنياء مثلهم مثل السادة ، وأغنى الناس في المدينة » . ومامن شك أن أفقر الطبقات على مساحة واسعة كانوا حقيقة ينظرون نحو القدس الجديدة بمزيج من التعاطف ، والأمل ، والخشية .

وقد أمكن لأحد العلماء أن يكتب إلى اراسمس أوف روتردام : « إننا في هذه الأجزاء نعيش في قلق بائس بسبب الطريقة التي اندلعت بها ثورة القائلين بتجديد العماد . حيث أنها حقاقد هبت مثل النار ، وأعتقد أنه يندر أن توجد مدينة أو قرية لم تتوهج فيها الشعلة سرا ، إنهم يبشرون بمشاعية السلع إنهم يعظون بالاشتراك في السلع ، وكانت النتيجة أن (ص ٢٦٧) الذين لايملكون شيئا جاؤوا يتدفقون » ويبدو مدى الجدية التي أخذت بها السلطات هذا التهديد في التدابير القمعية التي تبنتها ، ولم تجعل فكرة القول بتجديد العماد إثما كبيرا فقط في أسقفية مونستر بل وفي الامارات المجاورة أيضا : دوقية كليفز ورئاسة أسقفية كولون ، وتجولت دوريات من الخيالة في الطرق واعتقلت كل المشبوهين ، وخلال شهور الحصار قطعت رؤوس رجال لاحصر لهم ونساء في المدينة ، أو أغرقوا أو أحرقوا أو حطموا على الدولاب .

ولكونها مؤيدة من انصاف المتعلمين وتروق دوما لهم ، كانت الثورة الاجتماعية في مونستر بعناد مضادة للثقافة ، وكان القائلون

بتجديد العماد يتباهون ببراعتهم من التعلم بالكتب ، واعلنوا أن غير المتعلمين هم الذين اختارهم الله لخلاص العالم .

وعندها نهبوا الكاتدرائية وجدوا بهجة خاصة في تدنيس ، وتمزيق وحرق الكتب والمخطوطات في مكتبتها القديمة ، وأخيرا في منتصف اذار حظر ماتيس كل الكتب سوى الانجيل ، وكل الأعمال الأخرى ، حتى تلك التي في الملكية الخاصة توجب أن تجلب إلى باحة الكاتدرائية لتحرق في محرقه عظيمة ، ورمز هذا العمل إلى القطيعة التامة مع الماضي ، وفوق كل شيء ، الرفض الشامل للعطاء الثقافي للاجيال السالفة ، وقد حرم بشكل خاص سكان مونستر من الوصول إلى القضايا اللاهوتية من الآباء وما بعدهم ، وبذلك ضمنوا لقادة القائلين بتجديد العماد احتكار تفسير الكتاب المقدس،ومع نهاية اذار أقام ماتيس دكتاتورية مطلقة ، ولكنه مات بعد بضعة أيام ، ففي عيد الفصح تلقى ما اعتقد أنه أمر إلهي للقيام بغارة على رأس مجرد حفنة من الرجال ، وخرج وهو مقتنع بأنه بمعونة الأب ستطرد هذه الحفنة الجيش المحاصر وتحرر المدينة ، وبدلا عن ذلك مزق هو رفاقه ـ بكل ماتعنيه الكلمة ـ إربا إربا ، وقد أعطى هذا الحدث مجالا لحواري ماتيس الشاب جان بوكلسون ، الذي حتى الآن لم يشغل دورا كبيرا ، ولكنه كان بكل طريقة مؤهلا للامساك بمثل هذه الفرصة واستثمارها كليا ، وكان لديه هو نفسه كل الأسباب للتلهف على تعويض ضخم عن الاذلال والاخفاق الذي تعرض له في حياته ، وكان قد ولد خارج إطار الزواج ، كابن لعمدة قرية هولندية وامرأة من الأقنان من وستفاليا ، وتلقى تعليما كافيا ليحرز معرفة سطحية بعلوم الكتب،ومع ذلك فقد بدأ حياته المهنية كخياط متدرب ، وعندما حاول أن يبدأ عملا تجاريا لحسابه أصابه الخراب في وقت قصير ، ومن جانب اخر كانت لديه مواهب ملحوظة كانت فقط تنتظر كي تظهر ، ولكونه موهوبا بمظهر رائع ، وبلاغة لاتقاوم فقد وجد منذ شبابه وما بعده متعة في الكتابة وكان ينتج المسرحيات ويمثل وفي مونستر كان قادرا على تشكيل الحياة الحقيقية في مسرحية ، كان هو بطلها ، وكانت أوروبا كلها هي

المشاهدين ، وكان سكان القدس الجديدة مبهورين به ، ومنحـوه في البداية إخلاصا أكبر مما منحوه لماتيس .

وفي استثماره لهذا الاخلاص اظهر بوكلسن نفسه كسياسي اكثـر من مـاتيس وكان لديه ذكاء اكثـر ، وعرف كيف يثير الحمـاس في الجماهير وكيف يستخدمه لأغراضه عندما يثور ، ومن جانب اخـر يبدو مؤكدا انه هو نفسه كان سهل التأثر (ص ٢٦٨) بـالحماس الصوفي الظـاهري . وعندمـا أعلن فـاركان قـد عاد إلى المدينة كجاسوس انه قد تم إحضاره بـوساطة الملائكة ، صـدقة بـوكلسن ووثق به على الفور ، وعلاوة على ذلك ادعى هو نفسـه انه أوحـي إليه مرارا ويكون من التهور افتراض ان هـذا كله كان مـن نسـج خياله ، فعندما كان وجها لوجـه مـع الموت ، أعلن انه كان يلتمس دائما بهاء الرب ومجـده ، وربمـا كان غير كاذب ، ففـي الواقـع ــ مثل كثير من المتنبئين الآخرين من تاذشيلم وما بعده ــ يبـدو أن بوكلسن كان مصابا بجنون العظمة ، وسلوكه لايمكن تفسيره تماما ببساطة كتعصب مخلص ولاببساطة كنفاق محسوب ، وما يلي هـو على الأقل مؤكد : إنها لم تكن شخصية عادية أو شـائعة تلك التـي امكنها أن تغري مدينة صغيرة تضم نحـو ١٠٠٠٠ مـن السـكان منهم ١٥٠٠ فقط كانوا قادرين على حمل السلاح ، على الصمود ضد ائتلاف الامارات وخلال صعوبات مروعة لنحو مايزيد عن سنة . وكان أول عمل هام لبوكلسن ــ بشكل مميز ــ عملا دينيا وسياسيا في الوقت نفسه ، ففي وقت مبكر من ايار ركض عاريا عبر المدينة في هياج ثم سقط في غيبوبة وجد صامت استمر ثلاثة أيام ، وعندما عاد إلى الكلام دعا السكان جميعـا ، وأعلن أن الرب قـد كشـف له أن الدستور القديم للمدينة ، بما انه من عمل الانسان يجب أن يسـتبدل بواحد جديد ، يكون من عمل الرب ، وأعفى الرؤساء والمجلس مـن أعمالهم ، واقام بوكلسن نفسه مكانهم مع ــ حسبما حكى الكتـاب المقدس عن بني اسرائيل ــ اثني عشر من الشيوخ ، ومن الأدلة على ذكائه السـياسي ان الشـيوخ ضـموا بعض المخلوعين مـن المجلس السـالف ، وممثلين عن النقـابات ، وعضـو عن الارسـتقراطية

المحلية ، وبعض المهـاجرين مـن الأراضي المنخفضـة ، وأعطيت الحكومة الجديدة سلطة على كل الأمور العـامة والخـاصة الروحية والمادية وسلطة الحياة والموت على كل السـكان في المدينة ، واشـتق تشريع قانوني جديد كان يهدف جزئيا إلى التوسع في عملية التحويل الاشتراكي ، وجزئيا لفرض أخلاقية تـطهيرية صـارمة ، وادخلت الادارة الصارمة للعمـل ، والحـرفيون الذين لم يجندوا في الخـدمة العسكرية أصبحوا موظفين عامين ، يعملون من أجل المجتمـع ككل دون مقابل مالي ، وهو ترتيب حرم بالطبع (ص ٢٦٩) النقـابات من عملها التقليدي وأدى بسرعة إلى اختفائها ، وفي الوقت نفسه لم تجعل القوانين الجديدة فقط من السرقة والقتل جـريمة كبـرى بـل أيضا من الكذب وتشويه السمعة ، والبخل والشجار ، ولكن فوق كل شيء لقد كان قانونا مطلق الصلاحيات ، وكان الموت عقـوبة لكل نوع من العصيان : من الصغار ضد واليهم ، من الزوجـة لزوجهـا ، أو لأي انسان ضد الرب وممثلي الرب ، حكومة مـونستر ، وتلك المواد الأخيرة يحتمل أنه لم يمكن تنفيذها حـرفيا ، ولكنهـا كانت تـوفر للمتنبىء وسيلة للتخويف ، ولضمان أن تـكون وسـيلة فعـالة عين كينبردولينك جلادا وأعطي سيف العدالة وحراسة مسلحة .

وكان السلوك الجنسي في البداية منظمـا بـالصرامة نفسـها لكل نواحي الحياة الأخرى ، والصورة الوحيدة المسـموح بهـا للعـلاقة الجنسية كانت الزواج بين اثنين من القائلين بتجديد العماد ، والزنا والفسق ــ الذي اعتبر يشمل الزواج بواحد من الكفرة ــ كان مـن الجرائم الكبرى ، وكان هذا يتماشى مـع تقـاليد القـائلين بتجـديد العماد.ومثل الوالدنسيان في القرون المبكرة التزم القـائلون بتجـديد العماد بقانون أشد صرامة ، للاخلاقيات الجنسية أكثـر مـن اغلب معاصريهم . ووصل هذا النظام إلى نهاية مقتضبة وذلك عندما قـرر بوكلسن إباحة التعدد في الزواج ، ومرد امـكانية القيام بمثـل هـذا العمل يمكن إرجاعها إلى حقيقة أن كثيرا من المهـاجرين كانوا قـد تركوا نساءهم وراءهـم في المدينة ، حتـى أنه كان هناك الآن مـن الرجال على الأقل ثلاثة أضعاف النساء اللواتـي في سـن الزواج ،

ومن جانب آخر ليس هناك دليل يدعم فكرة أن قصد بوكلسن كان توفير الحماية لنساء كن بالفعل بلا حماية ، ولم يقترح شيء من هذا النوع مطلقا بتجديد العماد الآن في مونستر ، كان في الواقع هو نفسه الذي كان في قرون سالفة قد تم السير عليه من قبل أخوة الروح الحرة والادامايتيين،وقد شرح للوعاظ والشيوخ المجتمعين كيف أن الرب قد أوحى له بأن الوصايا التوراتية (بالتزايد والتكاثر) يجب أن تؤخذ كأمر إلهي . وقد أعطى أنبياء بني إسرائيل مثالا جيدا ، فتعدد الزوجات الذي مارسوه يجب أن يستعاد في القدس الجديدة

وجادل بوكلسون أياما بغير انقطاع ، وفي النهاية هدد المنشقين بغضب الرب ، وبعد ذلك خرج الوعاظ طائعين ليفسروا المذهب الجديد في باحة الكاتدرائية ، ومثل الاشتراك في السلع قوبل تعدد الزوجات بمقاومة عندما قدم للمرة الأولى ، وكان هناك ثورة مسلحة القى خلالها بوكلسن ، وكنيبر دولنيك في السجن ،إنما لكون الثوار كانوا اقلية صغيرة فقط ، فإنهم هزموا سريعا وأعدم نحو الخمسين منهم ، وأعدم خلال الأيام التالية أيضا عدد آخر ممن غامر بنقد المذهب (ص ٢٧٠) الجديد ، وبحلول أب توطد تعدد الزوجات ، وبدأ بوكلسن الذي ترك زوجة في لايدن بالزواج من أرملة ماتيس الجميلة الشابة ، وكان اسمها دييفر أو ديفارا ، وقبل أن يمضي وقت طويل كان لديه حريم يضم خمس عشرة زوجة،وحذا الوعاظ وكل السكان الذكور في حينه حذوه وبدأوا يتصيدون زوجات جديدات ، وبالنسبة للنساء مع أنه كان هناك عديدات ممن رحبن بعادة تعدد الزوجات كان هناك أخريات شكل بالنسبة لهن طغيانا كبيرا ، وسن قانون بموجبه كان على كل النساء تحت سن معينة أن يتزوجن شئن أم أبين ، وحيث أنه كان هناك قليل من الرجال غير المتزوجين ، كان هذا يعني أن عددا كبيرا جدا من النساء كن ملزمات قانونيا بقبول دور الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ، علاوة على ذلك بما أن كل الزيجات « بالكفرة » قد أعلن بطلانها فإن زوجاتا لمهاجرين أكرهن على خيانة أزواجهن ، وكان رفض الاذعان للقانون الجديد إثما كبيرا ، وجرى بالفعل إعدام بعض النساء ومن

جانب اخر بدا العديد من الزوجات المستقرات على الفور بالشجار مع النساء الغريبات اللائي دخلن بيوتهن فجأة ، وكان هذا أيضا إثما كبيرا ، وادى إلى مزيد من الاعدامات ولكن لايمكن لأي قدر من الصرامة أن تكره على الانسجام المنزلي ، وفي النهاية كان لابد من السماح بالطلاق ، وهذا بدوره حول تعدد الزوجات إلى شيء لايختلف كثيرا عن الحب الحر ، وقد تم الاستغناء عن الاحتفال الديني بالزواج واصبح الزواج يتم بعقد ويحل بسهولة كبيرة ، وحتى لو اسقطنا كثيرا من الروايات المعادية التي نملكها على أنها مبالغة ، فإنه يبدو مؤكدا أن معايير السلوك الجنسي في مملكة القديسين قد عبرت كامل القوس من التطهر الصارم ، إلى مايقرب من العلاقات غير الشرعية .

ولم تبعد إعادة تنظيم المجتمع في مونستر بوكلسن عن الدفاع عن المدينة ضد العدو الخارجي ، وصحيح أنه لعدة شهور لم يكن العدد هائلا جدا ، ذلك أن الأسقف قد وجد صعوبة كبيرة في القيام بأعمال حربية فعالة ، وكانت المساعدة التي تلقاها من حلفائه في كليفز وكولون قد جاءت على مضض ولم تكن ابدا كافية ، وكان عليه دائما أن يناشد من أجل مزيد من المال والقوات ، ولكون غالبية مرتزقته قد جاءوا مثلهم مثل غالبية القائلين بتجديد العماد ومن الطبقة الاجتماعية نفسها ، كانوا دائما مستعدين للتعاطف مع السكان المحاصرين ، وحقيقة أن أجورهم كانت تصل بصورة غير منتظمة جعلتهم غير قابلين للاعتماد عليهم اكثر ، لاسيما عندما عرض بوكلسون بفكره الثاقب ــ وفي تعارض صريح مع نظريته الشيوعية ــ عليهم دفعات منتظمة ، وقد احدثت المنشورات التي اطلقها القائلون بتجديد العماد في معسكر العدو الأثر المطلوب . ففي خلال حزيران انتقل نحو ٢٠٠ من المرتزقة إلى صفوف القائلين بتجديد العماد في حين أن اخرين فروا ببساطة وعادوا إلى بيوتهم . (ص ٢٧١)

وبالمقارنة مع المحاصرين كانت الحملة قوة عسكرية منظمة ،

وكان هذا في الأساس إنجازا شخصيا لبوكلسن ، وخلافا لماتيس فإنه ـ مع كل تهوره ـ لم تغب عن نظره الحقائق المادية للأعمال الحربية ، ولابد أنه كان منظما مقتدرا جدا ، وعندما قصفت المدينة للتحضير للهجوم ، عملت النساء كل الليل لاصلاح الأسوار المعطوبة ، وعندما حاول المرتزقة الاستيلاء على المدينة بهجوم عاصف استقبلوا ليس بطلقات المدافع بل بالأحجار ، والماء المغلي والقار الملتهب ، ومن جانب اخر عندما قام المحاصرون بغارة شتتوا المرتزقة بغير نظام بل حتى أنهم تمكنوا من تعطيل كثير من المدافع ، وضمن المدينة كان النظام مفروضا بصرامة ، وكان لكل فرد مهمة أساسية مخصصة ، كحرفي أو في الصيانة والاصلاح للتحصينات ، وكان هناك تفتيش منتظم على الحراسة فوق الأسوار من قبل الشيوخ نهارا وليلا ، وعندما ثمل بعض المرتزقة ـ ممن التحقوا بالمدينة ـ في إحدى الحانات أطلق عليهم النار ، وفي إحدى المناسبات حاول الأسقف تقليد تقنيات بوكلسن وأطلق منشورات من فوق الأسوار يعد فيها بأنه إذا استسلمت المدينة سيكون هناك عفو عام ، رد بوكلسن على الفور فجعل قراءة مثل هذه المنشورات خطيئة كبرى .

وكانت هيبة بوكلسن في الذروة ، في نهاية آب ١٥٣٤ ، وصد هجوما كبيرا بفعالية ، حتى أن الأسقف وجد نفسه فجأة مهجورا من قبل كل من أتباعه والمرتزقة ، وكان حسنا لو أن بوكلسن نظم غا رة اذ ربما تمكنت قواته من الاستيلاء على معسكر الأسقف ، ولكنه عوضا عن ذلك استغل الفرصة لاعلان نفسه ملكا.

الحكم المسائحي لجون أوف لايدن

إنه ليس كملك عادي بل كمسيح للأيام الأخيرة كان بوكلسن قد فرض نفسه ، وكي يحقق ذلك توسل لوحي إلهي أخر ـ اعتقد أو لم يعتقد فيه ـ وبطريقة أكثر درامية من المعتاد ، ففي بداية أيلول أعلن صائغ من مدينة مجاورة يدعى دوزنتسكر نفسه كنبي جديد ، وفي

احد الايام اعلن هذا الرجل في الميدان الرئيس أن الأب السماوي قد اوحى له أن بوكلسن سيكون ملكا على العـالم كله ، وسـيسود على كل الملوك ، والأمراء وعظمـاء الأرض ، وأنه سـيرث الصـولجان والعرش الذي كان لجده داود وسيحتفظ بهمـا حتـى يسـترد الرب المملكة منه ، وبناء عليه أخذ دوزنتسكر سيف العدالة مـن الشـيوخ وقـدمه إلى بـوكلسن ، ودهنه بـالزيت المقـدس ، وأعلنه ملكا على القدس الجديدة ، وسجد بوكلسن وهو يشكو من عدم جدارته ، ودعا الرب أن يهديه في مهمته الجديدة ، ثم توجه إلى الجمهـور المحتشـد قائلا : « بطريقة مماثلة كان داود ، راعيا متواضعا ، مسحه النبـي بأمر من الرب ليكون ملكا لبني اسرائيل ، إن الرب كثيرا مـا يفعـل بهذه الطريقة ، وكل من يقاوم إرادة الرب يستنزل غضـب الرب على نفسه ، لقد أعطيت الآن سلطة على كل أمم الأرض ، وحق استعمال السيف لارباك الأشرار ، ودفاعا عن الصالحين ، فلا تدعوا أحدا في هذه المدينة يلوث نفسه بالجريمة أو يقاوم مشـيئة الرب ، وإلا فإنه بلا تأخير سيلقى الموت بالسيف » وتصاعدت همهمة احتجـاج مـن الحشد وتابع بوكلسن : « عار عليكم أن تهمهمواضد القضاء الالهي للرب ! ومع أنكم ستنضمون معا لمعارضتي ، فإنني سأحكم مع ذلك ، رغما عنكم ، ليس فقط في هذه المدينة بل على العالم كله ، لأن الرب هكذا شاء ، ومملكتي التي تبدأ الآن ستدوم ولن تعرف السقوط » ! وبعد ذلك تفرق الناس في صمت إلى بيوتهم ، وللأيام الثلاثة التـالية القى الوعاظ موعظة تلو الأخرى أوضحوا فيها أن المسيح الذي تنبأ به الأنبياء في العهد القديم لم يكن سوى بوكلسن .

وفعل الملك الجديد كل مايمكن لتأكيد الأهمية الفـريدة لاعتـلائه العرش وأعطيت الشـوارع والبـوابات في المدينة أسـماء جـديدة ، وابطلت أيام الآحاد والأعياد وأعيدت تسمية أيام الأسبوع على نظام ابجدي ، حتى اسماء حديثي الولادة تم اختيارها من قبل الملك وفـق نظام خاص ، ومع ان النقود لم يكن لها عمل في مونستر فقد أوجدت عملة جديدة تزيينية بحتة ، «سكت العملات الذهبية والفضية وعليها نقوش تلخص كل التخيلات الالفية » التي أعطتالمملكةمعناها مـن

ذلك :« لقد أصبحت الكلمة لحما يسكن فينا » ، « ملك واحد فوق الجميع ، رب واحد عقيدة واحدة ، عماد واحد » ، وصمم شعار خاص ليرمز إلى ادعاء بوكلسن بالسيادة الروحية والدنيوية المطلقة على العالم كله كان عبارة عن كرة تمثل العالم يخترقها سيفان (كان يمسك بهما انذاك البابا والامبراطور) ويعلوها صليب حفرت عليه الكلمات : « ملك واحد للصلاح فوق الجميع » ، وكان الملك نفسه يرتدي هذا الشعار ، وقد صيغ من الذهب وكان يتعلق بسلسة من الذهب في عنقه ، وكان مرافقوه يرتدونه كشارة مميزة على أكمامهم ، وكان مقبولا في مونستر كشعار للدولة الجديدة .

وكان الملك الجديد يرتدي حللا فخمة وخواتم وسلاسل ، ومهاميز من انفس المعادن صاغها أمهر الحرفيين في المدينة وجند علية القوم وتم تعيين نبلاء حملة للسلاح و عينت أرتال من الضباط في البلاط ، وفي كل مرة ظهر فيها الملك على الملا كان محاطا بحاشيته بملابسهم الفخمة ايضا ، وأعلنت ديفارا باعتبارها زوجة بوكلسن الرئيسة ملكة ، وكان ايضا لها حاشيتها (ص ٢٧٣) واحتفظت مثل زوجها ببلاط ، أما الزوجات الأقل شأنا ، ولم تكن اي منهن أكبر من عشرين سنة فقد أصبحن اتباعا لديفارا ، وكان عليهن ان يطعن اوامرها ، ولكن مع ذلك كن يزودن بملابس جميلة ، ولقد كان بلاطا مترفا ضم نحوا من ٢٠٠ ذاك الذي ازدهر في القصور المصادرة من قبل الكاتدارئية .

نصب عرش في ساحة السوق ، زين بأقمشة منسوجة بخيوط ذهبية وارتفع فوق المقاعد المحيطة به ، والتي خصصت لأعضاء المجلس الملكي والوعاظ ، وأحيانا كان الملك يأتي إلى هناك ليجلس للقضاء او ليشهد اعلان القوانين الجديدة ، وكان يعلن عن مقدمه بنفخ الأبواق ساعة وصوله على ظهر حصان ، وهو يلبس تاجه ويحمل صولجانه ، ويسير ضباط البلاط بين يديه ، وخلفه يأتي كنيبر دوليذك ، الذي أصبح الآن رئيسا للوزراء وروثمان الذي أصبح الناطق الملكي ، وخط طويل من الوزراء ورجال البلاط والخدم ،

وكان الحرس الملكي يصحب الموكب ويحميه ويشكل نطاقا حول الساحة أثناء جلوس الملك على العرش ، وعلى كلا جانبي العرش يقف وصيفان ، يحمل أحدهما نسخة من العهد القديم - ليبين أن الملك كان خليفة داود ومخولا بسلطة التفسير الجديد لكلمة الرب - والآخر يحمل سيفا مجردا .

وبينما كان الملك يتوسع في هذا الطراز الفخم للحياة لنفسه ولزوجاته واصدقائه ، كان يفرض على الجماهير من الناس تزمتا صارما ، وكان الناس بالفعل قد سلموا مايملكونه من ذهب وفضة وخضعوا لمصادرة الاقامة والطعام ، والآن أعلن النبي دوزنتسكور فجأة انه قد أوحي له أن الأب يبغض كل زيادة في اللباس ، وقننت الملابس والفرش بشدة بناء على ذلك ، وبناء على أوامر الملك توجب تسليم كل فائض تحت طائلة الموت ، وفتش كل بيت وجمعت حمولة ثلاث وثلاثين عربة من فائض اللباس والفراش . ووزع بعضها على الأقل على مايبدو على المهاجرين من هولندا وفريزيا ، وعلى المرتزقة الذين جاءوا من الجيش المحاصر ، ولكن هذا لم يشكل تعزية للمواطنين العاديين في مونستر ، الذين كانوا متأثرين اكثر بالتضاد بين حرمانهم وعوزهم ، والترف غير المحدود للبلاط الملكي .

وادرك بوكلسن أن حتى هيبته الكبيرة لن تضمن بذاتها قبول إذعان المحرومين من المزايا في النظام الجديد ، فاستخدم تقنيات مختلفة ليحتفظ بخضوع الجماهير ، وبلغة جديرة بأي تابع للروح الحرة شرح أن الأبهة والترف كانت مباحة له ، لأنه كان ميتا تماما بالنسبة للدنيا والجسم . وفي الوقت نفسه أكد للعوام من الناس أنه قبل مضي وقت طويل (ص ٢٧٤) سيكونون هم ايضا في الحالة نفسها ، يجلسون على مقاعد من فضة ويأكلون على موائد من فضة ، وسيكو ن تملك هذه الأشياء سهلا لأنها ستكون برخص الطين والحجارة ، وبشكل عام اصبحت النبوءات والوعود الألفية مثل تلك التي أبقيت من قبل المدينة في حالة من الاثارة لمدة تزيد عن عام ، اصبحت الآن تقلق أكثر وأكثر وبشدة أعظم ، وفي تشرين أول

أصدر روثمان نشرتـه« الرّجـوع »وفي كانون اول « اعلان الانتقـام»
وتظهر هذه الوثـائق بـوضوح كاف كيف كان اهـالي مـونستر
يشجعون على أن يتنبهوا الى دورهم ومصيرهم.

وفي تلك الأعمال ظهرت التخيلات المتعلقـة بـالعصور الثـلاثة في صورة جـديدة ، العصر الأول عصر الخـطيئة وقـد دام حتـى الطوفان ، والعصر الثاني كان عصر الاضطهاد والصليب ودام حتى الوقت الراهن ، وقـدر أن العصر الثـالث سـيكون عصر الانتقـام وانتصار القديسين ، وشرح ان المسيح قد حاول مرة أن يرد العـالم الخاطيء الى الحقيقة ، ولكن بدون نجاح مستديم ، وعلى مدى قرن اضعفت تلك المحاولة من قبل الكنيسة الكاثوليكية ، وتبع ذلك اربعة عشر قرنا من التراجع والخراب ، كانت النصرانية خلالها واقعة بلا حول في الأسر البابلي ، ولكن زمن المحنة الآن قد بلغ نهايته ، وكان المسيح على على وشك العودة ، وفي الاعداد لهذه العـودة أقـام أولا مملكته في مدينة مونتسر وأقام عليها داود الجديد ، جان بوكلسن وفي تلك المملكة تكون كل نبوءات العهد القديم قد تحققت بشـكل مسـبق وتم تجاوزها ، وتحققت استعادة كل الأشياء ، ومـن هـذه المملكة يجب ان يتقدم شعب الرب ، ويستخدم سيف العدالة ليوسـع المملكة حتى تضم العـالم كله :« حـظيرة ـ غنم واحـدة ، وقـطيع واحد ، وملك واحد » ، وكانت مهمتهم المقدسة هي تطهير العالم من الشر للتمهيد للمجيء الثـاني :« ان مجـد كل القـديسين في شـفاء الغليل بالانتقام .... الانتقام بلا رحمـة مـن كل مـن لايحمـل علامة (القائمين بتجديد العماد) » وفقط عندمـا يتحقـق القِتـل العظيم تكون عودة المسـيح ، ليتـولى الحسـاب وليعلن مجـد كل القديسين ، وعندها حقا تظهر سماء جـديدة وأرض جـديدة فيهـا يتحرر القـديسون ـ أو أبناء الرب ـ مـن عبـوديتهم الطـويلة للأشرار ، ويعيشون دون بكاء وتنهد ، وفي ذلك العالم لن يكون بعـد الآن اي امـراء او لوردات وكل الأشـياء سـتكون ملكية مشتركة ، والذهب والفضة والجـواهر الثمينة لن تـرضي بعـد ذلك

غرور الأغنياء ، بل فقط مجد أطفـــال الرب ، لأن هؤلاء هـــم الذين كان لهم ميراث الأرض .

وقد دعمت هذه الوعود وصورت بأعمال دراماتيكية مثيرة ، وفي تشرين (ص ٢٧٥)أول أعلن النبي دوزنتسكر فجأة أن بـوق الرب سيدوي ثلاثا ، وفي النفخة الثالثة يجب أن يجتمع كل سـكان المدينة عند جبل صهيون ،(الاسم المستعار لباحة الكاتدرائية)،وكان على الرجال ان يحضروا وهم مسلحون ولكن عليهم ان يحضروا نساءهم واطفالهم ايضا ، وسـيسير أطفـال الرب معـا الى خـارج المدينة وسيكونون موهوبين بقوى فوقالطبيعة حتى ان خمسة منهم يمـكنهم قتل مائة من الأعداء وعشرة يمكنهم قتـل الف ، وسـيهرب العـدو امامهم

وهـــكذا يمـــكنهم السـسير وهــــم منتصرون الى الأرض الموعودة ، وسيعمل الرب على ان لايعانوا من الجوع او العطش او التعب في رحلتهم ، وقد صدحت الأبواق فعلا ، ولكن الذي نفخ فيها هو دوزنتسكر نفسه ، على فترات كل اسـبوعين وكان الاخفـاق في اطاعة النبي انتحارا ، لهذا عندما دوى البوق للمرة الثالثة جـاء كل الناس حتى النساء الذين لديهن اطفال حـديثوا الولادة جـاءوا الى مكان اللقاء . وجاء الملك ايضا وهــو شـاكي السـلاح على ظهـر الحصان ، فكان يرتدي تاجه ومحـاطا بحـاشيته ، وعين ضـباط لقيادة جيش الرب ، ولكن في اللحـظة الأخيرة الغيت الحملة فجـأة وأعلن الملك انه أراد مجرد اختبارولاء شعبه ، وأنه وقـد رضي الآن تماما لذلك فإنه يدعو الجميع الى وليمته ، وجلس كل رجـل ومعـه زوجاته واقيمت وليمة تحت رعاية الملك والملكة الكريمـة ، وانتهـت باحتفال مناولة ، وزعت فيه ارغفة صغيرة وجرعات من النبيذ مـن قبـل الملك والملكة وأعضـاء المجلس الملكي ، بينمـا كان الوعاظ يفسرون معنى هذا القربان ، ثـم جـاء وقـت عشـاء الملك والبلاط ، وبعد العشاء تصرف الملك بوحي مفـاجيء ، وأرسـل في طلب أسير من المرتزقة من السجن وقطع رأسه .

ارهاب كان لوقت طويل سمة مألوفة للحياة في القدس الجديدة ، وازداد شدة خلال حكم بوكلسن ، وخلال بضعة ايام من اعلانه الملكية ، اعلن دوزنتسكر انه قد اوحي اليه انه في المستقبل ان كل من امعنوا في الخطيئة ضد الحقيقة المعروفة يجب أن يحضروا امام الملك ويحكم عليهم بالموت ، ويجب استئصالهم من الشعب المختار ، ويجب ان تقتلع ذكراهم ، ولن تلق أرواحهم رحمة بعد القبر ، وخلال يومين بدأت الاعدامات ، وكانت الضحايا الأولى نساء ، قطع رأس واحدة بسبب انكارها حقوق الروجية على زوجها ، وثانية بسبب زواجها من اثنين ـ لأن ممارسة تعدد الزوجات كان بالطبع امتيازا محصورا بالذكور ـ وثالثة لاهانتها واعظا والسخرية من مذهبه ، وربما حققت هذه الأحكام للملك الجديد ارضاء لساديته كما عملت بالتأكيد على تعزيز هيمنة الذكور على القديسات من الاناث ، ولكن كان للارهاب أهداف أوسع من ذلك ، لقد كان فوق كل شيء سلاحا سياسيا يستعمل من قبل طاغية اجنبي ضد السكان الوطنيين ، وكان بوكلسن يقظا وحذرا في بناء حرسه من المهاجرين ، هؤلاء الناس الذين اما انه ليس لديهم ممتلكات ، او انهم(ص ٢٧٦) تركوها وحضروا الى مونستر فكانوا مخلوقات بوكلسن ، وكانوا يقفون او يقعون معه وطالما انهم كانوا يخدمونه فإنهم كانوا يضمنون التمتع بمزايا هائلة ، فيرتدون حللا فاخرة يمكنهم أن يتباهوا بها على أصحاب الملابس الفقيرة ، وكانوا أيضا يعرفون انه اذا جاء الجوع فإنهم سيكونون هم آخر من يعاني منه ، وكانت اول اعمال الملك مصادرة كل خيل الركوب وتحويل حرسه الى سرايا راكبة ، وكانت هذه السرايا تتدرب علنا ، وكان السكان سريعين في معرفة انها قوة مسلحة يمكن استخدامها ضد العدو الداخلي ، كما يمكن استخدامها ضد عدو من خارج الأسوار .

وبالنسبة للمجتمع المعاصر ككل كان تأسيس الملكية مفجعا بكل طريقة ، وفي حين أن بوكلسن والقادة الآخرين كانوا مستغرقين في

اعداد البلاط الملكي وفي زيادة مزاياهم الخاصة وضمانها فأتتهم اكثر اللحظات مناسبة لشن حرب حاسمة ، فقد صحا الأسقف من هزيمته ، وخلال اسابيع قليلة كانت المدينة محاصرة مرة اخرى ، وفي الوقت الذي دعا فيه دوزنتسكر السكان للسير الى خارج المدينة ، كانت هذه المهمة قد اصبحت عملا انتحاريا ، وقد ادرك بوكلسن هذا جيدا بلا شك : اذ بينما كان يتحدث عن التقدم لغزو العالم ارسل دعاية للقائلين بتجديد العماد في المدن الأخرى بهدف إثارتهم لاغاثة مونتسر ، وفي نهاية المأدبة الكبرى على جبل صهيون ، تلقى دوزنتسكر ايضا وحيا آخر ، خرج نتيجة له هو وستة وعشرين واعظا « كرسل » الى المدن المجاورة ، واثقا من أن اي مدينة سترفض الترحيب بهم سيبتلعها الجحيم فورا ، وتصرفوا بثقة عظيمة ووعظوا بمذهبهم علنا ، وفي البداية أحرزوا بعض النجاح ، ولكن السلطات تدخلت بقوة وقبل مضي وقت طويل أعدم « الرسل » مع العديد من القائلين بتجديد العماد من العناصر المحلية التي رحبت بهم .

وعندما علم بوكلسن بحصر « رسله » تخلى عن العمل العلني لصالح التحريض التآمري ، ويبدو أن كثيرا من الذهب والفضة المصادرة قد جرى تهريبه الى خارج مونتسر وسويسرا ، ولم تعط هذه الخطة نتيجة تذكر ، ولكن في الوقت نفسه هربت الوف من منشورات روثمان الى الخارج ووزعت في هولندا وفريزيا واحدثت هذه الدعاية تأثيرا هائلا وخطط لثورات جماهيرية بين القائمين بتجديد العماد ، وفي كانون الثاني ١٥٣٥ اجتمع الف من القائلين بتجديد العماد مسلحين في اقليم غرونينغن تحت قيادة نبي دعا نفسه « المسيح » ابن الرب (ص ٢٧٧) واعتزم هؤلاء الرجال المسير نحو مونستر باعتقاد ان بوكلسن سوف يأتي للقائهم وأن العدو سيهرب عند اقترابه ، وكانت النتيجة هزيمتهم وتشتتهم أمام قوات دوق جلدرلاند ، وفي آذار استولى نحو ٨٠٠ من القائلين بتجديد العماد على دير غرب فريزيا واحتفظوا به في وجه قوة من المرتزقة بقيادة نائب رئيس السلطة الامبراطورية ، ولم يتم القضاء

عليهم الا بعد قصف شديد وهجمات متكررة ، وفي الوقت نفسه أوقفت ثلاث سفن مليئة بالقائلين بتجديد العماد وهي في طريقها صعودا في نهر ايجيسل Ijsel واغرقت مع شاغليها جميعا ، وفي أذار أيضا تراس احد القائلين بتجديد العماد من مندن افقر قطاع من السكان وحاول تأسيس قدسا شيوعية جديدة على نموذج مونستر ، وتم التعامل مع هذه الثورة من قبل مجلس المدينة ، الذي هدد باستخدام المدافع ، ولكن في وقت متأخر بلغ أيار ، كان مبعوث من مونستر قادرا على قيادة ثورة في امستردام استولت على دار البلدية ، ولم يتم اخمادها الا بعد قتال مرير ، وكان هدف كل أعمال العصيان هذه هو الذي حدده بوكلسن ، وكان مايزال هو الهدف نفسه الذي ألهم هذه الأعداد الكبيرة من الحركات الألفية من حين أيام الرعاة : « قتل كل الرهبان والكهنة والحكام الموجودين في العالم ، لأن ملكنا وحده هو الحاكم العادل » وليس هناك من شك أن ثورات القائلين بتجديد العماد في الشهور الأولى من ١٥٣٥ ربما كانت اكثر خطورة مما كانت لو أن الخطط مع الكثير من أسماء المتآمرين ومواقع اكداس الذخيرة ، لم تتعرض للخيانة لدى السلطات في وقت سالف في بداية كانون الثاني ، وهي على اي حال برهان أخر على الاخلاص الذي يمكن للقدس الجديدة ان تحدثه وتحشره بين القائلين بتجديد العماد ، وعامة الناس في شمال غرب المانيا والأراضي المنخفضة .

وفي الوقت نفسه ضاعف الأسقف من جانبه من جهوده لاخضاع المدينة ، وفي نهاية ١٥٣٤ اتفق ممثلون عن ولايات الراين الاعلى والأدنى ، واجتمعوا في كوبلنز Koblenz على الامداد بالقوات والمعدات والتمويل اللازم لجعل الحصار فعالا حقا ، وطوقت مونتسر بالخنادق والتحصينات وبخط مزدوج من المدفعية والفرسان ، وهكذا أصبحت للمرة الأولى مقطوعة تماما عن العالم الخارجي ، وعندما ــ بناء على قرار المجلس التشريعي الامبراطوري المنعقد في ورمر Worms في نيسان ــ تعهدت كل الولايات في الامبراطورية بالاسهام في التمويل لمتابعة

الحصار ، هلكت المدينة بشكل نهائي ولم يعد المحاصرون في حاجة لهجوم عاصف للاستيلاء عليها ، وبدلا من ذلك ركزوا على تجويع السكان حتى الموت ، وقد نجحوا في ذلك بقدر كبير ، وبدأ الحصار في كانون الثاني ١٥٣٥ ، وعلى الفور تقريبا ، تبين العجز في المواد الغذائية ، وبناء على اوامر الملك جرت زيارة اخرى للمنازل من قبل الشمامسة وصودرت اخر البقايا الغذائية (ص ٢٧٨)وقتلت جيمع الخيول ، ويبدو ان كثيرا من هذا الغذاء حفظ للبلاط الملكي الذي قيل انه اكل جيدا في كل الأوقات ، وامتلك مخزونا كافيا من اللحم والقمح والنبيذ والبيرة تكفي مدة نصف سنة ، ومع أن هذا تم نفيه فيما بعد من قبل كل من بوكلسن وكنيبردوليذك ، فانه بالتمحيص بدا أن الأدلة كانت ضدهم ، وبالتاكيد ان المقننات التي وزعت على الناس قد استنفدت بسرعة ، وبحلول نيسان تفشت المجاعة في المدينة ، وقتل واكل كل حيوان ـ كلب ، قط ، قنفذ ، وبدأ الناس يأكلون الأعشاب والطحالب والأحذية العتيقة وطلاء الجدران وجثث الموتى .

ولكونه متوجا على هذه المملكة المروعة استخدم بوكلسن باسراف أعظم تقنياته القديمة للهيمنة ، وأعلن انه قد أوحي له أن الناس سينجون بحلول عيد الفصح ، واذا لم يحدث ذلك يجب أن يحرق في ساحة السوق ، وعندما لم يحدث التحرر فسر ذلك بأنه قد تكلم فقط عن الخلاص الروحي ، ووعد بأنه بدلا من أن يترك اطفاله يموتون جوعا ، فان الأب سيحول الأحجار الى خبز ، وصدقه عدد كبير ، وبكوا بمرارة عندما وجدوا ان الأحجار بقيت احجارا، واخلاصا لحبه الأول ـ المسرح ـ فقد ابتكر المزيد والمزيد دائما من وسائل الامتاع الخيالية لرعاياه،ففي احدى المناسبات استدعى السكان الجائعين للاشتراك في ثلاثة ايام من الرقص والسباق ، والرياضة لأن تلك كانت مشيئة الرب ، وقدمت عروض مسرحية دراماتيكية في الكاتدرائية : كانت محاكاة بذيئة وساخرة للقداس ، واخلاقية إجتماعية على اسس الجشع والترف .

ولكن في هذا الوقت كانت المجاعة تفعل فعلها ، واصبح الموت من الجوع شائعا ، حتى ان الجثث اصبحت تلقى في مقبرة جماعية عظيمة ، واخيرا في أيار ، عندما اصبح معظم السكان لم يتذوقوا الخبز لثمانية اسابيع ، وافق الملك على ان يترك المدينة الذين يرغبون في ذلك وحتى عندئذ كان يلعن الهاربين ويعدهم بان جزاء عدم اخلاصهم سيكون لعنة ابدية ، لقد كان مصيرهم الأرضي في الواقع مروعا بقدر كاف ، اذا ان اصحاب الأجسام القادرة من الرجال قد وضعوا فورا تحت السيف ، اما بالنسبة للنساء ، المسنين من الرجال ، والأطفال فقد خشي الأسقف — وليس بدون تعقل — من أنهم اذا مروا عبر خطوطه سيثيرون الاضطراب في المؤخرة وطبقا لذلك رفض السماح لهم بالمرور عبر التحصينات ، وعليه فقد هام هؤلاء الناس خمسة اسابيع طويلة في المنطقة المنزوعة السلاح خلف اسوار المدينة ، وهم يتوسلون للمرتزقة ان يقتلوهم ، يزحفون هنا وهناك لأكل العشب كالحيوانات ، ويموتون بأعداد كبيرة حتى فرشت الأرض بالجثث ، وفي النهاية أزال الأسقف الناجين بعد أن استشار حلفاءه ، وأعدم الذين من القائلين بتجديد العماد عن قناعة ونفى البقية الى قرى نائية في الأسقفية ومرات ومرات قذف المحاصرون منشورات الى داخل المدينة(ص ٢٧٩)تعرض العفو العام وجواز المرور للسكان ، اذا هم فقط سلموا الملك وحاشيته ، وتم فعل كل مايمكن للتشجيع على الثورة ضد الملك ، وفي ذلك الوقت كان عامة الناس مستعدين للعمل بهذا الاقتراح لو كان ذلك بامكانهم ، ولكنهم كانوا تماما بلا حول ، وخلال تلك الأسابيع القليلة الأخيرة الأكثر يأسا اظهر بوكلسن كل براعته في فنون الارهاب ، وفي مستهل ايار قسمت المدينة لأغراض ادارية الى اثني عشر قسما على كل قسم عين ضابط ملكي بلقب دوق مع قوة مسلحة من اربع وعشرين رجلا ، وتم اختيار هؤلاء « الدوقات » من بين المهاجرين الاجانب ، وكانوا على الأغلب من الحرفيين البسطاء ، ووعدهم بوكلسن انه عند تحرير المدينة وبزوغ فجر الألفية ، سيكونون جميعا دوقات حقيقيين يحكمون مناطق واسعة من الامبراطورية ، كان قد

حددها من قبل . وربما صدق « الدوقات » ملكهم ، ولكن في حالة اذا ماكان قد داخله شك فقد منعوا اطلاقا من مغادرة قطاعاتهم او مقابلة بعضهم بعضا وقد ثبتوا ولاء كافيا ومارسوا ضد عامة الناس ارهابا قاسيا ، ولمنع اي احتمال لقيام معارضة منظمة فان الاجتماعات حتى بين افراد قلائل باتت ممنوعة بشدة ، وأي انسان يعثر عليه وهو يتآمر على مغادرة المدينة ، أو مساعدة غيره على المغادرة أو يوجه انتقادا للملك أو سياسته كانت رأسه تقطع على الفور .

و كانت هذه الاعترافات غالبا ما تنفذ من قبل الملك نفسه ، الذي أعلن أنه سيفعل ذلك بكل سرور لكل ملك أو أمير ، و احيانا كانت الجثة تقطع ارباعا و تسمر الأجزاء في أماكن بارزة للتحذير ، و بحلول منتصف حزيران كانت مثل هذه الاجراءات تحدث يوميا تقريبا

وبدلا من تسليم المدينة ، كان بوكلسن بلا شك ، سيدع كل السكان يجوعون حتى الموت ، ولكن بالنتيجة وصل الحصار فجأة الى نهايته ، فقد هرب رجلان ليلا من المدينة وأرشدا المحاصرين إلى نقاط ضعف معينة في الدفاعات وفي ليلة ٢٤ حزيران ١٥٣٥ اندفع المحاصرون في هجوم مباغت واخترقوا خطوط الدفاع الى داخل المدينة ، وبعد ساعات من القتال اليائس قبل الباقون المائتين أو الثلاثمائة الأخيرون من القائلين بتجديد العماد عرضا بمنحهم جواز مرور ، ووضعوا اسلحتهم وتفرقوا الى بيوتهم ، فقط ليقتلوا واحدا بعد واحد وحتى أخر رجل تقريبا ، في مذبحة استمرت عدة ايام .

وهلك كل قادة تجديد العماد في مونتسر ، ويعتقد ان روثمان قد مات وهو يقاتل ، وبرفض الملكة ديفارا التنكر لعقيدتها ، قطع رأسها اما بوكلسن فبناء على امر من الأسقف اقتيد بسلسلة بعض الوقت ، وعرض كدب العرض ، وفي كانون الثاني ١٥٣٦ اخذ الى

مـــــــــــــــــــــــــونتسر ، وهناك عذب هـــــــــــــــــــــــــــو وكنيبردولنك ، وزعماء (هـ٢٨٠) القائلين بتجديد العماد الآخرين على مرأى من الناس حتى الموت ، بمكاو ساخنة حتـــى الاحمـــرار وخلال فتـــرة الامهـــم لم ينبس الملك الســـالف بصمــــوت ، ولم يأت بحركة ، وبعد الاعدام علقت الجثث الثلاثة من برج كنيسة في وســـط المدينة في اقفاص مازالت تشاهد هناك الى اليوم وفي الوقـــت نفســـه عاد الذين هربوا من او طردوا من مونتسر القائلة بتجـــديد العمـــاد عادوا اليها ، واعيد الأكليروس الى مناصبهم واصبحت المدينة مرة اخرى كاثوليكية رسميا ولكي تحبط اي مخـــاولات اخـــرى للحـــكم الذاتي سويت كل التحصـــينات بـــالأرض . وفي الصـــورة الســـلمية الأصلية ، عاشت فكرة تجـــديد العمـــاد وحتـــى يومنا الحـــالي ، في مجتمعات مثل المنونيت والأخـــوة الهتـــريانية وأثـــرت ايضـــا على المعمدانيين والكويكرز وبالنسبة لتجديد العماد النضالي ، الحـــركة التي مثلها مثل كثير غيرها أخذت بالنضال لاقامة الألفية بالقوة ، قد تدهورت بسرعة ، وبدأ في البداية كما لو ان قائدا جـــديدا في تقـــاليد ماتيس وبوكلسن قـــد وجـــد في جــــوهان بـــاتنبرغ ، ولكنه أعدم في ١٥٣٧، وبعد ذلك بجيل في ١٥٦٧ ، جمـــع اســـكافي يدعى جـــان ويلمسن نحو ٣٠٠ من المقاتلين ، وكان بعضهم ممن نجوا من أيام مونتسر ، وأقام قدسا جديدة في وســـتفاليا ، هـــذه المرة في المنطقـــة المحيطة بفيسيل وكليفز ، ومارس هؤلاء القـــديسون ايضـــا الزواج المتعدد ـ ويملسن نفسه باعتباره مسيحيا مخلصا كانت له احـــدى وعشرين زوجة ـ وبطريق تسويغ ممارساتهم أعادوا طباعة رسالة روثمـــان « الارتـــــداد Restilution » سرا

وعلاوة على ذلك زودت الفـــوضوية الصـــوفية للروح الحـــــرة هؤلاء الناس كما سلف لها ان زودت مرة الأداماييت البوهميين بمجمـــوعة قوانين مشـــتركة ، وبـــادعاء ان كل شيء كان بحـــق كان ملكا لهـــم وشكلوا انفسهم في عصابات سطو كانت تهاجم اماكن سكن النبـــلاء والكهنة وانتهت بممارسة الارهاب الصريح ، وفي المجموع دامت هذه الحقبة اثني عشرة سنة حتى تم اعتقال المسيح واتباعه واعدامهم .

وبحرق ويلمسن في كليفز في ١٥٨٠ آن للقصة التي بدأت مع ايميكو أوف لننغن والملك طافور وتانشيلم وايون ان تصل بشكل مرضي الى نهايتها .

خاتمة

كيف كان وضع الحركات التي كنا بصدد دراستها في علاقتها بالحركات الاجتماعية (ص ٢٨١) الأخرى ؟

لقد حدثت في عالم حيث الثورات الفلاحية واعمال العصيان المدنية كانت شائعة جدا ، وعلاوة على ذلك كثيرا ماكانت ناجحة ، وكثيرا ماحدث ان الثورة والعصيان بين عامة الناس جعلتهم مفيدين جدا وقت الحاجة : يفرضون التنازلات ، ويجلبون مكاسب راسخة من الرخاء والمزايا ، وفي النضال الشاق القديم جدا ضد الاضطهاد والاستغلال لم يشغل الفلاحون والحرفيون من القرون الوسطى دورا خسيسا . ولكن الحركات الموصوفة في هذا الكتاب ليست بأي طريقة نمونجية بالنسبة للجهود التي بذلها الفقراء لتحسين نصيبهم ، وكان المتنبئون ينشئون تقاليديهم الرؤوية من المواد الأكثر تنوعا ـ سفر دانيال ، وسفر الرؤيا ، ووسطاء السبلينيين ، وتأملات يواكيم فيور ، ومذهب حالة المساواة في الطبيعة ـ وجميعها مدروسة وقد أعيد تفسيرها وتبسيطها الى مستوى الجمهور ، فتلك المعرفة وجب أن يزود بها الفقراء ـ والنتيجة ستكون شيئا يكون في الوقت نفسه حركة ثورية وتفجرا لخلاصية ذات مظهر ديني .

ومايميز هذا النوع من الحركات ان أهدافها وأولوياتها كانت بلا حدود ، ولم ير النضال الاجتماعي كنضال لأهداف نوعية محدودة ، بل كحدث له أهمية فريدة ، يختلف في نوعه عن كل الصراعات الأخرى المعروفة في التاريخ ، هو طوفان او جائحة يخرج منها العالم وقد تغير تماما واعتق ، وهذا هو جوهر الظواهر

المتكررة ــ او اذا شاء الانسان ، التقاليد الباقية ــ التي اسميناها « الألفية الثورية » .

وكما رأينا مرات ومرات في مجرى هذا الكتاب ازدهرت الألفية الثورية فقط في بعض الحالات الاجتماعية المحددة ، وفي العصور الوسطى لم يكن الناس الذين راقت لهم اكثر لامن الفلاحين المتماسكين بثبات في حياة القرية والضيعة ولامن الحرفيين المتماسكين في نقاباتهم ، وكان نصيب مثل هؤلاء الناس من الدنيا لايتجاوز احيانا الفقر أو الاضطهاد ، وفي احيان أخرى الازدهار النسبي والاستقلال وكان هؤلاء ربما يثورون او ربما يقبلون بحالتهم ، ولكنهم اجمالا لم يكونوا ميالين لاتباع احد المتنبئين الملهمين في سعي محموم وراء الألفية ، وقد وجد هؤلاء المتنبئون اتباعهم او بالأحرى حيث وجد السكان (ص ٢٨٢) غير المنظمين المفككين ، والريفيين او المدنيين او كليهما ، وكان هذا بالصحة نفسها بالنسبة لفلاندرز و شمال فرنسا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كما كان بالنسبة لهولندا ووستفاليا في القرن السادس عشر ، وقد أظهرت البحوث الحديثة ان هذا صحيح ايضا عن بوهيميا في اوائل القرن الخامس عشر ، وقد استمدت الألفية الثورية قوتها من السكان الذين كانوا يعيشون على هامش المجتمع ــ الفلاحين بدون ارض ، او الذين لديهم القليل جدا منها لايكفي لمجرد الاعاشة ، وعمال المياومة والعمال غير المهرة الذين كانوا يعيشون تحت التهديد المستمر للبطالة ، والشحاذون والمشردون ــ وفي الحقيقة من جماهير الناس غير المنظمة الذين لم يكونوا ببساطة فقراء ، ولكن الذين لم يستطيعوا ايجاد مكان مأمون ومعترف به في المجتمع بالمرة ، وكان هؤلاء الناس يفتقرون الى المادة والدعم العاطفي الذي تعطيه المجموعات الاجتماعية التقليدية ، وقد تحللت مجموعات النسب الخاصة بهم ، ولم يكونوا منظمين بشكل منهجي للتعبير عن مظالمهم والتأكيد على مطالبهم ، وبدلا من ذلك كانوا ينتظرون متنبيء يجمع بينهم في مجموعة خاصة بهم .

ولأن هؤلاء الناس وجدوا انفسهم في مثل هذا الوضع المكشـوف والذي لايمكن الدفاع عنه فانهم كانوا ميالين للاستجابة بحـدة لأي تمزيق للنمط الطبيعي المألوف للحياة ومرات ومـرات يجـد المرء ان تفجرا ثوريا ألفيا معينا قـد حـدث ضـد خلفية تنطـوي على كارثة : كالأوبئة التي كانت مقدمة للحملة الصليبية الأولى وحركات اللطـامين في ١٢٦٠ و ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ و ١٣٩١ و ١٤٠٠ والمجاعات التـي تقـدمت على الحملتين الصـليبيتين الأولى والثـانية ، والحـركات الصـليبية الشـعبية في ١٣٠٩ ـ ١٣٢٠ وحـركة اللطـامين في ١٢٩٦ والحركات حول ايون وبلدوين الزائف والارتفاع المذهل في الأسعار الذي تقدم على الثورة في مـونتسر ، وكانت اكبـر مـوجة للاثارة الألفية ، تلك التي حرضت المجتمـع كله ، قـد اتـى قبلهـا الكارثة الطبيعية الأكثر شمولا في العصور الوسطى ، وأعني بـذلك الموت الأسود ، وهنا مرة اخـرى اسـتمرت الاثـارة في الطبيعـة الاجتماعية الأدنى فترة اطـول وعبـرت عن نفسـها بـالعنف وبالمذبحة .

ولكن الفقراء وعديمي الجذور لم يهتـزوا فقـط بهـذه الكوارث النوعية او الهيجان الذي اثر مباشرة على نصيبهم المادي ، بل كانوا ايضا حساسين بشكل غريب تجاه العمليات الأقل درامية وان كانت قاسية بالدرجة نفسها ، التي مزقت جيلا بعد جيل ، بالتدريج اطار السلطة الوحيدة التي كانت تحتـوي الحياة في العصـور الوسـطى وبطلباتها حياة كل الأفراد ، كانت هي سلطة الكنيسة ، ولكن سلطة الكنيسة لم تكن حتمية بلا مراجعة ، وقـدر بـكل تـأكيد لحضـارة اعتبرت الزهد اكثر العلاقات تـأكيدا للنعمـة ، ان تشـك في قيمـة الكنيسة(ص ٢٨٣)وصلاحيتها ، وهي المؤسسة التـي كان مـن الواضح انها مصابة بالبخل والترف ، وقد سببت دينونة الأكليروس مرات ومرات ، خلال النصف الثاني من العصور الوسطى ، نفـورا واستياءا بين العلمانيين وقد امتـد هـذا الاسـتياء طبعـا الى الفقراء ، ولم يكن هناك مفر من ان العديد من الذين كانت حياتهـم

محكوما عليها بالمصاعب وعدم الأمـن ، سـيشكون فيمـا اذا كان المطارنة والأساقفة الولوعون بالمباهاة ، والكهنة المستهدفون يمـكن ان يساعدوهم حقـا في الخـلاص ، ولكن اذا كان هؤلاء الناس قـد انسلخوا عن الكنيسة فانهم قد عانوا ايضا من انسلاخهم ، وظهـر الى أي حد احتاجوا للكنيسة ، ظهر في الحماس الذي رحبوا به بكل علامة للاصلاح ولعدم اللهفة التي تقبلوا بها ، لابل حتى هاموا بكل تقشف حقيقي وازداد يأسهم ، وبسبب هذه الاحتياجات العـاطفية للفقراء كانت الحركات النضالية الاجتماعية التي درسناها بـالوقت نفسه بديلا عن الكنيسة ، وهذه كانت جماعات خلاصية قادها زهاد قاموا بأعمال اعجاز خارقة .

ومثلما امتلكت الكنيسة من سلطات هائلة تعلقت بسلطات خـارقة للطبيعة مثلها بالملكية الوطنية ، فقد كانت ملكية العصور الوسـطى ماتزال الى حد بعيد ملكية مقدسة ، وكان الملك ممثلا للسلطات التي تحكم العالم ، وتجسيدا للقـانون الأخـلاقي والمشـيئة الربـانية وضامنا لنظام وصلاح العالم ، وهنا ايضا كان الفقـراء هـم الذين احتاجوا اكثر لمثل هذه الشخصيات . وعندما نقابل المتنبئين للمـرة الأولى ، في الحملة الصـليبية الأولى نرى انهـم كانوا بـالفعل قـد اوجدوا ملكيات ضخمة من خياالهم الخـاص ، شـارلمان المبعـوث واميكو أوف ليغنين الذي جعـــل امبــــراطورا ، والملك طافور ، وبالنسبة للفقراء كان أي انقطاع طويل ، او اخفاق ظـاهر للسلطة الملكية يجلب كربـا شـديدا ، كانوا يناضـلون للهـروب منه ، وكان « الفقراء النساجون والقصـارون » في فـلاندرز هـم الذين رفضوا قبول الموت في الأسر للكونت بلدوين التـاسع ، والذين اصبحوا اكثـرا اتبـاع بلدوين الزائف امبـراطور القسـطنطينية ، واستلهمت اول حشـود الرعاة ، في ١٢٥١ امـكانية انقـاذ لويس التاسع من أسر العرب ، وفيما بعد بينمـا نوت الألفية الثـورية في فرنسا مع زيادة هيبة الملكية ، عزز التـراجع الطـويل في المنصـب الامبراطوري ، في ألمانيا عقيدة فـريدريك مخلص الفقـراء في الأيام الأخيرة ، فريدريك المبعوث أو المستقبل وكان آخر امبراطور ملك كل

هالة الملكية المقدسة هو فريدريك الثاني ، ومع موته والتمزيق المميت المعروف باسم فترة خلو العرش العظيمة ، ظهر هناك بين عامة الشعب في المانيا قلق كان له ان يدوم قرونا .

ونجد في سيرة فردريك الزائف في نويس في القرن الثالث عشر (ص ٢٨٤) وفي القصص الشعبية الامبراطورية التي تنامت حول كونراد شمد ، قائد اللطامين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وفي نبوءات ادعاءات ثائر الراين الأعلى في القرن السادس عشر ، نجد فيها جميعا شهادة لاتدحض على توفر الفوضى الدائمة والألفية الجامحة التي ازدهرت عليها .

وعندما يصل المرء في النهاية لوراثة مجموعات الألفية الشيوعية الفوضوية التي ازدهرت نحو نهاية العصور الوسطى ، يرى حقيقة واحدة تتضح امامه على الفور : لقد كان دوما ، يظهر وسط بعض الانتفاضات او الثورات الأكثر اتساعا ، في وضح النهار مجموعات الفية من هذا القبيل ، وهذه هي الحال بالذات مع جون بول واتباعه في ثورة الفلاحين الانكليز في ١٣٨١ ، وفي حركة المتطرفين خلال المراحل الأولى من ثورة الهوسية في بوهيميا في ١٤١٩ ـ ١٤٢١ وفي حالة توماس مونتزر و « عصبته من النخبة » في ثورة الفلاحين الألمان في ١٥٢٥ وهو صحيح ايضا بالنسبة للمتطرفين من القائلين بتجديد العماد في مونتسر ، فقد جاء تأسيس قدسهم الجديدة في نهاية سلسلة كاملة من الثورات ، لا في مونتسر فقط بل في كل الولايات الأكليروسية في شمال غرب المانيا ، وفي كل هذه الأمثلة كان العصيان الجماهيري نفسه موجها نحو اهداف محدودة وواقعية ، ومع ذلك في كل مثال كان مناخ العصيان الجماهيري يرعى نوعا خاصا من المجموعات الألفية ، ومع تصاعد التوترات الاجتماعية وشمول الثورة لكامل الأمة كان يظهر في مكان ما على حافة التطرف ، متنبىء مع اتباعه من العالة ، مع قصد تحويل هذا الهيجان الى معركة رؤوية ، وتطهير نهائي للعالم.

تانشليم وإيون قد ادعيا بأنهما ربـــان حيان ، واميلكو لينغـــن وبلدرين الزائف ، والفرد ريكيون الزائفون المختلفون يدعون بـــانهم اباطرة الأيام الأخيرة ، فإن رجالا مثـــل جـــون بـــول ، ومـــــارتن هسكا ، وتوماس كونتزر ، وحتى جان ماتيس ، وجـــان بـــوكلسن كانوا قانعين بأن يكونوا مبشرين وأنبياء للمسيح العائد. ومـــع ذلك يمكن اجراء تعميم مؤكد حول المتنبيء كنمط اجتماعي ،فخلافا لقادة الثورات الشـــعبية العـــظمى ، الذين كانوا عادة مـــن الفـــلاحين أو الحرفيين ، نادرا ما كان المتنبؤن من العمال اليدويين أو حتى مـــن العمال اليدويين الســـالفين ، وفي بعض الأحيان كانوا مـــن النبـــلاء الصغار ، وأحيانا كانوا ببساطة من الدجاجلة ، ولكن ما هو اكثـــر شيوعا انهم كانوا من المثقفين أو انصاف المثقفين ، وكان الكاهـــن السالف الذي أصبح واعظا طليقـــا اكثـــر الانمـــــاط شـــــيوعا بين الجميع ، وما اشترك فيه كل هؤلاء الرجال هو اطـــلاعهم على عالم الرؤويات والنبوءات الألفية ، علاوة على ذلك إنه كلما امـــكن تتبـــع سيرة واحد منهم نجـــدها تتحـــول الى اســـتحواذ للتخيلات الألفية عليه ، قبل وقت طويل ، قبل أن يخطر في باله في ابان بعض الهيجان الاجتماعي ، أن يتحـــول الى الفقـــــراء بـــــاعتبارهم اتبـــــاع ممكنين(ص ٢٨٥)٠

ويمتلك المتنبي عادة مؤهلات أخرى: جاذبية شخصية تمكنه مـــن الادعاء ، مع بعض الجدارة الظاهرية ، بدورها في جلب التاريخ الى مرحلة الاكتمال المحددة . وكان هذا الادعاء من جانب المتنبيء يؤثر بعمق في المجموعة التي تتشكل حوله . لأن ما كان المتنبيء يقدمه الى اتباعه لم يكن ببساطة فرصة لتحسين نصيبهم ، والهرب مـــن القلق الضاغط ، بل كان ايضا وفوق كل شيء الأمل في تنفيذ مهمة مقـــدرة من السماء ذات أهمية فريدة في ضخامتها ، وقد أدت هذه التخيلات دورا حقيقيا لهم ، كمهرب من حالتهم المعزولة المشـــتتة وكتعـــويض عاطفي عن حالتهم المقنطة ، لهذا كانت بسرعة تسحرهم بـــدورهم وتدمجهم فيه ، وما ظهر في حينه كان مجموعة جديدة: ديناميكية غير مستقرة ، ومجموعة قاسية تمـــاما ، اســـتحوذت عليهـــا التخيلات

الرؤوية وشحنتها بالاعتقاد في عصمتها الخاصة ، فوضعت نفسها بمهمتها المفترضة ، واخيرا قد تنجح هذه المجموعة مع أن هذا ليس دائما في فرض قيادتها على الجماهير العريضة المشوشة ، المرتبكة والخائفة.

والقصة المروية في هذا الكتاب انتهت منذ نحو أربعة قرون ماضية ، ولكنها ليست غير ذات موضوع بالنسبة لزماننا ، فلقد اظهر الكاتب الراهن في عمل اخر كيف كانت التخيلات النازيةحول المؤامرة اليهودية للتخريب التي تشمل العالم كله مرتبطة باحكام بالتخيلات التي الهمت افيكواوف لييننغن و استاذ هنغاريا ، و كيف أن التشوش الجماهيري ، و عدم الأمن قد عزز الدور الشيطاني لليهود في هذا كما في قرون كثيرة سلفت ،فالتماثل و الاستمرار في الحقيقة محقق قائم .

ولكن المرء قد يفكر أيضا في ثورات الجناح اليساري والحركات الثورية لهذا القرن ، لأنه تماما مثل حرفيي القرون الوسطى الوحدين في نقاباتهم ، أظهر العمال الصناعيون في المجتمعات المتقدمة تقنيا انهم متلهفون جدا لتحسين أحوالهم الخاصة ، فلقد كان هدفهم العملي البارز هو ضمان حصة أكبر من الرخاء الاقتصادي أو المزايا الاجتماعية ، أو السلطة السياسية ، أو أي جمع بينها ، ولكن التخيلات المشحونة بالانفعالات عن الصراع الرؤوي الأخير ، أو الفية المساواة ، كان لها جانبية أقل بكثير بالنسبة لهم ، وأولئك الذين أنبهروا بمثل هذه الأفكار ، هم من جانب أول أفراد مجتمعات معينة متخلفة تقنيا ، وهي ليست فقط مكتظة بالسكان وفقيرة الى درجة تدعو لليأس ، بل أنها أيضا منهمكة في تحول اشكالي نحو العالم الحديث ، وهم بالتالي مشوشون ومضطربون ، ومن جانب أخر هم عناصر معينة هامشية سياسيا في المجتمعات المتقدمة تقنيا ، وبشكل رئيسي من العمال الشباب العاطلين واقلية صغيرة من المفكرين والطلاب.(ص ٢٨٦).

ويمكن للمرء أن يتبين نوعين من الميول المميزة تماما والمتضادة ، فمن جانب كان الناس العاملين في أجزاء معينة من العالم قادرين على تحسين نصيبهم بعيدا عن كل تمييز ، عن طريق وساطة اتحادات العمال والتعاونيات والأحزاب البرلمانية ، ومن جانب آخر خلال ثلاثة أرباع القرن منذ ١٩١٧ كان هناك تكرار مستمر ، وبنسبة متزايدة دوما ، للعمليات الاقتصادية ـ الاجتماعية التي ربطت مرة بين كهنة الطابوريين أو توماس مونتزر والفقراء الأكثر ضياعا ويأسا ، في التخيلات حول الصراع المدمر ضد « العظماء » ، وحول عالم كامل تنتفي منه الرغبات الذاتية والأنانية الى الأبد.

وإذا ما نظر المرء في اتجاه مختلف نوعا ما ، يمكنه أن يجد حتى نسخة حديثة من هذا الطريق البديل الى الألفية في ديانة الروح الحرة ، لأن مثل الانعتاق الكلي للفرد من المجتمع ، وحتى من الحقيقة الظاهرية نفسها ، مثل إذا أراد الانسان القول :نهدف لتأليه الذات التي يحاول بعضهم في هذه الأيام تحقيقها بمساعدة المخدرات النفسية والفعلية ، يمكن التعرف اليها في تلك الصورة المنحرفة لصوفية العصور الوسطى.

لقد استبدلت اللهجة الدينية القديمة بأخرى دنيوية ، وهذا يميل الى أن يعمي ما هو واضح من نواح أخرى ، لأنه بتعرية حقيقة الصدق البسيطة من قداستها الهائلة ، نجد أن الألفية الثورية والفوضوية الصوفية ما زالت معنا.

ملحق

الروح الحرة في انكلترا كرمويل.الصخابون وادبهم.

لقد كان(ص ٢٨٧) من المؤكد كثيرا اننا لا يمكن أن نعرف شيئا عن المعتقدات الحقيقية لأخوة الروح الحرة ، أو الأحـرار الروحيين طالما أن معلوماتنا تأتي من خصومهم ، فهل كان الاتباع يعتبـرون أنفسهم حقا كائنات الهية ؟ هل كانوا يعتقـدون حقـا أنه يمـكنهم ارتكاب القتـل ، والسـطو ، والزنا دون خـطيئة ؟ أو انهـم لم يكونوا ، وبالأحرى كانوا ببساطة يمـارسون النوع السـلبي مـن الصوفية الذي أصبح يعرف فيما بعد بالطمأنينة الصـوفية ؟ وهـل القصص الفاضحة التي تروى عنهم مجـرد قـذف مقصـود أو غير مقصود ؟

إن الأدلة الواردة في الفصلين الثـامن والتـاسع مـن الدراسـة الراهنة يجب أن تمضي بعيدا لتبدد مثل هـذه الشـكوك ، ومـا يزال صحيحا أن الاتهامات المثارة ضد هذه الطـوائف لا يمـكن التحقـق منها بالتفصيل الا في مواجهة كتاباتهم الخاصة ، وللوصول الى مثل هذا التأكيد ، من الضروري النظر الى الاحياء القصـير الأمـد لكن المحموم « للروح الحرة » الذي حدث في انكلترا اثناء وبعـد الحـرب الاهلية ، ومثل أسلافها كانت كتابات الطائفيين الانكليز الذين كانوا يعرفون بالصخابين ، قد أمر بحرقها ، لكن انه لأصعب بـكثير ان تدمر طبعه كاملة من عمل مـطبوع مـن أن تـدمر بضـع مخطوطات ، وهكذا نجد نسـخ متناثـرة مـن رسـائل الصخابين ، وهذه الأعمال التي لم يتكرر طبـاعتها مـن قبـل قـد أصبحت ذات أهمية كبيرة ، وبالنظر اليها كوثائق تـاريخية تـرسخ بدون أدنى شك أن « الروح الحرة » كانت حقا وبـالضبط كمـا قيل عنها : نظام من الشعور الذاتي بالأهمية والقوة كثيرا مـا بلغ حـد

تأليه الذات والسعي وراء الانعتاق التام الذي في التطبيق يمكن أن يؤدي الى تناقض المبادىء وتحلل كامل منها ، ولا سيما في الشق الفوضوي ، وكثيرا أيضا ما بدا كمذهب ثوري اجتماعي شجب أعراف وقوانين الملكية الخاصة وهدف الى ابطالها ، ولكن أهمية أدب الصخابين ليست تاريخية فقط ، فإذا كانت الخصوصية الأسلوبية عند ابيزركوب(ص ٢٨٨) ونبضه الحيوية كافية لتكسبه مكانا مشرفا في رواق الأدبيات الشاذة ، فإن جوزيف سالمون يستحق بالتأكيد الاعتراف به ككاتب ذو قدرات شعرية حقيقية.

وبفضل كل الأعمال التي جرت حول الحياة الدينية والاجتماعية في انكلترا كرومويل ليس هناك نقص في المعلومات المتعلقة بالوسط الذي ازدهر فيه الصخابون ، ومن المعروف جيدا أنه خلال وبعد الحرب الأهلية كانت الاثارة الدينية عالية سواء بين الجيش أو بين المدنيين ، وأنه لا أعضاء الكنائس البروتسنتية الأسقفية ولا أعضاء الكنائس البروتستنتية المشيخانية كانوا قادرين على تأطير فيض تدين العامة . وشعر عدد كبير أن الوقت قد حان كي يصب الأب روحه في كل اللحم البشري ، وكان التواجد والغيبوبة حادثة يومية ، وكانت النبوءات تلقى فوق كل الأراضي ، والآمال الألفية وافرة بين السكان ، وتأثر كرمويل نفسه ، بشكل خاص قبل أن يتولى السلطة بمثل هذه الآمال عظيما وكان آلاف الجنود في النمط الجديد من الجيش وآلاف الحرفيين في لندن والمدن الأخرى يعيشون في توقعات يومية أنه من خلال عنف الحرب الأهلية ستقوم مملكة القديسين فوق التربة الانكليزية ، وأن المسيح سينزل ليحكمها.

وكانت الاثارة أشد ما تكون خلال فترة عدم الاستقرار السياسي والقلق التي تلت اعدام الملك و استمرت حتى اقامة حكومة الوصاية. و في ١٦٤٩ ــ ١٦٥٠ تأثرجيرارد ويذستانلي بالالهام فوق الطبيعي ليؤسس المجتمع الشهير « للحفارين » قرب كوبهام في سوري ، مقتنعا بأن العالم القديم يتلف كما يتلف الورق الاحتراق في النار ويتلاشى ، وحاول ويذستانلي أن يعيد الجنس البشري الى

حالته البكر وهـــي الفية بـــدائية ليس فيهـــا مـــكان للملكية الخاصة ، والتمييز الطبقي والسلطة البشرية وفي الوقت نفسه كانت مجموعات من المتحمسين الدينيين تتضاعف بكثرة ، وكمـا لاحـظ واحد من ناشري المنشورات في ١٦٥١ معبـرا عن دهشـة إنه ليس عملا جديدا للشيطان أن يبذر الهرطقة و أن يربي الهرطقين ، لكنهم لم يتناموا قط بمثل هـذه الكثـافة كمـا حـدث في الأزمنة الأخيرة هذه :لقد كانوا ميالين لأن يظهـروا واحـدا واحـدا و لكنهـم الآن يتدفقون على شكل حشود و خلايا (كالجراد من حفرة لا قرار لها) ، و هـم يأتـون الآن في زحـام علينا في أسراب ، مثـل يسروع ابجيبت Agypt و الهرطقة التي كانت بشـكل خـاص في ذهن هذا الكاتب كانت هرطقة الصـخابين،هؤلاء الناس الذين كانوا يعرفون أيضا «بنوي التحصـيل العـالي» و البـرفسورات رفيعـي المستوى » ، و قد أصبح عددهم كبيرا جدا في حوالي سـنة ١٦٥٠ ، و كان بعضهم يمكن أن يوجد في الجيش ، فيسمع المرء عن ضـباط يطردون أو يجلدون علنا ، أو عن جندي جلد في مـدينة لندن بسـبب « الصخب »،و كان هناك ايضا مجموعات من الصخابين مبعثرة في كل انحاء البـلاد ، و فـوق كل شيء لقـد كثـروا في لندن حيث كانوا يعدون بالألوف و غالبا مـا كان « المزلزلون » الأوائل مثـل جـورج فوكس(ص ٢٨٩) و جيمس نايلر James nyler و أتباعهما على صلة بالصخابين.

وكان المراقبون من الخصوم مثل الأسقفيين والمشيخيين يقتربون أحيانا من تشبيه المزلزلين بالصخابين ، لأن كليهمـا على السـواء كانا ينبذان المظاهر الخارجية للدين ، و كانا يريان الدين الحقيقـي فقـط في « الروح القـاطنة في الداخـل » في نفس الفـرد ، و كان المزلزلون أنفسهم مع ذلك يعتبرون الصخابين أرواحا خاطئة يجـب هدايتها ، و لجورج فوكس فقرة غريبـة حـول لقـائه الأول مـع الصخابين في السجن في كوفنتري في ١٦٤٩ ، إذ كتب :

« عندما دخلت السجن ، حيث كان السجناء . صدمتني قوة الظلام ، و جلست في سكون ، مستجمعا روحي في محبة الرب .

وإخيرا بدا هؤلاء المساجين يصخبون ويتبجحون و يجدفون الأمر الذي جعل نفسي تتمزق بشـدة ، لقـد قـالوا إنهـم الرب ، و لكن لم نستطع تحمل مثل هذه الأشياء ..... ثم برؤية أنهـم يقـولون إنهـم الرب ، سألتهم إذا كانوا يعرفون إذا ما كانت ستمطر غدا ؟ فقالوا إنهم يستطيعون القول بذلك ، فقلت لهم إن الرب يمكنه أن يقرر ذلك ..... و بعد أن أنبتهم على تجديفهم و كفرهم ابتعدت عنهم لأني أدركت أنهم كانوا من الصخابين ».

لقد رأى فوكس العديد من الصخابين في ١٦٥٤ ـ ١٦٥٥ مع أن نفوذهم في ذلك الوقت كان يتناقص بسرعة ، وفي اجتماع مشـترك ، للمعمدانيين والمزلزلين والصخابين في سونغتون في ليسترشير وجد أن الصـخابين « كانوا أجـلافا جـدا ، وكانوا يثيرون البسـطاء ضدنا ، وأرسلنا نستدعي الصخابين ، لنعرف ربهم ، وجـاء جمـع غفير منهم وكانوا عنيفين جدا ، وغنوا وصـفروا ورقصـوا ، ولكن قدرة الرب أخزتهم ، حتى أن عددا كبيرا منهـم أصـبحوا مـؤمنين مقتنعين » وفي اجتماع مماثل في ريدنغ دحض فـوكس مـرة أخـري مزاعم الصخابين ، وعندما كان في السـجن في شـيرنغ كروس زاره الصخابون ، الذين صدموه بطلب الشراب والتبغ ، وفي وصفه لهـذه الحادثة يقول : كانت تقاليد عقيدة الروح الحـرة تـظهر في صـورة شعارات . « وصاح أحدهم :الكل لنا » وقال آخر « الكل حسن » . وفي هذه المرة أيضا كان فوكس قادرا على إدخال القـرف على هؤلاء الناس . وفي وقت متأخر يعود إلى ١٦٦٣ كانت مناسبة تفجع فيهـا لأن الصخابين كسبوا لطائفتهم إثنين من المزلزلين ، « هرب أحدهم تماما ، وتبرأ منه رفاقه » مع أن الثاني « عوفي وعاد إلى مـذهبه ، واصبح فيما بعد نافعا » . ومن المؤكد أن كثيرا من الصـخابين قـد اصـبحوا مـن المزلزلين ، وكان بعض المعـاصرين مقتنعين بـأن الأصدقاء فقط ، هم الذين يحتمل أنهم اسـتطاعوا السـيطرة على مادعاه وينستانلي نفسه « قوة الصـخب ... الوحش المفتـرس » . وفي ١٦٥٢ قال رجل يدعى جستيس هوثان لفوكس : « لو أن الرب لم يرفع هذا المبدأ القائل بـالضوء والحياة ، الذي كان (فـوكس)

يبشر به ، لتم اجتياح الامة من قبل الصخب والصخابين ، ولعجزت كل عدالة في الأمة عن وقفها بكل قوانينها ، لأنهم (كما قال) كانوا (ص ٢٩٠) سيقولون كما قلنا ، ويفعلون كما أمرنا ويحتفظون مع ذلك بمبادئهم ، ولكن مبدأ الحقيقة هذا ـ كما قال ـ سيسقط مذهبهم ، سيجتث الجذر والأساس لذلك المصدر ... » وإنه لحق أنه مع تنامي حركة المزلزلين كانت حركة الصخابين تنكمش ، حتى أنه في نهاية الوصاية لم يعد لها أي أهمية وفي هذا الملحق جمعت المواد المتعلقة بالصخابين كما يلي :

١ ـ الصخابون كما وصفهم معاصروهم .

٢ ـ اقتباسات من كتابات الصخابين .

١ ـ الصخابون كما وصفهم معاصروهم

(١) أصبحت المذاهب المرتبطة بالروح الحرة معروفة في انكلترا بحلول ١٦٤٦ وهذا مبين في الطبعة الثانية (الموسعة) لتوماس ادواردز « غنغرينا ،أوبيان ممارسات خاطئة لطوائف هذا العصر من الهراطقة والمجدفين والمتحللين التي وقعت في انكلترا في السنوات الأربعة الأخيرة ١٦٤٦ » (ص ٢١) وما بعدها ، ومع أن ادواردز من المشيخيين وخصما مرا لكل المستقلين ، فليس هناك أساس للشك في دقة هذه الرواية :

« .... كان كل مخلوق في أول حالات الخليقة هو الرب ، وكل مخلوق رب ، وكل مخلوق من ذي حياة ، ونفس هو دفقة من الرب ، وسيعود إلى الرب مرة أخرى ، وسيبتلع فيه كالقطرة في المحيط .... إن كل إنسان يعمد بالروح القدس يعرف كل الأشياء ، كما يعرف الرب كل الأشياء ، وهذه نقطة هي سر عميق ومحيط عظيم ، حيث لايصل إلى غورها لامرساة ولامسبر ... وإنه إذا عرف المرء نفسه بالروح هو في حالة نعمة وإن اقترف القتل أو السكر ، فالرب لايرى فيه خطيئة .... إن كل الأرض هي للقديسين ، ويجب أن يكون هناك

مشاركة في السلع ويجب أن يكون للقديسين حصة في الأراضي وفي ضيع السادة والأغنياء .... إن الرب الأب قد حكم في ظل الشريعة ، والرب الابن في ظل الانجيل والآن يقيم الرب الأب والرب الابن المملكة للرب الروح القدس وستحكم وستنصب في اللحم .... وسيكون هناك خلاص عام ، حيث يذعن الناس جميعا للرب وينجون ، وفقط الذين يؤمنون الآن ، وكانوا قديسين قبل هذا الخلاص سيكونون في أعلى منزلة ثم أولئك الذين لايؤمنون .....

ويمكن ان أربط أيضا أخطاء أخرى رويت لي ولغيري من قبل أناس متفهمين أمناء ، وانشقوا (ومن المحتمل انهم كانوا صادقين) مثل أنه .... إذا تأثر إنسان بقوة بفعل الروح ليقتل ، أو ليرتكب الزنا الخ ، وعلى الرغم من الصلاة ضد ذلك مرات ومرات استمر على هذا وظل متمسكا متشبثا بقوة فليفعل ذلك .... » (ص ٢٩١)

(٢) دون ريتشارد باكستر وكان كاتبا جادا ومسؤولا من المتطهرين المقدسين ، ذكرياته عن الصخابين في سيرته الذاتية « آثار باكسترية ، ١٦٩٦ » وقال في (ص ٧٦ ـ ٧٧) : ... الصخابون ... جعلوا من مهمتهم .... أن يثيروا الطبيعة ، تحت اسم المسيح في الانسان ، وأن يهينوا وينتقصوا من قدر الكنيسة ، والكتاب المقدس ، والكهنوت القائم وكذلك عبادتنا وطقوسنا الدينية ولاسيما سر العشاء الرباني وقد دعوا الناس إلى الاصغاء إلى المسيح في داخلهم : ولكنهم برغم ذلك تبنوا مذهبا ملعونا في التحررية سمح لهم بكل فحش ومنقصة بغيضة في الحياة : وقد بشروا أن الرب لاينظر إلى الأعمال الظاهرة للانسان ، بل إلى القلب وهذا إذا كان طاهرا ، فكل الأشياء طاهرة (حتى الأشياء المحظورة) : وهكذا بناء على ما سمح به الرب تفوهوا بأبشع كلمات التجديف وارتكب كثير منهم الدعارة بصورة مشتركة ، إلى درجة أن المرأة من ذوات المقام الرفيع والأهمية لتقاها ورصانتها قد أفسدوها ، وأخذت تتحول بلا حياء إلى عاهرة تتجول في عربة في شوارع لندن .

ولم تضم في العالم على الاطلاق طـائفة أعلى تحـذيرا لاسـاتذة الدين ليكونوا أذلة خائفين ويقظين : ولايمكن أن يكون العـالم قـد اخبر بصوت أعلى في أن الاعتـداد الروحـي للرهبـان الذين بـلا اساس ، ضعيف وأن أساتذة التزمت في الدين يمكن أن ينجـرفوا في تيار الطوائف والأنماط السائدة : فلقد رأيت بنفسي رسائل مـكتوبة من ابنفنون حيث تفشت العدوى بين الناس والجنود على السواء في حينه ، وكانت هذه الرسائل مليئة بأيمان مـروعة ولعنات وتجـديف لاتصلح أن يعيدها لسان أو قلم الانسان ، وهذه كلها تتداول كنتيجة للمعرفة ، وكجزء من ديانتهم في انفعال متعصب ، وتنسـب إلى روح الرب ،

(٣) والرواية الفريدة في قوتها عن عقيدة الصـخابين مـوجودة ضـمن مـوعظة حـول سـفر الرؤيا : ١٢ / ٢ ـ ٣ . كورنثوس : ١١ / ١٤ والذي قام بالوعظ به عضو في الكنيسة الأسقفية البروتستنتية وهو ادوار هايد دكتـور باللاهوت « عجب ولاعجب أيضا : تنين عظيم في السـماء ١٦٥١ » (ص ٢٤ ـ ٣٥) وما بعدها :« واخيرا إن التنين في السماء ، هو التنين بادعاء مسرة وشـيكة ، وعالية بـالرب في الروح وهـو تعبير مجازي عن الكتابات المقـدسة ، وعليه ينفـي الرسـالة مـن ذلك المصدر ... يقول بعضهم لاشيء غير نظيف بالنسبة لنا ، وليس هناك خطيئة ، ويمكننا أن نرتكب أي خطيئة ، لأننا نقدر أنه لايوجـد شيء غير نظيف ولكن بالنسبة للفاعلين هي خطيئة ... فنحن طاهرون كما يقولون ، وعليه فكل شيء طاهر بـالنسبة لنا ، الزنا والفسـق الخ ، إننا غير مدنسين .... بل مؤمنين وكذلك كل شيء طاهر بالنسبة لنا ، ولكن أولئك الذين لايؤمنون أن أفكارهم وضمائرهم ملوثـة .... إن الرب يفعـل كل شيء .... فإذا كان الرب يفعـل شيء فهـو على هـذا يعتـرف بـالذنب ويفعـل الشر ، ولاشيء هناك إلا ويفعله ، والشر يفعله .... وإذا كان الرب هو كل شيء ، فهو الخـطيئة والشر ، وإذا كان كل شيء فهو ذلك الكلب ، وذلك الغليون ، وهو أنا وأنا هو كمـا سمعت بعضهم يقول ....

إنهم أرباب مؤكدون لامحدودون وأقوياء كالرب ذاته ، وأنهم في مجد وجلال وشرف وقوة بدرجة مساوية مثل الرب الحقيقي (ص ٢٩٢) أو المجد الأبدي يسكن فيهم ، وليس في أي مكان آخر ، ولاشيء مثل صلاح وقدسية الرب ، وأن الشر فيهم وأعمال عدم النظافة والأيمان الوثنية والسكر والقذارة والبهيمية المشابهة ليست غير مقدسة أو محظورة في الكلمة ، وأن هذه الأعمال فيهم وغيرها يقرها الرب ، وإن مثل هذه الأعمال والأشخاص الذين يرتكبونها كالرب : وأن أعمال إنكار الرب والتجديف والكفر بالرب أو قدسية وصلاح الرب وأعمال لعن الرب والقسم الوثني والكاذب باسمه وأعمال الكذب والسرقة وخداع الناس والاحتيال عليهم ،

وأفعال القتل والزنا بالمحارم ، واللواط الدنس والسكر (كذا) والكلام البذيء الداعر ليست في ذاتها أشياء شريرة مخزية آثمة عاقة رديئة بغيضة في أي شخص : وأن أفعال الزنا والسكر والحنث باليمين وأشباهها من الشرور الظاهرة ، هي في طبيعتها الخاصة بالقدسية نفسها والصلاح مثل واجبات الصلاة وصلاة الشكر ، وأن كل مايفعلونه سواء كان بغاء أو زنا أو سكر أو ماشابه يرتكب دون إثم ، وأن مثل هذه الأفعال يقوم بها الرب الحق ، أو جلال الرب ، أو الخلود الذي فيهم : وأن الجنة وكل السعادة تشمل في فعل هذه الأشياء التي هي شر وإثم وأن هذا هو إثم كمال ، وأشبه بالرب والخلود ، الذي يفعل أكبر الكبائر دون أقل ندم أوخجل ، وأنه لاوجود حقا وصدقا لشيء مثل صلاح واثم ولكنه حسبما يحكم الرجل والمرأة في ذلك ، وأنه لاجنة ولاجحيم ولاخلاص ولالعنة وهذه كلها واحدة والشيء نفسه وأنه لاتمييز بينها أو بين النور والظلمة ، وأن العقل هو الرب ، وأننا لن نحصل على السلام والهدوء في أرواحنا حتى نملك حرية الدعارة والسباب وما شابه : وإن الانسان يؤله ، وأن الروح بعد موت الانسان تذهب إلى كلب أو قط ، وأن الرب يؤمن بالرب ، وأن كل النساء في الدنيا ماهي إلا امرأة وزوج متحدين (كذا) حتى أن رجلا واحدا قد يكون مع كل النساء في الدنيا لأنه زوجهن في وحدة الخ (كذا) .

(٤)إن كثيرا من رسائل الجدل كانت موقوفة فقط على الصخابين وواحدة منها وهي من نتاج رجل يدعو نفسه « شاهد عيان » يعطي بنبرته وتنظيمه الدقيق انطباعا جديرا بالثقة التامة بعنوان : « دخان جون هولاند ، من الحفرة التي لاقرار لها أو كشف أكثر صحة واكتمالا لمذهب أولئك الناس الذين يسمون انفسهم الصخابين ، أو الطاقم المجنون ١٦٥١ » (ص ٦) :

كلمة إلى القارىء المسيحي

« .... لتنشر في العالم ، ماهو أكثر وأسوأ من التجديف الالحادي لهؤلاء الناس ، وليس هذا بهدف (الله يعلم) جعل هؤلاء الأشخاص بغيضين لكل الناس أو على الأقل إثارة الناس لاضطهادهم بصراحة لأجل احكامهم ، لأني عندما أفكر فيما يقوله الكتاب المقدس ، أجد انها (ص ٢٩٣) ليست طريقة الرب في التعامل مع الخصوم الروحيين بأسلحة جسدية ... »

.... فيما يتعلق بالرب

« إنهم يتمسكون بأن الرب بشكل أساسي هو كل مخلوق ، وأن هناك من الرب العديد في كل مخلوق ، بقدر ما في الآخر ، مع انه لايظهر نفسه في واحد كما في الآخر : لقد رأيت هذا التعبير في أحد كتبهم ، أن جوهر الرب كان في ورقة اللبلاب بالقدر نفسه الذي يكون فيه أكثر الملائكة عظمة ، وسمعت أخر يقول ، إن جوهر الرب كان في هذا اللوح بالقدر نفسه الذي هو به في السماء ، ثم يضع يده على لوح من خشب الصنوبر ، وإن الجميع يقولون أن لاإله أخر إلا الذي فيهم ، وأيضا في كل الخليقة ، وإن الناس يجب أن لايصلوا وأن لايلتمسوا ربا أخر سوى الذي فيهم . والألقاب التي ينعتون بها الرب هي : أنهم يدعونه الكائن ، الكمال ، الحركة الكبرى ، العقل ، الضخامة ، وسمعت رجلا يقسم بأنه إذا كان هناك أي رب على الاطلاق فإنه هو وحده ، فقلت له : إن الرب كان يعرف كل شيء

ويفعل كل مايريد وانت لاتستطيع ، وعليه فأنت لست ربا . ولكن ملحدا : آخر أجاب إنه ليس الرب ، لكنه رب ، لأن الرب فيه وفي كل مخلوق في الدنيا .... »

.... فيما يتعلق بالروح

« إنهم جميعا يؤكدون انه ليس هناك سوى روح واحدة في العالم ، وأن تلك الأسماء ، من روح طيبة ، وروح شريرة ، مجرد خيال وأداة رعب لتخويف الناس وكذلك علموا ، وانهم فقط تحت تعليم هذه الروح ، وأن كل تعاليم أخرى سواء بالكتاب المقدس أو خلافه لافائدة فيها لهم .

وقال احدهم على مسمع مني إنه لاحاجة له في قراءة الكتاب المقدس او سماع المواعظ ، لأن الآب والابن والروح كلها كانت فيه ، وهذا كما قال يمكنه اثباته ، ولكن افضل حججه لم يكن لها سلطان في رأيي .. »

.... فيما يتعلق بالزواج

« إنهم يقولون أن تقيد الرجل بامرأة واحدة ، أو امرأة واحدة برجل واحد ، هو ثمرة اللعنة ، ولكنهم يقولون إننا قد تحررنا من اللعنة ، وعليه فإنها حريتنا أن نستفيد من كل مانريد ... وهذا الراي يستدلون عليه من هذه الكلمات من الرب إلى حواء إن رغبتك ستكون لزوجك »

...فيما يتعلق بوصايا الرب

« انهم يقولون ان كل وصايا الرب في كلا العهدين القديم والجديد هي من ثمار اللعنة ، وان كل الناس وقد تحرروا من اللعنة ، قد اصبحوا ايضا احرارا من الوصايا ، ويقول اخرون ان كل الوصايا

هي ان تجعل الناس يعيشون في الرب والرب فيهم ، ويقولون اننا نعيش في الرب والرب يعيش فينا . وعليه فنحن فوق كل الوصايا ايا كانت، واكثر من ذلك يقولون ان ارادة الرب هي ارادتنا وارادتنا هي ارادة الرب وهم يقولون ان ارادة الرب هي شريعته ، لانه احيانا يأمر الناس بالقتل والسرقة والكذب ، وفي اوقات اخرى يوصي بالعكس ويستنتجون من ذلك اننا نحن الذين نعيش في الرب والرب يعيش فينا فلماذا لانفعل الشيء نفسه ؟ واذا كان اثما ان نقتل ، او نسرق ، او نكذب ، فان الرب هو الفاعل ، لانهم يقولون ، انها ارادته ان نفعل تلك الاشياء ، وبقدرته يتم فعلها ....».

...فيما يتعلق بالسماء والارض

« انهم يعلمون انه لاجنة ولاجحيم سوى مافي الانسان ، وان اولئك الناس الذين يرون ان الرب في كل شيء ، وان ارادته تنفذ من قبل كل الناس ، مع انهم لايفعلون ذلك بأذى ، ولايخشون اي غضب من الرب ، فانه يمكنهم تماما دون قمع من ضمير ارتكاب كل اثم كما ندعوه ويرون في انفسهم انهم فوق اي قانون وكل الوصايا (كذا) . وان اولئك الناس في الجنة ، والجنة فيهم ، ولكن اولئك الناس الذين لايمكنهم ان يروا ، وان يؤمنوا بهذه الاشياء هم في الجحيم ، والجحيم فيهم ، ولقد رأيت رسالة كتبها احدهم الى صديق له ، ولكنها لم تصل الى يده ابدا ، وفي اسفل الرسالة كتب هكذا: من الجنة والجحيم او من ديتفرت ، في اول سنة لترويض نفسي بنفسي . »

حاشية

« ايها القارىء اني لم اتبع تلك الطريقة النظامية التي كان يجب ان اتبعها ، غير اني كتبت حكم هؤلاء الناس بطريقة مشوشه ، ولكني اعترف ، في حضرة الرب المطلع على كل القلوب ، اني لم افعل خطأ

في امر حكمهم ، الا في الامساك عن إعادة سبابهم الدموى ولعناتهم ومن اجل هذه الاساءة آمل من اولئك الذين يخافون الرب حقا ان يسامحوني ووداعا ».

(٥)يبدو ان موضوعية الصخابين احيانا قد بلغت حد التهور غير العادي . ولصموئيل فيشر ، وهو معمداني وتحول فيما بعد الى المزلزلين بعض التعليقات الرائعة حول سرعة تفجرهم وتقلبهم ، « في تعميد الاطفال طفولة مجردة ، او عدم الاجابة على احد في خمس كلمات ، لكل من يجد نفسه مهتما بها ، ١٦٥٣ »(ص ٥١٦) « لقد تخليت عن قراءة (الكتاب المقدس) ومنعت الاخرين ايضا عن قراءته على انه غير مفيد كغيره في حينه من الكتابات التي من اختراع الانسان والتي تبقي العالم في خوف حتى يمكنهم ان يستمتعوا بتلك الحرية (اسم مستعار للترخيص بالفسق والرغبات الجسدية ، التي سمحت بها ونشدتها) وهذا جعلك مثل ديك الطقس ، ومثل بئر بلا ماء ، ومثل نجم هائم ، وكسحابة تتأرجح جيئة وذهابا مع العاصفة ، لانه لم يكن لديك قاعدة ثابتة لتتوجه بها ، والى من تتكلم او تنتبه وتبالي ، ولتذكرك وتثبتك في اي نقطة واحدة ، سوى الخيالات المتنوعة التي تصفر ، والتلفيقات الحمقاء للعقل الهوائي الذاتي والروح القلقة غير المستقرة ».

(٦)وقد اظهر البرلمان قلقه الكبير من انتشار مذهب الروح الحرة ، وهناك دلالات على هذا القلق في وقت مبكر يرجع الى ١٦٤٨، واخيرا في ١٤ حزيران ١٦٥٠ عين المجلس لجنة للتفكير في طريقة لقمع الممارسات الفاسقة الداعرة (ص ٢٩٥)العامة التي يقوم بها اشخاص تحت دعوة الحرية او الدين او خلافهما ، و بعد ذلك باسبوع وضعت اللجنة تقريرا عن الممارسات البغيضة العديدة لطائفة تدعى الصخابين ، واعطيت تعليمات لاعداد مشروع قانون لقمع ومعاقبة هذه الاراء البغيضة والممارسات » وفي ٢٤ حزيران و ٥ تموز و ١٢ تموز و ١٩ تموز ناقش المجلس مشروع القانون المعد وأقره في ٩ اب ، وفي تشرين

الثاني التالي تم احياء لجنة لدراسة معلومات جديدة حول الصخابين في ايلي ودور ستذشير .

وتنص المواد المتعلقة من قانون ٩ اب ١٦٥٠ ، حول « عقوبة الاراء التجديفية والالحادية والمروعة » مجموعة هاسكوبل للقوانين والاوامر ..... ١٦٥٨ ، الجزء الثاني ص ١٢٤ ــ ١٢٦ ، على مايلي :

« .... وقد وجدوا لدهشتهم واسفهم ، ان هناك رجالا ونساء مختلفين اكتشفوا في انفسهم مؤخرا انهم ذوي افكار فظيعة ، وهم متحللون في كل الممارسات الشريرة والبغيضة ، والآتي ذكرها ، ليس فقط بالنسبة للفساد السيء السمعة والفوضى ، حتى التي ترمي الى تحلل كل المجتمع البشري ، الذين يذكرون حاجته للصلاح المدني والاخلاقي بين الناس ، والبرلمان ، يرسم قانون ويسن ... ان كل الاشخاص ، وكل شخص (غير معتل بمرض ، او مختل عقليا) يتجرأ علنا على التصريح بالقول او بالكتابة المباشرة تأكيدا ، او البرهنة ، على انه او انها او اي مجرد مخلوق اخر انه رب ، او انه غير محدود القدرة ، او صاحب رفعة وفخامة وجلال وسلطة ، تجعله مساويا ومشابها للرب الحقيقي ، او ان الرب الحقيقي والجلال الخالد يسكن في المخلوق ، او في اي مكان اخر ، او كل من ينكر قدسية وصلاح الرب او يستغل ماسلف ذكره للتصريح بان الشر في الاشخاص او الافعال غير النظيفة والايمان الوثنية والسكر وماشابه من قذارة وبهيمية ليست غير مقدسة ومحرمة في كلمة الرب ، او ان هذه الافعال من قبل اي شخص او الاشخاص الذين يرتكبونها مقبولة من الرب ، او ان هذه الافعال او مثل هؤلاء الاشخاص بهذه الاشياء يشبهون الرب ، : او كما سلف ذكره يصرح ، بان هذه الافعال التي تنطوي على الكفر بالله والالحاد او التشكيك او بصلاحه وقدسيته ، او اعمال لعن ومسبة الرب او القسم الالحادي او الكاذب باسم الرب، او افعال الكذب ، والسرقة او الخداع او الاحتيال على الاخرين او القتل او الزنا ، او زنا المحارم

والفسق وعدم الطهر واللواط ، والسكر ، والكلام البذيء الداعر ، هي امور ليست مخجلة في ذاتها ، او شريرة وآثمة وعاقة وبغيضة ومنفرة في اي شخص ، او تمارس من قبل اي شخص او اشخاص او يصرح كما ذكر انفا ان افعال الزنا والسكر والسباب وامثال تلك الشرور الصريحة ، هي في طبيعتها الخاصة بنفس قدسية وصلاح واجبات الصلاة والوعظ وصلاة الشكر لله : او كل من يصرح علنا بما ذكر ، وبأن كل مايفعلونه (ص ٢٩٦)منه (سواء كان عهرا او زنا او سكرا او ماشابه من تلك الشرور الصريحة) يمكن ان يرتكب بلا خطيئة ، او ان مثل هذه الافعال تتم من قبل الرب الحقيقي او من قبل جلاله الخالد المستقر في نفوسهم ، وبان الجنة والسعادة كلها تتضمن فعل هذه الاشياء التي هي خطأ وشر ، او ان مثل هؤلاء الرجال والنساء ، هم الاكثر كمالا وصلاحا او هم اشباه للرب والخلود لهذا يقترفون الاثام الكبائر بادنى مايمكن من الندم والاحساس ، او بأنه لاوجود حقا وصدقا للشر ، والدنس او الخطيئة ، بل هي كما يقدرها الانسان او بأنه لاوجود للجنة او الجحيم وللخلاص ولاللعنة ، او ان تلك شيء واحد والشيء نفسه ، او انه لاتمييز حقا بينهما : وكل شخص او اشخاص يصرح علنا بالاحتفاظ او بنشر ماسلف ذكره من الاراء الالحادية والتجديفية المقيتة او ايا منها ، في حالة الادعاء والثبوت لمثل تلك الحالات السالف ذكرها ... او الاعتراف بها من قبل الاشخاص المذكورين ... فان الطرف الذي سيدان او لا يعترف بها سيحكم بالسجن او بالايداع في الاصلاحية ، لمدة ستة شهور ...»

وحدد القانون ايضا العقوبة على الاساءة للمرة الثانية بالنفي ، وعقوبة رفض النفي ، او العودة من المنفى دون ترخيص خاص من البرلمان بالموت .

(٧)وفي مواجهة الاضطهاد يبدو عددا كبيرا من الصخابين قد تبنوا لغة سرية وانهم تابعوا الدعوة في سرية وحذر مثل البيفرد المهرطقين والبيغونيين الذين تقدموهم بالضبط ، وبعد الاستماع الى

موعظة الارتداد التي وعظ بها الصـخاب ابيزركوب في بيرفـورد في ايلول ١٦٥١ علق جون تيكل قسيس ابنغدون على تلك التـكتيكات ، في كتاب الحفرة التي لاقرار لها والتي تفوح بالقذارات ... مع بعض الملاحـظات المختصرة على مـوعظة الردة التـي القـاها ابيزركوب ..... ١٥٦١ ص ٣٧ ـ ٤٠.

« لقد اعتادوا على ان يقولوا شيئا ويقصدوا شـيئا اخـر فهـم يقولون ولايقولون في نفس واحد .... قبل القـانون الحـديث ضـد الصخابين ، كانوا يتكلمون بجـراة وهـم لايجـراون الآن ٠٠٠٠ ومنذ ادعاء تحول العديد منهم الى طريق الحق اصبحت لديهم بشكل عام طرقا ملتوية لتغطية افكارهم الفاسدة بكلمات حصيفة ، وبشكل خاص تلك التعابير الواردة في الكتاب المقـدس والتـي تحمـل معنى عاما وعلى سبيل المثال انهم سيقولون لك ان المسـيح قـد صـلب في القدس ٠٠٠٠ ولكن باي معنى ؟ فاسد بغيض ، كنمـط وصـورة موت المسيح الحقيقي فيهم (كما يدعون) ... ويبدو لي ، مما علمته عنهم ، انهم يقحمون انفسهم على كل تصريح وبطرق والتـواءات ، حتى يبقوا معروفين الا لخاصتهم ، ولن تعرف اين تجدهم ، حتـى تمسك بهـم ، ولكن خـاصتهم سـيعرفون معـانيهم وكذلك انت اذا حصلت على مفتاحهم ..... وستجده باي ملاحظة لاتخطىء انهـم في البداية سوف (ص ٢٩٧)يلمعون الى اهتمام باحوالك وعواطفـك وميولك ،ثم يفسدون احكامك انهم يبتسـمون لك ، ثـم يذبحـونك : باستعمال كلمات رقيقة ناعمة كالزيت ، حلوة كالعسل ولكنها مفعمة بالسم ... »

(٨) تعطي عدة روايات عن الصـخابين انطبـاعا بهجمـات صحفية من النوع الاكثر خيالا وسفها ، من ذلك مثلا : « صـخابي الدين » او « الحكاية المعصومة المخلصة ، حول آرائهـم الملعـونة الشيطانية ، مع حياتهم وافعالهم البغيضة مع المكتشـفات الحقيقية لبعض زخرفتهم الاستثنائية الاخيرة او تصرفاتهم التـي لاتبـارى منشورة من قبل مختص معتمد (ايلول) ١٦٥٠ (٨ صـفحات)»

وفي رسالة ج . رولستون « انجيل الصخابين » او « سبع ديانات متنوعة اعتنقـــوها وحـــافظوا عليهـــــــا »(كانون اول) ١٦٥٠ (٦ صفحات)

« واللغة المنمقة للصخابين (تشرين اول) ١٦٥٠ » و(في وقت متأخر في ١٧٠٦) في كتيب س جيلدون « ساعي البريد الذي سلب بـــــريده » (طبعـــــــة ثـــــــانية) رســالة ٦٦ (ص ٤٢٦ ـ ٤٢٩) « والروايات المتــواترة حـــول الطقوس العربيدة » ولم تتأكد الاصول الاداماتية المشــتركة ، على سبيل المثال بأي طريقة ولاحتى بالاعترافات الصريحـــة جــدا مـــن الصخابين ، ومن كل هـــذه المواد ان الموضـــوع الوحيد الذي ربمـــا يستحق الحفظ هو وصف امراة من الصـــخابين في كتـــاب « اللغـــة المنمقة للصخابين » وذلك لحيويته وإثارته للصور الذهنية اكثـــر منه لقابليته للاعتماد عليه :

... انها تتكلم باطراء او تمجيد عن اولئك الازواج الذين يعــطون الحرية لزوجاتهم ، ويوافقون طوعا على ان تعاشر الزوجة اي فـــرد اخر من المخلوقات من اقـــرانها ، الذين تختـــارهم ، انهـــا تـــطري الاورغ ، والكمان ،والسمبال و التونغ في تشـــارتر هـــاوس ـــ لين على أنها موسيقى سماوية ، إنها تعب كؤوسها بحرية ، وتنتهي الى انه لاجنة سوى المتع التي نستمتع بها على الارض ، إنهـــا مـــألوفة جدا منذ النظرة الاولى وترقص الكناريز على صوت المزمار القرني »

وقد تم وصف الاعياد الدينية للصخابين على اي حال من قبل احد النقاد من الخصوم بالتفصيل وبكثير من الموثوقية :

« الترتيبات والاســتدعاء مـــع المحـــاكمة بناء على تصريحـــات الصخابين ...»

نشر وفق أمر صدر في ١٦٥٠ (٦ صفحات) ،اخبـار غريبـة عن اولدبايلي او البراهين ، والاستجوابات ، والوثائق والاتهـــامات والادانات للصخابين في جلســات اصــدار الحـــكم المعقـــودة في اولد

بـــايلي ، في ١٨ و ١٩ و ٢٠ مـــن شـــهر كانون الثـــاني الجاري ..... ١٦٥١ (٦ صفحات).

« تبجح الصــــخابين مــــع الاعتقــــال والاســـتجواب والاعتراف .... ١٦٥٠ (٦ صفحات) وكلها تعالج أمـر مجمـوعة مـــن ثمـــانية مــــن الصــــخابين اعتقلوا في لندن في ١ تشرين الثاني ١٦٥٠ ، وكان من الاســـماء التـــي عرفـــت : جــــون كولنز ؟ و ت . شكسبير(متخصص بتربية أرانب الصيد) وتوماس ريف ، وتـــوماس ويبـــرتون و م . وادلورث (صـــانع قفـــازات) ، والتقى الصـــخابون في حـــانة داوود وهـــارب في مــــورلين في دائرة (ابرشية) جيلز كريبلفيت وكان مضيف الحانة من مبدلتون وكانت زوجته (ص ٢٩٨) التي كان ، مشتبه بها منذ وقت طويل بانها من طاقم الصخابين تكرم وفادة جماعة الضيوف (يفترض أنهـــا كانت السيدة ماري مدلتون التي اشـــار إليهـــا كلاركســـون في اعتـــرافه كعشيقة له) ، وكانت هناك نساء أخريات . وغنى الصخابون أغان تجديفية على لحن المزامير ، وابلغ الجيران الشرطة ، التي ارســـلت عميلا محرضا ليندس بينهم ، وقد راقب هذا الرجـــل بـــدقة ســـلوك الصخابين ، ووجد انهـــم يخـــــاطبون بعضـــــهم بعضـــــا ، بالمخلوق ــ الرفيق وهي صورة من توجيه الخطاب كانت بـــلا شـــك طبيعية بين الصخابين ، لاســـيما بين الرجـــال والنســـاء ، وكانوا يســـبون كثيرا ، ورغم انه لم يكن هناك بـــالتاكيد عربـــــدة داعرة مختلطة ، فان احد الرجال استعرض نفسه بطريقة غير محتشـــمة ، وجلس الصخابون بعد ذلك لياكلوا معا ، ومن الواضـــح أن الوجبـــة بالنسبة لهم كانت تملك دلالة قربان وحدة الوجود ، واخذ واحد منهم (قطعة من لحم العجل) من يده ومزقها نتفا وهو يقول للاخر ، هذا هو لحم المسيح خذ وكل ، وعندما القي القبض عليهم اخـــذ احـــدهم شمعة واخذ يطارد حول الغرفة قائلا إنه كان يبحث عن آثامه لكنه لم يجد ايا منها ، والذي اعتقد انه عظيم جـــدا ، كان لديهـــم صـــغيرا جدا ، حتى أنهم لم يروه » وهذه هي لغـــة التناقض الصـــوفي وكون أولئك الناس ربطوا حقا بعض القيمة الصوفية الظاهرية بافعالهم قد

بدا في شـــعارهم أو كلمتهـــم الرمـــزية رام مـــي دام مي وعندما سئلوا قالوا : ان كلمــة رام تعني الرب ، ولكن المدلول الكامل للتعبير يصبح واضحا فقط عندما يضعه المرء الى جـــانب عبـــارات معينة في كتـــابات الصـــخابين : (كنت.....استنفد ، والعن ، واصـدم واغرق في لاشيء ، في احشـاء الابدية الساكنة في(رحـم امـي) (كوب) ، ومـرة أخرى : إنها الان تصدم وتلعن في مـركزها الوحيد ، لتسـكن هناك خالدة في صدر الاب الاوحد :

وهذه ، وهذه فقط هي اللعنة التي ترعب المخلوق بالخوف الاسود منها ... (كلاركسون).

ومثل سبعة من الصخابين في صباح اليوم التـالي امـام السـير جون وولستون الذي ارسـلهم الى بـريدويل لضرب القنب ، ومثـل كولنز وريف ايضا في كانون الثاني التالي في أولدبايلي للاجـابة على التهم الموجهــة اليهمـا في ضـوء قـانون ٩ آب ١٦٥٠ ، المتعلق بحظر « الاراء الالحادية والتجديفية البغيضة » وقد حكم عليهمـا بالسجن لمدة ستة اشهر .(٩) واعطى همفري إليس في المسـيحية الزائفة أو العلاقة الصحيحة للدجالين الكبار ، والممـارسات المروعة والبغيضة ، والخدع الكبرى التي انتشرت مؤخرا في الخارج واثرت في مقاطعة ساوث امبتون .... ١٦٥٠ (٦٢ صفحة) رواية مفصلة حول قضية وليم فرانكلن وماري غادبـرى اللذين يبـدو انهمـا كانا خليفتين حقيقيتين لجماعة المسحاء وامهـات الرب ، ممـن تـرأس تكتلات الروح الحرة في القرون الوسطى .

وإليس الذي كان قسـيسا في وينشسـتر (ص. ٢٩٩) مصـدر يمكن الاعتماد عليه تماما ، إنه كان يعرف كما قـال :«كل الاشـياء التي جرت بيننا ، والتي ماتزال ذاكرتها بعد طول الامد حية نشطة في ذاكرة أغلب الاشخاص الذين في الجـوار » وقـد راقـب كثيرا مـن

الامور عن كثب ، وتوفر له الوصول إلى الاعترافات التي ادلى بهـا اعضاء الطوائف عندما استجوبوا في المحكمة .

وعاش وليم فرانكلن وهو مواطن من اندوفر سنوات عدة في لندن كصانع احبال ، وكان رجـلا محتـرما ومتـزوجا كمـا كان ابرشانيا ،« وموضع تقدير من قبل الاتقياء كقديس بارز ، واستاذ في الورع » ، ولكن المحن نزلت به واصابته ، فقد اصيبت عائلتـه بالطاعون ، وابتلي هـو نفسـه بـالمرض ، ولفتـرة ١٦٤٦ ببعض الاضطراب العقلي ، وبتـاثير هـذا المرض أرعب رفـاقه مـن الابرشانيين باعلانه نفسه ربا ومسيحا ، وبعد وقت قصـير شـفي واعلن توبته ، وبعد ذلك لم تعط صلاته اليومية أي انطباع جنوني ، وقد ابدى « يقظة حذرة في طريقة تعبيره عن نفسه » وبدا بـالنسبة لأليس مسؤولا تماما عن افعاله ، ومن جانب أخر مـالبث أن هجـر بعد وقت قصير رفاقه المتدينين ، وبادعائه بالوحي ونعمـة النبـوة ، بدأ يجتمع بالصخابين ويتعـايش معهـم ، ونبـذ فـرانكلين ، الذي اصبح الان في نحو الاربعين من عمره ، زوجته وبـدأ يعاشر نسـاء اخريات ، وبشكل رئيسي كان من بينهن مريم غادري ، وهي امراة في الثلاثين وكان قد مضى عليها وقت طويل منذ هجرها زوجها ، وكانت تكسب معيشتها في لندن ببيع « الحلي الصـغيرة والسـلع التـافهة للسادة » وحالما التقت بفرانكلن بدأت مـريم غادري تـرى احـلاما وتسمع اصواتا ، وكان فحوى وحيها الصـوفي أنه « لن يكون هناك ملك ، الا ملك الملوك ، ولورد اللوردات .... وسـيحكم القـديسون الارض ، وستعترف الدنيا وتقول تلك هي مدينة الرب ..... سارسل ابني في شخص رجل ، ليحكم الامم ، وسيرونه وجهـا لوجـه وعينا لعين ، وآمنت المرأة المجذوبة بسهولة بفرانكلن وبـانه كان المسـيح الموعود ،و بدأت في نشر الأنباء السعيدة بين جيرانهـا ، و بتـأثير فرانكلن شعرت بأنها يجب أن تتبع المسيح في طريق الفقر الطوعي ، و بالتالي باعت كل شيء كانت تملكه ، و قدمت المال لاطعام الجوعى و كساء العريانين و تبعت فرانكلن « محتضنه اياه .... كسيد لهـا ومسيح »

وباقتناعها بان الرب قد دمر الجسد السالف ، لفرانكلن ، وبذلك قطعت الروابط السالفة التي كانت تربطه بزوجته واطفاله ، بدأت مريم غادري تنام معه كل ليلة ، مع انها اصرت على انها « صاحبته» فقط بمثابة « رجل روحاني » وعندما سألها قسيس إذا ما كانت غير خجلة من معاشرتها لفرانكلن اجابت بان أدم وحواء كانا عراة في براءة ، ولم يخجلا ولكن الخطيئة هي التي جلبت الخجل الى الدنيا : ولكنه عندما انتقل الى المسيح (ص ٣٠٠) رفع ! وفي كل هذا ان ديانة ادم التي اتسمت بها هرطقة القرون الوسطى يمكن تمييزها ، ولايدهش المرء أن المرأة ايضا بدأت تدعو نفسها « عروس الحمل » ، و« المراة التي تكتسي بالشمس » وحتى انها اصبحت تدعى انها هي نفسها « معادلة للرب » .

وفي ١٦٤٩ تلقى الزوج مهمة الهية هي ان يتوجها الى هامبشير وهذه علامة مقنعة على اخلاصهما إذ ان هذا هو الجزء الوحيد من البلاد الذي كان فرانكلن معروفا فيه ، وكان متاكدا أنه معترف به فيه ، وفي القرن السابع عشر لم يعد الفقر الطوعي ممكن التطبيق كطريقة ثابتة للحياة ، وكان على فرانكلن أن يتردد كثيرا على لندن لكسب المال ، وخلال غيابه كانت مريم غادري تتابع الدعوة بصورة متواصلة نيابة عنه وكان مرجعها الوحيد وحيها الخاص ، ولكن ذلك كان يفسر في عبارات كتابية ، وكان نجاحها هائلا : « وكان عدد كبير في كل من المدينة والريف بعضهم مهتز ، وبعضهم مخدوع تماما بتلك الخدع » وكان لفرانكلن نفسه ايضا تلك البلاغة الغريبة ، التي كانت مميزة لمبتدعي الروح الحرة ، ولكونها مقبولة جدا في خطبه ، كان هذا يجعلها تتسلل بسهولة الى عقول البسطاء ، وكثيرا ما كان يقتبس عبارات من الكتاب المقدس في خطبه وكثيرا ما كان يستعمل لغته في الكلام ، ولكنه كان يسيء استعمالها ويستعملها في غير وجهها ، ويلويها عن المعنى الحقيقي لذلك المصدر بطريقة غريبة وبتخيلات مجازية ، وقام اليس بالتعليق نفسه حول أنشطة زوجه كما فعل اكليروس انتويرب بالنسبة لحركة تانشيلم قبل ذلك بخمسة

قرون : في تلك الاشياء كان الشيطان يحول نفسه الى ملاك من النور .

ويقول إليس إن التوقعات الالفية كانت منتشرة في تلك اللحظة وسرعان ما وجد الرب والربة الحيين المؤمنين إحدى المهتديات المتحمسات زوجةقسيس وود ورد ،وقبل مضي وقت طويل كان الزوج يعيش في بيت القس ، وبعد ذلك بوقت قصير تم كسب القسيس نفسه ، وقال اليس : والآن هل هذه العدوى السامة قد بدأت فجأة في الانتشار ، حيث اصابت العديد ، وايضا أولئك الاشخاص النشيطين جدا ليكونوا وعاظا ومحدثين وناشرين لها خارج البلاد وبين الناس ..... وحثوا الاخرين على استضافتها والاحتفاء بها ايضا، والايمان أن .... فرانكلن هذا هو ابن الرب ، المسيح ، والمخلص » ، وقد خصص للحواريين ادوار خاصة فكان احدهم يوحنا المعمدان» المبعوث ليبشر بان المسيح قد جاء الى الارض » وكان اخر ملكا مدمرا « ارسل ليلحق اللعنة بالارض » ، وكان اخر ايضا ملاكا شافيا مكلفا بشفاءاولئك الذين لعنهم رفيقه ، وتظهر من تحت تلك الجمل النابية بشكل جلي ديانة الروح الحرة (ص ٣٠١) فيجد المرء مثلا مريم غادري تطلب كتانا ابيض من مضيفتها السيدة وود ورد ، قائلة ان الرب قد امرها أن تصنع لنفسها ثوبا ابيض ، لانه « قد جعلها طاهرة » ويجد المرء جنديا يرقب تلك الكائنات الخارقة للطبيعة وهي تقوم بالمعجزات ، ومازالت تصرح بوحدة الوجود ، ويجد المرء « الملاك المدمر » نفسه ينكر كل خصومة بين الرب والشيطان مؤكدا أن « كل الاشياء جاءت بالطبيعة » ويدعي بانه هو نفسه «رب النور والرب نفسه ».

وقبض على فرانكلن واتباعه الرئيسيين وحوكموا في وينشستر في كانون الثاني ١٦٥٠ وفي البداية تحملوا بثقة ولم يذكروا شيئا .
وبسؤالهم عن اسمائهم وسكنهم اصروا على أنهم بدون مساكن « طبقا للحم » طالما أنهم روحانيون تماما ، وكانت أعمارهم كما ذكروا من تاريخ لقائهم الاول بفرانكلن ، « كما لو انهم لم يولدوا الا

في حينه » وتمسك فرانكلن واقره حواريوه بانه كان المسيح فعلا ، واثناء المتابعة في بريدويل انهارت شجاعة فرانكلن ، واعلن ارتداده فتخلى عنه حواريوه فورا في غضب ، وفي اذار مثل المسجونون امام الهيئة القضائية للدائرة الغربية ، وحكم على جميع الرجال بالسجن حتى يقدموا الضمانات لسلوكهم الحسن ، واطلق سراح الجميع على الفور بالكفالة باستثناء فرانكلن نفسه ، الذي عجز عن تقديم مثل هذا الضمان ، وارسلت مريم الى بردويل الى حيث تم جلدها لبضعة اسابيع

(١٠) استمرت المواقف الفوضوية الشيوعية التي كثيرا ما كانت بصورة او باخرى مرتبطة بالروح الحرة بين الصخابين ، وذكر رتشارد هيكوك على لسان الصخابين في « شهادة ضد الناس الذين يدعون بالصخابين ودفاعهم ١٦٥٩ (٨ صفحات)

قوله : القى بنصيبك بيننا ، « وليكن لنا كيس نقود واحد إضافة الى ذلك يبدو انه في كانون اول ١٦٥٠ عندما اخذ كثيرمن الصخابين في هجر الحركة عقد « برلمان للصخابين » في لندن ، قرب ساوث امبتون هاوس وخرج منه ثمانية من المنشقين (الذين اعطيت اسماؤهم) و في بيان الصخابين ... الذي نشره م . ستوبز وهو من الرفاق الصخابين المتاخرين ، في ١٦٥٠ (٦ صفحات) تقرير عن سير المحاكمات يلقي ضوءا على التركيب الاجتماعي والمذهب الاجتماعي للحركة :

....إن كثيرا من التساؤلات قد اقترحت ، نيابة عن الفقراء من قبل جماعتهم ، برغبة في معرفة كيف يمكن المحافظة عليهم على الرغم من سقوط مئات عديدة من العظماء ، وكان الجواب على ذلك انه يمكنهم استدانة المال ، وعدم رده مطلقا ، وانهم يجب ان لايستفيدوا فقط من زوجة رجل بل من ممتلكاته وبضائعه وماشيته ايضا ، لان كل شيء مشترك ، ولكن واسفاه إن هذا العطاء لاتثبت فاعليته ، لان عددا كبيرا من الناس من النوعية الافقر يعتقدون أن

هذه الحيلة غير معقولة باي طريقة ، لانهـا تـؤدي الى صراع عنيف وهم يلعنون كل اولئك الذين يناقشونهم هكذا ، ويمقتونهم تمـاما ، حتى انه من ٣٠٠ كانوا موجودين هناك لم يعد منهم اكثر من ١٥٠ بسيماء شيطانية ، (ص ٣٠٢) والبقية ، وقد حدث فيهم تبـدل عظيم برحمة الرب الاليهة ، المخلوقـة فيهـم .... قـد اهتـدوا .... ويعيشون الان بلطف ضمن الاماكن والعادات الخـاصة بهـم .....» وهناك دلالات اخـرى انه بـالانتماء الى الصـخابيين كان الناس العاملون يهجرون اعمـالهم المعتـادة ويعيشـون على الاحسـان ، ويلحظ كتاب ديانة الصخابين : « أن الكسل وهو ام جميع الاذى ، لم يثبت بوضوح انه هكذا مطلقا ، بفعل ...الصخابين ، فالصخابون هم اناس يعيشون حياة كسل وبطالة حتى أن كل مجـرى حياتهـم ليس الا مشهدا مستمرا للسكر ...

(١١) لقد قدم الصخابون موضوعا لتمثيلية هزلية ساخرة الفها س . س غنت (اعني صـمويل شـبرد)» الطـاقم المرح » او « الشيطان يتحول الى صخاب لكونه سمة مميزة لزئير الصخابين في تلك الايام » ، ١٦٥١ وجاءت معظم اسـماءهم واكثـرها وضـوحا مصورة بالكاريكاتور في هذا الانتاج « وشيوعيتهم » مثـلا تـدفعهم إلى اعلان :

.....إن نساءنا جميعهن مشاع
ونحن نشرب حتى نثمل تماما معا ، ونشترك
في تجديفنا ، وإذا تمزقت عباءة رجل
شق الجميع ثيابهم .

وياتي اعضاء الطاقم المرح من العديد مـن الطبقـات ، المختلفـة فبينهم الدارس (احيانا اسقفي) اورسام ، او صيدلي ، أو خياط او جندي أو رجل نبيل ثري ، ويذهب هؤلاء الرجال الى حانة لشرب النبيذ الحلو وتدخين التبغ الثقيل حتى نصـبح خـالدين » وتنضـم سيدتان ، زوجتان لمواطنين محترمين الى الحفلة وتبدا حفلة العربدة

ثم يقبض على الجميع ويؤخذون الى بريدويل ليجلدوا .

وفي احد المشاهد يرقص الصخابون ويغنون في جوقة :

تعال بلا توان ، إننا غير مقتصدين في المرح
ارقص وغن ، وكلنا في حلقة ، لاننا صخابون مرحون
دع الارواح الخائفة تلفظ احشاءها
وترتجف حتى تنقلب .
دع رجال القمر يخافون الاستبداد
وتوقف امام كسيح
تعال مبتعدا ، الخ
اننا لانخاف جحيما ، عندما نكون موتى

لاامراة بشعة ولاامراة حقود :
وبينما نعيش سوف نشرب
رغما عن القاضي والمحلفين
تعالوا ياأولادي ، واحصلوا على مسراتكم
وخذوا حاجتكم من المتعة ،
قذفة مقابل قذفة ولنقم بذلك
ولكن يجب أن يكون لنا معيارنا
ليرقد الجميع بوجد ووله
لنستمتع بمنظر بهيج (ص٣٠٣)
ثم ننهض بأفخاذ عارية
من ذا الذي يخشى مثل هذا الثلج الحلو ؟
حولنا ، حولنا انتم أيها الحشد
ارقصوا رقصا غريبا مثل هوب غوبلنز
اشربوا وازأروا وسبوا وافسقوا
ولكن مع ذلك لاشجار ولاخصام

٢ـ مقتطفات من كتابات الصخابين

من المعروف ان أربعة من الصخابين قد الفوا كتبا وعلى الرغم من أفضل جهود السلطات مازالت نسخ من معظم هذه الكتب باقية ، وهي كما لو انها تملأ بالمقابل الفجوة الناجمة عن تخريب أدبيات العصور الوسطى للروح الحرة »

(١)كتب جاكوب بوثو ملى او بوتوملي « الجوانب المضيئة والمظلمة للرب » أو مقال واضح وموجز حول الجانب المضيء (الرب ، والسماء والأرض) الجانب المظلم (الشيطان ، الخطيئة ، والجحيم) وايضا بالنسبة للبعث والكتابات المقدسة » ١٦٥٠ (٨٤ صفحة) ولقد كان في الجيش في ذلك الوقت وعوقب لكتابة هذا البحث بحرق اللسان ، وفي ١٦٥٤ ـ ١٦٥٥ ـ ظهر في اجتماعات مشتركة للمزلزلين و الصخابين في ليسترشير ، و مثل بوثوملي الصخابة في اكثر مظاهر صفائها و اكادميتها ، و مع أن تعاليمه يمكن أن تستخدم بسهولة لتسويغ الفوضوية الخلقية ، فإن المرء يمكنه أن يقبل تأكيداته بأنه كتب « لا لتشجيع أي عمل غير مناسب او شرير في أي انسان » و يتخيل المرء أن تعاليم مورى أوف بين كان لها العلاقة نفسها بتعاليم العموريين كما كان لتعاليم بوثو ملى بتعاليم الصخابين ، و لورنس كلارسون و أبييز كوب ، و المقتطفات التالية مع قصرها بالمقارنة مع البحث ككل نموذجية :

فيما يتعلق بالرب

ايها الرب ماذا اقول انت ، وانت لايمكن ان تسمى ، وماذا اقول عنك ، وانا عندما اتكلم عنك ، لااقول سوى اشياء متعارضة ؟ لأني اذا قلت اني اراك فان هذا لايكون الا رؤية ذاتك لذاتك ، لأن لاشيء في قادر على ان يراك سوى انت نفسك واذا قلت اني أعرفك ، فان ذلك ليس الا معرفة ذاتك لذاتك لأني بالأحرى معروف لديك أكثر

من معرفتي لك : واذا قلت إني احبــك فهــذا لاشيء ، لأنه لاشيء في يمكن أن يحبك الا انت نفسك ، وعليه فأنت لاتحب الا ذاتك وبحثــي عن ذاتي ليس الا بحثك عن ذاتك : وبهجتي في الاستمتاع بك ليست سوى ابتهاجات بذاتك واستمتاعك بذاتك بطريقة غير مفهومة بدرجة كبيرة .

انك انت الحياة ومـــادة كل المخلوقـــات انهـــا تتـــكلم وتتحرك ،(ص٣٠٤) ،نعم وتعيش فيك ، واياكان المخلوق فانه كما هو فيك .... سيدي الى اين أذهــب مــن حضرتــك ؟ لأن وجــودك وكيانك ، هو المادة والكيان لكل المخلوقات والأشياء وهو الذي يملأ السماء والأرض وكل الأماكن الاخرى ...

كلا اني ارى ان الله في كل المخلوقات انسان أو حيوان ، سـمك او طير ، وكل شيء اخضر ، من أعلى ارزة الى لبلاب الجدران وأن الرب هو الحياة والكيان لها جميعا ، وان الرب يسكن بــالفعل واذا شئت شخصيا ، اذا كان يشاء ان يقبل مثل هذا التعبير المتــواضع بها جميعا ، وبان كيانه ليس في أي مكان أخر خارج مخلوقاته ....

هل رأى الناس أن الرب فيهم ، ويحيط بــأفكارهم وفــاعل لكل أعمالهم وأنه كان معهم في كل الظروف : اي روح دنيوية يمــكن ان تصل الى ذلك بطريق خارجي ، وهي روحيا فيه وهو الذي يملكهــا حقا ؟ والذي ترى الحكمة الالهية انه الأفضل وان الأشياء لايمــكن ان تكون مختلفة بالنسبة له ...

(ومن قبل) كنت أظن ان ذنوبــي او سـيري المقــدس قــد تدفع (الرب) الى ان يغير هدفه من الخير أو الشر بالنسبة لي

ولكني الآن لاأستطيع أن أنظر الى اي حالة من حالاتي أو عمــل الا واعتقــد انه يبــدو أن هناك تــزامنا حلوا بينهـــا وبين الارادة العليا ، وأن لاشيء يكون خلوا منها أو يمضي متجاوزا اياها ، أو أن أي انسان لايمكن أن يفعل أو يكون أي شيء ســوى أن يكون متفقــا

بكل طلاوة معها ، ذلك انها الرحم الذي يتصور فيه كل شيء ، والذي فيه تشكلت كل المخلوقات ومنه تخرج الوجود (كذا)

وكما ان كل الأشياء تصدر عن الرب : فانها ايضا جميعا ستتخلى عن كيانها وحياتها وسعادتها وتعود الى الرب مرة اخرى .... ومع انَّ الكساء ينحل وينتهي الى العدم ، فان ما بداخل الانسان مع ذلك مايزال يحيي ، ومع ان الظل يموت ، فان الروح مع ذلك او المادة التي هي الأب ، تعيش للخلود الكامل ، وأكثر من ذلك انه بالنسبة لي من الواضح ، أن لاشيء يشترك في الطبيعة الالهية أو هو من الرب الا وهو الرب ، والسبب هو انه لاتمييز في الرب ، لكونه جوهرا فردا (كذا)

.... لااستطيع ان ارى ..... ان (الرب) قابل لأي درجة من التقريب : او انه يحب رجلا أكثر من الآخر ، او يكره رجلا اكثر من الآخر .... ولااستطيع ان ارى أن هناك حب وكراهية في الرب ، او ايا من مثل هذه العواطف : فذاك الذي يقبل بالدرجات ليس بكامل .

.... وان الرب يحب كيان كل المخلوقات ، نعم ان كل الناس متشابهون عنده ، وقد تلقوا انطباعات مفعمة بالحياة من الطبيعة الالهية ، مع أنهم ليسوا بذاك البهاء ، ويظهر النقاء في بعضهم كما في بعضهم الآخر ، وبعضهم يعيش في الجانب المنير من الرب ، وبعضهم الآخر في الجانب المظلم ، ولكن فيما يتعلق بالرب ان النور والظلام هما الشيء نفسه بالنسبة له ، لأنه لاشيء يتعارض مع الرب ، بل مع فهمنا فقط ....

بوثوملي يرفض التثليث ويختتم هذا القسم

انا لايمكنني ان افهم أن الرب كان باديا فقط في جسد المسيح ، او في الرجل الذي يدعى المسيح ، بل إنه أيضا حقا وجوهريا يسكن في جسد رجال آخرين ومخلوقات أخرين كما هو في الرجل المسيح (ص ٣.٥)

فيما يتعلق بالجنة

..... ثم يكون الناس في الجنة ، وتكون الجنة في الناس ، عندما يظهر الرب في بهائه وفي الظهور الصافي لذاته ، في الحب والنعمة ، في السلام والراحة في الروح ....

.... واني اجد انه حيث يسكن الرب ، ويأتـي ، ويأخـذ الناس ويلفهم بالروح ، هناك سماء جـديدة وارض جـديدة ، وكل الجنة التي اتطلع ابدا الى أن استمتع بها هـي ان يتـوقف خـوفي الأرضي المظلم من الرب وان لاأعيش حياة اخرى الا تلك التـي روحيا يعيش فيها المسيح في .

فيما يتعلق بالخطيئة

.... صحيح ان الناس يعملون في الظـلام ، غير ان الرب هناك يرفع بهاءه ، وهكذا يجب ان يحتاجوا الى الخطيئة ، لأن الخطيئة بالضبط هي الجانب المظلم للرب وبالتالي هي مجـرد حـرمان مـن النور .

وفوق ذلك يجب ان نعتبر ان الرب لايعطي اي قانون أو عهد مـن نفسه أو بعيدا عن مجده .... والخطيئة في ذاتها تقع ايضـا مـذعنة لمجد الرب شأنها في ذلك شأن ماندعوه النعمـة والطيبـة ، حيث أن الخطيئة تكثر كلما كثرت النعمة وازدادت .... بسبب أن الرب هـو نفسه والكل يتجه الى بهائه ، ان اخطأنا او احسنا : اني اجيبهـم بكلمات الرسول : يجب على الناس ان لايذنبـو لأن النعمـة تـكثر ولكن لأنهم اذا أذنبوا سوف يتحول هذا الى مدح للرب ، تمـاما كما عندما يحسنون ، وهكذا ان غضب الانسان يمدح الرب مثل حبه وحلمه ، وان الرب يمجد في الواحدة كما يمجد في الأخـرى وكيفمـا يبدو ان ذلك يؤيد أن الرب هو مصدر الخـطيئة ، ويريد الخـطيئة ، انه يبقى واضحا بالنسبة لي ، انه لاشيء له كيان سوى الرب ، وان

الخطيئة شيء معدوم ، وان الرب لايمكن ان يكون مصدرا وعليه فكلها ليست في أوامر الرب ، ....

وفوق ذلك ، ارى السبب لماذا ندعو بعض الناس اشرارا او بعضهم اتقياء ، ليس شيئا في الناس ولكن لأن الكيان الألهي يبدو اكثر بهاء في واحد أكثر منه في الآخر : ولهذا ـ نقول ان الواحد قديس وتقي ، والثاني شرير ودنس ، ومع ذلك فان الواحد يتصرف على نحو ماأهل له من قبل القدرة الألهية وهكذا يفعل الآخر : واذا كان هناك اي خلاف فان هذا ليس فيما يتعلق بالمخلوق الذي يتصف بذلك او يفعله لأن الكيان الالهي نفسه في الواحد منهما هو ايضا في الآخر ولكنه فقط لايظهر نفسه في الواحد كما في الآخر ...

ان مشيئة الرب هي قدرته ، وقدرته هي مشيئة : بالعمل نفسه الذاتي يريد الأشياء وبالعمل الذاتي نفسه يفعل الاشياء : وانه خلافا لذلك ان ضعفنا هو الذي يجب ان نخافه اذا لكون الرب واحدا وكاملا ، انه لايقر اي تفريق او فصل في ذاته ، انه لا يقر باختلافات ولكن كل الأشياء هي كما تفعل المشيئة العليا وتدفع اليه ، وانا ارى طبقا لمقاصد مشيئته انهم لم يفعلوا ماأدى لصلب المسيح اكثر مما فعلوا ليقتلوه ، وهذه الأشياء لااكتبها لتأييد اي عمل غير لائق أو شر في أي انسان ...

فيما يتعلق بالجحيم

.. لقد كنت باستمرار اعاني من عذاب الجحيم وجريت الى اعلى واسفل (ص ٣٠٦) لأني ادنت نفسي ... وهذا هو ماوجدت حتى ظهر لي الرب روحيا واظهر لي انه كل البهاء والسعادة في ذاته ، وان الجسد لاشيء ... الرب ... هيأ لي الحرية المجيدة لأبناء الرب ، في حين اني كنت من قبل في عبودية الخطيئة والقانون والضمير المتهم الذي هو الجحيم ....

(ان الروح) تاتي مباشرة من الرب وهي ليست مـن اي شيء سوى الرب ، واذا كان لي ان اقول اكثر دون اساءة ، انهـا الرب لأن كل ماهو من الرب هو الرب ، لأن الرب لايمكن ان يتجزأ .

كيف يمكن ان تكون الروح غير طاهرة كما يقول الناس عنهـا او مذنبة لاأدري ، اذ كيف يمـكن ان يدنس الجسـد روحـا ان هـذا مالاأتصوره ...

والحقيقة هي ان لاشيء يبقى الى الأبد سوى الرب : وكل مادون الرب يهلك ويمضي الى العدم : وبما ان كل الأشـياء كان أسـاسها ووجـودها في الرب ، قبـل ان تـظهر على الاطـلاق الى عالم المخلوقات : فانها هكذا ستكون في النهاية مهمـا كان نوعهـا ففـي الرب او الرب في العالم لدى نهايته كلهم سوف ينضوون في الرب مرة اخرى وحيث ان الرب منذ ازل الأزل يعيش من نفسه وكل الأشـياء فيه ، فانه عندمـا يتـوقف عن العيش في الجسـد وفي المخلوقـات سيعيش في نفسه الى الأبـد ، وسـوف ينتصر في مجـد على الذنب والجحيم والموت ، وكل المخلوقات ستسلم سـلطتها وبهـاءها مـرة اخرى الى الرب الذي جاءت منه في الأصل ، وهكذا سـيكون الرب كل شيء .

(٢)وكان بين الصخابين الذين وجدهم جورج فوكس في السجن في كوفنتري في ١٦٤٩ ، جوزيف سلمون الذي بعد ذلك « بوقت غير طويل ... اصدر بحثا او كتابا في الشجب والارتداد عن عقيدته وبناء عليه افرج عنه » ومنذ سنة ١٦٥٠ كان سـلمون لبضـع سـنوات قسيسا في كنت يعـظ كثيرا في كاتـدرائية روشسـتر ، وفي مـراحل مختلفة من حياته كتب عددا من الأبحاث ويبدو ان واحدا منهـا كان رسالة صـخبية تدعى « تحلل الألوهية » التـي يبـدو انهـا فقدت ، والمقتطفات التالية التي تكشف عن عبقرية شـعرية متميزة فعلا هي مأخوذة من شجب يدعى :

« ارتفاعات في أعماق ، وأعماق في ارتفاعات أو حقيقة ليست

أقل سرية منها متلالأة بطلاوة في بهائها مــن تحـت سـحابة مـــن الغموض .... الى جانب التنازل باخلاص عن امور مضيئة ســواء صدرت عنه او وقعت عليه ، ١٦٥١ » (٥٤ صفحة) .

ولم يمض وقت طويل منذ بزغ هذا النور المتفوق الذي أطـل فجـره من بهائه على روحـي واعطـى في حينه انعـكاسا قـويا حلوا على العالم ، حتى كفن نفسه تحت سحابة مـن أشـد مـايكون سـوادا وظلاما ، وانسحب فصلا ، خلف ظلة مظلمة من التراب والجسـد ، وفي حالة أصبحت روحي فيها في عالم مغطى بـالظلام ولم اعد اعرف ما إذا كنت أمشي أو ماذا كنت افعل . هكذا كنت اقاد إلى طرقات لم اكن أعرفها ، وتحولت من ملك إلى حيوان اكل للقشور مدة فصـل ، وبعد فترة أمضيتها وانا ارحل بغضب بالغ وفي حمـاس ملتهـب إلى غاية لايمكن بلوغها : كانت طريقتي في السير محكوم عليها من قبـل أولئك الذين في السـلطة خـلافا للسـلام والمدنية والنظـام المدني للكومنولث وكنت مـوضع خشـية كبيرة كمسيء (ص ٣٠٧) لقـد عانيت اكثر من نصف عام من السجن في ظل فكرة التجديف ، ومـن خلال الحاجة إلى الهواء وكثير من وسائل الراحة الأخرى اصـبحت مضجرا ومملا تجاه الناس ....

ودون سلمون كيف ثاب وارتد واطلق سراحه .

إني مدفوع الآن للكلام لاني تقريبا منهـك مـن الكلام ، ولاعرف العالم أن الصمت قد أمسك بروحي ، إن صواعق الرب القـادر قـد أحدثت صوتها في وارتجفت السماء والأرض من اصـواتها المرعبـة وانتهى الانذار ، وهناك الآن صمت في السماء إلى متى لاادري .
إني انام هادئا مطمئنا بـالله وانا أرى العـالم كله ونار الحسـد لبعضه بعضا تاكله،إني أسمع ضجيجا كثيرا من حولي ولكنه فقـط يصم أذاني في سكون الراحة الالهية ، إن العالم الرسـمي مـذعور جدا ، وكل صورة قد هبت إلى السلاح لتعلن حروبا مفتـوحة ضـد نفسها : إن القدرة الالهية تدفع بشيء ضد الآخـر وتـربك ذلك الذي تواجه من قبل مع بهاء الحضور الالهي : إنه من سيستو ي ويتـطلع

نحو الأسفل وهو الذي سيقول : مــاذا تفعــل ؟ آه ياروحــي ادخلي حجري واقفلي الأبواب حولك واخفي الذات في الصمت فصلا حتــى يدفع بالسخط بعيدا .... يبدو أننا نعيش في حــالة مــن التنوع ، في حين أننا لانعيش حقا مقابل في المظهر فقط : إن حياتنا في الوحدة : إننا من واحد ولم نعد من واحد مجزأ .

وبينما نختار التنوع ونطوف بــه ، نســير ولكن مثــل الأشــباح الكثيرة والظلال فيه حتى (كذا) أن الكيان الذاتي هو ظل الوحدة . والهبوط من التوحد أو الخلود إلى التعددية ، هو فقدان أنفســنا في تيه ليس له نهاية .

وبالصعود من التنوع إلي التماثل ، هو تجميع لأرواحنا المشــتتة في مركزها الأصلي حيث نجد أنفسنا حيث كانت قبل أن نكون ....

وبالمناسبة كيف يمكن للمرء إذا أن يبلغ التوحد ، والمشــاركة في هذا البهاء الذي لايمكن الوصول إليه ؟

يكون ذلك : برؤية أنه ليس هناك طريق محتمل لنا (بــطموحاتنا البالغة الارتفاع) لنهتم بأنفسنا في ذلك .

ويجب أن نتوقع بصبر مجيئه في أوانه إلينا ، ذلك الذي طبيعته أن يحتوينا في ذاته وأن يذيبنا في طبيعته ومشابهته .

وفي الحقيقة حتى يحين ذلك ويظهر نفسه لنا ، فكل مــايفعله المرء للحصول على الرضا والراحة هــو أن يضــاعف الأسى على رأســه ويزيد من العناية بروحه وقدم سلمون بيانا عن مغامراته الروحية : « عما قريب أبدأ رحلتي إلى السماء ، إن كل قوى وقــدرات روحــي بلا نهاية مشغولة أيضا ... وأنا الآن قد تخليت عن عشــيرتي وبيت أبي ... » واصبح مشيخانيا ، ومستقلا ، ومعــمدانيا وفي النهــاية صوفيا :(ص ٣٠٨)
«وبدوت لنفسي مشــوشا في هــاوية الأبــدية واللاوجــود في كيان الكيانات ... » وأصبح صخابا :

وبكوني هكذا معمى عن حضرة الرب طفت بعنف عبر ممرات بالغة الظلمة حيث تعثرت حالا ودائما وسقطت في شرك الرعب والدنس والتجديف الصريح ، يقودني ويدفعني (بأي قوة ليحكم القاضي الحكيم) عنصر الحماس المجنون لتمزيق وانتزاع كل مظاهر الرب التي دللتها من قبل في صدري .

لاأبهج نفسي بشيء إلا بذلك الذي حولني إلى شيء تافه ، قبيح في نظر كل الناس ، وأسبح في لاشيء سوى خجلي ....

لقد كنت في الواقع مريضا تماما بالغضب ، قارورة من الغضب أعطيت لي كي أشرب ....

حسنا يجب أن أشرب ، ولكن لاحظ اللغز .

لقد أعطيت لي كي أشرب ، وشربت حتى أتعثر ، وتعثرت حتى أني قد سقطت ، و في سقوطي كنت سعيدا

ومن الغريب كيف أن الوجود الخفي والسري للرب في ، قد ابتهج في صمت ، في حين أن الجسد قد ظهر هكذا .

لقد كان لي راحة حلوة في اللجوء إلى الرب ، حتى بينما كان جسدي يشوى ويشيط في لهيب الغضب الحانق .

لقد كنت في مأمن في الصدر الخالد ، بينما كان الجسد يتمرغ في الموج المزبد ، لغروره الخاص ....

وأعرف أن هذا لغز بالنسبة للعديد لاأجد من غير النصارى الحقيقيين يستطيع تفسيره ، وحتى يسر بحله ، فإنه يسرني أن يبقى في الظلام . ولكن لنصل إلى قرار .

هكذا دفعت إلى الطرق الغريبة للظلام ، التي تقود إلى الأعلى والأسفل في عاصفة ثائرة من الغضب ، وتصدعت على صخور مروعة من الدهشة ، إن كل أمواج القدرة الالهية وسجلها قد غمرتني .

أنا الآن في راحة في الأعماق الساكنة للأبدية ، وغرقت في أعماق الصمت وبعدما (قفزت فوق هذه الهاوية المخيفة) وصلت بسلام إلى صدر الحب ، وأرض الراحة .

واحيانا اسمع عن العالم الذي هجرته ، واري أيامه محفوفة بمد من الصخب نفسه والنزاع والتنافس الذي كثر فيه عندما تركته ، إني أعطيه إصغائي وهذا كل شيء ....

إن رغبتي الكبيرة (وهذا حيث ابتهج اكثر) هي ان لااري او اقول شيئا . لقد ركضت حول عالم المنوعات ، وتمركزت الآن في الأبدية ، وذلك هو الرحم الذي اخذت منه ، والذي إليه تقلصت رغباتي .... (ص ٣٠٩) إن كل شيء يحمل حركة ثابتة وظامئة تجاه المركز ، وعندما نضعف مرة من الاسهاب في التنوع فإننا نحل في السكون ، حيث نكون كما لو اننا لم نوجد مطلقا ...

إن الرب بهاء واحد بسيط غير مركب : لاشيء يعيش فيه او يتدفق منه ، سوى ما هو ذاته الفردية النقية

الوحدة هي الأب ، المبدع الخالق المنجب لكل الاشياء او (إذا شئت) الجدة التي في رحمها الفعلي تختفي المنوعات حتى يخرجها الزمان بشكل منظم ....

(٣) كان لورنس كلاركسون او كلاكستون (١٦١٥ ــ ١٦٦٧) مواطنا من بريستون ربي في كنيسة انكلترا ، وفي شبابه اظهر معارف تطهرية (متزمتة) ، وكان ينظر إلى الرقص في السبت برعب خاص ، ثم اصبح مشيخانيا ثم مستقلا وباعتباره ممن كان يرى أن الايمان وحده يكفي للخلاص (بالمعنى اللاهوتي للكلمة) اصبح (قسيسا في ابرشية) في نورفولك ، وبعد ذلك عاش حياة هائمة ، وفي ١٦٤٤ اصبح من القائلين بتجديد العماد وفي السنة التالية سجن بسبب « الغطاس » وحتى نهاية ١٦٤٨ تبع أحد الميول الدينية الرئيسة من ذلك الوقت وهو مذهب البحاثين ، وخلال تلك الفترة كان واعظا متجولا في كنت وقسيسا لابرشيتين أخريين في هيرتفوردشير ولنكانشير ، وبدا أيضا في كتابة رسائل دينية ، وعن هذه الفترة يقول :« كان قليل من الكهنة قادرين على الوصول إلى مرتبتي في المذهب وفي الصلاة ، لكن هذا لم

يفد ، فلكوني لست من رجال الجامعة ، كثيرا ما طردت من الوظيفة » . وكان بناء على ذلك بشكل مستمر في ضائقة مالية . ثم أصبح واعظا في فوج للجيش ، ثم حاول أن يجد أبرشية في لندن ، واخيرا وفي وقت مبكر من ١٦٤٩ ، تحول إلى صخاب ، وسرعان ما أصبح سيء السمعة كقائد لمجموعة فاسقة بشكل متميز ، تدعو نفسها « جسدي الواحد » . وأعطت اللجنة المشكلة للبرلمان للتحقيق في الصخابة اهتماما شديدا لكتاب كلاركسون العاق الملحد ،« عين واحدة » ، وفي ٢٧ أيلول ١٦٥٠ ،حكم المجلس على المؤلف بسجن شهر يعقبه النفي . وأحرق الكتاب في وستمنستر وكذلك المقالات من قبل الجلاد العام ، وامر بتسليم كل النسخ لتحرق ولكن قليلا منها نجا من هذا المصير ، ولم ينفذ النفي مطلقا ، وبإطلاق سراحه من السجن استأنف كلاركسون حياته الهائمة وهذه المرة كمنجم ، وفي ١٦٥٨ انضم إلى طائفة من الزاهدين المتطرفين ، المغليتونيان وبعد ذلك كتب عدة رسائل نيابة عنهم . وتوفي مدينا في سجن لودغيت ، وكان أخر كتاب له سيرة ذاتية تلقي ضوءا كثيرا على طريقة حياة الصخابين :« أخر الخراف الموجودة » ،أو« المبذر يعود إلى بيت ابائه بعد سفر كثير حزين ومنهك عبر كثير من البلاد الدينية » تأليف لوركلاكسون الرسول المهتدي الحقيقي الوحيد ليسوع المسيح خالق السموات والأرض ١٦٦٠ (٦٤ صفحة) ، والمقتطفات التالية من هذا العمل تصف دخول كلاركسون في مجتمع الصخابين ، وبعض نتائجه (ص ٣١٠) «.... وسكنت في مسكن خاص ،وسألتني صديقة سالفة لي عما إذا كنت لم أسمع عن اناس يدعون « جسدي الواحد » ؟ فقلت : لها ماذا كان رأيهم وكيف يمكنني أن أتحدث مع واحد منهم ؟ فأرشدتني عندئذ (كذا) إلى جايلس كالفرت .... وبمجيئي إلى كالفرت ، واستفساري عن أولئك الناس خشي ان أكون قد جئت لخيانتهم ، ولكن بتبادل بضع كلمات بأعلى صوتي تأثر واقتنع بأني كنت صديقا لهم وكتب لي مذكرة إلى السيد برش ، وكان محتواها وفحواها ، حامل مذكرتي هذه هو رجل من أكثر المتنورين الذين سمعتهم مطلقا ، واود أن اعلمكم انكم باستقبالة قد استقبلتم ملاكا ، وهكذا ذهبت إلى السيد برش

وابرزت تلك المذكرة ، التي قراها بتمعن ودعاني للدخول وقال لي أنه لو أني بكرت قليلا لرأيت السيد كوب الذي ظهر فيمـــا بعـــد بـــطريقة مخيفة جدا ، وكانت هناك ماري ليك ، وتبادلنا بعض الحديث ولكنهم لم يتطرقوا إلى ماعندي ومع ذلك أخبروني باني إذا ذهبت يوم الأحد التالي إلى السيد ميليس في زقاق ترينيتي فإنه في ذلك اليوم ســيلتقي هناك بعض الأصدقاء ، والآن فان حكمي في ذلك الوقت كان انه ليس هناك إنسان يمكن أن يكون متحررا من الذنب ، حتى يأتي بما يدعى خطيئة على انه ليس خطيئة ، وكان هذا بداخلي لبعض الوقت ومـــع ذلك لم اجرؤ ان اكشف عنه لأحد ، وكنت أعتقد أن أحـــدا لن يمـــكنه تقبله ، وكانت لدي رغبة في القيام بمحاولة ســـواء كنت ســـأرضى أو انزعج من ذلك حتى أني .... اخذت طريقي متوغلا في الضـــياع ، وفي اليوم المحدد وجدت السيد برش والســـيد رولنســـون والســـيد غولد سميث ، مع ماري ليك واربعة أخرين : وكانت ماري ليك الآن هـــي المتحدث الرئيس ، وكان في حديثها شيء جميل ، ولكنه لم يكن رفيعا بالقدر الذي خبرته في نفسي، ثم كان أن اعلنت ماكنت أعرفـــه بـــكل جراة مما دفع ماري ليك ، لكونها عمياء ، لأن تسأل : من هذا الذي تكلم ؟ فقال برش إنه الرجل الذي أرسله جايلز كالفرت إلينا وعليه وبمزيد من الكلام اكدت أنه ليس هناك ذنب إلا الذي قدره الانســـان كذلك ، وعليه إن أحدا لن يكون قادرا على التحرر مـــن الذنب إلى أن يفعله في براءة على أنه ليس ذنبا ، لأني أرى أن الطـــاهر بـــالنسبة لي ، هو الذي بالنسبة للفهم المظلم غير طاهر ، لأنه بالنسبة للطاهر كل الأشياء وكذلك كل الأفعال طـــاهرة : وبـــذلك نجعـــل الكتـــابات المقدسة كتابات من الشمع ، واستشهدت بكلمات بولس : إني أعرف وإني مقتنع بـــالرب يســـوع ، أنه لاشيء غير طـــاهر إلا بتقـــدير الانسان ، وكشفت أن هذا يقصد به كل الأفعـــال وايضـــا اللحـــوم والمشروبات وعليه حتى يمكنك ان تنام مع كل النساء كمـــا تنام مـــع امراة واحدة ، ولاتعتبر ذلك ذنبا ، فإنه ليس بمقدورك أن تفعل شيئا غير ما هو ذنب : الآن وجدت في الكتابات المقدسة كلاما عن الكمـــال حتى أني فهمت أن لااحد يمكن أن يبلغ الكمال إلا بهـــذه الطـــريقة : التي اخذ بهـــا الســـيد رولنس كثيرا ، ودعتني ســـارة كولن وكانت

حاضرة في حينه لتجربة ماصرحت بــه ، وفهمــت مــن ذلك بعــد أن افترقنا انهــا دعتني إلى الســيد واتس في رودلين ، حيث كان هناك واحدة او اثنتين اخريين مثلها ، وما ان اخــذتها نامــت معــي تلك الليلة : والآن اشيع في الأحد المقابل في الخارج حديث أن رجلا ليس له نظير بمعارفه سوف يتحدث عند السيد برش ، وفي ذلك اليوم كانت هناك جمهرة كبيرة من الرجال والنساء مــن الشــباب والكهــول ، وهكذا من يوم ليوم كانت تزداد حتى اصبح لدي الآن خيار فيما كنت (ص ٣١١) من قبل اطمح إليه وبلغت الكثرة حدا وصــل إلى آذان اداريينا . وبعدما اخذت أجري تركتهم وسكنت في رودلين ، حيث كان لي زبائن عديدين حتى اني لم اكن قــادرا على تلبية كل الرغبــات ، ومع ذلك فإن احدا سوانا لم يكن يعرف شيئا عن افعالنا ، وعلى أي حال لقد كنت دقيقا في معرفة مع من اتصرف ، وقد تزايد هذا المبــدأ الشهواني ، حتى ان اللورد العمدة وضباطه جاؤوا في منتصف الليل لاخذي ولكن ما أن علموا بذلك حتى منعوه ... وشعرت بــرغبة في أن اكتب للعالم مبينا ماهية مثلي ومبادئي وهكذا اخرجت للمــلا كتــابا يدعى « العين الواحدة » .

حتى ان رجالا ونساء جاؤوا مــن أجــزاء عديدة لرؤية وجهــي ، والاستماع إلى معارفي في هذه الأشياء ، لكونهــم كانوا قلقين حتــى يتحرروا كما كنا نقول عن ذلك في حينه ، والآن وقد أصــبحت كمــا قالوا قائد الصخب ، كانت معظم النساء من ذوات الشرف يجئن إلى سكني من اجل المعرفة ، وســكني هــو الذي اطلق عليه بعــد اســم القيادة .

وفي قمة هذا الصــخب كنت حــريصا على أن احتفــظ بــالمال لزوجتي ، اما جسمي فقط فكنت اعطيه للنساء الاخــريات ، ومــع ازدياد رفقتنا لم أعد افتقد شيئا يمكن أن يرغب فيه القلب ، ولكنهــا اخيرا اصبحت حرفة شائعة حتى ان كل الزبد والحثالة قد اندفعــوا الى قمة هذه الشرور ، نعم لقد بدأت تصبح خزيا عاما علينا ، حتى اني تخليت عن قيادتي وتوجهت الى زوجتــي في الريف ، حيث كان

لي بالمناسبة حواريون كثيرون.... الميجور رينزبور والدكتور بـاركر ...والسـيد واليس الفـورد وقـد التقيت بهـم هناك ، حيث لم يكن السرور والبهجة بمدح الرب قليلا فقط بل حتى لا شيء ، مطلقا ، كم هوعظيم ما فعله الرب من أشياء مجيدة باخراجنا من العبـودية الى الحرية التـامة لأبناء الرب ، ومـع ذلك ففـي حينه كانت الفـكرة المستحوذة على قلبي هي كل طـرق السرقـة والغش ، والخـطأ أو الأذى الذي يمكن إحـداثه ، سرا ، مـع أني كنت بـاللسان أصرح بالعكس ، دون تفكير في اني اخرق القانون في كل نقاطه (باستثناء القتل) ، وكان أساس ذلك كله هو حـكمي أن الله قـد جعـل كل الأشـياء طيبـة ، وعلى ذلك فليس هناك شر الا الذي يقـدره الانسان ، لأني كنت افهم انه ليس هناك شيء يدعى سرقـة أو غش أو كذب بل إن الانسان هو الذي جعل هذه الأشياء هـكذا ، لأنه لو أنشـأ المخلوق هـذه الدنيا على (لا) تمليك ، أي لي ولك ، لما كان هناك شيء يسمى سرقة أو غش أوكذب ، التي للوقاية منهـا اخـرج ايفرارد وجيرارد ويدستانلي ، مبدأ الشيوع ، حتى يمكن أن يعيش الجميع بأنفسهم ، وعندها لا تـكون هناك حـاجة للسـلب والاحتيال ، بل وحدة الواحد مع الآخر.....هذا ما تصـورته كمـا لو اني لم أعرف ما كنت عليه قبل أن اخرج للوجود ، وعليه فالى الأبـد يجب أن لا أعرف شيئا بعـد ذلك حتـى يتحلل كياني ، ولكنه حتـى كتيار من المحيط كان متميزا بنفسه بينما هـو تيار ، ولكنه عندمـا عاد الى المحيط ابتلع هناك واصـبح ضـمن المحيط ، وهـكذا روح الانسان وهي في البدن ، كانت متميزة عن الرب ولكن عندمـا يأتـي الموت تعود للرب وتصبح في وحدة معه ، نعـم الرب نفسـه ، ومـع ذلك ، فاني احيانا ما كنت أجد نورا دقيقا في روحي وبخوفي مـن أنه يجب أن لا يكون هذا كذلك ، كما كان على العكس في الواقـع إلا أنه مع ذلك كان لكأس من النبيذ أن تزيل هذاالشك...».

ومضى كلاركسون في وصف كيف تم اعتقاله في النهاية في حانة في بيشوبسغيت وسجن في الوايتهـول ، ويفتـرض انه دفـع للحـرس العسـكري الذي أعد له ، ولكن كان للصـخابة متعـاطفون في

الجيش :» ولكون بعضهم على مبدأي ، كانوا يحرسونني دون مقابل ، وكان أحد النقباء فيهم يعطيني نقودا ، وعندما استجوب من قبل لجنة المجلس راوغ وكذب - في روايته - بالضبط حسب السلوك الذي وصفه تيكل في الحفرة التي لا قرار لها٠

(٤) كان العنوان الكامل للرسالة الصخبية لكلاركسون هو :

« العين الواحدة ، كل النور لا ظلام ، أو النور والظلام شيء واحد.... » وقد كشف ذلك في رسالة سرية ذات سمة عالمية ، طبعت في لندن في السنة التي كانت فيها قوى السماء والأرض موجودة ، وسوف تهتز ، نعم وتلعن ، حتى لا تبقى بعد ذلك الى الأبد ، طباعة جايلز كلفرت ، ١٦٥٠ (١٦ صفحة) وتأصل بهذا العمل بما يتجاوز كل احتمالات الشك أن بعض الصخابين كانوا حقا يعلمون كل اللا أخلاقيات التي عزاها اكليروس القرون الوسطى الى أخوة الروح الحرة :

أنظر لقد جاء ملك السعادة والمجد
ليخضع الرب ، والشيطان لقدرهما
لأن كليهما عبد لي
أنا الذي يعيش ويحكم في جلال تام...
تبا إذا للخجل ، لاتنظر فوق السماوات

للرب أو الجنة ، لأن هنا ترقد كنوزك وحتى في تلك الصور ستحكم المشيئة الخالدة
ومن خلاله كل الأشياء ، فقط واحد ، وليست زوجا
وبالتأكيد إنه النبع الذي فيه كل شيء
جيد وسيء (هكذا اصطلح) يبدو أنه ينبع....

وقد خبر أن جلالته:الكيان والعمل لكل شيء ، يظهر في وللمخلوق في صورة مزدوجة أو سيماء ، بها يصبح حقيقة للمخلوق ، الذي ليس الا ظلا لهذا الكائن اللانهائي،...

وعليه إنها صيحة جلالته التي لم تتحقق ، ولم تطع إلا من قبل

الكنائس والقديسين ، وعارض الشياطين وازدروا . لذلك يندر أن تجد المخلوق الذي أوقظ من نومه العميق ، ونفض عنه الغطاء ، حتى يمكنه أن يقول عند الظهور الواضح للرب ، لقد ذهبت الغشاوة ، وأنه يؤمن بالحقيقة كما هي في جلاله ....وإذا أقر العقل ، وفسر بذلك الكتاب المقدس ، فانهم يجب أن يلاحظوا (كذا) في هذا العمل الذي يدعونه الأمانة ، ان تكون أن زانيا وأن العمل الذي يدعى زنا ، فيه من الامانة ما للآخر ، لأنهما بالنسبة للرب ليسا الا واحدا وأن هذا العمل الواحد مقدس وصائب وطيب كالرب ، وهذا بالنسبة لي يؤكده العقل وهو معلن في الكتاب المقدس « إنه بالنسبة للطاهرين كل الأشياء طاهرة »

حتى أنه من جانبي إني لا أعرف أن شيئا غير نظيف بالنسبة لي ، اكثر مما هو في ذاته ، وعليه فإن أي فعل اقوم به تفعله الجلالة في نفسي..حتى اني لا أعبأ كيف يحكم علي ، وفي هذا لا احكم على نفسي والخلاصة إن منتقدي الكتب المقدسة والكنائس والقديسين والشياطين لا يعنون بالنسبة لي اكثر من قطع(كذا) عنق كلب ••• ، فيل

اشعيا ، ٤٢ ـ ١٦ « اجعل الظلمة امامهم نورا »

...والآن جاء الوقت ، الآن يوم يسلبهم الرب أوهامهم ، وينير مفاهيمهم المظلمة كما في نصي ، سيجعل الرب الظلام نورا بين أيديهم

...والآن يقترب الوقت حيث تظهر الاقوال التي في هذا النص في تحرر الروح ، سأجعل الظلام نورا بين أيديهم.

وبوصولنا الآن الى المرسى المأمول ، فإن كل الصعوبة ستكون في كيفية تفريغ السفينة المشحونة بمثل تلك اللآليء المخبأة ، وكيف يمكن عمل سلعة منها ، وكيف نحل هذا الموضوع حسب قدرتكم ، كيف نعطيكم فكر الرب بتعابير مماثلة لظهور الرب فيكم...قد تقراون أن النور والظلام متشابهان بالنسبة للرب ، هكذا

هو يظهر ، لكن الظلام في المخلوقات مفهوم ، وهو ليس سوى ظلام متوهم لأن النص يقول الرب هو النور وفيه لا وجود للظـلام ، وعلى هذا انت ترى اي شيء ، او بأي طريقة كان ما يدعى ظلاما في الكتاب المقدس ، مع انه لا شيء بالنسبة للرب.

ويجيب كلاركسون أولئك الذين ينسبون اعمالا خاطئة مثل صلب المسيح الى الشيطان ، او الى الاختـراعات الشريرة للانسـان : والآن وقد احـاط بنا الفـوج الاسـود ، الذي يقـوده الشيطان ، والجيش كله يتكون من تخيلات كل الخليقة ، لا طـريق لدي للهرب من هذا المعسكر والخليج الذي لا قرار له ، إلا بـاختراق الحصن والمعقل المحصن ضدي.

ولكوني مسلحا بسلاح الجـلالة ، فـاني لا اشـك في أن الرب في سيطيح بتلك المعاقل المتوهمة ، نعم إن كل شيء يعلي نفسه ضد قوة الأعلي...يجب ان اخبركم...إن كل القوى مستمدة من الرب ، وكذلك كل الأعمال اي كانت طبيعتها على الاطلاق إنمـا هـي ناجمـة عن قوته ، نعم تلك القوة الربانية حتى أن كل شيء يصدر عن هذه القدرة نقي بنقاء القوة ، والقوة بنقاء الرب نفسه.

وهكذا فمن ثم يأتـي انه ليس مـن عمـل ايا كان غير طـاهر في الرب ، أو أثم لدى الرب أو بين يدي الرب ....

وكما قلت ، وهكذا أقول مرة أخرى إن تلك الاعمـال او اي فعـل ايا كان طالما انه يقدر او يتوهم منك بأنه خـاطيء ليس في الرب ولا من الرب ، ومع ذلك فما يزال كما قلت أن كل ما هناك من افعال من الرب ، نعم هي بنقاء الرب نفسه ....لقد اخذت الخطيئة مفهومها في العصور فقط ، وعليه ، طالما أن الفعل في الرب أو صدر بوضوح عن الرب فهو مقدس كالرب: ولكن بعد ظهوره فيك أو فهمه لك فإن هـذا العمل يكون إما طيبا أو شريرا ، وعليه هل كنت مع ادم تـأكل مـن الشجرة المحرمة ، شجرة معـرفة الخير والشر ، وهـل ذقـت تلك الثمرة التي ليست في الرب ، حيث يقول النص ، مـن فـم الأعلى لا

يخرج شر بـل خير : خير ولكن ليس شرا ، لأن الرب طيب والخير هو الرب : وعليه فإنه هو الذي جعل كل شيء طيبـا ، نعـم إن مـا تتخيله أنت شرا قد جعله طيبا : وعليه إن تصورك من الرب ما ليس يفعله الرب لكل المخلوقات هو اساءة كبيرة للرب يجعل الرب مصدرا لما ليس في الرب (ليعلم) الخطيئة ولكن بـالنسبة للأمـر الذي بين ايدينا ، لقد سمعت بكل الأفعـال القـائمة والتـي كان مصـــدرها ومنشؤها من الرب ، نعم من فعل الرب وكي أكون واضــحا إن تلك الأفعال الصادرة عنك ، والتـي تـدعى السـباب والسـكر والزنا والسرقة الخ. تلك الاعمال ببساطة كأعمال هي اعمـال جـاءت مـن قدرة الرب نعم ، كملها الرب بحكمته.

ماذا قلت أنا : هل عند السباب والسكير والزاني واللص سـلطة الرب وحكمته للسـباب والشرب والعهـر والسرقـة ؟ ...حسـنا يا أصدقاء مع أن مظهر الرب في يبدو بالنسبة لكم مرعبا هكذا كما كان لموسى في الجبل ، فإنه يبقى على الرغم مـن ذلك هـو مـا سـمعته ورايته ، إني لا أشعر بأقل رجفة ، بل ابتهـج ان اتيحـت لي هـذه الفرصة لأعلنه لكم ، كيفما كان تقبلكم له.

وكما قلت من قبل ، واقول ثانية : كلمة خطيئة هي فقط اسم بلا عاده ، لا وجود لها في الرب ولا في المخلوق ، بـل في الخيال ، وعليه يقال إن تخيلات قلوبكم هي شر مستمر ، إنه لا الجسـم ولا الحياة بل الخيال فقط وهذا ليس في مرة واحدة أو مرات بل دائمـا وهنا إن الخطيئة التي لا تأخذ في ذاتها شكلا قد وجـد لهـا شـكل في تقـدير المخلوق...

فكر في أي فعل على الاطلاق ، نعـم وليكن فعـل السـباب ، او السكر ، او الزنا والسرقة ، لاتزال هذهالأفعـال ببسـاطة ، نعـم بشكل مجرد ، كأفعال ليست شيئا مميزا عن افعال الصلاة ، فلماذا تعجب ؟ ولماذا تغضب ؟ إنها جميعا واحدة في ذاتها ، فليست هناك قدسية ، ولا طهارة بعد ذلك في واحدة دون الأخرى.

ولكن ما أن يعتبر المخلوق فعلا على انه زنا واخر امانة او عفة ، واحدا طاهرا والآخر دنسا فإنه في النهاية بالنسبة لذلك الرجل الذي يعتبر أحد العملين دنسا فإنه يكون دنسا بالنسبة له : (وكما يقول التاريخ) ليس هناك شيء دنس في ذاته ، ولكنه .... إلا بالنسبة لذلك الذي يعتبره دنسا ، نعم ايضا ، وايضا فإنه يسجل انه للطاهر كل شيء ، نعم كل شيء طاهر ، ولكن للدنس كل شيء دنس...

ولا يهم ما يقوله الكتاب المقدس ، والقديسون ولا الكنيسة إذا لم يكن الذي في داخلك يدينك ، فانك لن تدان لأن التاريخ يقول من فمك ، لا من فم غيرك احكم عليك ، وعليه تذكر انك ما لم تحاسب نفسك ، دع الحياة تكون ما تكون ، وافعل ما يمكنك ، ومع ذلك فانك إذا لم تحاسب نفسك لن تحاسب ،لاني لم ات الى العالم لادين ، بل لاخلص العالم ، ولكن إذا كان لوم وقذف القديسين والكنيسة يدفعك لان تستجوب نفسك ، الن تكون إذا مستعدا للقول بماذا يحكمون دون ان اكون مذنبا بما يتهمونني به ، لهذا فإنه صحيح القول ، اه يا آدم ان الخراب من ذاتك أنت...

إن الرب قد اعلن ان تلك الاعمال القذرة البغيضة في الظلام (التي تعرفها انت هكذا) ستدمر وتلعن ولكن كيف وأين ستلعن؟ (ص ٣١٥)إن هذا في اقوال ذلك النص سأجعل الظلام نورا ، اه إن هذا ما فكرنا فيه بطهر ، وعندها فانك سترى أن الخطيئة يجب ان لا تطرح خارجا بل تطرح داخلا ، هناك كونها في الراقود (وعاء التخمير) تصبغ بلون المادة السائلة نفسها كما يلون الزعفران الحليب بلونه ، هكذا يفعل ينبوع الضوء في تحويل الخطيئة ، فالجحيم والشيطان يحولها الى طبيعته والنور الى نور مثله ، سأجعل الطرق خشنة ناعمة : انها الآن ملعونة ومحشوة في مركزها الوحيد هناك لتسكن الى الابد في صدر ابيها الأوحد : ان هذا وهذا فقط هو اللعنة التي ترعب المخلوق كثيرا بمفهومها الاسود...

وعن بعث الجسد يقول كلاركسون:

إن جسمك الذي يتركب من لحم وعظم هو من تراب الأرض ، وعليه عندما يختزل بدنك الى مركزه عندها (وليس الا عند ذلك) يصبح جسمك حيا ، وتكتمل سعادته ...إن هذا المكان الذي يدعى الجنة ، سيصبح جحيما للبدن ، لأنه بعد أن يوسد في القبر ، يقبر في سمائه ، وبهائه ، وسعادته حيث سيتعفن وسيمتص في طبيعته الخاصة الى الأبد ودائما....

لأنه في الذور أعلن ، أن الأحاسيس الفاسدة يجب ان تكون في الفساد ، وفهمك الفاني يجب أن يكتسي بالخلود ، إذ حيث كنت حيا لخمسة وميتا لواحد ستكون الآن ميتا لخمسة وحيا لواحد ، إنه ذلك الواحد الطاهر الذي لا يرى شيئا الا النقاء ، وحيثما يذهب وأيما يفعل ، فكل شيء حلو وبهيج ، ولكن تحت أي اسم كان ، فأنت خارج من الاسم للفعل ومن الفعل للقوة ، ومن القوة الى اسمه ، وهذا الأسم الواحد فقط طاهر وغير ملوث ، حتى انك الآن ذاعينين أطهر من أن ترى الظلم والخطيئة ، وبناء عليه إن الشيطان رب ، والجحيم جنة ، والخطيئة قدسية ، واللعنة خلاصا ، إن هذا وهذا فقط هو البعث الأول.

ومع ذلك فان هنا ليس مقر اقامة ، وليس مسكنا أمنا ، ذلك الذي مازلت فيه على حافة مصر، ليس فقط مع موسى بل جبل حرمون فقط شفهيا وليس عمليا ، يفتقر جدا إلى البعث الثاني وهو الحياة والقوة التي رايتها ، فحتى تخلص من ذلك الذي بعثت فيه ، انك لاتستطيع أن تقول ايها الموت اين هي لدغتك؟ ايها القبر اين هو انتصارك ؟

لاتعجب مني لأنه دون فعل ، ودون مولد ، وليس هناك تحرر ليس فقط للمتكلمين بل للفاعلين ليس فقط روحك بل جسمك عجيب ان يكون ضحية حية ومقبولة ، وعلية حتى تفعل مايدعى خطيئة فانك لن تتحرر من سلطة الخطيئة ، بل مستعدا لكل انذار للارتجاف والخوف من لوم الجسد .

واقول الى أن يتحول اللحم الى روح ، والروح الى لحـم ، فـلا اثنين بل واحد ، فانك في عبودية تامة لأنه بدون احتـرام ، أعلن أنه كل من يحاول أن يتصرف من اللحم في اللحـم مـع اللحـم يرتـكب الزنا: ولكن كي يتصرف من اللحم في اللحـم مـع اللحـم يرتـكب ذلك ، الذي يدعى خطيئة فاني لايمكنني ان أهيمن على الخـطيئة ، حتى أني الآن ايما فعلت ليس له علاقة بالاسم ، باللحم بـل بـذلك الخلود في داخلي ، حتى انه معي ، ان كل المخلوفات ليست سـوى مخلوق واحـد ، وهـذه هـي صـورتي (ص ٣١٦)الممثلة لكل الخليقة لذلك انظر ماذا استطيع فعله وماسوف افعل الكل ليس الا شيء واحد حلو بديع ، وعليه ياأعزائي فكروا انه بـلا فعـل لاحياة وبلا حياة لاكمال ، وبلا كمال لاسلام ابدا ولاحرية حقـا في القـدرة التي هي الجلال الأبدي ، الحكم القاهر الذي يلعن كل شيء في ذاتـه بلا نهاية الى الأبد .

(٨) وكان اكثـر الصـخابين شـهرة ابيرزكوب (١٦١٩ - ١٦٧٢) وقـد ولد وتـرعرع في وورك Warwick ومن الممتع ان نلاحظ ان ذلك التـابع المقبـل للروح الحرة كانت تسـتحوذ عليه في فتـرة المراهقـة اعتقـاد بالاثم ، وكان فريسة للقلق العصياني ، وكان يحتفظ بسجل يومي لخطاياه ، وهام كثيرا ، وفرض على نفسه صلوات المسـاء واذلال النفس وعن هذه الفترة يقول : في صلاتي المسـائية وعند منتصـف الليل ... كنت بـاستمرار .... (مـع اسى الروح ، والتنهـدات والتأوهات وكثيرا مع الدموع) اعترف بخطاياي

..... وكانت الدموع شرابي : والتراب والرماد لحمـي والخيش لباسي ، والحماس والاخلاص ، وصداقة الحياة المتزايدة والحوار هي حياتي « لقد وضع حارسا صارما » يرقب كل كلمة او فعـل او فكر ، وكان لديه دافع مستحوذ تقريبا للسباب واللعان ، ولكن بمثل هذه الطرق كان قادرا ـ كما يدعي ـ على تجنب كل السباب لنحـو سبع وعشرين سنة .

وفي ١٦٣٦ ذهـــب كوب الى اكســـفورد « كدارس فقير » ـ كخـادم في اول ســـولز All souls وسرعان ما اصبح مدير مكتب بريد في ميرتـــون Merton ويقال ـ يصعب الحكم بمدى الصـدق ـ أنه في ذلك الوقـت كانت اخلاقياته اقل تزمتا « وانه كان كثيرا مايرفه عن ربة بيت لعـوب في غرفته ليلا » وعطل تفجر الحرب الأهلية مهنته في اكسـفورد فتـرك الجامعة دون الحصول على درجة ، ومثـل لورنس كلاركسـون كان لبعض الوقت مشيخانيا ثم اصبح فيما بعد قسـيسا مـن القـائلين بتجديد العماد ، وفي هذه الوظيفة كان نشيطا جدا في اكسـفورد هير ووروبكشير وقسما من وورسستشير « الغطاس » ويقـال ان ذلك شمل نحـو ٧,٠٠٠ شـخصا ، وكان يراس قـداس حـامية عسكرية .

وبهذه الأنشـطة سـجن في حـوالي ١٦٤٦ في كوفنتـري Coventry وربما حلت بكوب محـن اخـرى بسـبب شذوذ حياته الدينية ويقـول ان والده ووالدتـه قـد تخليا عنه ، وان زوجته انصرفت عنه في كراهية ونفـور ، حتـى ان سمعته دمـرت وأضرمت النار في بيته ، ومهدت هـذه الأحـداث بـدورها الطـريقة لتحوله الى الصخابة ، الذي جـرى في ١٦٤٩ وتبنى كوب وحـده الوجود في الافلاطونية المحدثة للروح الحـرة معتقـدا بـأن الرب في السماء والأرض والفجر والجحيم ٠٠ يملأ كل شيء وكل مكان فهـو الكل في الكل وان كل الأشياء تعود الى اصلها ويبـدو انه قـد تبنى ايضا الطرق الاداماينية وكان معتادا منه ان يعظ بالتجديف الصريح والشرور التي لم يسمح بهـا في النهـار وفي الليل(ص٣١٧) يشرب وينام عاريا تماما مع بغي كانت ايضا مستمعة له » ومامن شـك في ان يسجن بسبب مثل هـذا السـلوك لمدة اربعـة عشر اسـبوعا في وورك ، ويبدو ـ اسـتنادا الى اشـارة كلاركسـون اليه ـ انه انتمى اخيرا إلى مجموعة الصخابين الملتفـة انذاك حـول جـايلز كلفرت والذين اسموا انفسهم (الجسد الواحد) وكان من الشائع ادراجه مع كلاركسون كقائد لحفـلات العـربدة التـي كان يقيمهـا

الصخابون ويبدو انه بين الفينة والفينة عندما كان يعمل كمبشر للصخابين انه كان يستخدم جدليات كتاب كلاركسون « العين الواحدة » وكان كوب قائد الصخابين الذين يشربون ويدخنون والذين سجنوا في سجن جورج فوكس في تشارنغ كروس Charing cross ، ويبدو انه في الواقع كان يدمن الشراب كثيرا ، ولكن فوق كل شيء انه ما أن تحول الى صخاب حتى انغمس في ماكان يتوق اليه من سباب ولعان.

ويتساءل ريتشارد باكستر Richard Boxter برعب كيف حدث ان اتباع هذا الرجل « رجالا ونساء كانوا يصرخون بخوفهم الحماسي من الرب يجب ... ان يتركوا ليضيفوا الى دينهم العربدة والزئير ، والشراب ، والقهر ، والقسم العلني الصريح يملء الفم عادة ،الى جانب جراح ودماء الرب ، واللعنة الأكثر ترويعا التي سمع بها » ولقد سمعنا أن كوب يلعن نحو ساعة من غير انقطاع على منبر كنيسة في لندن ، ويسب مضيفة في حانة بشكل مخيف« حتى انها ارتجفت وارتعدت لبضع ساعات بعد ذلك » وكان حواريوه يوضعون في اداة التعذيب الخشبية التي تقيد فيها ارجلهم في ستارتفورد Startford بسبب سبابهم .

وكان كوب صخابا عندما الف في ١٦٤٩ كتاباته الوحيدة التي تستحق الذكر : بعض الرشفات الحلوة من بعض النبيذ الروحي . اللفافة الملتهبة الطائرة و (حيك وصدر مع هذه الأخيرة) لفافة ملتهبة طائرة ثانية .

وادت اللفافتان الطائرتان الى اعتقاله في كانون الثاني ١٦٥٠ وسجن في كوفنتري (للمرة الثانية) ثم في نيوغيت New Gate ، واصدر البرلمان امرا بجمع واحراق اللفافتان باعتبارهما تحتويان كثيرا من التجديف المروع والآراء الملعونة البغيضة من قبل العمد ومفوضي الشرطة ، وقضاة الصلح في

كل انحاء الكومنولث وان تحرق من قبل الجـلادين العـامين ، وان تحرق نسخ منهـا علنا في وسـتمنستر وفي السـوق وفي سـاوثورك South Wark وكانت فرصة كبيرة لتطبيق قـانون ٩ اب ١٦٥٠ (المشار اليه من قبل) ضد التجديف الالحـادي والآراء البغيضة في أعمال كوب وأخيرا استجوبت اللجنة البـرلمانية التي كانت قد استجوبت كلاركسون في ايلول ١٦٥٠ كوب بعـد ذلك بوقت قصير ، واثناء الاستجواب تظاهر السجين بـالجنون واخـذ يلقي بقشور البندق والأشياء الأخرى في انحاء الغرفة ويكلم نفسه .

وفي نيوغيت اسـتقبل كوب زوارا كثيرين « وبـالجدال الهادي » حول غير قليل منهم إلى الصخابة . وفي النهـاية على أي حال بدأ توتر السجن يحدث اثره ، وفي بداية ١٦٥١ أصدر وهـو في السجن الاعتراض على الاحتجاج الحماسي المخلص لابييزركوب ضد الآراء التجـديفية البغيضـة الواردة في قـانون ١٠ آب ١٦٥٠ (٦ صفحات) (ص ٣١٨) واعقب ذلك بنحو خمسة شـهور بـارتداد كامل بنشره :

« عودة كوب إلى طرق الحقيقة وسـقوط اجنحـة اللفـافة الملتهبـة الطائرة » الخ وفي هذا يعزو كوب سجنه إلى « بعض الأفعال الغريبة والمواقف ... بعض الكلمـات والتعـابير الصـعبة ، والسـوداء ، والصلبة ، والغريبة والقاسية ، وتقريبا بما لم يسمع بـه وقـال عن صخابته السالفة :

« إن أبرز أيام الرب رهبة قد تسلل إلي على حين غرة ، كلص في الليل .... وكان الكأس في يد الرب اليمنى فـوضع في يدي اليمنى ، وكان مليئا حتى الحافة بالنبيذ المسكر ، وشربتـه حتـى الثمـالة . وعندها ولكوني ثملت بجنون تكلمت كلاما غريبـا ، وتصرفـت بمـا لاادري به . ولدهشة بعضـهم والحيرة الشـديدة لبعضـهم الآخـر والأسى الشديد لآخرين وإلى أن فـارقتني الكاس لم ادر مـا قلت او فعلت».

والآن وقد عاد إليه فهمه ، رجا أن تجمع اجنحة اللفافة الملتهبة الطائرة وان تلقى بلا تردد في مكانها الخاص «بحيرة النار والكبريت ، والهاوية العظيمة التي جاءت منها » . ونتيجة لذلك الالتماس إلى البرلمان ومجلس الدولة اطلق سراح كوب بعد سنة ونصف السنة من السجن ، وفي ايلول وعظ في بيرفورد موعظة الارتداد التي استدعت التعليقات المتشككة لجون تيكل (المقتبسة أعلاه) وبعد ذلك أصبحت حياة كوب بلا مغامرات ولامخاطر وبعد الارتداد مارس التطبيب في باريز تحت اسم الدكتور هيغام حتى وفاته .

اما باكستر الذي تحدث مع كوب ، فكان متأكدا من أنه لم يكن مجنونا ، وتعطي كتابات كوب انطباعا بغرابة الأطوار اكثر من كونها عصابية فقد كان دائما فرديا بقوة ، وأحيانا مشوشا تقريبا ، مع حيوية لفظية لاتنكر ، وهي ذات قيمة كبيرة جدا لفهم ديانة الروح الحرة ، واكثر وضوحا من أي مصدر أخر ، وتبين هذه الرسائل كيف أن السلوك المتطرف الفوضوي لاتباع الروح الحرة تدفق منها وتغذى بتجارب الجذب الصوفي الظاهري التحليقي ، وهي تلقي كثيرا من الضوء أيضا على « المذهب الاجتماعي » للروح الحرة ، ونجد كوب يؤكد أن كل الأشياء تخص أو يجب أن تخص الرب وحده ، وتدين تماما مبدأ الملكية الخاصة ، والحث على الفقر الرسولي وتحقير الذات العلني ، الذي كان يعتبر عادة صفة مميزة خاصة بالقرون الوسطى يمكن أن يرى هنا نشطا في انكلترا القرن السابع عشر ، ويمكن أيضا أن نلاحظ في تلك الكتابات مدى سهولة ظهور مثل هذا الرفض للملكية الخاصة مع كراهية الأغنياء وهكذا كما في القارة الأوروبية في قرون سالفة ـ ادى إلى ظهور تطرف عنيد متصلب ، واكثر أعمال كوب أهمية بلاشك ذلك الذي عانى (ص ٣١٩) بسببه من السجن « اللفافة الملتهبة الطائرة » : كلمة من الرب إلى كل عظماء الأرض ، ممن يهمهم الأمر : كونها أخر إنذار ليوم الحساب ، لأن الرب الآن ـ ١ ـ يبلغكم ـ ٢ ـ وينصحكم ـ ٣ ـ ويحذركم ـ ٤ ـ ويتهم ويحكم على

- ١٨٥١ -

العظماء ، وأيضا كتبليغ بـالغ الحنو والحـب والتعـاطف فينصـح ويحذر لندن من كلمة رهيبـة وضربـة مميتـة مـن الرب للكنائس مجتمعة . وكله بجلاله الرائع ، يسكن فيه ويشع من خـلال بـطرس العالمي المعروف بكوب . مع لفافة طـائرة أخـرى تـالية (إلى كل سكان الأرض) طبعت في لندن في بـداية ذلك اليوم المشـهور ، حيث كشفت أسرار كل القلوب وحيث اكتشفت أسـوا الشرور واكثـرها كراهة تحت أفضل وأنعم المظاهر الخـارجية ١٦٤٩ (١٥ صـفحة و ٢٢ صفحة) .

التوطئة

مدخل إلى أرض الميعاد ، هيروسالم الجديدة وبوابة إلى المقالة التالية ، التي تستحق تأملا جادا

عزيزي الأوحد
الكل أو لاشيء
كل واحد تحت الشمس
خاصتي
إن بالغ روعتي وجلالي (في) قد حولت هذه الصورة بشكل مختلف وغريب

وأنظر ، بقدرتي الخاصة (في) التي تحولت في لحظة في رمشة عين عند صوت البوق والآن يهبط الرب من السماء ، بصيحة ، وبصوت كبير الملائكة وبوق الرب ، والبحر والأرض ، نعم كل الأشياء تتخلى عن موتاها ، وكل شيء كان موجودا على الاطلاق هو أو سيكون منظورا .... وهو القبر حيث ملك البهاء (القدرة الخالدة غير المنظورة) ترقد كما لو كانت ميتة مقبورة .

ولكن أنظر ، انظر إنه الآن ينهض مع الشاهد ، لينقذ جبل صهيون مع الانتقام ، أو ليلعن ويبتلي كل الأشياء في نفسه وهو الذي بملاكه القوي يعلن (بصوت مرتفع) أن الخطيئة والعدوان قد انتهيا وبلغا أخرتهما ، وحل الصلاح الدائم ، والوعظ الأبدي بالانجيل ، ويؤتى بالانجيل الأبدى بزلزلة أرضية مروعة وهزة سماوية مع علامات وعجائب تالية .

وقد سر جلالتي الممتازة جدا (التي هي الحب الشامل ، وخدمتها هي الحرية التامة) أن تضع هذه الصورة (كاتب هذه

اللفافة) لا كعلامة صغيرة وعجيبة في اسرائيل الجسدية ، كما ربما سترون في المقالة التالية .

والآن (يا أعزائي) : كل واحد تحت الشمس إني سأشير فقط إلى البوابة ، التي اقتدت عبرها إلى المدينة (ص ٣٢٠) الجديدة هيروسالم وإلى أرواح الرجال العادلين المستقيمين ، الذين أصبحوا كاملين وإلى الرب حاكم الجميع .

في البداية خارت قواي وقواتي تماما واحرق البيت الذي سكنته ، وتخلى عني أبي وأخي ، ونفرت مني زوجتي الحميمة ، واهترا اسمي القديم ، وهلك وابتليت تماما واستهلكت ولعنت وصدمت وغرقت في العدم ، في أحشاء الأبدية الساكنة (رحم امي) الذي خرجت منه عاريا والذي عدت إليه عاريا مرة أخرى ، ونمت وهلة هناك سابحا في الصمت ، وفي النهاية (وقد استيقظ الجسد والهيئة الظاهرية كل تلك الوهلة) سمعت بأذني الخارجية (لخوفي) قصفة رعد مروعة جدا ، وبعدها ثانية ، ومع القصفة الثانية التي كانت بالغة الهول رايت جسما عظيما من النور ، كنور الشمس ، وأحمر كالنار على صورة طبل (كما كان) حيث مع ارتجاف هائل ودهشة في الجسد ، وبهجة لاتوصف في الروح ، شبكت يدي وصحت : لك المجد أمين ، لك المجد أمين .

وهكذا رقدت وانا ارتجف وادخن (فترة نصف ساعة) وفي النهاية وبصوت عالي (داخليا) صحت ، يارب ماذا ستفعل بي ، وبجلالي الممتاز وبالبهاء الأبدي (في) فأجابني قائلا : لاتخف ساخذك الى اعلى الى ممالكتي الابدية ، ولكنك ستشرب (اولا) كأس مرة ، كأسا مرة وعندها (وقد ملئت بدهشة زائدة) القيت في بطن الجحيم (و خذ ما شئت من هذه التعابير)مع أن الأمر يفوق الوصف وكنت بين جميع الشياطين حتى في اكثر مناظرها بشاعة .

وتحت كل هذا الرعب والدهشة كانت هناك شرارة صغيرة من البهاء الفائق الذي لايوصف والتي بقيت وحافظت عل نفسها

مبتهجة منتصرة مرتفعة بنفسها فوق كل الشــياطين ، وتخــزي كل السواد والظلام (يجب أن تأخذها بهذه التعابير لأنهــا تفــوق بــلا حدود كل وصف) وبهذا سلبت الحياة من الجسد (فصلا) وهــكذا شبهت ، كما لو أن رجلا معه فرشاة عظيمة غمست في طــلاء ابيض ويجب أن يمحوها بضربة واحدة أو رسم صــورة على جــدار الخ ، وبعد برهة عادت النفس والحياة إلى صورتها مرة أخرى ، وعندهــا رأيت أشعة من النور (في الليل) بدت للعين الظاهرة ، وعلى الفور رأيت ثلاثة قلوب .... ذات لمعان زائد ، ثم عددا لايحصى مــن القلوب المصاحبة على الفور تملأ كل زاوية من الغرفة حيث كنت ، وتشتتت افكاري ، كما لو كان هناك قلوب عدة ومع هذا وأشد غرابة بصورة لا توصف تتجمع وتتفرق في وحدة.

ورأيت بوضوح تمايزا وتنوعا واختلافا ، ثــم رأيت الجميع يبتلع في وحـــدة. واصـــبحت منذ ذلك الحين أغنيتـــي المتـــكررة : في وبدون ، وحدة ، شمول وشمول وحدة ، عظمــة ابــدية الخ...وعند هذه الرؤيا نطق صوت قوي جدا وبهي بهــذه الكلمــات : إن أرواح الناس المستقيمين قد أصبحت كاملة ، ومعه كنت في حالة مشــاركة تامة واضحة مطلقة وفي طريق مــزدوجة مــألوفة أكثــر(ص ٣٢١)

وهكذا أصبحت في الحياة الظاهرة أبدا مع أعز أصدقائي وأقاربي الأقربين لقد امتدت الرؤى والعرض الالهي ويد القدرة الالهية الأبدية الخالدة الي ، وفي داخلي فترة أربعة أيام وليال دون انقطاع:

ولن يتسع الوقت إذا حــدثتك عن كل شيء ولكن ليس مــن الارادة الطيبة والسرور للجلالة الفــائقة الروعة بــداخلي ، أن أعلن المزيد (بعد) أو أن أمضي ابعد كثيرا ، وكان من بين الأصوات المختلفــة التي نطقت وقتهــا بــداخلي مــا يلي :الدم ، الدم ، أين ، أين ؟ في القلب المقـــدس الزائف الخ ، واخــــرى كمــــــا يلي : الانتقام ، الانتقام ، الانتقام ، الطــاعون ، الطــاعون ، لسـكان الأرض ، النار ، النار ، النار ، السيف ، السيف الخ ، وفوق ذلك لاتنحنوا الى أســفل للجــلالة الأبــدية ، الحـــب

الشامل ، ساشفي ، اشفي ، صـومي ، كتـابي ، مـالي اعلن : لاتخش أيا من هذه الوجوه ، اني (فيك) نخيرة من الصخور الخ .
اذهـــــــــــــــــب الى لندن ، الى لندن ، الى لندن ، المدينة الكبرى ، أكتب ، اكتب ، اكتب وانظر ما كتبت انظر عجبا تلك اليد التي ارسلت الي ، وكان فيها ملف من كتاب ستضع له هـذه اليد التي من لحم أجنحة ، قبل الوقت وعندها خطف مـن يدي وسـقط الملف في فمي واكلته فملأ احشائي حزقيال: ٢ /٨ ونشيد الانشـاد: ٣ / ١ /٢/٢ حيث كان مرا كالعلقم واستقرت وهي تحمي وتحترق في معدتي حتى أخرجتها في هذه الصورة
وانا أبعث بها الآن طائرة اليك ، مع قلبي وكليتي.

بطرس العالمي

من اللفافة الملتهبة الطائرة الأولى ، الفصل الأول:

هكذا يقول الرب ، ابلغـكم ، اني اسـقط ، اسـقط. ومثـل الأساقفة وشارل ، واللوردات ، وقد أخذوا دورهم أسـقط وحتـى يأتي دورك بعد ذلك (إنك ستبقى بعد العظماء) تحت اسم أو لقـب أيا كان متميزا او جليلا وأيا كنت ، هـذا يضـعني تجـــاه الرب الخالد ، وهو الحي الشامل ، وخدمته حرية تامة وخلاعة صرفة....

والآن هكذا يقول الرب:

مع أنكم قليلا ما تتحملون كلمة المساواةمثل مـا كان الذي ذبـح مؤخرا ومات ، شارل (سلفك الذي ذهب قبلك) وكان كمـا يسـكن هنا الشـيطان كان هنا شـيطان المسـاواة (المؤيد للمسـاواة بين الناس) الذي ، وفي (الواقع) ليس الا ظلا مـرعبا جـدا لأمـور عظيمة ومجيدة وطيبة ستأتي بعد.

انظر ، انظر ، انظر ، انا الرب الخالد رب الحشود المسـاواتي القادر قادم (نعم حتـــى عند الأبـــواب) ليســـوي بـــأمانة

جيدة ، وليسوي لبعض الأهداف ، وليسوي مع شاهد ، وليسوي التلال بالوديان ليطرح الجبال لتصبح منخفضة.

أيتها الجبال العالية والأرزات لقد حان الوقت لك لتدخلي الصخور ولتختفي في التراب خوفا من الرب ومن أجل بهاء جلاله ،لأن النظرات المتعالية للانسان ستصبح متواضعة وعجرفة الرجال ستنحني نحو الأسفل والرب وحده سيمجد في ذلك اليوم.. (ص ٣٢٢)

أيتها التلال والأرزات! والرجال الأقوياء! أن الانفاس في خياشيمك. أولئك الذين أعجبوا ، وعبدوا ، والهوا ، وعظموا ونصبوكم وحاربوا من أجلكم ، وضاربوا بالسلع والاسم الطيب ، الأوصال والحياة لك وستتوقف منك.

ولن يكون لكم اعتبار (للجميع) ، (لا احد منكن) أيتها البلوطات القوية الثابتة التي لا تنحني أمام الجلال الابدي: الحب الشامل ، الذي خدمته حرية كاملة ، والذي خلع الأقوياء (تذكر ، تذكر سلفك) والذي يخلع الأقوياء من مقاعدهم ، ويرفعهم من درجاتهم الدنيا والمسوي الأعظم ، يطرح الجبال في الأسفل ويسوي التلال التي في الانسان.
ولكن هذا ليس كل شيء.

لأني انظر اني أت (هكذا يقول الرب) بالانتقام لأسوي شرفكم ايضا شرفكم ، وثرواتكم ، ولألطخ فخر بهائكم ولأزدري كل مبجل (من الأشخاص والأشياء) على الأرض ، اشعيا: ٢٣ / ٩.

ولأن هذا الشرف ، والنبل ، والمنزلة ، واللياقة ، والغنى ، الخ (دون معارض) كان ابا للتفاخر الجحيمي المروع والغطرسة والتعالي والعجرفة والقتل ، والخداع وجميع مذاهب الشر والعقوق ، نعم كان هو المسبب في كل الدماء المسفوكة من الصالح هابيل الى دماء أخر المساواتيين الذين اطلق عليهم الرصاص حتى

الموت ، والآن (بينما أعيش يقول الرب) لقد جئت لأحقق من أجل الدم ، والقتل والتفاخر الخ .

إني أرى جذر كل ذلك ، إن البلطة موضوعة على جذر الشجرة (من قبل الرب الخالد ، أنا ، يقول الرب) سأقطعها وبينما أعيش ، سأبتلي شرفكم ، والأبهة ، والعظمة ، والغنى وأمزجه بالطهر والمساواة والمشاركة ، إن عنق الفخر ، والقتل وتعمد الأذى والطغيان الخ.

يمكن أن تقطع بضربة واحدة ، وإن ذاتي ، الرب الخالد ، الحب الشامل قد يملأ الأرض بالحب الشامل ، والسلام الشامل والحرية التامة ، الأمر الذي لا يمكن مطلقا أن يتحقق بالسيف البشري والقوة...

الفصل الثاني:

هكذا يقول الرب: كونوا عاقلين الآن ، أيها الحكام الخ ، كونوا راشدين الخ قبلوا الشمس الخ ، نعم قبلوا الشحاذين ، والسجناء دفئوهم ، اطعموهم ، واكسوهم ، واعطوهم مالا ، خففوا عنهم ، حرروهم ، استقبلوهم في منازلكم ، كل ذرة بالجودة نفسها (واذا دخلت في منافسة معكم) هم في بعض الدرجات أفضل منكم مرة أخرى أقول: اعترفوا بهم ، إنهم ذواتكم وحدوهم معكم والا اذهبوا لتذبحوا في الجحيم ، انبحوا من أجل البؤس الذي سيحكم بكم ، انبحوا •

إن ظل المساواة نفسه ، مساواة السيف ، مساواة الرجال ، قد أفزعتكم ، (ومن مثلكم يمكن ان يلومكم ، لأنها هزت مملكتكم ؟) ولكن قوة المساواة (ص ٣٢٣) آتية الآن .

إن الرب الخالد ، المساواتي القادر أت نعم أت بل إنه عند الباب ، وماذا ستفعلون في ذلك اليوم...

ان أذاني مملوءة حتى الحافة بصيحات المساجين المساكين صيحات نيوغيت لدغيت (المرحومة) التي يندر أن تبرح أذاني.
تلك الصيحات الحزينة ، خبز ، خبز ، خبز لله ، تحرق أذاني وقلبي اني لم اعد أتحمل بعد الآن.

إن ويرفور ترفعك بسرعة الى كل سجون المملكة إنحن امام أولئك الفقراء ، المقرفين ، الحقيرين ، البائسين ذوي الأسمال ، قولوا لهم ، لخدمكم المتواضعين ، ايها السادة (بدون تعليق) إننا نطلقكم احرارا ونخدمكم الخ..

افعلوا هذا والا (بينما أعيش) فإن عيونكم (على الأقل) سوف تقتلع وتحملون اسرى الى أرض غريبة.

....افقدوا فرق الشرور ، وضعوا الأحمال الثقيلة ، واعطوا المضطهدين حريتهم ، واكسروا كل نير ، وزعوا خبزكم على الجوعى

وادعوا الفقراء الذين طردتموهم(من كل من البيوت والمعابر) الى بيوتكم.

اكسوا العراة لا تخفوا انفسكم عن الجسد الذي يخصكم ، عن المقعدين ، والمتشردين ، والشحاذين ، إنهم من الجسد الذي يخصكم ومعاشري البغايا ، واللصوص الخ إنهم جسد من جسدكم وسرقتهم وعهرهم جسد من جسدكم أيضا ، وجسدكم الخاص لابد أن عشرة أضعاف منه فيكم ، من ذلك الذي يتصرف ظاهريا بأي من الطريقتين ، تذكروا ولا تحولوا عيونكم عن جسدكم

كفوا عن أذى منتصف الليل

دعوا وصمة العار للحرف (م) فقط

لا تـــــــكونوا بعـــــــد الآن هـــــــــــكذا مروعين ، جهنميين ، وقحين ، متكبرين ، أشرارا اذ للحكم على ما هو خطيئة ، وماليس كذلك ، وما هو شر ومــاليس كذلك ومــا هــو الكفر وماليس كذلك.

لأنك أنت وكل الهتك المبجلين ، الذين يدعون هكذا (اولئك الذين يتكهنون للعشور ، يســتأجرون ، ويدفعــون المال ويخــدمون الرب يسوع المسيح من أجل بطونهم) يجهلون هذا الشيء الواحد.

إن تلك الخطيئة والعدوان قد انتهت إنها مجرد لغز لا يمكنهم بكل علمهم البشري أن يحلوه.

ولا هم يستطيعون فهم ما هو الشرف الطاهر الملفوف في شــعار الملوك ، الشر عندهم هــو الشر الذي يفــكرون بــه ، وهناك بعض (الذين يعتبرون نفاية كل الأشياء) من هم فرسان نبلاء أصــحاب وسام ربطة الساق ، الذين منذ حصــولهم عليه لم يقــدروا أن يروا شرا ، أو يفكروا بشر أو يفعلوا الشر ، أو يعرفوا الشر.

إن كل ما يتحدثون عنه هو الدين والشرف الذي يفعلونه ، ولكنكم جميعا يا من أكلتم من شــجرة المعــرفة بــالخير والشر ولم تــدعوا عيونكم الشريرة تقتلع ، تســـــمون الخير شرا والشر خيرا والنور ظلاما والظلام نورا ، والحقيقة تجديفا والتجديف حقيقــة وانتــم في هذا الوقت ، وقت أبيكم الشيطان ، واخيكم الفريسي الذي مــا زال يقول عن المسيح (وهو الحي الآن) دعونا لا نقول أن له شيطان .

انتبهوا ، انتبهوا ، انتبهوا(ص ٣٢٤)

ان اللوطيين العمي الذين قد دعوا الملائكة رجــالا لم يروا فيهــم أنذاك سوى صور الرجال ، هنالك مــلائكة(الآن) يهبــطون مــن السماء في صور وأشكال الرجال وهم كليا من انتقــام الرب ، وهــم مكلفون بصب بلاء الرب على الأرض وتعذيب السكان هنا.

وقد عرفت بعض هذه الملائكة كذلك
ونظرت اليهم كشياطين ، واعتبرتهم شياطين متجسدين ، وركضت من مكان لآخر لاختبيء منهم ، متجنبا صحبتهم ، وخجلت تماما عندما شوهدت معهم.

ولكن بسبب جهدي ، أصبت بالطاعون وتعذيب بما يفوق الوصف. حتى أني الآن يقينا ارى واحدا من هؤلاء الملائكة يصب بلاء الرب ويلعن ويطلب من الآخرين أن يلعنوا بمرارة.

وإني يقينا أسمع ملاكا قويا (في الانسان) يقسم قسما مغلظا ، ويرى روح نحميا (في أي صورة للرجل او المرأة) تركض نحو يهودي غير نظيف (قديس مدعي) ويمزق شعر رأسه كرجل مجنون ، وهو يلعن ويجعل الآخرين يسبون ، ثم أسمع مشيخانيا متحمسا ، مستقلا ، أو روحيا عقائديا ، يصلي ، ويعظ أو يتدرب.

حسنا للطاهرين كل شيء طاهر ، لقد أزال الرب اللعنة هكذا ، إن اللعنة لدى بعضهم تلك التي تؤيد السباب واللعنة فيهم هي اشد بهاء من الصلاة والوعظ لدى آخرين.
وما طهره الرب لاتقل عنه أنت غير نظيف.

وإذا ثبت أن بطرس أكبر منتهك للقانون ، وذلك بفعل ما كان بنفس درجة كراهة قتل انسان إذا أكل في النهاية (مع انه كان مشمئزا في البداية) ما كان شائعا وغير نظيف الخ (إني لا اعطي سوى لمحة) لا تلوموه ، واقل من ذلك ارفعوا اصبعا ضده أو رسخوا قانونا جهنميا ـ ضده ، لئلا تبتلوا ، وتلعنوا ايضا على دينكم الأعمى المتحمس ، والقداسة اللحمية التي تنتن الآن على الأرض ، مع ما كان لها من نكهة طيبة في السالف.

ولكن آه ايها الصالح المقدس المتحمس المتدين التقي (ايا كنت) الذي يرى الشر او أي شيء غير طاهر هل تسب ، إذا تجرأت ، وإذا حدث (أعتقد) سألقي بك في الجحيم من اجل ذلك (هكذا يقول الرب) واضحك من دمارك.

بينما الملائكة (في صور رجـــال) ســـيقسمون بـــالقلب ، والدم والجراح ، وبالرب الخالد الخ ، في طهارة عميقة وفي جلال واجـــلال عال.

من الفصل الثاني للفافة الملتهبة الطائرة:
(هكذا قال الرب)

أقـــول (مـــرة أخــــرى) وزعوا مـــالي الذي لديكم... على المقعدين ، والمجنومين ، نعم ، والمشردين واللصوص والعـــاهرات والنشالين ، فهم لحم من لحمكم ، وكل ذرة بنفس طيبة مـــا فيكم في عيني ، أولئك المستعدون للموت جوعا في سجون مزعجة في زنزانات قذرة،والا بنفسي ، هكذا يقول الرب ، ساعذبكم نهـــارا وليلا داخليا أو خارجيا أو في الحـــالتين ، إن إصـــبعي الصـــغير قـــريبا (ص ٣٢٥)سيكون أثقـــل عليكم ، خـــاصة عليكم ، انتـــم ايهـــا المقدسون الصالحون المتدينون المحســـنون كمـــا كانت في حينه على فرعون والمصريين في الزمن القديم ، ســـتبكون وســـتنبحون للمآسي التي ستحل بكم فجأة ، لأن ثروتكم فاسدة الخ ،و حيث إ نهـــا غير سليمة فإنها تناسب بلاء الرب فيكم.

إن بلاء الرب في أكياس نقـــودكم ومخـــازن حبـــوبكم وبيوتـــكم وجيادكم إن طاعون الماشية سيأخذ خنازيركم (آه أيها الخنزير في الأرض) التي ستذهب قريبا الى السكين وتعلق في الســـقف ، عدا العفن المسبب للذبول ، والجراد واليسروع ، نعم ســـتحرق بيوتـــكم وبضائعكم ، وتؤخذ فاكهتكم وقمحكم ، والعث ســـيلتهم مـــلابسكم والدنف ستصيب أغنامـــكم ، الم تـــروا يدي تلك الســـنة الماضـــية ممدودة؟

إنكم لم تروها

إن يدي ما زالت ممدودة

إن ذهبكم وفضتكم مع انكم لا ترونها ، تفسد ، والصـــدأ فيهـــا

شاهد عليكم ، وفجأة لانه منُ قبل الرب ، إنه يوم الحساب الرهيب هكذا يقـــــول الرب سأكل لحمـــــكم كمـــــا تفعـــــل النار ، جيمس : ٥ / ١ ـ ٧

إن صدا فضتكم ، أقول سيأكل لحمكم كما لو كان نارا... سلموا ، ســلموا ، ســلموا ، ســلموا بيوتـــكم ، وجيادكم وبضائعكم ، وذهبكم واراضيكم ، سلموا لا تحسبوا أن شـيئا ملكا لكم ليكن كل شيء مشاعا والا فابتلاء الرب سيصيب ويلتهـم كل مـا لديكم بالرب ، بذاتي ، ذات الرب ، هكذا يقول الرب إنه الحق.

تعالوا أعطـوا لكل الفقـراء واتبعـوني وســـتكون لكم كنوز في السماء.

الفصل الثالث

قصة غريبة ، ومع ذلك فهي صحيحة جدا تحتها يكمـن السـبب الذي يجعل زئيره جميع الحيوانات في الحقل تـرتجف وكل الممـالك الأرضية تهتز...

اتبعـــوني انتـــم والتقـــوا بــــه في يوم الرب الأخير في ٣٠ ايلول ١٦٤٩ في حقل مـكشوف إنه رجـل ممسـوخ شـديد الغرابة ، يلبس ثيابا مرقعة ، هو الذي ينظر الي بلهفـة ، وتشـفق عيني عليه وقلبي ، ان يوم الرب الذي يحترق بداخلي كالفرن يشعل لساني لهبا كي اتكلم معه كما يلي:

ايها الصديق هل أنت فقير؟
اجاب نعم ياسيد فقير جدا

وبينما كانت احشائي ترتجف بـداخلي وتـرتعش سـقطت على الصدر الذي اكله الدود (اعني جسدي) حتـى أني لم اسـتطع أن امسك بمفصل ثابتا .

والحب الكبير بداخلي (وهو الرب الكبير ضمن هذا الصــدر أو الجسد) كان يحترق حرارة تجاهه ، وجعل ثقب قفل الصدر يحتال على فم الجسد مرة أخرى ليفتح : هكذا

هل أنت فقير ؟
نعم فقير جدا ، قال :

وعندئذ فإن المرأة الغريبة التي تتملق بشفتيها ، واللطيفة بقلبهــا قالت بداخلي ، إنه فقير بائس أعطوه بنسين . (ص ٣٢٦)

ولكن فخامتي وجلالي (بداخلي) احتقر كلماتها .
وشوش لغتها وركلها بعيدا من حضرته .

ولكن على الفور فإن العاهرة الموهوبة (التي لم أحملهــا خلفــي على حصاني) والتي قامت بداخلي قالت :

إنه فقير بائس أعطه ستة بنسات ، هذا يكفي لفارس أو تــابع له أن يعطيه لشخص فقير واحد .

إلى جانب (تقول العاهرة الكتابية المقــدسة) إنه اســوا ممــا لايقدمه كافر لعائلته .

إن الحب الحقيقي يبدأ في البيت
إنك وعائلتك تطعمون كالغربان الفتية بشكل غريب .
ومع أنك كنت واعظــا دائمــا فإنك مــع ذلك كنت تبغض كلا مــن العشور والرشوة وأنت لاتعرف بشكل مســبق مــن الذي ســيعطيك مايساوي بنسا .

اعتن بالفرصة الرئيسة
وهكذا تتملق بشفتيها وكلماتها انعم من الزيت
وشفتاه تقطران مثل قرص العسل والهبت لأسرع بيدي إلى جيبي واسحب شلنا ، وقلت للفقير البائس :أعطني ستة بنســات وهــاك شلنا لك .

فأجاب لاأستطيع فليس لدي مطلق بنس
عندها قلت : لقد كنت بسرور سأعطيك شيئا لو أنك صرفت لي مالي .

ثم قال هو : ليباركك الرب .

وعندها بتردد كثير ، وحب كثير وبدهشة (بطابع صحيح) اشحت براس حصاني عنه وركبت مبتعدا ، ولكن بعد برهة من تحولي عنه (وبناء على نصيحة من ديميلدس) لأرجوه أن يطلب ستة بنسات ، التي سأتركها في المدينة التالية عند منزل احدهم الذي اعتقدت انه ربما يعرف (شبيه سافيرا) انه ينأى بنفسه عن الباقي

ولكن (كما حكم علي الرب) فإني وهي سقطناميتين ، وانظر بلاء الرب الذي سقط في جيبي وصدأ فضتي قد نهض ليشهد علي والتهم لحمي كما لو كان نارا حتى اني ومالي هلكنا معا .

والقيت في تلك البحيرة من النار والكبريت .

وكل المال الذي كان حولي حتى البنس (مع اني فكرت بتحريض عشيقتي السالفة على الاحتفاظ ببعضه وبعد أن ركبت نحو ثمانية أميال دون أن اكل ملء فمي خبزا في ذلك اليوم ، ولم أشرب سوى جرعة واحدة من الشراب ، وكان علي أن اركب مابين ثمانية أو تسعة أميال اخرى ، وهنا ابلغ نهاية رحلاتي : ولكون حصاني كسيحا ، والطرق قذرة والسماء تمطر كل الطريق ، ولا ادري اي فرصة استثنائية ستكون أمامي للمال) ومع ذلك (اقول) إن صدأ فضتي قد قام ليقف في الحساب ضدي ، ويحرق كالنار :والخمسة من جيمس رعد هذا الانذار في أذاني حتى اني كنت مسرورا ان القي بكل مالدي في يديه ذاك الذي كانت صورته ملطخة اكثر من صورة أي إنسان آخر رايته .

إن هذه قصة حقيقية ، اكثر صدقا في التاريخ وهي صحيحة ايضا في الخفاء.(ص ٣٢٧)

وهناك اخرى عميقة تكون تحتها لأنها ظـل لأشـياء(مـع انهـا غريبة) غريبة متنوعة ستحدث .

وللعودة بعد أن القيت بنقودي الصدئة الفاسدة .

بين أيدي الفقير البائس ركبت مبتعـدا عنه وأنا أرتجـف سرورا ودهشة وأنا استشعر بالبهاء العظيم الذي ينهض مـن تحـت هـذا الرماد وبعد هذا اضطررت (بـالقدرة الألهية التـي سـكنت هـذا الصندوق او التابوت) أن أحول راس حصاني وعندهـا رايت هـذا الفقير الممسوخ البائس ينظر بلهفة إلي على ذلك اضطررت أن أرفع قبعتي وانحني له سبع مرات وامتلأت (في هذا الوضـع الغـريب) بالرجفة والدهشة وظهرت بضع شرارات بهية أيضا من تحـت هـذا كما فعلت أيضا من تحت هذا الرماد ، ومـع ذلك ركبـت عائدا مـرة اخرى نحو الفقير البـائس وانا اقـول : لأني ملك فعلت هـذا ولكن لاداعي لأن تخبر أحدا .

اليوم الذي يخصنا

لقد كان هذا في يوم الرب الأخير ٣٠ أيلول من عام ١٦٤٩ ، وهو عام جزاء الرب لصهيون ، ويوم انتقامه ، يوم الحسـاب الرهيب ، ولكني فعلت (للوقت الراهن) بهذه القصة لأنها الجزء الأخير مـن عام ١٦٤٩ .

الفصل الخامس :

إن حملة المؤلف النبيلة الغـريبة على العـظماء وحملتـه الأكثـر تواضعا تجاه الشحـاذين والمشردين والغجـر : إلى جـانب إعلانه الكبير اي بهاء سيشرق من تحت كل هذا الرماد ....

ولأني ظهرت لأولئك الذين لم يبحثوا عني
ولأن بعضهم يقول الن تخبـرونا مـاهي تلك الأشـياء التـي تفعلونها ؟

وبسبب اني كنت الوح لعرباتي الكثيرة المحملة ، وللمئات العديدة من الرجال والنساء من ذوي المراتب الأعظم في الطرقات المكشـوفة ويدي مكشوفة وقبعتي مشرعة ، وان المع بينهم لو كنت انظـر مـن خلالهم ، واصر بأسناني لبعضهم ، ونهارا وليلا بصوت هائل مرتفع اعلن يوم الرب عبر لندن وساوثورك ، وأترك الغائصين والمستغلين المختلفين الآخرين الخ ، إن شعوري بـالرضا والسرور (فقـط) لاني اميز القصة السالفة عن مسيلاتها .

(أي) بضم وتطويق واحتواء وتقبيل مشـوه بـائس في لندن لم يعدله وجه في انفه ويكون لي على ظهر يدي (ثقبان فقـط في المكان الذي يوجد فيه الأنف عادة) .

ولاتظهر العينان بعد ذلك على ظهر يدي ، وبعد ذلك تركضان إليه بطريقة غريبة مع نقودي التي اعطيها له ، لبهجة بعضـهم ولخشـية وحيرة بعض المشاهدين الآخرين .

وايضـا بـالسقوط والانبـطاح على الأرض امـام المشردين والشحاذين والمقعدين من اعرج ومعوق واعمى الخ ، وتقبيل أقـدام العديد ، والنهوض ثانية وإعطائهم المال الخ ، إلى جانب هذا العمل المشهور بسوء السمعة مع الغجر والذين امضـو فتـرات طـويلة في السجون (أخوتي واخواتي جسد من جسدي وبطيبة اعظم لورد في انكلترا) في سجن ساوثورك قرب (ص ٣٢٨) كنيسة سان جورج

والآن ذلك الذي ينهض من تحت كومة من الرماد سيلهب كلا مـن الأرض والسماء ، إن المرء ليخجل ويحمر خجلا بالفعل ، وبعضـهم يترنح جيئة وذهابا مثل رجل ثمل .

وبسبب ذلك يقول الرب : اسمعي ايتها السماوات واصغي أيتها الأرض . سأقلب ، سأقلب ، سأقلب ، إنيَ الآن الطخ غرور كل بهاء وسأضع موضع الأزدراء كل اشراف الأرض اشعيا : ٢٣ / ٩ ليس فقط الأشخاص ذوي المقام الرفيع (الذي سيكونون موضع انتقام ،

إذا لم ينحنوا للحب الشامل للرب الخالد ، الذي خدمته هي الحرية الكاملة) ولكن الأشياء المشرقة مثل شيوخ الكنائس ورعاة الأبرشيات وزملاء الجمعيات الخيرية والكنائس والطقوس الدينية والصلوات الخ والقدسية والصلاح والديانات من كل الأنواع من أعلى أوج ، نعم والروحانيون والصوفية ، الذين يحتقرون الأوامر الجسدية إني في فعلي الغريب ، وعملي ، عمل الغريب ، الذي تطن له كلتا أذني من يسمعه .

إني أشوش وابتلي واعذب اللطيفين المحتشمين ، العاقر ميكال ، يحمل داود غير المناسب ، بالقفز والوثب والرقص مثل واحد من المجانين التافهين الوضيعين من الرفاق ، بلا خجل وبحقارة وعاريا أيضا أمام الوصائف .

.... إنه اللحم والشراب للملاك (لايعرف أي شيء ، ولاخطيئة) ليقسم إيمانا مغلظة الرؤيا : ١٠ / ٦ انه لبهجة نحميا ان يدخل كرجل مجنون وينتف شعور الناس من رؤوسهم ويلعن كالشيطان ، ويجعلهم يقسمون بالرب ـ نحميا ١٣ : هل انت ايها الرجل المقدس (الذي لايعرف الشر) رفعت إصبعك ضد يهودي ، وعضو كنيسة ، وادع رفيقك بالأحمق ، وتمن قرن بازليا له ، أو أقسم اني أؤمن ، واذا لم تفعل فانك ستنبح في الجحيم لذلك ، وسأضحك من بلوتك.

.... اسمع كلمة اخرى (إن من يضربه يضربه)

كفوا عن صلاة المائدة الرسمية الوضيعة الكريهة قبل اكل اللحوم وبعده ، (إني ادعوها هكذا مع انكم أعدتم تعميدها) كفوا عن واجباتكم المنزلية النتنة والقوانين الانجيلية كما تدعونها لانه في ظلها يكمن النهش والزمجرة والعض ، إلى جانب والاشتهاء والنفاق المروع والحسد وتعمد الأذى والظن السيء .

كفوا ، كفو وإلا فإن غيركم سيفعل ، سأفعل مرة عندما تفكرون على الأقل فيه ، اجعلوا من طفلكم ثمرة عوراتكم ، الذي ابتهجت به

ارواحكم ، ناموا مـع عاهـرة ، أمـام أعينكم : إن ملك القـدسية المزعجة والصلاح في قوتكم يمـكن أن يندمـج بـالضعة ، وانتـم ستعودون باللعنة إلى أرحام امهاتكم أرحام الخلود ، وانكم يجب أن تصبحوا أطفالا صغارا ، ودعوا الأبدية الأم والقدرة ، وهي الحـب الشامل ، والذي خدمته هو الحـرية التـامة ، البسـوا واخلعـوا ملابسكم ، قمطوا أطفالكم ، وفكوا قماطهم ، اربطوا وحلوا نامـوا وانهضوا الخ .

.... وبالنسبة لمثل هذا الطفل الصغير إن خلع الثياب جيد كلبسها والملابس الخشنة بجودة الملابس الناعمة ــ إنه لايعـرف الشر ولن يرى الشر بعد الآن ــ ولكنه يجـب أن يفقـد أولا كل صـلاحه وكل (ص ٣٢٩) ذرة من قدسيته ، وكل كسرة مـن دينه ، وأن يبتلى ، وأن يختلط بالعدم (بالأشياء الوضيعة) .

بالأشياء الوضيعة التي اخترتها انا الرب .

ومع ذلك أريك طريقة رائعة جدا عندما تجتاز ذلك ... وبكلمة ، إن قدسيتي المبتلاة القذرة ، البغيضة قد اختلطـت بـأشياء وضـيعة ، وعندها (انظر لقد أطلعتك على سر ووضعت أمامك لغزا) بـأشياء وضيعة ، أشياء وضيعة قد امتزجت أيضـا وبـذلك هـل امتـزجت بالجلال الخالد ، والبهاء الذي لايوصف ، حياتي ، ذاتي .

هناك لغزي ، ولكن لأنه لا السادة ولا الفلسطينين ولاحتى دليلتي نفسها يمكن أن تقراه .

سأقرأه بنفسي ، وسوف (فقـط) الـح إليه هـكذا : إن القبـل عديدة بين المذنبين ــ أشياء وضيعة ــ حسنا ! بـاللعان الجهنمـي واللعنة (كما رويتـه في زمـن قـدسيتي اللحمية) وبـالقبل الوقحة (كما رويتها في حينه) وقدسيتي المبتلاة قد امتزجت والقيت في بحيرة النار والكبريت .

وعندها مرة أخرى بالقبل الداعرة ، امتـزجت القبـل ، والقبـل

الظاهرة صنعت العجلات النارية ، لتحملني سريعـا إلى صـدر ذلك الذي تحبه روحي (فخامة جلالته ، ملك البهاء) .

حيث كنت ، حيث كنت ، حيث كنت صممت وعانقـت وقبلت مـع قبل فمه ، الذي يحب ، هو افضل من النبيذ ، وتـم عندهـا الهيمنة علي تماما بما يتجاوز الوصف وما يتجاوز الأعجاب .

ومـرة أخـرى إن الشـهوة عديدة بين المذنبين ـ شيء وضيع ـ والآن إن الأشياء الجميلة تسر عيون النظارة .
والجمال هو أبو الشهوة والحب .

حسنا لقد سرت في الطرقات حبلى بالطفل (الشهوة) الذي منح جمالا خاصا : ولكن بمجيئي إلى المكان ، حيث كنت أتـوقع أن الد ، والتقيت بفضل العناية الالهية بصحبة من الشياطين في المظهر ، رغم أن ملائكة بزجاجات ذهبية في الواقع تفرغ القوارير المليئة ، وبمثـل هذه الكلمات الكريهة البغيضة التي لا يسوغ لفظها .

كلمات تكفي لتصم أذان القدسية المزعجة ، ومثل هـذه الأفعـال المروعة البغيضـة المروعة ، المنظـر الذي كان كافيا ليطفـيء عيون الرجل المقدس وأن تلقي به ميتا تماما الخ .

وهذه الأشياء الوضيعة (أقـول) الكلمـات والأفعـال ، قـد تشوشت وانزعج حتى الموت ، الطفل الرحم الذي حبلت به.

بوساطته ومن خلال تلك الأشياء الوضـيعة (كمـا على أجنحـة الريح) حملت الى انرع حبيبي ، وهو البهاء غير المنظور ، الجلال الخالد والطهر نفسه ، الجمال غير الملطخ ، وحتى نلك الجمال الذي يجعل كل جمال أخر مجرد قبح ، عندما يوضع أمامه الخ.

نعم هل يمكنك تخيل أن الجوهر لكل الجمال الظاهر ، يجـب أن يستخرج وأن يشكل في جمال هـائل وأن يبـدو كمجـرد نسـخ (ص ٣٣٠)لذلك الجمال الذي من خلال الأشياء الوضـيعة رفعـت اليه.

الجمال الفـائق الذي لا يوصـــف ، غير الملوث هـــو تـــاجي وبهجتي ، وحياتي ، وحبي ومع اني اخذت ولا يمكن ان اكون بــلا أشياء وضيعة ، وان اندمج شيئا بالرحمة وشيئا بــالحكمة ، ومــع اني أيضا كان لي عشيقات بلا عدد لا يمكن أن أكون بدونهن ، ومع ذلك فهذه هي قرينتي ، حبي ، حمامتي ، جميلتي.

الفصل السادس

ومرة أخـــرى هـــكذا يقـــول الرب أنا فيكم ، تلك الجـــلالة الأبدية ، أخفي صورتك الى حد المسخ.

وانا فيكم ، أيها الأغنياء القساة
أمركم بتسليم فضتكم الهالكة الى الفقراء.
هكذا قال الرب.

إن الملوك والأمراء واللوردات والعظماء يجب أن ينحنوا الى افقر الفلاحين ، وإن الأغنياء يجب أن ينحنوا أمـــام المشردين وإلا فإني اسف لهم....

حسنا يجب أن نحني جميعا ونحني ، الخ وميوم يجب أن يهتدي... إنها ليست إلا وهلة صغيرة جدا ومع ذلك ، ولن تقـــول إن ما تملك هو خاص بك الخ...

وما هي إلا وهلة صغيرة والاقوى ، نعــم الطهــر الأطهــر كمــا يبدو ، الذي ربما وعلى الأغلب يلتمس المزايا والامتياز من الكتـــاب المقدس ، والعقل الشهواني يجب أن يختلط وان يبتلى بـــالاشتراك والشمول ، وهناك تصميم اكثر بهـــاء فيه : ومســـاواة ومشـــاركة والحـــب الشـــامل ، ســـيكون في طلب الفخـــر البغيض المذهل ، والقتل ، والنفاق والطغيان والاضطهاد الخ....

الفصل السابع :

انبحوا ، انبحوا أيها النبلاء ، انبحـوا أيها الاشراف ،انبحـوا أيها الأغنياء ، للبؤس والمحن التي ستحل بكم.

ومن جانبنا نحـن الذين نسـتمع لوعظ الرسـل ، سـتكون كل الأشياء مشتركة ، ولن ندعو شيئا خاصا بنا.

هل (من فضلكم) حتى يأتي بلاء الرب فتبتلوا ويهلك ما لديكم. إننا لن نهلك وأننا سنأكل خبزنا معا في وحدة القلب.
وسنكسر الخبز من بيت الى بيت.

الحواشي والمصادر والمراجع

لم يثبت المؤلف في أسفل صفحات كتابه أسماء مصـــادره ومـــراجعه لكل فقرة معروضة ، بل اكتفى بتسمية مصـــادر كل صـــفحة أو عدة صفحات ، وأثبت ذلك في آخر الكتـــاب ، ولهـــذا الســـبب أثبتنا بين حاصرتين في النص المترجم أرقام صفحات الأصل ليسهل على مـــن يود من القراء الكرام العودة الى مصادر المؤلف التي أبقيناهـــا على حالها بدون ترجمة للافادة من العناوين بلغاتها الأصلية لأنها جميعا غير عربية.

1 The Tradition of Apocalyptic Prophecy

Jewish and early Christian apocalyptic

Page

19 Later Middle Ages: for lack of better ones, the term 'Middle Ages' has been used here for the period between, approximately, the fall of the Roman Empire in the West and the Reformation; and the term 'later Middle Ages' in a rather broad sense, for the period from *c.* 1100 to the Reformation.

For general surveys of the Judeo-Christian tradition of millenarian and messianic prophecy: Case, Döllinger (MW), Gry, Hübscher, Hundeshagen, Nigg (1); of the development of Hebrew religion: Oesterley and Robinson, and of that of Hebrew and Jewish eschatology in particular: MacCulloch (1), pp. 376–81.

The possible connexion between Persian (Mazdean) and Judeo-Christian eschatology and apocalyptic is still a matter of debate amongst experts. For contrasting views: Söderblom, pp. 270–320, and Cumont, pp. 64–96; while more recently Cumont's arguments in favour of such a connexion have been accepted by Eliade, p. 126, and rejected by Vulliaud, p. 33.

21 'shall be diverse . . .': Daniel vii, 23.
'came with the clouds . . .': ibid., 13–14, 27.
Jewish apocalyptic: Of course by no means all Jewish apocalypses are concerned with phantasies of this kind.

22 On the development of Hebrew and Jewish phantasies of the Messiah: Klausner; but cf., for their pre-exilic origins, Johnson.
Ezra-Apocalypse, XI–XIII, pp. 608–19.
Baruch-Apocalypse, XXXIX–XL, p. 501; LXXII–LXXIV, p. 518; XXIX, pp. 497–8.

23 Josephus, Book VI, Chap. V (vol. II, p. 108).
On Jewish pseudo-messiahs: Hyamson.
'For the Son of Man . . .': Matthew xvi, 27–28 (= Luke ix, 27). Cf. Matthew x, 23.
On the two eras: Vulliaud, pp. 45 sq.
For a prophecy of the Second Coming, attributed to Christ, but which is altogether in the tradition of Jewish apocalyptic: Mark xiii (= Matthew xxiv, Luke xxi); it seems to date from the 50s. On the vogue of *Baruch* amongst Christians: Charles, vol. II, p. 470.

24–25 Revelation xiii, 1, 7–8, 11, 13, 14; xix, 11, 14–15, 19–21; xx, 4; xxi, 1–5, 10–11.
'Spirit of Truth': John xv, 26; xvi, 13.

26 Tertullian, cols. 355–6.
'shortly': Revelation xxii, 6; and cf. ibid., 7, 20.
'until all should . . .': 2 Peter iii, 9.
Justin Martyr, cap. lxxx, cols. 664–8.

27 Papias, cols. 1258–9. This fragment is preserved in Irenaeus, cols. 1213–14. Cf. *Baruch-Apocalypse*, XXIX, p. 498.
Irenaeus, lib. V, cap. xxxii–xxxiv. The passage quoted is at col. 1210.

28 Lactantius (2), cols. 1090–2. The passage is condensed from Lactantius (1) (*Divinae Institutiones*), lib. VII, cap. xx, xxiv, xxvi; see esp. cap. xxiv, cols. 808–811.
Commodianus (1), pp. 53–61; and (2), pp. 175–80. The fifth century is now regarded as a more probable date for Commodianus than the third; cf. *Oxford Classical Dictionary*, 1949, p. 222.

29 Gog and Magog: These peoples continued to figure in apocalyptic literature throughout the Middle Ages; cf. Bousset (2), pp. 113–31, and Peuckert, pp. 164–71. Originally believed to be living in the far North, they were later placed behind the Caucasus and could therefore easily be equated with the hordes which periodically came out of central Asia. For the origin of the idea see Ezekiel xxxviii–xxxix and Revelation xx, 8–9.

The apocalyptic tradition in medieval Europe

Augustine, lib. XX, cap. vi–xvii (vol. II, pp. 458–84).
On the suppression of the chapters in Irenaeus: Gry, p. 74; and in PL, Note to col. 1210 of Irenaeus.

30 On the Jewish and early Christian Sibyllines: Lanchester. For a recent and convenient edition of these 'oracles': Kurfess (OS). Book VIII was the most important for the development of the Sibylline tradition in medieval Europe.
The standard work on the phantasy of the eschatological Emperor during the Middle Ages is still Kampers (1). See also Bernheim, pp. 63–109; Dempf, pp. 255–6. Kampers (2) deals chiefly with pre-Christian versions of the saviour-king.

31 For the Latin text of the *Tiburtina*: see *Tiburtina*, and Sackur (both OS). This version dates from about 1047. For a bibliographical list of the numerous revisions of the *Tiburtina* known to the Middle Ages: Hübscher, pp. 213–14.

32 For the Latin text of the *Pseudo-Methodius*: see *Pseudo-Methodius*, and Sackur. This translation was made by a Syrian or Greek monk at St Germain-des-Prés in the eighth century.

33 On the influence of the medieval Sibyllines: Kurfess, p. 347, remarks that save for the Bible and the works of the Fathers there was scarcely a writing which had such universal influence during the Middle Ages as the *Pseudo-Methodius*.
For a detailed analysis of the Antichrist symbol: Bousset (1), pp. 142–89.
'shall exalt himself ...': Daniel xi, 36.
'speak great words ...': Daniel vii, 25.
St Paul: 2 Thessalonians ii, 4, 9; and cf. Revelation xiii, 13–14.

34 'And it was given ...': Revelation xiii, 7.
'waxed great ...': Daniel viii, 10.
For the two Beasts: Revelation xi, xii, xiii.
Hildegard (1), col. 713. Vision XI as a whole is an excellent source for medieval Antichrist lore.

35 On the influence of eschatology upon political judgements in the Middle Ages: Bernheim, pp. 69–101.
On the dynastic exploitation of Sibylline prophecies: Kampers (1), *passim*.

On medieval expectations of Antichrist: Wadstein, pp. 81–158, and Preuss, esp. p. 21.

2 The Tradition of Religious Dissent

The ideal of the apostolic life

37 Recent bibliographies for medieval religious dissent, or 'heresy' are: Grundmann (6); Kulcsár.

38 St Benedict of Nursia, p. 110 (cap. xlviii).
Acts ii.44 and iv.32.
On lay preachers from the eighth to the twelfth centuries: Russell (2).

39 Henry (often, but on insufficient grounds, called 'of Lausanne') is the subject of an abundant literature. For a good recent summary: Russell (2), pp. 68–74.

40 To appreciate the continuity of the tradition of wandering preachers see, e.g., Russell (2), Grundmann (4) and (5), Leff and Williams.

Some early messiahs

41 St Gregory of Tours, p. 437 (lib. X, cap. xxv).

42 'there shall be famines ...': Matthew xxiv, 7 and 24; cf. Mark xiii, 22.
For Aldebert: Synod of Rome, 745, pp. 108–18. For recent accounts: Russell (1) and, more briefly, Russell (2), pp. 102–8.

44 Major contemporary sources for Eon or Eudes are *Sigeberti Continuatio Gemblacensis*, p. 389; *Chronicum Britannicum*, p. 558; and Synod of Rheims, 1157, pp. 771 sq. William of Newburgh, pp. 97–8 (lib. I, cap. XIX) is partly based on the first two of these. See also *Sigeberti Continuatio Praemonstratensis*, p. 454; *Annales Cameracenses*, p. 517; *Annales Casinenses*, p. 310; *Annales Parchenses*, p. 605; and Otto of Freising, p. 81. For a recent account: Russell (2), pp. 118–23.
'like flies ...': William of Newburgh, loc. cit.

45 On Eon's following: Otto of Freising, loc. cit.; William of Newburgh, loc. cit. On the famine: *Continuatio Gemblacensis*, loc. cit.; and cf. Alphandéry and Dupront, p. 166.
For the pseudo-Baldwin see below, Chapter 5.

46 'Per *eum* ...': *Continuatio Praemonstratensis*, loc. cit.

47 On Tanchelm's mission to the Holy See: Pirenne (2) and De Smet.
For the principal sources on Tanchelm see OS under Chapter of Utrecht and *Vita S. Norberti A*. (The account in *Vita S. Norberti B* is more scurrilous and less reliable.) Of modern writers Janssen (1867) and Essen (1912) accepted these early accounts as substantially accurate; but more recent writers, such as Philippen (1934), Mohr (1954) and De Smet (1961) have tried to discredit them and to present Tanchelm as simply a Gregorian reformer, grossly maligned. More recently still, Russell (2), adopts much the same standpoint as the present work.

48 For the monk Henry see above, pp. 39–40.

49 Werner and Erbstösser pp. 265–6, and Werner (2), pp. 385–93, suggest that Tanchelm modelled his behaviour on a tradition, still familiar in the twelfth century, concerning Simon Magus. Simon's group of followers is supposed to have consisted of a number of men and one woman, who represented wisdom (the Gnostic Sophia). The hypothesis is interesting,

but perhaps over-ingenious: the 'Master of Hungary' (Chapter 5) and the leader of the Bohemian Adamites (Chapter 11) also had 'Marys'; and their model was surely Jesus rather than Simon Magus.

50 'many massacres': *Continuatio Praemonstratensis*, p. 449.
Lost biography of St Norbert: Potthast, vol. II, p. 1494.
For documents concerning Norbert's foundations: Fredericq (OS), vol. I, pp. 24–5 and vol. II, pp. 3–6. Cf. Philippen, pp. 256–69.

51 Weber (2), p. 278 (my translation). On the general characteristics of salvationist religion amongst the underprivileged see Weber (1), pp. 245–8; and (2), pp. 267, 276–82, 296–7. For colonial and ex-colonial territories see Bibliography, part 3, on millenarian and messianic movements.
Sundkler, p. 114. (Bibliography, 3).

52 On Shembe: ibid., pp. 278.
Messiah and ruler: ibid., pp. 115, 288.

3 The Messianism of the Disoriented Poor

The impact of rapid social change

56 On peasant kinship-groups: Bloch (2), pp. 163–70, and (3), pp. 190–220; Thalamas, pp. 157–8.

59 On the insecurity of workers in the cloth industry: Carus-Wilson, p. 387.
On the disintegration of kinship-groups: Bloch (3), p. 217; Dupré Theseider, p. 58; Weber (2), pp. 527–31; and in Italy: Tamassia, pp. 112–14.

The poor in the first crusades

61 For a recent and concise account of the political background and the launching of the First Crusade: Runciman (2), vol. I, pp. 93–109. Other reliable accounts in: Chalandon; Grousset, vol. I; Röhricht (4); Sybel; more briefly in Stevenson; and in great detail in the monumental work edited by Setton and Baldwin (esp. Chap. VIII, by F. Duncalf).
Urban on indigence and future prosperity: Robert the Monk, p. 728.

62 On the religious inspiration of the knightly crusade: Rousset (1) and (2). On the other hand the fullest account of the popular movements accompanying the First and Second Crusades, and of the phantasies that inspired them, is that of Alphandéry and Dupront.
On Peter the Hermit and the preaching to the people: Hagenmeyer, esp. pp. 127–51; Alphandéry and Dupront, pp. 69–71.
Peter's acts seem half-divine: Guibert of Nogent (1), p. 142.

63 For the list of catastrophes, 1085–95: Wolff, pp. 108–9. The famine of 1095 is described by Guibert (1), p. 141. Many chroniclers mention the plague, the so-called 'mal des ardents' or 'St Anthony's fire'; e.g. Bernold of Constance, p. 459; *Chron. S. Andreae*, p. 542; Ekkehard of Aura (1), pp. 105–9 (cap. viii) and (2), p. 207; Sigebert of Gembloux, pp. 366–7.
For examples of the new devotional groups: Alphandéry and Dupront, vol. I, pp. 48–9.
On the social composition of the People's Crusade: Baudri of Dol, col. 1070; Bernold, p. 464; Fulcher of Chartres, p. 385; Guibert (1), p. 142.

Urban ignores Jerusalem: in the account of the Clermont appeal given by Fulcher, the earliest and most reliable source, Jerusalem is not mentioned. On the pilgrimage of 1033: Radulph Glaber, col. 680; and on that of 1064: *Annales Altahenses maiores*, pp. 815 sq.

64 On the People's Crusade as an *imitatio Christi*, cf. Erdmann (2), pp. 318–19.
'Rejoice ye . . .': Isaiah lxvi, 10–13.
'the navel of the world . . .': Robert the Monk, p. 729.
On the descent of the Heavenly Jerusalem: Revelation xxi, 1–5, 10–11.
For the interpretation of the earthly as a symbol of the heavenly city: Röhricht (1), p. 376, Note 76; Alphandéry and Dupront, I, p. 22; Konrad,
65 (2). On the confusion of the two by the *pauperes*: Ekkehard (1), p. 301 (cap. xxxiv); the city in the sky: ibid., p. 117 (cap. x); the children: Guibert (1), p. 142.
On the sense of election amongst the *pauperes*: cf. Alphandéry (5), pp. 59 sq.
'God has chosen . . .': Raymond of Aguilers, p. 254.
For the miraculous crosses: ibid., p. 272.
On the Tafurs: Guibert (1), p. 242; *Conquête de Jérusalem*, *passim*, and esp. pp. 65 sq.; *Chanson d'Antioche*, vol. II, *passim*, and esp. pp. 254–5. The original versions of both these vernacular epics were composed at the beginning of the twelfth century. The only extant versions are those revised by Graindor of Douai in the early thirteenth century; but the passages concerning the Tafurs do not give the impression of having been much edited. It has often been held that both epics were written by one Richard the Pilgrim, but it seems most improbable that the same author could have written both. The *Conquête de Jérusalem* portrays the crusade from the standpoint of the poor. It is valuable as a guide to the psychology rather than to the external history of the People's Crusade in the East; and what it tells of the Tafurs is their legend. The *Chanson d'Antioche* gives a soberer, less flattering and no doubt factually more accurate account of the Tafurs. For a good recent account: Sumberg.
On the word 'Tafur': *Trudannes*, which Guibert, p. 242, gives as an equivalent of *Tafurs*, is a variant of *trutani*, 'vagrants', 'vagabonds', 'beggars'.

66 'no Franks . . .': *Chanson d'Antioche*, p. 5. Cf. ibid., pp. 254–5, 294–5; and *Conquête de Jérusalem*, p. 230.
'worth far more . . .': *Conquête*, p. 194. In the *Conquête*, p. 72, the *pauperes* of the Provençal army appear in close association with the Tafurs and are described in very similar terms.
On the cult of poverty amongst the Tafurs: Guibert, p. 242.
'The poorest shall take it. . .': *Conquête*, pp. 163.
The Provençal poor 'gallop on horseback . . ': Raymond of Aguilers, p. 249.
'Where are the poor folk . . .': *Conquête*, pp. 165–6. Cf. *Anonymi Gesta Francorum*, pp. 204–5.

67 For the sortie from Jerusalem: *Conquête*, pp. 243–53.
For the princes' view of the Tafurs: *Chanson*, pp. 6–7.
King Tafur urges the barons: *Conquête*, pp. 64–7; is carried from the field: ibid., pp. 82–3; crowns Godfrey: ibid., pp. 191–3; pledges himself to stay at Jerusalem: ibid., pp. 193–5.
For a forced conversion of peasants: *Anonymi Gesta*, pp. 162–4.

68 'the horses waded in blood . . .': Raymond, p. 300.

The Jews of Jerusalem burnt: Ibn al-Qalānisī, p. 48.
'O new day ...': Raymond, loc. cit. *Cf.* Du Cange (MW) on the sense of *exanitio*.
For the massacre on the roof: *Anonymi Gesta*, pp. 204–6. Cf. *Conquête*, pp. 178–9.
First great massacre of European Jews: There had been some attacks on Jews in Spain at the time of the 'crusade' against the Moslems there in 1064; but they were on a far smaller scale. For a modern account of the massacres which accompanied the First and Second Crusades: Parkes, pp. 61–89.
'peace was established ...': Sigebert of Gembloux, p. 367. On the massacres in France: Guibert (2), p. 240; Richard of Poitiers, pp. 411–12.

69 On the happenings at Speyer and Worms: Anonymous of Mainz-Darmstadt, pp. 171–2; Eliezer bar Nathan, pp. 154–6; Salomo bar Simeon, p. 84; Bernold of Constance, pp. 464–5. For critical examinations of the Hebrew sources: Elbogen; Porgès; Sonne.
For Mainz: Anonymous of Mainz-Darmstadt, pp. 178–80; Eliezer, pp. 157–8; Salomo, pp. 87–91; Albert of Aix, p. 292; Annalista Saxo, p. 729.
For Trier: Salomo, pp. 131 sq.; *Gesta Treverorum, Continuatio I*, pp. 182, 190.
For Metz: Salomo, p. 137.
For Cologne: Eliezer, pp. 160–63; Salomo, pp. 116 sq.
For Regensburg: Salomo, p. 137.
For Prague: Cosmas of Prague, p. 164.
On the monk Rudolph: Ephraim bar Jacob, pp. 187 sq.; Otto of Freising, pp. 58–9; *Annales Herbipolenses*, p. 3; *Annales Rodenses*, pp. 718–19 (a contemporary source, and one which favours Rudolph as against St Bernard); *Annales S. Jacobi Leodiensis minores*, p. 641. For Bernard's own comments: Bernard (3) and (4). For a modern account: Setton and Baldwin, pp. 472–3 (by V. G. Berry).

70 'Come to us ...': Joseph ha-Cohen, p. 24.
Jew-killing earns forgiveness of sins: Anonymous of Mainz-Darmstadt, p. 170.
'We have set out ...': Guibert (2), p. 240; Richard of Poitiers, p. 411.
'Jesus said ...': Salomo, pp. 88–9.

4 The Saints Against the Hosts of Antichrist

Saviours in the Last Days

71 On the 'signs' and 'the Last Trump': Ekkehard of Aura (1), pp. 54–6 (cap. ii). The 'signs' are those listed in the prophecy of the Parousia in Mark xiii.
Adso, monk and later abbot of Montier-en-Der, produced his treatise at the request of Gerberga, wife of Louis IV (d'Outremer). For a recent study of his work and influence: Konrad, R. (1).
The Last Emperor becomes a western monarch: Kampers (1), pp. 30–39.

72 Benzo of Alba: pp. 605, 617, 623.
On Sibylline prophecies in the First Crusade: Erdmann (1), p. 413, and (2), pp. 276–8; Heisig, *passim*.
On Charlemagne resurrected: Ekkehard (1), pp. 120–21 (cap. xi).
On Charlemagne as pilgrim and crusader: Benedict, monk of St Andrew

on Mount Soracte, writing in the second half of the tenth century, tells (cols 32–6) of a mass pilgrimage to Jerusalem, headed by Charlemagne; but this seems to have contributed little to the growth of the legend. It is only at the time of the First Crusade that we meet the story of an armed crusade led by Charlemagne; notably in the *Descriptio* (OS), which was forged by the monks of Saint-Denis to explain the presence in their abbey of the Crown of Thorns and other relics (the relevant passage is at p. 108). On the dissemination of this legend and its employment as propaganda for the crusades: Rauschen, pp. 141–7. Of the chronicles of the First Crusade the *Anonymi Gesta Francorum*, p. 4, and the appeal attributed to Urban by Robert the Monk, p. 728, refer to Charlemagne's supposed route.

On the sleeping Charlemagne: Heisig, pp. 52 sq.; Kampers (1), p. 58. The sleeping hero, biding his time in cave or mountain, was a common figure in medieval as in other folklore. Belief in the continued existence and future return of King Arthur was particularly widespread and intense; and as for Frederick II Hohenstauffen, see Chap. 6 of the present study.

73 On leaders of the crusade who were seen as the Last Emperor: Alphandéry and Dupront, vol. I, pp. 75, 112, 131; Alphandéry (4), pp. 3–8.

On the cross on the shoulder-blades: Grauert (2), esp. pp. 709–19.

On Emico and his revelations: Salomo bar Simeon, p. 92; Annalista Saxo, p. 729; Ekkehard (1), p. 126 (cap. xii).

On Emico's horde and its fate: Albert of Aix, pp. 293–5; Ekkehard (1), pp. 128–31 (cap. xii). Albert, though often unreliable, is doubtless correct in saying that almost all of Emico's horde proceeded on foot; other chroniclers give the same impression.

For Emico in the mountain: Ekkehard (2), p. 261. On Emico's death in battle while defending Mainz against the Duke of Swabia: Otto of Freising, p. 29.

74 New versions of the *Tiburtina*: Kampers (1), pp. 53–4, describes how the prophecy was revised in the late eleventh and early twelfth centuries so as to make it refer now to the French, now to the German kings.

For the text of the oracle: Otto of Freising, pp. 10–11; and cf. *Annales S. Jacobi Leodiensis minores*, p. 641. The text is preserved also in other chronicles; see Kampers (1), p. 192, Note 32, and (1A), Appendix I, pp. 204–5. On the survival of the name Constans: ibid., pp. 206–7. For the influence of the oracle on St Bernard: Radcke, pp. 115 sq.

The oracle in Germany: Otto says it was studied 'in the Gauls'. But for him, as a learned man, the term 'Gaul' included much territory which by the twelfth century was German. Thus he refers, p. 58, to the *propheta* Rudolph as being active 'in those parts of Gaul which touch the Rhine'. When he means France he tends to speak of 'occidentalis Gallia'.

The demonic hosts

75 On the popular idea of the crusade as a Holy War, and the contrast which this presented with the papal intentions: Erdmann (2), pp. 264–73, 321. Already the Pisan invasion of Moslem-held Sicily in 1087 was seen as a Holy War. A poem written to celebrate its success shows St Michael sounding the Trump as for the battle against the Dragon, and St Peter displaying the Cross, to encourage the burghers in an attack which ends in the slaughter of every single infidel, man, woman and child; see Schneider (OS), poem 25, esp. lines 33–40.

'The Emperor has taken . . .': *Chanson de Roland*, lines 3660–70 (p. 304).
Antichrist already born: According to St Bernard (2), Tanchelm's opponent St Norbert believed this; and so, three centuries later, did St Vincent Ferrer.
Urban on Antichrist: Guibert of Nogent (1), p. 138.
Bernard on Antichrist and Saracens: Bernard (3).
Antichrist and the infidel: Like the idea of an individual Antichrist, the idea of the hosts of Antichrist developed out of Jewish eschatological phantasies which existed before Christianity; cf. Rigaux, esp. p. 402.

76 For Moslems as 'ministers' of Antichrist: Eulogius, col. 748 sq.; Alvarus of Cordova, cols. 535–6.
For Moslems as demons: *Aliscans*, lines 71–3, 1058–61.
On the identification of Jews with Saracens: Bulard, pp. 225 sq. Bulard proves from iconographical evidence that Saracens were even believed to have taken part, along with Jews, in the Crucifixion.
On the social and economic situation of the Jews in the Middle Ages: Baron, Caro, vol. II; Kisch; Parkes; Roth.

77 Antichrist a Jew: For an early example of this belief see Irenaeus, col. 1205. The choice of the tribe of Dan was determined by Genesis xlix, 16–17.

78 For a typical example of the anti-Jewish version of the Antichrist legend: Hippolytus (attrib.), esp. cols. 920, 925, 928, 944. The modern *Protocols of Zion*, which have exerted such enormous influence, derive directly from the Antichrist legend. They first appeared in 1905, in a Russian volume which has as its major theme the imminent imposition of the reign of Antichrist through his Jewish agents: see Cohn (MW).
Adso on Antichrist: Adso, pp. 106–7. In a popular rhyme (quoted in Wadstein, p. 129, Note 3) incest is added to the picture:

Un paillard Juif abominable
Connaîtra charnellement sa propre fille.

On the Jew in medieval demonology: Trachtenberg.
For animals as symbols of Jewry see e.g. the frontispiece to Trachtenberg; for the scorpion in particular: Bulard.
On black magic in the synagogue, see the extract from the *Chanson de Roland* quoted at the beginning of this section.
Jews believed to hold tournaments: Burdach (4).

79 *Pseudo-Methodius*, p. 92.
On Jews in Antichrist dramas: Trachtenberg, pp. 36–40.
On papal policy cf. Trachtenberg, p. 161: '*Constitutio pro Judeis*, expressly forbidding violence, was endorsed by successive popes ten times from its issue in 1120 to 1250.'
On the *role* of Jews as money-lenders see works listed above under p. 76. That Jews in the Rhineland were not yet given to money-lending at the time of the First Crusade seems reasonably certain; see Caro, vol. I, pp. 211–25, and vol. II, pp. 110, 192 sq.; Graetz, vol. VI, p. 402.

80 On the part allocated to pope and clergy in the demonology of various dissident sects and movements: Benz, pp. 307–14, 366–8; Peuckert, pp. 112 sq.; Preuss, pp. 44 sq.
Antichrist the son of a bishop and a nun: Adso in PL, col. 1292.
For St Bernard's view of the clergy: Radcke, pp. 15–17, 102.

81 On the *propheta* of 1209: Caesarius of Heisterbach, pp. 304–7.
For the Whore of Babylon: Revelation xvii, 6, 2; and for the Beast: Revelation xiii, 17.

On the clergy seen as the Beast: Benz, pp. 330–31.
82 'they take no care . . .': Jean le Fèvre, bk. iii, lines 602 sq. (pp. 176 sq.).

Phantasy, anxiety and social myth

85 'clothed in white linen . . .': Revelation xix, 14.
Antichrist as the bad son and the bad father: In an essay published as early as 1912 Ernest Jones analysed the medieval image of Satan in terms of images of the bad father and the bad son. The essay is included as Chap. VI in the work specified in the Bibliography.
86 For the frogs: Revelation xvi, 13; and cf. Lorch's picture of Satan-Antichrist (Plate 2), where scorpions are added to the frogs.
Jews murder Christian children: The charge was revived in the Third Reich. Pictures of rabbis sucking blood from an 'Aryan' child abounded in the official newspaper *Der Stürmer*, which indeed devoted a whole issue (1 May 1934) to the subject; cf. Trachtenberg, p. 243.
87 'the children of God . . .': quoted in Trachtenberg, p. 42.

5 In the Backwash of the Crusades

The pseudo-Baldwin and the 'Master of Hungary'

89 On Fulk of Neuilly: Reinerus, p. 654. For a full modern account: Alphandéry and Dupront, vol. II, pp. 45–64. On the Children's Crusades: see Hecker, Appendix, pp. 346–53, and Runciman (2), vol. III, pp. 139–44, for concise summaries; Alphandéry (3) and Alphandéry and Dupront, vol. II, pp. 115–48 for fuller accounts which deal with the underlying phantasies; and cf. the critical examination of sources by Munro, esp. p. 520.
90 Baldwin seen as superhuman: Cahour, p. 82. Cahour's is the fullest modern account of the pseudo-Baldwin. For a briefer summary: Kervyn de Lettenhove (1). The present account is based mainly on Mouskes (OS), vol. II, lines 24463–25325.
91 On the war against the Countess Joanna: Alberic of Trois-Fontaines, p. 794; Baldwin of Ninove, p. 541; *Chronicon S. Medardi Suessionensis*, p. 722; Mouskes, lines 24839–43. Cf. Cahour, p. 168.
On reverence shown to the pseudo-Baldwin: Mouskes, lines 25117 sq.
92 'If God had come . . .': ibid., lines 24851–5.
'the poor folk . . .': ibid., lines 24741–8; and cf. ibid., lines 24771–2. The social aspect of the movement emerges not only from the account of Mouskes but also from Latin chronicles (some of them admittedly rather late) such as *Chronicon Andrensis monasterii*, p. 579; *Chronicon Turonense*, pp. 307–9; and John of Ypres, p. 609.
For the treaties: Henry III in Rymer, vol. I, p. 177; the Countess in *Gesta Ludovici VIII*, pp. 308–9.
93 On the rising at Valenciennes: Mouskes, lines 25019 sq.
'at Valenciennes people await him . . .': ibid., lines 25201 sq.; cf. ibid., lines 24627–30. Several chroniclers describe the hermit as being the true Count; e.g. Paris, vol. III, pp. 90–91. But modern historians are united in regarding the episode as an imposture.
On the primacy of the French monarchy: Bloch (1), p. 237.

94 On the pretensions of Philip Augustus: Giraldus Cambrensis, pp. 292 sq. Cf. Folz, pp. 277–9.
On the sectarians at Paris: Caesarius of Heisterbach, pp. 304–7.
Mohammed stronger than Christ: Salimbene, p. 445.
The story of the Shepherds' Crusade of 1251 is told in a letter written at the time by a Franciscan of Paris to Adam Marsh and other Franciscans of Oxford, given in *Annales monasterii de Burton*, pp. 290–93; in the *Chroniques de Saint-Denis*, pp. 115–16; by Paris, vol. V, pp. 246–54; by Primat, pp. 8–10; by William of Nangis (1), p. 383, and (2), vol. I, pp. 207–8, 435–6. (William draws largely on Primat.) The present account is based mainly on these sources. The sources specified below are those which bring confirmation or additional information on particular points. For modern summaries: Berger, pp. 393–401; Röhricht (3).
On the 'Master of Hungary': *Chronica minor auctore minorita Erphordiensi*, p. 200; *Chronicon S. Martini Turonensis, Continuatio*, p. 476; *Flores temporum, Imperatores*, p. 241.

95 On the formation, composition and organization of the horde: Baldwin of Avesnes (attrib.), p. 169; *Chron. min. auct. minorita Erphordiensi*, loc. cit.; *Chronica universalis Mettensis*, p. 522; *Chronique anonyme des Rois de France*, p. 83; Gui (1), p. 697; John of Columna, pp. 123–4; Wykes, p. 100.
The *Pastoureaux* take food by force: *Annales monasterii de Waverleia*, p. 344; Richerus, p. 311.
Their contempt for sacraments and clergy: *Chron. univ. Mettensis*, loc. cit.

96 The *Pastoureaux* at Rouen: *Chronicon S. Catharinae de Monte Rotomagi*, pp. 401–2; *Chronicon S. Laudi Rotomagensis*, pp. 395–6; *Chronicon Rotomagense*, p. 339; *Visitationes Odonis Rigaudi*, p. 575.
At Paris, Tours, Orleans: *Annales monasterii de Oseneia*, p. 100; *Chron. univ. Mettensis*, loc. cit.; John of Columna, p. 124; John of Tayster, p. 589; Thomas of Chantimpré, p. 140.

97 Prestige from killing priests: *Chronicon Normanniae*, p. 214; Gui (1), loc. cit.
The Church in danger: Thomas of Chantimpré, loc. cit.
For the instructions of Henry III: Berger, p. 401, Note 1.
The *Pastoureaux* as Moslems: Baldwin of Ninove, p. 544.

98 On the ultimate aims ascribed to the *Pastoureaux* see the comments at the end of the letter to Adam Marsh.

The last crusades of the poor

98 On the situation in the Flemish towns in the thirteenth and fourteenth centuries Professor Carus-Wilson has recently remarked that 'the conflicts of capital and labour reached an intensity and a violence never since equalled even in the *Hochkapitalismus* of modern Europe. ... By this time the craftsmen (in the cloth industry) had everywhere fallen into dependence upon the entrepreneur' (Carus-Wilson, p. 399). On the relationship between capitalists and proletariat see also Bezold (3); Heer, pp. 469–71; Peuckert, p. 240.
On the change in the situation of the peasants: Nabholz, pp. 493 sq., 503.

99 'The poor man works ...': Tobler (OS), proverb 52.
'each man ought to have ...': quoted by Trachtenberg, p. 221.
'Magistrates, provosts ...': Jean de Meun, lines 11540–49.

100 'I would like ...': *Renart le Contrefait*, lines 25505 sq.

On the *Caputiati*: *Chronicon anonymi Laudunensis canonici*, pp. 705–6 (whence the quotation on 'frantic madness'); Robert of Auxerre, p. 251; and for the early stages of the movement: Robert of Torigny (see under Sigebert of Gembloux), p. 534.
'Sell all thou hast . . .': Luke xviii, 22–5.

101 Dives and Lazarus: Luke xvi, 19 sq.
For the rich as bad sons of Christ: Alphandéry and Dupront, vol. II, p. 197.
On the woman with the snakes: Bernheimer, p. 33; and cf. Heer, pp. 456–60.
On heretics working amongst weavers: Eckbert of Schönau, cols. 13–14; Bernard (1), col. 761.

102 On the People's Crusade of 1309: *Annales Austriacarum, Continuatio Florianensis*, pp. 752–3; *Annales Colbazenses*, p. 717; *Annales Gandenses*, p. 596; *Annales Lubicenses*, p. 421; *Annales S. Blasii Brunsvicenses*, p. 825; *Annales Tielenses*, p. 26; *Chronicon Elwacense*, p. 39; *Gesta abbatum Trudonensium*, p. 412; Gui (2), p. 67; John of Winterthur, p. 58; *Continuatio Brabantina* (see under Martin of Troppau), p. 262; Muisis, p. 175; Ptolomy of Lucca, p. 34; William of Egmont, p. 577. See also: Heidelberger, pp. 44–5.
Famines: The list of famines in Curschmann, pp. 82–5, reveals an illuminating fact: major famines occurred in the Low Countries and along the lower Rhine in 1225 (year of the pseudo-Baldwin), 1296 (year of flagellant processions: see Chap. V) and 1309 (year of a People's Crusade); and none are recorded for the intervening periods, long though these were.
On the famine of 1315: Lucas.
On the prophecy: William of Nangis, *Continuatio III*, vol. II, pp. 179–80.

103 On the Shepherds' Crusade of 1320: Gui (3), pp. 161–3; John, canon of St Victor, pp. 128–30 (written about 1322); William of Nangis, *Continuatio II*, vol. II, pp. 25–8 (probably copied from John of St Victor). For modern summaries: Devic and Vaissète, pp. 402–6; Graetz, vol. VII, pp. 277 sq.; Alphandéry and Dupront, vol. II, pp. 257–64. The Jewish chroniclers Usque (writing in Portuguese) and Ibn Verga (writing in Hebrew) tell the story some two centuries after the event, and with much obscurity and confusion. But, drawing on a lost Spanish source, both give valuable particulars not only about the 'saviours' but also about the massacres of Jews in southern France and in Spain: Usque, vol. III, pp. xvi sq.; Ibn Verga, pp. 4–6. Joseph ha-Cohen, pp. 46–7, copies Usque; cf. Loeb, pp. 218–20. Massacres in particular localities have been studied by: Kahn, p. 268; and Miret y Sans.

104 For the Pope's letter see John xxii.
On the class-war in the Low Countries: Pirenne (1).
On revolts in Paris and Rouen: Levasseur, p. 510.

105 A cloth-worker burnt at Ypres: document in Espinas and Pirenne (OS), p. 790.
The most accessible edition of the *Vademecum* is still that specified in the Bibliography under John of Roquetaillade, though the text is defective. Of the twenty *Intentiones* into which the work is divided, No. V prophesies social revolt. On John of Roquetaillade himself: Bignami-Odier. The social prophecy quoted there (pp. 32–3) as possibly originating in a lost work of Roquetaillade would be even more interesting than the *Vademecum* if it were genuine; but internal evidence strongly suggests that it is a fake, of much later date.

106 Of the later prophecies the most celebrated is that produced by the hermit Telesphorus of Cosenza in 1386. Dedicated to the Doge of Genoa, it aimed at bringing Genoa under French rule.

6 The Emperor Frederick as Messiah

Joachite prophecy and Frederick II

108 On Joachim of Fiore: Grundmann (1) and (3); Bloomfield. For an exhaustive bibliography to 1954: Russo.

109 On Joachite influence on modern 'philosophies of history': Löwith, pp. 158–9 and Appendix I; Taubes, pp. 90–94; Voegelin, pp. 110–21 *et passim*.
On the Joachite undertones in the phrase 'the Third Reich': Kestenberg-Gladstein, pp. 245, 283.

110 Forty-two generations: Matthew i, 17.
On Joachism in southern Europe: Benz; and more briefly: Hübscher, pp. 107–32; Morghen, pp. 287 sq. See also the account of contemporary attitudes to Rienzo in Burdach (1), pp. 5–53, *passim* and esp. pp. 1–23.
On the idea of the Angel-Pope, which played a large part in Italian Joachism: Baethgen. The French *propheta* John of Roquetaillade, mentioned in the preceding chapter, was in many respects a Joachite, though a belated one.

111 On the penetration of Joachism into northern Europe: Bloomfield and Reeves. For the influence of Joachism on the idea of the Last Emperor: Reeves (2).
Frederick II as Emperor of the Last Days: Kampers (1), pp. 76–7, 154–5.
On Frederick II, see the essays collected in Wolf, G.

112 On the preachers in Swabia: Albert of Stade, pp. 371–2. For a modern account of this movement or sect: Völter; and cf. Bloomfield and Reeves, pp. 791–2; Lempp; Schultheiss, pp. 19–20; Weller, pp. 146 sq.
For the text of the manifesto: Arnold, Dominican (OS); cf. Bloomfield and Reeves, loc. cit.; Bossert, pp. 179–81; Völter.

113 On the monk at Etna: Thomas of Eccleston, p. 568. Cf. Kampers (1), pp. 83–7, which also quotes sources for the belief in the resurrected Frederick in Sicily and Italy. At Tivoli, which being at perpetual loggerheads with Rome naturally adhered to the 'imperial' cause, Frederick's death was mourned in terms taken from the *Tiburtina*; see Hampe, esp. the Latin manifesto at pp. 18–20.

The resurrection of Frederick

113 For the pseudo-Frederick near Worms: *Annales Colmarienses maiores*, p. 211; at Lübeck: *Detmar-Chronik*, p. 367.

114 Principal sources for the story of the pseudo-Frederick of Neuss: Ellenhard of Strasbourg (2), pp. 125–6; *Vita Henrici II archiepiscopi (Treverensis) altera*, pp. 462–3. For an account which is factually less reliable but which shows how the story was reshaped in popular imagination see Ottokar's *Reimchronik*, lines 32324 sq. (pp. 423 sq.). Ottokar, an ex-minstrel writing between 1305 and 1320, seems to have drawn on a version which, circulating amongst the common people in Austria and strongly coloured by pseudo-Joachite ideas, accepted the monarch of

Neuss as the real Frederick II. For modern accounts: Meyer (Victor); Schultheiss, pp. 23–47; Voigt, pp. 145 sq.; Winkelmann.
The pseudo-Frederick a pilgrim: *Continuatio Anglica* (see under Martin of Troppau), p. 252. For his claim to have dwelt underground, see his letter given in the Note to the *Vita Henrici*, p. 462.
For reactions in Italy: Salimbene, p. 537.
German princes recognize the pretender: *Magdeburger Schöppenchronik*, p. 170.

115 On the pseudo-Frederick as the messiah of the urban poor: Schultheiss, p. 170; Voigt, p. 148.
The pseudo-Frederick promises to rise again: Ottokar, p. 426.
On the execution at Utrecht: *Annales Blandinienses*, p. 33.
The Emperor rescued from the flames: Ottokar, p. 427.
God has decreed his return: John of Winterthur, p. 280.

116 The Emperor and Prester John: Oswald der Schreiber, pp. 1012 sq. and esp. p. 1027.
On the belief in a future emperor-saviour (usually imagined as a resurrected Frederick) in Germany from the fourteenth to the sixteenth centuries: Bezold (4); Döllinger (MW), pp. 317 sq.; Kampers (1), pp. 100 sq.; Peuckert, pp 213–43, 606–29; Rosenkranz; Schultheiss; Wadstein, pp. 261 sq.
'In all countries . . .': Regenbogen. Cf. Oswald der Schreiber, loc. cit.
'one must not let . . .': *Magdeburger Schöppenchronik*, p. 313.

117 Suchenwirt: quoted in Bezold (3), p. 60.
John of Winterthur, p. 280. The *motif* of the hidden tonsures occurs already in the thirteenth-century pseudo-Joachite tract *Oraculum Cyrilli*. It was to become very popular in Germany; cf. Peuckert, p. 189.
'From the Emperor Frederick . . .': Rothe, p. 426. Cf. his comments (p. 466) on the pseudo-Frederick of Neuss and the many 'who have joined his heresy'.
On the Greek philosopher: Döllinger (MW), pp. 285–6.

Manifestos for a future Frederick

118 *Gamaleon*: For the Latin version: Wolf (OS), pp. 720 sq. (which contains most of it, in the form of a sermon supposed to have been delivered in 1409 or 1439); and Lazius (OS), H 2 (*b*)-H 3 (which contains the ending, under the title *Vaticinia de Invictissimo Caesare nostro Carolo V*). This version is summarized in Bezold (4), pp. 573 sq. For a vernacular German version: Reifferscheid (OS), Document 9. Cf. Döllinger (MW), pp. 349 sq.; Rosenkranz, pp. 516–17.
Reformation of Sigismund: see *Reformation Kaiser Sigmunds* (OS). On this work: Dohna; Bezold (3), pp. 70 sq., and (4), pp. 587 sq.; Peuckert, pp. 198 sq., 220 sq. On the vexed question of authorship see also Beer's introduction, pp. 71–4.
For 'Sigismund's prophecy': *Reformation Kaiser Sigmunds*, pp. 138–43.

119 *Book of a Hundred Chapters*: This work, which survives in a single enormous manuscript at Colmar, has never been edited. The present account is based on the lengthy analysis in Haupt (8) (MW). Cf. Doren, pp. 160 sq.; Franz, pp. 114–15; Peuckert, pp. 224–7.

120 'He will reign . . .'; 'The King will come . . .'; 'I am the beginning . . .': Haupt (8), pp. 202–3.

Abundance of bread, etc.: cf. Revelation vi, 6. Abundance and cheapness of bread, wine and oil are also characteristic of the reign of the future Constans as described in the *Tiburtina*.
The Revolutionary is himself the Messiah: Haupt (8), p. 209.

121 'to smash Babylon . . .': ibid., p. 202; and cf. pp. 163, 208 sq.
'Whoever strikes . . .', and the call to assassinate Maximilian: ibid., pp. 211–12.
'control the whole world . . .': ibid., p. 215.
'Soon we will drink . . .': ibid., p. 212; cf. p. 109.
'the great men . . .': ibid., p. 210.
'Go on hitting . . .': ibid., p. 212; cf. p. 179.

122 For the massacre of 'usurers' and lawyers: ibid., p. 201; cf. pp. 134, 166.
'What a lot of harm . . .': ibid., p. 168, Note 1; cf. pp. 167–72.
'If a person . . .', and comments on the new type of justice: ibid., pp. 164–6.

123 Oh the ancient German Empire: ibid., pp. 141–5.
On the Latin peoples: ibid., pp. 146–9.

124 On Germany's future destiny: ibid., pp. 156 sq., 200.
'and those that will not accept . . .': ibid., p. 201.

125 Christ taught Jews only: ibid., p. 188.
On patriarch and Emperor: ibid., pp. 156–9.
'The German's once held . . .': ibid., p. 157.

126 On the persistence of phantasies about the reincarnated Frederick: Peuckert, pp. 606 sq.
On the *Bundschuh* of 1513: Schreiber (MW). The millenarian elements in its programme emerge from Documents 20 (p. 89) and 22 (p. 92). Cf. Haupt (8), p. 200, Note 3; Peuckert, p. 625.

7 An Elite of Self-immolating Redeemers

The genesis of the flagellant movement

127 On the beginnings of self-flagellation in Europe: Förstemann, p. 7; Zöckler, p. 36. For the practice at Camaldoli and Fonte Avellana: Damian (1), cols. 415–17, and (2), col. 1002.
The friar: Suso (1), p. 43.

128 The present account of the Italian processions is based on: *Annales S. Justinae Patavini*, p. 179.
For modern accounts of the medieval flagellant movements: Förstemann, which for almost a century and a half was the most comprehensive account, has now been replaced by the symposium published at Perugia to mark the sixth centenary of the first outbreak; see *Il Movimento dei Disciplinati* (MW). Other valuable accounts: Fredericq (1) (MW); Hahn, vol. II, pp. 537 sq.; Haupt (1), (5) and esp. (11); Hübner, esp. pp. 6–60; Lea (MW), pp. 381 sq.; Lechner; Pfannenschmid; Werunsky, pp. 291 sq. For bibliography also: Röhricht (2).

129 The world about to be destroyed: *Annales S. Justinae*, loc. cit.
Salimbene, p. 466.
On the movement of 1261–2 north of the Alps: *Chronicon rhythmicum Austriacarum*, p. 363; *Annales Mellicenses*, Continuations: *Mellicensis*, p. 509, *Zwetlensis III*, p. 656; *Sancrucensis II*, p. 645; *Annales Austriacarum, Continuatio Praedicatorum Vindobonensium*, p. 728; Ellenhard (1), pp. 102 sq. (on the processions at Strasbourg); Henry of Heimburg,

p. 714; Hermann of Altaha, p. 402. The movement also reached Bohemia and Poland: *Annales capituli Cracoviensis*, p. 601; Basko of Poznan, p. 74; Pulkava of Radenin, vol. III, p. 232.

On the debt of the German to the Italian movement: Hübner, pp. 33–92.

For the text of the Heavenly Letter: Closener, pp. 111 sq. The context there is the movement of 1348–9, but internal evidence shows the letter to date from 1262; cf. Hübner, pp. 54 sq.; Pfannenschmid, pp. 155 sq.

The apocalyptic prophecy attributed to Christ: Mark xiii (=Matthew xxiv, Luke xxi).

130 On the social composition of the German movement: *Chronicon rhythmicum Austriacarum*, p. 363. Baszko of Poznan even refers to the flagellants as 'secta rusticorum'. Cf. Hübner, pp. 19–20.

On the flagellants' claims to salvation: Siegfried of Balnhusin, p. 705. The account in Pulkava, loc. cit., is of much later date and doubtful reliability.

131 On the repression in Germany: e.g. *Annales Veterocellenses*, p. 43.

On the flagellants of 1296: Closener, p. 104; and Note 5 thereto. For the famine see above, note to p. 102.

On the Black Death: Ziegler, which now replaces Coulton, Nohl. For Germany in particular: Hoeniger.

132 The flagellants precede the plague: *Kalendarium Zwetlense*, p. 692; *Annales Austriacorum, Continuato Claustroneoburgensis V*, p. 736. Both these sources expressly state that the flagellants were already active in Austria before the plague arrived.

For the progress of the plague across Europe: Lechner, pp. 443 sq.; but cf. Hübner, pp. 12–13.

On the flagellants in England: Robert of Avesbury, pp. 407–8.

For Strasbourg: Closener, pp. 105 sq.

For Tournai: Muisis, pp. 349, 354–5.

Statistics for the Low Countries: *Breve chronicon Flandriae*, p. 26; Muisis, pp. 354–5; and for Erfurt: *Chronicon S. Petri vulgo Sampetrinum Erfurtense*, p. 180.

133 The present account of the organization, rules and rituals of the flagellants is based on: du Fayt, pp. 703 sq.; Henry of Herford, p. 281; Hugh of Reutlingen, pp. 21 sq.; Matthew of Neuenburg, pp. 265–7; Muisis, pp. 355 sq.; Twinger, vol. IX, pp. 105 sq.

134 The ceremony invalidated by woman or priest: Gilles van der Hoye, p. 342; du Fayt, p. 704; vernacular chronicle in Fredericq (OS), vol. III, p. 15.

For the text of the hymns: Hübner.

'Simony had penetrated . . .': Henry of Herford, p. 268.

135 'How contemptible . . .': John of Winterthur, p. 278. The year is 1348.

For the flagellants as saviours: Boendaele, vol. I, p. 590; Closener, p. 119; Fredericq (OS), loc. cit. and p. 18; Henry of Diessenhofen, p. 73; *Magdeburger Schöppenchronik*, p. 206.

People curse the clergy: Closener, loc. cit.; *Magdeburger Schöppenchronik*, loc. cit.; Muisis, p. 350; Taube of Selbach, p. 77.

Revolutionary flagellants

136 On the earthquakes as 'messianic woes': see Hübner, p. 30, Note 2, for sources.

For the eschatological interpretation of the Black Death: *Detmar-Chronik*, p. 522.

'Plague ruled . . .': quoted in Latin in Hübner, p. 31, where the source is also given.
John of Winterthur, p. 280.
For the great 'astrologer': Michael de Leone, p. 474.
For the intended duration (33½ years): Closener, p. 120.

137 For the enquiry at Breslau see the extracts from the *Quaestio* in Hübner, pp. 22, 24 (Note 1), 29, 47 (Note 2), 204 (Note 1).
The flagellants compare themselves with Christ: Boendaele, vol. I, p. 590; William of Nangis, Continuation III, vol. II, p. 218; chronicle in Fredericq (OS), vol. III, p. 18.
On the social composition of the processions: *Breve chronicon Flandriae*, p. 23; Henry of Herford, p. 282; Hugh of Reutlingen, pp. 51–2; Kervyn de Lettenhove (OS), pp. 30–31; Matthew of Neuenburg, p. 266; Tilemann Ehlen of Wolfhagen, pp. 32–3; also sources in Fredericq (OS), vol. II, p. 136, and in Kervyn de Lettenhove (2) (MW), vol. III, p. 353.
On clerics as *prophetae*: *Chronicon comitum Flandrensium*, p. 226; Closener, p. 118; *Gesta abbatum Trudonensium*, p. 432; and cf. the fourth version of Froissart, quoted in Fredericq (OS), vol. II, p. 131.
For the Bull: Clement VI, pp. 471–2.
The chronicler of the Low Countries: *Gesta abbatum Trudonensium*, loc. cit.
For the Archbishop of Cologne: Synod of Cologne, 1353, p. 471.

138 For Breslau: Klose (MW), p. 190.
On the anti-ecclesiastical attitude and acts of the flagellants: *Chron. comitum Flandrensium*, loc. cit.; *Magdeburger Schöppenchronik*, p 206; *Chron. S. Petri vulgo Sampetrinum*, p. 181; Closener, pp. 115, 119; *Detmar-Chronik*, p. 520; Henry of Herford, pp. 281–2; le Bel, vol. I, p. 225; chronicle in Fredericq (OS), vol. III, p. 18.
For the Pope's complaint: Clement VI, p. 471.
The French chronicler: le Bel, loc. cit.
For a modern study of the accusation of well-poisoning: Wickersheimer; and of the ensuing massacres: Graetz, vol. VII, pp. 360–84; Werunsky, pp. 239 sq.

139 On the happenings at Frankfort: *Annales Francofurtani*, p. 395; Camentz, p. 434; Matthew of Neuenburg, p. 264. Cf. Kracauer (MW), pp. 35 sq.
For Mainz: Henry of Diessenhofen, p. 70; Matthew of Neuenburg, pp. 264–5; Taube of Selbach, pp. 92–3. Cf. Graetz, vol. VII, p. 375; Schaab, pp. 87 sq.
For Cologne: *Annales Agrippenses*, p. 738; *Detmar-Chronik*, p. 275; *Gesta abbatum Trudonensium*, p. 432; Lacomblet, vol. III, p. 391, no. 489 (23 September 1350) (whence the quotation); *Notae Colonienses*, p. 365; Ennen and Eckertz, vol. IV, nos. 314, 385. Cf. Weyden (MW), pp. 186 sq.
For Brussels: Muisis, pp. 342–3.
On the massacres in the Low Countries: Boendaele, vol. I, pp. 588–93; du Fayt, pp. 705–7; Low German translation of Jan van der Beke in Fredericq (OS), vol. I, pp. 196–7.
'most of them . . .': Clement VI, p. 471.
The flagellants attack laymen: ibid.; and *Detmar-Chronik*, p. 275. Cf. Werunsky, pp. 300 sq.

140 Philip V bans flagellation: Muisis, p. 361; and sources in Fredericq (OS), vol. III, pp. 20–21, 116–17, and in Kervyn de Lettenhove (2) (MW), vol. III, p. 358.
Towns resist the flagellants: Erfurt: *Chron. S. Petri vulgo Sampetrinum*,

p. 180; Aachen: Haagen (MW), vol. I, p. 277; Nuremberg: Lochner (MW), p. 36.
On the flagellants of 1400: Zantfliet, p. 358.
Flagellants at Avignon: *Breve chronicon Flandriae*, p. 14; Matthew of Neuenburg, p. 267, Note 2.
For du Fayt's report, see du Fayt (OS); and cf. Fredericq (2) (MW).
On the action of the University of Paris: William of Nangis, Continuation III, vol. II, p. 217; Egasse du Boulay (OS), vol. IV, p. 314.

141 The movement suppressed by ecclesiastical authorities: Andrew of Regensburg, p. 2112; Benessius Krabice of Weitmühl, p. 516; Closener, p. 120; Francis of Prague, p. 599; Froissart, vol. IV, p. 100; *Magdeburger Schöppenchronik*, p. 206.
The movement suppressed by secular authorities: *Annales breves Solmenses*, p. 449; Tilemann Ehlen, p. 33; and sources in Fredericq (OS), vol. II, pp. 112–18.
'vanishing as suddenly . . .': Henry of Herford, p. 282.
On the penance in St Peter's: *Magdeburger Schöppenchronik*, p. 219.
For later prohibitions: the Low Countries and particularly Tournai: Fredericq (1) (MW); Utrecht: Synod of Utrecht, 1353; Cologne: Synods of Cologne, 1353 and 1357, pp. 471, 485–6.
On the Italian movement: Duplessis d'Argentré (OS), pp. 336–7.

The secret flagellants of Thuringia

142 The present account of Schmid and the secret flagellants of Thuringia is based on documents printed in Stumpf (MW) and in Förstemann, Appendix II. For Documents 2 and 3 in Stumpf, which summarize the leader's own opinions, see also Schmid (1) and (2) (both OS). For a modern account of Schmid: Haupt (12); and of the history of the sect: Förstemann, pp. 159–81; Haupt (5), pp. 117 sq., and (11).
On the flagellants of 1348–9 in Thuringia: *Chron. S. Petri vulgo Sampetrinum*, p. 180.
On Thuringia as the centre of the Frederick-cult: Grauert (1); Kampers (1), pp. 97–109.

143 For Frederick the Undaunted as an eschatological figure: Peter of Zittau, pp. 424 sq.; and cf. Grauert (2), pp. 703 sq.

144 On the recurrence of the plague: Haupt (5), p. 118, Note.
For the executions at Nordhausen: Körner (OS), col. 1113.
The Pope encourages the Inquisition: Gregory XI (1).
On the group at Erfurt: Trithemius (1), vol. II, p. 296.

145 On the flagellant movements in southern Europe from 1396 onwards: Förstemann, pp. 104 sq.
On the flagellants at Rome: Wadding, vol. X, pp. 33–4; and cf. Wadstein, p. 89.
Charlier de Gerson: Gerson (4), p. 658, and (5), pp. 660–64.
For the doctrines of the Thuringian flagellants in the fifteenth century: Stumpf, Documents 4, 5 (= Reifferscheid, Documents 5, 6); for emendations and additions to the second document, from another manuscript: Haupt (5). Also Förstemann, document in Appendix II, pp. 278–91.

146 The fifteenth-century Thuringian chronicler: Rothe, p. 426.
On the repression of 1414–16: Körner, p. 1206. Cf., on the preponderant part played by secular authorities in these persecutions: Flade, pp. 80–82.

On the flagellants at Nordhausen, 1446: Förstemann, loc. cit., and pp. 173 sq.
At Sonderhausen, 1454; Stumpf, document 5; Haupt (5).
147 For the last trials of flagellants: Förstemann, pp. 180 sq. In 1468 a monk of Erfurt wrote a tract against the flagellants: see John of Hagen (OS).

8 An Elite of Amoral Supermen (i)

The heresy of the Free Spirit

148 By far the most comprehensive account of the heresy of the Free Spirit is now that in Guarnieri (2); published in 1965, it replaces Mosheim (2) (1790) and Jundt (1875). For briefer accounts published in the last few years: Guarnieri (1); and, down to the fifteenth century only, Leff, vol. I, pp. 308–407. The account in Erbstösser and Werner ignores the established facts, in favour of an *a priori* pseudo-Marxist thesis.
The name 'Free Spirit' was taken from 2 Corinthians iii, 17: 'Where the Spirit of the Lord is, there is liberty.'
149 The existence of the heresy of the Free Spirit was queried for instance by the eminent ecclesiastical historian Karl Müller; cf. Müller (1), p. 612, and (2), *passim*. For an effective reply to Müller (2) see Niesel.
Schwester Katrei: All extant versions contain large interpolations of orthodox Catholic theology. A fair idea of the original can be gained by using together the two published versions; see Pfeiffer, Birlinger (both (OS), and cf. Simon (MW).
For the list of 'articles of faith': Preger (2) (OS).
For the *Mirouer des simples ames* see Porete, Marguerite (OS).
The accuracy of Catholic accounts of the Free Spirit is also borne out by the documents concerning a very similar, though much smaller, movement which existed in Italy during the fourteenth century. They are published in Oliger (MW).
150 On orthodox medieval mysticism: Leclercq, Vandenbroucke and Bouyer.
On the relationship between orthodox and heretical mysticism, especially in Germany: Leff, vol. II, pp. 259–94.
151 In the first edition of this book I gave grounds for thinking that the Free Spirit was known in the West already in the twelfth century; but further weighing of the evidence leaves me doubtful.
On the Euchites: Runciman (1), esp. pp. 21–5, 28–9; Guarnieri (2), pp. 272–3.
On the Sufi: Guarnieri (1), pp. 367–70; Guarnieri (2) cols. 1249–50.

The Amaurians

152 For modern accounts of the Amaurian sect: Aegerter, pp. 59 sq.; Alphandéry (1); Delacroix, pp. 34–52; Gilson, pp. 382–4; Hahn, vol. III, pp. 176 sq.; Jundt, pp. 20 sq.; Preger (1), pp. 166 sq.; and works specified below.
The German chronicler: Caesarius of Heisterbach, vol. I, pp. 304–7. The list of individual sectarians given by Caesarius is confirmed by the decree of condemnation; see Synod of Paris, 1209.
153 For the story of Amaury: William the Breton, pp. 230–31. Cf. Hauréau, pp. 83 sq. On Amaury's eminent associates: *Chronicon universale anonymi*

Laudunensis; and Hostiensis (Henry of Susa, Henricus de Bartholomaels) as quoted in Capelle (MW), p. 94.
On Amaury's responsibility: *Chronica de Mailros*, p. 109.
For the tract *Contra Amaurianos*: Garnier of Rochefort (attrib.).
Robert of Courçon: in Denifle and Chatelain (OS), vol. I, p. 79.
Innocent III: in *Concilium Lateranense IV*, cap. ii, p. 986.
On Amaury's own doctrine see, in addition to Caesarius and Hostiensis: Martin of Troppau, pp. 393 sq. Martin, who was chaplain to five popes, died in 1278. His account was adopted in the fifteenth century by Gerson; see Gerson (8), p. 394, (10), p. 1242. Both Martin and Hostiensis may however simply have attributed to Amaury opinions which they found in Erigena. On Amaury and Erigena see Jourdain – whose argument however could not now be maintained in its entirety: the Amaurians were certainly disciples of Amaury, even if errant ones, and not of David of Dinant.

154 'Outwardly, in face and speech . . .': John, Abbot of St Victor.
For the heresy at Troyes: Caesarius, p. 307; at Lyons: Stephen of Bourbon, p. 294.
For the proselytism of the Amaurians: Caesarius, p. 306; *Chronica de Mailros*, loc. cit.; *Haereses sectatorum Amalrici*.
On the doctrine of the Amaurians: Caesarius; Garnier of Rochefort; *Haereses sectatorum*; John, Abbot of St Victor; and the report on the interrogation of the arrested clerics (see Alverny (MW)), which confirms the accuracy of *Haereses sectatorum*. For modern reconstructions of the doctrine: Capelle; Grundmann (2), pp. 355 sq.; Pra.
'He dared to affirm that . . .': *Haereses sectatorum*.
'each one of them was Christ . . .': Caesarius, p. 305.

155 On the theory of successive incarnations: *Haereses sectatorum*; Garnier of Rochefort, p. 30.
The Holy Spirit speaks through the Amaurians: Caesarius, p. 305.
'Within five years . . .': Garnier of Rochefort, p. 51.
On the messianic phantasies of the Amaurians: Caesarius, pp. 305–6.

156 For the sermon of the Abbot of St Victor: John, Abbot of St Victor.
'They committed rapes . . .': William the Breton, vol. I, p. 232.

The sociology of the Free Spirit

157 The sociological significance of the cult of voluntary poverty has long been a subject of controversy. In interpreting voluntary poverty as specifically a movement of the oppressed, some Marxist scholars have certainly distorted the facts. Grundmann (2) deals effectively with such over-simplifications, see esp. pp. 28 sq., 157 sq., 188 sq., 351. Nevertheless the unavoidably poor, particularly urban artisans, played a larger part in the movement, both inside and outside the Church, than Professor Grundmann suggests.

158 For Willem Cornelis: Thomas of Chantimpré, p. 432.
For antinomianism and the cult of poverty at Antwerp *c.* 1250: document in Fredericq (OS), vol. I, pp. 119–20; and cf. McDonnell, pp. 489–90.
On the female mystic Hadewijch, who also flourished at Antwerp around 1230, and for the Italian Jacopone of Todi, see Guarnieri (1) pp. 362–3, and Guarnieri (2) cols. 1243, 1247.

159 On the derivation of 'beg' and 'beggar' see the Oxford English Dictionary.

On the dress and public behaviour of Beghards: *Annales Basileenses*, p. 197; John of Dürbheim (1), pp. 259–60; Pelayo, vol. II, lib. ii, article 51, para. K; Wasmod of Homburg; Wattenbach (1) (OS). Pelayo, articles 51 and 52, deals at length with the way of life of Beghards, including Brethren of the Free Spirit.

The growing uneasiness with which the clergy viewed Beghards is shown in the decrees of several synods; e.g. (all OS): Synod of Mainz, 1259, p. 997; Magdeburg, 1261, p. 777; Trier, 1277, p. 27 (the date 1227 is an error); Trier, 1310, p. 247; Mainz, 1310, p. 297.

On the way of life of the Brethren of the Free Spirit see, in addition to Pelayo: Schmidt (2) (OS), pp. 224–33; Wattenbach (1) and (2) (both OS).

On artisans as Brethren of the Free Spirit: Conrad of Megenberg; Pelayo (the most relevant passage is quoted in Mosheim (2), p. 290). Evidence for the participation of apostate clerics and of men and women of prosperous families is abundant; and the attempt by Erbströsser and Werner to represent the entire movement as plebeian is misguided.

160 On the position of middle-class widows and spinsters: Power, pp. 413, 433.

On the Amaurians 'in the houses of widows': *Chron. de Mailros*, p. 109, where they are called 'Papelardi'; and *Chron. regia Coloniensis, Continuatio II*, p. 15, where they are called 'Beggini'. On the significance of these appellations: Grundmann (2), pp. 373 sq.; and cf. ibid., pp. 366 sq. For the arrest of the female followers: William the Breton, p. 233.

On the Beguines: Neumann; McDonnell; and for a brief summary: Haupt (9).

161 Monks forbidden to have dealings with Beguines: Synod of Mainz, 1261, p. 1089.

The Franciscan of Tournai: Simon of Tournai, pp. 33 sq.

The East German Bishop: Bruno of Olmütz, p. 27.

On the attitude of the secular clergy: Grundmann (2), pp. 378–84. On the assimilation of Beguines by the Mendicant Orders: ibid., pp. 199–318.

162 The reception given by a Beguine community to an adept of the Free Spirit is described by Conrad of Megenberg.

'Unbelievably subtle words ...': Nider, lib. III, cap. v, p. 45.

'A man who had great likeness ...': Ulanowski (OS), p. 248.

9 An Elite of Amoral Supermen (ii)

The spread of the movement

163 For the spread of the Free Spirit along the Upper Rhine: Hartmann (OS), p. 235. Sources for the executions at Strasbourg: in Duplessis d'Argentré, vol. I, p. 316.

For Albertus Magnus: Nider, lib. III, cap. v, p. 45.

For the diocese of Trier: Synod of Trier, 1277, p. 27.

For Cologne: Henry of Virnenburg; Wadding, vol. VI, pp. 108–9; and cf. Mosheim (2), pp. 232–3.

On the two Beghards at Nördlingen: *Annales Basileenses*, p. 194; and cf. Grundmann (2), pp. 404 sq. For the heretical articles see Albertus Magnus (OS). The manuscripts of Albert's analysis known to Preger and Haupt are both only copies. Nider, writing about 1435, claims (loc. cit.) that he saw the original list in Albert's own notebook; but that is lost. Preger

gives as well another list of 29 articles, from an independent source but dealing with the same outbreak of heresy in the Swabian Ries; see Preger (1) (OS). For reconstruction of the doctrine presented by these sources: Delacroix, pp. 60–68; Grundmann (2), pp. 401–31; Preger (1) (MW), pp. 207–12.

163–164 For Marguerite Porete: William of Nangis, *Continuatio II*, vol. I, pp. 379–80; *Grandes chroniques de France*, vol. V, p. 188; Jean des Preis, pp. 141–2. For the condemnation of her book: Langlois (OS). For the sentence passed upon her: Lea (OS). For the letter of Clement V: ibid., p. 578, Note. See also Guarnieri (1), pp. 388–9, 408–13, and on the fate of the book in England, p. 434.

164 On the Council of Vienne: Müller (Ewald), esp. Appendix B. For the Bulls see Clement V.
On ecclesiastical persecution of Beguines: McDonnell, pp. 505–74.
Pastoral letter of the Bishop of Strasbourg: John of Dürbheim (1).

165 On the episcopal inquisition: Lea (MW), p. 370.
Bishop of Strasbourg to Bishop of Worms: John of Dürbheim (2); and for his letter to the Pope: Baluze (1) (OS), vol. III, pp. 353–6.
For the heresiarch Walter: Trithemius (1), vol. II, p. 155; and cf. Mosheim (2), pp. 270 sq.
For the capture and execution of the secret group: John of Viktring, vol. II, pp. 129–30; John of Winterthur, p. 116; William of Egmont, pp. 643–4 (the last being a contemporary source).
For the House of Voluntary Poverty at Cologne: Wattenbach (1) (OS); and cf. *Gesta Baldevvini Treverensis archiepiscopi*, p. 144.
For the three Beghards at Constance: John of Winterthur, pp. 248–50; and cf. Mosheim (2), pp. 301–5.
Papal inquisitor appointed: see Innocent VI.
For the adept at Speyer: Nauclerus, pp. 898 sq.; Trithemius (1), pp. 231 sq. See also Haupt (1), p. 8.
For Cologne in 1357: Synod of Cologne, 1357, pp. 482–3.

166 For Nicholas of Basle: Nider, lib. III, cap. ii, p. 40; and the sentence passed on one of his followers, as given in Schmidt (1) (OS), pp. 66–9, and emended in Haupt (4), p. 509. The general argument of Schmidt's book on Nicholas has long since been refuted. For a modern account of Nicholas: Strauch.
For the execution at Mainz: Ritter (OS).
Sebastian Brant: *De singularitate quorundam fatuorum additio*, in Brant (OS), pp. 119–21.
The Free Spirit reaches Bohemia and Austria: John of Viktring, vol. II, p. 130.
The Free Spirit amongst Bavarian Beguines: Conrad of Megenberg.
In the diocese of Würzburg: Haupt (1), pp. 6 sq., quoting from *Monumenta Boica*, vol. XL, pp. 415–21.
For the synod of Regensburg, 1377: Haupt (2), p. 488, quoting from *Monumenta Boica*, vol. XV, p. 612.
For the trial at Eichstätt: ibid., pp. 490 sq.
For the community at Cham: *Errores bechardorum et begutarum*, and Haupt (7).
On measures against Beghards in Bavaria during the fifteenth century: Haupt (2); Lea (MW), pp. 412–13.
For the community at Schweidnitz: Ulanowski (OS).
Synod of Magdeburg, 1261, p. 777.

Matilda of Magdeburg, p. 260.

167 For the scribe at Erfurt: *Gesta archiepiscoporum Magdeburgensium Continuatio I*, p. 434.
For the three Beguines at Magdeburg: ibid., p. 435; and *Erphurdianus Antiquitatum Variloquus*, pp. 134–5.
On the appointment and powers of Kerlinger: Urban V (1); Charles IV (1) and (2). The date of the Bull is however 1368 and not, as given by Mosheim, 1367.
For the repression at Erfurt: Wattenbach (1) (OS); and Nordhausen: Körner, p. 1113.
Erfurt and Magdeburg clear: *Gesta archiepiscoporum Magdeburgensium Continuatio I*, p. 441.
On the Thuringian sect of *c.* 1550: Hochhut, pp. 182–96; Wappler, pp. 189–206.
The Pope's appeal: Gregory XI (2).
Executions at Lübeck and Wismar: Körner, pp. 1185–6.

168 On Groot's struggle against the heresy: Groot (OS), pp. 24–48; and cf. Preger (2) (MW), pp. 24–6.
For Bloemardinne: Bogaert (OS), p. 286. The literature on Bloemardinne is abundant, but adds nothing to the information supplied by Bogaert, who wrote after Ruusbroec's death. However, Bogaert claimed to have his information from a companion of Ruusbroec, John of Schoonhoven; and most historians accept his account as accurate.
Ruusbroec publicly ridiculed: Latomus (MW), p. 85.
Ruusbroec's attacks on the Brethren of the Free Spirit will be found in the works listed in the Bibliography, as follows: Ruusbroec (1), pp. 52–5, (2), pp. 228–37, (3), p. 105, (4), pp. 191–2, 209–11, (5), pp. 278–82, 297–8, (6), pp. 39–52. Ironically, twenty years after his death Ruusbroec himself was accused of heresy, by Gerson; see Combes, *passim*.
On the appointment of inquisitors in 1410: Latomus, p. 84.
For the *Homines intelligentiae*: *Errores sectae hominum intelligentiae*; and cf. Altmeyer, pp. 82–3.

169 For the Bull of 1365: Urban V (2).
On the Turlupins: Gaguin, lib. IX, p. 89; Baronius and Raynaldus, vol. XXVI, p. 240. See also Du Cange, under 'Turlupini'. On the probable origin of the name: Spitzer.
Gerson's comments will be found in the works listed in the Bibliography, as follows: Gerson (1), p. 19, (2), p. 55, (3), p. 114, (6), pp. 306–7, (7), p. 369, (9), p. 866, (11), p. 1435. One of the sources of his information was a book of 'almost incredible subtlety' which he attributed to one 'Mary of Valenciennes'. It is now clear that the book was the *Mirouer des simple ames* of Marguerite Porete; cf. Guarnieri (1), pp. 461–2.
It has commonly been held that certain sectarians who emigrated from France to Savoy in the 1370's, and others who were executed at Douai in 1420, were Brethren of the Free Spirit; but the original sources do not bear this out. For a detailed examination of the evidence in the Douai case: Beuzart.
On Pruystinck and his followers: Frederichs (OS); Luther (3). For modern accounts: Frederichs (1) and (2) (both MW); Rembert, pp. 165 sq.

170 For Calvin's first attacks on the Spiritual Libertines, in 1539 and 1544: Calvin (1), pp. 300–301, 350–51, and (2), pp. 53–4.
For the warnings to Margaret of Navarre: Bucer; Calvin (3).

171 On Quintin's end: Calvin (5), cols. 361–2.
The estimate of 10,000 is at col. 163 of Calvin (4), which is the most important of his treatises against the sect.
For the replies to the former Franciscan: Calvin (5); Farel.
For the modern accounts of the Spiritual Libertines: Jundt, pp. 122 sq.; Niesel; and more briefly: Lefranc, pp. 112–13; Saulnier, pp. 246–9. There seem no adequate grounds for believing that the various tracts which have sometimes been attributed to members of the sect really were by them. Some of these works have in fact been identified as simply French translations from the Low German of the Anabaptist David Joris; see Bainton, p. 35.

The way to self-deification

172 Grundmann (7) shows that the inquisitors made the Free Spirit look far more of a uniform 'sect' than it really was. Nevertheless a coherent tradition of speculation and practice did exist. It can be traced also in southern Europe. On the Free Spirit, or the Spirit of Freedom, in Italy: De Stefano, pp. 327–44; Oliger; Guarnieri (1), pp. 404–97. See also the suggestive comments in Burdach (1), p. 588. For Spain, see references in Guarnieri (1), pp. 483–4.
'God is all . . .': John of Dürbheim (1), p. 256.
'God is in every stone . . .': *Errores sectae hominum intelligentiae*, p. 287.
'Every created thing . . .': Albertus Magnus, articles 76, 77.
For the same ideas amongst the Spiritual Libertines of the sixteenth century: Calvin (4), cols. 178–9; Farel, p. 263.
On the doctrine of the final, all-embracing 'Blessedness': Ruusbroec (3), p. 105, (4), p. 191, (5), p. 278 (where the absorption of the Persons of the Trinity is specifically mentioned).
The soul as a drop of liquid: Ruusbroec (6), p. 41; cf. John of Dürbheim (1), pp. 257–8; Calvin (4), cols. 221, 224.
173 No afterlife: Ruusbroec (3), *loc. cit.*; John of Dürbheim (1), *loc. cit.*; and cf. Pfeiffer (OS), p. 453.
The meaning of hell: Caesarius of Heisterbach, p. 304.
'The soul is so vast . . .': Ulanowski (OS), p. 247.
On the divinity of the soul: Albertus Magnus, articles 7, 95, 96; Ruusbroec (6), p. 43.
'The divine essence . . .': Preger (2) (OS).
'Every rational creature . . .': ibid.
174 The adepts set themselves above the saints, etc.: Albertus Magnus, articles 22, 31, 39, 70, 74, 93; Preger (1) (OS), article 1; John of Dürbheim (1), pp. 256–7; Ritter (1) (OS), p. 156.
'They say they are God . . .': John of Dürbheim (1), p. 256; cf. Calvin (4), col. 158.
'It is the same with me . . .': Ruusbroec (6), pp. 44–5.
The Virgin and Christ fail to reach perfection: e.g. Wattenbach (2) (OS), pp. 540–41.
On the training undergone by novices see e.g. Ulanowski; *Schwester Katrei* (esp. Birlinger, pp. 20 sq.; Pfeiffer, pp. 456 sq.); Wattenbach (1), pp. 30 sq.; *Errores bechardorum*. Ecclesiastical critics of the movement were also struck by the severity of the training; e.g. Ruusbroec (1), (2), and (3).

'The Spirit of Freedom . . .': Wattenbach (2), p. 540. This quotation is not *verbatim* but is made up of replies given to several questions put by the inquisitor.

175 'wholly liquefied in Eternity . . .': ibid., (1), p. 533.
The inmate at Schweidnitz: Ulanowski, p. 241.
'The perfect man is God . . .': Preger (2) (OS).
Schwester Katrei: Birlinger, pp. 23–4.
For the claims of the adepts at Schweidnitz: Ulanowski, pp. 249, 242; and of the Swabian adepts: Albertus Magnus, articles 19, 70; Preger (1) (OS), article 30.
'had no longer any need of God': Albertus Magnus, articles 11, 74.

176 Adepts believe they possess miraculous powers: e.g. Gilles the Cantor according to *Errores sectae*; the hermit in the *Buch von den zwei Mannen* (Schmidt (2) (OS)); Hermann Küchener in Haupt (1).
'They say that they created . . .': John of Dürbheim (1), p. 256.
'When I dwelt . . .': Ruusbroec (6), pp. 42–3.
'When God created . . .': Ulanowski, p. 243.
'The perfect man . . .': Preger (2) (OS).

The doctrine of mystical anarchism

177 On Boullan: Bruno de Jésus-Marie.
Suso (2), pp. 352–7.
'He who attributes . . .': Garnier of Rochefort, p. 12.
'He who recognizes . . .': ibid., p. 9.
'A man who has a conscience . . .': Wattenbach (1), pp. 532–3.

178 'Nothing is sin . . .': Albertus Magnus, article 61.
'One can be so united . . .': Preger (1) (OS), article 4. Cf. Albertus Magnus, articles 21, 24, 94. For the same beliefs amongst the Spiritual Libertines: Calvin (1), cols. 350–51, (4), cols. 155, 183–5, 201, 204–9, (5), cols. 356, 361; Farel, pp. 4–5, 23–5, 27, 263, 277–8, 456–7; and amongst the Thuringian 'Blood-friends': Hochhut (MW), pp. 185–8.
'I belong to the Liberty . . .': Wattenbach (1), p. 533.
'The free man . . .': Wattenbach (2), p. 540, where the revelation to the inquisitor is also to be found.
'It would be better . . .': ibid., p. 539.
The adept must restore his strength: Wattenbach (1), p. 532; Schmidt (2) (OS); Nider, lib. III, cap. v, p. 45; Albertus Magnus, articles 44, 52 (and in Haupt's emendations: article 25 A); Preger (1) (OS), article 27.
The spiritual value of feasting is emphasized by Bertold of Rohrbach, the adept who was burnt at Speyer in 1356; for sources see above, Note to p. 171.
For the comment on the golden goblet: Wattenbach (2), p. 539.
Fine dresses at Schweidnitz: Ulanowski, p. 252.
Sister Catherine (Schwester Katrei): Birlinger, p. 31.
'They have no uniform . . .': Nider, lib. III, cap. v.

179 'When a man . . .': Schmidt (2) (OS).
'All things that exist . . .': Preger (OS).
Schwester Katrei: Pfeiffer, p. 458; Birlinger, p. 31.
Virginity regained: Wattenbach (2), p. 541.

180 On promiscuity without qualms of conscience: Calvin (4), cols. 184, 212–14; Hochhut, pp. 189–94; Preger (1) (OS), article 11; *Errores sectae*, p. 283. Henry of Virnenburg accused the heretics of holding that fornica-

tion was no sin. The Beguines at Schweidnitz and the Beghards with whom they associated maintained that to resist sexual advances was the sign of a 'crude spirit'.
'The delight of Paradise', 'the acclivity': *Errores sectae*, p. 282. Cf. Nider, lib. III, cap. v; Calvin, col. 184.
'Christerie': Hochhut, pp. 183–5; Wappler, pp. 189–92.
'till acted ...': see Appendix, p. 352.
For the inquisitor's comment on primal innocence: *Errores bechardorum*.
For Gerson's comments: Gerson (7), pp. 306–7.
The Garden of Eden: *Errores sectae*, p. 282.
For the adept at Eichstätt: Haupt (2), pp. 490 sq.
For the Spiritual Libertines on Adam and the Last Days: Pocque (OS). Antoine Pocque, or Pocquet, was one of the leaders of the sect. In this tract, which is preserved only in the long quotations given by Calvin, the millenarian and quasi-mystical aspects of the doctrine emerge very clearly. The antinomian consequences are not stated as explicitly as in some of the English sources given in the Appendix to the present study; but cf. Calvin (4), col. 200, on the meaning which the sect attached on the notion of Adam and the state of innocence. For a comprehensive survey of the evidence concerning the Adam cult: Guarnieri (1), pp. 428–32.

181 The oath of obedience figures in e.g. Schmidt (2), Ulanowski, Wattenbach (1) (all OS).
For Gerson's comment: Gerson (3), p. 114.
The confession of Martin of Mainz: Schmidt (1) (OS).

182 'took no account ...': Calvin (4), p. 158.
Calvin on simulation: ibid., pp. 170–71; Farel, pp. 87–8.
'They believe that all things ...': John of Dürbheim (1), p. 257.
'The truly free man ...': Wattenbach (2), p. 539.

183 John of Brünn: Wattenbach (1), pp. 532–5.
For Calvin's comments: Calvin (4), cols. 184, 214–20.
'Give, give, give ...': see Appendix, p. 325.

184 'this soul has no will ...': Guarnieri (1), p. 531.
'do nothing but what pleases them ...': ibid., p. 591.

185 'Such souls cannot see themselves ...': ibid., p. 527.
'At the highest point ...': ibid., p. 594.
'This soul feels no pain ...': ibid., p. 537.
'The thoughts of such souls ...': ibid., p. 537.
'Why should such souls ...': ibid., p. 538.

10 The Egalitarian State of Nature

In the thought of Antiquity

187 A fine collection of texts illustrating Greek and Roman notions of the State of Nature will be found in Lovejoy and Boas.
Ovid, lib. I, lines 90–112, and esp. 135–6.

188 'The first inhabitants ...': Trogus, lib. XLIII, cap. I.
'Now I hear poets ...': Lucian, Letter I.
On the egalitarianism of the Greek Stoics: Bidez, esp. pp. 27–35.

189 Diodorus Siculus, Book II, cap. lv–lx (vol. I, pp. 167–72).
For the treatise *On Justice*: Clement of Alexandria, vol. VIII, cols. 1104–13 (Book III, chap. ii). For modern summaries: Adler, pp. 78 sq.;

Walter (G.), pp. 231 sq. (which however contains some errors). The traditional view, shared by these writers, has been that the treatise was the work of one Epiphanes, supposed founder of a sect of 'Carpocratians'; but this would seem to have been conclusively disproved by Kraft.

190–1 'Those were happy times...': Seneca, Epistola XC.

191 The egalitarian order irrecoverably lost: It is true that the Stoics, with their cyclical view of cosmic history, expected the Golden Age to recur – but only in the next cycle or *annus magnus*, and after a conflagration which was to annihilate the whole existing universe, including all souls.

In patristic and medieval thought

192 On the contrast between the State of Nature and the conventional state: Carlyle, vol. I, pp. 132–46; vol. II, pp. 136 sq.; vol. V, pp. 441–2: Troeltsch, vol. I, pp. 152–4. The texts and commentaries in Boas illustrate the various ways in which the State of Nature was imagined by the Fathers and during the Middle Ages.
'Ambrosiaster', col. 439.
'This the order of nature...': Augustine, vol. II, pp. 428–9 (lib. XIX, cap. xv).

193 'Although there now exist...': Beaumanoir, p. 235, para. 1453.
Cyprian, cols. 620–21 (para. 25).
'like the day...': Zeno, col. 287.
'Nature has poured forth...': Ambrose (2), col. 62.
'The Lord God specially wanted...': Ambrose (1), col. 1303. Cf. Lovejoy (MW). What practical consequences Ambrose drew from this doctrine is far from clear. If, as Professor Lovejoy points out, he recommended almsgiving on an immense scale as a way of reducing economic inequalities, he also maintained that poverty, hunger and pain are so many aids towards a blessed life. (Ambrose (1), Book II, Chap. V.)
Gratian's *Decretum, pars secunda, causa XII, quaestio i*, cap. ii (cols. 882–3).

194 'For the use...': *Recognitiones*, cols. 1422–3 (lib. X, cap. v).
Pseudo-Isidore: *Decretales Pseudo-Isidorianae*, p. 65 (cap. lxxxii).
Acts iv, 32, 34–5.

195 Gratian adopts the argument of the Fifth Epistle: *Decretum, pars prima, distinctio VIII, Gratianus.*
The communistic State of Nature becomes a commonplace: cf. Bezold (2), pp. 18 sq.; Carlyle, vol. II, pp. 41 sq.

195–6 'Once upon a time...': Jean de Meun, lines 8356–8452.

196 'And so, my friend...': ibid., lines 9493–8.
On the process of degeneration: ibid., lines 9561–98.
'a big villein...': ibid., lines 9609–61.

197 On the attitude of the sects to property: Troeltsch, vol. I, pp. 344–5.

11 The Egalitarian Millennium (i)

Marginalia to the English Peasants' Revolt

198 On the insurrections in Flanders and northern France, see pp. 104–5 and Note thereto.
For the English Peasants' Revolt the standard works are still Oman, Petit-Dutaillis (2) and above all Réville with Petit-Dutaillis (1). For a

more recent account: Lindsay and Groves. Important articles: Kriehn, Wilkinson. See also the relevant chapters in Hugenholtz, Steel, Trevelyan; and Burdach (2), pp. 171–203.
For the story of John Ball: Froissart, vol. X, pp. 94–7; Walsingham, pp. 32–4; and cf. *Anonimalle Chronicle*, pp. 137–8.

199 'And if we are all . . .': Froissart, vol. X, pp. 95–7.
Walsingham, pp. 32–3. Cf. Gower's version, at p. 41 (lib. I, cap. ix).

200 'by the lawe of kynde . . .': *Dialogue of Dives and Pauper*, The seventh precepte, Chap. IV, cols. 3–4.
'In commune to all . . .': Master Wimbledon, quoted in Owst (MW), p. 305.
Wyclif, Book I, Divisions i and ii, and esp. chaps. 3, 5, 6, 9, 10, 14.
'Firstly, that all good things . . .': Wyclif, p. 96.
On the popularization of Wyclif's comments: Hugenholtz, p. 212; Trevelyan, p. 198; and cf. Jusserand, pp. 159 sq.

201 'Envy heard this . . .': Langland, vol. I, pp. 594–5 (B Text, Passus XX, lines 271 sq.; C Text, Passus XXIII, lines 273 sq.). Cf. vol. II, p. 283, Note 277.

201–2 Owst, pp. 287 sq. The translation and summary of Bromyard are at pp. 300 sq.

203 'He that soweth . . .': Matthew xiii, 37–43.
For the text of the rhymes: Knighton, Continuation, vol. II, pp. 139–40; Walsingham, pp. 33–4.
On the part played by the lower clergy see, e.g., Calendar of the Close Rolls, Richard II, vol. II, p. 17; and cf. Hugenholtz, pp. 252–3. On the other hand it would seem that, contrary to a commonly accepted view, the rising was fomented neither by the friars nor by Wyclif's Poor Preachers; cf. Steel, p. 66.

204 On Richard II as 'thaumaturgic king': Hugenholtz, esp. pp. 175–9.
Froissart on Ball's following in London: vol. X, p. 97; and cf. Knighton, Continuation, vol. II, p. 132. On the part played in the revolt by Londoners in general: Hugenholtz, p. 111; Wilkinson, esp. pp. 12–20; and by the London poor in particular: Lindsay and Groves, pp. 112–14, 135; Oman, pp. 17, 68; and cf. Workman, vol. II, pp. 234–5.
For the burning of the Savoy: Monk of Westminster, p. 2; Walsingham, vol. I, p. 457.
For the Smithfield demands: *Anonimalle Chronicle*, p. 147.
For Jack Straw's confession: Walsingham, pp. 9–10. The authenticity of the confession has often been called in question.

The Taborite apocalypse

205 Huss and the Hussite movement have long been favourite subjects for Czech and also for Austrian and German historians. For a full bibliography up to the mid-1950s: Heymann; and for a shorter list of the principal works to that date: Betts, Notes to pp. 490–91. The standard general history in English is now that by Heymann; while useful summaries will be found in Leff, vol. II, and, amongst older works, Lützow, and Krofta (1), (2) and (3). The Communist regime in Czechoslovakia has fostered studies in this field from a Marxist point of view; relevant works are: Graus, Maček. Important recent studies from a sociological (but not Marxist) point of view are Seibt (1) and (2). Concerning the Taborite wing of the movement, scholarship has taken a considerable step forward

with Kaminsky (1), (2) and (3), published between 1956 and 1962; these papers make admirable use of recent Czech research without falling into Marxist oversimplifications. In German, Bezold (1) and Palacký, especially parts 1, 2 of vol. III, though inevitably dated, are still valuable. Kautsky's well-known account, which used to be the standard Marxist version, is quite unreliable.

205–6 On the teachings of Hus, his forerunners and associates: De Vooght; Leff, vol. II, pp. 610–85; and Molnár (1) and (2).

207 On the deposition of John XXIII: Leff, vol. II, p. 650.

208 On the role ascribed to the guilds: Andrew of Bömischbrod, p. 339; *Litera de Civitate Pragensi*, pp. 312–13. Cf. Bezold (1), p. 36.
On social stratification in the towns: Heymann, pp. 46–8; Maček, pp. 28–9.
On the urban poor: Graus, pp. 33–70.
On over-population: ibid., pp. 112–18.

209 On the inflation: ibid., p. 84, and Appendix I, pp. 174–95.
On the condition of the peasantry: Bezold (1), pp. 55 sq.; but cf. Heymann, pp. 42–4, who holds that for a large part of the peasantry conditions were still good.
On the rural proletariat: Maček, pp. 32, 68 sq.

210 On the founding of Tabor: Kaminsky (1).
On millenial expectations in Bohemia in the fourteenth century: Burdach (2), pp. 116, 133.

211 The *Pikarti*: There has been much controversy concerning the identity and opinions of these immigrants. The conclusions of Bartoš are still convincing; see Bartoš (3). But see also Holinka, pp. 168 sq; Kaminsky (2), pp. 69–70, Notes 77–81; and Kaminsky (3), pp. 174, Notes 23 and 24.

212 For the apocalyptic prophecy: *Tractatus contra errores (Picardorum)*, articles 33–7. (This and all subsequent references to the articles follow the numbering in Döllinger's edition.) See also below, Notes to pp. 213–14.
The most comprehensive source for apocalyptic and millenarian beliefs of the Taborites is a list of articles of faith compiled in 1420 from the Taborite literature and statements. The list exists in various Czech and Latin versions; for a discussion of their relationship, and of the authenticity of the list, see Kaminsky (2), pp. 67–8, Note 54. A Czech version is given in Maček (1), pp. 57–66. There is no doubt that the list, which contains both Waldensian and millenarian items, is a reliable guide. Many of the articles are paralleled in extant Taborite texts; and when the articles were submitted to the Taborite preachers on the occasion known as 'the disputation at Zmrzlik's house' in Prague, on 10 December 1420, they were accepted by them as substantially correct.
'There are five ...': quoted in Kaminsky (2) p. 48.
'Faithful ones ...': quoted in Kaminsky (2), p. 47.
No pity towards sinners: *Tractatus*, article 29.
'Accursed be the man ...': ibid., article 31.
'every priest ...': ibid., article 32.

213 For Chelčicky's comments: Kaminsky, (2), p. 51.
'The just ...': quoted in Kaminsky (2), p. 68, Note 57.
The neutral as the Satanic hosts: *Tractatus*, article 39.
The imitation of Christ in the hour of vengeance: ibid., article 30.
'the consummation of time ...': ibid., article 25.
Christ descends 'in glory and great power': Taborite letter, quoted in

Kaminsky (3), p. 178.
'shine like the sun...': ibid.

214 On the millennial realm: *Tractatus*, articles 42, 43, 44, 50, 51, 53; and cf. Lawrence of Březová, pp. 400–401; *Staří letopisové čeští*, p. 478.

Anarcho-communism in Bohemia

214 Cosmas of Prague, pp. 8–9 (lib. I, cap. iii).
Czech Rhymed Chronicle: *Rýmovaná kronika česká*, p. 8.

215 *Majestas Carolini*, para. 2, p. 68.
Taxes shall cease: *Tractatus*, article 46; cf. Lawrence of Březová, p. 400.
'All shall live...': *Staří letopisové*, p. 478.
'The Lord shall reign...': *Tractatus*, article 47.
'All lords, nobles...': Jan Přibam, quoted in Palacký, vol. III, part 2, p. 190.
Towns to be destroyed; Prague as Babylon: Lawrence of Březová, pp. 349, 399–400; *Tractatus*, articles 33, 34, 35. Cf. Bezold (1), p. 50.

215–16 Revelation xviii, 7–11.

216 'the army sent...': *Tractatus*, article 38.
'kings shall serve...': Lawrence of Březová, p. 406.
'the Sons of God shall tread...': ibid., p. 400.
For the transactions of the Taborite assembly of 1434: Charlier (OS), pp. 529 sq.
On the founding of the Taborite communities: Maček, pp. 76–8; Palacký, vol. III, part I, pp. 394, 417; part 2, p. 60.

217 'As Mine and Thine...': *Articuli et errores Taboritarum*, p. 220. Cf. *Invectiva contra Hussitas*, p. 627; Pulkava of Radenin, Continuation, vol. IV, p. 136; and the quotation from Windecke given in Bezold (1), p. 44, Note 1.
Property to be taken from the enemies of God: Lawrence of Březová, p. 400; *Tractatus*, article 40.
'many communities never think...': *Sollicitudo sacerdotum Thaboriensium*, pp. 486–7. Cf. Andrew of Böhmischbrod, p. 334; Lawrence of Březová, pp. 391, 395; *Tractatus*, articles 39, 40, 41.

218 On the fate of the peasantry: Bezold (1), pp. 59–63; Kaminsky (2), p. 62 and p. 70, Note 88.
'Almost all the communities...': *Sollicitudo sacerdotum Thaboriensium*, p. 484. Cf. *Invectiva contra Hussitas*, pp. 628–9.

219 On Húska's eucharistic doctrine: Kaminsky (3), pp. 174–8.
On the *Pikarti*: Bartoš (1) and (2); Palacký, vol. III, part 2, pp. 228–9; and for the political and military grounds for their persecution: Chalupný.
The most reliable source for the Bohemian Adamites is in Lawrence of Březová, pp. 500–501 (in Czech, with German translation at pp. 501–505); this includes the confession forwarded to the University of Prague. Other sources are: Aeneas Silvius, cap. xli, *De Adamiticis haereticis* (p. 109); and addenda to *Staří letopisové*, pp. 476–9 (in Czech). For modern accounts in English: Heymann, pp. 261–3; in Czech: Bartoš (1), pp. 101–2, 103; in German: Büttner and Werner, which replaces earlier German accounts such as Dobrowský, pp. 318 sq. and Svátek, pp. 100 sq. The attempt of the eighteenth-century historian Beausobre to discredit the whole story of the Adamites is of historical interest only; he did not know the confession in Lawrence of Březová. Modern scholars as dissimilar as

Kaminsky and Werner are at one in accepting the contemporary accounts as substantially accurate.

220 The ruler Adam: cf. Burdach (3), pp. 158–61 on Adam as king of the world in its state of primal innocence.
Christ's remark about harlots and publicans: Matthew xxi, 31.

221 'And at midnight . . .': Matthew xxv, 6.
'The Bohemians now became . . .': *Klingenberger Chronik*, p. 198.

222 On Taborite propaganda abroad: Palacký, vol. III, part 2, pp. 498–9.
On expressions of anxiety in Germany: Haupt (6), pp. 274–8.

12 The Egalitarian Millennium (ii)

The Drummer of Niklashausen

223 On the Wirsberg brothers and their doctrine: *Annales Mellicenses, Continuatio Mellicensis*, p. 521; Glassberger, pp. 422–6 (which includes letters from the Papal Legate at Breslau with a list of heretical articles); Jobst of Einsiedeln; Ritter (2) (OS) (also a list of heretical articles). The present account is based on these sources, supplemented by Schiff (2), which in addition draws upon an unpublished manuscript at Munich and some material first published in 1882 by H. Gradl. For briefer accounts: Haupt (13); Preuss, pp. 46–7.

224 On the mercenaries: Schiff, p. 785.
'to rise in seditious rebellion . . .': Dorsten (OS), pp. 277–8 (article 10 *ad fin.*); and cf. Kestenberg-Gladstein, Note 190, p. 294.
'who used to be in Bohemia . . .': Jobst of Einsiedeln, p. 281.
On Erfurt and the professor (Dorsten): Kestenberg-Gladstein, pp. 257 sq.

225 On popular eschatology in Germany in the fifteenth century: Peuckert, esp. pp. 152 sq.; and more briefly: Rohr.
Bans on flagellants at Eichstätt: Haupt (2), p. 493.
Ban on Beghards at Würzburg: Lea (MW), pp. 412–13.

226 The remark about the team of horses is quoted in Franz, p. 81.
The present account of Hans Böhm and the happenings at Niklashausen is based in the main on four sources. The accounts of the chroniclers Fries, pp. 852–4; Stolle, pp. 380–83; Trithemius (1), vol. II, pp. 486–91; and the report submitted to the Bishop of Würzburg by an agent who had listened to Böhm's preaching (*Handell Hannssen Behem*: Barack (OS), Document 3). These sources are not mentioned again below except to identify a quotation or for some other special reason. Original sources which bring additional information are mostly to be found in Barack (OS), and are here indicated by the numeral which they bear in that collection. The one source in Reuss (OS) which is not to be found in Barack is a contemporary vernacular poem on the episode; it adds nothing of importance. For modern accounts: Barack (MW); Franz, pp. 78–92; Gothein, pp. 10–25; Peuckert, pp. 263–96; Schäffler; Thoma.

228 'What would the layman . . .': Trithemius, p. 488.
The Archbishop of Mainz: Document 7.
'Princes, ecclesiastical and secular . . .': Document 3.
'The Emperor is a scoundrel . . .': ibid.
The urban poor attracted: cf. Peuckert, pp. 268, 283.
On the 'original rights' claimed by the peasants: ibid., pp. 254–9.

229 'To God in Heaven . . .': Widman (OS), pp. 216 sq.

230 For Böhm as miracle-worker: Document 4.

The estimates of the numbers of pilgrims are taken from Trithemius, Fries and Stolle, respectively.
The Town Council of Nuremberg: Document 6; and cf. Documents 9, 10.
The diet decides on Böhm's arrest: ibid., Document 8.
For Böhm's call to arms: ibid., Document 19. This document, a letter from the Bishop of Würzburg to the Duke of Saxony, was written six weeks after the supposed event; and Franz, Gothein and Thoma are at one in distrusting it.

231 On the dispersal of the pilgrims: Document 11; Stolle.
For the misgivings at Würzburg: Document 15; Trithemius, p. 490.
The Bishop asks for support: Document 12.

232 Bans on further pilgrimages: Documents 14, 16, 17, 18.
Pilgrims continue to arrive: Documents 20, 21, 22, 23.
The church under an interdict: Document 25.
The church demolished: Document 27.
On the part played by the local lords: Barack, p. 42; Peuckert, p. 284.
Land forfeited: Document 26.
Böhm regarded as half-witted: Stolle, p. 380; as unable to form a sentence: Trithemius, p. 486; as ignorant of the Lord's Prayer: Document 15.
On the part played by the parish priest: Document 4.
On the hermit: Documents 4, 10.
The vision a trick: Document 4; Fries, p. 853.
The hermit prompts Böhm: Trimethius, p. 486.

233 The hermit a Beghard: Document 4; a native of Bohemia: Document 10; and cf. Barack (MW), pp. 37 sq.
Böhm found naked: Stolle, p. 381.

234 On the *Bundschuh* at Speyer, 1502. Franz, pp. 108–9
On the later *Bundschuh* risings: ibid., pp. 124–30; Haupt (8), p. 200, Note 3; Peuckert, p. 625; and cf. document in Schreiber, p. 93.
Jerusalem captured under the sign of the *Bundschuh*: Franz, p. 93.

Thomas Müntzer

234 Works on Thomas Müntzer are numerous. A good number of writers, following in the footsteps of Engels (*Der deutsche Bauernkrieg* (1850)) and of Kautsky, pp. 104 sq., have regarded Müntzer (whether approvingly or not) as primarily a social revolutionary. Some of the resulting works are mere *vies romancées*; among those which have some claim to scholarship one may instance Franz, pp. 408–46; Merx; Walter (L.-G.); and two recent studies from a Communist standpoint: Meusel, a popular work but with a useful appendix of documents edited by H. Kamnitzer; and Smirin, a massive treatise. In general the most original and serious contributions have been made by scholars who have seen in Müntzer primarily a theologian and mystic: in German, Boehmer, Holl, Lohmann; in English, Carew Hunt, Williams. Particularly relevant to the interpretation advanced in the present study are the recent researches of Hinrichs and some of the observations of Heyer. As for original sources, the volume edited by Brandt (see Brandt; and Müntzer (both OS)) includes, in modernized spelling, all Müntzer's pamphlets and a useful selection of extracts from other contemporary sources. Unless otherwise stated, the indications given below refer to this comprehensive and convenient edition; while *Briefwechsel* refers to the edition of Müntzer's correspond-

ence by Boehmer and Kirn (see Müntzer (OS)). A critical edition of the last three of Müntzer's pamphlets, in the original spelling, will be found in *Thomas Müntzers politische Schriften*, ed. Hinrichs. Concerning a further pamphlet, commonly attributed to Müntzer's disciple Hans Hut but which may be by Müntzer himself, see Rupp.
On Müntzer's early years see Boehmer (1) and (2), where various time-honoured legends were first demolished.
235 On Storch: Bachmann.
236 Müntzer's blood-thirstiness was noted by the Reformer Johannes Agricola early in 1521; see *Briefwechsel*, p. 21.
For Müntzer's ascetic and mystical doctrine see in particular Müntzer (1) and (2); and cf. Holl, Lohmann.
Müntzer on 'becoming God': Förstemann (C.E.) (OS), p. 241.
237 Natusius, pp. 147 sq., remarks that Müntzer may have owed something to the tradition represented by the flagellants in Thuringia.
On the social conflicts at Zwickau see the introduction to Brandt, p. 5.
On the rising at Zwickau: Bachmann, p. 13.
The Prague manifesto: Four versions, in German, Czech and Latin, are given in *Briefwechsel*, pp. 139–59.
'Harvest-time is here . . .': ibid., p. 150 (second German version).
238 'Let my sufferings . . .': *Briefwechsel*, p. 40.
The sermon: Müntzer (3). The traditional belief that it was preached before the Elector and Duke John is incorrect; it was preached before Duke John and his son. Cf. Hinrichs (MW), p. 5, Note 1.
The Devil's empire: Müntzer (3), p. 158.
239 'Drive Christ's enemies . . .': ibid., p. 160.
'The sword is necessary . . .': ibid., pp. 161–2.
Müntzer sees himself as the new Daniel: Hinrichs, pp. 59–64; Lohmann, pp. 62–3; and cf. Heyer, p. 94.
Müntzer's letter to his followers at Sangerhausen: *Briefwechsel*, pp. 61–3.
240 'If knaves and rogues . . .': *Briefwechsel*, p. 76.
Storch on community of goods: Brandt (2); and on the reliability of this account see Brandt's note, pp. 224–5.
On Hugwald: Schiff (1), pp. 82–5.
Karlstadt becomes a peasant: Peuckert, p. 250.
'that they should be brothers . . .': Confession of Klaus Rautenzweig, in Opel (OS), p. 211; and cf. Hinrichs, p. 22.
On Müntzer's 'communistic' idea of the Law of God: Hinrichs, pp. 174 sq.
Histori Thomă Müntzers: Brandt (1); and see Brand't note, p. 223. The account of Müntzer's teaching is at pp. 41–2.
241 Müntzer's confession: Brandt (5).
For the events immediately following Müntzer's sermon before Duke John: Hinrichs, pp. 65 sq.
Luther's letter: Luther (1).
The explicit unmasking . . .: Müntzer (4).
'for they have spent . . .': Müntzer (4), p. 178.
'The powerful, self-willed unbelievers . . .': ibid., pp. 170–71.
242 'certain (lords) are only now . . .': ibid., p. 171.
'Then must what is great . . .': ibid., p. 177.
The poor not yet fit: ibid., p. 178.
'If the holy church . . .': ibid., p. 178.

The most amply called-for defence . . .: Müntzer (5).
Müntzer's and Luther's eschatology contrasted: cf. Hinrichs, pp. 147 sq.
243 On Müntzer's view of Luther as an eschatological figure: ibid., pp. 170 sq.
Epistle of Jude, 14–19. The allusion is all the more obvious because where (in verse 19) the English has 'sensual', the German has '*fleischlich*'.
'the will of God . . .': Müntzer (5), p. 191.
243–4 'The wretched flatterer . . .': ibid., p. 192.
244 'Woe unto them . . .': Isaiah v, 8.
'They publish . . .': Müntzer (5), p. 192.
'You wily fox . . .': ibid., p. 201.
For the Elector's remark on the common man: Hinrichs, p. 8.
On the crucifix and the sword, and their meaning: Boehmer (1), p. 17.
On social conflicts at Mühlhausen: Franz, pp. 408 sq.
245 On Müntzer's wanderings in southern Germany: Schiff (1); Carew Hunt, vol. CXXVII, pp. 239–45.
For a fair sample of divergent views on the causes of the German Peasants' War see Franz, Peuckert, Smirin, Waas. The interpretation tentatively advanced here would not be accepted by Marxist historians; but even Professor Smirin (p. 271) grants the essential point, which is that Müntzer's ultimate aim would have been quite incomprehensible to the great mass of the peasantry.
246 For the peculiarities of the war in Thuringia: Franz, pp. 434 sq.
On the situation of the copper-miners: Andreas, pp. 309–10.
Müntzer's part in the Peasants' War: As examples of disagreement one may instance the accounts in Bemmann, Boehmer (2) and Jordan, which come near to denying Müntzer all influence; in Franz, where Müntzer is shown as the sole author of the war in Thuringia; and in the works of Marxists such as Smirin, where Müntzer is presented as the ideologist of a radical tendency which, though shared only by a minority, manifested itself with great vigour and far beyond the confines of Thuringia.
247 For the banner: Kamnitzer (OS), p. 308; and cf. Boehmer (1), p. 17.
For the 2,000 'strangers': report of Berlepsch, mayor of Langensalza, quoted in Carew Hunt, vol. CCXXVII, p. 248, Note 184.
247–8 'I tell you . . .': Brandt (3); and in the original spelling: *Briefwechsel*, pp. 109–11.
248 For the symbolic meaning of Nimrod see the passage from Sebastian Franck quoted in Chapter 13 of the present study, p. 258.
On Storch's new activities: Meyer (Christian) (2), pp. 120–22.
Against the thievish, murderous gangs . . .: Luther (2).
249 On the battle at Frankenhausen, its prologue and epilogue: Baerwald, Jordan, and more briefly, Carew Hunt, vol. CXXVII, pp. 253–63.
Gideon: Judges vii, 6 sq.
Müntzer orders the peasants to join: cf. Baerwald, p. 37.
'Say, you wretched . . .': Brandt (4), p. 78.
250 The *Histori*: Brandt (1), pp. 45, 48.
On the surrender and fate of Mühlhausen: Carew Hunt, vol. CXXVII, p. 262.
For Müntzer's execution: Brandt (1), p. 50.
For Storch's death: Meyer (Christian) (2), p. 122.

13 The Egalitarian Millennium (iii)

Anabaptism and social unrest

252 The connection between Anabaptism and the medieval sects is emphasized by e.g. Erkbam; and by Knox, pp. 122 sq.
Since the first edition of this book the study of Anabaptism has advanced greatly; though very little has had to be changed in this account of the revolutionary wing of the movement, and of the Münster Anabaptists. The comprehensive and exhaustive study by Williams (1962) replaces Smithson's history as the standard work (the much earlier accounts of Bax, Heath and Newman are of purely historiographical interest). The great *Mennonite Encyclopedia* in four volumes (completed in 1959) is a splendid work of reference; while Hillerbrand (1962) is an indispensable bibliographical guide. On the aspects of Anabaptism most relevant to the present study Heyer, and the introduction to Detmer and Krumbholtz, retain their relevance.

253 On the economic doctrines of the Anabaptists: Klassen.

254 On Hans Hut: Meyer (Christian) (1); Zschäbitz, pp. 30–64; and Stayer (1). On Hut and Müntzer: Rupp.

255 'Christ will give . . .', 'The government does not . . .': quoted in Stayer (1), pp. 184–5.
On Anabaptist activity at Esslingen and Nuremberg: Keller, p. 46.
On the contrast between the southern and northern forms of Anabaptism: Stupperich, p. 13.
For brief accounts of the constitutional history of the ecclesiastical states and particularly of Münster: Keller, pp. 56–76; Köhler, pp. 539 sq.

257 Münster from 1531 onwards: The principal original sources for the history of the New Jerusalem at Münster are Kerssenbroch (in Latin) and Gresbeck (in Low German). As a boy of fifteen Kerssenbroch witnessed the beginnings of the revolution. He also became a distinguished scholar; and when in the 1570s he came to write his history he made use of a great number of documents from the time of the revolution, many of which are no longer extant. Although a strong partisan of the Catholic cause, Kerssenbroch was on the whole conscientious in his handling of his materials. Gresbeck, a joiner by trade, was in Münster throughout the siege and writes as an eyewitness who lived amongst the common people. He too was a Catholic and hostile to Anabaptism; but when he writes of what he himself heard or saw he is convincing. Other valuable sources are the reports and confessions collected in Cornelius and in Niesert (both OS); Anabaptist pamphlets, particularly those by Rothmann; and some of the pamphlets written by outside observers. As for Dorp's contemporary *Historia*, everything valuable that it contains was taken over by Kerssenbroch. For detailed criticism of sources see Cornelius's edition of Gresbeck and Detmer's edition of Kerssenbroch (Detmer (1) (MW)); and for bibliography: Bahlmann. Extracts from the original sources, translated into modern German and arranged in a coherent sequence, are given in Löffler (OS). For modern accounts: Apart from general studies of Anabaptism such as those listed above, there exist a number of works devoted solely to Münster. For shorter and more recent accounts: Horsch (in English); Blanke (in German). For a brief survey of recent research and of remaining problems: Stupperich. Older accounts in English include Janssen (Johannes) (translated from German); Pearson.

For studies with special reference to the communistic regime: Ritschl; Schubert. Despite all the attention which the New Jerusalem at Munster has received, its significance has generally been underestimated. This is because it has been viewed in isolation or as a mere excrescence from Anabaptism, instead of as a particularly vigorous expression of the age-old tradition of revolutionary millenarianism.
On the period of Rothmann's ascendancy: Keller, pp. 74–133; and on Rothmann: Detmer (2), vol. II.
258 On Knipperdollinck: Cornelius (4).
On Hoffman: Kawerau.
'Shortly after that . . .': Franck, p. 6A. Cf. Schubert, esp. p. 48.
259 Rothmann preaches community of goods: Rothmann (1), pp. 70–71; Kerssenbroch, pp. 419–20. Cf. Detmer (2), vol. II, pp. 154 sq.; Schubert, pp. 3 sq. About the same time the Spiritual Libertines were also invoking Acts iv to justify community of goods: see Calvin (4), col. 216.
'And so they came . . .': Gresbeck, p. 6.
'fugitives, exiles, criminals. . .': Bishop of Münster to the Imperial Diet, quoted in Keller, p. 195, Note 1.
'people who had run . . .': Kerssenbroch, p. 334.
260 On Matthys, in addition to the historical works listed above: Cornelius (5) (MW).
261 Enoch and Elijah: Kerssenbroch, p. 477.
For special studies of Bockelson: Detmer (2), vol. I; and more briefly: Cornelius (3) (MW). Cf. Keller, pp. 207–8.

Münster as the New Jerusalem

For the performance on 8 February: Kerssenbroch, p. 484.
On the women Anabaptists: ibid., pp. 472, 481–2, 499–500.
On the armed rising and its outcome: ibid., p. 505.
262 For the manifestos: Niesert (3) (OS), pp. 157–9; and the leaflet reprinted in Harting (MW), p. 78.
On the mass immigration: Kerssenbroch, p. 509.
On the iconoclasm: ibid., p. 521.
Only the Father invoked: ibid., p. 500.
All non-Anabaptists to be expelled: ibid., pp. 532–3.
263 The refugees reduced to beggary: ibid., pp. 534 sq.; Gresbeck, pp. 19 sq.; and the Bishop of Münster to the regional diet, quoted in Keller, pp. 198–9.
On the new community of love: Cornelius (8) (OS), p. 456.
The Anabaptists claim to act in self-defence: ibid., p. 445.
264 For the organization of the defence: Kerssenbroch, pp. 553 sq.
Matthys inaugurates social revolution: ibid., pp. 557 sq.
On the protest and execution of the blacksmith: ibid., pp. 559 sq.
The terror is intensified: ibid., pp. 561–4.
Private ownership of money abolished: ibid., p. 561; Gresbeck, p. 32; Ramert (attrib.), p. 246. For the attribution to Ramert of *Die Ordnung der Wiedertäufer* see Ritschl (MW), p. 5.
265 On the requisitioning of food: Gresbeck, p. 34; of accommodation: ibid., p. 47; Kerssenbroch, pp. 541, 557.
On the nature and extent of 'communism' at Münster: Ritschl.
Rothmann says Mine and Thine will disappear: Gresbeck, p. 31.
'all things were to be . . .': Cornelius (6) (OS), p. 373.
266 'Amongst us God . . .': Rothmann (2), pp. 70–71.

'The poorest amongst us . . .': quoted in Detmer (2), vol. II, p. 132.
'We in these parts . . .': Cornelius (2) (OS).

267 On the intensified repression of Anabaptism: Kerssenbroch, pp. 533-4, 566.
The unlearned will redeem the world: e.g. Rothmann (2), p. 14.
Books destroyed: Kerssenbroch, pp. 523, 564.
On the end of Matthys: ibid., pp. 568–70.

268 Bockelson gulled by the deserter: ibid., pp. 762 sq.
For Bockelson's declaration of faith: Cornelius (7) (OS), p. 402.
For the numbers of inhabitants and of able-bodied men: Gresbeck, p. 107. These estimates are confirmed, more or less, by other sources.
For the appointment of the Elders: Kerssenbroch, p. 576.
The new legal code is given in full in Kerssenbroch, pp. 577 sq.
On the direction of labour: Blanke, p. 22; Detmer (2), vol. II, pp. 137–8.

269 For Knipperdollinck's appointment: Kerssenbroch, p. 573, 583.
For the regulations governing sexual relations: ibid., p. 580; and cf. Cornelius (8) (OS), pp. 457 sq.
On Bockelson's arguments for polygamy: Gresbeck, p. 59; Kerssenbroch, p. 619. It is however merely Kerssenbroch's bias that makes him say that Rothmann and other preachers were as eager as Bockelson to introduce polygamy. Dorp's *Historia* and various confessions of captured Anabaptists agree that Bockelson had much difficulty in persuading the preachers.
On the revolt and the executions: Cornelius (6) (OS), pp. 372–3; Kerssenbroch, pp. 621 sq.

270 On the institution of polygamy at Münster: Gresbeck, pp. 59, 79; Kerssenbroch, pp. 625 sq. Cf. Detmer (2) (MW), vol. III.
On the defecting mercenaries: Kerssenbroch, p. 616, and Note 2 thereto; and for examples of the leaflets: ibid., pp. 586–8, 613–16.

271 For particulars concerning the defence: Gresbeck, pp. 36–8, 51, 80–81; Kerssenbroch, pp. 582 sq., 592, 594, 671–2.

The messianic reign of John of Leyden

271 The present account of Dusentschur's action is based on Kerssenbroch, pp. 633 sq. Bockelson, in his two confessions of July 1535, and January 1536 (Cornelius (6) and (7) (OS)), denied that there was any secret understanding between Dusentschur and himself. But he certainly began to exercise his kingly prerogatives with complete self-confidence and great ruthlessness.

272 Bockelson's speech is given in Kerssenbroch, pp. 336–8; and cf. Niesert (1) (OS), p. 34.
On the re-naming of the streets: Gresbeck, pp. 154 sq.; Kerssenbroch, p. 774.
On the naming of the children: Gresbeck, pp. 156–7.
For the inscriptions on the coins: Kerssenbroch, pp. 666–7.
For the emblem: ibid., p. 652.
On the organization of the court: Gresbeck, pp. 83 sq.; Kerssenbroch, 650 sq.

273 On Bockelson's ceremonial appearances: Fabricius, p. 99; Gresbeck, pp. 90 sq.; Kerssenbroch, pp. 662 sq.
On the confiscation of 'surplus' clothing: Gresbeck, p. 96; Kerssenbroch, p. 638; Ramert (attrib.), p. 242.

On the mistrust between the 'king' and his subjects: Detmer's Note 3 to pp. 771–2 of Kerssenbroch.
For Bockelson's self-justification and promises: Gresbeck, p. 88.

274 Rothmann's pamphlets: Rothmann (2) and (3). For a full analysis of their argument: Stayer (2). It was in answer to the *Restitution* that Urbanus Rhegius produced his two refutations, the one a popular pamphlet in the vernacular, the other a learned treatise in Latin; see Rhegius (1) and (2). On the relation between Rothmann's 'restitutionism' and other sixteenth-century versions of the idea: Williams, pp. 375–8, and the works listed there.
'The glory of all the Saints . . .': Rothmann (3), p. 69.
On the Kingdom of the Saints see Rothmann (2), cap. i, xiii, xiv, and (3) *passim*; and cf. Niesert (2).

275 On the performance in the cathedral-square: Gresbeck, pp. 103 sq. *Newe zeitung, von den Widerteuffern zu Münster*, p. 257.
On the executions in Münster: Kerssenbroch, pp. 824–5; Niesert (4), p. 502.

276 On the sending out of the 'apostles': Gresbeck, pp. 111–12; Kerssenbroch, pp. 703 sq.; and on their fate: ibid., pp. 709 sq.
On the attempt to raise mercenaries: report in Löffler (OS), pp. 194–5. The attempt was denied by Bockelson in both his confessions.
Mass risings planned: cf. Cornelius (2) (OS).
For the rising in Groningen and its fate: reports from the Bishop of Münster to the Imperial Diet and of the Imperial Stadtholder to the Bishop, both in Keller, pp. 326 sq.

277 On other risings: Kerssenbroch, pp. 792 sq.
'To kill all monks and priests . . .': quoted in Ritschl, p. 60.
The plans betrayed: Kerssenbroch, p. 724.
On the attitude of Anabaptists in the Netherlands: Cornelius (2); Mellink (1) and (2).
The famine begins: Gresbeck, pp. 140, 174–5.

278 Food reserved for the court: Cornelius (4) (OS), p. 343; Gresbeck, p. 141; Kerssenbroch, p. 804; and cf. Detmer's Note 1 to p. 805.
The extremes of famine: Gresbeck, p. 189; Kerssenbroch, p. 798.
For Bockelson's prophecies: Cornelius (6) (OS), p. 373; Kerssenbroch, pp. 793, 803; report in Löffler, p. 195.
On the public amusements: Gresbeck, pp. 131 sq., 150 sq., 168.
On the fate of the emigrants: Cornelius (3) and (4) (both OS); Gresbeck, p. 189; Kerssenbroch, pp. 805 sq.

279 On the last stages of the terror: Cornelius (3) and (4) (both OS); Kerssenbroch, pp. 772 sq., 784, 820.
On the fall of Münster: Cornelius (5) (OS); Gresbeck, pp. 194–5, 200–201, 205 sq.; Kerssenbroch, pp. 833 sq.

280 On the execution of Bockelson: Corvinus (OS), p. C ii.
On Willemsen: Bouterwek, pp. 34–5.

Appendix

The Free Spirit in Cromwell's England: the Ranters and their literature

287 Brief accounts of the Ranters have been given by e.g. R. M. Jones (MW), pp. 467–81; and by C. E. Whiting, *Studies in English Puritanism from*

the Restoration to the Revolution, 1660–88, London, 1931, pp. 272–7. Bibliographical particulars of the seventeenth-century works mentioned below and in the Appendix itself will be found in e.g. D. Wing, *Short-title catalogue of books printed in England ... 1641–1700*, 3 vols., New York, 1945–51.
On Winstanley's millenarianism see e.g. W. Schenk, *The concern for social justice in the Puritan revolution*. London, 1948, pp. 96–111.

288 'it is no new work ...': John Taylor, *Ranters of both Sexes ... taken and imprisoned ...*, 1651, p. 4.
'high attainers': Richard Baxter, *Plain Scripture Proof of Infants Church Membership*, third edition, 1653, p. 148.
'high professors': George Fox, *Journal*, vol. I, London, 1902, p. 198.
Officers and soldiers whipped: *The Arraignment and Tryall with a Declaration of the Ranters*, 1650, p. 6.

289 Quakers were almost identified with Ranters not only by the bellicose Ephraim Pagitt (*Heresiography*, fifth edition, 1654, p. 143), but even by, for instance, the tolerant Baxter (*Reliquiae Baxterianae*, 1696, p. 77).
'When I came into the jail ...': Fox, *Journal*, vol. I, pp. 47–8.
'were very rude ...': ibid., vol. I, p. 199.
For the meeting at Reading: ibid., vol. I, p. 231.
For the Ranters at Charing Cross: ibid., vol. I, p. 212.
'ran quite out ...': ibid., vol. II, p. 7.
'if God had not raised up ...': ibid., vol. I, p. 95.

294 Parliament gives signs of concern in 1648: *Journals of the House of Lords*, vol. X, p. 240.

295 Parliament appoints a committee, 14th June, 1650: *Journals of the House of Commons*, vol. VI, p. 423.
The committee reports back, 21st June: ibid., p. 427.
The Bill debated: ibid., pp. 430, 437, 440, 443–4, 453–4.
The committee revived: ibid., p. 493.

303 The passages quoted from *The Light and Dark sides of God* are to be found at pp. 1–4, 6, 9–11, 14, 18, 33, 35, 36, 38–9, 46–7, 49–50, 53.

306 The passages quoted from *Heights and Depths* are to be found in the Preface and at pp. 2, 6, 9, 10, 17, 23–6, 28, 30, 52.

309 Clarkson's career is described by himself in *The Lost sheep found*; for the earlier part of it see also Thomas Edwards, *Gangraena*, 1646 (second edition, enlarged), pp. 104–5. In *The Routing of the Ranters*, 1650, p. 2, Clarkson is mentioned along with Coppe as being a 'chief Ringleader of this viperous generation'. For a modern account see the article by C. W. Sutton on Claxton or Clarkson in the *Dictionary of National Biography*.
'There was few of the clergy ...': *The Lost sheep found*, p. 23.
The committee reports on *A Single Eye*: *Journals of the House of Commons*, vol. VI, p. 427; is ordered to report in more detail: ibid., p. 444; makes its final report, with the result that Clarkson is sentenced: ibid., pp. 474–5.
The passages quoted from *The Lost sheep found* are at pp. 24–8.
For Clarkson's arrest and examination: ibid., pp. 29–31.

316 The account of Coppe's guilt-obsessed adolescence is taken from *Copp's Return to the wayes of Truth*, First Error. On Coppe's later career see Baxter, *Plain Scripture Proof*, pp. 147–8; Anthony à Wood, *Athenae Oxonienses*, second edition, vol. II, London, 1721, pp 500–502. For a modern account see the article by Alexander Gordon on Coppe in the *Dictionary of National Biography*.

God 'is in Heaven, Earth . . .': *Copp's Return*, Fourth Error.

317 Coppe at Charing Cross: Fox, *Journal*, vol. I, p. 212.

For Coppe's swearing in church and tavern: *The Ranters Ranting*, 1650, pp. 5–6.

Parliament orders the *Rolls* to be seized: *Journals of the House of Commons*, vol. VI, p. 354.

On Coppe's behaviour during interrogation: *The Routing of the Ranters*, p. 2.

Bibliography

Abbreviations

Fuller descriptions of the works of reference and collections of sources listed below will be found in the body of the Bibliography.

ABAW	*Abhandlungen der königlich bayerischen Akademie der Wissenschaften (Historische Classe).* Munich
ADB	*Allgemeine Deutsche Biographie*
BHPF	*Bulletin de la société de l'histoire du protestantisme français.* Paris
CCF	*Corpus chronicorum Flandriae*
CDS	*Chroniken der deutschen Städte*
CEH	*Cambridge Economic History*
CMH	*Cambridge Medieval History*
ERE	*Encyclopaedia of Religion and Ethics*
FRA	*Fontes rerum Austriacarum*
FRG	*Fontes rerum Germanicarum*
GBM	*Geschichtsquellen des Bistums Münster*
MGHS	*Monumenta Germaniae Historica, Scriptores*
PG	*Patrologiae cursus completus, series Graeca*
PL	*Patrologiae cursus completus, series Latina*
RHC	*Recueil des Historiens des Croisades. (Historiens Occidentaux)*
RHF	*Recueil des Historiens des Gaules et de la France*
RPT	*Realencyclopädie für protestantische Theologie und Kirche*
RS	*Rolls Series*
SGUS	*Scriptores rerum Germanicarum in usum scholarum.* (See under *Monumenta Germaniae Historica* in Bibliography)
SPAW	*Sitzungsberichte der königlichen preussischen Akademie der Wissenschaften.* Berlin
ZKG	*Zeitschrift für Kirchengeschichte.* Gotha

1 Original Sources and Collections of Sources

ADSO OF MONTIER-EN-DER. *Epistola ad Gerbergam reginam de ortu et tempore Antichristi*, in Sackur, pp. 104–13 (also in PL, vol. CI).

AENEAS SILVIUS (Enea Silvio de' Piccolomini; Pope Pius II). *De ortu et historia Bohemorum*, in *Omnia opera*, Basle, 1551.

AIMO OF SAINT-PIERRE-SUR-DIVES. *Epistola ad fratres Totesberiae*, in PL, vol. CLXXXI, cols. 1707–8.

ALBERIC OF TROIS-FONTAINES. *Chronicon*, in RHF, vol. XVIII.

ALBERT OF AIX. *Liber Christianae expeditionis pro ereptione, emundatione et restitutione Sanctae Hierosolymitanae Ecclesiae*, in RHC, vol. IV.

ALBERT OF STADE. *Annales Stadenses*, in MGHS, vol. XVI.
ALBERTUS MAGNUS. *Compilatio de novo spiritu*, in Preger (1) (MW), vol. I, pp. 461–9. For emendations: Haupt (3).
Alscans, ed. Wienbech *et al.*, Halle, 1903.
ALVARUS OF CORDOVA. *Indiculus luminosus*, in PL, vol. CXXI.
AMBROSE, ST (1). *In Psalmum CXVIII expositio*, in PL, vol. XV.
AMBROSE, ST (2). *De officiis ministrorum*, in PL, vol. XVI.
'AMBROSIASTER'. *Commentaria in Epistolam ad Colossenses*, in PL, vol XVI.
ANDREW OF BÖHMISCHBROD (Andreas de Broda). *Tractatus de origine Hussitarum*, in Höfler, vol. VI of FRA, pp. 327–53.
ANDREW OF REGENSBURG (Andreas Ratisbonensis). *Chronicon*, in Eckhart, vol. I.
Annales Agrippenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales Altahenses maiores, in MGHS, vol. XX.
Annales Austriacorum, continuations of, in MGHS, vol. IX:
Continuatio Praedicatorum Vindobonensium
Continuatio Claustroneoburgensis V
Continuatio Florianensis
Annales Basileenses, in MGHS, vol. XVII.
Annales Blandinienses, in MGHS, vol. V.
Annales breves Solmenses, in FRG, vol. IV.
Annales Cameracenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales capituli Cracoviensis, in MGHS, vol. XIX.
Annales Casineses, in MGHS, vol. XIX.
Annales Colbazenses, in MGHS, vol. XIX.
Annales Colmarienses maiores, in MGHS, vol. XVII.
Annales Frankofurtani, in FRG, vol. IV.
Annales Gandenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales Herbipolenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales Lubicenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales Mellicenses, continuations of, in MGHS, vol. IX:
Continuatio Mellicensis
Continuatio Zwetlensis III
Continuatio Sancrucensis II
Annales Monasterii de Burton, in RS 36 (*Annales Monastici*), vol. I, 1864.
Annales Monasterii de Oseneia, in RS 36 (*Annales Monastici*), vol. IV, 1869.
Annales Monasterii de Waverleia, in RS 36 (*Annales Monastici*), vol. II, 1865.
Annales Parchenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales Rodenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales S. Blasii Brunsvicenses, in MGHS, vol. XXIV.
Annales S. Jacobi Leodiensis minores, in MGHS, vol. XVI.
Annales S. Justinae Patavini, in MGHS, vol. XIX.
Annales Tielenses, in MGHS, vol. XXIV.
Annales Veterocellenses, in MGHS, vol. XVI.
ANNALISTA SAXO; in MGHS, vol. VI.
Anonimalle Chronicle, ed. Galbraith, Manchester, 1927.
Anonymi Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitorum (ed. Bréhier as *Histoire anonyme de la première Croisade*, in: *Les classiques de l'histoire de France au Moyen Âge*, vol. IV), Paris, 1924.
ANONYMOUS OF MAINZ-DARMSTADT. *Memorial*, in Neubauer and Stern, vol. II.
Archiv český čili staré písemné památky české i moravské (The Bohemian

archives, or old Bohemian and Moravian chronicles), ed. Palacký. 6 vols., Prague, 1840–72.

ARNOLD, Dominican. *De correctione Ecclesiae Epistola*, ed. Winkelmann, Berlin, 1865.

Articuli et errores Taboritarum, in *Archiv český* (OS), vol. III, pp. 218–25.

AUGUSTINE, ST. *De Civitate Dei contra paganos*, ed. Welldon. 2 vols., London, 1924.

BALDWIN OF AVESNES (attrib.). *Chronique attribuée à Baudoin d' Avesnes*, in RHF, vol. XXI.

BALDWIN OF NINOVE. Chronicon, in MGHS, vol. XXV.

BALUZE, E. (1). *Vitae paparum Avinoniensium*, ed. Mollat. 4 vols., Paris, 1914–27.

BALUZE, E. (2). *Miscellanea*. 4 vols., Paris, 1678–83.

BARACK, K. A. (ed.). Documents concerning Hans Böhm, 'the Drummer of Niklashausen'. See Barack (MW), pp. 50–108.
Document 3 (pp. 53–4) is *Handell Hannssen Behem zu Niclaeshussenn*.

BARONIUS, C. and RAYNALDUS, O. *Annales ecclesiastici una cum critica historico-chronologica*, Lucca, 1738–59.

Baruch-Apocalypse (= II Baruch or *The Syriac Apocalypse of Baruch*), ed. and trans. Charles, in Charles, vol. II.

BASZKO OF POZNAN. *Chronicon Poloniae*, in *Silesiacarum rerum scriptores*, vol. II, Breslau, 1730.

BAUDRI OF DOL. *Hierosolymitanae Historiae libri quatuor*, in PL, vol. CLXVI.

BEAUMANOIR, PHILIPPE DE RÉMI, Sire de. *Les Coutumes du Beauvoisis*, ed Salmon, 2 vols., Paris, 1899.

BENEDICT OF MOUNT SORACTE. *Chronicon*, in PL, vol. CXXXIX.

BENEDICT, ST, OF NURSIA. *The Rule of Saint Benedict in Latin and English*, Ed. and trans Abbot Justin McCann, London, 1952.

BENESSIUS KRABICE OF WEITMÜHL. *Chronicon*, in *Fontes rerum Bohemicarum*, vol. IV.

BENZO OF ALBA. *Ad Heinricum IV Imperatorem libri VII*, in MGHS, vol. XI.

BERNARD, ST. *Omnia opera*, ed. Picard, Paris, 1609. Includes, *inter alia:*
(1) *In Cantica Canticorum*, Sermo LXV, cols. 759–62.
(2) *Epistola ad Gaufridum Carnotensem episcopum*, col. 1441.
(3) *Epistola ad episcopum, clerum et populum Spirensem*, cols. 1637–9.
(4) *Epistola ad Henricum Moguntinum archiepiscopum*, cols. 1639–40.

BERNOLD OF CONSTANCE. *Chronicon*, in MGHS, vol. V.

BIRLINGER, A. (ed.). *Ein wunder nützes disputieren von einem ersamen bihter und siner bihtohter*, in *Alemannia*, vol. III, Bonn, 1875, pp. 15–45.

BOENDAELE, JAN (Jan de Klerk). *Brabantsche Yeesten*, ed. Willems, 3 vols., Brussels, 1839–69.

BOGAERT, HENDRIK vanden (Pomerius). *De origine monasterii Viridisvallis una cum vita B. Joann. Rusbrochii*, ed. de Smet, in *Analecta Bollandiana*, vol. IV, Paris and Brussels, 1885.

BRANDT, O. H *Thomas Muntzer. Sein Leben und seine Schriften*. Jena, 1933. Includes, *inter alia* and in addition to Muntzer's pamphlets (for which see Muntzer), the following in modernized spelling:
(1) *Die Historie Thomä Müntzers*, pp. 38–50.
(2) Extract from Marcus Wagner's booklet on Storch, Erfurt, 1597, pp. 53–9.
(3) Muntzer's call to the people of Allstedt of April 1525, pp. 74–6.
(4) Müntzer's letter to the Count of Mansfeld of May 1525, pp. 77–8.
(5) Muntzer's confession, pp. 80–83.

BRANT, SEBASTIAN. *Das Narrenschiff*, ed. Zarncke, Leipzig, 1854.

Breve chronicon Flandriae, in CCF, vol. III.

BRUNO OF OLMÜTZ. *Relatio*, ed. Höfler, in ABAW, vol. IV, 1846, pp. 27 sq

BUCER, MARTIN. Letter to Margaret of Navarre, in Calvin, *Omnia opera*, vol. X b, col. 215.

CAESARIUS OF HEISTERBACH. *Dialogus miraculorum*, ed. Strange, vol. I, Cologne, 1851.

Calendar of the Close Rolls preserved in the Public Record Office. London, 1892 ff.

CALVIN, JEAN. *Omnia opera*, ed. Baum *et al.*, Brunswick, 1864–1900.

(1) vol. I. *Institutio religionis Christianae.*

(2) vol. VII. *Brieve Instruction pour armer tous bons fideles contre les erreurs de la secte des Anabaptistes.*

(3) vol XII. Letter to Margaret of Navarre, cols. 64–8.

(4) vol XXXV. *Contre la secte phantastique et furieuse des Libertins qui se nomment spirituelz.*

(5) vol. XXXV. *Epistre contre un certain Cordelier suppost de la secte des Libertins.*

CAMENTZ, CASPAR. *Acta aliquot Francofurtana*, in FRG, vol. IV.

Chanson d'Antioche, ed. P. Paris, 2 vols., Paris, 1848.

Chanson de Roland, ed. Bédier, Paris, 1937.

CHAPTER OF UTRECHT. *Epistola ad Fridericum archiepiscopum Coloniensem de Tanchelmo seductore*, in Duplessis d'Argentré, vol. I, pp. 11–12.

CHARLES IV, Emperor (1). Decree appointing Kerlinger inquisitor, in Mosheim (2) (MW), pp. 343–62.

CHARLES IV, Emperor (2). Letter to Kerlinger, in Mosheim (2) (MW), pp 368–75.

CHARLES, R. H. (ed.). *The Apocrypha and Pseudepigrapha of the OldTestament*, 2 vols , Oxford, 1913.

CHARLIER, GILLES (Aegidius Carlerus). *Liber de legationibus concilii Basiliensis pro reductione Bohemorum*, in *Monumenta Conciliorum generalium secul XV. Scriptorum*, vol. I, Vienna, 1857.

Chronica de Mailros, ed. Stevenson (Bannatyne Club), Edinburgh, 1835.

Chronica minor auctore minorita Erphordiensi, in MGHS, vol. XXIV.

Chronica regia Coloniensis, in MGHS, vol. XVII.

Chronica regia Coloniensis, Continuatio II, in MGHS, vol. XXIV.

Chronica universalis Mettensis, in MGHS, vol. XXIV.

Chronicon Andrensis monasterii, in RHF, vol. XVIII.

Chronicon anonymi Laudunensis canonici, in RHF, vol. XVIII.

Chronicon Britannicum in collectione MS Ecclesiae Nannetensis, in RHF, vol XII.

Chronicon comitum Flandrensium, in CCF, vol. I.

Chronicon Elnonense, in MGHS, vol. X.

Chronicon Normanniae, in RHF, vol. XXIII.

Chronicon rhythmicum Austriacurum, in MGHS, vol. XXV.

Chronicon Rotomagense, in RHF, vol. XXIII.

Chronicon S. Andreae Castri Camaracesii, in MGHS, vol. VII.

Chronicon S. Catharinae de Monte Rotomagi, in RHF, vol. XXIII.

Chronicon S. Laudi Rotomagensis, in RHF, vol. XXIII.

Chronicon S. Martini Turonensis, Continuatio, in MGHS, vol. XXVI.

Chronicon S. Medardi Suessionensis, in RHF, vol. XVIII.

Chronicon S. Petri vulgo Sampetrinum Erfurtense, in *Geschichtsquellen der Provinz Sachsen*, vol. I, Halle, 1870.

Chronicon Turonense, in RHF, vol. XVIII.

Chronicon universale anonymi Laudunensis, in MGHS, vol. XXVI.
Chroniken der deutschen Städte vom 14 bis ins 16 Jahrhundert, Leipzig, 1867-1917. (Pub. *Königlich bayerische Akademie der Wissenschaften*.)
Chronique anonyme des Rois de France, in RHF, vol. XXI.
Chroniques de Saint-Denis, in RHF, vol. XXI.
CLEMENT V, Pope (1). Bull *Ad nostrum* (*Constitutiones Clementis* ('Clementines'), lib. V, tit. III, cap. iii), in *Corpus juris canonici*, vol. II, cols. 1183-4.
CLEMENT V, Pope (2). Bull *De quibusdam* (*Constitutiones*, lib. III, tit. XI, cap. i), in *Corpus juris canonici*, vol. II, col. 1169.
CLEMENT VI, Pope. Bull against Flagellants, in Baronius and Raynaldus, vol. XXV, pp. 493 sq.
CLEMENT OF ALEXANDRIA. *Stromata*, in PG, vols. VIII, IX.
CLOSENER, FRITSCHE. *Strassburgische Chronik*, in CDS, vol. VIII.
COMMODIANUS (1). *Instructiones*, ed. Dombart, in *Corpus Scriptorum Ecclasiasticorum Latinorum*, vol. XV, Vienna, 1887.
COMMODIANUS (2). *Carmen apologeticum* (as for Commodianus (1)).
Concilium Lateranense IV, in Mansi, vol. XXII.
Conquête de Jerusalem, ed. Hippeau, Paris, 1868.
CONRAD OF MEGENBERG (Conradus de Monte Puellarum). *De erroribus Begehardorum et Beginarum* (fragment), in *Bibliotheca veterum patrum*, ed. Despont, vol. XXV, Lyons, 1677, p. 310.
CORNELIUS, C. A. (ed.). *Berichte der Augenzeugen über das münsterische Wiedertäuferreich*, in GBM, vol. II, Münster, 1852. Includes, *inter alia:*
(1) Gresbeck (q.v.).
(2) Erasmus Schetus, Letter to Erasmus of Rotterdam, p. 315.
(3) Letter of Justinian of Holtzhausen of 21 May 1535, pp. 334-7.
(4) Letter of Justinian of Holtzhausen of 29 May 1535, pp. 341-7.
(5) Letter of Sigmund of Buineburg, pp. 367-9.
(6) Confession of Jan Bockelson of July 1535, pp 369-76.
(7) Confession of Jan Bockelson of January 1536, pp. 398-402.
(8) *Bekenntnis des Glaubens und Leben der Gemeinde Christi zu Münster*, pp. 445-64.
Corpus chronicorum Flandriae, ed. de Smet, 4 vols., Brussels, 1837-65.
Corpus juris canonici, ed. Friedberg, 2 vols., Leipzig, 1879, 1881.
CORVINUS, ANTON. *De miserabili Monasteriensium anabaptistarum obsidione ... epistola ad Spalatinum*, Wittenberg, 1536.
COSMAS OF PRAGUE. *Chronica Boemorum*, in MGHS, new series, vol. II.
CYPRIAN, ST. *Liber de opere et eleemosynis*, in PL, vol. IV.
DAMIAN, PETER (1). *Epistola ad Petrum Cerebrosum monachum*, in PL, vol. CXLIV.
DAMIAN, PETER (2). *Vita S. Romualdi*, in PL, vol. CXLIV.
Decretales Pseudo-Isidorianae, ed. Hinschius, Leipzig, 1858.
DENIFLE, H. S. and CHATELAIN, E. *Chartularium Universitatis Parisiensis*, vol. I, Paris, 1889.
Descripto qualiter Karolus Magnus clavum et coronam Domini a Constantinopoli Aquisgrani detulerit ..., in Rauschen (MW), pp. 103-25.
Detmar-Chronik, ed. Koppmann, in CDS, vol. XIX.
Deutsche Chroniken (*Scriptores qui vernacula lingua usi sunt*). (Part of *Monumenta Germaniae Historica*.)
Dialogue of Dives and Pauper, ed. Pynson, 1493.
DIODORUS SICULUS. *Bibliothecae Historicae libri qui supersunt*, 2 vols., Amsterdam, 1746.
DÖLLINGER, I von. *Beiträge zur Sektengeschichte*, vol. II, Munich, 1890.

DORP, HEINRICH. *Warhafftige Historia wie das Evangelium zu Münster angefangen, und darnach durch die Wiedertäufer verstört, wider auffgehört*, ed. Merschmann, Magdeburg, 1847.

DORSTEN, JOHANNES. *Quaestio de tertio statu*, in Kestenberg-Gladstein (MW), pp. 266–95.

DU FAYT, JEAN. *Contra Flagellatores*, in Fredericq (2) (MW).

DUPLESSIS D'ARGENTRÉ, C. de. *Collectio judiciorum de novis erroribus*, 3 vols., Paris, 1755.

ECKBERT OF SCHÖNAU. *Sermones contra Catharos*, in PL, vol. CXCV.

ECKHART, J. G. *Corpus historicum medii aevi*, 2 vols., Leipzig, 1723.

ÉGASSE DU BOULAY, C. *Historia universitatis Parisiensis*, 6 vols., Paris, 1665–73.

EKKEHARD OF AURA (1). *Hierosolymita*, ed. Hagenmeyer, Tübingen, 1877.

EKKEHARD OF AURA (2). *Chronicon universale*, in MGHS, vol. VI.

ELIEZER BAR NATHAN. *Relation*, in Neubauer and Stern, vol. II.

ELLENHARD OF STRASBOURG (1). *Bellum Waltherianum*, in MGHS, vol. XVII.

ELLENHARD OF STRASBOURG (2). *Chronicon*, in MGHS, vol. XVII.

ENNEN, L. and ECKERTZ, G. *Quellen zur Geschichte der Stadt der Köln*, 6 vols., Cologne, 1860–79

EPHRAIM BAR JACOB. *Relation*, in Neubauer and Stern, vol. II.

Erphurdianus Antiquitatum Variloquus, ed. Thiele (*Geschichtsquellen der Provinz Sachsen*, vol. XLII), Halle, 1906.

Errores bechardorum et begutarum, in Haupt (7) (MW), pp. 88–90.

Errores sectae hominum intelligentiae, in Baluze (2), vol. II, pp. 277–97.

ESPINAS, G. and PIRENNE, H. *Recueil de documents relatifs à l'histoire de l'industrie drapière en Flandre*, Part I, vol. III, Brussels, 1920.

EULOGIUS, Archbishop of Toledo. *Memorialis sanctorum*, in PL, vol. CXV.

Ezra-Apocalypse (= 4 Ezra or 2 Esdras), ed. and trans. Box in Charles, vol. II.

FABRICIUS, DIETRICH. Report on mission to Münster, in *Mitteilungen aus dem Germanischen Nationalmuseum*, vol. II, Nuremberg, 1885, pp. 99–102.

FAREL, GUILLAUME. *Le Glaive de la Parolle veritable*, Geneva, 1550.

Flores temporum, Imperatores, in MGHS, vol. XXIV.

Fontes rerum Austriacarum (*Österreichische Geschichtsquellen*), Section I. *Scriptores*, Vienna, 1849 ff.

Fontes rerum Bohemicarum, ed. Emler, Prague, 1873 ff.

Fontes rerum Germanicarum, ed. Boehmer, 4 vols., Stuttgart, 1843–68.

FÖRSTEMANN, C. E. (ed.). *Neues Urkundenbuch zur Geschichte der evangelischen Kirchenreformation*, Hamburg, 1842.

FRANCIS OF PRAGUE. *Secundus tractatus chronicae Pragensis*, in FRA, Section I, vol. VIII.

FRANCK, SEBASTIAN. *Chronica, Zeÿtbüch und Geschÿchtbibel*, Strasbourg, 1531.

FREDERICHS J. (ed.). *Summa doctrinae quorundam hominum, qui nunc ... Loistae ... nunc Libertini ... appellantur*, in Frederichs (1) (MW), pp. 1 sq.

FREDERICQ, P. *Corpus documentorum Inquisitionis haereticae pravitatis Neerlandicae*, 4 vols., Ghent, 1889–1900.

FRIES, LORENZ. *Historie der Bischöffen zu Wirtzburg*, in Ludewig, *Geschichts-schreiber von dem Bischoffthum Wirtzburg*, Frankfort, 1713.

FROISSART, JEAN. *Chroniques*, ed. Luce and Raynaud, 11 vols., Paris, 1869–99.

FULCHER OF CHARTRES. *Gesta Francorum Jerusalem expugnantium*, in RHC, vol. III.

GAGUIN, ROBERT. *Compendio de Francorum gestis*, Paris, 1500.

GARNIER OF ROCHEFORT (attrib.). *Contra Amaurianos*, ed. Baeumker, in *Beiträge zur Geschichte der Philosophie des Mittelalters*, vol. XXIV, Heft 5–6, Münster, 1926.
GERSON, JEAN CHARLIER de. *Opera omnia*, ed. Dupin, 3 vols., Antwerp, 1706. Includes, *inter alia:*
(1) vol. I. *De examinatione doctrinarum.*
(2) *De distinctione verarum visionum a falsis.*
(3) *De libris caute legendis.*
(4) vol. II. *Epistola missa Magistro Vincento O.P. . . . contra se flagellantes.*
(5) *Tractatus contra sectam Flagellantium.*
(6) vol. III. *Tractatus contra Romantium de Rosa.*
(7) *Considerationes theologiae mysticae.*
(8) *De mystica theologica speculativa.*
(9) *Considérations sur Saint Joseph.*
(10) *Sermo de Spiritu Sancto.*
(11) *Sermo die festo S. Ludovici.*
Geschichtsquellen des Bisthums Münster, vols. II, V, VI, Münster, 1852, 1899, 1900.
Gesta abbatum Trudonensium, in MGHS, vol. X.
Gesta archiepiscoporum Magdeburgensium, Continuatio I, in MGHS, vol. XIV.
Gesta Baldevvini Treverensis archiepiscopi, in Baluze (2), vol. I.
Gesta Ludovici VIII, in RHF, vol. XVII.
Gesta Treverorum, Continuatio I, in MGHS, vol. VIII.
GILLES VAN DER HOYE. *Dicta in quodam sermone ad populum*, ed. Berlière, in 'Trois traités inédits sur les Flagellants', *Revue Bénédictine*, vol. XXV, Maredsous, 1908, pp. 334–57.
GIRALDUS CAMBRENSIS. *Liber de instructione principum*, in RS 21, 1891 (vol. VIII of *Opera*).
GLASSBERGER, NICOLAUS. *Chronica*, in *Analecta Franciscana*, vol. II, Quaracchi, 1887, pp. 423–6.
GOWER, JOHN. *Vox clamantis*, in Latin Works, ed. Macaulay, Oxford, 1902.
Grandes chroniques de France, ed. P. Paris, vols. V, VI, Paris 1836–8.
GRATIAN. *Decretum*, in PL, vol. CLXXXVII.
GREGORY, ST, OF TOURS. *Historia Francorum*, in MGHS *rerum Merovingicarum*, vol. I.
GREGORY XI, Pope (1). Letter to Kerlinger and others, in Baronius and Raynaldus, vol. XXVI, p. 228.
GREGORY XI, Pope (2). Letter to Emperor Charles IV, in Baronius and Raynaldus, vol. XXVI, pp. 240–41.
GRESBECK, H. *Summarische Ertzelungk und Bericht der Wiederdope und wat sich binnen der Stat Monster in Westphalen zugetragen im Iair MDXXXV*, in Cornelius, *Berichte*, pp. 3–214.
GROOT, GERHARD. *Gerardi Magni Epistolae XIV*, ed. R. Acquoy, Amstel, 1857.
GUI, BERNARD (1). *E Floribus Chronicorum*, in RHF, vol. XXI.
GUI, BERNARD (2). *Vita Clementis V*, in Baluze (1), vol. I.
GUI, BERNARD (3). *Vita Joannis XXII*, in Baluze (1), vol. I.
GUIBERT OF NOGENT (1). *Gesta Dei per Francos, sive Historia Hierosolymitana*, in RHC, vol. IV.
GUIBERT OF NOGENT (2). *De vita sua*, in RHF, vol. XII.
Haereses sectatorum Amalrici, in Denifle and Chatelain, pp. 71–2.
HARTMANN, CHRISTOPH. *Annales Heremi Deiparae Matris Monasterii in Helvetia*. Freiburg in Breisgau, 1612.

HARTZHEIM, J. and SCHANNAT, J. F. *Concilia Germaniae*, 11 vols., Cologne, 1759–90.

HENRY OF DIESSENHOFEN (Heinrich Truchsess). *Historia ecclesiastica* or *Chronicon*, in FRG, vol. IV.

HENRY OF HEIMBURG. *Annales*, in MGHS, vol. XVII.

HENRY OF HERFORD. *Liber de rebus memorabilioribus sive chronicon*, ed. Porthast, Göttingen, 1859.

HENRY OF VIRNENBURG. *Contra Beggardos et Beggardas*, in Fredericq (OS), vol. I, pp. 151 sq.

HERMANN OF ALTAHA. *Annales*, in MGHS, vol. XVII.

HILDEGARD, ST (1). *Scivias sive visionum ac revelationum libri tres*, in PL, vol. CXCVII.

HILDEGARD, ST (2). *Epistola ad praelatos Moguntinenses*, in PL, vol. CXCVII, cols. 218–43.

HIPPOLYTUS (attribution uncertain). *De consummatione mundi ac de Antichristo*, in PG, vol. X, cols. 904–52.

HÖFLER, C. A. C. von. *Geschichtsschreiber der husitischen Bewegung in Boehmen*, in FRA, Section 1, vols. II, VI, VII, Vienna, 1856–66.

HUGH OF REUTLINGEN (Spechtshart). *Weltchronik*, ed. Gillert, Munich, 1881.

IBN AL-QALĀNISĪ. *Continuation of the Chronicle of Damascus: The Damascus Chronicle of the Crusades.* Selected and trans. Gibb, London, 1932.

IBN VERGA, SOLOMON. *Shebet Yehuda.* German trans. Wiener, Hanover, 1856.

INNOCENT VI, Pope. Bull appointing inquisitors in France, in Baronius and Raynaldus, vol. XXV, p. 589.

Invectiva contra Hussitas, in Höfler, vol. II of FRA, pp. 621–32.

IRENAEUS, ST. *Adversus haereses*, in PG, vol. VII.

JEAN DE MEUN. *Le Roman de la Rose*, ed. Langlois, 5 vols. Paris, 1914–24.

JEAN DES PREIS DIT D'OUTREMEUSE. *Ly Myreur des Histors*, ed. Bormans, Brussels, 1887.

JEAN LE FÈVRE. *Les Lamentations de Matheolus*, ed. van Hamel, Paris, 1892.

JOBST OF EINSIEDELN. Report on the Wirsberg brothers, ed. Kürschner, in *Archiv fur oesterreichische Geschichte*, vol. XXXIX, Part I, Vienna, 1868, pp. 280 sq.

JOHN, canon of St Victor. *Vita Joannis XXII*, in Baluze (1).

JOHN XXII, Pope. Letter to Seneschal of Beaucaire, in Baronius and Raynaldus, vol. XXIV, pp. 136–7.

JOHN OF COLUMNA. *E Mari Historiarum*, in RHF, vol. XXIII.

JOHN OF DURBHEIM (1). Pastoral letter, 1317, in Mosheim (2) (MW), pp. 255–61 (where attributed to John of Ochsenstein).

JOHN OF DÜRBHEIM (2). Letter to the Bishop of Worms, in Mosheim (2) (MW), pp. 267–9.

JOHN OF HAGEN (Joannes de Indagine). *De his, qui se vulnerunt ...*, in Stumpf (MW), Document 6.

JOHN OF ROQUETAILLADE (Rupescissa). *Vade mecum in tribulatione*, in G. Orthuinus, *Fasciculum rerum expetendarum et fugiendarum*, ed. Edward Brown, vol II, London, 1690, pp. 496–508.

JOHN OF TAYSTER. *Annales*, in MGHS, vol. XXVIII.

JOHN OF VIKTRING. *Liber certarum historiarum*, in SGUS, 1909–10, 2 vols.

JOHN OF YPRES. *Chronicon Sythiense S. Bertini*, in RHF, vol. XVIII.

JOHN OF WINTERTHUR. *Chronica*, in MGHS, new series, vol III.

JOHN, Abbot of St Victor. Sermon, in Hauréau (MW), pp. 93–4, Note 1.

JOSEPH HA-COHEN. *Emek ha Bakha (The Valley of Tears)*. German trans Wiener, Leipzig, 1858.
JOSEPHUS FLAVIUS. *The Jewish War*, trans. Whiston and Shilleto, 2 vols., London, 1890.
JUSTIN MARTYR. *Dialogus cum Tryphone Judaeo*, in PG, vol. VI.
Kalendarium Zwetlense, in MGHS, vol. IX
KAMNITZER, H. (ed.). *Dokumente des grossen deutschen Bauernkrieges*, in Meusel (MW), pp. 185–332.
KERVYN DE LETTENHOVE, C. B. (ed.). *Récits d'un bourgeois de Valenciennes* (1254–1366), Louvain, 1877.
KERSSENBROCH, HERMANN von. *Anabaptistici furoris Monasterium inclitam Westphaliae metropolim evertentis historica narratio*, ed. Detmer, in GBM, vols, V and VI.
Klingenberger Chronik, ed. Henne von Sargans, Gotha, 1861.
KNIGHTON, HENRY. Continuation of his *Chrónicon*, in RS 92, 1895.
KÖRNER, HERMANN (Cornerus). *Chronica novella*, in Eckhart, vol. II.
KURFESS, A. (ed.). *Sibyllinische Weissagungen*, Munich, 1951.
LACOMBLET, T. J. *Urkundenbuch für die Geschichte des Niederrheins*, 4 vols., Düsseldorf, 1840–58.
LACTANTIUS FIRMIANUS (1). *Divinae Institutiones*, in PL, vol. VI.
LACTANTIUS FIRMIANUS (2). *Epitome Divinarum Instutionum ad Pentadium fratrem*, in PL, vol. VI.
LANGLAND, WILLIAM. *The Vision of William concerning Piers the Plowman*, ed. Skeat, 2 vols., Oxford, 1886.
LANGLOIS, C. V. (ed.). *Instrumenta facta super examinacione M. Porete*, in *Revue historique*, vol. LIV, Paris, 1894, pp. 296–7.
LAWRENCE OF BŘEZOVÁ (Vavřince z Březové). *De gestis et variis accidentibus regni Boemiae*, in Höfler, vol. II of FRA, pp. 321–534. (Also, with Czech as well as Latin text, in vol. V of *Fontes rerum Bohemicarum.*)
LAZIUS, WOLFGANG. *Fragmentum vaticinii cuiusdam . . . Methodii, episcopi Ecclesie Patarensis*, Vienna, 1547.
LEA, H. C. (ed.). Sentence on Margaret of Porette, in Lea (MW), Appendix, pp. 575–8.
LE BEL, JEAN. *Chronique*, ed. Viard and Deprez, 2 vols., Paris, 1904–5.
Litera de civitate Pragensi . . ., in Höfler, vol. VI of FRA, pp. 311–19.
LÖFFLER, K. *Die Wiedertäufer zu Münster* 1534–5, Jena, 1923. (Contains much of the material translated into modern German.)
LUCIAN OF SAMOSATA. *Saturnalian Letters.*
LUTHER, MARTIN, *Werke (Kritische Gesamtausgabe)*, Weimar, 1883–1908.
(1) vol. XV. *Brief an die Fürsten zu Sachsen von dem aufrührischen Geist*, pp. 199 sq.
(2) vol. XVIII. *Wider die mörderischen und räuberischen Rotten der Bauern.*
(3) *Sendschreiben an die Christen zu Antwerpen*, 1525, pp. 547 sq.
Magdeburger Schöppenchronik, in CDS, vol. VII.
Majestas Carolini, in *Archiv český*, vol. III, pp. 68–180.
MANSI, J. D. *Sacra conciliorum collectio*, Paris and Leipzig, 1902–13.
MARTÈNE, E. and DURAND, U. *Veterum Scriptorum at Monumentum amplissima collectio*, 9 vols., Paris, 1724–33.
MARTIN OF TROPPAU (Martinus Polonus). *Chronicon expeditissimum*, Antwerp, 1574.
Continuations to Martin's *Chronicon pontificum et imperatorum:*
Continuatio Anglica, in MGHS, vol. XXIV.
Continuatio Brabantina, in MGHS, vol. XXIV.

MATILDA OF MAGDEBURG. *Das fliessende Licht der Gottheit*, ed. Morel Regensburg, 1869.

MATTHEW OF NEUENBURG. *Chronica*, in FRG, vol. IV.

MICHAEL DE LEONE. *Annotata historica*, in FRG, vol. I.

MONK OF WESTMINSTER. Continuation to Higden's *Polychronicon*, in RS 41, vol. IX, 1886.

Monumenta Boica. Munich, 1763 ff.

Monumenta Germaniae Historica, ed. Pertz, Mommsen *et al.*, Hanover and Berlin, 1826 ff.,
Scriptores, 1826 ff.
Scriptores rerum Germanicarum in usum scholarum, 1839 ff.
Scriptores rerum Germanicarum, new series, Berlin, 1922 ff.

MOUSKES, PHILIPPE (Mousket). *Chronique rimée*, ed. Reifenberg, vol. II, Brussels, 1838.

MUISIS, GILLES LI. *Chronica*, in CCF, vol. II.

MÜNTZER, THOMAS. *Schriften*, ed. Brandt (see also Brandt (OS)). Includes, *inter alia*, in modernized spelling:
(1) *Von dem gedichteten Glauben ...*
(2) *Protestation oder Entbietung Thomas Müntzers ...*
(3) *Die Fürstenpredigt*
(4) *Ausgedrückte Entblossung ...*
(5) *Hoch verursachte Schutzrede ...*

MÜNTZER, THOMAS. *Thomas Müntzers politische Schriften*, ed. Hinrichs, Halle, 1950.

MÜNTZER, THOMAS. *Thomas Müntzers Briefwechsel*, ed. Böhmer and Kirn, Leipzig, 1931.

NAUCLERUS, JOANNES. *Chronica*, Cologne, 1544.

NEUBAUER, A. and STERN, M. (ed.). *Hebräische Berichte über die Judenverfolgungen während der Kreuzzüge*, in *Quellen zur Geschichte der Juden in Deutschland*, vol. II, Berlin, 1892. (Hebrew, with German translations.)

New zeitung, von den Widerteuffern zu Münster, in *Zeitschrift für vaterländische Geschichte und Altertumskunde*, vol. XXVII, Münster, 1867, pp. 255–66.

NIDER, JOHANN. *Formicarius*, Strasbourg, 1517.

NIESERT, J. *Münsterische Urkundensammlung*, vols, I. II, Koesfeld, 1826. Includes, *inter alia*:
(1) vol. I. Confession of Johannes Beckemann, pp. 33–7.
(2) Confession of Zillis Leitgen, pp. 136–49.
(3) Confession of Jacob of Osnabrück, pp. 154–66.
(4) vol. II. *Newe zeittunge vonn Münster*, pp. 499–504.

Notae Colonienses, in MGHS, vol. XXIV.

OPEL, O. (ed.). 'Zur Geschichte des Bauernkrieges', in *Neue Mitteilungen aus dem Gebiete historisch-antiquarischer Forschungen*, vol. XII, Halle and Nordhausen, 1869. (Documents concerning Thomas Müntzer.)

OSWALD DER SCHREIBER (of Königsberg in Hungary), ed. Zarncke, in 'Der Priester Johannes', *Abhandlungen der sächsischen Gesellschaft der Wissenschaften, Philologisch-historische Klasse*, vol. VII, Leipzig, 1879.

OTTO OF FREISING. *Gesta Friderici I Imperatoris*, in SGUS, 1912, 3rd edn.

OTTOKAR. *Österreichische Reimchronik*, 1250–1300, in *Deutsche Chroniken*, vol. V.

OVID. *Metamorphoses*.

PAPIAS. *De expositione oraculorum dominicorum* (fragments), in PG, vol. V.

PARIS, MATTHEW. *Chronica majora*, in RS 57, 7 vols., 1872–83.

Patrologiae cursus completus. Series Latina, ed. J. P. Migne, Paris, 1844–55.

Patrologiae cursus completus. Series Graeco-Latina, ed. J. P. Migne, Paris, 1857–66.

PELAYO, ALVAREZ (Alvarus Pelagius). *De Planctu Ecclesiae*, 2 vols., Ulm, 1474.

PETER OF ZITTAU. *Die Konigsaaler Geschichtsquellen* (*Chronica Aulae regiae libri tres*), in FRA, vol. VIII.

PFEIFFER, F. (ed.). *Swester Katrei Meister Ekehartes Tohter von Strâzburc*, in *Deutsche Mystiker des vierzehnten Jahrhunderts*, vol. II, Leipzig, 1857, pp. 448–75.

POCQUE, ANTOINE. Mystical treatise, quoted in Calvin (4), cols. 225–42.

*PORETE, MARGUERITE. *Le Mirouer des simples ames anienties et qui seulement demourent en vouloir et desir d'amour*, ed. Guarnieri, in *Il Movimento del Libero Spirito*, Rome, 1965. (Replaces edition by Guarnieri, Rome, 1961.)

PREGER, W. (ed.) (1). *Compilatio de novo spiritu* (anonymous), in Preger (1) (MW), pp. 469–71.

PREGER, W. (ed). (2). *Tractatus ... contra quosdam articulos erroneos*, in Preger (2) (MW), pp. 62–3.

PRIMAT, Monk of Saint-Denis. *Chronique de Primat*, translated from the (lost) Latin original by John of Vignay, in RHF, vol. XXIII.

Pseudo-Methodius, in Sackur, pp. 59–96.

PTOLOMY (Tholomeus) OF LUCCA. *Vita Clementis V*, in Baluze (1), vol. I.

PULKAVA OF RADENIN (Przibico). *Chronica Boemorum*, with Continuations, in G. Dobner, *Monumenta historica Boemiae*, vols. III, IV.

RADULPH GLABER. *Historiorum libri quinque*, in PL, vol. CXLII.

RAMERT, HERMANN (attrib.). *Die Ordnung der Wiedertäufer zu Münster, item was sich daselbst nebenzu verloffen hat*, in *Zeitschrift für vaterländische Geschichte und Altertumskunde*, vol. XVII, Munster, 1856, pp. 240–49.

RAYMOND OF AGUILERS. *Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem*, in RHC, vol. III.

Recognitiones (*S. Clementis Romani*), in PG, vol. I.

Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux. Publ. *Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 5 vols., Paris, 1844–95.

Recueil des Historiens des Gaules et de la France (*Rerum Gallicarum et Francicarum scriptores*), ed. Bouquet *et al.*, Paris, 1738–1876.

Reformation Kaiser Sigmunds, ed. Beer (*Beiheft zu den deutschen Reichtagsakten*), Stuttgart, 1933.

REGENBOGEN (attrib.). *Meistersingerlied*, in Schultheiss (MW), pp. 55–8.

REIFFERSCHEID, A. (ed.). *Neun Texte zur Geschichte der religiösen Aufklärung in Deutschland während des 14-ten und 15-ten Jahrhunderts*, Griefswald, 1905.

REINERUS. *Annales S. Jacobi Leodiensis*, in MGHS, vol. XVI.

Renart le Contrefait, ed. Raynaud and Lemaître, vol. II, Paris, 1914.

REUSS, F. A. 'Die Wallfahrt nach Niklashausen im Jahre 1476', in *Archiv des historischen Vereins von Unterfranken und Aschaffenburg*, vol. X, 3, Würzburg, 1858, pp. 300–18. (Collection of documents.)

RHEGIUS, URBANUS (1). *Widderlegung der münsterischen newen Valentinianer und Donatisten Bekentnus*, Wittenberg, 1535.

RHEGIUS, URBANUS (2). *De restitutione regni Israelitici, contra omnes omnium seculorum Chiliastas: in primis tamen contra Miliarios Monasterienses*, Zell, 1536.

RICHARD OF POITIERS. *Chronicon*, in RHF, vol. XII.

RICHERUS. *Gesta Senoniensis Ecclesiae*, in MGHS, vol. XXV.

RIGORD. *Gesta Philippi Augusti*, in RHF, vol. XVII.

RITTER, G. (ed.). 'Zur Geschichte des häretischen Pantheismus in Deutschland im 15-ten Jahrhundert', in ZKG, vol. XLIII (1924), new series, vol. VI. Includes:

(1) *Articuli confessi per Johannem Lolhardum*, pp. 150 sq.

(2) *Articuli informatoris de heresi circa Egram anno* 1467, pp. 158–9.

ROBERT OF AUXERRE. *Chronologia*, in RHF, vol. XVIII.

ROBERT OF AVESBURY. *De gestis mirabilibus regis Edwardi tertii*, in RS 93, 1889.

Rolls Series (*Rerum Britannicarum medii aevi scriptores*). Published under direction of the Master of the Rolls, London, 1858 ff.

ROTHE, JOHANNES. *Thuringische Chronik*, ed. von Liliencron, vol. III of *Thüringische Geschichtsquellen*, Jena, 1854 ff.

ROTHMANN, BERNT (1). *Bekentnisse van beyden Sacramenten* (first printed in Münster, 1533), in H. Detmer and R. Krumbholtz (MW).

ROTHMANN, BERNT (2). *Eyne Restitution edder Eine wedderstellinge rechter unnde gesunder Christliker leer* ... (first printed in Münster, 1534), in *Neudrucke deutscher Literaturwerke*, nos. 77 and 78, Halle, 1888.

ROTHMANN, BERNT (3). *Eyn gantz troestlick bericht van der Wrake unde straffe des Babilonischen gruwels* ... (first printed in Münster, 1534), in K. W. Bouterwek (MW).

RUUSBROEC, JAN VAN. *Werken*, ed. Reypens and Schurmans, 4 vols., Mechelen and Amsterdam, 1932–4. Includes, *inter alia*, in order of composition:

(1) *Vanden Vier Becoringhen*, in vol. III.

(2) *Die Gheestelike Brulocht*, in vol. I.

(3) *Vanden VII Sloten*, in vol. III.

(4) *Een Spieghel der eewigher Salicheit*, in vol. III.

(5) *Dat Boecsken der Verclaringhe*, in vol. III.

(6) *Van den XII Beghinen*, in vol. IV.

RYMER, T. *Foedera et acta publica*, ed. A. Clarke *et al.*, vol. I, London, 1816.

Rýmovaná kronika česká (with *Di tutsch kronik von Behemlant*), in *Fontes rerum Bohemicarum*, vol. III, Prague, 1882.

SACKUR, E. *Sibyllinische Texte und Forschungen: Pseudomethodius, Adso und die tiburtinische Sibylle*, Halle, 1898.

SALIMBENE OF PARMA. *Cronica*, in MGHS, vol. XXXII.

SALOMO BAR SIMEON. *Relation*, in Neubauer and Stern, vol. II.

SCHEDEL, HARTMAN. *Liber cronicarum cum figuris et ymaginibus ab inicio mundi*, Nuremberg, 1493.

SCHMID, KONRAD (1). *Prophetica ... Schmid haeresi Flagellatorum infecti*, in Stumpf (MW), Document 2, pp. 16–24.

SCHMID, KONRAD (2). *Articuli ab ... flagellantium Praedicatore conscripti*, in Stumpf (MW), Document 3, pp. 24–6.

SCHMIDT, KARL. *Nicolaus von Basel*, Vienna, 1866. Includes:

(1) *Confession of Martin of Mainz*, pp. 66–9. (In Latin. For emendations see Haupt (4) (MW).)

(2) *Buch von den zwei Mannen*, pp. 205–77.

SCHNEIDER, FEDOR (ed). *Fünfundzwanzig lateinische weltliche Rhythmen aus der Frühzeit*, Rome, 1925.

SENECA. *Epistolae morales*.

SIGFRIED OF BALNHUSIN (Grossballhausen in Saxony). *Historia universalis*, in MGHS, vol. XXV.

SIGEBERT OF GEMBLOUX. *Chronographia*, in MGHS, vol. VI. Continuations to Sigebert's chronicle:

Continuatio Gemblacensis, in MGHS, vol. VI.

Continuatio Praemonstratensis, in MGHS, vol. VI.
Auctarium Gemblacense, in RHF, vol. XIII (also in MGHS, vol. VI).
ROBERT OF TORIGNY (Robertus de Monte). *Chronica*, in MGHS, vol. VI.
SIMON OF TOURNAI. *Collectio de scandalis Ecclesiae*, ed. Stroick, in *Archivum Franciscanum Historicum*, vol. XXIV, Florence, 1931, pp. 33 sq.
Sollicitudo sacerdotum Thaboriensium, in Höfler, vol. VI of FRA (as Chapter 2 of Part I of the *Chronicon Taboritarum*.)
Staří letopisové čeští (Old Czech chronicles), 1378–1527, ed. Palacký, Prague, 1829 (vol. III of *Scriptores rerum Bohemicarum*). (A more recent edition is now available, ed. F. Šimek and M. Kaňák, Prague, 1959.)
STEPHEN OF BOURBON. *Tractatus de diversis materiis praedicabilibus*, ed. Lecoy de la Marche, in *Anecdotes historiques d'Étienne de Bourbon*, Paris, 1877.
STOLLE, KONRAD. *Thüringisch-erfurtische Chronik*, ed. Thiele (*Geschichtsquellen der Provinz Sachsen*, vol. XXXIX), Halle, 1900.
SUSO, HEINRICH. *Deutsche Schriften*, ed. Bihlmeyer, Stuttgart, 1907. Includes:
(1) *Leben*.
(2) *Das Büchlein der Wahrheit*.
Synod of Cologne, 1353, in Hartzheim and Schannat, vol. IV.
Synod of Cologne, 1357, in Hartzheim and Schannat, vol. IV.
Synod of Magdeburg, 1261, in Mansi, vol. XXIV.
Synod of Mainz, 1259, in Mansi, vol. XXIII.
Synod of Mainz, 1310, in Mansi, vol. XXV.
Synod of Paris, 1209, in Denifle and Chatelain, p. 70.
Synod of Rheims, 1157, in Mansi, vol. XXI.
Synod of Rome, in Tangl.
Synod of Trier, 1277, in Mansi, vol. XXIII.
Synod of Trier, 1310, in Mansi, vol. XXV.
Synod of Utrecht, 1357, in Fredericq (OS), vol. II, p. 142.
TANGL, M. *Die Briefe des heiligen Bonifatius und Lullus*, Berlin, 1916 (MGH *Epistolae Selectae*, vol. 1).
TAUBE OF SELBACH, HEINRICH. *Chronica*, in MGHS, new series, vol. I.
THOMAS OF CHANTIMPRÉ. *Bonum universale de apibus*, Douai, 1627.
THOMAS OF ECCLESTON. *Liber de adventu Minorum in Angliam*, in MGHS, vol. XXVIII.
Tiburtina, in Sackur, pp. 177–87.
TILEMANN ELHEN OF WOLFHAGEN. *Die Limburger Chronik*, in *Deutsche Chroniken*, vol. IV.
TOBLER, A. (ed.). *Li proverbe au Vilain*, Leipzig, 1895.
Tractatus contra errores (Picardorum), in Döllinger (OS), pp. 691–700. (Also in Höfler, vol. II of FRA, pp. 434–41.)
TRITHEMIUS, JOHANNES (1). *Annales Hirsaugienses*, St Gall, 1690.
TRITHEMIUS, JOHANNES (2). *De viris illustribus ordinis S. Benedicti*, Cologne, 1575.
TROGUS, POMPEIUS GNAEUS, in *Juniani Justini Epitoma Historiarum Philippicarum Pompei Trogi*.
TWINGER OF KÖNIGSHOFEN, JACOB. *Chronik*, in CDS, vols. VIII, IX.
ULANOWSKI, B. (ed.). *Examen testium super vita et moribus Beguinarum ... in Sweydnitz*, in *Scriptores Rerum Polonicarum*, vol. XIII, Cracow, 1889, pp. 233–55.

URBAN V, Pope (1). Bull appointing inquisitors in Germany, in Mosheim (2) (MW), pp. 336–7.

URBAN V, Pope (2). Bull against Beghards in France, in Mosheim (2) (MW), p. 412.

USQUE, SAMUEL. *Consolaçam ás Tribulaçoens de Israel*, ed. Mendes dos Remédios, in *Subsidios para o estudo da Historia da Litteratura Portuguesa*, Coimbra, 1906–7.

Visitationes Odonis Rigaudi archiepiscopi Rothomagensis, in RHF, vol. XXI.

Vita Henrici II archiepiscopi (Treverensis) altera, in MGHS, vol. XXIV.

Vita S. Norberti A, in MGHS, vol. XII.

Vita S. Norberti B, in *Acta Sanctorum Bollandiana*, *Junii I*, 6 June.

WADDING, L. *Annales Minorum*. 2nd edn., Rome, 1731–45.

WALSINGHAM, THOMAS. *Historia Anglicana*, RS 28, vol. II, 1869.

WASMOD, JOHANN, OF HOMBURG. *Contra hereticos Bekardos Lulhardos et swestriones*, in Haupt (3) (MW), pp. 567–76.

WATTENBACH, W. 'Über die Sekte der Brüder vom freien Geiste', in SPAW, vol. XXIX (1887), pp. 517–44. Includes:
(1) Confession of John of Brünn, pp. 529–37.
(2) Confession of Johann Hartmann, pp. 538–43.
(Both in Latin.)

WIDMAN, GEORG. *Chronika*, in *Württembergische Geschichtsquellen*, vol. VI, Stuttgart, 1904.

WILLIAM OF EGMONT. *Chronicon*, in Antonius Matthaeus, *Veteris Aevi Analecta*, vol. II, The Hague, 1723.

WILLIAM OF NANGIS (1). *Gesta Ludovici IX*, in RHF, vol. XX.

WILLIAM OF NANGIS (2). *Chronicon*, with *Continuationes I, II, III*, ed. Geraud, 2 vols., Paris, 1843.

WILLIAM OF NEWBURGH. *De rebus Anglicis*, in RHF, vol. XIII.

WILLIAM THE BRETON. *Gesta Philippi Augusti*, ed. Delaborde, in *Oeuvres de Rigord et de Guillaume le Breton*, vol. I, Paris, 1882.

WOLF, JOHANN. *Lectionum memorabilium et reconditarum centenarii XVI*, Lauingen, 1600.

WYCLIF, JOHN. *Tractatus de civili dominio. Liber primus*, ed. Poole, London, 1885.

WYKES, THOMAS. *Chronicon*, in RS 36 (*Annales Monastici*), vol. IV, 1869.

ZANTFLIET, CORNELIUS. *Chronicon*, in Martène and Durand, vol. V.

ZENO, ST, OF VERONA. *Tractatus* (or *Sermones*), in PL, vol. XI.

2 Modern Works

ADLER, GEORG. *Geschichte des Sozialismus und Kommunismus von Plato bis zur Gegenwart*, Part I, Leipzig, 1899.

ALPHANDÉRY, E. *Les hérésies du Moyen Âge*, Paris, 1939.

Allgemeine Deutsche Biographie, ed. von Liliencron and Wegele, Leipzig, 1875–1912.

ALLIER, R. 'Les frères du libre esprit', in T. Reinach *et al.*, *Religions et sociétés*, Paris, 1905, pp. 109–53.

ALPHANDÉRY, P. (1). *Les idées morales chez les hétérodoxes latins au début du XIIIe siècle*. (*Bibliothèque de l'École des Hautes Études, Sciences religieuses*, vol. XVI, fasc. 1), Paris, 1903.

ALPHANDÉRY, P. (2). 'De quelques faits de prophétisme dans les sectes latines antérieures au joachimisme', in *Revue de l'histoire des religions*, vol. LII, Paris, 1905, pp. 177–218.

ALPHANDÉRY, P. (3). 'Les croisades d'enfants', in *Revue de l'histoire des religions*, vol. LXIII, Paris, 1916, pp. 259–82.

ALPHANDÉRY, P. (4). *Notes sur le messianisme médiéval latin (XIe–XIIe siècles)* Paris, 1912.

ALPHANDÉRY, P. (5). 'Les foules religieuses', in *La Foule* (papers read to the *Centre international de synthèse*, 1932), Paris, 1934, pp. 53–76.

ALPHANDÉRY, P. and DUPRONT, A. *La Chrétienté et l'idée de Croisade*, 2 vols., Paris, 1954, 1959.

ALTMEYER, J. J. *Les précurseurs de la Réforme aux Pays-Bas*, Paris, 1886.

ALVERNY, M. T. d'. 'Un fragment du procès des Amauriciens', in *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Âge*, vol. XVIII, Paris, 1950–51, pp. 325–6.

ANDREAS, W. *Deutschland vor der Reformation*, Stuttgart and Berlin, 1934.

BACHMANN, R. *Niclas Storch*, Zwickau, 1880.

BAERWALD, R. *Die Schlacht bei Frankenhausen*, Mühlhausen in Thuringia, 1925.

BAETHGEN, F. *Der Engelpapst*, Leipzig, 1943.

BAHLMANN, P. *Die Wiedertäufer zu Münster. Eine bibliographische Zusammenstellung*, Münster, 1894.

BAINTON, R. H. *David Joris*, Leipzig, 1937.

BARACK, K. A. 'Hans Böhm und die Wallfahrt nach Niklashausen im Jahre 1476', in *Archiv des historischen Vereines von Unterfranken und Aschaffenburg*, vol. XIV, 3, Würzburg, 1858, pp. 1–108.

BARON, S. W. *A social and religious history of the Jews*, vol. II, New York, 1937.

BARTOŠ, F.-M. (1). 'Žižka a pikarti', in *Kalich*, vol. IX, fasc. 3–4, Prague, 1924, pp. 97–108.

BARTOŠ, F.-M. (2). 'Kněze Petra Kănyše vyznăni víry a večeře Páně z r. 1421', in *Jihočeský sborník historický*, vol. I, Tabor, 1928, pp. 2–5.

BARTOŠ, F.-M. (3). 'Picards et "Pikarti"', in BHPF, vol. LXXX (1931), pp. 465–86; vol. LXXXI (1932), pp. 8–28.

BAX, E. B. *Rise and fall of the Anabaptists*, London, 1903.

BEAUSOBRE, I. de. 'Dissertation sur les Adamites de Bohème', in J. Lenfant, *Histoire de la guerre des Hussites*, vol. I, Amsterdam, 1731, pp. 304–49.

BEMMANN, R. *Thomas Müntzer, Mühlhausen in Thüringen und der Bauernkrieg*, Leipzig, 1920.

BENZ, E. *Ecclesia Spiritualis. Kirchenidee und Geschichtstheologie der franziskanischen Reformation*, Stuttgart, 1934. (2nd edn., 1964.)

BERGER, E. *Histoire de Blanche de Castille, reine de France*, Paris, 1895.

BERNHEIM, E. *Mittelalterliche Zeitanschauungen in ihrem Einflus auf Politik und Geschichtschreibung*, Tubingen, 1918.

BERNHEIMER, R. *Wild men in the Middle Ages*, Cambridge, Mass., 1952.

BETTS, R. R. 'Correnti religiose nazionali ed ereticali dalla fine del secolo XIV alla metà del XV', in *Storia del Medioevo* (MW), pp. 403–513. (In English.)

BEUZART, P. *Les hérésies pendant le Moyen Âge dans la région de Douai, d'Arras et au pays de l'Aller*, Le Puy, 1912.

BEZOLD, F. von (1). *Zur Geschichte des Hussitentums*, Munich, 1874.

BEZOLD, F. von (2). 'Die Lehre von der Volkssouveränität während des Mittelalters', 1876. Reprinted in *Aus Mittelalter und Renaissance*, Munich and Berlin, 1918, pp. 1–48.

BEZOLD, F. von (3). 'Die "armen Leute" und die deutsche Literatur des späteren Mittelalters', 1879. Reprinted in *Aus Mittelalter und Renaissance*, Munich and Berlin, 1918, pp. 49–81.

BEZOLD, F. von (4). 'Zur deutschen Kaisersage', in *Sitzungsberichte der königlich bayerischen Akademie der Wissenschaften. Philosophisch-philologische Klasse*, vol. XIV, Munich, 1884, pp. 560–606.

BEZOLD, F. von (5). *Geschichte der deutschen Reformation*, Berlin, 1890.

BIDEZ, J. *La Cité du Monde et la Cité du Soleil*, Paris, 1932.

BIGNAMI-ODIER, J. *Études sur Jean de Roquetaillade (Johannes de Rupescissa)*, Paris, 1952.

BLANKE, F. 'Das Reich der Wiedertäufer zu Münster 1534–1535', in *Archiv für Reformationsgeschichte*, vol. XXXVII, Berlin, 1940, pp. 13–37.

BLOCH, M. (1). *Les rois thaumaturges: Étude sur le caractère surnaturel attribué à la puissance royale particulièrement en France et en Angleterre*, Strasbourg, 1924.

BLOCH, M. (2). *Les caractères originaux de l'histoire rurale française*, Oslo, 1931.

BLOCH, M. (3). *La société féodale: la formation des liens de dépendance*, Paris, 1939.

*BLOOMFIELD, M. W. 'Joachim of Flora. A critical survey of his canon, teachings, sources, biography, and influence', in *Traditio*, vol. XIII, New York, 1957, pp. 249–311.

BLOOMFIELD, M. W. and REEVES, M. E. 'The penetration of Joachism into northern Europe', in *Speculum*, vol. XXIX, Cambridge, Mass., 1954, pp. 772–93.

BOAS, G. *Essays on Primitivism and related ideas in the Middle Ages*, Baltimore, 1948.

BOEHMER, H. (1). *Studien zu Thomas Müntzer*, Leipzig, 1922.

BOEHMER, H. (2). 'Thomas Müntzer und das jüngste Deutschland', in *Gesammelte Aufsätze*, Gotha, 1924.

BORST, A. *Die Katharer (Schriften der Monumenta Germaniae Historica*, vol. XII), Stuttgart, 1953.

BOSSERT, G. *et al. Württembergische Kirchengeschichte*, Calw and Stuttgart, 1893.

BOUSSET, W. (1). *The Antichrist legend, a chapter in Christian and Jewish folklore*, trans. Keane, London, 1896.

BOUSSET, W. (2). 'Beiträge zur Geschichte der Eschatologie', in ZKG, vol. XX (1900), pp. 103–31, 262–90.

BOUTERWEK, K. W. *Zur Literatur und Geschichte der Wiedertäufer, besonders in den Rheinlanden*, Bonn, 1864.

BRUNO DE JÉSUS-MARIE *et al.* 'La confession de Boullan', in *Satan (Études carmélitaines*, vol. VI), Paris, 1949.

BULARD, M. *Le scorpion, symbole du peuple juif dans l'art religieux des XIVe, XVe, XVIe siècles*, Paris, 1935.

BURDACH, K. *Vom Mittelalter zur Reformation*, Berlin, 1893–1937.
(1) vol. II, part I: *Rienzo und die geistige Wandlung seiner Zeit.*
(2) vol. III, part 2: *Der Dichter des Ackermann aus Böhmen und seine Zeit.*

BURDACH, K. (3). *Reformation, Renaissance, Humanismus*, Berlin, and Leipzig, 1926.

BURDACH, K. (4). *Der Longinus-Speer im eschatologischem Lichte*, in SPAW, vol. IX, 1920, pp. 294–321.

*BÜTTNER, Th. and WERNER, E. *Circumcellionen und Adamiten. Zwei Formen mittelalterlicher Häresie. (Forschungen zur mittelalterlichen Geschichte*, vol. II, Berlin, 1958, pp. 73–134.

CAHOUR, A. *Baudouin de Constantinople. Chronique de Belgique et de France*, Paris, 1850.

Cambridge Economic History of Europe, Cambridge, 1942–52.
vol. I: Agrarian life of the Middle Ages, ed. J. H. Clapham and E. Power.
vol. II: Trade and industry in the Middle Ages, ed. M. Postan and E. E. Rich.

Cambridge Medieval History, 8 vols., Cambridge, 1913–36.

CAPELLE, G. C. *Amaury de Bène, étude sur son panthéisme formel*, Paris, 1932.

CAREW HUNT, R. H. 'Thomas Müntzer', in *Church Quarterly Review*, London, vol. CXXVI (1938), pp. 213–44; vol. CXXVII (1939), pp. 227–67.

CARLYLE, R. W. and CARLYLE, A. J. *A history of medieval political theory in the West*, 6 vols., Edinburgh, 1903–36.

CARO, G. *Sozial- und Wirtschaftsgeschichte der Juden im Mittelalter und der Neuzeit*, 2 vols., Frankfort-on-Main, 1920–24.

CARUS-WILSON, E. 'The woollen industry', in CEH, vol. II, chap. 6, pp. 355–428.

CASE, S. J. *The millennial hope*, Chicago, 1918.

CHALANDON, F. *Histoire de la première Croisade*, Paris, 1925.

CHALUPNÝ, E. 'Adamité a Žižka', in *Jihočeský sborník historický*, vol. I, Tabor, 1928, pp. 51–2.

*COHN, N. *Warrant for Genocide. The Myth of the Jewish world-conspiracy and the Protocols of the Elders of Zion*, London and New York, 1967.

*COMBES, A. *Essai sur le critique de Ruysbroeck par Gerson*, 3 vols., Paris, 1945–59.

CORNELIUS, C. A. (1). *Geschichte des Münsterischen Aufruhrs*, 2 vols., Leipzig, 1855–60.
vol. I: *Die Reformation*.
vol. II: *Die Wiedertaufe*.

CORNELIUS, C. A. (2). *Die niederländischen Wiedertäufer während der Belagerung Münsters 1534 bis 1535*, Munich, 1869.

CORNELIUS, C. A. (3). 'Johann Bokelson', in ADB, vol. III, pp. 91–3.

CORNELIUS, C. A. (4). 'Bernt Knipperdollinck', in ADB, vol. XVI, pp. 293–5.

CORNELIUS, C. A. (5). 'Jan Mathyszoon', in ADB, vol. XX, pp. 600–602.

COULTON, G. G. *The Black Death*, London, 1929.

CUMONT, F. 'La fin du monde selon les mages occidentaux', in *Revue de l'histoire des religions*, vol. CIII, Paris, 1931, pp. 29–96.

CURSCHMANN, H. H. W. F. *Hungersnöte im Mittelalter*, Leipzig, 1900.

DELACROIX, H. *Le mysticisme en Allemagne au 14e siècle*, Paris, 1900.

DEMPF, A. *Sacrum Imperium: Geschichts- und Staatsphilosophie des Mittelalters und der politischen Renaissance*, Munich and Berlin, 1929.

*DE SMET, J.-M. 'De monnik Tanchelm en de Utrechtse Bisschopszetel in 1112–1114', in *Scrinium Lovaniense, Mélanges historiques Etienne van Cauwenbergh*, Louvain, 1961, pp. 207–34.

DI STEFANO, A. *Riformatori ed eretici del medioevo*, Palermo, 1938.

DETMER, H. (1). *Hermann von Kerssenbrochs Leben und Schriften*, Münster, 1900.

DETMER, H. (2). *Bilder aus den religiösen und sozialen Unruhen in Münster*, 3 vols.,Münster, 1903–4.
vol. I: Johann von Leiden.
vol. II: Bernhard Rothmann.
vol. III: Uber die Auffassung von der Ehe ... während der Täuferherrschaft.

DETMER, H. and KRUMBHOLTZ, R. *Zwei Schriften des Münsterischen Wiedertäufers Bernhard Rothmann*. With historical introduction, Dortmund, 1904.

DEVIC, C. and VAISSÈTE, J. J. *Histoire générale de la province de Languedoc*, ed. Molinier, vol. IX, Toulouse, 1885.

*DE VOOGT, P. *L'hérésie de Jean Hus* (*Bibliothèque de la Revue d'Histoire ecclésiastique*, fasc. 34), Louvain, 1960.

DICKENS, A. G. *Reformation and society in sixteenth-century Europe*. London, 1966.

Dictionnaire de Théologie Catholique, ed. Vacant and Mangenot, Paris, 1899–1950.

DOBROWSKÝ, J. 'Geschichte der Bömischen Pikarden und Adamiten', in *Abhandlungen der königlich bohmischen Gesellschaft der Wissenschaften*, vol. IV, Prague and Dresden, 1788, pp. 300–343.

*DOHNA, Graf LOTHAR zu,. *Reformatio Sigismundi. Beiträge zum Verständnis einer Reformschrift des fünfzehnten Jahrhunderts* (*Veröffentlichungen des Max-Planck-Instituts für Geschichte*, no. 4), Göttingen, 1960.

DÖLLINGER, I. von. 'Der Weissagungsglaube und das Prophetentum in der christlichen Zeit', in *Historisches Taschenbuch*, fifth series, vol. I, Leipzig, 1871, pp. 259–370.

DOREN, A. 'Wunschraume und Wunschzeiten', in *Vorträge der Bibliothek Warburg*, vol. IV, Leipzig, 1927, pp. 158–205.

DU CANGE, C. DU FRESNE. *Glossarium ad scriptores mediae et infimae Latinitatis*, ed. Henschel, Paris, 1840–50.

DUPRÉ THESEIDER, E. *Introduzione alle eresie medievali*, Bologna, 1953.

ELBOGEN, I. 'Zu den hebräischen Berichten über die Judenverfolgungen im Jahre 1096', in *Festschrift zum 70-ten Geburtstage Martin Philippsons*, Leipzig, 1917.

ELIADE, M. *The myth of the eternal return*, trans. Trask, London, 1955.

Encyclopedia of religion and ethics, ed. Hastings and Selbie, Edinburgh, 1908–26.

ERBKAM, H. W. *Geschichte der protestantischen Sekten im Zeitalter der Reformation*, Hamburg and Gotha, 1848.

*ERBSTÖSSER, M. and WERNER, E. *Ideologische Probleme des mittelalterlichen Plebejertums. Die freigeistige Häresie und ihre sozialen Wurzeln*, Berlin, 1960.

ERDMANN, C. (1). 'Endkaiserglaube und Kreuzzugsgedanke im 11-ten Jahrhundert', in ZKG, vol. LI (1932), pp. 384–414.

ERDMANN, C. (2). *Die Entstehung des Kreuzzugsgedankens*, Stuttgart, 1935.

ESSEN, L. van der. 'De ketterij van Tanchelm in de XIIde eeuw', in *Ons Geloof*, vol. II, Antwerp, 1912, pp. 354–61.

FLADE, P. 'Romische Inquisition in Mitteldeutschland', in *Beiträge zur sächsischen Kirchengeschichte*, vol. IX, Leipzig, 1894.

FOLZ, R. *Le souvenir et la légende de Charlemagne dans l'Empire germanique médiéval*, Paris, 1950.

FÖRSTEMANN, E. G. *Die christlichen Geisslergesellschaften*, Halle, 1828.

FRANZ, G. *Der deutsche Bauernkrieg*, Munich and Berlin, 1933.

FREDERICHS, J. (1). *De secte der Loïsten, of Antwerpsche Libertijnen* (1525–1545), Ghent and The Hague, 1891.

FREDERICHS, J. (2). 'Un luthérien français devenu libertin spirituel: Christophe Herault et les Loïstes d'Anvers (1490–1544)', in BHPF, vol. XLI (1892), pp. 250–69.

FREDERICQ, P. (1). *De secten der geeselars en der dansers in den Nederlanden tijdens de* 14de *eeuw*, Brussels, 1897.

FREDERICQ, P. (2). 'Deux sermons inédits de Jean du Fayt', in *Bulletin de l'Académie royale de Belgique Classe des Lettres*, vols. IX, X, Brussels, 1903. pp. 688–718.

GILSON, E. *La philosophie au Moyen Âge*, Paris, 1944.

GOTHEIN, E. *Politische und religiöse Volksbewegungen vor der Reformation*, Breslau, 1878.
GRAETZ, H. *Geschichte der Juden*, vols. VI, VII, Leipzig, 1873.
GRAUERT, H. von (1). 'Zur deutschen Kaisersage', in *Historisches Jahrbuch*, vol. XIII, Leipzig, 1892, pp. 100–143.
GRAUERT, H. von (2). 'Das Schulterkreuz der Helden mit besonderer Beziehung auf das Haus Wettin', in *Ehrengabe deutscher Wissenschaft (für Prinz Johann Georg)*, ed. Fessler, Freiburg in Breisgau, 1920, pp. 703–20.
GRAUS, F. *Chudina městská v době předhusitské*, Prague, 1949.
GROUSSET, R. *Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem*, vol. I, Paris, 1934.
GRUNDMANN, H. (1). *Studien über Joachim von Fiore*, Leipzig and Berlin, 1927.
GRUNDMANN, H. (2). *Religiöse Bewegungen im Mittelalter*, Berlin, 1935.
GRUNDMANN, H. (3). *Neue Forschungen über Joachim von Fiore* (Münstersche Forschungen I), Marburg, 1950.
*GRUNDMANN, H. (4). *Neue Beiträge zur Geschichte der religiösen Bewegungen im Mittelalter.* (Supplement to new edition of *Religiöse Bewegungen im Mittelalter*, Hildesheim, 1961.)
*GRUNDMANN, H. (5). *Ketzergeschichte des Mittelalters*, Göttingen, 1963. (Reprinted from vol. II of *Die Kirche in ihrer Geschichte*, ed. K. D. Schmidt and E. Wolf.)
*GRUNDMANN, H. (6). *Bibliographie zur Ketzergeschichte des Mittelalters, 1900–1966. (Sussidi Eruditi* no. 20), Rome, 1967.
*GRUNDMANN, H. (7). 'Ketzerverhöre des Spätmittelalters als quellenkritisches Problem,' in *Deutsches Archiv für Erforschung des Mittelalters*, vol. XXI, Cologne and Graz, 1965, pp. 519-575.
GRY, L. *Le millénarisme dans ses origines et son développement*, Paris, 1904.
*GUARNIERI, R. (1). *Il movimento del Libero Spirito. Testi e documenti*, Rome, 1965.
*GUARNIERI, R. (2). 'Frères du libre esprit', in M. Viller *et al.*, *Dictionnaire de Spiritualité*, vol. V, Paris, 1966, cols. 1241–68.
HAAGEN, F. *Geschichte Aachens*, vol. I, Aachen, 1873.
HAGENMEYER, H. *Peter der Eremite*, Leipzig, 1879.
HAHN, C. U. *Geschichte der Ketzer im Mittelalter*, vols. II, III, Stuttgart, 1845.
HAMPE, K. 'Eine frühe Verknüpfung der Weissagung vom Endkaiser mit Friedrich II und Konrad IV' in *Sitzungsberichte der Heidelberger Akademie der Wissenschaften (Philosophisch-historische Klasse)*, Abhandlung VI, 1917.
HARTING, D. *De munstersche Furie*, Enkhuizen, 1850.
HAUCK, A. *Kirchengeschichte Deutschlands*, vol. V, Leipzig, 1911.
HAUPT, H. (1). *Die religiösen Sekten in Franken*, Würzburg, 1882.
HAUPT, H. (2). 'Ein Beghardenprozess in Eichstädt vom Jahre 1381', in ZKG, vol. V (1882), pp. 487–98.
HAUPT, H. (3). 'Beiträge zur Geschichte der Sekte vom freien Geiste und des Beghardentums', in ZKG, vol. VII (1885), pp. 503–76. (Includes emendations to Albertus Magnus, *Compilatio*, from another MS.)
HAUPT, H. (4). 'Zur Biographie des Nicolaus von Basel', in ZKG, vol. VII (1885), pp. 508–11. (Includes emendations to confession of Martin of Mainz.)
HAUPT, H. (5). 'Zur Geschichte der Geissler', in ZKG, vol. IX (1888), pp. 114–19. (Includes emendations to Sonderhausen articles from another MS.)
HAUPT, H. (6). 'Husitische Propaganda in Deutschland', in *Historisches Taschenbuch*, 6th series, vol. VII, Leipzig, 1888, pp. 235–304.

HAUPT, H. (7). 'Zwei Traktate gegen Beginen und Begharden', in ZKG, vol. XII (1891), pp. 85–90.

HAUPT, H. (8). *Ein oberrheinischer Revolutionär aus dem Zeitalter Kaiser Maximilians I.* (*Westdeutsche Zeitschrift für Geschichte und Kunst*, Ergänzungsheft VIII), Trier, 1893, pp. 77–228.

HAUPT, H. (9). 'Beginen und Begarden', in RPT, vol. II, pp. 516–26.

HAUPT, H. (10). 'Brüder des freien Geistes', in RPT, vol. II, pp. 467–72.

HAUPT, H. (11). 'Kirchliche Geisselung und Geisslerbruderschaften', in RPT, vol. VI, pp. 432–44.

HAUPT, H. (12). 'Konrad Schmid', in ADB, vol. XXXI, p. 683.

HAUPT, H. (13). 'Wirsberg: Janko (Johannes) und Livin (Levin) von W.', in ADB, vol. XLIII, pp. 518–20.

HAURÉAU, B. *Histoire de la philosophie scolastique*, Part II, vol. I, Paris, 1880.

HEATH, R. *Anabaptism from its rise at Zwickau to its fall in Münster*, London, 1895.

HECKER, J. F. C. *The epidemics of the Middle Ages*, trans. Babington, London, 1859.

HEER, F. *Aufgang Europas: eine Studie zu den Zusammenhängen zwischen politischer Religiosität, Frömmigkeitsstil und dem Werden Europas im 12-ten Jahrhundert*, Vienna and Zurich, 1949.

HEIDELBERGER, F. *Kreuzzugsversuche um die Wende des 13-ten Jahrhunderts*, Berlin and Leipzig, 1911.

HEISIG, K. 'Die Geschichtsmetaphysik des Rolandsliedes und ihre Vorgeschichte', in *Zeitschrift für romanische Philologie*, vol. LV, Halle, 1935, pp. 1–87.

HEYER, F. *Der Kirchenbegriff der Schwärmer* (*Schriften des Vereins für Reformationsgeschichte*, vol. LXVI), Leipzig, 1939.

HEYMANN, F. G. *John Žižka and the Hussite revolution*, Princeton, 1955.

*HILLERBRAND, H. J. *Bibliographie des Täufertums 1520–1630.* (*Quellen zur Geschichte der Täufer, vol. X*), Gütersloh, 1962.

HINRICHS, C. *Luther and Müntzer, ihre Auseinandersetzung über Obrigkeit und Widerstandsrecht.* Berlin, 1952

HOCHHUT, W. H. 'Landgraf Philipp und die Wiedertäufer', in *Zeitschrift für die historische Theologie*, vol. XXIX, Hamburg and Gotha, 1859.

HOENIGER, R. *Der schwarze Tod in Deutschland*, Berlin, 1882.

HOLINKA, R. '*Sektářství v Čechách před revolucí husitskou*, Bratislava, 1929.

HOLL, K. 'Luther und die Schwärmer', in his *Gesammelte Aufsätze zur Kirchengeschichte*, vol. I, Tübingen, 1923.

HORSCH, J. 'The rise and fall of the Anabaptists of Münster', in *Mennonite Quarterly Review*, vol. X, Goshen, Indiana, 1935, pp. 92–103, 129–43.

HÜBNER, A. *Die deutschen Geisslerlieder*, Berlin and Leipzig, 1931.

HÜBSCHER, A. *Die grosse Weissagung, Texte, Geschichte und Deutung der Prophezeiungen von den biblischen Propheten bis auf unsere Zeit*, Munich, 1952.

HUGENHOLTZ, F. W. N. *Drie boerenopstanden uit de veertiende eeuw*, Haarlem, 1949.

HUNDESHAGEN, C. B. 'Der Communismus und die ascetische Socialreform im Laufe der christlichen Jahrhunderte', in *Theologische Studien und Kritiken*, vol. XVIII, Gotha, 1845, pp. 535–607, 821–72.

HYAMSON, A. M. 'Pseudo-messiahs', in ERE, vol. VIII, pp. 581–7.

**Il Movimento dei disciplinati nel settimo centenario dal suo inizio* (*Perugia 1260*). Deputazione di storia patria per l'Umbria. Appendici al Bolletino no. 9, Perugia, 1960.

JANSSEN, H. Q. 'Tanchelijn', in *Annales de l'Académie d'archéologie de Belgique*, vol. XXIII, Antwerp, 1867, pp. 374–450.

JOHNSON, A. R. *Sacral kingship in Ancient Israel*, Cardiff, 1955.
JONES, ERNEST. *On the nightmare. Part II: The connections between the nightmare and certain medieval superstitions*, London, 1931.
JONES, R. M. *Studies in mystical religion*, London, 1909.
JORDAN, R. *Zur Schlacht bei Frankenhausen* (*Zur Geschichte der Stadt Mühlhausen in Thüringen*, vol. IV), Mühlhausen in Thuringia, 1908.
OURDAIN, C. 'Mémoire sur les sources philosophiques des hérésies d'Amaury de Chartres et de David de Dinant', in *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, vol. XXVI, Paris, 1870, pp. 467–98.
JUNDT, A. *Histoire du panthéisme populaire au Moyen Âge et au 16e siècle*, Paris, 1875.
JUSSERAND, J. J. *English wayfaring life in the Middle Ages*, trans. L. T. Smith, London, 1950 (first published 1889).
KAHN, SALOMON. 'Les juifs de Montpellier au Moyen Âge', in *Revue des études juives*, vol. XXII, Paris, 1891, pp. 264–79.
*KAMINSKY, H. (1). 'Hussite radicalism and the origins of Tabor 1415–1418', in *Medievalia et Humanistica*, vol. X, Boulder, Colorado, 1956, pp. 102–30.
*KAMINSKY, H. (2). 'Chiliasm and the Hussite Revolution', in *Church History*, vol. XXVI, New York, 1957, pp. 43–71.
*KAMINSKY, H. (3). 'The Free Spirit in the Hussite Revolution', in *Millennial Dreams in Action* (MW), pp. 166–86.
KAMPERS, F. (1). *Die deutsche Kaiseridee in Prophetie und Sage*, Munich, 1896.
KAMPERS, F. (1A). *Kaiserprophetien und Kaisersagen im Mittelalter*, Munich, 1895. (Same as Kampers (1) but with Appendices.)
KAMPERS, F. (2). *Vom Werdegang der abendländischen Kaisermystik*, Leipzig and Berlin, 1924.
KAUTSKY, K. *Communism in Central Europe in the time of the Reformation*, trans. Mulliken, London, 1897.
KAWERAU, P. *Melchior Hoffmann als religiöser Denker*, Haarlem, 1954.
KELLER, L. *Geschichte der Wiedertäufer und ihres Reiches zu Münster*, Münster, 1880.
KERVYN DE LETTENHOVE, C. B. (1). 'Bertrand de Rays', in *Biographie nationale de Belgique*, vol. I, pp. 338–42.
KERVYN DE LETTENHOVE, C. B. (2). *Histoire de Flandre*, 6 vols., Brussels, 1847–50.
KESTENBERG-GLADSTEIN, R. 'A fifteenth-century polemic against Joachism, and its background', in *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes*, vol. XVIII, London, 1955, pp. 245–95.
KISCH, G. *The Jews in medieval Germany*, Cambridge, 1950.
*KLASSEN, P. J. *The economics of Anabaptism, 1525–1560* (*Studies in European History*, no. 3), The Hague, 1964.
KLAUSNER, J. *The messianic idea in Israel*, trans. Stinespring, London, 1956.
KLOSE, S. B. *Von Breslau. Dokumentirte Geschichte und Beschreibung*, vol. II, Breslau, 1781.
KNOX, R. A. *Enthusiasm, a chapter in the history of religion*, Oxford, 1950.
KÖHLER, W. 'Münster, Wiedertäufer', in RPT, vol. XIII, pp. 539–53.
*KONRAD, R. (1). *De ortu et tempore Antichristi. Antichristvorstellung und Geschichtsbild des Abtes Adso von Montier-en-Der.* (*Münchener Historische Studien, Abteilung Mittelalterliche Geschichte*, vol. I), Kallmütz b. Regensburg, 1964.
*KONRAD, R. (2). 'Das himmlische und das irdische Jerusalem im mittelalterlichen Denken. Mystische Vorstellung und geschichtliche Wirkung', in *Speculum historiale*, ed. C. Bauer, L. Boehm and M. Müller, Freiburg i. Br. and Munich, 1965, pp. 523–40.

KRACAUER, I. *Die politische Geschichte der Frankfurter Juden bis zum Jahre 1349*, Frankfort-on-Main, 1911.
KRAFT, H. 'Gab es einen Gnostiker Karpokrates?', in *Theologische Zeitschrift*, vol. VIII, Basle, 1952, pp. 434–43.
KRIEHN, G. 'Studies in the sources of the social revolt of 1381', in *American Historical Review*, vol. VII, New York, 1901–2, pp. 254–85, 458–84.
KROFTA, K. (1). 'Bohemia in the fourteenth century', in CMH, vol. VII, chap. 6, pp. 155–82.
KROFTA, K. (2). 'John Hus', in CMH, vol. VIII, chap. 2, pp. 45–64.
KROFTA, K. (3). 'Bohemia in the fifteenth century', in CMH, vol. VIII, chap. 3, pp. 65–115.
*KULCSÁR, Z. *Eretnekmozgalmak a XI–XIV. században*, Budapest, 1964. (An exhaustive bibliography of heretical movements from the eleventh to the fourteenth centuries.)
LANCHESTER, H. C. O. 'Sibylline Oracles', in ERE, vol. II, pp. 496–500.
LATOMUS, JOANNES. *Corsendonca*, Antwerp, 1644.
LEA, H. C. *A history of the Inquisition of the Middle Ages*, vol. II, London, 1888.
LECHNER, K. 'Die grosse Geisselfahrt des Jahres 1349', in *Historisches Jahrbuch*, vol. V, Munich, 1884, pp. 437–62.
*LECLERCQ, J., VANDENBROUCKE, P., and BOUYER, L. *La spiritualité du moyen âge* (vol. II of *Histoire de la spiritualité chrétienne*), Paris, 1959.
*LEFF, G. *Heresy in the Later Middle Ages. The relation of heterodoxy to dissent, c. 1250–c. 1450*, 2 vols., Manchester and New York, 1967.
LEFRANC, A. *Les idées religieuses de Marguérite de Navarre*, Paris, 1898.
LEMPP, E. 'Sekte von Hall', in RPT, vol. VII, pp. 363–5.
LEVASSEUR, E. *Histoire des classes ouvrières françaises et de l'industrie en France avant 1789*, vol. I, Paris, 1900.
LINDSAY, P. and GROVES, R. *The Peasants' Revolt of 1381*, London, 1950.
LOCHNER, G. W. C. *Geschichte der Reichsstadt Nürnberg zur Zeit Kaiser Karls IV*, Berlin, 1873.
LOEB, I. 'Josef Haccohen et les chroniqueurs juifs', in *Revue des études juives*, vol. XVI, Paris, 1888, pp. 28–56, 209–23.
LOHMANN, A. *Zur geistigen Entwicklung Thomas Müntzers*, Leipzig and Berlin, 1931.
LOVEJOY, A. O. 'The communism of St Ambrose', in his *Essays in the History of Ideas*, London, 1949.
LOVEJOY, A. O. and BOAS, G. *Primitivism and related ideas in Antiquity*, Baltimore, 1935.
LÖWITH, K. *Meaning in History: the theological implications of the Philosophy of History*, Cambridge, 1950.
LUCAS, H. S. 'The great European famine of 1315, 1316 and 1317', in *Speculum*, vol. V, Cambridge, Mass., 1930, pp. 343–77.
LÜTZOW, F. H. H. W. *The life and times of Master John Hus*, London, 1909.
MACCULLOCH, J. A. (1). 'Eschatology', in ERE, vol. V, pp. 373–91.
MACCULLOCH, J. A. (2). *Medieval faith and fable*, London, 1932.
MAČEK, J. (1). *Ktož jsú boží bojovníci (Who are God's warriors)*, Prague, 1951.
MAČEK, J. (2). *Husitské revoluční hnutí*, Prague, 1952.
*MAČEK, J. (3). *The Hussite Movement in Bohemia*, Prague, 1958; London and Prague, 1965 (trans. of Maček (2), by V. Fried and I. Milner).
MCDONNELL, E. W. *The Beguines and Beghards in medieval culture*, New Brunswick, 1954.
MELLINK, A. F. (1). *De Wederdopers in de Noordelijke Nederlanden (1531–1544)*, Groningen, 1953.

*MELLINK, A. F. (2). 'The mutal relations between the Münster Anabaptists and the Netherlands', in *Archiv für Reformationsgeschichte*, vol. I, Berlin, 1959, pp. 16–33.

**Mennonite Encyclopedia*. 4 vols., Scottdale, Pennsylvania, 1955–9.

MERX, O. *Thomas Münzer und Heinrich Pfeiffer*, 1523–5. *Ein Beitrag zur Geschichte des Bauernkrieges in Thüringen*, Göttingen, 1889.

MEUSEL, A. *Thomas Müntzer und seine Zeit*, Berlin, 1952.

MEYER, CHRISTIAN (1). 'Zur Geschichte der Wiedertäufer in Oberschwaben', in *Zeitschrift des historischen Vereins für Schwaben und Neuburg*, vol. I, Augsburg, 1874, pp. 271 sq.

MEYER, CHRISTIAN (2). 'Der Widertäufer Nikolaus Storch und seine Anhänger in Hof', in ZKG, vol. XVI (1896), pp. 117–24.

MEYER, VICTOR. *Tile Kolup (der falsche Friedrich) und die Wiederkunft eines ächten Friedrich, Kaisers der Deutschen*, Wetzlar, 1868.

MIRET Y SANS, J. 'Le massacre des Juifs de Montclus en 1320', in *Revue des études juives*, vol. LIII, Paris, 1907, pp. 255–66.

MOHR, W. 'Tanchelm von Antwerpen. Eine nochmalige Überprüfung der Quellenlage', in *Annales Universitatis Saraviensis, Philosophie-Lettres*, vol. III, Saarbrucken, 1954, pp. 234–47.

*MOLNÁR, A. (1). 'Eschatologická naděje česke reformace' (The eschatological hope in the Czech Reformation), in Hromáda *et al.*, *Od reformace k zítřku* (From Reformation to Tomorrow), Prague, 1956, pp. 11–101.

*MOLNÁR, A. (2). 'Le mouvement préhussite et la fin du temps', in *Communio Viatorum*, vol. I, Prague, 1958, pp. 27–32.

MORGHEN, R. *Medioevo cristiano*, Bari, 1951.

MOSHEIM, J. L. von (1). *Institutiones historiae ecclesiasticae Novi Testamenti*, vol. I, Helmstadt, 1764.

MOSHEIM, J. L. von (2). *De Beghardis et Beguinabus commentarius*, Leipzig, 1790.

MÜLLER, EWALD. *Das Konzil von Vienne, 1311–12. Seine Quellen und seine Geschichte*, Münster, 1934.

MÜLLER, KARL (1). *Kirchengeschichte*, vol. I, Freiburg in Breisgau, 1892.

MÜLLER, KARL (2). 'Calvin und die "Libertiner"', in ZKG, vol. XL (1922), pp. 83–129.

MUNRO, D. C. 'The Children's Crusade', in *American Historical Review*, vol. XIX, London, 1914, pp. 516–24.

NABHOLZ, H. 'Medieval society in transition', in CEH, vol. I, chap. 8, pp. 493–562.

NATUSIUS, M. von. *Die christlich-socialen Ideen der Reformationszeit und ihre Herkunft*, Gütersloh, 1897.

*NEUMANN, E. G. *Rheinisches Beginen- und Begardenwesen*. (*Mainzer Abhandlungen zur mittleren und neueren Geschichte*, vol. IV), Meisenheim am Glan, 1960.

NEWMAN, A. H. *A history of anti-pedobaptism*, Philadelphia, 1897.

NIESEL, W. 'Calvin und die Libertiner', in ZKG, vol. XLVIII (1929), pp. 58–74.

NIGG, W. (1). *Das ewige Reich*, Berlin and Munich, 1944.

NIGG, W. (2). *Das Buch der Ketzer*, Zurich, 1949.

NOHL, J. *The Black Death*, trans. Clarke, London, 1926.

OESTERLEY, W. O. E. and ROBINSON, T. H. *Hebrew religion, its origin and development*, London, 1949.

OLIGER, L. *De secta Spiritus Libertatis in Umbria saeculo XIV. Disquisitio et Documenta*. (*Storia e Letteratura, Raccolta di Studi e Testi*, vol. III), Rome, 1943.

OMAN, C. *The Great Revolt of 1381*, Oxford, 1906.

OWST, G. R. *Literature and pulpit in medieval England*, Cambridge, 1933.

PALACKÝ, F. *Geschichte von Boehmen*, vol. III, Prague, 1845.

PARKES, J. W. *The Jew in the medieval community*, London, 1938.

PAYNE, E. A. *The Anabaptists of the 16th century*, London, 1949.

PEARSON, K. 'The Kingdom of God', in *Modern Review*, vol. V, London, 1884, pp. 29–56, 259–83.

PETIT-DUTAILLIS, C. (1). 'Introduction historique' to A. Réville, *Le soulèvement des travailleurs en Angleterre en 1381* Paris, 1898.

PETIT-DUTAILLIS, C. (2). 'Causes and general characteristics of the rising of 1381', in *Studies and notes supplementary to Stubbs' Constitutional History*, vol. II, Manchester, 1914, pp. 252–304.

PEUCKERT, W. E. *Die grosse Wende. Das apokalyptische Saeculum und Luther*, Hamburg, 1948.

PFANNENSCHMID, H. 'Zur Geschichte der deutschen und niederländischen Geissler', in P. Runge, *Die Lieder und Melodien der Geissler des Jahres 1349*, Leipzig, 1900.

PHILIPPEN, L. J. M. 'De Heilige Norbertus en de strijd tegen het Tanchelmisme te Antwerpen', in *Bijdragen tot de Geschiedenis*, vol. XXV, Antwerp, 1934, pp. 251–88.

PIRENNE, H. (1). *Le soulèvement de la Flandre maritime de 1323–1328*, Brussels, 1900.

PIRENNE, H. (2). 'Tanchelm et le projet de démembrement du diocèse d'Utrecht vers 1100', in *Bulletin de l'Académie royale de Belgique, Classe des Lettres*, fifth series, vol. XIII, Brussels, 1927, pp. 112–19.

PIRENNE, H. (3). *A history of Europe from the Invasions to the sixteenth century*, trans. Miall, London, 1952.

PORGÈS, N. 'Les relations hébraïques des persécutions des Juifs pendant la première croisade', in *Revue des études juives*, Paris, vol. XXV (1892), pp 181–201; vol. XXVI (1893), pp. 183–97.

POTTHAST, A. *Bibliotheca historica Medii Aevi*, 2 vols., Berlin, 1896.

POWER, E. 'The position of women', in *Legacy of the Middle Ages*, ed. Crump and Jacob, chap. VII, Oxford, 1926, pp. 401–34.

FRA, M. DAL. *Amalrico di Bena*, Milan, 1951.

PREGER, W. (1). *Geschichte der deutschen Mystik im Mittelalter*, vol. I, Leipzig, 1874.

PREGER, W. (2). *Beiträge zur Geschichte der religiösen Bewegung in den Niederlanden in der zweiten Hälfte des vierzehnten Jahrhunderts*, in ABAW, vol. XXI, Part 1, Munich, 1894.

PREUSS, H. *Die Vorstellungen vom Antichrist im späteren Mittelalter bei Luther und in der konfessionellen Polemik*, Leipzig, 1906.

RADCKE, F. *Die eschatologischen Anschauungen Bernhards von Clairvaux*, Langensalza, 1915.

RAUSCHEN, G. (ed.), *Die Legende Karls des Grossen im 11-ten und 12-ten Jahrhundert* Leipzig, 1890.

Realencyklopädie für protestantische Theologie und Kirche, 3rd edn, Leipzig, 1896–1913.

REEVES, M. E. (1). 'The *Liber Figurarum* of Joachim of Fiore', in *Medieval and Renaissance Studies*, vol. II, London, 1951, pp. 57–81.

REEVES, M. E. (2). 'Joachimist influences on the idea of a Last World Emperor', in *Traditio*, vol. XVII, New York, 1961, pp. 323–70.

REMBERT, C. *Die Wiedertäufer im Herzogtum Jülich*, Berlin, 1899.

REUTER, H. *Geschichte der religiösen Aufklärung im Mittelalter*, vol. II, Berlin, 1877.

RÉVILLE, A. *Le soulèvement des travailleurs en Angleterre en 1381* (*Mémoires et documents publiés par la Société de l'École des Chartes*, II), Paris, 1898.

RIGAUX, B. *L'Antéchrist et l'opposition au Royaume Messianique dans l'Ancien et le Nouveau Testament*, Gembloux and Paris, 1932.

RITSCHL, H. *Die Kommune der Wiedertäufer in Münster*, Bonn and Leipzig, 1923.

ROHR, J. 'Die Prophetie im letzten Jahrhundert vor der Reformation als Geschichtsquelle und Geschichtsfaktor', in *Historisches Jahrbuch*, vol. XIX, Munich, 1898, pp. 29–56, 423–66.

RÖHRICHT, R. (1). 'Die Pilgerfahrten nach dem Heiligen Lande vor den Kreuzzügen', in *Historisches Taschenbuch*, fifth series, vol. V, Leipzig, 1875, pp. 323–96.

RÖHRICHT, R. (2). 'Bibliographische Beiträge zur Geschichte der Geissler', in ZKG, vol. I (1877), pp. 313–21.

RÖHRICHT, R. (3). 'Die Pastorellen (1251)', in ZKG, vol. VI (1884), pp. 290–95.

RÖHRICHT, R. (4). *Geschichte des ersten Kreuzzuges*, Innsbruck, 1901.

ROSENKRANZ, A. 'Prophetische Kaisererwartungen im ausgehenden Mittelalter', in *Preussische Jahrbücher*, vol. CXIX, Berlin, 1905, pp. 508–24.

ROTH, C. 'The Jews in the Middle Ages', in CMH, vol. VII, chap. 22, pp. 632–63.

ROUSSET, P. (1). *Les origines et les caractères de la première Croisade*, Neuchâtel, 1945.

ROUSSET, P. (2). 'L'idée de croisade chez les chroniqueurs d'Occident', in *Storia del Medioevo* (MW), pp. 547–63.

RUNCIMAN, S. (1). *The Medieval Manichee*, Cambridge, 1947.

RUNCIMAN, S. (2). *A history of the crusades*, 3 vols., Cambridge, 1951–4.

*RUPP, E. G. 'Thomas Müntzer, Hans Huth and the Gospel of all creatures', in *Bulletin of the John Rylands Library*, vol. XLIII, Manchester, 1960–61, pp. 492–519.

*RUSSELL, J. B. (1). 'Saint Boniface and the Eccentrics', in *Church History*, vol. XXXIII, no. 3, Chicago, 1964, pp. 235–47.

*RUSSELL, J. B. (2). *Dissent and Reform in the Early Middle Ages*, Berkeley and Los Angeles, 1965.

RUSSO, F. *Bibliografia Giochimita* (*Biblioteca di Bibliografia Italiana*, vol. XXVIII), Florence, 1954.

SAULNIER, V. L. (ed.). Marguerite de Navarre: *Théâtre profane*. With commentary, Paris, 1946.

SCHAAB, A. *Diplomatische Geschichte der Juden zu Mainz*, Mainz, 1855.

SCHÄFFLER, A. 'Hans Böhm', in ADB, vol. III, pp. 62–4.

SCHIFF, O. (1). 'Thomas Münzer und die Bauernbewegung am Oberrhein', in *Historische Zeitschrift*, vol. CX, Munich, 1913, pp. 67–90.

SCHIFF, O. (2). 'Die Wirsberger. Ein Beitrag zur Geschichte der revolutionären Apokalyptik im 15-ten Jahrhundert', in *Historische Vierteljahrschrift*, vol. XXVI, Dresden, 1931, pp. 776–86.

SCHMIDT, KARL. *Histoire et doctrine de la secte des Cathares ou Albigeois*, 2 vols., Paris, 1848–9.

SCHREIBER, H. *Der Bundschuh zu Lehen im Breisgau*, Freiburg in Breisgau, 1824.

SCHUBERT, H. von. *Der Kommunismus der Wiedertäufer in Münster und seine Quellen*, Heidelberg, 1919.

SCHULTHEISS, F. G. *Die deutsche Volkssage vom Fortleben und der Wiederkehr Kaiser Friedrichs II*, Berlin, 1911.

*SEIBT, F. (1). 'Die Hussitenzeit als Kulturepoche' in *Historische Zeitschrift*, vol. CVC, Munich, 1962, pp. 21–61.

*SEIBT, F. (2). *Hussitica. Zur Struktur einer Revolution*, Cologne and Graz, 1965.

SETTON, K. M. and BALDWIN, M. W. (ed.). *A history of the crusades*, vol. I: *The first hundred years*, Philadelphia, 1955.

SIMON, O. *Überlieferung und Handschriftsverhältnis des Traktates 'Schwester Katrei'*, Halle, 1906.

SMIRIN, M. M. *Der Volksaufstand des Thomas Müntzer und der grosse Bauernkrieg*, Berlin, 1952. (Translated from the Russian.)

SMITHSON, R. J. *The Anabaptists*, London, 1935.

SÖDERBLOM, N. *La vie future d'après le mazdéisme: étude d'eschatologie comparée*, Paris, 1901.

SOMMARIVA, L. 'Studi recenti sulle eresie medievali (1939–52)', in *Revista storica italiana*, vol. LXIV, fasc. II, Naples, 1952, pp. 237–68.

SONNE, I. 'Nouvel examen des trois Relations hébraïques sur les persecutions de 1096', in *Revue des études juives*, vol. XCVI, Paris, 1933, pp. 113–56.

SPITZER, L. 'Turlupin', in *Modern Language Notes*, vol. LXI, Baltimore, 1946, pp. 104–8.

*STAYER, J. M. (1). 'Hans Hut's doctrine of the sword: an attempted solution', in *Mennonite Quarterly Review*, vol. XXXIX, Goshen, Indiana, 1965, pp. 181–91.

*STAYER, J. M. (2). 'The Münsterite rationalization of Bernhard Rothmann', in *Journal of the history of ideas*, vol. XVIII, Lancaster (Penn.) and New York, 1967, pp. 179–92.

STEEL, A. *Richard II*, Cambridge, 1941.

STEVENSON, W. B. 'The First Crusade', in CMH, vol. V, chap. 7, pp. 265–99.

Storia del Medioevo. Vol. III of the Proceedings of the Tenth International Congress of Historical Sciences, Florence, 1955.

STRAUCH, P. 'Nicolaus von Basel', in ADB, vol. XXIII, pp. 620–21.

STUMPF, A. *Historia Flagellantium, praecipue in Thuringia*. Written in 1780 but first appeared (ed. Erhard) in vol. II, *Neue Mitteilungen aus dem Gebiet historisch-antiquarischer Forschungen*, Halle and Nordhausen, 1836.

*STUPPERICH, R. *Das Münsterische Täufertum. Ergebnisse und Probleme der neueren Forschung*, Munster i. W., 1958.

*SUMBERG, L. A. M. 'The *Tafurs* and the First Crusade', in *Medieval Studies* (University of Toronto), vol. XXI, London, New York, 1959, pp. 224–46.

SVÁTEK, J. *Culturhistorische Bilder aus Böhmen*, Vienna, 1879.

SYBEL, H. von. *Geschichte des ersten Kreuzzuges* Leipzig, 1881.

TAMASSIA, N. *La famiglia italiana nei secoli XV e XVI*, Milan, Palermo, Naples, 1910.

TAUBES, J. *Abendländische Eschatologie*, Bern, 1947.

THALAMAS, A. *La société seigneuriale française, 1050–1270*, Paris, 1951.

THOMA, A. 'Der Pfeifer von Niklashausen', in *Preussische Jahrbucher*, vol. LX, Berlin, 1887, pp. 541–79.

TRACHTENBERG, J. *The Devil and the Jews: The medieval conception of the Jew and its relation to modern anti-semitism*, New Haven, Conn., 1944.

TREVELYAN, G. M. *England in the age of Wycliffe*, London, 1899.

TROELTSCH, E. *The social teaching of the Christian Churches*, trans. Wyon, 2 vols., 3rd edn., London, 1950.

TURBERVILLE, A. S. *Medieval heresy and the Inquisition*, London, 1920.

VERNET, F. 'Les frères du libre esprit', in *Dictionnaire de Théologie Catholique*, vol. VI, Paris, 1920, cols. 800–809.

VOEGELIN, E. *The new science of politics*, Chicago, 1952.

VOIGT, GEORG. 'Die deutsche Kaisersage', in *Historische Zeitschrift*, vol. XXVI, Munich, 1871, pp. 131–87.

VÖLTER, D. 'Die Secte von Schwabisch-Hall und der Ursprung der deutschen Kaisersage', in ZKG, vol. IV (1881), pp. 360–93.

VULLIAUD, P. *La fin du monde*, Paris, 1952.

WAAS, A. 'Die grosse Wendung im deutschen Bauernkrieg', in *Historische Zeitschrift*, Munich, 1938, vol. CLVIII, pp. 457–91; vol. CLIX, pp. 22–53.

WADSTEIN, E. *Die eschatologische Ideengruppe: Antichrist, Weltsabbat, Weltende und Weltgericht*, Leipzig, 1896.

WALTER, G. *Histoire du Communisme*, vol. I, *Les origines judaïques, chrétiennes, grecques, latines*, Paris, 1931.

WALTER, L.-G. *Contributions à l'étude de la formation de l'esprit révolutionnaire en Europe: Thomas Munzer et les luttes sociales à l'époque del a Réforme*, Paris, 1927.

WAPPLER, P. *Die Täuferbewegung in Thüringen von 1526-1584*, Jena, 1913.

WEBER, M. (1). *Gesammelte Aufsätze zur Religionssoziologie*, vols. I, II, Tübingen, 1920.

WEBER, M. (2). *Wirtschaft und Gesellschaft*, Tübingen, 1925.

WELLER, K. 'König Konrad IV und die Schwaben', in *Württembergische Vierteljahrshefte für Landesgeschichte*, new series, vol. V, Stuttgart, 1896, pp. 113–60.

*WERNER, E. (1). 'Popular ideologies in late medieval Europe: Taborite chiliasm and its antecedents', in *Comparative Studies in Society and History*, vol. II, The Hague, 1959–60, pp. 344–63.

*WERNER, E. (2). 'Messianische Bewegungen im Mittelalter', in *Zeitschrift für Geschichtswissenschaft*, vol. X, Berlin, 1962, pp. 371–96, 598–622.

*WERNER, E. and ERBSTÖSSER, M. 'Sozial-religiöse Bewegungen im Mittelalter', in *Wissenschaftliche Zeitschrift der Karl-Marx-Universität Leipzig, Gesellschafts- und Sprachwissenschaftliche Reihe*, no. 7, 1957–8, pp. 257–82.

WERUNSKY, E. *Geschichte Kaiser Karls IV und seiner Zeit*, Innsbruck, 1882.

WEYDEN, E. *Geschichte der Juden in Köln am Rhein*, Cologne, 1867.

WICKERSHEIMER, E. 'Les accusations d'empoisonnement portées pendant la première moitié du XIVe siècle contre les lépreux et les juifs', in *Bulletin du quatrième Congrès international d'histoire de la médicine*, Brussels, 1923 (published 1927).

WILKINSON, B. 'The Peasants' Revolt of 1381', in *Speculum*, vol. XV, Cambridge, Mass., 1940, pp. 12–35.

*WILLIAMS, G. H. *The Radical Reformation*, London, 1962.

WINKELMANN, E. 'Holzschuh', in ADB, vol. XV, pp. 792–3.

*WOLF, G. (ed.). *Stupor Mundi. Zur Geschichte Friedrichs II von Hohenstauffen*, Darmstadt, 1966.

WOLFF, T. *Die Bauernkreuzzüge des Jahres 1096*, Tübingen, 1891.

WORKMAN, H. B. *John Wiclif*, 2 vols., Oxford, 1926.

*ZIEGLER, P. *The Black Death*, London, 1969.

ZÖCKLER, O. *Kritische Geschichte der Askese*, Frankfort-on-Main and Erlangen, 1863.

*ZSCHÄBITZ, G. *Zur mitteldeutschen Wiedertäuferbewegung nach dem grossen Bauernkrieg*, Berlin, 1958.

3 General Works on Millenarian and Messianic Movements in the World

ANDERSSON, E. *Messianic popular movements in the Lower Congo*, Uppsala, 1958

Archives de sociologie des religions, vol. IV (*Messianismes et millénarismes*) and vol. V (*Les messianismes dans le monde*), Paris, 1957–8.

BURRIDGE, K. O. L. *New Heaven, new earth: a study of millenarian activities*, Oxford, 1969.

*COHN, N. 'Reflexions sur le millénarisme', in *Archives de sociologie des religions*, vol. V, Paris, 1958, pp. 103–7.

COHN, N. 'Medieval Millenarism: its bearing on the comparative study of millenarian movements,' in *Millennial Dreams in Action*, pp. 31–43.

DESROCHE, H. 'Messianismus', in *Die Religion in Geschichte und Gegenwart*, vol. IV, Tübingen, 1960.

GUARIGLIA, G. *Prophetismus und Heilserwartungs-Bewegungen als völkerkundliches und religionsgeschichtliches Problem*. (*Wiener Beiträge zur Kulturgeschichte und Linguistik*, vol. XIII) Vienna, 1959.

HOBSBAWM, E. J. *Primitive Rebels*, Manchester, 1959.

LANTERNARI, V. *The religions of the oppressed. A study of modern messianic cults*, trans. Sergio, London, 1963.

Millennial Dreams in Action, ed. S. L. Thrupp (*Comparative Studies in Society and History, Supplement II*), The Hague, 1962.

MUHLMANN, W. E. *Chiliasmus und Nativismus. Studien zur Psychologie, Soziologie und historischen Kasuistik der Umsturzbewegungen*, Berlin, 1961.

SUNDKLER, B. *Bantu Prophets in South Africa*, London, 1948.

WORSLEY, P. *The trumpet shall sound. A study of 'Cargo' Cults in Melanesia*, London, 1957.

٤ج

المحتوى